مرکز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

جامع السعادات

تأليف

العلامة النراقي

جلد ٣-١

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

جامع السعادات

كاتب:

ملا محمد مهدی نراقی

نشرت فی الطباعۀ:

اعلمی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

الفهرس ---------- ۵
جامع السعادات ---------- ۳۷
اشاره ---------- ۳۷
المجلد ۱ ---------- ۳۷
[مقدمه محمد رضا المظفر] ---------- ۳۷
اشاره ---------- ۳۷
حیاه المؤلف ۱۱۲۸-۱۲۰۹ ---------- ۳۹
اشاره ---------- ۳۹
مولده و وفاته ---------- ۴۰
نشأته العلميه و أساتذته ---------- ۴۱
عصره ---------- ۴۳
شخصيه المترجم له و أخلاقه ---------- ۴۶
مؤلفاته ---------- ۴۹
اشاره ---------- ۴۹
جامع السعادات و علم الأخلاق ---------- ۵۳
اشاره ---------- ۵۳
النواحی الفنيه فی الكتاب ---------- ۵۶
تصحيح الكتاب و مراجعه ---------- ۵۹
[مقدمه المصحح] ---------- ۶۳
اشاره ---------- ۶۳
مراجع البحث فی الترجمه: ---------- ۶۳
ملاحظه: ---------- ۶۴
مقدمه المؤلف ---------- ۶۹
الباب الأول فی المقدمات ---------- ۷۲

اشاره ----- ۷۲
فصل (انقسام حقیقه الإنسان و حالاته بالاعتبار) ----- ۷۳
فصل (فی تجرد النفس و بقائها) ----- ۷۳
فصل (فی بیان تلذذ النفس و تألمها) ----- ۷۶
فصل (فی فضائل الأخلاق و رذائلها) ----- ۷۷
فصل (الأخلاق الذمیمه تحجب عن المعارف) ----- ۷۹
فصل (أن العمل نفس الجزاء) ----- ۸۳
فصل (تأثیر المزاج علی الأخلاق) ----- ۸۹
فصل (تأثیر التربیه علی الأخلاق) ----- ۹۱
فصل (شرف علم الأخلاق بشرف موضوعه و غایته) ----- ۹۵
فصل (النفس و أسماؤها و قواها الأربع) ----- ۹۷
اشاره ----- ۹۷
وصل ----- ۱۰۳
فصل (الأقوال فی الخیر و السعاده و التوفیق بینها) ----- ۱۰۵
فصل (لا تحصل السعاده إلا بإصلاح جمیع الصفات و القوی دائما) ----- ۱۰۸
اشاره ----- ۱۰۸
وصل (غایه السعاده التشبه بالمبدإ) ----- ۱۱۰
فصل (بإزاء کل واحده من القوی الأربع لذه و ألم) ----- ۱۱۱
اشاره ----- ۱۱۱
إیقاظ (فیه موعظه و نصیحه) ----- ۱۱۴
الباب الثانی فی بیان أقسام الأخلاقی و تفصیل القول فیها ----- ۱۱۹
اشاره ----- ۱۱۹
فصل (أجناس الفضائل الأربع و الأقوال فی حقیقه العداله ----- ۱۲۰
اشاره ----- ۱۲۰
(بطریق آخر) ----- ۱۲۱
تکمله (العداله انقیاد العقل العملی للعقل النظری) ----- ۱۲۳

وصل العقل النظری هو المدرک للفضائل و الرذائل ----- ۱۲۷
دفع الإشکال فی تقسیم الحکمه ----- ۱۲۹
فصل تحقیق الوسط و الأطراف ----- ۱۳۰
فصل (أجناس الرذائل و أنواعها) ----- ۱۳۵
اشاره ----- ۱۳۵
فصل الفرق بین الفضیله و الرذیله ----- ۱۴۴
فصل العداله أشرف الفضائل ----- ۱۴۸
اشاره ----- ۱۴۸
ایقاظ ----- ۱۵۴
[دفع اشکال] ----- ۱۵۶
تتمیم ----- ۱۵۶
تنویر (لا حاجه إلی العداله مع رابطه المحبه) ----- ۱۵۹
وصل (التکمیل الصناعی لاکتساب الفضائل علی طبق ترتیب الکمال الطبیعی) ----- ۱۵۹
الباب الثالث فی طریق حفظ اعتدال الأخلاق المحموده و استحصالها بإزاله نقائضها المذمومه ----- ۱۶۳
اشاره ----- ۱۶۳
[المقدمه] ----- ۱۶۳
اشاره ----- ۱۶۳
فصل (الطریق لحفظ اعتدال الفضائل) ----- ۱۶۴
اشاره ----- ۱۶۴
(منها)اختیار مصاحبه الأخیار، ----- ۱۶۴
(و منها)إعمال القوی فی شرائف الصفات، ----- ۱۶۴
(و منها)أن یقدم التروی علی کل ما یفعله، ----- ۱۶۵
(و منها)أن یحترز عما یهیج الشهوه و الغضب رؤیه و سماعا و تخیلا، ----- ۱۶۶
(و منها)أن یستقصی فی طلب خفایا عیوب نفسه، ----- ۱۶۶
قانون العلاج فی الطب الروحانی ----- ۱۶۷
اشاره ----- ۱۶۷

فصل (طریق معرفه الأمراض النفسانیه) ---------- ۱۶۷
فصل (أسباب الأمراض النفسانیه) ---------- ۱۶۸
فصل (المعالجات الکلیه لمرض النفس) ---------- ۱۶۹
المعالجات الخاصه لمرض النفس ---------- ۱۷۰
المقام الأول (فی معالجه الرذائل المتعلقه بالقوه العاقله) ---------- ۱۷۱
اشاره ---------- ۱۷۱
أما جنسا رذائلها ---------- ۱۷۲
اشاره ---------- ۱۷۲
[فأولهما]: ---------- ۱۷۲
[و ثانیهما]: ---------- ۱۷۲
اشاره ---------- ۱۷۲
فصل (شرف العلم و الحکمه) ---------- ۱۷۳
آداب التعلم و التعلیم ---------- ۱۷۸
[أما آداب التعلم]: ---------- ۱۷۸
(فمنها)أن یجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات و الهوی و الاختلاط بأبناء الدنیا. ---------- ۱۷۸
(و منها)ان یکون تعلمه لمجرد التقرب إلی الله و الفوز بالسعادات الأخرویه، ---------- ۱۷۹
(و منها)أن یعمل بما یفهم و یعلم، ---------- ۱۸۰
(و منها)أن یحافظ شرائط الخضوع و الأدب للمعلم، ---------- ۱۸۰
(و أما آداب التعلیم): ---------- ۱۸۱
(فمنها)ان یخلص المعلم تعلیمه لله سبحانه ---------- ۱۸۱
(و منها)أن یکون مشفقا علی المتعلم ناصحا له، ---------- ۱۸۱
(و منها)أن لا یضن العلم من أهله و یمنعه عن غیر أهله، ---------- ۱۸۱
(و منها)أن یقول ما یعلم و یسکت عما لا یعلم ---------- ۱۸۱
تتمیم (العلم الإلهی و علم الأخلاق و الفقه أشرف العلوم) ---------- ۱۸۳
أصول العقائد المجمع علیها ---------- ۱۸۴
أنواع الرذائل المتعلقه بالعاقله ---------- ۱۸۹

اشاره ---------- ۱۸۹

فمنها: ---------- ۱۸۹

و منها الشک و الحیره ---------- ۱۹۰

اشاره ---------- ۱۹۰

وصل الیقین ---------- ۱۹۱

علامات صاحب الیقین ---------- ۱۹۳

(منها)ألا یلتفت فی أموره إلی غیر اللّه سبحانه. ---------- ۱۹۳

(و منها)أن یکون فی جمیع الأحوال خاضعا للّه سبحانه. ---------- ۱۹۴

(و منها)أن یکون مستجاب الدعوات، ---------- ۱۹۶

مراتب الیقین ---------- ۱۹۷

و منها: ---------- ۲۰۰

اشاره ---------- ۲۰۰

وصل (التوحید فی الفعل) ---------- ۲۰۱

فصل (ابتناء التوکل علی حصر المؤثر فی اللّه تعالی) ---------- ۲۰۴

فصل مناجاه السر لأرباب القلوب) ---------- ۲۰۷

و منها: ---------- ۲۱۵

اشاره ---------- ۲۱۵

فصل (أقسام الخواطر و منها الإلهام) ---------- ۲۱۶

فصل (المطارده بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس) ---------- ۲۱۸

فصل (تسویلات الشیطان و وساوسه) ---------- ۲۲۰

فصل (العلائم الفارقه بین الإلهام و الوسوسه) ---------- ۲۲۲

فصل (علاج الوساوس) ---------- ۲۲۳

فصل (ما یتم به علاج الوسواس) ---------- ۲۲۶

(الأول)سد الأبواب العظیمه للشیطان فی القلب، ---------- ۲۲۶

(الثانی)عماره القلب بأضدادها ---------- ۲۲۷

(الثالث)کثره الذکر بالقلب و اللسان، ---------- ۲۲۷

فصل (ما یتوقف علیه قطع الوساوس) ---------- ۲۲۹

فصل (حدیث النفس لا مؤاخذه علیه) ---------- ۲۳۱

وصل (الخاطر المحمود و التفکر) ---------- ۲۳۶

تکمله (مجاری التفکر فی المخلوقات) ---------- ۲۴۰

أما(البعوض) ---------- ۲۴۲

أما(النحل) ---------- ۲۴۳

و أما(الإنسان) ---------- ۲۴۴

تذنیب ---------- ۲۵۹

فانظر-أولا-إلی(رواسی الجبال)و شوامخ الصم الصلاب، ---------- ۲۶۳

ثم انظر إلی(أنواع النبات) ---------- ۲۶۳

ثم انظر إلی(أنواع الحیوانات) ---------- ۲۶۴

ثم ارفع رأسک إلی هذا(السقف الأخضر) ---------- ۲۶۵

ثم انظر إلی حرکه(الشمس) ---------- ۲۶۶

ثم انظر إلی عظم أقدار هذه الأجرام السماویه، ---------- ۲۶۶

ثم انظر مع هذا العظم إلی سرعه حرکتها و خفتها، ---------- ۲۶۷

تتمیم ---------- ۲۶۸

نصیحه ---------- ۲۷۳

(و منها)-أی و من رذائل القوه العاقله-استنباط وجوده. ---------- ۲۷۴

المقام الثانی (فیما یتعلق بالقوه الغضبیه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج) ---------- ۲۷۸

اشاره ---------- ۲۷۸

فنقول: أما جنسا رذائلها ---------- ۲۷۹

اشاره ---------- ۲۷۹

«فأحدهما»: ---------- ۲۷۹

«و ثانیهما»: ---------- ۲۸۰

اشاره ---------- ۲۸۰

وصل الشجاعه ---------- ۲۸۱

و أما الأنواع و لوازمها المتعلقه بالقوه الغضبيه ----- ۲۸۲
اشاره ----- ۲۸۲
فمنها: ----- ۲۸۲
اشاره ----- ۲۸۲
فصل الخوف المذموم و أقسامه ----- ۲۸۳
(الأول)أن يكون أمرا ضروريا لازم الوقوع، ----- ۲۸۳
(الثانی)أن یکون أمرا ممکنا لم یجزم بشیء من طرفیه، ----- ۲۸۳
(الثالث)أن يكون أمرا ممكنا فاعله هذا الشخص، ----- ۲۸۳
الرابع)أن يكون مما توحش منه الطباع،بلا داع عقلی و لا باعث نفس أمری، ----- ۲۸۴
باعث خوف الموت يحتمل أمورا: ----- ۲۸۴
(الأول)تصور فناء ذاته بالكليه ----- ۲۸۴
(الثانی)تصور إيجابه ألما جسمانيا عظيما لا يتحمل مثله و لم يدرک فی الحياه شبهه. ----- ۲۸۵
(الثالث)تصور عروض نقصان لأجله. ----- ۲۸۵
(الرابع)صعوبه قطع علاقته من الأولاد و الأموال و المناصب و الأحباب ----- ۲۸۶
(الخامس)تصور سرور الأعداء و شماتتهم بموته. ----- ۲۸۶
(السادس)تصور تضییع الأولاد و العيال،و هلاک الأعوان و الأنصار ----- ۲۸۷
(السابع)تصور العذاب الجسمانی و الروحانی المترتب على ذمائم الأعمال و قبائح الأفعال. ----- ۲۸۹
فصل الخوف المحمود و أقسامه و درجاته ----- ۲۹۰
فصل بم يتحقق الخوف ----- ۲۹۳
فصل الخوف من الله أفضل الفضائل ----- ۲۹۶
فصل الخوف إذا جاوز حده كان مذموما ----- ۳۰۳
فصل طرق تحصيل الخوف الممدوح ----- ۳۰۵
(الأول)أن يجتهد فی تحصيل اليقين. ----- ۳۰۵
(الثانی)ملازمه التفكر فی أحوال القيامه، ----- ۳۰۶
(الثالث)أن يتأمل فی أن الوقف على كنه صفات الله فی حيز المحال، ----- ۳۰۶
فصل خوف سوء الخاتمه و أسبابه ----- ۳۰۷

(الأول)و هو الأعظم،و هو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت و ظهور أ هواله، ---------- ۳۰۷

(الثانى)ضعف الإيمان فى الأصل، ---------- ۳۱۰

(و الثالث)كثره المعاصى و غلبه الشهوات،و إن قوى الإيمان. ---------- ۳۱۱

فصل الفرق بين الاطمئنان و الأمن من مكر اللّه ---------- ۳۱۷

تتميم التلازم بين الخوف و الرجاء ---------- ۳۱۸

الظواهر الوارده فى الرجاء أكثر من أن تحصى،و هى على أقسام: ---------- ۳۲۱

(الأول)ما ورد فى النهى عن القنوط و اليأس من رحمه اللّه ---------- ۳۲۱

(الثانى)ما ورد فى الترغيب على خصوص الرجاء و كونه سبب النجاه، ---------- ۳۲۱

(الثالث)ما ورد فى استغفار الملائكه و الأنبياء للمؤمنين ---------- ۳۲۴

(الرابع)ما ورد فى تأجيل المذنب إلى أن يستغفر، ---------- ۳۲۴

(الخامس)ما ورد فى شفاعه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم- ---------- ۳۲۵

(السادس)ما ورد من البشارات للشيعه و من عدم خلودهم فى النار، ---------- ۳۲۵

(السابع)ما دل على أن النار إما أعدها اللّه لأعدائه من الكافرين، ---------- ۳۲۵

(الثامن)ما ورد فى سعه عفو اللّه و مغفرته و وفور رأفته و رحمته، ---------- ۳۲۶

(التاسع)ما دل على أن ابتلاء المؤمن فى الدنيا بالبلايا و الأمراض كفاره لذنوبه، ---------- ۳۲۸

(العاشر)-ما ورد فى أن الإيمان لا يضر معه عمل، ---------- ۳۲۸

(الحادى عشر)ما ورد فى الترغيب على حسن الظن باللّه، ---------- ۳۲۸

(الثانى عشر)ما دل على أن الكافر أو النصاب يكونون يوم القيامه فداء للمؤمنين أو الشيعه، ---------- ۳۲۸

و أما(الثانى)-أعنى ما يدل على أن رجاء المغفره و العفو و الرحمه إنما هو بعد العمل ---------- ۳۲۹

فصل مواقع الخوف و الرجاء و ترجيح أحدهما على الآخر ---------- ۳۳۰

فصل العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ---------- ۳۳۲

فصل مداواه الناس بالخوف أو الرجاء على اختلاف أمراضهم ---------- ۳۳۵

و منها: ---------- ۳۳۶

وصل كبر النفس و صلابتها ---------- ۳۳۷

تتميم الثبات أخص من كبر النفس ---------- ۳۳۸

و منها: ---------- ۳۳۹

و منها: ----- ۳۴۰

وصل الغيره و الحميه ----- ۳۴۲

فصل الغيره على الدين و الحريم و الأولاد ----- ۳۴۳

مقتضى الغيره و الحميه فى(الدين) ----- ۳۴۳

و مقتضى الغيره على(الحريم) ----- ۳۴۳

و أما مقتضى الغيره على(الأولاد): ----- ۳۴۶

و أما الغيره على(المال)، ----- ۳۵۰

و منها: ----- ۳۵۱

وصل الأناه و التوقف و الوقار و السكينه ----- ۳۵۶

و منها: ----- ۳۵۷

وصل حسن الظن ----- ۳۶۱

و منها: ----- ۳۶۲

فصل الإفراط و التفريط و الاعتدال فى قوه الغضب ----- ۳۶۳

فصل (الغضب) ----- ۳۶۵

فصل (إمكان إزاله الغضب و طرق علاجه) ----- ۳۶۷

ثم علاجه يتوقف على أمور، ----- ۳۶۷

(الأول)إزاله أسبابه المهيجه له، ----- ۳۶۷

(الثانى)أن يتذكر قبح الغضب و سوء عاقبته، ----- ۳۶۷

(الثالث)أن يتذكر ما ورد من المدح و الثواب على دفع الغضب فى موارده، ----- ۳۶۸

(الرابع)ان يتذكر فوائد ضد الغصب،أعنى الحلم و كظم الغيظ، ----- ۳۶۸

(الخامس) ----- ۳۶۸

(السادس)أن يحترز عن مصاحبه أرباب الغضب، ----- ۳۶۹

(السابع)أن يعلم أن ما يقع إنما هو بقضاء اللّه و قدره، ----- ۳۶۹

(الثامن)أن يتذكر أن الغضب مرض قلب و نقصان عقل، ----- ۳۶۹

(التاسع)أن يتذكر أن قدره اللّه عليه أقوى و أشد من قدرته ----- ۳۷۰

(العاشر) ----- ۳۷۱

(الحادی عشر)أن یتفکر فی السبب الذی یدعوه إلی الغیظ و الغضب ----- ۳۷۱
(الثانی عشر)أن یعلم أن اللّه یحب منه ألا یغضب، ----- ۳۷۲
(الثالث عشر)أن یتفکر فی قبح صورته و حرکاته عند غضبه، ----- ۳۷۲
تتمیم ----- ۳۷۲
وصل (فضیله الحلم و کظم الغیظ) ----- ۳۷۲
أما(الحلم) ----- ۳۷۳
و اما(کظم الغیظ) ----- ۳۷۴
و منها: ----- ۳۷۶
وصل (العفو) ----- ۳۷۸
و منها: ----- ۳۷۹
وصل (فضیله الرفق) ----- ۳۸۰
تکمله (المداراه) ----- ۳۸۲
و منها: ----- ۳۸۳
وصل (طرق اکتساب حسن الخلق) ----- ۳۸۴
و منها: ----- ۳۸۸
و منها: ----- ۳۹۰
و منها: ----- ۳۹۰
أما(الضرب) ----- ۳۹۱
و أما(الفحش و السب و بذاءه اللسان) ----- ۳۹۱
و أما(اللعن) ----- ۳۹۴
و أما(الطعن) ----- ۳۹۸
و منها-أی و من رذائل القوه الغضبیه-: ----- ۳۹۹
فصل (ذم العجب) ----- ۴۰۱
فصل (آفات العجب) ----- ۴۰۳
فصل (علاج العجب إجمالا و تفصیلا) ----- ۴۰۴
أما العلاج الإجمالی ----- ۴۰۴

و أما التفصیلی ---- ۴۰۸
أما(العجب بالعلم): ---- ۴۰۸
و أما(العجب بالعباده و الطاعه): ---- ۴۱۱
و أما(العجب بالورع،و التقوی،و الصبر،و الشکر،و السخاوه، و الشجاعه،و غیرها من الفضائل النفسیه): ---- ۴۱۱
و أما(العجب بالحسب و النسب):فعلاجه یتم بمعرفه أمور: ---- ۴۱۴
الأول-أن یعلم أن التعزز بکمال الغیر غایه السفاهه و الجهل، ---- ۴۱۴
الثانی-أن یعرف نسبه الحقیقی، ---- ۴۱۵
الثالث ---- ۴۱۶
و أما(العجب بالجمال): ---- ۴۱۶
و أما(العجب بالمال): ---- ۴۱۷
و أما(العجب بالقوه و شده البطش): ---- ۴۱۸
و أما(العجب بالجاه،و المنصب،و ولایه السلاطین،و کثره الأتباع و الأنصار: ---- ۴۱۹
و أما(العجب بالعقل و الکیاسه و التفطن لدقائق الأمور): ---- ۴۱۹
و أما(العجب بالرأی الخطإ الذی یزین له بجهله): ---- ۴۱۹
وصل (انکسار النفس) ---- ۴۲۱
و منها: ---- ۴۲۲
فصل (ذم الکبر) ---- ۴۲۳
فصل (التکبر علی اللّه و علی الناس) ---- ۴۲۷
فصل (درجات الکبر) ---- ۴۲۸
(الثانیه)کالأولی،إلا فی إظهاره علی اللسان، ---- ۴۲۹
(الثالثه)ان یکون مستقرا فی قلبه ---- ۴۲۹
فصل (علاج الکبر علما و عملا) ---- ۴۲۹
اشکال و حل ---- ۴۳۰
تذنیب (العلاج العملی للکبر) ---- ۴۳۲
(الأول)ان یناظر مع أقرانه فی بعض المسائل، ---- ۴۳۲
(الثانی)ان یقدم الأقران و الأمثال علی نفسه فی المحافل، ---- ۴۳۳

(الثالث)أن يجيب دعوه الفقير، ---- ۴۳۳
(الرابع)ان يلبس ثيابا بذله، ---- ۴۳۴
(الخامس)أن يأكل مع خدامه و غلمانه، ---- ۴۳۴
وصل (التواضع و مدحه) ---- ۴۳۶
تتميم (الذله) ---- ۴۴۰
و منها: ---- ۴۴۱
و منها: ---- ۴۴۲
و منها: ---- ۴۴۳
و منها: ---- ۴۴۴
و منها: ---- ۴۴۵
وصل (الإنصاف و الاستقامه على الحق) ---- ۴۴۶
و منها: ---- ۴۴۷
المجلد ۲ ---- ۴۵۵
اشاره ---- ۴۵۵
[تتمه الباب الثالث] ---- ۴۵۵
اشاره ---- ۴۵۵
المقام الثالث (فيما يتعلق بالقوه الشهويه من الرذائل و الفضائل و كيفيه العلاج) ---- ۴۵۷
اشاره ---- ۴۵۷
أما جنسا رذائلها ---- ۴۵۸
اشاره ---- ۴۵۸
فأحدهما: ---- ۴۵۸
اشاره ---- ۴۵۸
و يدل على ذم(الأول)-أعنى شهوه البطن و الحرص على الأكل و الشرب ---- ۴۶۰
فوائد الجوع ---- ۴۶۳
الشهوه الجنسيه ---- ۴۶۴
(و ثانيهما)-أى ثانى جنسى رذائل قوه الشهوه-: الخمود ---- ۴۶۸

اشاره ----- ۴۶۸
وصل العفه ----- ۴۷۱
(الاعتدال فی الشهوه) ----- ۴۷۲
و أما غیر الجنسین من الأنواع و النتائج و الآثار المتعلقه بالقوه الشهویه ----- ۴۷۳
اشاره ----- ۴۷۳
فمنها: ----- ۴۷۳
اشاره ----- ۴۷۳
تذنیب (لا بد للمؤمن من مکسب) ----- ۴۷۶
فصل (الدنیا المذمومه هی الهوی) ----- ۴۷۸
فصل (ذم الدنیا و أنها عدوه اللّه و الإنسان) ----- ۴۸۰
فصل (خسائس صفات الدنیا) ----- ۴۹۲
تذنیب (تشبیها الدنیا و أهلها) ----- ۴۹۵
فصل (عاقبه حب الدنیا و بغضها) ----- ۴۹۸
و منها: ----- ۵۰۱
اشاره ----- ۵۰۱
فصل الکتاب و السنه متظاهران فی ذم المال و کراهه حبه، ----- ۵۰۲
فصل (الجمع بین ذم المال و مدحه) ----- ۵۰۵
فصل (غوائل المال و فوائده) ----- ۵۰۷
إن غوائله إما دنیویه أو دینیه: ----- ۵۰۷
و الدنیویه: ----- ۵۰۷
و الدینیه:ثلاثه أنواع: ----- ۵۰۷
أولها-أداؤه إلی المعصیه. ----- ۵۰۷
و ثانیها-أداؤه إلی التنعم فی المباحات. ----- ۵۰۷
و ثالثها-و هو الذی لا ینفک عنه أحد من أرباب الأموال، ----- ۵۰۸
و أما فوائده:فهی أیضا دنیویه و دینیه: ----- ۵۰۹
أما الدنیویه: ----- ۵۰۹

و أما الدينيه:فثلاثه أنواع: ----- ۵۰۹

أولها-أن ينفقه على نفسه فى عباده، ----- ۵۰۹

و ثانيها-أن يصرفه إلى أشخاص معينه: ----- ۵۰۹

و ثالثها-أن يصرفه إلى غير معين يحصل به خير عام، ----- ۵۱۰

فصل (الأمور المنجيه من غوائل المال) ----- ۵۱۰

وصل (الزهد) ----- ۵۱۲

فصل (مدح الزهد) ----- ۵۱۳

فصل (اعتبارات الزهد و درجاته) ----- ۵۲۲

(الأول)اعتبار نفسه ----- ۵۲۲

(الثانى)اعتبار المرغوب عنه ----- ۵۲۳

(الثالث)اعتبار المرغوب فيه:أعنى ما يترک لأجله. ----- ۵۳۱

تتميم الزهد الحقيقى ----- ۵۳۲

و منها: الغنى ----- ۵۳۲

اشاره ----- ۵۳۲

فصل ذم الغنى ----- ۵۳۴

وصل الفقر ----- ۵۳۵

فصل اختلاف أحوال الفقراء ----- ۵۳۵

فصل مراتب الفقر و مدحه ----- ۵۳۸

فصل (الموازنه بين الفقر و الغنى) ----- ۵۴۵

و إنما وقع الشک فى الترجيح بين الفقر و الغنى فى مواضع: ----- ۵۴۵

(الأول)فى الترجيح بين الفقر مع الصبر و القناعه،و الغنى مع الإنفاق،و قصد الاستعانه على العباده، ----- ۵۴۵

(الثانى)فى الترجيح بين الفقر مع الحرص و الجزع،و الغنى مع الحرص و الإمساک. ----- ۵۴۸

(الثالث)فى الترجيح بين فقير حريص متکالب على الدنيا ليس له هم سواه،و غنى هو دونه فى الحرص ----- ۵۴۹

فصل ما ينبغى للفقير ----- ۵۴۹

فصل وظيفه الفقراء ----- ۵۵۱

فصل موارد قبول العطاء و ردها ----- ۵۵۲

فصل لا يجوز السؤال من غير حاجه ----- ۵۵۳
و منها: ----- ۵۵۸
اشاره ----- ۵۵۸
وصل القناعه ----- ۵۶۰
فصل علاج الحرص ----- ۵۶۳
و منها: ----- ۵۶۶
اشاره ----- ۵۶۶
وصل الاستغناء عن الناس ----- ۵۶۷
و منها: ----- ۵۶۹
اشاره ----- ۵۶۹
فصل ذم البخل ----- ۵۷۰
وصل السخاء ----- ۵۷۳
فصل معرفه ما يجب أن يبذل ----- ۵۷۸
تنبيه الإيثار ----- ۵۸۰
فصل علاج مرض البخل ----- ۵۸۱
تذنيب ----- ۵۸۴
أما الأمور الواجبه، ----- ۵۸۴
فأولها: الزكاه ----- ۵۸۵
فصل سر وجوب الزكاه،و فضيله سائر الإنفاقات ----- ۵۸۸
الأول-أن التوحيد العام ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، ----- ۵۸۸
الثانى-تطهير النفس عن رذيله البخل، ----- ۵۸۹
الثالث-شكر النعمه، ----- ۵۹۰
فصل الحث على التعجيل فى الإعطاء ----- ۵۹۰
فصل فضيله إعلان الصدقه الواجبه ----- ۵۹۱
فصل ذم المن و الأذى فى الصدقه ----- ۵۹۲
فصل ما ينبغى للمعطى ----- ۵۹۴

فصل ما ینبغی للفقراء فی أخذ الصدقه ----- ۵۹۹

تتمیم زکاه الأبدان ----- ۶۰۰

و ثانیها: ----- ۶۰۱

و ثالثها: ----- ۶۰۳

فصل ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال ----- ۶۰۶

و أما الأمور المستحبه من الإنفاق،الداخله تحت السخاء، ----- ۶۰۸

فأولها: ----- ۶۰۸

فصل فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه ----- ۶۱۱

و ثانیها: ----- ۶۱۴

و ثالثها: ----- ۶۱۵

فصل ما ینبغی أن یقصد بالضیافه ----- ۶۱۹

فصل آداب الضیافه ----- ۶۲۰

و رابعها: ----- ۶۲۱

و خامسها: ----- ۶۲۴

و سادسها: ----- ۶۲۵

و سابعها: ----- ۶۲۶

و ثامنها: ----- ۶۲۷

و تاسعها: ----- ۶۲۷

تنبیه الفرق بین الإنفاق و البر و المعروف ----- ۶۲۸

و منها-أی من رذائل القوه الشهویه-: ----- ۶۳۱

اشاره ----- ۶۳۱

فصل عزه تحصیل الحلال ----- ۶۳۳

فصل أنواع الأموال ----- ۶۳۴

الفرق بین الرشوه و الهدیه ----- ۶۳۶

وصل الورع عن الحرام ----- ۶۴۰

فصل مدح الورع ----- ۶۴۱

فصل مداخل الحلال ----- ۶۴۵
فصل درجات الورع ----- ۶۴۶
تتميم ----- ۶۴۷
الغدر و الخيانه ----- ۶۴۷
أنواع الفجور ----- ۶۴۹
و منها: ----- ۶۵۰
و منها: ----- ۶۵۱
اشاره ----- ۶۵۱
فصل حد التكلم بما لا يعنى ----- ۶۵۳
فصل علاج الخوض فيما لا يعنى ----- ۶۵۵
وصل الصمت ----- ۶۵۶
المقام الرابع (فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقله و قوتى الغضب و الشهوه،أو باثنتين منها من الرذائل و الفضائل). ----- ۶۵۸
اشاره ----- ۶۵۸
فمنها: ----- ۶۵۹
اشاره ----- ۶۵۹
فصل ذم الحسد ----- ۶۶۰
فصل المنافسه و الغبطه ----- ۶۶۳
فصل بواعث الحسد ----- ۶۶۶
اشاره ----- ۶۶۶
الأول-خبث النفس و شحها بالخير لعباد اللّه. ----- ۶۶۶
الثانى-العداوه و البغضاء. ----- ۶۶۷
الثالث-حب الرئاسه و طلب المال و الجاه. ----- ۶۶۷
الرابع-الخوف من فوت المقاصد. ----- ۶۶۷
الخامس-التعزز: ----- ۶۶۸
السادس-التكبر: ----- ۶۶۸
السابع-التعجب: ----- ۶۶۸

(تنبیه) ----- ۶۶۹
فصل لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين ----- ۶۷۰
فصل علاج الحسد ----- ۶۷۳
اشاره ----- ۶۷۳
تنبيه القدر الواجب فى نفى الحسد ----- ۶۷۶
وصل النصيحه ----- ۶۷۹
و منها: ----- ۶۸۱
اشاره ----- ۶۸۱
وصل كفّ الأذى عن المسلمين ----- ۶۸۳
اشاره ----- ۶۸۳
تنبيه ذم الظلم بالمعنى الأخص ----- ۶۸۶
وصل العدل بالمعنى الأخص ----- ۶۹۰
و منها: ----- ۶۹۳
اشاره ----- ۶۹۳
وصل إدخال السرور فى قلب المؤمن ----- ۶۹۳
و منها: ----- ۶۹۶
اشاره ----- ۶۹۶
وصل قضاء حوائج المسلمين ----- ۶۹۸
و منها: ----- ۷۰۱
اشاره ----- ۷۰۱
وصل السعى فى الأمر بالمعروف ----- ۷۰۵
اشاره ----- ۷۰۵
فصل وجوب الأمر بالمعروف و شروطه ----- ۷۰۹
فصل عدم اشتراط العداله فيه ----- ۷۱۱
فصل مراتب الأمر بالمعروف ----- ۷۱۵
فصل معنى وجوبهما كفائيا ----- ۷۱۶

فصل ما ينبغی فی الآمر بالمعروف و الناهی عن المنكر ----- ۷۱۷
تتميم أنواع المنكرات ----- ۷۱۷
و منها: ----- ۷۲۰
اشاره ----- ۷۲۰
فصل التزاور و التآلف ----- ۷۲۱
و منها: ----- ۷۲۵
اشاره ----- ۷۲۵
وصل ضد قطيعه الرحم:صله الرحم ----- ۷۲۷
اشاره ----- ۷۲۷
تنبيه المراد بالرحم ----- ۷۳۰
و منها: ----- ۷۳۱
اشاره ----- ۷۳۱
وصل بر الوالدين ----- ۷۳۳
تذنيب حق الجوار ----- ۷۳۷
اشاره ----- ۷۳۷
تتميم حدود الجوار و حقه ----- ۷۳۸
و منها: ----- ۷۳۹
اشاره ----- ۷۳۹
وصل ستر العيوب ----- ۷۴۱
و منها: ----- ۷۴۲
اشاره ----- ۷۴۲
فصل كتمان السر ----- ۷۴۳
اشاره ----- ۷۴۳
تنبيه النميمه ----- ۷۴۴
تتمه السعايه ----- ۷۵۰
و منها: ----- ۷۵۰

اشاره ۷۵۰
وصل الإصلاح ۷۵۱
و منها: ۷۵۲
و منها: ۷۵۳
اشاره ۷۵۳
تذنیب علاج المراء ۷۵۶
وصل طیب الکلام ۷۵۷
و منها: ۷۵۷
و منها: ۷۶۰
اشاره ۷۶۰
تذنیب المذموم من المزاح ۷۶۲
و منها: ۷۶۴
اشاره ۷۶۴
فصل لا تنحصر الغیبه باللسان ۷۶۶
فصل بواعث الغیبه ۷۶۹
فصل ذم الغیبه ۷۷۲
فصل علاج الغیبه ۷۷۸
فصل مسوغات الغیبه ۷۸۱
تذنیب کفاره الغیبه ۷۸۴
تتمیم البهتان ۷۸۵
وصل المدح و مواضع حسنه و قبحه ۷۸۶
و منها: ۷۸۹
اشاره ۷۸۹
فصل ذم الکذب ۷۹۲
فصل مسوغات الکذب ۷۹۵
تنبیه التوریه و المبالغه ۷۹۸

تذنیب شهاده الزور،الیمین الکاذب،خلف الوعد ----- ۸۰۱
ایقاظ علاج الکذب ----- ۸۰۳
وصل الصدق و مدحه ----- ۸۰۴
تکمیل أقسام الصدق ----- ۸۰۶
اشاره ----- ۸۰۶
الأول-الصدق فی القول، ----- ۸۰۶
الثانی-الصدق فی النیه و الاراده، ----- ۸۰۶
الثالث-الصدق فی العزم، ----- ۸۰۷
الرابع-الصدق فی الوفاء بالعزم: ----- ۸۰۷
الخامس-الصدق فی الاعمال: ----- ۸۰۷
السادس-الصدق فی مقامات الدین: ----- ۸۰۹
تنبیه اللسان أضر الجوارح ----- ۸۱۱
تتمیم الصمت ----- ۸۱۵
و منها: ----- ۸۲۰
اشاره ----- ۸۲۰
فصل ذم حب الجاه و الشهره ----- ۸۲۱
فصل الجاه أحب من المال ----- ۸۲۳
فصل لا بد للانسان من جاه ----- ۸۲۴
فصل دفع اشکال فی حب المال و الجاه ----- ۸۲۶
فصل الکمال الحقیقی فی العلم و القدره لا المال و الجاه ----- ۸۳۰
فصل علاج حب الجاه ----- ۸۳۵
فصل حب الخمول ----- ۸۳۷
و منها: ----- ۸۳۹
اشاره ----- ۸۳۹
فصل مراتب حب المدح و کراهه الذم ----- ۸۴۰
فصل أسباب حب المدح ----- ۸۴۱

فصل علاج المدح و کراهه الذم ----- ۸۴۲
وصل ضد حب المدح ----- ۸۴۴
و منها: ----- ۸۴۵
اشاره ----- ۸۴۵
فصل ذم الرياء ----- ۸۴۷
فصل أقسام الرياء ----- ۸۵۱
فصل تأثير الرياء على العباده ----- ۸۵۳
اشاره ----- ۸۵۳
تنبيه السرور بالاطلاع على العباده ----- ۸۵۴
فصل متعلقات الرياء ----- ۸۵۹
فصل بواعث الرياء ----- ۸۶۰
اشاره ----- ۸۶۰
تنبيه الرياء الجلى و الخفى ----- ۸۶۱
فصل كيف يفسد الرياء العمل ----- ۸۶۲
فائده شوائب الرياء مبطله للعمل ----- ۸۶۴
ايقاظ ----- ۸۶۵
تنبيه ----- ۸۶۸
فصل علاج الرياء ----- ۸۶۸
تتميم ----- ۸۷۱
وصل الإخلاص و حقيقته ----- ۸۷۴
فصل مدح الإخلاص ----- ۸۷۶
فصل آفات الإخلاص ----- ۸۷۹
تتميم ----- ۸۸۰
و منها: ----- ۸۸۴
المجلد ۳ ----- ۸۹۲
اشاره ----- ۸۹۲

تتمه الباب الثالث ----- ۸۹۴
اشاره ----- ۸۹۴
اشاره ----- ۸۹۴
و منها ----- ۸۹۴
اشاره ----- ۸۹۴
فصل (ذم الغرور) ----- ۸۹۵
فصل (طوائف المغرورين) ----- ۸۹۶
اشاره ----- ۸۹۶
الطائفه الأولى (الكفار) ----- ۸۹۷
الطائفه الثانيه (العصاه و الفساق من المؤمنين) ----- ۹۰۲
الطائفه الثالثه أهل العلم ----- ۹۰۷
الطائفه الرابعه (الوعاظ) ----- ۹۱۲
وصل (أهل العباده و العمل) ----- ۹۱۵
الطائفه السادسه (المتصوفه) ----- ۹۱۷
الطائفه السابعه (الأغنياء و أرباب الأموال) ----- ۹۲۲
وصل (ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد) ----- ۹۲۳
اشاره ----- ۹۲۳
و منها: ----- ۹۲۴
اشاره ----- ۹۲۴
فصل (علاج طول الأمل) ----- ۹۲۶
اشاره ----- ۹۲۶
وصل (قصر الأمل) ----- ۹۲۷
فصل (اختلاف الناس فى طول الأمل) ----- ۹۲۸
فصل (ذكر الموت مقصر للامل) ----- ۹۳۰
فصل (العجب ممن ينسى الموت) ----- ۹۳۲
فصل (الموت أعظم الدواهى) ----- ۹۳۳

فصل (مراتب الناس فی ذکر الموت) ----- ۹۳۵
تتمیم (المبادره إلی الحسنات) ----- ۹۳۶
اشاره ----- ۹۳۶
و منها: ----- ۹۳۷
اشاره ----- ۹۳۷
و منها: ----- ۹۳۷
اشاره ----- ۹۳۷
و منها: ----- ۹۳۸
اشاره ----- ۹۳۸
وصل (التوبه و تعریفها) ----- ۹۴۱
اشاره ----- ۹۴۱
تتمه (هل یشترط فی التوبه القدره علی الذنب السابق؟) ----- ۹۴۴
فصل (وجوب التوبه) ----- ۹۴۶
تذنیب (تحقیق فی وجوب التوبه) ----- ۹۴۸
فصل (عموم وجوب التوبه) ----- ۹۵۱
تذنیب ----- ۹۵۳
فصل (لا بد من العمل بعد التوبه) ----- ۹۵۴
فصل (فضیله التوبه) ----- ۹۵۶
فصل (قبول التوبه) ----- ۹۵۸
فصل (طریق التوبه عن المعاصی) ----- ۹۶۲
فصل (تکفیر الصغائر و معنی الکبائر) ----- ۹۶۵
فصل (الصغائر قد تکون کبائر) ----- ۹۶۶
فصل (شروط کمال التوبه) ----- ۹۷۰
فصل (هل یصح التبعیض فی التوبه) ----- ۹۷۱
فصل (أقسام التائبین) ----- ۹۷۳
فصل (مراتب التوبه) ----- ۹۷۴

فصل (عدم الثقه بالاستقامه لا یمنع من التوبه) ---------- ۹۷۶
فصل (علاج الإصرار علی الذنوب) ---------- ۹۷۹
فصل (الإنابه) ---------- ۹۸۰
اشاره ---------- ۹۸۰
المحاسبه و المراقبه ---------- ۹۸۱
اشاره ---------- ۹۸۱
فصل (المعنی الظاهر للمحاسبه و المراقبه) ---------- ۹۸۱
فصل (حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا) ---------- ۹۸۱
فصل (مقامات مرابطه العقل للنفس) ---------- ۹۸۶
فأول الأعمال فی المرابطه(المشارطه): ---------- ۹۸۶
و ثانیها(المراقبه): ---------- ۹۸۹
و ثالثها-أی ثالث مقامات المرابطه و اعمالها-هو(المحاسبه) ---------- ۹۹۲
و رابعها-و هو آخر مقامات المرابطه-(معاتبه النفس) ---------- ۹۹۳
اشاره ---------- ۹۹۳
و منها: ---------- ۹۹۸
اشاره ---------- ۹۹۸
تتمیم (الغفله موجبه للحرمان) ---------- ۱۰۰۰
وصل ضد الغفله النیه- ---------- ۱۰۰۰
فصل (تأثیر النیه علی الأعمال) ---------- ۱۰۰۲
فصل (النیه روح الاعمال،و الجزاء بحسبها) ---------- ۱۰۰۴
فصل (عباده الاحرار و الاجراء و العبید) ---------- ۱۰۰۸
فصل (نیه المؤمن خیر من العمل) ---------- ۱۰۱۱
فصل (النیه غیر اختیاریه) ---------- ۱۰۱۴
تتمیم (الطریق فی تخلیص النیه) ---------- ۱۰۱۵
اشاره ---------- ۱۰۱۵
و منها: ---------- ۱۰۱۶

اشاره ----- ۱۰۱۶

و اما الشوق ----- ۱۰۱۸

فصل (أفضل مراتب الشوق الشوق إلى اللّه) ----- ۱۰۱۹

فصل (تعلق الحب بجميع القوى) ----- ۱۰۲۵

فصل (اقسام الحب بحسب مباديه) ----- ۱۰۲۷

الأول-حب الإنسان وجود نفسه و بقاءه و كماله، ----- ۱۰۲۷

الثانى-حبه لغيره لأجل انه يلتذ منه لذه حيوانيه. ----- ۱۰۲۹

الثالث-حبه للغير لأجل نفعه و إحسانه، ----- ۱۰۲۹

الرابع-أن يحب الشىء لذاته، ----- ۱۰۲۹

الخامس-محبته لمن بينه و بينه مناسبه خفيه،أو مجانسه معنويه، ----- ۱۰۳۱

السادس-محبته لمن حصل بينه و بينه الألف و الاجتماع فى بعض المواضع، ----- ۱۰۳۲

السابع-محبته لمن يشاركه فى وصف ظاهر، ----- ۱۰۳۲

الثامن-حب كل سبب و عله لمسببه و معلوله و بالعكس، ----- ۱۰۳۲

التاسع-محبه المتشاركين فى سبب واحد بعضهم لبعض، ----- ۱۰۳۴

فصل (لا محبوب حقيقه الا اللّه) ----- ۱۰۳۴

تكميل (الشهود التام هو نهايه درجات العشق) ----- ۱۰۳۹

فصل (سريان الحب فى الموجودات) ----- ۱۰۴۱

فصل (رد المنكرين لحب اللّه) ----- ۱۰۴۳

فصل (معرفه اللّه أقوى سائر اللذات) ----- ۱۰۴۹

فصل (تحقق رؤيه اللّه فى الآخره و لذه لقائه) ----- ۱۰۵۴

فصل (الطريق إلى الرؤيه و اللقاء) ----- ۱۰۶۱

فصل (تفاوت المؤمنين فى محبه اللّه) ----- ۱۰۶۳

فصل (الواجب اظهر الموجودات) ----- ۱۰۶۵

فصل (علائم محبه اللّه) ----- ۱۰۶۷

فصل (معنى حب اللّه لعبده) ----- ۱۰۷۴

تذنيب (الحب فى اللّه و البغض فى اللّه) ----- ۱۰۷۶

تتميم (الوفاء فی الحب) ----- ۱۰۸۲
فصل (الانس باللّه) ----- ۱۰۸۴
فصل (الأنس قد يثمر الإدلال) ----- ۱۰۸۵
تذنيب (العزله) ----- ۱۰۸۸
اشاره ----- ۱۰۸۸
و منها: ----- ۱۰۹۳
اشاره ----- ۱۰۹۳
ضد السخط(الرضا) ----- ۱۰۹۶
فصل (فضيله الرضا) ----- ۱۰۹۷
وصل (رضا اللّه) ----- ۱۰۹۹
فصل (رد إنكار تحقق الرضا) ----- ۱۱۰۰
فصل (هل يناقض الدعاء و نحوه الرضا) ----- ۱۱۰۳
فصل (طريق تحصيل الرضا) ----- ۱۱۰۸
تتميم (التسليم) ----- ۱۱۰۹
اشاره ----- ۱۱۰۹
و منها: ----- ۱۱۰۹
اشاره ----- ۱۱۰۹
و منها: ----- ۱۱۱۳
اشاره ----- ۱۱۱۳
وصل ----- ۱۱۱۴
اشاره ----- ۱۱۱۴
فصل (فضيله التوكل) ----- ۱۱۱۶
فصل (درجات التوكل) ----- ۱۱۱۹
فصل (السعی لا ينافی التوكل) ----- ۱۱۲۱
فصل (الأسباب التی لا ينافی السعی إليها التوكل) ----- ۱۱۲۳
فصل (اعقل و توكل) ----- ۱۱۲۴

فصل (درجات الناس فى التوكل) ---------- ۱۱۲۵
فصل (تفنيد زعم) ---------- ۱۱۲۶
فصل (طريق تحصيل التوكل) ---------- ۱۱۲۷
اشاره ---------- ۱۱۲۷
و منها. ---------- ۱۱۲۹
اشاره ---------- ۱۱۲۹
فصل (فضيله الشكر) ---------- ۱۱۳۴
فصل (الشكر نعمه يجب شكرها) ---------- ۱۱۳۷
فصل (المدارک لتمييز محاب الله عن مكارهه) ---------- ۱۱۳۹
فصل (اقسام النعم و اللذات) ---------- ۱۱۴۴
اشاره ---------- ۱۱۴۴
القسم الأول-و هو الأقرب الأخص:الفضائل النفسيه ---------- ۱۱۴۵
القسم الثانى-الفضائل البدنيه: ---------- ۱۱۴۷
الثالث-النعم الخارجه المضيفه بالبدن: ---------- ۱۱۴۸
الرابع-الأسباب التى تناسب من وجه الفضائل النفسيه،و يعبر عنها بالنعم التوفيقيه: ---------- ۱۱۴۸
اشاره ---------- ۱۱۴۸
تنبيه ---------- ۱۱۵۰
اشاره ---------- ۱۱۵۰
فصل (الأكل) ---------- ۱۱۵۱
فصل (لا فائده فى الغذاء ما لم يكن بشهوه و ميل) ---------- ۱۱۵۳
فصل (عجائب المأكولات) ---------- ۱۱۵۴
فصل (حاجه تحضير الطعام إلى آلاف الأسباب) ---------- ۱۱۵۷
فصل (تسخير الله التجار لجلب الطعام) ---------- ۱۱۵۹
فصل (نعم الله فى خلق الملائكه للانسان) ---------- ۱۱۵۹
فصل (الأسباب الصارفه للشكر) ---------- ۱۱۶۵
فصل (طريق تحصيل الشكر) ---------- ۱۱۶۸

فصل (الصحه خیر من السقم) ۱۱۷۱
اشاره ۱۱۷۱
و منها: ۱۱۷۴
اشاره ۱۱۷۴
ضد الجزع(الصبر)، ۱۱۷۶
فصل (مراتب الصبر) ۱۱۷۹
اشاره ۱۱۷۹
تذنیب (أقسام الصبر) ۱۱۸۱
فصل (فضیله الصبر) ۱۱۸۱
فصل (الصبر علی السراء) ۱۱۸۹
اشاره ۱۱۸۹
تذنیب (اختلاف مراتب الصبر فی الثواب) ۱۱۹۴
فصل (طریق تحصیل الصبر) ۱۱۹۵
اشاره ۱۱۹۵
تتمیم ۱۱۹۶
تتمیم (التلازم بین الصبر و الشکر) ۱۱۹۷
تنبیه (القانون الکلی فی معرفه الفضائل) ۱۲۰۱
تتمیم (تفضیل الصبر علی الشکر) ۱۲۰۳
اشاره ۱۲۰۳
و منها: ۱۲۰۴
اشاره ۱۲۰۴
اشاره ۱۲۰۴
فصل (حقیقه الطهاره) ۱۲۰۷
فصل (ما ینبغی للمؤمن فی الطهاره) ۱۲۰۹
فصل (إزاله الاوساخ) ۱۲۱۲
اشاره ۱۲۱۲

تنبیه (آداب الحمام) ----- ۱۲۱۳
تتمیم (السر فی إزاله الاوساخ) ----- ۱۲۱۴
اشاره ----- ۱۲۱۴
المقصد الثانی الصلاه- ----- ۱۲۱۶
اشاره ----- ۱۲۱۶
فصل (حقیقه الصلاه) ----- ۱۲۱۹
فصل (حضور القلب) ----- ۱۲۲۱
اشاره ----- ۱۲۲۱
تنبیه (دفع اشکال) ----- ۱۲۲۷
فصل (شرائط الصلاه) ----- ۱۲۲۸
فصل (طریق تحصیل المعانی الباطنه) ----- ۱۲۳۰
فصل (اسرار الصلاه) ----- ۱۲۳۴
فصل (الوقت) ----- ۱۲۳۵
فصل (آداب الصلاه) ----- ۱۲۳۵
فصل (آداب المصلی) ----- ۱۲۳۷
فصل (الاستقبال) ----- ۱۲۳۸
فصل (القیام) ----- ۱۲۴۰
فصل (التکبیرات) ----- ۱۲۴۱
فصل (النیه) ----- ۱۲۴۲
فصل (تکبیره الإحرام) ----- ۱۲۴۲
فصل (دعاء الاستفتاح) ----- ۱۲۴۳
فصل (الاستعاذه) ----- ۱۲۴۵
فصل (الرکوع) ----- ۱۲۴۸
فصل (السجود) ----- ۱۲۴۹
فصل (التشهد) ----- ۱۲۵۱
فصل (التسلیم) ----- ۱۲۵۲

فصل (إفاضه الأنوار على المصلى على قدر صفائه) ۱۲۵۳

فصل (ما ینبغی فی إمام الجماعه) ۱۲۵۵

فصل (ما ینبغی فی صلاه الجمعه و العیدین) ۱۲۵۶

فصل (ما ینبغی للمؤمن عقد ظهور الآیات) ۱۲۵۷

اشاره ۱۲۵۷

المقصد الثالث الذکر-فضیله الاذکار-الدعاء ۱۲۵۸

اشاره ۱۲۵۸

فصل (الذکر) ۱۲۵۸

اشاره ۱۲۵۸

تتمیم (فضیله الاذکار) ۱۲۶۰

فصل (الدعاء) ۱۲۶۱

المقصد الرابع (تلاوه القرآن) ۱۲۶۳

المقصد الخامس (الصوم) ۱۲۷۵

اشاره ۱۲۷۵

فصل (ما ینبغی للصائم) ۱۲۷۵

فصل (ما ینبغی للصائم عند الإفطار) ۱۲۷۶

فصل (درجات الصوم) ۱۲۷۷

اشاره ۱۲۷۷

تتمیم ۱۲۷۸

المقصد السادس (الحج) ۱۲۷۹

اشاره ۱۲۷۹

فصل (الغرض من ایجاد الإنسان) ۱۲۷۹

فصل (ما ینبغی فی الحاج) ۱۲۸۲

فصل (المیقات) ۱۲۸۶

فصل (ما ینبغی فی المیقات) ۱۲۸۶

فصل (ما ینبغی عند دخول مکه) ۱۲۸۷

فصل (ما ينبغى عند الطواف) ۱۲۸۸
فصل (ما ينبغى عند استلام الحجر) ۱۲۸۸
فصل (السعى) ۱۲۸۹
فصل (ما ينبغى عند الوقوف بعرفات) ۱۲۹۰
فصل (المشعر) ۱۲۹۱
فصل (ما ينبغى عند الرمى و الذبح) ۱۲۹۱
تتميم (أسرار الحج) ۱۲۹۲
خاتمه (زياره المشاهد) ۱۲۹۴
اشاره ۱۲۹۴
فصل (ما ينبغى للزائر عند دخول المدينه المنوره) ۱۲۹۷
فصل (ما ينبغى للزائر عند دخول النجف و كربلاء) ۱۲۹۹
تعريف مركز ۱۳۰۷

جامع السعادات

اشاره

سرشناسه : نراقی، مهدی بن ابی ذر، ق ۱۲۰۹ - ۱۱۲۸

عنوان و نام پدیدآور : جامع السعادات/ محمدمهدی النراقی؛ قدم محمدرضا المظفر؛ علق علیه محمدکلانتر

مشخصات نشر : بیروت.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۶۰۳۰

ص :۱

المجلد ۱

[مقدمه محمد رضا المظفر]

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

حياه المؤلف ١١٢٨-١٢٠٩

اشاره

هو الشيخ الجليل المولى(محمد مهدى بن أبى ذر النراقى)أحد أعلام المجتهدين فى القرنين الثانى عشر و الثالث عشر من الهجره،و من أصحاب التأليفات القيمه.و يكاد أن يعد فى الدرجه الثانيه أو الثالثه من مشاهير علماء القرنين.

و هو عصامى لا يعرف عن والده(أبى ذر)إلا أنه كان موظفا فى الدوله الإيرانيه بوظيفه صغيره فى قريه(نراق)،و لولا ابنه هذا لذهب ذكره فى طيات التاريخ كملايين البشر من أمثاله،و لا يعلم ما إذا كان لشيخنا النراقى أخوه،و لكن له ولد نابه الذكر،هو المولى أحمد النراقى المتوفى ١٢۴۴،صاحب(مستند الشيعه)المشهور فى الفقه،و صاحب التأليفات الثمينه،أحد أقطاب العلماء فى القرن الثالث عشر.و كفاه فخرا أنه أحد أساتذه الشيخ العظيم المولى مرتضى الأنصارى المتوفى ١٢٨١.

و لعل النراقى الصغير هذا هو من أهم أسباب شهره والده و ذيوع صيته،لما وطئ عقبه و ناف عليه بدقه النظر و جوده التأليف.كما حذا حذوه فى تأليفاته.فان الأب المكرم ألف فى الفقه(معتمد الشيعه).

ص :٣

و الابن الجليل ألف مستندها.و ذاك ألف فی الأخلاق(جامع السعادات) -هذا الکتاب الذی نقدمه-و هذا ألف(معراج السعاده)فی الفارسیه.

و ذاک ألف(مشکلات العلوم)و هذا ألف(الخزائن)...و هکذا نسج علی منواله و أحکم النسج.

مولده و وفاته

ولد الشیخ المترجم له-رحمه اللّه تعالی-فی(نراق)کعراق (۱)، و هی قریه من قری کاشان بإیران،تبعد عنها عشره فراسخ.و کذا کانت مسقط رأس ولده المتقدم الذکر.و لم یذکر التأریخ سنه ولادته،و علی التقریب یمکن استخراجها من بعض المقارنات التأریخیه،فإنه تلمذ-فی أول نشأته علی ما یظهر-علی الشیخ المحقق الحکیم المولی إسماعیل الخاجوئی ثلاثین سنه،مع العلم أن أستاذه هذا توفی عام ۱۱۷۳،فتکون أول تلمذته علیه عام ۱۱۴۳ علی أقل تقدیر،إذا فرضنا أنه لازمه إلی حین وفاته.

و لنفرض علی أقرب تقدیر أنه قد حضر علیه و هو فی سن ۱۵ عاما، و علیه فتکون ولادته عام ۱۱۲۸،أو قبل ذلک.

أما وفاته فقد کانت عام ۱۲۰۹ فی النجف الأشرف،و دفن فیها، فیکون قد بقی بعد وفاه أستاذه الوحید البهبهانی سنه واحده،و یکون عمره ۸۱ عاما علی الأقل.

و فی(ریاض الجنه)المخطوط،تألیف السید حسن الزنوزی المعاصر للمترجم له-حسب نقل الأستاذ حسن النراقی-:أن عمره کان ۶۳ سنه، فتکون ولادته سنه ۱۱۴۶ ه.و هذا لا یتفق أبدا مع ما هو معروف فی

ص: ۴۰

۱- ۱) و فی أعیان الشیعه-ج ۱۰ ص ۲۵۰-:انها بفتح النون.

تأريخه:أنه تلمذ على المولى إسماعيل الخاجوئى ثلاثين سنه،لأنه يكون عمره على حسب هذا التأريخ حين وفاه أستاذه ٢٧ سنه فقط.

نشأته العلميه و أساتذته

عاش شيخنا كما يعيش عشرات الآلاف من أمثاله من طلاب العلم:

خامل الذكر،فقير الحال منزويا فى مدرسته،لا يعرف من حاله إلا أنه طالب مهاجر،و لا يتصل به إلا أقرانه فى دروسه،الذين لا يهمهم من شأنه إلا أنه طالب كسائر الطلاب،يتردد فى حياه رتيبه بين غرفته و مجالس دروسه،ثم بعد ذلك لا ينكشف لهم من حاله إلا بزته الرثه التى ألفوا منظرها فى آلاف طلاب العلم،فلا تثير اهتمامهم و لا اهتمام الناس.

و بطبيعه الحال لا يسجل له التأريخ شيئا فى هذه النشأه،و كذلك كل طالب علم لا يسجل حتى اسمه ما لم يبلغ درجه يرجع إليه الطلاب فى التدريس،أو الناس فى تقليد،أو تكون له مؤلفات تشتهر.و من هنا تبتدئ معرفه حياه الرجل العالم،و تظهر آثاره و يلمع اسمه.

و مع ذلك،فإنا نعرف عن شيخنا:أن أسبق أساتذته و أكثرهم حضورا عنده هو المولى إسماعيل الخاجوئى المتقدم الذكر.و هذا الأستاذ كان مقره فى أصفهان،و فيها توفى و دفن،و الظاهر أنه لم ينتقل عنها حتى فى الكارثه التأريخيه المفجعه التى أصابتها من الأفغانيين الذين انتهكوها بما لم يحدّث التأريخ عن مثلها،و ذلك سنه ١١٣۴.فتكون نشأه شيخنا المترجم له العلميه فى مبدأ تحصيله فى أصفهان على هذا الشيخ الجليل.و الظاهر أنه عليه قرأ الفلسفه،لأن هذا الشيخ من أساتذه الفلسفه المعروفين الذين تنتهى تلمذتهم فى ذلك العصر إلى المولى صدر الدين الشيرازى صاحب الأسفار.

و كفى أن من تلاميذه المولى محراب،الإلهى المعروف،الذى طورد لقوله

بوحده الوجود،و لما جاء إلی إحدی العتبات المقدسه متخفیا.وجد فی الحرم شیخا ناسکا یسبح بلعن ملا صدرا و ملا محراب،و لما سأله عن السبب فی لعنهما قال:لأنهما یقولان(بوحده واجب الوجود)،فقال له ساخرا:

إنهما حقا یستحقان منک اللعن! و درس أیضا شیخنا المترجم له-و الظاهر أن ذلک فی أصفهان أیضا- علی العالمین الکبیرین:الشیخ محمد بن الحکیم العالم الحاج محمد زمان، و الشیخ محمد مهدی الهرندی.و هما من أساتذه الفلسفه علی ما یظهر.

و لا شک أنه انتقل إلی کربلاء و النجف،فدرس علی الأعلام و الثلاثه:

الوحید البهبهانی الآتی ذکره-و هو آخر أساتذته و أعظمهم،و تخریجه کان علی یدیه-و الفقیه العالم صاحب الحدائق الشیخ یوسف البحرانی المتوفی ۱۱۸۶،و المحقق الجلیل الشیخ مهدی الفتونی المتوفی ۱۱۸۳.

فجمله أساتذته سبعه،سماهم ولده فی بعض إجازاته علی ما نقل عنه ب(الکواکب السبعه).و هم خیره علماء ذلک العصر،و علی رأسهم الآفاه الوحید أستاذ الأساتذه.

و لما فرغ هذا الشیخ من التحصیل فی کربلاء رجع إلی بلاده و استقام فی کاشان.و هناک أسس له مرکزا علمیا تشد إلیه الرحال،بعد أن کانت کاشان مقفره من العلم و العلماء،و استمرت بعده علی ذلک مرکزا من مراکز العلم فی إیران،و لیس لدینا ما یشیر إلی تأریخ انتقاله إلی کاشان.

و رجع إلی العراق،و توفی فی النجف الأشرف و دفن فیها.و الظاهر أن مجیئه هذا کان-و کان معه ولده-بعد أستاذه الوحید،جاء لزیاره المشاهد المقدسه فتوفی،أما ولده فقد بقی بعده لیدرس العلم علی أعلامه یومئذ،کبحر العلوم،و کاشف الغطاء.

عصره

یمضی القرن الثانی عشر للهجره علی العتبات المقدسه فی العراق،بل علی أکثر المدن الشیعیه فی إیران التی فیها مرکز الدراسه الدینیه العالیه -کإصفهان و شیراز و خراسان-و تطغی فیه ظاهرتان غریبتان علی السلوک الدینی:الأولی:النزعه الصوفیه التی جرّت إلی مغالاه فرقه الکشفیه.

و الثانیه:النزعه الأخباریه.

و هذه الأخیره خاصه ظهرت فی ذلک القرن قویه مسیطره علی التفکیر الدراسی،و تدعو إلی نفسها بصراحه لا هواده فیها،حتی أن الطالب الدینی فی مدینه کربلا خاصه أصبح یجاهر بتطرفه و یغالی،فلا یحمل مؤلفات العلماء الأصولیین إلا بمندیل،خشیه أن تنجس یده من ملامسه حتی جلدها الجاف،و کربلا یومئذ أکبر مرکز علمی للبلاد الشیعیه.

و فی الحقیقه أن هذا القرن یمر و الروح العلمیه فاتره إلی حد بعید،حتی أنه بعد الشیخ المجلسی صاحب البحار المتوفی فی أول هذا القرن عام ۱۱۱۰، لم تجد واحدا من الفقهاء الأصولیین من یلمع اسمه و یستحق أن یجعل فی الطبقه الأولی،أو تکون له الرئاسه العامه،إلا من ظهر فی أواخر القرن کالشیخ الفتونی الجلیل فی النجف المتوفی ۱۱۸۳،ثم الشیخ آقا الوحید البهبهانی فی کربلا المتوفی ۱۲۰۸،الذی تم علی یدیه تحول العلم إلی ناحیه جدیده من التحقیق.

و هذا الفتور العلمی،و طغیان نزعه التصوف من جهه،و نزعه الأخباریه من جهه أخری فی هذا القرن بالخصوص،مما یدعو إلی التفکیر و العجب،و لیس بأیدینا من المصادر ما یکفی للجزم بأسباب ذلک.و أغلب الظن أن أهم الأسباب التی نستطیع الوثوق بها هو الوضع السیاسی و الاجتماعی

ص: ۷

اللذان آلت إليهما البلاد الإسلاميه فى ذلك القرن،من نحو التفكك و اختلال الأمن فى جميع أطراف البلاد،و الحروب الطاحنه بين الأمراء و الدول، لا سيما بين الحكومتين الإيرانيه و العثمانيه،و بين الإيرانيه و الأفغانيه،تلك الحروب التى اصطبغت على الأكثر بصبغه مذهبيه.و هذا كله مما يسبب البلبله فى الأفكار و الاتجاهات،و ضعف الروح العامه المعنويه.

فأوجب ذلك من جهه ضعف ارتباط رجال الدين بالحياه الواقعيه، و السلطان الزمنيه.و يدعو ذلك عاده إلى الزهد المغالى فى جميع شئون الحياه،و اليأس من الإصلاح.فتنشأ هنا نزعه التصوف،و تتخذ يومئذ صرحا علميا على انقاض الفلسفه الإشراقيه الإسلاميه المطارده المكبوته، التى سبق أن دعا لها أنصار أقوياء،كالمولى صدر الدين الشيرازى المتوفى عام ١٠٥٠،و أضرابه و أتباعه،مع المغالاه فى أفكارها.و ساند طريقه التصوف مبدئيا أن السلطه الزمنيه فى إيران-و هى(سلطه الصفويين)- قامت على أساس الدعوه إلى التصوف.و ظلت تؤيدها و تمدها سرا.

و من جهه أخرى يحدث رد فعل لهذا الغلو،فينكر على الناس أن يركنوا إلى العقل و تفكيره،و يلتجأ إلى تفسير التعبد بما جاء به الشارع المقدس بمعنى الاقتصار على الأخبار الوارده فى الكتب الموثوق بها فى كل شىء و الجمود على ظواهرها.ثم يدعو الغلو بهؤلاء إلى ادعاء أن كل تلك الأخبار مقطوعه الصدور على ما فيها من اختلاف.ثم يشتد بهم الغلو.

فيقولون بعدم جواز الأخذ بظواهر القرآن وحده،من دون الرجوع إلى الأخبار الوارده.ثم ضربوا بعد ذلك علم الأصول عرض الجدار،بادعاء أن مبانيه كلها عقليه لا تستند إلى الأخبار،و العقل أبدا لا يجوز الركون اليه فى كل شىء،ثم ينكرون الاجتهاد و جواز التقليد.و هكذا تنشأ فكره الأخباريه الحديثه التى أول من دعا إليها أو غالى فى الدعوه إليها المولى

أمین الـدین الأسترابـادی المتوفی ۱۰۳۳.ثـم یظهر آخر شـخص لهـذه النزعـه له مکـانته العلمیه المحترمه فی الفقه هـو صـاحب الحدائق المتقدم ذکره.و هذا الثانی-و إن کان أکثر اعتدالا من الأول و أضـرابه-کاد أن یتم علی یدیه تحول الاتجاه الفکری بین طلاب العلم فی کربلا إلی اعتناق فکره الأخباریه هذه.

و عنـد مـا وصـلت هـذه الفکره الأخبـاریه إلی أوجهـا،ظهر فی کربلاـء علم الأعلام الشیخ الوحیـد الآقا البهبهانی،الـذی قیل عنه بحق:مجـدد المذهب علی رأس المائه الثالثه عشـره.فإن هذا العالم الجلیل کان لبقا مفوها و مجاهدا خبیرا،فقد شن علی الأخباریه هجومـا عنیفـا بمؤلفـاته،و بمحاججـاته الشـفویه الحـاده مع علمائها-و قـد نقل فی بعض فوائـده الحائریه و رسائله نماذج منها- و بدروسه القیمه التی یلقیها علی تلامذته الکثیرین الذین التفوا حوله،و علی یدیه کان ابتداء تطور علم الأصول الحدیث،و خروجه عن جموده الذی ألفه عده قرون،و اتجه التفکیر العلمی إلی ناحیه جدیده غیر مألوفه.

فانکمشت فی عصـره النزعه الأخباریه علی نفسها،و لم تستطع أن تثبت أمام قوه حجته.و تخرّج علی یدیه جماعه کبیره من أعلام الأمه، کبحر العلوم،و کاشف الغطاء،و المحقق القمی،و الشیخ النراقی-المترجم له- و أشباههم.

فیبرز شـیخنا المترجم له فی عنفوان المعرکه الأخبـاریه و الأـصولیه، و ساحتها کربلا،و فی عنفوان معرکه الـدعوه إلی التصوف،و ساحتها أصـفهان علی الأکثر،فیکون أحـد أبطال هاتین المعرکتین،بل أحـد القواد الـذین رفعوا رایه الجهاد بمؤلفاته و تدریسه،و ساعده علی ذلک أنه-رحمه اللّه- کان متفننا فی دراسه العلوم،و لم یقتصر علی الفقه و الأصول و مقدماتهما، فقد شارک العلوم الریاضیه،کالهندسه و الحساب و الهیئه،و له مؤلفات فیها

سيأتی ذكرها.كما درس الفلسفه،و يظهر أثر تضلعه فی الفلسفه فی كتابه هذا(جامع السعادات)،لا سيما فی الباب الأول،و فی تقسيمه لأبواب الكتاب و فصوله على أساس علمی متقن برّز فيه على كتاب الأخلاق السابقه عليه من هذه الناحيه.و سيأتی بيان ذلك.

كما أن تأليف لهذا الكتاب بشعرنا بأمرين:

(الأول)طغيان التصوف من جهه،و طغيان التفكك الأخلاقی عند العامه من جهه أخرى،و أنهما هما اللذان ألجآه إلى أن يرشد الناس إلى الاعتدال فی السلوك الأخلاقی المستقی من منابعه الشرعيه،فإنه فی الوقت الذی يبنی كتابه على مبادئ الفلسفه الإشراقيه،حارب فيه من طرف خفی نزعه التصوف،و جعل آراءه و دعوته إلى الأخلاق على أساس الذوق الإسلامی الذی يتمثل فی الأحاديث النبويه و ما جاء عن آل البيت-عليهم السلام- فهو فی وقت واحد هادم و بان،و بهذا يختلف كتابه عن مثل(إحياء العلوم) الذی يعتمد بالدرجه الأولى على الروح الصوفيه،و هی غايته المثلى.

و(الثانی)من الأمرين حسن اختيار صاحب الترجمه،فإنه لم يسبقه أحد من علماء الإماميه-بعد خريت هذه الصناعه ابن مسكويه المتوفى ۴۲۱، و الشيخ المولى محسن الفيض المتوفى ۱۰۹۱-الى تأليف كتاب كامل فی الأخلاق مبنی على أساس علمی فلسفی موجود بين أيدينا.

شخصيه المترجم له و أخلاقه

إن أعاظم الناس و نوابغهم لا تأتيهم العظمه و النبوغ عفوا و مصادفه، من دون قوه كامنه فی شخصيتهم أو ملكه راسخه فی نفوسهم،هی سر عظمتهم و تفوقهم على سائر الناس.و ما كلمه الحظ فی هذا الباب إلا تعبير مبهم عن تلك القوه التی أودعها اللّه تعالى فی شخص النابغه.و قد تكون

تلك القوه مجهوله حتى لشخص صاحبها الذى يتحلى بها،بل على الأكثر هى كذلك،فيندفع العبقرى إلى تلك القمه التى خلقت له أو خلق لها بدافع تلك القوه الكامنه اندفاعا لا شعوريا،و إن أعماله الجزئيه التى يقوم بها هى شعريه بمحض اختياره.

و تلاحظ قوه شخصيه شيخنا المترجم له فى صبره و قوه إرادته و تفانيه فى طلب العلم،ثم عزه نفسه،و إن كانت هذه الفاظا عامه قد يعبر بها عن كثير من الناس،و يصح التعبير بها بلا كذب و لا خداع،إلا أن للدرجه الخاصه من الصبر و الإراده و الحب و العزه و نحوها التى بها يمتاز الشخص النابغ تضيق اللغه عن التعبير عنها بخصوصها إلا بهذه الألفاظ العامه الدارجه و تظهر الدرجه الخاصه التى يختص بها صاحبنا من هذه الأمور فى ثلاث حوادث منقوله عنه:

(الأولى)-فيما ينقل أنه كان فى أيام التحصيل فى غايه الفقر و الفاقه -و الفقر دائما شيمه العلماء،بل هو من أول شروط النبوغ فى العلم، و هو الذى يصقل النفس فيظهر جوهرا الحقيقى-فكان صاحبنا قد تشتد به الفاقه فيعجز عن تدبير ثمن السراج الذى لا يتجاوز فى عصره عن أن يكون من زيت أو شمع،فيدعوه حرصه على العلم إلى الدخول فى بيوت فى مراحيض المدرسه،ليطالع على سراجها،و لكنه تأبى عزته أن يدع غيره يشعر بما هو فيه،فيوهم الداخلين-بالتنحنح-أنه جالس للحاجه الخاصه.و تتجلى فى هذه الحادثه الصغيره عزه نفسه و قوه إرادته و صبره على طلب العلم بدرجه غير اعتياديه إلا للنوابغ الأفذاذ.

(الحادثه الثانيه)-أن أحد الكسبه الذى كان حانوته فى طريق المدرسه بكاشان التى كان يسكنها هذا الطالب النراقى،أن هذا الكاسب المؤمن لاحظ على هذا الطالب انه رث الثياب.و كان معجبا به،إذ كان

يشترى منه بعض الحاجيات كسائر الطلاب،فرأى أن يكسبه تقربا إلى اللّه فهيأ له ملبوسا يليق بشأنه،و قدمه له عند ما اجتاز عليه،فقبله بإلحاح.

و لكن هذا الطالب الأبى فى اليوم الثانى رجع إلى رفيقه الكاسب و ارجع له هذا الملبوس قائلا:إنى لما لبسته لاحظت على نفسى ضعه لا أطيقها، لا سيما حينما اجتاز عليك،فلم أحد نفسى تتحمل هذا الشعور المؤلم،و ألقاه عليه و مضى معتزا بكرامته.

(الحادثه الثالثه)-فيما ينقل عنه أيضا-و هى أهم من الأولى و الثانيه-أنه كان لا يفض الكتب الوارده إليه،بل يطرحها تحت فراشه مختومه،لئلا يقرأ فيها ما يشغل باله عن طلب العلم.و الصبر على هذا الأمر يتطلب قوه إراده عظيمه ليست اعتياديه لسائر البشر.و يتفق أن يقتل والده(أبو ذر)المقيم فى نراق وطنه الأصلى،و هو يومئذ فى أصفهان، يحضر على أستاذه الجليل المولى إسماعيل الخاجوئى،فكتبوا إليه من هناك بالنبإ ليحضر إلى نراق،لتصفيه التركه و قسمه المواريث و شئون أخرى، و لكنه على عادته لم يفض هذا الكتاب،و لم يعلم بكل ما جرى.و لما طالت المده على من فى نراق،كتبوا له مره أخرى،و لكن لم يجبهم أيضا.و لما يئسوا منه كتبوا بالواقعه إلى أستاذه المذكور ليخبره بالنبإ و يحمله على المجيء.و الأستاذ فى دوره-على عاده الناس-خشى أن يفاجئه بالنبإ،و عند ما حضر مجلس درسه أظهر له-تمهيدا لإخباره-الحزن و الكآبه،ثم ذكر له:أن والده مجروح،و رجح له الذهاب إلى بلاده و لكن هذا الولد الصلب القوى الشكيمه لم تلن قناته،و لم يزد أن دعا بالعافيه،طالبا من أستاذه أن يعفيه من الذهاب.و عندئذ اضطر الأستاذ إلى أن يصرح له بالواقع،و لكن الولد أيضا لم يعبأ بالأمر،و أصر على البقاء لتحصيل العلم.إلا أن الأستاذ هذه المره لم يجد بدا من أن يفرض

عليه السفر،فسافر امتثالا لأمره المطاع،و لم يمكث فى نراق أكثر من ثلاثه أيام،على بعد الشقه و زياده المشقه،ثم رجع إلى دار هجرته.و هذه الحادثه لها مغزاها العميق فى فهم نفسيه هذا العالم الإلهى،و تدل على استهانته بالمال و جميع شئون الحياه فى سبيل طلب العلم.

مؤلفاته

اشاره

لشيخنا المترجم له عده مؤلفات نافعه،تدلّ على قابليه فى التأليف و صبر على البحث و التتبع،و على علم غزير.و نحن نعدّ منها ما وصل بحثنا إليه،و أكثر اعتمادنا فى تعدادها و بعض أوصافها على كتاب(رياض الجنه)المذكور فى مصادر هذه الطبعه:

(فى الفقه):

۱-(لوامع الأحكام فى فقه شريعه الإسلام):و هو كتاب استدلالى مبسوط،و قد خرج منه كتاب الطهاره فى مجلدين يقرب من (۳۰)ألف بيت.

۲-(معتمد الشيعه فى أحكام الشريعه):هو أتم استدلالا و اخصر تعبيرا من كتاب اللوامع السالف الذكر،خرج منه كتاب الطهاره و نبذ من الصلاه و الحج و التجاره و القضاء.قال فى الروضات عن الكتابين:

«ينقل عنهما ولده المحقق فى المستند و العوائد كثيرا».

۳-(التحفه الرضويه فى المسائل الدينيه):فى الطهاره و الصلاه، فارسى،يقرب من(۱۰)آلاف بيت.

۴-(أنيس التجار):فى المعاملات،فارسى،يقرب من(۸) آلاف بيت.

۵-(أنيس الحجاج):فى مسائل الحج و الزيارات،فارسى،يقرب

من(۴)آلاف بیت.

۶-(المناسک المکیه):فی مسائل الحج أیضا،یقرب من ألف بیت.

۷-(رساله صلاه الجمعه):ذکرها و ما قبلها حفیده(الأستاذ حسن النراقی)فی رسالته لنا.

(فی أصول الفقه):

۸-(تجرید الأصول):مشتمل علی جمیع مسائل الأصول مع اختصاره،یقرب من(۳)آلاف بیت.قال عنه فی الروضات:«شرحه ولده فی مجلدات غفیره جمه»، ۹-(أنس المجتهدین):توجد منه نسخه مخطوطه فی مکتبه الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام العامه بالنجف الأشرف(برقم ۴۰۸-سجل المخطوطات)،تقع فی ۴۱۱ صفحه،بخط محمد حسین بن علی نقی البزاز فرغ منها بتأریخ ۳ صفر من سنه ۱۱۸۱.و فی تقدیر ریاض الجنه یقرب من(۱۰)آلاف بیت.

۱۰-(جامعه الأصول):یقرب من(۵)آلاف بیت.

۱۱-(رساله فی الإجماع):یقرب من(۳)آلاف بیت.

(فی الحکمه و الکلام):

۱۲-(جامع الأفکار):فی الإلهیات،یقرب من(۳۰)الف بیت قد فرغ من تألیفه سنه ۱۱۹۳،و علیه فلیس هو من أوائل مؤلفاته،کما قال عنه صاحب(ریاض الجنه)،و ستجد راموزا للصفحتین الأولی و الأخیره منه بخط المؤلف،منقولتین عن النسخه التی هی بحرزه أحد أحفاده (الأستاذ حسن النراقی).و الذی یجلب الانتباه فی الصفحه الأخیره ما ذکره من الحوادث المروعه فی الوباء و غبره التی وقعت فی تلک الفتره.

۱۳-(قره العیون):فی أحکام و الوجود و الماهیه،یقرب من

(۵)آلاف بیت، ۱۴-(اللمعات العرشیه):فی حکمه الإشراق،یقرب من(۲۵) الف بیت.

۱۵-(اللمعه):و هو مختصر اللمعات،یقرب من الفی بیت.

۱۶-(الکلمات الوجیزه):و هو مختصر اللمعه،یقرب من ثمانمائه بیت.

۱۷-(أنیس الحکماء):فی المعقول،و هو من أواخر تألیفاته، لم یتم.احتوی علی نبذ من الأمور العامه و الطبیعیات،یقرب من(۴) آلاف بیت.

۱۸-(أنیس الموحدین):فی أصول الدین،فارسی،یقرب من (۴)آلاف بیت.

۱۹-(شرح الشفا):فی الإلهیات،النسخه الأصلیه بخط المؤلف موجوده عند أحد أحفاده(الأستاذ حسن النراقی).

۲۰-(الشهاب الثاقب):فی الإمامه،فی رد رساله الفاضل البخاری،یقرب من(۵)آلاف بیت.

(فی الریاضیات):

۲۱-(المستقصی):فی علوم الهیئه،خرج منه مجلدان إلی مبحث اسناد الحرکات.یقرب من(۴۰)ألف بیت،قال عنه فی ریاض الجنه:

«لم یعمل أبسط و أدق منه فی علم الهیئه،و لقد طبق فیه أکثر البراهین الهندسیه بالدلائل العقلیه،لم یتم».

۲۲-(المحصل):کتاب مختصر فی علم الهیئه،یقرب من(۵) آلاف بیت.

۲۳-(توضیح الإشکال):فی شرح تحریر أقلیدس الصوری

ص :۱۵

فی الهندسه،و قد شرحه إلی المقاله السابعه،فارسی،یقرب من(۱۶) ألف بیت.

۲۴-(شرح تحریر اکرثاذوسنیوس):یقرب من(۳)آلاف بیت.

۲۵-(رساله فی علم عقود الأناقل):فارسیه،تقرب من ألف بیت.

۲۶-(رساله فی الحساب):ذکرها فی روضات الجنات.

(فی الأخلاق و المواعظ):

۲۷-(جامع السعادات):هذا المطبوع بثلاثه أجزاء-حسب تقسیمنا له-قال عنه فی ریاض الجنه:«یقرب من(۲۵)ألف بیت».

و قد طبع فی إیران علی الحجر سنه ۱۳۱۲ بجزءین،و سیأتی وصفه،و قد تقدم شیء من وصفه.و هذه الطبعه الثلاثه له علی الحروف بالنجف الأشرف ۲۸-(جامع المواعظ):فی الوعظ،یقرب من(۴۰)الف بیت لم یتم.

(فی المتفرقات):

۲۹-(محرق القلوب):فی مصائب آل البیت،فارسی،یقرب من(۱۸)ألف بیت،قال عنه فی روضات الجنات:«طریف الأسلوب» ۳۰-(مشکلات العلوم):فی المسائل المشکله من علوم شتی، مطبوع علی الحجر بإیران،یشبه بعض الشیء کشکول البهائی.و قد نسج علی منواله ولده المحقق فی کتابه(الخزائن)المطبوع علی الحجر بإیران.

۳۱-(رساله نخبه البیان):ذکرها حفیده(الأستاذ حسن النراقی) ۳۲-(معراج السماء):ذکره أیضا حفیده المذکور.

ص:۱۶

اشاره

لا شک أن القدره على التأليف موهبه من اللّه تعالى فوق موهبه العلم و الفهم،و ليس كل من كان عالما استطاع التأليف.

و التأليف فى حد ذاته من أبرز الخدمات التى يؤديها العالم للناس فى حياته،و من أعظم الحظوظ للإنسانيه،و بسببه استطاعت أن تتقدم على مرور الأجيال.و مع ذلک ليس كل تأليف يعد خدمه للناس و حظا للإنسانيه.

و إذا أردنا أن نضع المؤلفات فى رفوف حسب قيمتها،فانما فى فترات منقطعه تظهر مؤلفات من النوابغ يصح أن نضعها فى الرف الأعلى و يصدق عليها بحق أنها مما ينفع الناس،فتمكث فى الأرض،و تفرض نفسها للخلود و البقاء إذا سلمت من عوادى الدهر الغاشمه.و من سوء الحظ أن الفراغ لا يزال كثيرا فى هذا الرف الأعلى.

و من بين الفترات لا بد أن تبرز فى كل علم من المؤلفات هى من حقها أن توضع فى الرف الثانى أو ما دونه.و حظها أن تنسج على منوال غيرها لتحييها و تهيء انتهاء الفتره لظهور الأثر الخالد مما يوضع فى الرف الأعلى.

و هذه غير الغثاء الذى يذهب جفاء،و من حقه أن يلقى فى سله المهملات و ما أكثر هذا النوع الرخيص،لا سيما فى عصرنا الحاضر الذى سهلت له الطباعه الاسفاف.

و يجب ألا نغالى فى مؤلفات شيخنا النراقى فنضعها فى الرف الأعلى، و لكن(جامع السعادات)الذى نقدمه،هو بالخصوص من الآثار الخالده، و إن لم يكن موضعه هذا الرف الأعلى كسائر الكتب الأخلاقيه فى الدوره الإسلاميه.و لا ندرى السر فى ذلک،لأن الفتره بعد لم تنته لعلم الأخلاق بخصوصه كيما يظهر الأثر الخالد المنتظر الذى سيكون فى الرف الأعلى،

ص:١٧

أم لأن هذا العلم ليس له تلك الفترات،بل كله فى فتره مستديمه ليأس العلماء الأخلاقيين من التأثير على الناس بمجرد التأليف؟! و هذا الثانى هو الأقرب إلى الواقع.و الحق مع الأخلاقيين فى يأسهم فإن الأخلاق لا تكتسب بالعلم و قراءه الكتب،و إنما هى صفات و ملكات لا تحصل للإنسان إلا بالتمرينات القاسيه و التربيه الطويله،لا سيما فى أيام الطفوله و فى السن المبكره قبل أن يفرض فى الإنسان أن يكون أهلا للقراءه،و لو كانت قراءه الكتب وحدها كافيه لخلق الفضيله فى النفس أو تنميتها لكانت كتب الأخلاق من أثمن ما خلق اللّه و لأغنى البشريه كتاب واحد يفى بذكر الأخلاق الفاضله،بل لاكتفينا بالقرآن الكريم وحده،أو ينهج البلاغه بعده الذى تريد خطبه و مواعظه أن تصهر الناس فى بوتقتها الملتهبه لتخرجهم إبريزا صافيا كصاحبها،و لكن البشريه الظالمه لنفسها بدل أن تنصهر بهذا اللهب تخبو جذوتها و تزيد جمودا على مساوئها.

و ليس هذا الرأى عن الكتب الأخلاقيه فيه شىء من المغالاه على ما اعتقد،إلا أنى مع ذلك لا أظلم بعض زمره صالحه من أهل الفتوه و أرباب القلوب الحيه،إذ نجدهم يتأثرون بالكلمه الأخلاقيه الموجهه إليهم ممن يعول على قوله،و يتتبعون بإخلاص مجهودات المؤلفين فى الأخلاق، ليترسموا خطاهم فيهذبوا أنفسهم.

و من هنا نجد السبيل إلى انصاف الأخلاقيين و إعطاء مؤلفاتهم حقها من التقدير،لنعتقد أنهم لم يعملوا عملا باطلا لا نفع فيه،بل الحق أن له قيمته العظيمه،و كفى أن يتأثر بدعوتهم بعض فتيان كرام برره.و هذا التأثر على قلته له قيمه معنويه لا توازن بشىء فى الدنيا،بل سير الحياه و تقدمها يتوقف مبدئيا على هذا التأثر،و إن كان محدودا.و ما التقدم الاجتماعى الذى يحصل فى أمه فى بعض الفترات من الزمن إلا نتيجه من

نتائج هذا التأثر المحدود.

و مع ذلك،فإن تأثير الدعوه الأخلاقيه هذا التأثير المحدود لا يأتى من مجرد شحن الكتاب بالنظريات الأخلاقيه المجرده.بل لروحيه المؤلف أعظم الأثر فى اجتذاب قلوب الفتيان الكرام إلى الخير.و من هنا اشترطوا فى الواعظ أن يكون متعظا.

و على هذا الأساس ينبغى أن توضع كتب الأخلاق فى رفوفها،فليس للنظريات الفلسفيه و رصانه التأليف و تركيزه على المبادئ العلميه-فى نظر أرباب القلوب-تلك الأهميه الأخلاقيه التى تعلق عليها.و لا تقاس بالأثر الأخلاقى الذى يحصل من روحيه المؤلف و مقدار تأثره هو بأقواله، و ما كانت شهره(مجموعه ورام)،و ما كانت أهميتها إلا لأنها ناشئه من قلب صادق،ذلك قلب الأمير الزاهد الإلهى(الشيخ ورام ابن أبى فراس المالكى الأشترى)،و ليس فيها صفه علميه أو فنيه تقضى بهذا الاهتمام.

و من العجيب أن قلب الرجل الأخلاقى يبرز ظاهرا على قلمه فى مؤلفاته، فتلمسه فى ثنايا كلماته.و بالعكس ذلك الذى لا قلب له،فإنك لا تقرأ منه إلا كلاما جافا لا روح فيه،مهما بلغت قيمته فى حساب النظريات الفلسفيه.

و فى نظرى أن قيمه(جامع السعادات)فى الروح المؤمنه التى تقرأها فى ثناياه أكثر بكثير من قيمته العلميه.و إنى لأتحدى قارئ هذا الكتاب إذا كان مستعدا للخير أن يخرج منه غير متأثر بدعوته،و هذا هو السر فى إقبال الناس عليه و فى شهرته،على أنه لا يزيد من ناحيه علميه على بعض الكتب المتداوله التى لا نجد فيها هذا الذوق و الروحانيه.و الكتاب نفسه يكشف لنا عن نفسيه المؤلف،و ما كان عليه من خلق عال و إيمان صادق.

و إنى لأؤمن إيمانا لا يقبل الشك:أن انتشار هذا الكتاب بين الناس

فی هذا العصر سیکون له أثره المحسوس فی توجیه أمتنا نحو الخیر،بعد أن نفدت طبعته الأولی و عزت نسخته،و لا سیما أن خطباء المنابر-فیما اعتقد- ستکون لهم الحصه الوافره فی التأثر به و نقل تأثرهم إلی سواد الأمه الذین هم المعول علیهم فی نهضتنا الأخلاقیه المقبله.

و هذا ما دفعنی-و اللّه هو الشاهد علی-إلی السهر علی تصحیح الکتاب و تدقیقه،لیخرج بهذه الحلقه،و إن کانت ظروفی الخاصه کادت أن تحول دون التفرغ له،لو لا أنی توکلت علی اللّه و وطنت نفسی علی تجاهلها و إهمال کثیر مما یجب العنایه به،و الحمد للّه علی توفیقه.

النواحی الفنیه فی الکتاب

من أهم ما یؤاخذ به کتابنا هذا،اعتماده علی المراسیل فی الأحادیث، و تسجیل کل ما یری أمامه من المنقولات:غثها و سمینها،من دون إشاره إلی التمییز و لا إلی المصادر،حتی نقل کثیرا عن إحیاء العلوم.و تعمد النقل عن مثل جامع الأخبار و مصباح الشریعه،اللذین یشهد أسلوبهما علی وضع أکثر ما فیهما.و قد وجدنا صعوبه کبیره فی العثور علی جمله من مصادر هذه المنقولات لتصحیحها،و قد یستغرق البحث للعثور علی مصدر خبر واحد أیاما،کما قد یذهب البحث سدی.و ما کان یهمنا من الرجوع إلی المصادر إلا تصحیح المنقولات لا إثبات مصادرها،فلذلک لا نشیر فی الحاشیه إلی المصدر إلا إذا وجدنا اختلافا فی نصه فی النسخ،فنقول:

صححناه علی کذا مصدر.و بهذه المناسبه لا بد من الاعتراف بالجمیل، فنذکر الأستاذ الفاضل السید عبد الرزاق المقرم بالشکر لما أعاننا علیه من الفحص عن بعض الروایات.

و الذی یهون الخطب فی هذه المؤاخذه-علی أن لها قیمتها الفنیه-

أنها لا تختص بهذا الكتاب وحده من بين كتب الأخلاق الإسلاميه،بل هذا ديدنها،و كأن همّ أصحابها من الاستشهاد بالمنقولات نفس أداء الفكره فإذا كانت بحسب نظرهم صحيحه مقبوله فى نفسها فلا يجب عندهم أن يكون الحديث الذى يتضمنها صحيحا مقبولا-فى عرف أهل الحديث،فإذا قال المحدث:«قال النبى و الإمام كذا»،يعنى بذلك أن هذا القول ثابت بالنقل الصحيح الموثوق به،و إلا فيقول«روى عنه كذا» أو ما يشبه ذلك أما الأخلاق فلا يعنى بذلك القول إلا أنه مروى عنه بأى طريق كان.

و لعل لهذا التسامح عذرا مقبولا فى مذهبهم على ما قدمنا،لو لم تكن فيه إساءه إلى أمانه النقل فى أهم تراث إسلامى دينى،فى حين كان من الممكن تحشيها بقليل من التحقيق و البحث،على أن فى الثابت الصحيح عن آل البيت-عليهم السلام-ما فيه الكفايه للإمام بنواحى الأخلاق المطلوبه،و ما فى(الكافى)كاف وحده فى هذا الباب.و كنا نتمنى -أثناء التصحيح-على صاحب كتابنا هذا ألا يتبع هذه العاده عند الأخلاقيين،فيزيد على فائدته الأخلاقيه فائده أخرى فى تحقيق الأحاديث الصحيحه.

اما أسلوب الكتاب الأدبى،فهو يمثل إلى حد ما عصره الذى ضعفت فيه اللغه إلى حد كبير،بالرغم على أن الفلاسفه الإشراقيين اشتهروا فى تلك العصور بحسن البيان و قوه الأسلوب،لا-سيما فى العصر السابق على عصر المؤلف،كالسيد الداماد العظيم المتوفى ۱۰۴۱،و تلميذه النابغه الجليل المولى صدر المتقدم ذكره،حتى كان يسمى الأول:أمير البيان،و لعل الثانى أحق بهذا اللقب.غير أن صاحبنا لا-يحسب فى عداد الفلاسفه و إن ارتشف من منهلهم.على أنه كان يقتبس كثيرا نص عبارات غيره استراحه إليها.

و هذه سنه مستساغه عند المؤلفين الأخلاقيين،و كأن كتبهم يجدونها مشاعه

بين الجميع،أو لأن همهم أداء الفكره كما كان عذرهم فى مراسيل الأحاديث.

و بهـذه المناسـبه نقـول:إنـا وجـدنا أثنـاء تصـحيح الكتـاب كـثيرا مـن الألفـاظ و العبـارات ممـا لـم نجـد لـه مسوغـا مـن اللغه العربيه،ككلمه(القـادسه) و(الهلاـكه،ففضـلنا أن نبقيهـا على مـا وجـدناها،حرصـا على أمـانه النقـل، و أهملنـا التنـبيه عليهـا،و مثل كلمه(سيما)فضلنا أن نصححها و نضع كلمه (لا)بين قوسين إشاره إلى زيادتها منا.

و إذا كانت أمانه النقل هى العذر لنا فى ذلك،فهى التى تقضـى علينا أن نصـرح أن عناوين الكتاب على الأكثر هى من وضعنا لا من وضع المؤلف.

و أمـا أسـلوبه العلمى،فقـد بنـاه مؤلفه من أوله إلى آخره على نظريه الوسـط و الأـطراف فى الأخلاـق،تلك النظريه الموروثه من الفلسـفه اليونـانيه و قـد بحث عنهـا المؤلـف فى(الجزء الأـول ص ۵۹).و ليس من حقنـا أن نناقشـها،و لاـ يمتـاز بهـا هـذا الكتاب وحده،فإن شأنه فى الاعتماد على هذه النظريه الأساسيه شأن ساير كتب الأخلاق الإسلاميه العلميه.

و لكن الذى امتاز به كتابنا-بعد أن بحث مؤلفه بحثا فلسفيا متوسطا عن النفس و قواها،و الخير و السعاده،و الفضائل و الرذائل،فى البابين الأول و الثانى،كما صنع أسلافه-أن جعل أساس تقسيمه للكتاب على القوى الثلاث:العاقله و الشهويه و الغضبيه،و معللا ذلـك بأن«جميع الفضائل و الرذائل لا تخرج عن التعلق بالقوى الثلاث»(۱-۶۶).و ذكر لكل قوه ما يتعلق بها من أجناس الفضائل و الرذائـل منفرده و منضـمه إلى الأـخرى ثـم ذكر أنواعهـا،و استقصـى ذكر الأـنواع،مطبقـا على كـل نـوع نظريـه الوسط و الأـطراف،فجاء فى استقصائه و إلحـاقه كل فضـيله و رذيله بالقوه التى تتعلق بها،بما لم يجىء به غيره و لم بسـبقه إليه أحـد فيما نعلم،و هو نفسه ادعى

ذلک فقال:«ان احصاء الفضائل و الرذائل و ضبطهما،و إدخال البعض فی البعض،و الإشاره إلی القوه الموجبه لها علی ما فصلناه،مما لم یتعرض له علماء الأخلاق»(۱-۷۱).

و هذه أهم ناحیه فنیه فی الکتاب،و فتح جدید فی تحقیق منشأ حدوث خلق الفضیله و الرذیله،لو اتفق لغیره أن یترسم خطاه،و یتم ما فتحه من هذا الباب من التحقیق،لتقدم علی یدیه علم الأخلاق کبیرا.و علی أساس تحقیقه هذا أسقط فضیله العداله من حسابه،فلم یجعلها جنسا مقابلا لأجناس الفضائل الثلاث الأخری،و هی الحکمه و العفه و الشجاعه،باعتبار أن العداله جامعه لجمیع الکمالات بأسرها،لا أنها فی مقابلها،و قد فصل هذا الرأی فی الباب الثانی،و لا أظن أحدا یقره علیه،و لا یثبت أمام النقد.و لکن هذه المقدمه تضیق عن مثل هذه الأبحاث الدقیقه،کما تضیق عن مقارنه هذا التألیف بالمؤلفات الأخلاقیه الأخری.و قصدنا أن هذا التقسیم من المؤلف،و إرجاع الفضائل و الرذائل إلی أسبابها،و جعل مواضیع الأبحاث تلک القوی،و إحصاء أنواع الأخلاق بنوعیها و لوازمها،کل ذلک مستجد و هی طریقه علمیه امتاز بها الکتاب.

تصحیح الکتاب و مراجعه

وعدت الأخ الفاضل الألمعی السید محمد کلانتر،ناشر الکتاب و ملتزمه تصحیحا و تعلیقا-جزاه اللّه خیر ما یجزی العاملون-:علی الاشتراک معه و إعانته علی تدقیق و تحقیق هذا السفر الجلیل و تصحیحه أیضا عند الطبع،إذا توفق لتهیئه ما یلزم لطبعه،و ذلک قبل سنتین.و شاء التوفیق أن یحقق هذه الأمنیه،فلم أجد للتخلی عن الوفاء بالوعد سبیلا مهما کلفنی الأمر.

ص: ۲۳

و يعجبنى من هذا الرجل صبره و جلده على المشاق فى سبيل نشره، باعتباره أحد الكتب التى يجب إحياؤها فى هذا العصر،و هذا منه أحد شواهدى على تأثر الفتيان الكرام الأبرار بهذا السفر الأخلاقى.و قد شاهدت صبره لأول مره فى إيران فى صيف العام الماضى،لما اشترك هو و العلامه الأخ بالروح الشيخ محمد شيخ الشريعه،فى تصحيح قسم من الكتاب على النسخه المخطوطه الآتى ذكرها فى المراجع رقم ٢ إلى حد ص ١٧۶ من الجزء الأول من هذا المطبوع،فأودعا فى التعليقه آراءهما القيمه فى تحقيقه و تصحيحه.و لئن عدنا فى التصحيح من أوله لما استقبلت المطبعه النسخه للطبع،فإنا اعتمدنا كثيرا على تلك التحقيقات القيمه الماضيه.

و لا ننسى أن نذكر أن للنسخه المطبوعه فى إيران على الحجر،فيها من التحريف و التصحيف ما يذهب بالاطمئنان إليها،و يشوه المقصود و المعنى.و من الغريب أن نجد التحريف حتى فى الآيات القرآنيه و الأحاديث الشريفه.أما تذكير المؤنث و تأنيث المذكر،و تشويه الإملاء و التبويب، فهذه أمور حدّث عنها و لا حرج.و يكفى أن تقارن صفحه واحده منها بمطبوعنا،لتعرف أى مجهود بذل للتصحيح و الإخراج،و تجد العنايه على كل سطر منه،بل كل كلمه.

و من سوء الحظ،أن النسخه المخطوطه المرجع رقم(٢)لم تكن أكثر حظا فى الصحه من أختها المطبوعه.و هذا ما دعانا إلى أن نرجع إلى كتب أخرى تمتّ بالموضوع بصله لتحقيق الكتاب،كالكتب الأخلاقيه و كتب الحديث.و أكثر ما كان يعنينا تصحيح الأحاديث الشريفه بالرجوع إلى مصادرها الذى جشمنا بحثا مضنيا كان يستغرق أكثر أوقاتنا،و قد نذكر أحيانا فى التعليقه المصدر المرجوع إليه،و على الأكثر لا نذكر المرجع إلا عند ما يكون مخالفا لنسخ الكتاب.و يحسن الآن أن نذكر أهم المراجع

التی اعتمدنا علیها لتصحیح الکتاب،و هی:

۱-النسخه من الکتاب-المشار إلیها آنفا-المطبوعه علی الحجر بإیران سنه ۱۳۱۲.

۲-النسخه المخطوطه منه التی تفضل بها شیخنا الحجه الشیخ محمد محسن الشهیر ب(آغا بزرگ)مؤلف الذریعه،و قد نسخت سنه ۱۲۰۸.و نعبر عنها فی التعلیقه ب(نسختنا الخطیه). ۳-النسخه المخطوطه منه فی مکتبه سپه سالار بطهران.و لا یحضرنا الآن تأریخ نسخها و رقمها فی المکتبه.و قد قوبلت النسخه إلی حد صفحه ۱۷۶ من الجزء الأول.

۴-النسخه المطبوعه،التی یملکها الخطیب السید جواد شبر،و فیها بعض التقییدات و التصحیحات.

۵-إحیاء العلوم-للشیخ أبی حامد الغزالی.

۶-إحیاء الإحیاء-المجلد الرابع المطبوع فی إیران علی الحجر سنه ۱۳۲۶،للشیخ المولی محسن الفیض الکاشانی.

۷-نسخه أصول الکافی-المخطوطه سنه ۱۱۰۳،فی مکتبه منتدی النشر برقم(۴۴۶)،و هی نسخه ظاهر علیها التصحیح و دقه المقابله علی نسخ صحیحه.

۸-نسخه أصول الکافی-المخطوطه التی تحت تصرفنا.

۹-فروع الکافی-المطبوع بالحجر سنه ۱۳۱۵،و هو من المطبوعات الحجریه الصحیحه، ۱۰-الوسائل-المطبوعه سنه ۱۳۲۳،المعروفه بطبعه عین الدوله.

۱۱-البحار-المجلد ۱۵ بجمیع أجزائه الأربعه،المطبوع علی الحجر.

۱۲-کنز العمال-المطبوع بحیدرآباد دکن سنه ۱۳۱۲.

۱۳-مستدرك الوسائل-للشيخ المحدّث النورى،المطبوع على الحجر سنه ۱۳۱۹.

۱۴-الوافى-للشيخ المولى محسن الفيض،المطبوع على الحجر سنه ۱۳۲۵.و هو من المطبوعات الحجريه الصحيحه.

۱۵-سفينه البحار-المطبوع على الحجر بالنجف الأشرف سنه ۱۳۵۲ للمحدث الثقه الجليل الشيخ عباس القمى.

۱۶-جامع الأخبار-المطبوع بالهند على الحجر.

۱۷-مصباح الشريعه-المطبوع بالهند على الحجر، و هذه غير المراجع التى رجعنا إليها نادرا:كمجموعه الشيخ ورام، و الحقائق للفيض،و مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحى،و نهايه ابن الأثير...و نحوها كثير لا فائده فى إحصائه.و هذه المراجع هى التى روجعت لتصحيح أجزاء الكتاب،و اللّه تعالى هو الموفق للصواب.

و يجب ألا ننسى فى الختام شكر الشيخ عبد الهادى الأسدى على جهوده التى بذلها فى تصحيح الكتاب عند الطبع،و الاشتراك فى مقابله النسخه الأصليه و تدقيقها،جزاه اللّه خير ما يجزى العالمين.

النجف الأشرف محمد رضا المظفر ۲۰ رجب ۱۳۶۸ ه

ص: ۲۶

[مقدمه المصحح]

اشاره

مراجع البحث فی الترجمه:

۱-(روضات الجنات):للسید محمد باقر الخوانساری،المطبوع بإیران علی الحجر سنه ۱۳۱۶، ۲-(الروضه البهیه):للسید محمد شفیع الحسینی،المطبوع بإیران علی الحجر.

۳-(أعیان الشیعه):للسید محسن الأمین-الطبعه الأولی-فی ترجمه الشیخین:أحمد النراقی و إسماعیل الخاجوئی.

۴-(مستدرک الوسائل):-الجزء الثالث-للمحدث میرزا حسین النوری.

۵-(الذریعه):للشیخ محمد محسن الشهیر بآغا بزرگ الطهرانی.

۶-(الاسناد المصفی):له أیضا.المطبوع بالنجف الأشرف سنه ۱۳۵۶.

۷-(ریاض الجنه):المخطوط،للسید حسن الزنوزی المعاصر للمؤلف،و من تلامذه الوحید البهبهانی،نسخه منه محفوظه بخزانه الحاج حسین آغا ملک العامه بطهران تحت رقم(۴۳۸۰).و قد اعتمدنا علیها فی تجدید النظر فی الترجمه سنه ۱۳۸۳،علی ما نقله لنا عنها مکاتبه أحد أحفاد المترجم له(الأستاذ حسن النراقی).و أکثر ما اعتمدنا علی هذا المصدر فی تعداد مؤلفات المترجم له.

۸-(قصص العلماء):للمیرزا محمد بن سلیمان التنکابنی،المطبوع علی الحجر بطهران.

ص: ۲۷

ملاحظه:

فی سفرتی الأخیره إلی إیران فی العام الماضی-لأمور تخص:

(جامعه النجف الدینیه) -التقیت مع الأخ الأستاذ(حسن النراقی)-دام ظله-من أحفاد المؤلف-قدس سره-،جری الحدیث معه حول شیخنا المؤلف و عظمته.

فأرانی الأخ النراقی نموذجا من خطوط المؤلف الرّاقیه،فجذبنی حسن الخط و روعته،و لا سیما تلکم الصفحات من کتاب.

(جامع الأفکار و ناقد الأنظار) ففکرت فی طبع نموذج الصفحه الأولی و الأخیره من الکتاب المذکور تثبیتا لعظمه ناحیه أخری من نواحی حیاه المؤلف الملیئه بجلائل الفنون الروائع.و قد أبدی الأستاذ النراقی موافقته علی ذلک فی اطار من التبجیل الصادق و الأدب...مما یخص نفسیته الواسعه.

فشکرا له و تقدیرا.

السیّد محمد کلانتر

ص :٢٨

نموذج الصحفه الأولى من كتاب(جامع الأفكار و ناقد الأنظار)بخط المؤلف(قده)

ص :٢٩

(جامع الافكار و ناقد الأنظار)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذى دل على ذاته بذاته و تجلى لخلقه ببدايع مصنوعاته،أظهر من عجائب قدرته ما حير ثواقب العقول و الأفهام،و أبرز من غرائب عظمته ما بهر نوافذ المدارك و الأوهام خرق علمه باطن غيب السترات و أحاط بغموض عقائد السريرات،و الصلاه على مهابط المعارف و الأسرار و وسائط الفيوضات و الأنوار،من الأنبياء المكرمين الأخيار و خلفائهم الراشدين الأطهار.

و بعد فيقول أضعف المحتاجين:مهدى بن أبى ذر النراقى-نور اللّه قلبه بنور اليقين و جعله من الصادقين المقربين-:هذا يا إخوانى ما أردتم من أصول المعارف الحقيقيه و جوامع العقائد اليقينيه:من العلم باللّه و صفات كماله و معرفه أسمائه و نعوت جلاله،و ما يتلوهما من المباحث الإلهيه العاليه و المطالب الحقه المتعاليه مما يرتقى به إلى منازل الأخيار و يعرج به إلى عوالم العقول و الأنوار،و يتوجه به إلى شطر كعبه الملكوت و يسلك به إلى صقع عالم الجبروت.و قد بعث اللّه السفراء لأجله،و انعقد إجماع الأمه على وجوب أخذه،فيلزم على الكل حمله و لا يسع لأحد جهله،و أسأل اللّه أن يجعله خالصا لوجهه و يحرسه عن غير أهله،و لاشتماله على جمع الأفكار الإلهيه و نقدها،سيما ما تعلق بالشرح الجديد للتحريك من الحواشى،و سميته ب(جامع الأفكار و ناقد الأنظار)و رتبته على مقدمات و مقالات.

المقدمه الأولى-فى إبطال ترجح المساوى و المرجوح و ترجيحهما.

بيان الأول:أن معنى المساوات كون شيئين فى مرتبه واحده بالنظر إلى ثالث،و معنى المرجوحيه كون الشيئين أحدهما أبعد من الآخر، و الراجحيه كونه أقرب منه،فلو ترجح المساوى أو المرجوح لزم التناقض.

نموذج الصفحه الأخيره من كتاب(جامع الأفكار و ناقد الأنظار)بخط المؤلف(قده)

و بعد ما ثبت أن الواجب-سبحانه-صرف الوجود و محض الوجود و ليس فيه نقص و لا ممازجه،و أنه ليس جسما و جسمانيا،ثبت معه نفى التحيز و الجهه و الحلول و الاتحاد و الألم و اللذه المزاجيه عنه سبحانه، و بذلك تم مباحث الصفات السلبيه،و هو آخر ما أردنا إيراده فى هذا الكتاب و الحمد للّه على تأييده على الإتمام،و الصلاه على سيد الأنام و على عترته امناء الإسلام و وقع إتمامه فى أول يوم من شهر ربيع الأول من سنه ۱۱۹۳ -ثلاث و تسعين و مائه بعد الألف من الهجره المباركه النبويه-و قد كان ذلك عند تراكم الهموم و الأحزان و تفاقم الغموم و الأشجان،و فرط الملال و ضيق البال،من هجوم المصائب و المحن و تواتر النوائب و الفتن،من ابتلائنا أولا فى بلده كاشان-حماها اللّه عن طوارق الحدثان-بالزلازل الهائله المفزعه و الرجفات المزعزعه المزعجه،و انهدام جميع الأبنيه و المساكن و جلّ البيوت و المواطن،و هلاك كثير من الأصدقاء و الأحباب و ذهاب غير واحد من الأحبه و الأصحاب،ثم ابتلائنا بالأمراض الشديده الغريبه و الأسقام الوبائيه العجيبه،بعد ارتحالنا لعدم السكنى و غيره من اختلال الأمور إلى بعض القرى،و احتراق فؤادى بذهاب بعض أولادى الذى تقر به عينى فى ظلمات الأحزان و الهموم و يسكن اللّه قلبى عند اضطرابه من هجوم الأشجان و الغموم ثم وقوعنا فى الداهيه العظمى و الفتنه الكبرى:أعنى موت السلطان و وقوع الاضطراب و الوحشه بين أهل إيران.فأحمد اللّه على السراء و الضراء و الشده و الرخاء و العافيه و البلاء،و نسأله أن يكون ذلك آخر الرزايا و المصائب و خاتمه البلايا و النوائب،و أن يصلح جميع أمور المسلمين بمحمد و آله سادات الخلق أجمعين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمه المؤلف

الحمد للّه الذى خلق الإنسان،و جعله أفضل أنواع الأكوان،و صيره نسخه لما أوجده من عوالم الإمكان،أظهر فيه عجائب قدرته القاهره، و أبرز فيه غرائب عظمته الباهره،ربط به الناسوت باللاهوت،و أودع فيه حقائق الملك و الملكوت،خمّر طينته من الظلمات و النور،و ركب فيه دواعى الخير و الشرور،عجنه من المواد المتخالفه،و جمع فيه القوى و الأوصاف المتناقضه،ثم ندبه إلى تهذيبها بالتقويم و التعديل،و حثه على تحسينها بعد ما سهل له السبيل،و الصلاه على نبينا الذى أوتى جوامع الحكم،و بعث لتتميم محاسن الأخلاق و الشيم،و على آله مصابيح الظلم،و مفاتيح أبواب السعاده و الكرم صلى اللّه عليه و عليهم و سلم.

أما بعد فيقول طالب السعاده الحقيقيه(مهدى بن أبى ذر النراقى) بصّره اللّه بعيوب نفسه،و جعل يومه خيرا من أمسه: إنه لا ريب فى أن الغايه من وضع النواميس و الأديان،و بعثه المصطفين من عظماء الإنسان، هو سوق الناس من مراتع البهائم و الشياطين،و إيصالهم إلى روضات العليين،

ص :٣٣

و ردعهم عن مشاركه أسراء ذل الناسوت،و مصاحبه قرناء جب الطاغوت إلى مجاوره سكان صقع الملكوت،و مرافقه قطان قدس الجبروت،و لا يتيسر ذلک إلا بالتخلی عن ذمائم الأخلاق و رذائلها،و التحلی بشرائف الصفات و فضائلها،فيجب على كل عاقل أن يأخذ أهبته،و يبذل همته فی تطهير قلبه عن أوساخ الطبيعه و أرجاسها،و تغسيل نفسه عن أقذار الجسميه و أنجاسها قبل أن يتيه فی بيداء الشقاق،و يهوی فی مهاوی الضلاله و الهلاكه، و يصرف جده و يجتهد جهده فی استخلاص نفسه عن لصوص القوى الأماره ما دام الاختيار بيده،إذ لا تنفعه الندامه و الحسره فی غده.

ثم لا ريب فی أن التزكيه موقوفه على معرفه مهلكات الصفات و منجياتها،و العلم بأسبابها و معالجاتها،و هذا هو الحكمه الحقه التی مدح اللّه أهلها،و لم يرخص لأحد جهلها،و هی الموجبه للحياه الحقيقه، و السعاده السرمديه،و التارک لها على شفا جرف الهلكات،و ربما أحرقته نيران الشهوات.

و قد كان السلف من الحكماء يبالغون فی نشرها و تدوينها.و جمعها و تبيينها،على ما أدت إليه قوه أنظارهم،و أدركوه بقرائحهم و أفكارهم.

و لما جاءت الشريعه النبويه«على صادعها ألف صلاه و تحيه»حثت على تحسين الأخلاق و تهذيبها،و بينت دقائقها و تفصيلها بحيث اضمحل فی جنبها ما قرره أساطين الحكمه و العرفان،و غيرهم من أهل الملل و الأديان،إلا أنه لما كان ما ورد منها منتشرا فی موارد مختلفه،و متفرقا فی مواضع متعدده،تعسّر أن يحيط به الجل فلا بد من ضبطه فی موضع واحد ليسهل تناوله للكل، فجمعت فی هذا الكتاب خلاصه ما ورد من الشريعه الحقه مع زبده ما أورده أهل العرفان و الحكمه على نهج تقرّ به أعين الطالبين، و تسر به أفئده الراغبين.

و نذكر أولا بعض المقدمات النافعه فى المطلوب ثم نشير إلى أقسام الأخلاق،و مبادئها من القوى و نضبطها بأجناسها و أنواعها و نتائجها و ثمراتها ثم إلى المعالجه الكليه لذمائم الأخلاق و الجزئيه لكل خلق مذموم،مما له اسم مشهور،و ما ينشأ عنه من الأفعال المذمومه،و فى تلوه نذكر ضده المحمود،و ما يدل على فضله عقلا و نقلا،لأن العلم بفضيله كل خلق و المداومه على آثاره أقوى علاج لإزاله ضده،و لا نتابع القوم من تقديم الرذائل بأسرها على الفضائل،بل نذكر أولا ما يتعلق بالقوه العقليه من الفضائل و الرذائل على النحو المذكور،ثم ما يتعلق بالغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق باثنتين منها أو ثلاث،لأن ذلك أدخل فى ضبط الأخلاق،و معرفه أضدادها،و العلم بمبادئها و أجناسها،و هو من أهم الأمور لطالبى هذا الفن.

و ما تعرضت لتدبير المنزل و سياسه المدن،لأن غرضنا فى هذا الكتاب إنما هو مجرّد إصلاح النفس و تهذيب الأخلاق،و سميته«بجامع السعادات» و رتبته على ثلاثه أبواب.

ص :٣۵

الباب الأول فی المقدمات

اشاره

انقسام حقیقه الإنسان و حالاته بالاعتبار-تجرد النفس و بقاؤها- التذاذ النفس و تألمها-فضائل الأخلاق و رذائلها-الأخلاق الذمیمه تحجب عن المعارف-حصول الملکات بتضاعف الأعمال-العمل نفس الجزاء- القول یتجسد الأعمال و الملکات- المضاده بین الدنیا و الآخره-للجبله و المزاج دخل فی جوده الملکات و رداءتها-حقیقه الخلق و ماهیه الملائکه- الأقوال فی تبدل الأخلاق و الملکات-شرف علم الأخلاق-تعریف النفس و أسامیها باختلاف الاعتبارات-فی الإشاره إلی اعتبار مدافعه القوی الأربع-انقهار النفس بتسخیر القوه العالیه-اختلاف الصفات یوجب اختلاف النفوس-ائتلاف حقیقه الإنسان من الجهات المتقابله- حقیقه الخیر و السعاده-و الجمع بین الأقوال المختلفه فیها-شرائط حصول السعاده-غایه ما یمکن الوصول إلیه من السعاده-تقسیم اللذات و الآلام- اللذه فی الحقیقه هی العقلیه دون الحسیه-إیقاظ فیه موعظه و نصیحه- التنبیه علی أن الفائت لا یتدارک.

ص: ۳۶

فصل (انقسام حقیقه الإنسان و حالاته بالاعتبار)

اعلم أن الإنسان منقسم إلی سر و علن،و روح و بدن و لکل منهما منافیات و ملائمات،و آلام و لذات،و مهلکات و منجیات.

و منافیات البدن و آلامه هی الأمراض الجسمانیه.و ملائماته هی الصحه و اللذات الجسمانیه.و المتکفل لبیان تفاصیل هذه الأمراض و معالجاتها هو علم الطب.و منافیات الروح و آلامه هی رذائل الأخلاق التی تهلکه و تشقیه، و صحته رجوعه إلی فضائلها التی تسعده و تنجیه و توصله إلی مجاوره أهل اللّه و مقربیه.و المتکفل لبیان هذه الرذائل و معالجاتها هو(علم الأخلاق).

ثم إن البدن مادی فإن،و الروح مجرد باق،فإن اتصف بشرائف الصفات کان فی البهجه و السعاده أبدا،و إن اتصف برذائلها کان فی العذاب و الشقاوه مخلدا،و لا بد لنا من الإشاره إلی تجرده و بقائه بعد خراب البدن ترغیبا للطالبین علی السعی فی تزکیته و حفظه عن الشقاوه الأبدیه.

فصل (فی تجرد النفس و بقائها)

لا ریب فی تجرد النفس و بقائها بعد مفارقتها عن البدن.أما الأول (و المراد به عدم کونها جسما و جسمانیه)فیدل علیه وجوه:

(منها)أن کل جسم لا یقبل صورا و أشکالا کثیره لزوال کل صوره أو شکل فیه بطریان مثله،و النفس تقبل الصور المتعدده المختلفه من المحسوسات و المعقولات من دون أن تزول الأولی بورود الأخری،بل کلما قبلت صوره

ازدادت قوتها على قبول الأخرى،و لذلك تزيد القوه على إدراك الأشياء بالرياضيات الفكريه و كثره النظر،فثبت عدم كونها جسما.

و(منها)أن حصول الأبعاد الثلاثه للجسم لا يتصور إلا بأن يصير طويلا عريضا عميقا و حصول الألوان و الطعوم و الروائح له لا يتصور إلا بأن يصير ذا لون و طعم و رائحه و هى تحصل للنفس و قوتها الوهميه بالإدراك من غير أن تصير كذلك،و أيضا حصول بعضها للجسم يمنع من حصول مقابله له،و لا يمنع ذلك فى النفس بل تقبلها كلها فى آن واحد على السواء.

و(منها)أن النفس تلتذ بما لا يلائم الجسم من الأمور الإلهيه و المعارف الحقيقيه،و لا تميل إلى اللذات الجسميه و الخياليه و الوهميه،بل تحن أبدا إلى الابتهاجات العقلبه الصرفه التى ليس فى الجسم و قواه فيها نصيب،و هذا أوضح دليل على أنها غيرهما،إذ لا ريب فى أن ما يحصل لبعض النفوس الصافيه عن شواتب الطبيعه من البهجه و السرور بإدراك العلوم الحقه الكليه و الذوات المجرده النوريه القدسيه،و بالمناجاه و العباده و المواظبه على الأذكار فى الخلوات مع صفاء النيات لا مدخليه للجسم فيها و قواه الخياليه و الوهميه و غيرهما،إذ النفس قد تغفل فى تلك الحاله عنها بالكليه،و ربما استغرقت بحيث لا تشعر بالبدن و لا تدرى أن لها بدنا فكأنها منخلعه عنه،فهذا يدل على أنها من عالم آخر غير عالم الجسم و قواه،إذ التذاذهما منحصر بالملائمات الجزئيه التى تدركها الحواس الظاهره و الباطنه.

و(منها)أن النفس تدرك الصور الكليه المجرده فتكون محلا لها، و لا ريب فى أن المادى لا يكون محلا للمجرد إذ كل مادى ذو وضع قابل للإنقسام،و كون المحل ذا وضع قابل للإنقسام يستلزم أن يكون حاله أيضا كذلك كما ثبت فى محله،و المجرد لا يمكن أن يكون كذلك و إلا خرج عن حقيقته، فالنفس لا تكون ماديه و إذا لم تكن ماديه كانت مجرده لعدم الواسطه.

و(منها)أن القوى الجسميه الباطنيه لا تكتسب العلوم إلا من طريق الحواس الظاهره إذ ما لم يدرك الشيء بها لم تتمكن الحواس الباطنه أن تدركه و هذا وجدانى و ضرورى.و النفس قد تدرك ما لا طريق لشيء من الحواس إلى إدراكه كالأمور المجرده و المعانى البسيطه الكليه،و أسباب الاتفاقات و الاختلافات التى بين المحسوسات،و الضروره العقليه قاضيه بأنه لا مدخليه لشيء من الحواس فى إدراك شيء من ذلك.

و أيضا نحكم بأنه لا-واسطه بين النقيضين،و هذا الحكم غير مأخوذ من مبادئ حسيه إذ لو كان مأخوذا منها لم يكن قياسا أوليا،فمثله مأخوذ من المبادئ الشريفه العاليه التى تبنى عليها القياسات الصحيحه.

و أيضا هى حاكمه على الحس فى صدقه و كذبه و قد تخّطئه فى أفعاله و تردّ عليه أحكامه كتخطئته للبصر فيما يراه أصغر مما هو عليه فى الواقع أو بالعكس،و فيما يراه مستديرا و هو مربع،أو مكسورا و هو صحيح،أو معوجا و هو مستقيم،أو منكوسا و هو منتصب،أو مختلفا فى وضعه الواقعى، و فى رؤيته للأشياء المتحركه على الاستداره كالحلقه و الطوق،و كتخطئته للسمع فيما يدركه فى المواضع الصقيله المستديره عند الصدى،و للذوق فى ادراكه الحلو مرا و مثله،كذا الحال فى الشم و اللمس،و لا ريب فى أن تخطئه النفس الحواس فى هذه الإدراكات و حكمها بما هو المطابق للواقع إنما يكون مسبوقا بالعلم الذى لا يكون مأخوذا من الحس،لأن الحاكم على الشيء أعلى رتبه منه فلا يكون علمه الذى هو مناط الحكم مأخوذا عنه.

و مما يؤكد ذلك أنها عالمه بذاتها و بكونها مدركه لمعقولاتها.و معلوم أن هذا العلم مأخوذ من جوهرها دون مبادئ أخر.

و(منها)أنا نشاهد أن البدن و قواه يضعفان فى أفعالهما و آثارهما، و النفس تقوى فى إدراكاتها و صفاتها،كما فى سن الكهوله،أو يكونان

قويين فى الأفعال مع كونها ضعيفه فيها كما فى سن الشباب،فلو كانت جسما أو جسمانيا لكانت تابعه لهما فى الضعف و القوه.

(فإن قلت)الإدراك و سائر الصفات الكماليه للنفس يضعف أو يختل بضعف البدن أو اختلاله كما نشاهد فى المشايخ و المرضى و تجردها ينافى ذلك.

(قلنا)الضعف أو الاختلال إنما يحدث فى الإدراك و الأفعال المتعلقه بالقوى الجسميه،و أما ما يحصل للنفس بجوهرها أو بواسطه القوى الجسميه بعد صيرورته ملكه لها فلا يحصل فيه اختلال و ضعف،بل يصير ظهوره أشد و تأثيره أقوى.

و أما الثانى أعنى بقائها بعد المفارقه عن البدن فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها أن المجرد لا يتطرق إليه الفساد لأنه حقيقه و الحقيقه لا تبيد كما صرح به المعلم الأول و غيره،و وجهه ظاهر.

فصل (فى بيان تلذذ النفس و تألمها)

إذا عرفت تجرد النفس و بقاءها أبدا،فاعلم أنها ملتذه متنعمه دائما أو معذبه متألمه كذلك.و التذاذها يتوقف على كمالها الذى يخصها،و لما كانت لها قوتان:النظريه و العمليه،فكمال القوه النظريه الإحاطه بحقائق الموجودات بمراتبها و الاطلاع على الجزئيات غير المتناهيه بإدراك كلياتها.و الترقى منه إلى معرفه المطلوب الحقيقى و غايه الكل حتى يصل إلى مقام التوحيد و يتخلص عن وساوس الشيطان و يطمئن قلبه بنور العرفان.و هذا الكمال هو الحكمه النظريه.

و كمال القوه العمليه التخلى عن الصفات الرديه و التحلى بالأخلاق المرضيه ثم الترقى منه إلى تطهير السر و تخليته عما سوى الله سبحانه.و هذا هو الحكمه

العمليه التی یشتمل هذا الکتاب علی بیانها.

و کمال القوه النظریه بمنزله الصوره و کمال القوه العملیه بمنزله الماده، فلا یتم أحدهما بدون الآخر،و من حصل له الکمالان صار بانفراده عالما صغیرا مشابها للعالم الکبیر،و هو الإنسان التام الکامل الذی تلألأ قلبه بأنوار الشهود و به تتم دائره الوجود.

فصل (فی فضائل الأخلاق و رذائلها)

فضائل الأخلاق من المنجیات الموصله إلی السعاده الأبدیه،و رذائلها من المهلکات الموجبه للشقاوه السرمدیه،فالتخلی عن الثمانیه و التحلی بالأولی من أهم الواجبات.و الوصول إلی الحیاه الحقیقیه بدونهما من المحالات،فیجب علی کل عاقل أن یجتهد فی اکتساب فضائل الأخلاق التی هی الأوساط (۱)المثبته من صاحب الشریعه و الاجتناب عن رذائلها التی هی الأطراف، و لو قصّر أدرکته الهلاکه الأبدیه،إذ کما أن الجنین لو خرج عن طاعه ملک الأرحام المتوسط فی الخلق لم یخرج إلی الدنیا سویا سمیعا بصیرا ناطقا کذلک من خرج عن طاعه نبی الأحکام المتوسط فی الخلق لم یخرج إلی عالم الآخره کذلک.

وَ مَنْ کٰانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ فَهُوَ فِی الْآخِرَهِ أَعْمیٰ

۱- ۱) إشاره إلی أن الفضیله وسط بین رذیلتین و قد دعی الشارع إلی تحصیل الوسط بقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:«خیر الأمور أواسطها».و سیأتی شرح المعنی من الوسط و الطرفین.

وَ أَضَلَّ سَبِیلًا

(۱)

.

ثم ما لم تحصل التخلیه لم تحصل التحلیه و لم تستعد النفس للفیوضات القدسیه،کما أن المرآه ما لم تذهب الکدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فیها،و البدن ما لم تزل عنه العله لم تتصور له إفاضه الصحه،و الثوب ما لم ینقّ عن الأوساخ لم یقبل لونا من الألوان،فالمواظبه علی الطاعات الظاهره لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومه کالکبر و الحسد و الریاء، و طلب الریاسه و العلی و إراده السوء للأقران و الشرکاء،و طلب الشهره فی البلاد و فی العباد،و أی فائده فی تزیین الظواهر مع إهمال البواطن، و مثل من یواظب علی الطاعات الظاهره و یترک تفقد قلبه کبئر الحش (۲)ظاهرها جص و باطنها نتن،و کقبور الموتی ظاهرها مزینه و باطنها جیفه،أو کبیت مظلم وضع السراج علی ظاهره فاستنار ظاهره و باطنه مظلم،أو کرجل زرع زرعا فنبت و نبت معه حشیش یفسده فأمر بتنقیه الزرع عن الحشیش بقلعه عن أصله فأخذ یجز رأسه و یقطعه فلا یزال یقوی أصله و ینبت،فإن الأخلاق المذمومه فی القلب هی مغارس المعاصی فمن لم یطهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهره،أو کمریض به جرب و قد أمر بالطلاء لیزیل ما علی ظهره و یشرب الدواء لیقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء و ترک الدواء متناولا ما یزید فی الماده فلا یزال یطلی الظاهر و الجرب

۱- ۱) الإسراء الآیه ۷۲.

۲- ۲) الحش بالفتح أو الضم ثم التشدید و الفتح أکثر من الضم:المخرج و موضع الحاجه و أصله من الحش بمعنی البستان،لأنهم کانوا یتغوطون فی البساتین،فلما اتخذوا الکنیف اطلقوا علیها الاسم مجازا،فالمراد هنا من بئر الحش خزانه الکنیف.

يتفجر من الماده التى فى الباطن.

ثم إذا تخلت عن مساوئ الأخلاق و تحلت بمعاليها على الترتيب العلمى استعدت لقبول الفيض من رب الأرباب،و لم يبق لشده القرب بينهما حجاب،فترتسم فيها صور الموجودات على ما هى عليها،على سبيل الكليه أى بحدودها و لوازمها الذاتيه لامتناع إحاطتها بالجزئيات من حيث الجزئيه،لعدم تناهيها،و إن علمت فى ضمن الكليات لعدم خروجها عنها،و حينئذ يصير (۱)موجودا تاما أبدى الوجود سرمدى البقاء،فائزا بالرتبه العليا، و السعاده القصوى،قابلا للخلافه الإلهيه و الرئاسه المعنويه،فيصل إلى اللذات الحقيقيه،و الابتهاجات العقليه التى ما رأتها عيون الأعيان،و لم تتصورها عوالى الأذهان.

فصل (الأخلاق الذميمه تحجب عن المعارف)

الأخلاق المذمومه هى الحجب المانعه عن المعارف الإلهيه،و النفحات القدسيه إذ هى بمنزله الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جليه الحال اتضاحا،كيف و القلوب كالأوانى فإذا كانت مملوءه بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغوله بغير اللّه لا تدخلها معرفه اللّه و حبه و أنسه،و إلى ذلك

أشار النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بقوله: «لو لا أن الشياطين يحرمون إلى قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض» فبقدر ما تتطهر القلوب هن هذه الخبائث تتحاذى شطر الحق الأول (۲)و تلألأ فيها حقائقه

۱- ۱) تذكير الضمير باعتبار إراده الإنسان لأنه صاحب النفس بل هو هى.

۲- ۲) المراد من الحق الأول هو اللّه تبارك و تعالى فكما ان الحق صفه له كذلك الأول فهو صفه بعد صفه.

كما أشار إليه صلى اللّه عليه و آله: «ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» فإن التعرض لها إنما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصله عن الأخلاق الرديه (۱)فكل إقبال على طاعه و إعراض عن سيئه يوجب جلاء و نورا للقلب يستعد به لإفاضه علم يقينى،و لذا قال سبحانه:

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۲)

.

و قال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم: «من عمل بما علم ورثه اللّه علم ما لم يعلم» فالقلب إذا صفى عن الكدورات الطبيعيه بالكليه يظهر له من المزايا الإلهيه و الإفاضات الرحمانيه ما لا يمكن لأعاظم العلماء

كما قال سيد الرسل: «إن لى مع اللّه حالات لا يحتملها ملك مقرب و لا نبى مرسل».

و كل سالك إلى اللّه إنما يعرف من الألطاف الإلهيه و النفحات الغيبيه ما ظهر له على قدر استعداده،و أما ما فوقه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدّق به إيمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوه و خواصها و نصدّق بوجودهما و لا نعرف حقيقتهما كما لا يعرف الجنين حال الطفل و الطفل حال المميز و المميز من العوام حال العلماء و العلماء حال الأنبياء و الأولياء.

فالرحمه الإلهيه بحكم العنايه الأزليه مبذوله على الكل غير مضنون بها على أحد،لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآه القلب و تصفيتها عن الخبائث الطبيعيه،و مع تراكم صدأها الحاصل منها لا يمكن أن يتجلى فيها شىء من الحقائق،فلا تحجب الأنوار العلميه و الأسرار الربوبيه عن قلب من القلوب لبخل من جهه المنعم تعالى شأنه عن ذلك،بل الاحتجاب

ص: ۴۴

۱- ۱) المراد من النفحات هى الإفاضات المعنويه لا النسمات كما وردت بالمعنى الثانى فى بعض الأخبار.

۲- ۲) العنكبوت الآيه:۶۹.

إنما هو من جهه القلب لكدورته و خبثه و اشتغاله بما يضاد ذلك.

ث م مـا يظهر للقلب من العلـوم لطهـارته و صـفاء جوهره هو العلم الحقيقى النورانى الـذى لاـ يقبـل الشـك و له غـايه الظهور و الانجلاء لاستفادته من الأنوار الإلهيه و الإلهامات الحقه الربانيه،و هو المراد

بقوله عليه السلام: «إنما هو نور يقذفه اللّه فى قلب من يشاء

» و إليه أشـار مولانـا أمير المـؤمنين عليه السـلام بقـوله: «ان من أحب عبـاد اللّه إليه عبـدا أعـانه اللّه على نفسه فاستشـعر الحزن و تجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى فى قلبه»(الى أن قال):

«قـد خلع سرابيل الشـهوات،و تخلى من الهموم إلا هما واحدا انفرد به، فخرج من صـفه العمى و مشاركه أهل الهوى،و صار من مفاتيـح أبواب الهـدى و مغـاليق أبواب الردى،قـد أبصـر طريقه و سـلك سبيله و عرف منـاره،و قطع غماره (۱)،و استمسك من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»

و فى كلام آخر له عليه السلام «قد أحيى قلبه و أمات نفسه حتى دقّ جليله (۲)و لطف غليظه،و برق له لامع كثير البرق،فأبان له الطريق و سـلك به السبيل،و تـدافعته الأبواب إلى باب السـلامه و دار الإقامه،و ثبتت رجلاه لطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحه بما استعمل قلبه و أرضى ربه».

و قـال عليـه السـلام فى وصـف الراسـخين مـن العلمـاء:«هجـم بهم العلم على حقيقه البصـيره و باشـروا روح اليقين و اسـتلانوا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى».

۱- ۱) غمره الشىء شدته و مزدحمه جمعه غمرات و غمار و غمر و منه غمرات الموت أى مكارهه و شدائده.

۲- ۲) الجليل:الكبير فى الحجم.

و بـالجمله مـا لم يحصـل للقلب التزكيه لم يحصل له هـذا القسم من المعرفه إذ العلم الحقيقى عباده القلب و قربه السر،و كما لا تصح الصلاه التى هى عباده الظاهر إلا بعد تطهيره من النجاسه الظاهره فكذلك لا تصح عباده الباطن إلا بعد تطهيره من النجاسه الباطنيه التى هى رذائل الأخلاق و خبائث الصفات،كيف و فيضان أنوار العلوم على القلوب إنما هو بواسطه الملائكه

و قد قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سلم: «لا تدخل الملائكه بيتا فيه كلب» فإذا كان بيت القلب مشحونا بالصفات الخبيثه التى هى كلاب نابحه لم تـدخل فيه الملائكه القادسه و الحكم بثبوت النجاسه الظاهره للمشـرك، مع كونه مغسول الثوب نظيف البدن،إنما هو لسرايه نجاسه الباطنيه

فقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «بنى الدين على النظافه» يتناول زوال النجاستين،

و مـا ورد من «أن الطهـور نصـف الإيمـان» المراد به طهـاره البـاطن عن خبـائث الأخلاـق،و كـان النصف الآـخر تحليته بشـرائف الصفات و عمارته بوظائف الطاعات.

و بمـا ذكر ظهر أن العلم الـذى يحصل من طريق المجادلات الكلاميه و الاسـتدلالات الفكريه،من دون تصـقيل لجوهر النفس،لا يخلو عن الكدره و الظلمه،و لا يستحق اسم اليقين الحقيقى الذى يحصل للنفوس الصافيه فما يظنه كثير من أهل التعلق بقاذورات الـدنيا انهم على حقيقيه اليقين فى معرفه اللّه سـبحانه خلاـف الواقع،لأن اليقين الحقيقى يلزمه«روح» (1)و نور و بهجه و سـرور،و عـدم الالتفـات إلى ما سوى اللّه،و الاسـتغراق فى أبحر عظمه اللّه،و ليس شـىء من ذلك حاصـلا لهم،فما ظنوه يقينا إما تصـديق مشوب بالشبهه،أو اعتقاد جازم لم تحصل له نورانيه و جلاء و ظهور

1- 1) هذه الكلمه غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى.

و ضیاء،لکدره قلوبهم الحاصله من خبائث الصفات.

و السر فی ذلک أن منشأ العلم و مناطه هو التجرد کما بین فی مقامه، فکلما تزداد النفس تجردا تزداد إیمانا و یقینا،و لا ریب فی أنه ما لم ترتفع عنها أستار السیئات و حجب الخطیئات لم یحصل لها التجرد الـذی هو مناط حقیقه الیقین فلا بـد من المجاهـده العظیمه فی التزکیه و التحلیه حتی تنفتح أبواب الهدایه و تتضح سبل المعرفه کما قال سبحانه:

وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۱)

.

فصل (أن العمل نفس الجزاء)

کل نفس فی بدء الخلقه خالیه عن الملکات بأسرها،و إنما تتحقق کل ملکه بتکرر الأفاعیل و الآثار الخاصه به (۲)بیان ذلک أن کل قول أو فعل ما دام وجوده فی الأکوان الحسیه لا حظ له من الثبات لأن الدنیا دار التجدد و الزوال،و لکنه یحصل منه أثر فی النفس فإذا تکرر استحکم الأثر فصار ملکه راسخه،مثاله الحراره التی تحدث فی الفحم فانها ضعیفه أولا و إذا اشتدت تجمرت ثم استضاءت،ثم صارت صوره ناریه محرقه لما قارنها مضیئه لما قابلها، و کـذلک الأحوال النفسانیه إذا تضاعفت قوتها صارت ملکات راسخه و صورا باطنه تکون مبادئ للآثار المختصه بها،

۱- ۱) العنکبوت الآیه؟۶۹.

۲- ۲) هکذا وجدت فی النسخه المطبوعه و نسختنا الخطیه و الأصح«بها» و إن کانت الکلمه غیر موجوده فی نسخه خطیه أخری.

فالنفوس الإنسانيه فی أوائل الفطره کصحائف خالیه من النقوش و الصور تقبل کل خلق بسهوله،و إذا استحکمت فیها الأخلاق تعسر قبولها لأضدادها،و لذلک سهل تعلیم الأطفال و تأدیبهم و تنقیش نفسهم بکل صوره و صفه و یتعسر أو یتعذر تعلیم الرجال البالغین و ردهم عن الصفات الحاصله لهم لاستحکامها و رسوخها.

ثم لا خلاف فی أن هذه الملکات و أفعالها اللازمه لها إن کانت فاضله کانت موجبه للالتذاذ و البهجه و مرافقه الملائکه و الأخیار،و إن کانت ردیه کانت مقتضیه للألم و العذاب و مصاحبه الشیاطین و الأشرار،و إنما الخلاف فی کیفیه إیجابها للثواب أو العذاب،فمن قال إن الجزاء مغایر للعمل قال إن کل ملکه و فعل یصیر منشأ لترتب ثواب أو عقاب مغایر له بفعل اللّه سبحانه علی التفصیل الوارد فی الشریعه.

و من قال إن العمل نفس الجزاء قال:إن الهیئات النفسانیه اشتدت و صارت ملکه تصیر متمثله و متصوره فی عالم البیاض و الملکوت بصوره یناسبها،إذ کل شیء یظهر فی کل عالم بصوره خاصه،فان العلم فی عالم الیقظه أمر عرضی یدرک بالعقل أو الوهم و فی عالم النوم یظهر بصوره اللبن فالظاهر فی العالمین شیء واحد و هو العلم لکنه تجلی فی کل عالم بصوره، و السرور یظهر فی عالم النوم بصوره البکاء،و منه یظهر أنه قد یسرک فی عالم ما یسوءک فی عالم آخر،فاللذات الجسمانیه التی تسرک فی هذا العالم تظهر فی دار الجزاء بصوره تسوؤک و تؤذیک،و ترکها و تحمل مشاق العبادات و الطاعات و الصبر علی المصائب و البلیات یسرک فی عالم الآخره مع کونها مؤذیه فی هذا العالم.

ثم القائل بهذا المذهب قد یطلق علی هذه الصوره اسم الملک إن کانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال.و اسم الشیطان إن کانت من أضدادها

و قد يطلق على الأولى اسم الغلمان و الحور و أمثالهما،و على الثانيه اسم الحيّات و العقارب و أشباههما،و لا فرق بين الإطلاقين فى المعنى،و إنما الاختلاف فى الاسم.

و هذا المذهب يرجع إلى القول بتجسد الأعمال بصوره مأنوسه مفرّحه أو صوره موحشه معذبه، و قد ورد بذلك أخبار كثيره:منها:

ما روى أصحابنا عن قيس بن عاصم عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أنه قال:

يا قيس«إن مع العز ذلا،و مع الحياه موتا،و مع الدنيا آخره،و إن لكل شىء رقيبا و على كل شىء حسيبا،و إن لكل أجل كتابا،و انه لا بد لک من قرين يدفن معک و هو حى و تدفن معه و أنت ميت،فإن كان كريما أكرمک،و إن كان لئيما ألأمک،ثم لا يحشر إلا معک و لا تحشر إلا معه و لا تسأل إلا عنه،فلا تجعله إلا صالحا،فإنه إن صلح أنست به و إن فسد لا تستوحش إلا منه و هو فعلک». و منها:ما استفاض من

قولهم عليهم السلام: «إن من فعل كذا خلق اللّه تعالى ملكا يستغفر له إلى يوم القيامه». و منها:

ما ورد «ان الجنه قيعان و غراسها سبحان اللّه».

و منها:

ما روى «ان الكافر خلق من ذنب المؤمن» . و منها

قولهم «المرء مرهون بعمله». و منها

قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «الذى يشرب فى آنيه الذهب و الفضه إنما يجرى فى بطن نار جهنم». و يدل عليه قوله سبحانه.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (1).

و ربما كان فى قوله تعالى:

1- 1) التوبه الآيه:49.

وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(۱)

و قوله تعالی:

إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(۲)

.

إشاره إليه حيث قال عز و جل: «مٰا كُنْتُمْ» و لم يقل بما كنتم.

و قال فيثاغورس الحكيم:«ستعارض لک فی أفعالک و أقوالک و أفكارک (۳)و سيظهر لک من كل حركه فكريه أو قوليه أو عمليه صوره روحانيه،فان كانت الحركه غضبيه أو شهويه صارت ماده لشيطان يؤذيک فی حياتک و يحجبک عن ملاقاه النور بعد وفاتک،و إن كانت الحركه عقليه صارت ملكا تلتذ بمنادمته فی دنياک و تهتدی به فی أخراک إلی جوار اللّه و كرامته»انتهی.

و هذه الكلمات صريحه فی أن مواد الأشخاص الأخرويه هی التصورات الباطنيه و النيّات القلبيه و الملكات النفسيه المتصوره بصوره روحانيه وجودها وجود إدراكی،و الإنسان إذا انقطع تعلقه عن هذه الدار و حان وقت مسافرته إلی دار القرار و خلص عن شواغل الدنيا الدنيه و كشف عن بصره غشاوه الطبيعه.فوقع بصره علی وجه ذاته و التفت إلی صفحه باطنه و صحيفه نفسه و لوح قلبه و هو المراد بقوله سبحانه:

وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

(۴)

و قوله تعالی: فَكَشَفْنٰا.

۱- ۱) يس الآيه:۵۴.

۲- ۲) الطور الآيه:۱۶.

۳- ۳) هكذا وجدنا العباره فی النسخه الخطيه و المطبوعه و لا يخفی ما فيها من الإجمال.

۴- ۴) التكوير الآيه:۱۰.

عَنْکَ غِطٰاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ

(۱)

.صار إدراکه فعلا و علمه عینا و سره عیانا، فیشاهد ثمرات أفکاره و أعماله،و یری نتائج انظاره و أفعاله و یطلع علی جزاء حسناته و سیئاته،و یحضر عنده جمیع حرکاته و سکناته،و یدرک حقیقه قوله سبحانه:

وَ کُلَّ إِنسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ کِتٰاباً یَلْقٰاهُ مَنْشُوراً. اِقْرَأْ کِتٰابَکَ کَفیٰ بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً

(۲)

.

فمن کان فی غفله عن أحوال نفسه و مضیعا لساعات یومه و أمسه یقول:

مٰا لِهٰذَا الْکِتٰابِ لاٰ یُغٰادِرُ صَغِیرَهً وَ لاٰ کَبِیرَهً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً وَ لاٰ یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً

(۳)

.

یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَهٰا وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً

(۴)

.

۱- ۱) ق الآیه:۲۲.

۲- ۲) الإسراء الآیه ۱۳-۱۴.

۳- ۳) الکهف الآیه ۴۹.

۴- ۴) آل عمران الآیه:۳۰.

و قد أيد هذا المذهب أعنى صيروره الملكات صورا روحانيه باقيه أبد الدهر موجبه للبهجه و الالتذاذ و التوحش و التألم،بأنه لو لم تكن تلك الملكات و النيات باقيه أبدا لم يكن للخلود فى الجنه أو النار وجه صحيح، إذ لو كان المقتضى للثواب أو للعذاب نفس العمل و القول،و هما زائلان لزم بقاء المسبب مع زوال السبب و هو باطل،و كيف يجوز للحكيم أن يعذب عباده أبد الدهر لأجل المعصيه فى زمان قصير،فإذا منشأ الخلود هو الثبات فى النيات و الرسوخ فى الملكات.و مع ذلك فمن يعمل مثقال ذره من الخير أو الشر يرى أثره فى صحيفه نفسه أو فى صحيفه أعلى و أرفع من ذاته أبدا كما قال سبحانه:

فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَهٍ مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ بِأَیْدِی سَفَرَهٍ

(۱)

.

و السر فيه أن الأمر الذى يبقى مع النفس إلى حين مفارقتها من الدنيا و لم يرتفع عنها فى دار التكليف يبقى معها أبدا و لا يرتفع عنها أصلا لعدم تجدد ما يوجب إزالته بعد مفارقته عن عالم التكليف.

ثم الظاهر أن هذا المذهب-عند من قال به من أهل الشرائع- بيان لكيفيه الثواب و العقاب الروحانيين مع إذعانه بالجنه و النار الجسمانيين» إذ لو كان مراده قصر اللذه و الثواب و الألم و العقاب و الجنات و القصور و الغلمان و الحور و النار و الحجيم و الزقوم و الضريع و ساير ما ورد فى الشريعه القادسه من أمور القيامه على ما ذكر فهو مخالف لضروره الدين، (تنبيه)الدنيا و الآخره متضادتان،و كل ما يقرب العبد إلى أحداهما يبعد عن الأخرى و بالعكس،كما دلت عليه البراهين الحكميه و الشواهد الذوقيه و الأدله السمعيه،فكل ملكه أو حركه أو قول أو فعل يقرب العبد

۱- ۱) عبس الآيه:۱۳-۱۵.

إلی دار الطبیعه و الغرور یبعده عن عالم البهجه و السرور،و بالعکس، فأسوأ الناس حالا من لم یعرف حقیقه الدنیا و الآخره و تضادهما و لم یخف سوء العاقبه و أفنی عمره فی طلب الدنیا و إصلاح أمر المعاش و قصر سعیه علی جر المنفعه لبدنه من نیل شهوه أو بلوغ لذه أو اکتساب ترفع،و رئاسه أو جمع المال من غیر تصور لما یصل إلیه من فائدته،کما هو عاده أکثر أبناء الدنیا،و لم یعرف غیر هذه الأمور من المعارف الحقیقیه و الفضائل الخلقیه و الأعمال الصالحه المقربه إلی عالم البقاء فکأنه یعلم خلوده فی الدنیا، و لا یرجو بعد الموت ثواب عمل،و لا جزاء فعل،و لا یعتقد بما یرجوه المؤمنون و یؤمله المتقون من الخیر الدائم،و اللذات المخالفه لهذه اللذات الفانیه التی یشارک فیها السباع و البهائم،فإذا أدرکه الموت مات علی حسره و ندامه آیسا من رحمه اللّه قائلا:

یا حَسْرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ

(۱)

.

أعاذنا اللّه تعالی من سوء الخاتمه و وفقنا لتحصیل السعاده الدائمه

فصل (تأثیر المزاج علی الأخلاق)

للمزاج مدخلیه تامه فی الصفات:فبعض الأمزجه فی أصل الخلقه مستعد لبعض الأخلاق،و بعضها مقتض لخلافه،فإنا نقطع بأن بعض الأشخاص بحسب جبلته،و لو خلی عن الأسباب الخارجیه،بحیث یغضب و یخاف و یحزن بأدنی سبب،و یضحک بأدنی تعجب،و بعضهم بخلاف ذلک.

۱- ۱) الزمر الآیه:۵۶.

و قد يكون اعتدال القوى فطريا بحيث يبلغ الإنسان كامل العقل،فاضل الأخلاق غالبه قوته العاقله على قوتى الغضب و الشهوه،كما فى الأنبياء و الأئمه عليهم السلام.و قد يكون مجاوزتها عن الوسط كذلك بحيث يبلغ ناقص العقل ردى الصفات مغلوبه عاقلته تحت سلطان الغضب و الشهوه،كما فى بعض الناس.

إلا أن الحق-كما يأتى-إمكان زوالها بالمعالجات المقرره فى علم الأخلاق،فيجب السعى فى إزاله نقائضها و تحصيل فضائلها.و عجبا لأقوام يبالغون فى إعاده الصحه الجسمانيه الفانيه،و لا يجتهدون فى تحصيل الصحه الروحانيه الباقيه،يطيعون قول الطبيب المجوسى فى شرب الأشياء الكريهه و مزاوله الأعمال القبيحه،لأجل صحه زائله،و لا يطيعون أمر الطبيب الإلهى لتحصيل السعاده الدائمه.

و بقاء النفس على النقصان إما لعدم صرفها إلى طلب المقصود لملابسه العوائق و الموانع،أو مزاوله النقيض لتمكن موجبه،أو لكثره اشتغالها بالشواغل المحسوسه،أو لضعف القوه العاقله،فإن لم تدركها العنايه الإلهيه فلا يزال يتزايد النقصان و يبعد عن الكمال الذى خلق لأجله،إلى أن تدركها الهلاكه الأبديه و الشقاوه السرمديه،نعوذ باللّه من ذلك و إن أدركته الرحمه الأزليه،فيصرف همه فى إزاله النقائص،و اكتساب الفضائل، فلا يزال يتصاعد من مرتبه من الكمال إلى فوقها،حتى يصير من أهل مشاهده الجلال و الجمال،و يتشرف بجوار الرب المتعال و يصل إلى السرور الحقيقى،الذى لا عين رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر و إلى قره الأعين التى يشير إليها فى قوله سبحانه:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ

(۱)

.

۱- ۱) السجده الآیه:۱۷،

فصل (تأثير التربيه على الأخلاق)

الخلق عباره عن«ملكه للنفس مقضيه لصدور الأفعال بسهوله من دون احتياج إلى فكر و رويه» (۱).و الملكه:كيفيه نفسانيه بطيئه الزوال.

و بالقيد الأخير خرج الحال لأنها كيفيه نفسانيه سريعه الزوال،و سبب وجود الخلق إما المزاج كما مر،أو العاده بأن يفعل فعلا بالرويه،أو التكلف و يصبر عليه إلى أن يصير ملكه له و يصدر عنه بسهوله و إن كان مخالفا لمقتضى المزاج.

و اختلف الأوائل فى إمكان إزاله الأخلاق و عدمه،و ثالث الأقوال أن بعضها طبيعى يمتنع زواله و بعضها غير طبيعى حاصل من أسباب خارجه يمكن زواله.و رجح المتأخرون الأول و قالوا:ليس شىء من الأخلاق طبيعيا و لا مخالفا للطبيعه.بل النفس بالنظر إلى ذاتها قابله للاتصاف بكل من طرفى التضاد،إما بسهوله إن كان موافقا للمزاج،أو بعسر إن كان مخالفا له،فاختلاف الناس فى الأخلاق لاختلافهم فى الاختيار و المزاوله لأسباب خارجه.

(حجه القول الأول)أن كل خلق قابل للتغيير و كل قابل للتغيير ليس طبيعيا فينتج لا شىء من الخلق بطبيعى و الكبرى بديهيه،و الصغرى وجدانيه،فإنه نجد أن الشرير يصير بمصاحبته الخيّر خيرا،و الخيّر بمجالسه

۱- ۱) ما بين القوسين فى الموضع غير موجود فى نسختنا الخطيه لكنه موجود فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

الشرير شريرا.و نرى أن التأديب«فى السياسات (۱)»فيه أثر عظيم فى زوال الأخلاق،و لولاه لم يكن لقوه الرويه فائده و بطلت التأديبات و السياسات و لغت الشرايع و الديانات،و لما قال اللّه سبحانه: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها» (۲).

و لما قال النبى صلى اللّه عليه و آله: «حسنوا أخلاقكم»

و لما قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، و ردّ:بمنع كليه الصغرى فإنا نشاهد أن بعض الأخلاق فى بعض الأشخاص غير قابل للتبديل(لا)سيما ما يتعلق بالقوه النظريه،كالحدس و التحفظ،و جوده الذهن،و حسن التعقل،و مقابلاتها كما هو معلوم من حال بعض الطلبه،فإنه لا ينجح سعيهم فى التبديل مع مبالغتهم فى المجاهده.

و ما قيل:من لزوم تعطل القوه المميزه و بطلان التأديب و السياسات مردود:بأن هذا اللزوم إذا لم يكن شىء من الأخلاق قابلا للتغيير،و أما مع قبول بعضها أو أكثرها له فلا يلزم شىء مما ذكر،و لو كان عدم قبول بعض الأخلاق التغيير موجبا لبطلان علم الشرائع و الأخلاق لكان عدم قبول بعض الأمراض للصحه مقتضيا لبطلان علم الطب،مع أنا نعلم بديهه أن بعض الأمراض لا يقبل العلاج.

(و حجه القول الثانى)أن الأخلاق بأسرها تابعه للمزاج،و المزاج لا يتبدل،و اختلاف مزاج شخص واحد فى مراتب سنه لا ينافى ذلك، لجواز تابعيتها لجميع مراتب عرض المزاج،و أيّد ذلك

بقوله صلى اللّه عليه و آله:

(الناس معادن كمعادن الذهب و الفضه خيارهم فى الجاهليه خيارهم

ص:۵۶

۱- ۱) ما بين القوسين فى الموضعين غير موجود فى نسختنا الخطيه لكنه موجود فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.
۲- ۲) الشمس الآيه:۹.

الإسلام)

و بقوله صلى اللّه عليه و آله: «اذا سمعتم أن جبلا زال عن مكانه فصدقوه،و إذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوه،فإنه سيعود إلى ما جبل عليه».

و(الجواب)أن توابع المزاج من المقتضيات التى يمكن زوالها،لا من اللوازم التى يمتنع انفكاكها،لما ثبت فى الحكمه من أن النفوس الإنسانيه متفقه فى الحقيقه،و فى بدو فطرتها خاليه عن جميع الأخلاق و الأحوال كما هو شأن العقل الهيولائى.ثم ما بحصل لها منهما أما من مقتضيات الاختيار و العاده أو استعدادات الأبدان و الأمزجه و المقتضى ما يمكن زواله كالبروده للماء،لا ما يمتنع انفكاكه كالزوجيه للأربعه و الخبر الأول لا يفيد المطلوب بوجه.و الثانى مع عدم ثبوته عندنا يدل على خلاف مطلوبهم،لأن قوله:

«سيعود إلى ما جبل عليه»يفيد إمكان إزاله الخلق بالأسباب الخارجيه من التأديب و النصائح و غيرهما،و بعد إزالته بها يعود بارتفاعها كبروده الماء التى تزول ببعض الأسباب و تعود بعد زوال السبب،فلو دام على حفظ الأسباب و إبقائها لم يحصل العود أصلا.

و إذا ثبت بطلان القولين الأولين فالحق القول بالتفصيل،يعنى قبول بعض الأخلاق بل أكثرها بالنسبه إلى الأكثر التبديل للحس و العيان،و لبطلان السياسات و الشرائع لولاه و لإمكان تغير خلق البهائم،إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى الأنس و الفرس من الجماح إلى الانقياد و الكلب من الهراشه إلى التأدب،فكيف لا يمكن فى حق الإنسان،و عدم قبول بعضها بالنسبه إلى البعض له،للمشاهده و التجربه،و هذا البعض مما لا يكون التعلق التكليف كالأخلاق المتعلقه بالقوه العقليه من الذكاء و الحفظ و حسن التعقل و غيرها.

و التصفح يعطى اختلاف الأشخاص و الأخلاق فى الإزاله و الاتصاف بالضد بالإمكان و التعذر و السهوله و التعسر و بالتقليل و الرفع بالمره،و لذا لو تصفحت

أشخاص العالم لم تجد شخصين متشابهين فی جميع الأخلاق،كما لا تجد اثنين متماثلين فی الصوره.و يشير إلی ذلک

قوله صلی اللّه عليه و آله:

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

و قال أرسطاطاليس:«يمكن صيروره الأشرار أخيارا بالتأديب إلا أن هذا ليس كليا.فإنه ربما أثر فی بعضهم بالزوال و فی بعضهم بالتقليل و ربما لم يؤثر أصلا».

ثم المراد من التغيير ليس رفع الغضب و الشهوه مثلا-و إماطتهما بالكليه فإن ذلک محال لأنهما مخلوقتان لفائده ضروريه فی الجبله،إذ لو انقطع الغضب عن الإنسان بالكليه لم يدفع عن نفسه ما يهلكه و يؤذيه و امتنع جهاد الكفار،و لو انعدم عنه شهوه الطعام لم تبق حياته،و لو بطل عنه شهوه الوقاع بالمره لضاع النسل،بل المراد ردهما من الإفراط و التفريط إلی الوسط فالمطلوب فی صفه الغضب خلو النفس عن الجبن و التهور و الاتصاف بحس الحميه،و هو أن يحصل إذا استحسن حصوله شرعا و عقلا،و لا يحصل إذا استحسن عدمه كذلک.و كذا الحال فی صفه الشهوه.

و لا ريب فی أن رد بعض الموجودات الناقصه من القوی و غيرها إذا وجدت فيه قوه الكمال إلی كماله ممكن إذا كان له شرط يرتبط باختيار العبد فكما أن النواه يمكن أن تصير نخلا بالتربيه،لوجود قوه النخليه فيه، و توقف فعليتها علی شرط التربيه التی بيد العبد،فكذلک يمكن تعديل قوتی الغضب و الشهوه بالرياضه و المجاهده،لوجود قوه التعديل فيهما،و توقف فعليتهما علی شرط ارتبط باختيار العبد أعنی الرياضه و المجاهده،و إن لم يمكن لنا قلعهما بالكليه،كما لا يمكن لنا إعدام شیء من الموجودات و لا إيجاد شیء من المعدومات.

ثم شرائط الرد تختلف بالنسبه إلی الأشخاص و الأخلاق،و لذا نری

أن التبديل يختلف باختلاف مراتب السياسات و التأديب،فيمكن أن لا يرتفع مذموم خلق بمرتبه من التأديب،و يرتفع بمرتبه منه فوقها،و الأسهل قبولا-لكل خلق الأطفال لخلو نفوسهم عن الأضداد المانعه من القبول،فيجب على الآباء تأديبهم بالآداب الجميله،و صونهم عن ارتكاب الأعمال القبيحه حتى تعتاد نفوسهم بترك الرذائل،و ارتكاب الفضائل،و المؤدب الأول هو الناموس الإلهى،و الثانى أولو الأذهان القويمه من أهل المعارف الحقه، فيجب تقييد من يراد تأديبه بالنواميس الربانيه أولا،و تنبيهه بالحكم و المواعظ ثانيا.

فصل (شرف علم الأخلاق بشرف موضوعه و غايته)

لما عرفت أن الحياه الحقيقيه للإنسان تتوقف على تهذيب الأخلاق الممكن بالمعالجات المقرره فى هذه الصناعه،تعرف أنها أشرف العلوم و أنفعها لأن شرف كل علم إنما بشرف موضوعه أو غايته،فشرف صناعه الطب على صناعه الدباغه بقدر شرف بدن الإنسان و إصلاحه على جلود البهائم،و موضوع هذا العلم هو النفس الناطقه التى هى حقيقه الإنسان و لبّه،و هو أشرف الأنواع الكونيه كما برهن عليه فى العلوم العقليه، و غايته إكمال و إيصاله من أول أفق الإنسان إلى آخره،و لكونه ذا عرض عريض متصلا،أوله بأفق البهائم،و آخره بأفق الملائكه لا يكاد أن يوجد التفاوت الذى بين أشخاص هذا النوع فى أفراد سائر الأنواع،فإن فيه أخس الموجودات و منه أشرف الكائنات كما قيل:

و لم أر أمثال الرجال تفاوتت.لدى المجد حتى عدّ ألف بواحد

و بالفارسيه:

أى نقد أصل و فرع ندانم چه گوهرى

كز آسمان بلندتر و از خاك كمترى

و إلى ذلك التفاوت يشير

قول سيد الرسل صلى اللّه عليه و آله و سلم:

«إنى وزنت بأمتى فرجحت بهم» ،و لا ريب فى أن هذا التفاوت لأجل الاختلاف فى الأخلاق و الصفات،لاشتراك الكل فى الجسميه و لواحقها.

و هذا العلم هو الباعث للوصول إلى أعلى مراتبهما،و به تتم الإنسانيه و يعرج من حضيض البهيميه إلى ذرى الرتب الملكيه،و أى صناعه أشرف مما يوصل أخس الموجودات إلى أشرفها،و لذلك كان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقه إلا عليه،و يسمونه بالإكسير الأعظم،و كان أول تعاليمهم،و يبالغون فى تدوينه و تعليمه،و البحث عن إجماله و تفصيله، و يعتقدون أن المتعلم ما لم يهذب أخلاقه لا تنفعه سائر العلوم.

و كما أن البدن الذى ليس بالنقى كلما غذوته فقد زدته شرا،فكذلك النفس التى ليست نقيه عن ذمائم الأخلاق لا يزيده تعلم العلوم إلا فسادا.

و لذا ترى أكثر المتشبهين بزى العلماء أسوأ حالا من العوام مائلين عن وظائف الإيمان و الإسلام،إما لشده حرصهم على جمع المال،غافلين عن حقيقه المآل،أو لغلبه حبهم الجاه و المنصب،ظنا منهم أنه ترويج للدين و المذهب،أو لوقوعهم فى الضلاله و الحيره لكثره الشك و الشبهه،أو لشوقهم إلى المراء و الجدال فى أنديه الرجال،إظهارا لتفوقهم على الأقران و الأمثال أو لإطلاق ألسنتهم على الآباء المعنويه من أكابر العلماء و أعاظم الحكماء، و لعدم تعبدهم برسوم الشرع و المله،ظنا منهم أنه مقتضى قواعد الحكمه، و لم يعلموا أن الحكمه الحقيقه ما أعطته النواميس الإلهيه و الشرائع الثبويه، فكأنهم لم يعلموا أن العلم بدون العمل ضلال،و لم يتفطنوا

قول نبيهم صلى اللّه عليه و آله و سلم: «قصم ظهرى رجلان،عالم متهتك،و جاهل

متنسک» و لم یتذکروا

قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم: «البلاهه أدنی إلی الإخلاص من فطانه بتراء» ،و کل ذلک لیس إلا لعدم سعیهم فی تهذیب الأخلاق و تحسینها و عدم الامتثال لقوله سبحانه:

وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها

(۱)

.

فصل (النفس و أسماؤها و قواها الأربع)

اشاره

ما عرفت من تجرد النفس إنما هو التجرد فی الذات دون الفعل لافتقارها فعلا-إلی الجسم و الآله،فحدّها:أنها جوهر ملکوتی یستخدم البدن فی حاجاته،و هو حقیقه الإنسان و ذاته و الأعضاء و القوی آلاته التی یتوقف فعله علیها،و له أسماء مختلفه بحسب اختلاف الاعتبارات،فیسمی (روحا)لتوقف حیاه البدن علیه و(عقلا)لإدراکه المعقولات و(قلبا) لتقلبه فی الخواطر،و قد تستعمل هذه الألفاظ فی معان أخری تعرف بالقرائن.

و له قوی أربع:قوه عقلیه ملکیه،و قوه غضبیه سبعیه،و قوه شهویه بهیمیه،و قوه وهمیه شیطانیه.و(الأولی)شأنها إدراک حقائق الأمور، و التمییز بین الخیرات و الشرور،و الأمر بالأفعال الجمیله،و النهی عن الصفات الذمیمه.و(الثانیه)موجبه لصدور أفعال السباع من الغضب و البغضاء و التوثب علی الناس بأنواع الأذی.و(الثالثه)لا-یصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبودیه الفرج و البطن،و الحرص علی الجماع و الأکل.

۱- ۱) البقره الآیه:۱۲۹.

و(الرابعه)شأنها استنباط وجوه المكر و الحيل،و التوصل إلى الأغراض بالتلبيس و الخدع، و الفائده فى وجود القوه الشهويه بقاء البدن الذى هو آله تحصيل كمال النفس،و فى وجود الغضبيه أن يكسر سوره الشهويه و الشيطانيه،و يقهرهما عند انغمارهما فى الخداع و الشهوات،و اصرارهما عليهما،لأنهما لتمردهما لا تطيعان العاقله بسهوله،بخلاف الغضبيه فإنهما تطيعانها و تتأدبان بتأديبها بسهوله.

و لذا قال أ فلاطون فى صفه السبعيه و البهيميه:«أما هذه أى السبعيه فهى بمنزله الذهب فى اللين و الانعطاف،و أما تلك أى البهيميه فهى بمنزله الحديد فى الكثافه و الامتناع» و قال أيضا:«ما أصعب أن يصير الخائض فى الشهوات فاضلا،فمن لا تطيعه الواهمه و الشهويه فى إيثار الوسط فليستعن بالقوه الغضبيه المهيجه للغيره،و الحميه حتى يقهرهما»فلو لم يمتثلا مع الاستعانه فإن لم تحصل له ندامه بعد ارتكاب مقتضاهما دل على غلبتهما على العاقله و مقهوريتها عنهما،و حينئذ لا يرجى صلاحه،و إلا فالإصلاح ممكن فليجتهد فيه و لا ييأس من روح اللّه،فإن سبل الخيرات مفتوحه، و أبواب الرحمه الإلهيه غير مسدوده.

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(1)

.

و الفائده فى القوه الوهميه إدراك المعانى الجزئيه،و استنباط الحيل و الدقائق التى يتوصل بها إلى المقاصد الصحيحه.

و بيان ذلك أن الواهمه و الخيال و المتخيله ثلاث قوى متباينه،و مياينه للقوى للثلاث الأول،و شأن الأولى إدراك المعانى الجزئيه،و شأن الثانيه إدراك الصور،و شأن الثالثه التركيب و التفصيل بينهما.و كل من مدركاتها

1- 1) العنكبوت الآيه:69.

إما مطابق للواقع،أو مخترع من عند أنفسها من غير تحقق له فى نفس الأمر أيضا،و إما من مقتضيات العقل و الشريعه،و من الوسائل إلى المقاصد الصحيحه،أو من دواعى الشيطان و ما يقتضيه الغضب و الشهوه، و على الأول يكون وجودها خيرا و كمالا،و إن كان وجودها على الثانى شرا و فسادا.و الحال فى جميع القوى كذلك.

هذا و قيل:ما ورد فى القرآن من النفس المطمئنه و اللوامه و الأماره بالسوء،إشاره إلى القوى الثلاث أعنى العاقله و السبعيه و البهيميه، و الحق أنها أوصاف ثلاثه للنفس بحسب اختلاف أحوالها،فإذا غلبت قوتها العاقله على الثلاث الأخر،و صارت منقاده لها مقهوره منها،و زال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت«مطمئنه»،لسكونها حينئذ تحت الأوامر و النواهى،و ميلها إلى ملائماتها التى تقتضى جبلتها،و إذا لم تتم غلبتها و كان بينها تنازع و تدافع،و كلما صارت مغلوبه عنها بارتكاب المعاصى حصلت للنفس لوم و ندامه سميت«لوامه».و إذا صارت مغلوبه منها مذعنه لها من دون دفاع سميت«أماره بالسوء»لأنه لما اضمحلت قوتها العاقله و أذعنت للقوى الشيطانيه من دون مدافعه،فكأنما هى الآمره بالسوء.

ثم مثل اجتماع هذه القوى فى الإنسان كمثل اجتماع ملك،أو حكيم و كلب و خنزير و شيطان فى مربط واحد،و كان بينها منازعه،و أيها صار غالبا كان الحكم له،و لم يظهر من الأفعال و الصفات إلا ما تقتضيه جبلته فكان إهاب الإنسان وعاء اجتمع فيه هذه الأربع، فالملك أو الحكيم هو القوه العاقله،و الكلب هو القوه الغضبيه،فإن الكلب ليس كلبا و مذموما للونه و صورته بل لروح معنى الكلبيه و السبعيه أعنى الضراوه و التكلب على الناس بالعقر و الجرح،و القوه الغضبيه موجبه لذلك،فمن غلب فيه هذه

القوه هو الكلب حقيقه،و إن أطلق عليه اسم الإنسان مجازا،و الخنزير هو القوه الشهويه،و الشيطان هو القوه الوهميه،و التقريب فيهما كما ذكر، و النفس لا تزال محل تنازع هذه القوى و تدافعها إلى أن يغلب إحداها، فالغضبيه تدعوه إلى الظلم و الإيذاء،و العداوه و البغضاء،و البهيميه تدعوه إلى المنكر و الفواحش،و الحرص على المآكل و المناكح،و الشيطانيه تهيّج غضب السبعيه و شهوه البهيميه،و تزيد (۱)فعلهما،و تغرى إحداهما بالأخرى و العقل شأنه أن يدفع غيظ السبعيه بتسليط الشهويه عليها،و يكسر سوره الشهويه بتسليط السبعيه عليها،و يرد كيد الشيطان و مكره بالكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذه،و نورانيته الباهره،فإن غلب على الكل يجعلها مقهوره تحت سياسته غير مقدمه على فعل إلا بإشارته جرى الكل على المنهج الوسط،و ظهر العدل فى مملكه البدن،و إن لم يغلب عليها و عجز عن قهرها قهروه و استخدموه فلا يزال الكلب فى العقر و الإيذاء،و الخنزير فى المنكر و الفحشاء،و الشيطان فى استنباط الحيل،و تدقيق الفكر فى وجوه المكر و الخدع،ليرضى الكلب و يشبع الخنزير،فلا يزال فى عباده كلب عقور أو خنزير هلوع أو شيطان عنود،فتدركه الهلاكه الأبديه،و الشقاوه السرمديه،إن لم تغثه العنايه الإلهيه،و الرحمه الأزليه.

و قد يمثل اجتماع هذه القوى فى الإنسان براكب بهيمه طالب للصيد يكون معه كلب و عين من قطاع الطريق،فالراكب هو العقل،و البهيمه هى الشهوه،و الكلب هو الغضب،و العين هو القوه الوهميه التى هى من جواسيس الشيطان،فإن كان الكل تحت سياسه الراكب فعل ما يصلح للكل و نال ما بصدده،و إن كانت الغلبه و الحكم للبهيمه أو الكلب لهلك الراكب بذهابه معهما فيما لا يصلح له من التلال و الوهاد،و اقتحامه فى موارد

۱- ۱) و فى نسختنا الخطيه هكذا«تزين».

الهلكات،و إن كان الكل تحت نهى العين و أمره،و افتتنوا بخدعه و مكره لأضلهم بتلبيسه عن سواء السبيل حتى يوصلهم إلى أيدى السارقين.

و كذلك لو كانت القوى بأسرها تحت إشاره العقل و قهرها و غلب عليها وقعت لانقيادها له المسالمه و الممازجه بين الكل،و صار الجميع كالواحد لأن المؤثر و المدبر حينئذ ليس إلا قوه واحده تستعمل كلا منها فى المواضع اللائقه و الأوقات المناسبه،فيصدر عن كل منها ما خلق لأجله،على ما ينبغى من القدر و الوقت و الكيفيه،فتصلح النفس و قواها.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها

(۱)

.

و لو لم يغلب العقل حصل التدافع و التجاذب بينه و بين سائر القوى، و يتزايد ذلك إلى أن يؤدى إلى انحلال الآله و القوه لو يصير العقل مغلوبا فتهلك النفس و قواها، وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها (۲).

(تتميم)لما تبين أن للنفس اربع قوى متخالفه،و لها قوى أخر أيضا كما تبين فى العلم الطبيعى.فيحسب غلبه بعض هذه القوى على بعض يحصل فى النفس اختلاف عظيم،و الاختلاف فى النفوس إنما هو باختلاف صفاتها الحاصله من غلبه بعض قواها المتخالفه.إذ هى فى بدو فطرتها خاليه عن جميع الأخلاق و الملكات،و ليس لها فعليه،بل هى محض القوه،و لذا ليس لها قوام بذاتها و إنما تتقوم بالبدن،ثم بتوسط قواها تكتسب العلوم و الأخلاق،و ترتسم بالصور و الأعمال إلى أن تتقوم بها،و تصل إلى

۱- ۱) الشمس الآیه:۹.

۲- ۲) الشمس الآیه:۱۰.

ما خلقت لأجله.

و لما كانت قواها متخالفه متنازعه فما لم يغلب إحداها لم تدخل النفس فى عالمه (۱)الذى يخصه فلا تزال من تنازعها معركه للآثار المختلفه و الأحكام المتباينه إلى أن يغلب إحداها فتظهر فى النفس آثاره و يدخل فى عالمه الخاص.

و لما كانت القوه العاقله من سنخ الملائكه،و الواهمه من حزب الأبالسه و الغضبيه من أفق السباع،و الشهويه من عالم البهائم،فبحسب غلبه واحده منها تكون النفس إما ملكا أو شيطانا أو كلبا أو خنزيرا،فلو كانت الغلبه و السلطنه لقهرمان العقل ظهر فى مملكه النفس أحكامه و آثاره،و انتظمت أحوالها،و لو كانت لغيره من القوى ظهر فيها آثاره فتهلك النفس و يحتل معاشها و معادها.

ثم المنشأ للتنازع و التجاذب و البقاء فى نفس الإنسانيه إنما هو قوتها العقليه لأن التدافع إنما بينها و بين سائر القوى،فليس فى نفوس سائر الحيوانات لفقدانها العاقله تنازع و تجاذب و إن اختلفت فى غلبه ما فيها من القوى،فإن الغلبه فى الشياطين للواهمه،و فى السباع للغضب،و فى البهائم للشهوه،و أما الملائكه فتنحصر قوتها بالعاقله فليس فيها سائر القوى فلا يتحقق فيها تدافع و تنازع.فالجامع لعوالم الكل هو الإنسان و هو المخصوص من بين المخلوقات بالصفات المتقابله،و لذلك صار مظهرا للأسماء المتقابله الإلهيه،و قابلا للخلافه الربانيه،و قائما بعماره عالمى الصوره و المعنى.

و الملائكه و إن كانوا مخصوصين بالجنه الروحانيه و لوازمها من الإشراقات العلميه،و توابعها من اللذات العقليه،إلا أنه ليس لهم جهه جسمانيه و لوازمها.و الأجسام الفلكيه و ان كانت لها نفوس ناطقه على قواعد الحكمه إلا أنها خاليه عن الطبائع المختلفه،و الكيفيات المتباينه،و ليس لها

۱- ۱) فى نسختنا الخطيه هكذا«فى علله التى تخصها».

فى المـدارج المتخـالفه،و المراتـب المتفـاوته،و لاـ تقلّب فى أطـوار النقص و الكمـال،و لاـ تحـول فى جميع التقـاليب و الأـحوال،بخلاـف الإنسـان فـإنه محيـط بجميع المراتب المختلفه،و سـائر فى الأـطوار المتباينه من الجماديه و النباتيه و الحيوانيه و الملكيه،و له الترقى عن جميع تلك المراتب بأن تتحقق له مرتبه مشاهـده الوحـده الصـرفه فيتجاوز عن أفق الملائكه،فهو النسـخه الجامعه لحقائق الملك و الملكوت،و المعجون المركب من عالمى الأمر و الخلق

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه خص الملك بالعقل دون الشهوه و الغضب،و خص الحيوانات بهما دونه و شرّف الإنسان بإعطاء الجميع فإن انقادت شهوته و غضبه لعقله صار أفضل من الملائكه لوصوله إلى هذه المرتبه مع وجود المنازع و الملائكه ليس لهم مزاحم».

وصل

قد ظهر بما ذكر أن الإنسان ذو جنبه روحانيه يناسب بها الأرواح الطيبه و الملائكه القادسه،و ذو جنبه جسمانيه يشابه بها السباع و الأنعام، فبالجزء الجسـمانى أقيم فى هذه العالم الحسـى مده قصيره،و بالجزء الروحانى ينتقل إلى العالم العلوى،و يقيم فيه أبدا فى مصـاحبه الأرواح القدسـيه، بشـرط أن يتحرك بقواه نحو كمالاتها الخاصه،حتى يغلب الجزء الروحانى على الجسـمانى،و ينفض عن نفسه كدورات الطبيعه،و تظهر فيه آثار الروحانيات من العلم بحقائق الأشياء و الأنس باللّه تعالى و الحب له و التحلى بفضائل الصـفات. و حينئذ يقوم بغلبه روحانيته بين الملأ الأعلى يسـتمد منهم لطائف الحكمه،و يستنير بالنور الإلهى و يزيد ذلک بحسب رفع العلائق الجسـميه،حتى إذا ارتفعت عنه حجب الغواسق الطبيعيه بأسـرها،و أزيلت عنه اسـتار العوائق الهيولانيه برمتها،خلى عن جميع الآلام و الحسرات،

و كـان أبـدا مسـرورا بـذاته،مغتبطـا بحاله،مبتهجا بما يرد عليه من فيوضات النور الأول،و لا يسرّ إلا بتلك اللـذات،و لا يغتبط إلا بهـا،و لاـ يهش إلاـ بإظهار الحكمه الحقه بين أهلها،و لا يرتاح إلا بمن ناسـبه و أحب الاقتباس منه،و لا يبالى بمفارقه الـدنيا و ما فيهـا،و يرى جسـمه و ماله و جميع خيرات الـدنيا وبالا و كلا عليه إلا ما هو ضـرورى يحتاج إليه بـدنه الـذى يفتقر إليه فى تحصـيل كماله،و يحن أبـدا إلى مصاحبه الـذوات النوريه، و لا يفعل إلا ما أراد اللّه تعالى منه،و لا يتعرض إلا لما يقربه إليه،و لا يخـالفه فى متـابعه الشـهوات الرديه،و لاـ ينخـدع بخـدائع الطـبيعه،و لاـ يلتفت إلى شـىء يعوقه عن سـعادته،و لاـ يحزن على فقد محبوب،و لا فوت مطلوب و إذا صفى من الأمور الطبيعيه بالكليه زالت عنه العوارض النفسانيه، و الخواطر الشيطانيه بأسرها،و فنى عنه إرادته المتعلقه بالأمور.و حينئذ يمتلى من المعارف الإلهيه،و الشوق الإلهى و البهجه الإلهيه،و الشعار الإلهى، و تتقرر الحقائق فى عقله كتقرر القضايا الأوليه فيه،بل يكون علمه بها أشـد إشـراقا و ظهورا من علمه بها.و إذا بلغ هذه الغايه فقد اسـتعد للوصول إلى المرتبه القصوى،و مجاوره الملأـ الأـعلى،فيصـل إلى مـا لا عين رأت، و لا أذن سـمعت،و لا خطر على قلب بشـر،و يفوز بما أشير إليه فى الكتاب الإلهى بقوله:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ

(۱)

.

ص :۶۸

۱- ۱) السجده الآيه:۱۷.

فصل (الأقوال فى الخير و السعاده و التوفيق بينها)

اعلم أن الغايه فى تهذيب النفس عن الرذائل و تكميلها بالفضائل هو الوصول إلى الخير و السعاده.و السلف من الحكماء قالوا:إن(الخير)على قسمين مطلق و مضاف،و المطلق هو المقصود من إيجاد الكل،إذ الكل يتشوقه و هو غايه الغايات،و المضاف ما يتوصل به إلى المطلق.و(السعاده) هو وصول كل شخص بحركته الإراديه النفسانيه إلى كماله الكامن فى جبلته و على هذا فالفرق بين الخير و السعاده أن الخير لا يختلف بالنسبه إلى الأشخاص،و السعاده تختلف بالقياس إليهم.

ثم الظاهر من كلام أرسطاطاليس أن الخير المطلق هو الكمالات النفسيه و المضاف ما يكون معدا لتحصيلها كالتعلم و الصحه،أو نافعا فيه كالمكنه و الثروه.

و أما السعاده فعند الأقدمين من الحكماء راجعه إلى النفوس فقط، و قالوا ليس للبدن فيها حظ،فحصروها فى الأخلاق الفاضله،و احتجوا على ذلك بأن حقيقه الإنسان هى النفس الناطقه و البدن آله لها،فلا-يكون ما يعد كمالا-له سعاده للإنسان. و عند المتأخرين منهم كأرسطو و من تابعه راجعه إلى الشخص حيث التركيب،سواء تعلقت بنفسه أو بدنه،لأن كل ما يلائم جزءا من شخص معين فهو سعاده جزئيه بالنسبه إليه، مع أنه يتعسر صدور الأفعال الجميله بدون اليسار،و كثره الأعوان و الأنصار،و البخت المسعود،و غير ذلك مما لا يرجع إلى النفس،و لذا قسموا السعاده إلى ما يتعلق بالبدن من حيث هو كالصحه و اعتدال المزاج

و إلى ما يتوصل به إلى إفشاء العوارف و مثله مما يوجب استحقاق المدح كالمال و كثره الأعوان،و إلى ما يوجب حسن الحديث و شيوع المحمده، و إلى ما يتعلق بإنجاح المقاصد و الأغراض على مقتضى الأمل،و إلى ما يرجع إلى النفس من الحكمه و الأخلاق المرضيه.و قالوا كمال السعاده لا يحصل بدون هذه الخمسه،و بقدر النقصان فيها تنقص.قالوا و فوق ذلك سعاده محضه لا تدانيها سعاده،و هو ما يفيض اللّه سبحانه على بعض عباده من المواهب،و الإشراقات العلميه،و الابتهاجات العقليه بدون سبب ظاهر.

ثم الأقدمون لذهابهم إلى نفى السعاده للبدن صرحوا بأن السعاده العظمى لا تحصل للنفس ما دامت متعلقه بالبدن،و ملوثه بالكدورات الطبيعيه، و الشواغل الماديه،بل حصولها موقوف عنها،لأن السعاده الطلقه لا تحصل لها ما لم تصر مشرقه بالإشراقات العقليه،و مضيئه بالأنوار الإلهيه،بحيث يطلق عليها اسم التام،و ذلك موقوف على تخليصها التام عن الظلمه الهيولانيه،و القصورات الماديه.

و أما المعلم الأول و اتباعه فقالوا إن السعاده العظمى تحصل للنفس مع تعلقها بالبدن أيضا،لبداهه حصولها لمن استجمع الفضائل بأسرها،و اشتغل بتكميل غيره.و ما أقبح أن يقال مثله ناقص و إذا مات يصير تاما، فالسعاده لها مراتب،و يحصل للنفس الترقى فى مدارجها بالمجاهده إلى أن تصل إلى أقصاها و حينئذ يحصل تمامها و إن كان قبل المفارقه،و تكون باقيه بعدها أيضا، ثم المتأخرون عن الطائفتين من حكماء الإسلام قالوا إن السعاده فى الأحياء لا تتم إلا باجتماع ما يتعلق بالروح و البدن،و أدناها أن تغلب السعاده البدنيه على النفسيه بالفعل،إلا أن الشوق إلى الثانيه،و الحرص على اكتسابها يكون أغلب،و أقصاها أن تكون الفعليه و الشوق كلاهما فى

الثانيه أكثر،إلا أنه قد يقع الالتفات إلى هذا العالم و تنظيم أموره بالعرض.

و أما فی الأموات فيختص بما يتعلق بالنفس فقط لاستغنائهم عن الأمور البدنيه،فتختص السعاده فيهم بالملكات الفاضله،و العلوم الحقه اليقينيه،و الوصول إلى مشاهده جمال الأبد،و معاينه جلال السرمد.و قالوا إن الأولى لشوبها بالزخارف الحسيه،و الكدورات الطبيعيه ناقصه كدره، و أما الثانيه فلخلوها عنها تامه صافيه،لأن المتصف بها يكون أبدا مستنيرا بالأنوار الإلهيه،مستضيئا بالأضواء العقليه،مستهترا (۱)بذكر اللّه و أنسه مستغرقا فی بحر عظمته و قدسه،و ليس له التفات إلى ما سوى ذلك، و لا يتصور له تحسر على فقد لذه أو محبوب،و لا شوق إلى طلب شیء مرغوب،و لا رغبه إلى أمر من الأمور،و لا رهبه من وقوع محذور، بل يكون منصرفا بجزئه العقلی مقصورا همه على الأمور الإلهيه من دون التفات إلى غيرها.

و هذا القول ترجيح لطريقه المعلم الأول من حيث إثبات سعاده للبدن و لطريقه الأقدمين من حيث نفی حصول السعاده العظمى للنفس ما دامت متعلقه بالبدن.و هو(الحق المختار)عندنا،إذ لا ريب فی كون ما هو وصله إلى السعاده المطلقه سعاده إضافيه.و معلوم أن غرض القائل بكون متعلقات الأبدان كالصحه و المال و الأعوان سعاده أنها سعاده إذا جعلت آله لتحصيل السعاده الحقيقيه لا-مطلقا،إذ لا يقول عاقل إن الصحه الجسميه و الحطام الدنيوی سعاده،و لو جعلت وسيله إلى اكتساب سخط اللّه و عقابه و حاجبه عن الوصول إلى دار كرامته و ثوابه.و كذا لا ريب فی أن النفس ما دامت متعلقه بالبدن مقيده فی سجن الطبيعه لا يحصل لها العقل الفعلی، و لا تنكشف لها الحقائق كما هی عليه انكشافا تاما،و لا تصل إلى حقيقه

۱- ۱) مستهترا به على بناء اسم المفعول أی مولع به.

ما يترتب على العلم و العمل من الابتهاجات العقليه و اللذات الحقيقيه.و لو حصلت لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون فى آن واحد و يمرّ كالبرق الخاطف.

هذا و قد ظهر من كلمات الجميع أن حقيقه الخير و السعاده ليست إلا المعارف الحقه،و الأخلاق الطيبه،و الأمر و إن كان كذلك من حيث إن حقيقتهما ما يكون مطلوبا لذاته،و باقيا مع النفس أبدا و هما كذلك،إلا أنه لا ريب فى أن ما يترتب عليهما من حب اللّه و أنسه،و الابتهاجات العقلائيه،و اللذات الروحانيه مغاير لهما من حيث الاعتبار،و إن لم ينفك عنهما و مطلوبيته لذاته أشد و أقوى،فهو باسم الخير و السعاده أولى و أحرى و إن كان الجميع خيرا و سعاده.و بذلك يحصل الجمع بين أقوال أرباب النظر و الاستدلال،و أصحاب الكشف و الحال،و اخوان الظاهر من أهل المقال،حيث ذهبت(الفرقه الأولى)إلى أن حقيقه السعاده هو العقل و العلم،و(الثانيه)إلى أنها العشق،و(الثالثه)إلى أنها الزهد، و ترك الدنيا.

فصل (لا تحصل السعاده إلا بإصلاح جميع الصفات و القوى دائما)

اشاره

لا تحصل السعاده إلا بإصلاح جميع الصفات و القوى دائما،فلا تحصل بإصلاحها بعضا دون بعض،و وقتا دون وقت،كما أن الصحه الجسميه، و تدبير المنزل،و سياسه المدن لا تحصل إلا بإصلاح جميع الأعضاء و الأشخاص و الطوائف فى جميع الأوقات، فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته و أفعاله على وجه الثبوت و الدوام بحيث لا يغيره تغير الأحوال

و الأزمـان،فلاـ يزول صبره بحـدوث المصـائب و الفتن،و لاـ شـكره بورود النوائب و المحن،و لا يقينه بكثره الشـبهات،و لا رضاه بـأعظم النكبـات، و لاـ إحسـانه بالإسـاءه،و لا صـداقته بالعـداوه.و بالجمله لا يحصل التفاوت فى حاله،و لو ورد عليه ما ورد على أيوب النبى عليه السـلام أو على برناس الحكيم،لشـهامه ذاته،و رسوخ أخلاقه و صـفاته.و عدم مبالاته بعوارض الطبيعه،و ابتهاجه بنورانيته و ملكاته الشـريفه،بل السـعيد الواقعى لتجرده و تعاليه عن الجسمانيات خارج عن تصرف الطبائع الفلكيه،متعال عن تأثير الكواكب و الأـجرام الأـثيريه فلاـ يتأثر عن سـعدها و نحسـها،و لا ينفعل عن قمرها و شمسـها.أهل التسبيـح و التقـديس لا يبالون بالتثليث و التسـديس، و ربما بلغ تجردهم و قوه نفوسـهم مرتبه تحصل لهم ملكه الاقتدار على التصـرف فى موارد الكائنات،و لو فى الأفلاك و ما فيها،كما حصل لفخر الأنبياء و سيد الأوصياء صلوات اللّه عليهما و آلهما من شق القمر و ردّ الشمس.

و قـد ظهر مما ذكر أن من يجزع بورود المصائب الـدنيويه،و يضـطرب من الكـدورات الطبيعيه،و يدخل نفسه فى معرض شـماته الأعـداء و ترحم الأحباء،خارج عن زمره السـعداء،لضـعف غريزته و غلبه الجبن على طبيعته،و عـدم نيله بعد إلى الابتهاجات التى تدفع عن النفس أمثال ذلك.

و مثله لو تكلف الصبر و الرضا و تشبه ظاهرا بالسعداء لكان فى الباطن متألما مضطربا،و هذا ليس سعاده لأن السعاده الواقعيه إنما هو صيروره الأخلاق الفاضله ملكات راسخه بحيث لا تغيرها المغيرات ظاهرا و باطنا.

بلغنا اللّه و جميع الطالبين إلى هذا المقام الشريف.

ص :٧٣

وصل (غایه السعاده التشبه بالمبدإ)

صرح الحكماء بأن غایه المراتب للسعاده أن یتشبه الإنسان فی صفاته بالمبدإ:بأن یصدر عنه الجمیل لكونه جمیلا،لا لغرض آخر من جلب منفعه،أو دفع مضره،و إنما یتحقق ذلك إذا صارت حقیقته المعبر عنها بالعقل الإلهی و النفس الناطقه خیرا محضا،بأن یتطهر عن جمیع الخبائث الجسمانیه،و الأقذار الحیوانیه.و لا یحوم حوله شیء من العوارض الطبیعیه و الخواطر النفسانیه،و یمتلئ من الأنوار الإلهیه،و المعارف الحقیقیه،و یتیقن بالحقائق الحقه الواقعیه،و یصیر عقلا محضا بحیث یصیر جمیع معقولاته كالقضایا الأولیه،بل یصیر ظهورها أشد،و انكشافها أتم،و حینئذ یكون له أسوه حسنه باللّه سبحانه،فی صدور الأفعال و تصیر إلهیه أی شبیه بأفعال اللّه سبحانه فی أنه لصرافه حسنه یقتضی الحسن،و لمحوضه جماله یصدر عنه الجمیل من دون داع خارجی،فتكون ذاته غایه فعله،و فعله غرضه بعینه،و كلما یصدر عنه بالذات و بالقصد الأول فإنما یصدر لأجل ذاته و ذات الفعل و إن ترشحت منه الفوائد الكثیره على الغیر بالقصد الثانی و بالعرض.قالوا و إذا بلغ الإنسان هذه المرتبه فقد فاز بالبهجه الإلهیه، و اللذه الحقیقیه الذاتیه،فیشمئز طبعه من اللذات الحسیه الحیوانیه،لأن من أدرك اللذه الحقیقیه علم أنها لذّه ذاتیه،و الحسیه لیست لذه بالحقیقه لتصرمها و دثورها و كونها دفع ألم.

و أنت خبیر بأن هذا التصریح محل تأمل المخالفته ظواهر الشرع فتأمل.

ص :74

فصل (بإزاء كل واحده من القوى الأربع لذه و ألم)

اشاره

لمّا عرفت أن القوى فی الإنسان أربع:قوه نظریه عقلیه،و قوه وهمیه خیالیه،و قوه سبعیه غضبیه،و قوه بهیمیه شهویه-فاعلم أنه بإزاء کل واحده منها لذه و ألم،لأن اللذه إدراک الملائم،و الألم إدراک غیر الملائم،فلکل من الغرائز المدرکه لذه هو نیله مقتضی طبعه الذی خلق لأجله،و ألم هو إدراکه خلاف مقتضی طبعه:

(فغریزه العقل)لمّا خلقت لمعرفه حقائق الأمور،فلذتها فی المعرفه و العلم،و ألمها فی الجهل،و(غریزه الغضب)لمّا خلقت للتشفی و الانتقام فلذتها فی الغلبه التی یقتضیها طبعها و ألمها فی عدمها،و(غریزه الشهوه) لمّا خلقت لتحصیل الغذاء الذی به قوام البدن،فلذتها فی نیل الغذاء، و ألمها فی عدم نیله،و هکذا فی غیرها،فاللذات و الآلام أیضا علی أربعه أقسام:العقلیه و الخالیه و الغضبیه و البهیمیه.

فاللذه العقلیه کالانبساط (۱)الحاصل من معرفه الأشیاء الکلیه و إدراک الذوات المجرده النوریه،و الألم العقلی کالانقباض الحاصل من الجهل، و اللذه الخیالیه کالفرح الحاصل من إدراک الصور و المعانی الجزئیه الملائمه، و الألم الخیالی کإدراک غیر الملائمه منها.و اللذه المتعلقه بالقوه الغضبیه کالانبساط الحاصل من الغلبه و نیل المناصب و الریاسات،و الألم المتعلق بها کالانقباض الحاصل من المغلوبیه و العزل و المرءوسیه.و اللذه البهیمیه هی المدرکه من الأکل و الجماع و أمثالهما،و الألم البهیمی ما یدرک من الجوع و العطش و الحر

۱- ۱) و فی النسخه المخطوطه عندنا«الابتهاج».

و البرد و أشباهها.و هذه اللذات و الآلام تصل إلى النفس و هى الملتذه و المتألمه حقيقه إلا أن كلا منها يصل إليها بواسطه القوه التى تتعلق بها.و الفرق بين الكل ظاهر.

و ربما يشتبه بين ما يتعلق بالوهم و الخيال و ما يتعلق بالقوه الغضبيه من حيث اشتراكهما فى الترتب على التخيل.

و يدفع الاشتباه بأن ما يتعلق بالغضبيه و إن توقف على التخيل إلا أن المتأثر بالالتذاذ و التألم بعد التخيل هو الغضبيه و بواسطتها تتأثر النفس،ففى هذا النوع من اللذه و الألم تتأثر الغضبيه ثم تتاثر النفس.

و أما ما يتعلق بالوهم و الخيال فالمتأثر بالالتذاذ و التألم هاتان القوتان و يصل التأثر منهما إلى النفس من دون توسط القوه الغضبيه.

و مما يوضح الفرق أن الالتذاذ و التألم الخياليين لا يتوقفان على وجود غلبه و مغلوبيه مثلا فى الخارج،و أما الغضبيان فيتوقفان عليهما.

ثم أقوى اللذات هى العقليه لكونها فعليه ذاتيه غير زائله باختلاف الأحوال،و غيرها من اللذات الحسيه انفعاليه عرضيه منفعله زائله،و هى فى مبدإ الحال مرغوبه عند الطبيعه،و تتزايد بتزايد القوه الحيوانيه،و تتضعف بضعفها إلى أن تنتفى بالمره،و يظهر قبحها عند العقل،و أما العقليه فهى فى البدايه منتفيه،لأن إدراكها لا يحصل إلا للنفوس الزكيه المتحليه بالأخلاق المرضيه،و بعد حصولها يظهر حسنها و شرفها،و تتزايد بتزايد القوه العقليه إلى أن ينتهى إلى أقصى المراتب،و لا يكون نقص و لا زوال.

و العجب ممن ظن انحصار اللذه فى الحسيه و جعلها غايه كمال الإنسان و سعادته القصوى. و المتشرعون منهم قصّروا اللذات الآخره على الجنه و الحور و الغلمان و أمثالها،و آلامها على النار و العقارب و الحيات و أشباهها، و جعلوا الوصول إلى الأولى و الخلاص عن الثانيه غايه فى زهدهم و عبادتهم

و كأنهم لم يعلموا أن هـذه عباده الأجراء و العبيـد تركوا قليل المشـتهيات ليصـلوا إلى كثيرها.و ليت شـعرى أن ذلك كيف يدل على الكمال الحقيقى و القرب من اللّه سـبحانه!و لا أدرى أن الباكى خوفا من النار و شوقا إلى اللـذات الجسـميه المطلوبه للنفس البهيميه كيـف يعـدّ من أهـل التقرب إلى اللّه سـبحانه و يسـتحق التعظيم و يوصـف بعلو الرتبه!و كـأنهم لم يـدركوا الابتهاجـات الروحانيه،و لا لذه المعرفه باللّه و حبّه و أنسه و لم يسمعوا

قول سيد الموحدين (۱)صلى اللّه عليه و آله

«إلهى ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا فى جنتك و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك» .

و بالجمله لا ريب فى أن الإنسان فى اللـذه الجسـميه يشارك الخنافس و الديـدان و الهمج من الحيوان،و إنما يشابه الملائكه فى البصيره الباطنه و الأخلاق الفاضله،و كيف يرتضى العاقل أن يجعل النفس الناطقه الشريفه خادمه للنفس البهيميه الحسيسه.

و العجب من هؤلاء الجماعه (۲)مع هذا الاعتقاد يعظمون من يتنزه عن الشهوات الحيوانيه و يستهين باللذات الحسيه و يتخضعون لـه و يعـدون أنفسـهم أشـقياء بالنسبه إليـه،و يـذعنون أنـه أقرب النـاس إلى اللّه سـبحانه و أعلى رتبه منهم بتنزهه عن الشـهوات الطبيعيه،و قد اتفق كلهم على تنزه مبدع الكل و تعاليه عنها مستدلين بلزوم النقص فيه لولاه،و كل ذلك يناقض رأيهم الأول.

و السر فيه أنهم و إن ذهبوا إلى هذا الرأى الفاسد إلا أنه لما كانت غريزه العقل فيهم بعد موجوده،و إن كانت ضعيفه،فيرى ما هو كمال حقيقى لجوهرها كمالا،و يحكم بنورانيتها الذاتيه،على كون ما هو فضيله

۱- ۱) المعنى به هو أمير المؤمنين على عليه الصلاه و السلام.

۲- ۲) المرادهم الذين حصروا اللذات فى الحسيه و الكلام كله فى هذا الرأى.

فی الواقع فضیله،و ما هو رذیله فی نفس الأمر رذیله،فیضطرهم إلی إکرام أهل التنزه عن الشهوات،و الاستهانه بالمکبین علیها.

و مما یدل علی قبح اللذات الحیوانیه أن أهلها یکتمونها و یخفون ارتکابها و یستحیون عن إظهارها،و إذا وصفوا بذلک تتغیر وجوههم،کما هو ظاهر من وصف الرجل بکثره الأکل و الجماع،مع أن الجمیل علی الإطلاق یحسن إذاعته،و صاحبه یجب أن یظهره و یوصف به،هذا مع أن البدیهه حاکمه بأن هذه اللذات لیست لذات حقیقیه،بل هی دفع آلام حادثه للبدن (۱)فإن ما یتخیل لذه عند الأکل و الجماع إنما هو راحه من ألم الجوع و لذع المنی و لذا لا یلتذ الشبعان من الأکل،و معلوم أن الراحه من الألم لیس کمالا و خیرا،إذ الکمال الحقیقی و الخیر المطلق ما یکون کمالا و خیرا أبدا.

إیقاظ (فیه موعظه و نصیحه)

لمّا عرفت أن الإنسان فی اللذه العقلیه یشارک الملائکه،و فی غیرها من الحسیه المتعلقه بالقوی الثلاث،أعنی السبعیه و البهیمیه و الشیطانیه، یشارک السباع و البهائم و الشیاطین-فاعلم أن من غلبت علیه إحدی اللذات

۱- ۱) الحق أن کل لذه بدنیه و نفسیه إنما هی إشباع شهوه أو غریزه تتطلب الإشباع،حتی طلب المعارف و العلم إنما هو لإشباع غریزه حب الاستطلاع، إلا أن طلب العلم لا یصل إلی حد الإشباع أبدا،و لذا قال صلی اللّه علیه و آله و سلم: «منهومان لا یشبعان طالب علم،و طالب مال»و لیست کذلک الغریزه الجنسیه و غریزه حب الأکل و أمثالهما فإنها تصل إلی حد الإشباع فتکتفی.

الأربع كانت مشاركته لما ينسب إليه أكثر حتى إذا صارت الغلبه تامه لكان هو هو.

فانظر يا حبيبى أين تضع نفسك،فإن الغلبه لو كانت لقوتک الشهويه حتى يكون أكثر همک إلى الشهوات الحيوانيه كالأكل و الشرب و الجماع و سائر النزوات البهيميه،كنت واحدا من البهائم.و إن كانت لقوتک الغضبيه حتى يكون جلّ ميلک إلى المناصب و الرياسات الرديه،و إيذاء الناس بالضرب و الشتم،و باقى الحركات السبعيه،نزلت منزله السباع،و إن كانت لقوتک الشيطانيه حتى يكون غالب سعيک فى استنباط وجوه المكر و الحيل للوصول إلى مقتضيات قوتى الشهوه و الغضب بأنواع الخداع و التلبيسات الوهميه دخلت فى حزب الأبالسه.و إن كانت لقوتک العقليه حتى يكون جدک مقصورا على«أخذ» (۱)المعارف الإلهيه و اقتفاء (۲)الفضائل الحلقيه عرجت إلى أفق الملائكه القادسه، فمن كان عاقلا غير عدو لنفسه وجب عليه أن يصرف جلّ همه فى تحصيل السعاده العلميه و العمليه،و إزاله النقائص الكامنه فى نفسه،و ليقتصر على الأمور الشهوانيه،و اللذات الجسمانيه بقدر الضروره،بأن يكتفى من الغذاء بما يحفظ اعتدال مزاجه و قوام حياته و لا يكون قصده منه الالتذاذ،بل سدّ الضروره و دفع الألم،و لا يضيع وقته فى تحصيل أزيد من ذلک،فإن تجاوز عنه فبقدر ما يحفظ رتبته، و لا يوجب مهانته و ذلته،و من اللباس بقدر ما يستر العوره،و يدفع الحر و البرد،فإن تجاوز عن ذلک فبقدر ما لا يؤدى إلى حقارته،و لا يوجب السقوط بين أقرانه و أهل طبقته،و من الجماع بقدر ما يحفظ نوعه«و يبقى

۱- ۱) لم توجد فى نسختنا الخطيه و لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

۲- ۲) فى نسختنا الخطيه هكذا«و اقتناء».

نسله،و إن تعدى فبقدر ما لا يخرجه عن السنه،و ليحذر عن الانهماك فى مقتضيات قوتى الشهوه و الغضب،لأنه يوجب الشقاوه الدائمه و الهلاكه السرمديه. فاللّه اللّه فى نفوسكم معاشر الإخوان أدركوها قبل أن تغرقوا فى بحار المهالك،و تنبهوا عن نوم الغفله قبل أن تنسد عليكم السبل و المهالك و بادروا إلى تحصيل السعادات قبل أن تستحكم فيكم الملكات المهلكه، و العادات المفسده،فإن إزاله الرذائل بعد استحكامها فى غايه الصعوبه و المجاهده مع أحزاب الشياطين بعد الكبر قلما يفيد الأثر،و الغلبه على النفس الأماره بعد ضعف الهرم فى غايه الإشكال،إلا أنه فى أى حال لا ينبغى أن تيأسوا من روح اللّه،فاجتهدوا بقدر القوه و الاستطاعه،فإنه خير من التمادى فى الباطل،فلعل اللّه يدرككم بعظيم رحمته.

و لقد قال الشيخ (۱)الفاضل أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه،

ص :۸۰

---

۱ - ۱) هو الحكيم الأعظم و الفيلسوف الأكبر«أبو على أحمد بن محمد»بن يعقوب ابن مسكويه الخازن«الرازى»الأصل و الأصفهانى المسكن و الخاتمه كان من أعيان العلماء و أركان الحكماء معاصرا للشيخ أبى على بن سينا،صحب الوزير المهلبى فى أيام شبابه و كان من خاصته إلى أن أتصل بصحبه«عضد الدوله«البويهى فصار من كبار ندمائه و رسله إلى نظرائه ثم اختص بالوزير«ابن العميد»«و ابنه«أبى الفتح»له مؤلفات كثيره بعضها فى الحكمه و منه كتاب«الفوز الأكبر»و كتاب «الفوز الأصغر»«و جاويدان خرد»بالفارسيه فى الحكمه و هو يقرب من خمسه آلاف بيت و بعضها فى التاريخ و منه«تجارب الأمم»و بعضها فى الأخلاق و منه كتاب«الطهاره»المشهور و هو الذى قصده«المصنف ره»هنا لأنه أول كتاب صنف فى علم الأخلاق،و قد مدحه أستاذ البشر و أعلم أهل البدو و الحضر الحجه الأعظم الفيلسوف المحقق الخواجه«نصير الدين الطوسى»قدس سره بأبيات. و كان(ره)من علمائنا الإماميه قدس اللّه أسرارهم و قبره(بأصفهان)على باب-

و هو الأستاذ فی علم الأخلاق،و أقدم الإسلامیین فی تدوینه،«إنی تنبهت عن نوم الغفله بعد الکبر و استحکام العاده،فتوجهت إلی فطام نفسی عن رذائل الملکات،و جاهدت جهادا عظیما حتی وفقنی اللّه لاستخلاصها عما یهلکها،فلا ییأس أحد من رحمه اللّه،فإن النجاه لکل طالب مرجوه، و أبواب الإفاضه أبدا مفتوحه»فبادروا إخوانی إلی تهذیب نفوسکم قبل أن یصیر الرئیس مرؤسا،و العقل مقهورا،فیفسد جوهرکم،و تمسخ حقیقتکم،و یدرککم الانتکاس فی الخلق الذی هو خروج عن أفق الإنسان و دخول فی زمره البهائم و السباع و الشیاطین،نعوذ باللّه من ذلک،و نسأله العصمه من الخسران الذی لا نهایه له.و قد شبه الحکماء من أهمل سیاسه نفسه الغافله بمن له یاقوته شریفه حمراء،فرماها فی نار مضطرمه فیحرقها حتی تصیر کلسا (۱)لا منفعه فیها.

[تتمیم]و لا تظنن أن ما یفوت عن النفس من الصفاء و البهجه لأجل ما یعتریها من الکدره الحاصله معصیه من المعاصی یمکن تدارکه،فإن ذلک محال،إذ غایه الأمر أن تتبع تلک المعصیه بحسنه تمحی آثارها،و تعید النفس إلی ما کانت علیه قبل تلک المعصیه،فلا تزداد بتلک الحسنه إشراقا و سعاده،و لو جاء بها من دون سیئه لزاد بها نور القلب و بهجته،و حصلت له درجه فی الجنه،و لما تقدمت السیئه سقطت هذه الفائده و انحصرت

۱)

(درب جناد)و قد اشتهر أن السید(الداماد)الذی کان من أعاظم علمائنا و أکابر حکمائنا کان کلما اجتاز یقف علی قبره و یقرأ الفاتحه (الترجمه عن الکنی و الألقاب للمحدث الشهیر الحاج شیخ(عباس القمی) قدس سره مع تصرف یسیر منا).

۱- ۱) الکلس ما یقوم به الحجر و الرخام و نحوهما و یتخذ منها باحراقها.

فائدتها فی مجرد عود القلب إلی ما کان علیه قبلها،و هذا نقصان لا حیله لجبره و مثال ذلک أن المرآه التی تدنست بالخبث و الصدأ إذا مسحت بالمصقله و إن زال به هذا الخبث،إلا أنه لا تزید به جلاء و صفاء،بخلاف ما إذا لم تتدنس أصلا،فإن التصقیل یزیدها صفاء و جلاء، و إلی ما ذکر

أشار النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بقوله: «من قارف ذنبا فارقه عقل لم یعد إلیه أبدا».

ص:۸۲

الباب الثانی فی بیان أقسام الأخلاق و تفصیل القول فیها

اشاره

«و فیه فصول» أجناس الفضائل الأربعه و الأقوال فی حقیقه العداله-حقیقه العداله انقیاد العقل العملی للعقل النظری و لوازم الأقوال فی العداله-العقل النظری هو المدرک للفضائل و الرذائل-دفع إشکال فی تقسیم الحکمه- تحقیق الوسط و الأطراف- أجناس الرذائل و أنواعها-الفرق بین الفضیله و الرذیله-العداله أشرف الفضائل-إصلاح النفس قبل إصلاح الغیر و أشرف وجوه العداله عداله السلطان-لا حاجه إلی العداله مع رابطه المحبه- التکمیل الصناعی لاکتساب الفضائل علی طبق ترتیب الکمال الطبیعی.

ص :۸۳

فصل (أجناس الفضائل الأربع و الأقوال فی حقيقه العداله)

اشاره

قد تبين فی العلم الطبيعی أن للنفس الناطقه قوتين:«أولاهما»:قوه الإدراک و«ثانيتهما»:قوه التحريک،و لکل منهما شعبتان: (الشعبه الأولی) للأولی العقل النظری،و هو مبدأ التأثر عن المبادئ العاليه بقبول الصور العلميه،و (الشعبه الثانيه)لها العقل العملی،و هو مبدأ تحريک البدن فی الأعمال الجزئيه بالرويه (۱)و هذه الشعبه من حيث تعلقها بقوتی الشهوه و الغضب مبدأ«لحدوث» (۲)بعض الکيفيات الموجبه لفعل أو انفعال، کالخجل و الضحک و البکاء و غير ذلک،و من حيث استعمالها الوهم و المتخيله مبدأ لاستنباط الآراء و الصنائع الجزئيه.و من حيث نسبتها بالعقل و حصول الازدواج بينهما سبب لحصول الآراء الکليه المتعلقه بالأعمال کحسن الصدق و قبح الکذب،و نظائرهما. (الشعبه الأولی)للثانيه قوه الغضب و هی مبدأ دفع غير الملائم علی وجه الغلبه،و(الشعبه الثانيه)لها قوه الشهوه و هی مبدأ جلب الملائم.

ثم إذا کانت القوه الأولی غالبه علی سائر القوی و لم تنفعل عنها،بل کانت هی مقهوره عنها مطيعه لها فيما تأمرها به و تنهاها عنه،کان تصرف کل منها علی وجه الاعتدال،و انتظمت أمور النشأه الإنسانيه،و حصل تسالم

۱- ۱) إذا کان العقل العملی مبدأ لتحريک البدن فهو قوه تحريک لا قوه إدراک و فی الحقيقه أن غرضهم من العقل العملی هو إدراک ما ينبغی أن يعمل.

۲- ۲) و فی النسخه المخطوطه عندنا«الحصول».

القوى الأربع و تمازجها،فتهذب كل واحد منها،و يحصل له ما يخصه من الفضيله،فيحصل،من تهذيب العاقله العلم و تتبعه الحكمه،و من تهذيب العامله العداله،و من تهذيب الغضبيه الحلم و تتبعه الشجاعه،و من تهذيب الشهويه العفه و تتبعه السخاوه.و على هذا تكون العداله كمالا للقوه العمليه.

(بطريق آخر)

قيل:إن النفس لما كانت ذات قوى أربع العاقله و العامله و الشهويه و الغضبيه،فإن كانت حركاتها على وجه الاعتدال،و كانت الثلاث الأخيره مطيعه للأولى،و اقتصرت من الأفعال على ما تعين لها،حصلت أولا-فضائل ثلاث هى الحكمه و العفه و الشجاعه،ثم يحصل من حصولها المترتب على تسالم القوى الأربع،و انقهار الثلاث تحت الأولى حاله متشابهه هى كمال القوى الأربع و تمامها،و هى العداله.و على هذا لا تكون العداله كمالا للقوه العمليه فقط،بل تكون كمالا للقوى بأسرها:

و على الطريقين تكون أجناس الفضائل أربعا:«الحكمه»و هى معرفه حقائق الموجودات على ما هى عليه،و الموجودات إن لم يكن وجودها بقدرتنا و اختيارنا فالعلم المتعلق بها هو الحكمه النظريه،و إن كان وجودها بقدرتنا و اختيارنا فالعلم المتعلق بها هو الحكمه العمليه.«و العفه»هى انقياد القوه الشهويه للعاقله فيما تأمرها به و تنهاها عنه حتى تكتسب الحريه،و تتخلص عن أسر عبوديه الهوى.« و الشجاعه»و هى إطاعه القوه الغضبيه للعاقله فى الأقدام على الأمور الهائله،و عدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها حتى يكون فعلها ممدوحا،و صبرها محمودا.و تفسير هذه الفضائل الثلاث

لا يتفاوت بالنظر إلى الطريقين.

و أما«العداله»فتفسيرها على الطريق الأول هو انقياد العقل العملى للقوه العاقله و تبعيته لها فى جميع تصرفاته،أو ضبطه الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل و الشرع الذى يحكم العقل أيضا بوجوب اطاعته،أو سياسه قوتى الغضب و الشهوه،و حملها على مقتضى الحكمه،و ضبطهما فى الاسترسال و الانقباض على حسب مقتضاه.و إلى هذا يرجع تعريف الغزالى«إنها حاله للنفس و قوه بها يسوس الغضب و الشهوه،و يحملهما على مقتضى الحكمه، و يضبطهما فى الاسترسال و الانقباض على حسب مقتضاها»إذ المراد من الحاله و القوه هنا قوه الاستعلاء التى للعقل العملى لا نفس القوه العمليه.

و تفسيرها على الطريق الثانى هو ائتلاف جميع القوى،و اتفاقها على امتثالها للعاقله،بحيث يرتفع التخالف و التجاذب،و تحصل لكل منها فضيلته المختصه به.و لا ريب فى أن اتفاق جميع القوى و ائتلافها هو كمال لجميعها لا للقوه العمليه فقط.

اللهم إلا أن يقال إن الائتلاف إنما يتحقق باستعمال كل من القوى على الوجه اللائق،و استعمال كل قوه و لو كانت قوه نظريه إنما يكون من القوه العمليه،لأن شأنها تصريف القوى فى المحال اللائقه على وجه الاعتدال،و بدونها لا يتحقق صدور فعل عن قوه.

ثم العداله على الطريق الأول تكون أمرا بسيطا مستلزمه للملكات الثلاث أعنى الحكمه و العفه و الشجاعه،و على الثانى تحتمل البساطه و التركيب على الظاهر،و إن كانت البساطه أقرب نظرا إلى أن الاعتدال الخلقى بمنزله الاعتدال المزاجى الحاصل من ازدواج العناصر المتخالفه،و قد برهن فى

أصول الحكمه أن المزاج كيفيه بسيطه.

و تفصيل الكلام فى المقام أنه إذا حصلت الملكات الثلاث حصل للعقل العملى قوه الاستعلاء و التدبير على جميع القوى،بحيث كانت الجميع منقاده له،و استعمل كلا منها على ما يقتضيه رأيه،فإن جعلت العداله عباره عن نفس هذه القوه،أو نفس تدبير التصرف فى البدن و أمور المنزل و البلد، دون الملكات الثلاث كانت العداله بسيطه و كانت كمالا للعقل العملى فقط، و إن جعلت نفس الملكات كانت مركبه،و حينئذ لا يناسب جعلها فضيله على حده معدوده فى إعداد الفضائل،لأن جميع الأقسام لا يكون قسما منها، و ليس الائتلاف و الامتزاج هيئه وحدانيه عارضه للملكات الثلاث حتى تكون شيئا على حده و نوعا مركبا.

ثم على الطريقين يتحقق التلازم بين العداله و الملكات الثلاث إلا أنه على الطريق الأول تكون العداله عله،و الملكات الثلاث معلوله،و على الطريق الثانى ينعكس ذلك لتوقف حصول العداله على وجود تلك الملكات و امتزاجها فهى أجزاء للعداله او بمنزلتها.

تكمله (العداله انقياد العقل العملى للعقل النظرى)

الحق أن حقيقه العداله هو التفسير الأول المذكور فى الطريق الأول، أعنى انقياد العقل العملى للقوه العاقله،و سائر التفاسير المذكوره فى الطريقين لازمه له،إذا الانقياد المذكور يلزمه اتفاق القوى و قوه الاستعلاء و السياسه للعقل العملى على قوتى الغضب و الشهوه،أو نفس سياسته إياهما و ضبطهما تحت إشاره العقل النظرى،و أمثال ذلك،و على هذه التفاسير اللازمه

للأول يلزم أن تكون العداله جامعه لجميع الفضائل،و يتحقق معناها فى كل فضيله حتى تكون فردا لها.

و تحقيق المقام أن انقياد العقل العملى للعاقله يستلزم ضبط قوتى الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل،و سياسته إياهما،و استعلائه عليهما.و هذا يستلزم اتفاق جميع القوى و امتزاجها.فجميع الفضائل الصادره عن قوتى الغضب و الشهوه،بل عن العاقله أيضا إنما تكون بتوسط العقل العملى و ضبطه إياها،إلا أن ذلك لا يوجب كونها كمالا له حتى يعد من فضائله، و وجهه ظاهر،و لا كون الضبط المذكور عداله.

فالحق أن حقيقه العداله هو مجرد انقياد العامله للعاقله،و مثل الضبط و الاستعلاء و السياسه من لوازمه،و الفضائل الصادره عن القوى الأخرى بتوسط العقل العملى إنما تندرج تحت لازم العداله،لا عينها،فمن أدرج جميع الفضائل تحت العداله نظره إلى اعتبار ما يلزمها،و من لم يدرجه تحتها نظره إلى عدم اعتباره.و على هذا لا بأس بأن يقال إن للعداله إطلاقين (أحدهما)العداله بالمعنى الأخص(و ثانيهما)العداله بالمعنى الأعم.

ثم إن القوم ذكروا لكل واحد من الفضائل الأربع أنواعا،فكما أدرجوا تحت كل من الحكمه و العفه و الشجاعه أنواعا،فكذا أدرجوا تحت العداله أيضا أنواعا كالوفاء و الصداقه و العباده و غيرها.

و أنت-بعد ما علمت أن العداله بالتفسير الأول هو انقياد العامله للعاقله فى استعمال نفس العاقله و قوتى الغضب و الشهوه-تعلم أن الفضائل بأسرها إنما تحصل باستعمال العامله القوى الثلاث،فكل فضيله إنما تتعلق حقيقتها بإحدى الثلاث،و إن كان حصولها بتوسط العامله و ضبطها الثلاث،إذ كون الاستعمال و الضبط منها لا يقتضى استناد ما يحصل من

الفضائل باستعمالها إليها مع صدورها حقيقه عن سائر القوى.و كذا لا يقتضى استناد ما يحصل من الرذائل لعدم انقيادها للعاقله إليها.و معلوم أنه لا يترتب على مجرد انقيادها أو عدمه لها فضائل و رذائل لم يكن لها تعلق بالثلاث أصلا،إذ كل فضيله و رذيله إما متعلق بالقوه العقليه،أو بقوتى الغضب و الشهوه بتوسط العامله،و ليس لها فى نفسها فضيله و رذيله على حده كما لا يخفى.مع أنه لو كان الاستعمال و الضبط منشأ لاستناد ما يحصل من الفضائل إليها لزم أن تستند إليها جميع الفضائل،فكان اللازم إدخال جميع الفضائل تحت العداله.و كذا الحال على تفسير العداله بالطريق الثانى كما ظهر.

و على هذا فيلزم من عدهم بعض الفضائل من أنواع العداله دون بعض آخر تخصيص بلا مخصص،فالفضائل التى جعلوها أنواعا مندرجه تحت العداله بعضها من أنواع الشجاعه أو لوازمها،و بعضها من أنواع العفه أو آثارها،و إن كان للعامله من حيث التوسط مدخليه فى حصول الجميع.

فنحن لا نتابع القوم،و نجرى على مقتضى النظر من جعل أنواع الفضائل و الرذائل و أصنافها و نتائجها متعلقه بالقوى الثلاث دون العقل العملى، و إدخال جميعها تحت أجناسها على ما ينبغى من دون إدخال شىء منها تحت العداله و ضدها.

ثم إن الرذائل و الفضائل مع مدخليه القوه العمليه فيها بالاستعمال، إما متعلقه بمجرد إحدى القوى الثلاث،أو باثنتين منها،أو بالثلاث.

و مثال المتعلق بإحداها ظاهر كالجهل و العلم المتعلقين بالعاقله،و الغضب و الحلم المتعلقين بالقوه الغضبيه،و الحرص و القناعه المتعلقين بالقوه الشهويه و أما ما يتعلق باثنتين منها أو الثلاث فإما أن يكون له أصناف يتعلق بعضها

ببعض و بعضها ببعض آخر،كحب الجاه أعنى طلب المنزله فى القلوب:فإنه إن كان المقصود منه الاستيلاء على الخلق و التفوق عليهم،كان من رذائل قوه الغضب.و إن كان المقصود منه طلب المال ليتوسل به إلى شهوه البطن و الفرج،كان من رذائل قوه الشهوه،و كذا الحسد أعنى تمنى زوال النعمه عن الغير:إن كان باعثه العداوه كان من رذائل القوه الغضبيه.و إن كان باعثه مجرد وصول النعمه إليه كان من رذائل القوه الشهويه.أو يكون للثلاث أو الاثنتين مدخليه بالاشتراك فى نوع الفضيله و الرذيله أو بعض أصنافه،كالحسد الذى باعثه العداوه و توقع وصول النعمه إليه معا، و كالغرور و هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى،و تمييل النفس إليه بخدعه من الشيطان، فإن النفس إن كانت مائله بالطبع إلى شىء من مقتضيات الشهوه،و اعتقدت جهلا كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الشهوه،و كان كانت مائله إلى شىء من مقتضيات قوه الغضب.و اعتقدت جهلا كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الغضب،و إن كانت مائله إلى شىء من مقتضياتهما معا مع اعتقادها كونه خيرا لها كان من رذائل الثلاث معا.

ثم مرادنا من تعلق صفه بالقوى المتعدده و كونها معدوده من رذائلها أو فضائلها أن يكون لكل منها تأثير فى حدوثها و إيجادها،أى يكون من جمله عللها الفاعله الموجده،بحيث لو قطع النظر عن فعل واحده منها لم تتحقق هذه الصفه،فإن الغرور يتحقق بالميل و الاعتقاد،بمعنى أن كلا منهما مؤثر فى إيجاده و إحداثه،و لو لم يكن الاعتقاد المتعلق بالعاقله و الميل المتعلق بالشهوه و الغضب لم يوجد غرور.فلو كانت مدخليه قوه فى صفه بمجرد

الباعثیه،أی کانت باعثه لقوه أخری علی إیجاد هذه الصفه و إحداثها، بحیث أمکن تحقق هذه الصفه مع قطع النظر عن هذه القوه بباعث آخر لم یکن متعلقه بها،و لم نعدها من رذائلها أو فضائلها،بل کانت متعلقه بالقوه الأخری التی هی مباشره لإحداثها و إیجادها،مثل الغضب الحاصل من فقد شیء من مقتضیات شهوه البطن و الفرج،و إن کان باعثه قوه الشهوه إلا أنه لیس لقوه الشهوه و فعلها شرکه فی إحداثه و إیجاده،بل الإحداث إنما هو من القوه الغضبیه،و مدخلیه الشهویه إنما هو بتحریکها و تهییجها الغضبیه للإحداث و الإیجاد،و لا ریب فی أن للعاقله هذه الباعثیه فی صدور أکثر الصفات مع عدم عدها من رذائلها«أو فضائلها» (۱) و إذا عرفت ذلک فاعلم أنا نذکر أولا ما یتعلق بالعاقله من الرذائل و الفضائل،ثم ما یتعلق بالقوه الغضبیه منهما،ثم ما یتعلق بالشهویه منهما ثم ما یتعلق بهما أو الثلاث.

وصل العقل النظری هو المدرک للفضائل و الرذائل

اعلم أن کل واحد من العقل العملی و العقل النظری رئیس مطلق من وجه،أما«الأول»فمن حیث إن استعمال جمیع القوی حتی العاقله علی النحو الأصلح موکول إلیه،و أما«الثانی»فمن حیث إن السعاده القصوی و غایه الغایات أعنی التحلی بحقائق الموجودات مستنده إلیه،و أیضا إدراک ما هو الخیر و الصلاح من شأنه فهو المرشد و الدلیل للعقل العملی فی تصرفاته

۱- ۱) لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری و فی المطبوعه.

و قیل:إن إدراک فضائل الأعمال و رذائلها من شأن العقل العملی،کما صرح به الشیخ فی الشفاء بقوله:«إن کمال العقل العملی استنباط الآراء الکلیه فی الفضائل و الرذائل من الأعمال علی وجه الابتناء علی المشهورات المطابقه فی الواقع للبرهان،و تحقیق ذلک البرهان متعلق بکمال القوه النظریه».

و الحق أن مطلق الإدراک و الإرشاد إنما هو من العقل النظری فهو بمنزله المشیر الناصح،و العقل العملی بمنزله المنفذ الممضی لإشاراته و ما ینفذ فیه الإشاره فهو قوه الغضب و الشهوه.

ص :۹۲

دفع الإشكال فى تقسيم الحكمه

إن قيل:إن القوم قسموا الحكمه أولا إلى النظريه و العمليه،ثم قسموا العمليه إلى ثلاثه أقسام:واحد منها علم الأخلاق المشتمل على الفضائل الأربع التى إحداها الحكمه،فيلزم أن تكون الحكمه قسما من نفسها.

قلنا:الحكمه التى هى المقسم هو العلم بأعيان الموجودات،سواء كانت الموجودات إلهيه أى واقعه بقدره البارى سبحانه،أو موجودات إنسانيه أى واقعه بقدرتنا و اختيارنا،و لما كان هذا العلم أعنى الحكمه التى هى المقسم قسما من الموجودات بالمعنى الثانى،فلا بأس بالبحث عنه فى علم الأخلاق، فإن غايه ما يلزم أن تكون الحكمه موضوعا لمسأله هى جزؤها بأن يجعل عنوانا فيها و يحمل عليها كونها ملكه محموده،أو طريق اكتسابها كذا.

و بالجمله لا مانع من أن يجعل علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات موضوعا لمسأله،و يبحث عنه فيه بإثبات صفه له لأجل أنه أيضا الموجودات كما أنه فى العلم الأعلى الذى يبحث فيه عن الموجودات من حيث وجودها يبحث عن نفس العلم لكونه من الموجودات،و يجعل موضوعا لمسأله من مسائله،و لا يلزم من هذا كون الشىء جزءا لنفسه.و أيضا نقول كما أن الحكمه العمليه قسم من مطلق الحكمه لتعلق العمل بالنظر،فكذا المطلق قسم منها لتعلق النظر بالعمل،و حينئذ كما أن العداله من الحكمه باعتبار فكذا الحكمه من العداله باعتبار آخر،فتختلف الحيثيه و لا يلزم محذور.

و قيل:فى الجواب إن المراد من الحكمه التى هى إحدى الفضائل الأربع

استعمال العقل على الوجه الأصلح،و حينئذ فلا يرد اشكال أصلا لعدم كون الحكمه بهذا المعنى عين المقسم لأنها جزء له.و فيه أن الحكمه بهذا المعنى هى العداله على ما تقرر،مع أن العداله أيضا إحدى الفضائل الأربع (تنبيه)قد صرح علماء الأخلاق بأن صاحب الفضائل الأربع لا يستحق المدح ما لم تتعد فضائلها إلى الغير،و لذا لا يسمى صاحب ملكه السخاء بدون البذل سخيا بل منافقا،و لا صاحب ملكه الشجاعه بدون ظهور آثارها شجاعا بل غيورا،و لا صاحب ملكه الحكمه بدونها حكيما بل مستبصرا.

و الظاهر أن المراد باستحقاق المدح هو حكم العقل بوجوب المدح، فإن من تعدى أثره يرجى نفعه،و يخاف ضره،فيحكم العقل بلزوم مدحه جلبا للنفع،أو دفعا للضرر،و أما من لا يرجى خيره و شره فلا يحكم العقل بوجوب مدحه و ان بلغ فى الكمال ما بلغ.

فصل تحقيق الوسط و الأطراف

لا ـ ريب فى أنه بإزاء كل فضيله رذيله هى ضدها،و لما عرفت أن أجناس الفضائل أربعه فأجناس الرذائل أيضا فى بادى النظر أربعه:

الجهل،و هو ضد الحكمه،و الجبن،و هو ضد الشجاعه،و الشره و هو ضد العفه،و الجور،و هو ضد العداله. و عند التحقيق يظهر أن لكل فضيله حدا معينا،و التجاوز عنه بالإفراط أو التفريط يؤدى إلى الرذيله،فالفضائل بمنزله الأوساط،و الرذائل بمثابه الأطراف،و الوسط واحد معين لا يقبل

التعدد،و الأطراف غير متناهيه عددا.فالفضيله بمثابه مركز الدائره، و الرذائل بمثابه سائر النقاط المفروضه من المركز إلى المحيط،فإن المركز نقطه معينه،مع كونه أبعد النقاط من المحيط،و سائر النقاط المفروضه من جوانبه غير متناهيه،مع أن كلا منها أقرب منه من طرف إليه.

فعلى هذا يكون بإزاء كل فضيله رذائل غير متناهيه،لأن الوسط محدود معين،و الأطراف غير محدوده،و تكون الفضيله فى غايه البعد عن الرذيله التى هى نهايه الرذائل،و يكون كل منها أقرب منها إلى النهايه (1)،و مجرد الانحراف عن الفضيله من أى طرف اتفق يوجب الوقوع فى رذيله.

و الثبات على الفضيله و الاستقامه فى سلوك طريقها بمنزله الحركه على الخط المستقيم،و ارتكاب الرذيله كالانحراف عنه،و لا ريب فى أن الخط المستقيم هو أقصر الخطوط الواصله بين النقطتين،و هو لا يكون إلا واحدا،و أما الخطوط المنحنيه بينهما فغير متناهيه،فالاستقامه فى طريق الفضيله و ملازمتها على نهج واحد،و الانحراف عنه تكون له مناهج غير متناهيه،و لذلك غلبت دواعى الشر على بواعث الخير.

و يظهر مما ذكر أن وجدان الوسط الحقيقى صعب،و الثبات عليه بعد الوجدان أصعب،لأن الاستقامه على جاده الاعتدال فى غايه الإشكال، و هذا معنى قول الحكماء«إصابه نقطه الهدف أعسر من العدول عنها، و لزوم الصوب (2)بعد ذلك حتى لا يخطيها أسر»و لذلك لما أمر فخر

1- 1) أى أن كلا من الرذائل أقرب من الفضيله إلى النهايه.

2- 2) الصواب:يقال فلان مستقيم الصوب إذا لم يزغ عن قصده يمينا و شمالا.

الرسل بالاستقامه فى قوله تعالى:

فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ

(۱)

قال شیبتنى سوره هود علیه السلام، إذ وجد أن الوسط الحقیقى فیما بین الأطراف الغیر المتناهیه المتقابله مشکل،و الثبات علیه بعد الوجدان أشکل.

و قال(المحقق الطوسى)و جماعه:«إن ما ورد فى إشارات النوامیس من أن الصراط المستقیم أدق من الشعر،و أحد من السیف إشاره إلى هذا المعنى»و غیر خفى بأن هذا التأویل جرأه على الشریعه القویمه،و هتک لأستار السنه الکریمه،و الواجب الإذعان بظاهر ما ورد من أمور الآخره نعم یمکن أن یقال کما مر: إن الأمور الأخرویه التى حصل بها الوعد و الوعید کلها أمور محققه ثابته على ما أخبر به،إلا أنها صور للأخلاق، و الصفات المکتسبه فى هذه النشأه قد ظهرت بتلک الصور فى دار العقبى بحسب المرتبه،إذ ظهورات الأشیاء مختلفه بحسب اختلاف المراتب و النشآت فمواد ما یؤذى و یریح من الصور فى موطن المعاد انما هو الأخلاق و النیات المکتسبه فى هذه النشأه.و هذا المذهب بما استقر علیه آراء أساطین الحکمه و العرفان،و ذکرنا الظواهر الداله علیه من الآیات و الأخبار،و أشرنا إلى حقیقه الحال فیه.و على هذا فالصراط المستقیم الممدود کالجسر على الجحیم صوره لتوسط الأخلاق،و الجحیم صوره لأطرافها،فمن ثبت قدمه على الوسط هنا لم یزل عن الصراط هناک و وصل إلى الجنه التى وعدها اللّه المتقین،و من مال إلى الأطراف هنا سقط هناک فى جهنم التى أحاطت بالکافرین.

۱- ۱) هود الآیه:۱۱۲.

ثم الوسط إما حقيقى و هو ما تكون نسبته إلى الطرفين على السواء كالأربعه بالنسبه إلى الاثنين و السته،و هذا كالمعتدل الحقيقى الـذى أنكر الأطبـاء وجوده،أو إضـافى و هو أقرب مـا يمكن تحققه للنوع أو الشـخص إلى الحقيقى و يتحقق به كمالهمـا«اللائـق بحالهما» (۱)و إن لم يصـل إليه، فالتسـميه بالوسط إنما هو بالنسـبه إلى الأطراف التى هى أبعـد من الحقيقى بالإضافه إليه،و هـذا كالاعتـدالات النوعيه و الشخصـيه التى أثبتهـا الأطباء، فإن المراد منها الاعتـدالات التى يمكن تحققها للأنواع و الأشـخاص،و هو القـدر الـذى يليق بكـل نوع أو شـخص أن يكون عليه،و إن لم يكن اعتـدالا حقيقيـا بمعنى تسـاوى الأجزاء البسـيطه العنصـريه و تكافؤها فى القوه و الأقربيه إلى الحقيقى بالنسبه إلى سائر الأطراف سمى إضافيا.

ثم الوسط المعتبر هنا هو الإضافى لتعذر وجدان الحقيقى و الثبات عليه، و لذا تختلف الفضيله بالاختلاف الأشخاص و الأحوال و الأزمان،فربما كانت مرتبه من الوسط الإضافى فضيله بالنظر إلى شخص او حال أو وقت،و رذيله بالنسبه إلى غيره.

و توضيـح الكلام أنه لا ريب فى أن الوسط الحقيقى فى الأخلاق لكونه فى حكم نقطه غير منقسـمه لا يمكن وجدانه و لا الثبات عليه،و لـذا ترى من هو متصف بفضـيله من الفضائل لا يمكن الحكم بكون تلك الفضـيله«هى الوسط الحقيقى،إلا أنه لما كانت تلك الفضيله» (۲)قريبه إليه و لا يمكن

۱- ۱) غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

۲- ۲) هذه العباره بتمامها لم توجد فى نسختنا الخطيه.

وجود الأقرب منها إليه له،يحكم بكونها وسطا إضافيا لأقربيتها إليه بالنسبه إلى سائر المراتب فالاعتدال الإضافى له عرض،وسطه الاعتدال الحقيقى،و طرفاه طرفا الإفراط و التفريط،إلا أنه ما لم يخرج عن هذين الطرفين يكون اعتدالا إضافيا،و كلما كان أقرب إلى الحقيقى كان أكمل و أقوى،و إذا خرج عنهما دخل فى الرذيله.

لا يقال:على هذا ينبغى أن يكون الاعتدال الطبى فى المزاج أيضا كذلك أى له عرض وسطه الاعتدال الحقيقى و طرفاه خارجان عن الاعتدال الطبى حتى أنه كلما قرب إلى الحقيقى صار الطبى أقوى و أكمل مع أنه ليس الأمر كذلك،إذ القياس يقتضى الخروج عن الاعتدال الطبى،أو ضعفه لقربه إلى الحقيقى.

«بيان ذلك»أن الاعتدال الحقيقى فى المزاج أن تكون أجزاء العناصر متكافئه القوه،و الاعتدال الطبى فى نوع الإنسان أو شخص من أشخاصه أن تكون الأجزاء الحاره مثلا-من عشره إلى اثنى عشره،و البارده من ثمانيه إلى تسعه،و اليابسه من سبعه إلى ثمانيه،و الرطبه من سته إلى سبعه،فإذا كانت الأجزاء الحاره سته،و البارده خمسه،و اليابسه أربعه،و الرطبه ثلاثه كانت خارجه عن الاعتدال الطبى،مع صيرورته أقرب إلى الحقيقى، بل إذا فرضت تكافؤ أجزاء العناصر الأربعه حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقى خرجت أيضا عنه،فلا يكون الحقيقى وسط الطبى حتى أنه كلما يصير إليه أقرب يكون أقوى و أكمل.

لأنا نقول نحن لا-ندعى:أن الحقيقى وسط الطبى بل هو أمر مغاير له، و الحقيقى فى طرفه الخارج،فإن له طرفين:«أحدهما»أن تصير الأجزاء

أقرب فى التساوى مما كان للطبى إلى أن يبلغ إلى الحقيقى،«و الثانى»أن يصير أبعد فيه مما كان له إلى غير النهايه،إلا أن بعض مراتب الطرفين التى منها الاعتدال الحقيقى غير ممكن الوقوع فتأمل.

فإن قيل:إن الوسط المعتبر هنا إن كان إضافيا،لكان له عرض كعرض المزاج،فلا يناسب وصفه بالحده و الدقه،قلنا.كما فى عرض المزاج مرتبه هى أفضل المراتب و أقربها إلى الاعتدال الحقيقى،كذلك فى عرض الوسط للملكات مرتبه هى أفضل المراتب و أقربها إلى الحقيقى،و هى المطلوبه بالذات و لا ريب فى أن خصوص هذه ليس لها عرض واسعه،فلا بأس بوصفها بالدقه و الحده،و أما سائر المراتب المعدوده من الوسط و إن لم تكن خاليه عن شوائب الإفراط و التفريط،إلا أنه لما كان لها قرب محدود إلى المرتبه المطلوبه بحيث يصدق معه كون النوع أو الشخص باقيا على كماله اللائق به عدت من الأوساط و الفضائل:كما أن غير الأقرب إلى الاعتدال الحقيقى من مراتب عرض المزاج يعد من الاعتدال:لكون النوع أو الشخص معه باقيا محفوظا بحيث لا يظهر خلل بين فى أفعاله و إن لم يخل عن الانحراف،و لو وصف هذه المراتب أيضا بالحده و الدقه مع سعتها فوجهه أن وجدانها و الثبات عليها لا يخلو أيضا من صعوبه.

فصل (أجناس الرذائل و أنواعها)

اشاره

قد ظهر مما ذكر أنه بإزاء كل فضيله رذائل غير متناهيه من طرفى الإفراط و التفريط،و ليس لكل منها اسم معين و لا يمكن عد الجميع و ليس على صاحب الصناعه حصر مثلها،لأن وظيفته بيان الأصول و القوانين الكليه

لا إحصاء الأعداد الجزئيه.

و القانون اللازم بيانه هو أن الانحراف عن الوسط إما إلى طرف الإفراط أو إلى طرف التفريط، فيكون بإزاء كل فضيله جنسان من الرذيله و لما كانت أجناس الفضائل أربعه فتكون أجناس الرذائل ثمانيه(اثنان) بإزاء الحكمه«الجربزه و البله»،و(الأول)فى طرف الإفراط و هو استعمال الفكر فى ما لا ينبغى أو فى الزائد عما ينبغى و(الثانى)فى طرف التفريط و هو تعطيل القوه الفكريه و عدم استعمالها فى ما ينبغى أو فى أقل منه،و الأولى أن يعبر عنهما(بالسفسطه)اى الحكمه المموهه،و(الجهل)اى البسيط منه،لأن حقيقه الحكمه هو العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه و هو موقوف على اعتدال القوه العاقله،فإذا حصلت له حده خارجه عن الاعتدال يخرج عن الحد اللائق و يستخرج أمورا دقيقه غير مطابقه للواقع،و العلم بهذه الأمور هو ضد الحكمه من طرف الإفراط و إذا حصلت لها بلاده لا ينتقل إلى شىء فلا يحصل لها العلم بالحقائق و هذا هو الجهل و هو ضده من طرف التفريط (و اثنان)بإزاء الشجاعه«التهور و الجبن»:(الأول)فى طرف الإفراط و هو الإقدام على ما ينبغى الحذر عنه،و(الثانى)فى طرف التفريط و هو الحذر عما ينبغى الإقدام عليه. (و اثنان) بإزاء العفه و هما:«الشره و الخمود»و(الأول)فى طرف الإفراط و هو الانهماك فى اللذات الشهويه على ما لا يحسن شرعا و عقلا،(و الثانى)فى طرف سكون النفس عن طلب ما هو ضرورى للبدن و(اثنان)بإزاء العداله و هما:«الظلم و الانظلام»:

و(الأول)فى طرف الإفراط و هو التصرف فى حقوق الناس و أموالهم بدون حق،(الثانى)فى طرف تفريط و هو تمكين الظالم من الظلم عليه و انقياده له فيما يريده من الجبر و التعدى على سبيل المذله،هكذا قيل.

و الحق أن العداله مع ملاحظه ما لا ينفك عنها من لازمها،لها طرف واحد يسمى جورا و ظلما،و هو يشمل جميع ذمائم الصفات،و لا يختص بالتصرف فى حقوق

ص:١٠٠

الناس و أموالهم بدون جهه شرعيه،لأن العداله بهذا المعنى-كما عرفت- عباره عن ضبط العقل العملى جميع القوى تحت إشاره العقل النظرى، فهو جامع للكمالات بأسرها،فالظلم الذى هو مقابله جامع للنقائص بأسرها،إذ حقيقه الظلم وضع الشىء فى غير موضعه،و هو يتناول جميع ذمائم الصفات و الأفعال فتمكين الظالم من ظلمه لما كان صفه ذميمه يكون ظلما،على أن من مكن الظالم من الظلم عليه و انقاد له ذله،فقد ظلم نفسه و الظلم على النفس أيضا من أقسام الظلم.هذا هو بيان الطرفين لكل من الأجناس الأربعه للفضيله.

ثم لكل واحد من أجناس الرذائل و الفضائل أنواع و لوازم من الأخلاق و الأفعال ذكرها علماء الأخلاق فى كتبهم،و قد ذكروا للعداله أيضا أنواعا و قد عرفت فيما تقدم أن تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها مما لا وجه له،إذ جميع الرذائل و الفضائل لا- يخرج عن التعلق بالقوى الثلاث، أعنى العاقله و الغضبيه و الشهويه،و إن كان للقوه العمليه مدخليه فى الجميع من حيث التوسط،فنحن ندخل الجميع تحت أجناس القوى الثلاث من غير اندراج شىء منها تحت العداله،و قد عرفت أن بعضها متعلق بالعاقله فقط،و بعضها بالقوه الغضبيه فقط،و بعضها بالشهويه فقط،و بعضها بالاثنين منها أو الثلاث معا،فنحن نذكر ذلك فى مقامات أربعه.

و لمزيد الإحاطه نشير هنا إجمالا- إلى أسماء الأجناس و الأنواع و اللوازم التى لكل جنس،و نذكر أولا ما يتعلق بالعاقله،ثم ما يتعلق بالغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق بالثلاث أو الاثنتين منها،و نذكر أولا الرذيله،ثم نشير إلى ضدها من الفضيله إن كان له اسم،ثم فى باب المعالجات نذكر معالجه كل رذيله من الأجناس و الأنواع و النتائج و نذيلها بذكر ضدها

من الفضيله،و نذكر أولا جنسى الرذيله لكل قوه،و نذيلهما بضدهما الذى هو جنس فضيلتها، ثم نذكر الأنواع و النتائج على النحو المذكور،أى نذكر أولا الرذيله بأحكامها«و معالجاتها» (۱)،ثم نشير إلى ضدها،و ما ورد فى مدحه ترغيبا للطالبين على أخذه و الاجتناب عن ضده،و لذلك لم نتابع القوم فى التفريق بين الرذائل و الفضائل و ذكر كل منهما على حده.

ثم بيان الأنواع و اللوازم على ما ذكر أكثره القوم لا يخلو عن الاختلال إما فى التعريف و التفسير،أو فى الفرق و التمييز،أو فى الإدخال تحت ما جعلوه نوعا له،أو غير ذلك من وجوه الاختلال،فنحن لا نتبعهم فى ذلك و نبينها إدخالا و تمييزا و تعريفا ما يقتضيه النظر الصحيح، فنقول:

أما جنسا الرذيله للقوه العقليه،«فأولهما»(الجربزه و السفسطه)و هى من طرف الإفراط،و«ثانيهما»(الجهل البسيط)و هو من طرف التفريط و ضدهما(العلم و الحكمه)،و أما الأنواع و اللوازم المترتبه عليهما،فمنها (الجهل المركب)و هو من باب رداءه الكيفيه.و منها(الحيره و الشك)و هو من طرف الإفراط على ما قيل،و ضد الجهل المركب إدراك ما هو الحق أو زوال العلم بأنه يعلم،و ضد الحيره الجزم بأحد الطرفين.و بذلك يظهر أن اليقين ضد لكل منهما،لأنه اعتقاد جازم مطابق للواقع،فمن حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدا للحيره،و من حيث اعتبار المطابقه للواقع يكون ضدا للجهل المركب،و منشأ حصول اليقين هو استقامه الذهن و صفاؤه مع مراعاه شرائط الاستدلال،و منشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن،أو حصول الخطأ فى الاستدلال،أو وجود مانع من إفاضه الحق كعصبيه،أو تقليد أو أمثال ذلك،و منشأ الحيره هو قصور الذهن و كدرته،أو الالتهاب الموجب للتجاوز

۱- ۱) هذه الكلمه موجوده فى نسختنا الخطيه فقط.

عن المطلوب،أو عدم الإحاطه بمقدماته،و منها(الشرك)و ضده التوحيد.

و منها«الوساوس»النفسانيه و الخواطر الباطله الشيطانيه،و هذا أيضا من باب رداءه الكيفيه،و كان الظاهر أن يعد ذلک من رذائل قوتی الوهم و المتخيله دون العاقله،إذ الغالب أنها لا تنفک عن الاختلال فيهما،إلا أنک قد عرفت العذر فی ذلک،و ضدها الخواطر المحموده التی من جملتها الفكر فی بدائع صنع اللّه سبحانه و عجائب مخلوقاته أو منها(استنباط المكر و الحيله)للموصول إلی مقتضيات الشهوه و الغضب،و هو من طرف الإفراط.

و أما جنسا الرذائل للقوه الغضبيه،فأولهما(التهور)و ثانيهما(الجبن) و قد عرفت أن ضدهما من الفضيله(الشجاعه). و أما الأنواع و اللوازم و النتائج المترتبه عليها،فمنها(الخوف)و هو هيئه نفسانيه مؤذيه تحدث من توقع مكروه أو زوال مرغوب،و هو مذموم إلا ما كان لأجل المعصيه و الخيانه،أو من اللّه و عظمته،و المذموم من رذائل تلک القوه و من نتائج الجبن و ضده الأمن و الطمأنينه،و الممدوح من فضائلها لكونه مقتضی العقل و ضده الأمن من مكر اللّه،و هو-أی الممدوح من الخوف-يلازم الرجاء و ضده اليأس. و منها(صغر النفس)أی ملكه العجز عن تحمل الواردات و هو من نتائج الجبن،و ضده كبر النفس أی ملكه التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان.و من جمله التحمل التحمل علی الخوض فی الأهوال،و قوه المقاومه مع الشدائد و الآلام و يسمی(بالثبات)فهو أخص من كبر النفس،و ضده الاضطراب فی الأهوال و الشدائد.و من جمله الثبات الثبات فی الإيمان، و منها (دناءه الهمه)و هو القصور عن طلب معالی الأمور و هو من لوازم ضعف النفس و صغرها،و ضده(علو الهمه)الذی هو من لوازم كبر النفس و شجاعتها،أی السعی فی تحصيل السعاده و الكمال و طلب الأمور العاليه

ص :١٠٣

من دون ملاحظه منافع الدنيا و مضارها.و من أفراد علو الهمه الشهامه، و يأتى تفسيرها. و منها(عدم الغيره و الحميه)أى الإهمال فى محافظه ما يلزم حفظه،و هو أيضا من نتائج صغر النفس و ضعفها و ضده ظاهر. و منها (العجله)و هو المعنى الراتب (1)فى القلب الباعث على الإقدام على الأمر بأول خاطر من دون توقف فيه،و هو أيضا من نتائج صغر النفس و ضعفها، و ضدها الإناءه و التأنى،و(التعسف)قريب من العجله،و ضده أعنى (التوقف)قريب من الإناءه،و يأتى الفرق بينهما،(و الوقار)يتناول التأنى و التوقف،و هو اطمئنان النفس و سكونها عند الحركات و الأفعال فى الابتداء (و الأثناء)،و هو من لوازم كبر النفس و شجاعتها. و منها(سوء الظن بالله تعالى و بالمؤمنين)و هو من لوازم الجبن و ضعف النفس،و ربما كان من باب رداءه الكيفيه،فضده أعنى حسن الظن بهما من آثار الشجاعه و كبر النفس.و منها (الغضب)و هو حركه نفسانيه يوجب حركه الروح من الداخل إلى الخارج للغلبه و هو من باب الإفراط،و ضده الحلم. و منها(الانتقام)و هو من نتائج الغضب،و ضده العفو. و منها(العنف)و هو أيضا من نتائج الغضب، و ضده الرفق.و منها(سوء الخلق)بالمعنى الأخص و هو أيضا من نتائجه، و ضده(حسن الخلق)بالمعنى الأخص. و منها(الحقد)و هو العداوه الكامنه أى إراده الشر و قصد زوال الخير من المسلم،و هو أيضا من ثمرات الغضب و منها(العداوه)الظاهره،و ضدها(النصيحه)أى إراده الخير و الصلاح و دفع الشر و الفساد عن كل مسلم.ثم للغضب و الحقد لوازم هى الضرب و الفحش و اللعن و الطعن. و منها(العجب)و هو استعظام النفس،و ضده

1- 1) الراتب،عيش راتب،أى دائم ثابت.

انکسارها و استحقارها (۱). و منها(الکبر)و هو التعظیم الموجب لرؤیه النفس فوق الغیر،و ضده(التواضع)و هو أن لا یری لنفسه مزیه علی الغیر و منها(الافتخار)و هو المباهاه بما یظنه کما لا و هو من شعب الکبر. و منها (البغی)و هو عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد و هو أیضا من شعب الکبر و ضده(التسلیم)و الانقیاد لمن یجب الانقیاد إلیه و إطاعته و قد یفسر بمطلق العلو و الاستطاله (۲) و منها(تزکیه النفس)و ضده الاعتراف بنقائصها. و منها(العصبیه)و هی الحمایه عن نفسه و عما ینتسب إلیه بالباطل و الخروج عن الحق. و منها(کتمان الحق)و ضدهما الإنصاف و الاستقامه علی الحق. و منها(القساوه)و هو عدم التأثر عن مشاهده تألم أبناء النوع، و ضدها الرحمه.

و أما جنسا الرذائل المتعلقه بالقوه الشهویه فأحدهما(الشره)و ثانیهما (الخمود)و ضدهما(العفه)،و أما الأنواع و النتائج و اللوازم المتعلقه بها، فمنها(حب الدنیا).و منها(حب المال)و ضدهما الزهد.و منها(الغنی) و ضده الفقر.و منها(الحرص)و ضده القناعه.و منها(الطمع)و ضده الاستغناء عن الناس.و منها(البخل)و ضده السخاء،و تندرج تحته وجوه الإنفاقات بأسرها.و منها(طلب الحرام)و عدم الاجتناب عنه،و ضده الورع و التقوی بالمعنی الخاص.و منها(الغدر و الخیانه)و ضدهما الأمانه.

۱- ۱) من کلمه(منها)إلی قوله و(استحقارها)بتمام العباره لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری.

۲- ۲) من کلمه(منها)إلی قوله و(الاستطاله)بتمام العباره لم توجد فی نسختنا الخطیه لکنها موجوده فی نسخه خطیه أخری.

و منها(أنواع الفجور)من الزنا و اللواط و شرب الخمر و الاشتغال بالملاهى و أمثالها.و منها(الخوض فى الباطل).و منها(التكلم بما لا يعنى و بالفضول) و ضدهما الترک و الصمت،أو بالتكلم بما يعنى بقدر الضروره.

و أما الرذائل و الفضائل المتعلقه بالقوى الثلاث،أو باثنتين منها فمنها(الحسد)و ضده النصيحه.و منها(الإيذاء و الإهانه و الاحتقار) و ضدها كف الأذى و الإكرام و التعظيم.و الإيذاء قريب من الظلم بالمعنى الأخص أو أعم منه،و ضد الظلم بالمعنى الأخص العداله بالمعنى الأخص.

و منها(إخافه المسلم و إدخال الكرب فى قلبه)و ضدهما إزاله الخوف و الكرب عنه.و منها(ترک إعانه المسلمين)و ضده قضاء حوائجهم.و منها (المداهنه)فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،و ضده السعى فيهما.و منها (الهجره و التباعد عن الإخوان)و ضده التآلف و التزاور.و منها(قطع الرحم)و ضده الصله.و منها(عقوق الوالدين)و ضده البر إليهما.و منها (تجسس العيوب)و ضده الستر.و منها(إفشاء السر)و ضد الكتمان.

و منها(الإفساد بين الناس)و ضده الإصلاح بينهم.و منها(الشماته بمسلم) و منها(المراء و الجدال و الخصومه)و ضدهما طيب الكلام.و منها(السخريه و الاستهزاء)و ضدهما المزاح. و منها(الغيبه)و ضدها المدح و دفع الذم و منها(الكذب)و ضده الصدق،و لجميع آفات اللسان مما له ضد خاص، و مما ليس له ضد بخصوصه ضد عام هو الصمت.و منها(حب الجاه و الشهره) و ضده حب الخمول.و منها(حب المدح و كراهه الذم)و ضده مساواتهما و منها(الريا)و ضده الإخلاص.و منها(النفاق)و ضده استواء السر و العلانيه.و منها(الغرور)و ضده الفطانه و العلم و الزهد.و منها(طول الأمل)و ضده قصره.و منها(مطلق العصيان)و ضده الورع و التقوى بالمعنى

الأعم.و منها(الوقاحه)و ضده الحياء.و منها(الإصرار على المعصيه)و ضده التوبه،و أقصى مراتبها الإنابه و المحاسبه و المراقبه قريبه من التوبه فى ضديتها للإصرار.و منها(الغفله)و ضدها النيه و الإراده.و منها(عدم الرغبه)و ضده الشوق.و منها(الكراهه)و ضده الحب.و منها(الجفاء) و ضده الوفاء و هو من تمام الحب.و منها(البعد)و ضده الإنس و من لوازمه حب الخلوه و العزله.و منها(السخط)و ضده الرضا،و قريب منه التسليم و يسمى تفويضا،بل هو فوق الرضا كما يأتى.و منها(الحزن)و ضده السرور.و منها(ضعف الوثوق و الأعتماد على اللّه)و ضده التوكل.و منها (الكفران)و ضده الشكر.و منها(الجزع و الهلع)و ضده الصبر.و منها (الفسق)و هو الخروج عن طاعه اللّه و عبادته،و ضده الطاعه و العباده.

و تندرج تحتها(العبادات الموظفه فى الشرع) (1)من الطهاره،و الصلاه و الذكر و تلاوه القرآن،و الزكاه و الخمس و الصوم و الحج و الزيارات.و نحن نذكر الزكاه و الخمس فى وجوه الإنفاق،و ما سواهما فى العبادات.

(تنبيه)اعلم أن إحصاء الفضائل و الرذائل و ضبطهما،و إدخال البعض فى البعض،و الإشاره إلى القوه الموجبه لها على ما فصلناه،مما لم يتعرض له علماء الأخلاق،بل إنما تعرضوا لبعضها،و يظهر من كلامهم فى بعض المواضع المخالفه فى الإدخال.

و السر فيه أن كثيرا من الصفات لها جهات مختلفه كل منها يناسب قوه كما أشرنا إليه،فالاختلاف فى الإدخال لأجل اختلاف الاعتبار للجهات «و قد عرفت أن ما له جهات مختلفه يتعلق بالقوى المتعدده نحن نجعل مبدأه الجميع و نعده من رذائله أو فضائله،و لا نخصه بواحده منها».ثم بعض

١- ١) هذه العباره بتمامها غير موجوده فى نسختنا الخطيه.

الصفات ربما كان ببعض الاعتبارات محمودا معدودا من الفضائل،و ببعض الاعتبارات معدودا من الرذائل،و ذلك كالمحبه و الخوف و الرجاء،فإن الحب إن كان متعلقا بالدنيا و متعلقاتها كان مذموما معدودا من الرذائل، و إن كان متعلقا باللّه و أوليائه كان محمودا معدودا من الفضائل،و الخوف إن كان مما لا يخاف منه عقلا كان من رذائل قوه الغضب،و إن كان من المعاصى أو من عظمه اللّه كان من فضائلها،و الرجاء إن لم يكن فى موضعه كان من الرذائل و إن كان فى موقعه كان من الفضائل.و قس عليها غيرها مما له الاعتبارات المختلفه.

فصل الفرق بين الفضيله و الرذيله

قد دريت إجمالا-أن الفضائل المذكوره ملكات مخصوصه،لها آثار معلومه،و ربما صدر عن بعض الناس أفعال شبيهه بالفضائل،و ليست بها فلا بد من بيان الفرق بينهما لئلا يشتبه على الغافل فيضل و يضل،فنقول:

قد عرفت أن فضيله الحكمه عباره عن العلم بأعيان الموجودات على ما هى عليه،و هو لا-ينفك عن اليقين و الطمأنينه،فمجرد أخذ بعض المسائل و تقريرها على وجه لا-ئق من دون وثوق النفس و اطمئنانها ليست حكمه، و الآخذ بمثله ليس حكيما،إذ حقيقه الحكمه لا-تنفك عن الإذعان القطعى و اليقينى و هما مفقودان فيه،فمثله كمثل الأطفال فى التشبه بالرجال، أو بعض الحيوانات فى محاكاه ما للإنسان من الأقوال و الأفعال.

و أما فضيله العفه،فقد عرفت أنها عباره عن ملكه انقياد القوه الشهويه للعقل،حتى يكون تصرفها مقصورا على أمره و نهيه،فيقدم على ما فيه المصلحه و ينزجر عما يتضمن المفسده بتجويزه،و لا يخالفه فى أوامره و نواهيه،

و ينبغى أن يكون الباعث للاتصاف بتلك الملكه و صدور آثارها مجرد كونها فضيله و كمالا للنفس و حصول السعاده الحقيقيه بها،لا شىء آخر من دفع ضر،أو جلب نفع،أو اضطرار و إلجاء،فالإعراض عن اللذات الدنيويه لتحصيل الأزيد من جنسها ليس عفه،كما هو شأن بعض تاركى الدنيا للدنيا و كذا الحال فى تركها لخمود القوه و قصورها و ضعف الآله و فتورها،أو لحصول النفره من كثره تعاطيها،او للحذر من حدوث الأمراض و الأسقام،أو اطلاع الناس و توبيخهم،أو لعدم درك تلك اللذات كما هو شأن بعض أهالى الجبال و البوادى...إلى غير ذلك.

و أما فضيله الشجاعه،فقد عرفت أنها ملكه انقياد القوه الغضبيه للعقل حتى يكون تصرفها بحسب أمره و نهيه،و لا يكون للاتصاف بها و صدور آثارها داع سوى كونها كمالا و فضيله،فالإقدام على الأمور الهائله،و الخوض فى الحروب العظيمه،و عدم المبالاه من الضرب و القطع و القتل لتحصيل الجاه و المال،أو الظفر بامرأه ذات جمال،أو للحذر من السلطان و مثله، أو للشهوه بين أبناء جنسه،ليست صادره عن ملكه الشجاعه،بل منشأها إما رذيله الشره أو الجبن،كما هو شأن عساكر الجائرين،و قاطعى الطرق و السارقين،فمن كان أكثر خوضا فى الأهوال،و أشد جرأه على الأبطال للوصول إلى شىء من تلك الأغراض،فهو أكثر جبنا و حرصا،لا أكثر شجاعه و نجده.و قس على ذلك الوقوع فى المهالك و الأهوال،تعصبا عن الأقارب و الاتباع،و ربما كان باعثه تكرر ذلك منه مع حصول الغلبه، فاغتر بذلك و لم يبال بالإقدام اتكالا على العاده الجاريه.و مثله مثل رجل ذى سلاح لم يبال بالمحاربه مع طفل أعزل،فإن عدم الحذر عنه ليس لشجاعته،بل لعجز الطفل.و من هذا القبيل ما يصدر عن بعض الحيوانات

من الصوله و الإقدام،فإنه ليس صادرا من ملكه الشجاعه،بل عن طبيعه القوه و الغلبه.

و بالجمله:الشجاع الواقعى ما كانت أفعاله صادره عن إشاره العقل و لم يكن له باعث سوى كونها جميله حسنه،فربما كان الحذر عن بعض الأهوال من مقتضيات العقل فلا ينافى الشجاعه،و ربما لم يكن الخوض فى بعض الأخطار من موجباته فينافيها،و لذا قيل عدم الفزع مع شده الزلازل و تواتر الصواعق من علائم الجنون دون الشجاعه،و إيقاع النفس فى الهلكات بلا داع عقلى أو شرعى كتعرضه للسباع المؤذيه،أو إلقاء نفسه من المواضع، الشاهقه أو فى البحار و الشطوط الغامره من دون علم بالسباحه من أمارات القحه و الحماقه.

ثم الشجاع الحقيقى من كان حذره من العار و الفضيحه أكثر من خوفه من الموت و الهلاك،فمن لا يبالى بذهاب شرفه،و فضيحه أهله و حرمه، فهو من أهل الجنون و الحماقه،و لا يستحق اسم العقل و الشجاعه،كيف و الموت عند الشجاع مع بقاء الفضيله أحسن من الحياه بدونها،و لذا يختار الموت الجميل على الحياه القبيحه.على أن الشجاعه فى المبادئ ربما كانت موذيه،و إنما تظهر لذتها فى العاقبه(لا)سيما إذا حصلت بها الحمايه عن الدين و المله،و الذب عن العقائد الحقه،فإن الشجاع لحبه الجميل و ثباته على الرأى الصحيح إذا علم أن عمره فى معرض الزوال و الثور،و أثر الفعل الجميل يبقى على مر الدهور،يختار الجميل الباقى على الرذيل الفانى، فيحامى عن دينه و شريعته،و لا يبالى بما يحذر عنه غيره من أبناء طبيعته، لعلمه بأن الجبان المقصر فى حمايه الدين،و مقاومه جنود الشياطين إن بقى أياما معدوده،فمع تكدرها بالذل و الصغار تكون زائله،و لا ترضى نفسه

بالحرمان عن السعاده الباقيه،

و لذا قال فخر الشجعان و سيد ولد عدنان عليه صلوات اللّه الملك الرحمن لأصحابه: «أيها الناس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا و الذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسيف على الرأس أهون من ميته على الفراش».

و بالجمله:كل فعل يصدر عن الشجاع فى أى وقت يكون مقتضى للعقل مناسبا لهذا الوقت واقعا فى موقعه،و له قوه التحمل على المصائب،و ملكه الصبر على الشدائد و النوائب،و لا يضطرب من شدائد الأمور،و يستخف بما يستعظمه الجمهور،و إذا غضب كان غضبه بمقتضى العقل،و كان انتقامه مقصورا على ما يستحسن عقلا و شرعا،و لا يتعدى إلى ما لا ينبغى.و ليس مطلق الانتقام مذموما،فربما كان فى بعض المواضع مستحسنا عند العقل و الشرع،و قد صرح الحكماء بأن عدم الانتقام ممن يستحقه يحدث فى النفس ذبولا لا يرتفع إلا بالانتقام،و ربما أدى هذا الذبول إلى بعض الرذائل المهلكه.

و أما العداله فقد عرفت أنها عباره عن انقياد القوه العمليه للعاقله، أو امتزاج القوى و تسالمها و انقهار الجميع تحت العاقله،بحيث يرتفع بينها التنازع و التجاذب،و لا يغلب بعضها على بعض،و لا يقدم على شىء غير ما تسقط له العاقله.و إنما يتم ذلك إذا حصلت للإنسان ملكه راسخه تصدر لأجلها جميع الأفعال على نهج الاعتدال بسهوله،و لا يكون له غايه فى ذلك سوى كونها فضيله و كما لا،فمن يتكلف أعمال العدول رياء و سمعه أو لجلب القلوب،أو تحصيل الجاه و المال ليس عادلا.

و قس على ذلك جميع أنواع الفضائل المندرجه تحت الأجناس المذكوره فإنه بإزاء كل منها رذيله شبيهه بها،فينبغى لطالب السعاده أن يعرفها

و يجتنب عنها،مثلا السخاء عباره عن ملكه سهوله بذل المال على المستحق مع كون الغايه الباعثه له عليه مجرد كونه فضيله و كمالا،دون الأغراض الأخر،فبذل المال لتحصيل الأزيد،أو لدفع الضرر،أو نيل الجاه، أو للوصول إلى شيء من اللذات الحيوانيه ليس سخاء.و كذا بذله لغير المستحق و الإسراف فى إنفاقه.فإن المبذر جاهل بعظم قدر المال.و الاحتياج إليه فى مواقع لولاه لأدى إلى تضييع الأهل و العيال و العجز عن كسب المعارف و فضائل الأعمال،و له دخل عظيم فى ترويج احكام المله و نشر الفضيله و الحكمه،و لذا ورد فى الصحيفه السليمانيه(أن الحكمه مع الثروه يقظان،و مع الفقر نائم) (۱). و ربما كان منشأ التبذير عدم العلم بصعوبه تحصيل الحلال منه،و هذا يكون فى الأغلب لمن يظفر بمال بغته من ميراث أو غيره مما لا يحتاج إلى كد و عمل،فإن مثله غافل عن صعوبه كسب الحلال منه،إذ المكاسب الطيبه قليله جدا،و ارتكابها للأحرار مشكل،و لذا ترى أفاضل الأحرار ناقصى الحظوظ منه شاكين عن بختهم،و أضدادهم على خلاف ذلك،لعدم مبالاتهم من تحصيله بأى نحو كان.و قد قال بعض الحكماء:«إن تحصيل المال بمنزله نقل الحجر إلى قله الجبل و إنفاقه كإطلاقه».

فصل العداله أشرف الفضائل

اشاره

العداله أشرف الفضائل و أفضلها،إذ قد عرفت أنها كل الفضائل

ص: ۱۱۲

۱- ۱) كذا فى النسخ و لم نعثر على مصدر لهذه الكلمه لتصحيحها.

أو ما يلزمها،كما أن الجور كل الرذائل أو ما يوجبها،لأنها هيئه نفسانيه يقتدر بها على تعديل جميع الصفات و الأفعال،و رد الزائد و الناقص إلى الوسط،و انكسار سوره التخالف بين القوى المتعاديه،بحيث يمتزج الكل و تتحقق بينها مناسبه و اتحاد تحدث فى النفس فضيله واحده تقتضى حصول فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه،و ذلك كما تحصل من حصول الامتزاج و الوحده بين الأشياء المتخالفه صوره وحدانيه يصدر عنها فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه،فجميع الفضائل مترتبه على العداله،و لذا قال أ فلاطون الإلهى:(العداله إذا حصلت للإنسان أشرق بها كل واحد من أجزاء نفسه و يستضىء بعضها من بعض،فتنتهض النفس حينئذ لفعلها الخاص على أفضل ما يكون،فيحصل لها غايه القرب إلى مبدعها سبحانه).

و من خواص العداله و فضيلتها أنها أقرب الصفات إلى الوحده،و شأنها إخراج الواحد من الكثرات،و التأليف بين المتباينات،و التسويه بين المختلفات،و رد الأشياء من القله و الكثره و النقصان و الزياده إلى التوسط الذى هو الوحده،فتصير المتخالفات فى هذه المرتبه متحده نوع اتحاد، و فى غيرها توجد أطراف متخالفه متكاثره،و لا ريب فى أن الوحده أشرف من الكثره،و كلما كان الشىء أقرب إليها يكون أفضل و أكمل و أبقى و أدوم و من تطرق البطلان و الفساد أبعد، فالمتخالفات إذا حصل بينها مناسبه و اتحاد و حصلت منها هيئه وحدانيه صارت أكمل مما كان،و لذا قيل:كمال كل صفه أن يقارب ضدها،و كمال كل شخص أن يتصف بالصفات المتقابله بجعلها متناسبه متسالمه،و تأثير الأشعار الموزونه و النغمات و الإيقاعات المتناسبه،و جذب الصور الجميله للنفوس،إنما هو لوحده التناسب، و نسبه المساواه فى صناعه الموسيقى أو غيرها أشرف النسب لقربها إلى الوحده

و غيرها من النسب يرجع إليها.

و بالجمله:اختلاف الأشياء فى الكمال و النقص بحسب اختلافها فى الوحده و الكثره،فأشرف الموجودات هو الواحد الحقيقى الذى هو موجد الكل و مبدؤه،و يفيض نور الوحده على كل موجود بقدر استعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك،فكل وحده من الوحدات جوهريه كانت أو خلقيه أو فعليه أو عدديه أو مزاجيه،فهو ظل من وحدته الحقه،و كلما كان أقرب إليها يكون أشرف وجودا،و لو لا الاعتدال و الوحده العرضيه التى هى ظل الوحده الحقيقيه لم تتم دائره الوجود،لأن تولد المواليد من العناصر الأربعه يتوقف على حصول الاتحاد و الاعتدال،و تعلق النفس الربانيه بالبدن إنما هو لحصول نسبه الاعتدال،و لذا يزول تعلقها به بزوالها بل النفس عاشقه لتلك النسبه الشريفه أين ما وجدت.

و التحقيق أنها معنى وحدانى يختلف باختلاف محالها،فهى فى الأجزاء العنصريه الممتزجه اعتدال مزاجى،و فى الأعضاء حسن ظاهرى،و فى الكلام فصاحه،و فى الملكات النفسيه عداله،و فى الحركات غنج و دلال،و فى المنغمات أبعاد شريفه لذيذه و النفس عاشقه لهذا المعنى فى أى مظهر ظهر،و بأى صوره تجلى،و بأى لباس تلبس.

فانى أحب الحسن حيث وجدته

و للحسن فى وجه الملاح مواقع

و الكثره و القله و النقصان و الزياده تفسد الأشياء إذا لم تكن بينها مناسبه تحفظ عليها الاعتدال و الوحده بوجه ما،و فى هذا المقام تفوح نفحات قدسيه تهتز بها نفوس أهل الجذبه و الشوق،و يتعطر منها مشام أصحاب التأله و الذوق،فتعرض لها إن كنت أهلا لذلک.

و إذا عرفت شرف العداله و إيجابها للعمل بالمساواه،و رد كل ناقص

و زائد إلى الوسط.فاعلم:أنها إما متعلقه بالأخلاق و الأفعال.أو بالكرامات و قسمه الأموال.أو بالمعاملات و المعاوضات.أو بالأحكام و السياسات.

و العادل فى كل واحد من هذه الأمور ما يحدث التساوى فيه برد الإفراط و التفريط إلى الوسط.و لا ريب فى أنه مشروط بالعلم بطبيعه الوسط.حتى يمكن رد الطرفين إليه.و هذا العلم فى غايه الصعوبه.و لا يتيسر إلا بالرجوع إلى ميزان معرف للأوساط فى،جميع الأشياء.و ما هو إلا ميزان الشريعه الإلهيه الصادره عن منبع الوحده الحقه الحقيقيه.فإنها هى المعرفه للأوساط فى جميع الأشياء على ما ينبغى.و المتضمنه لبيان تفاصيل جميع مراتب الحكمه العمليه.فالعادل بالحقيقه يجب أن يكون حكيما عالما بالنواميس الإلهيه الصادره من عند اللّه سبحانه لحفظ المساواه.

و قد ذكر علماء الأخلاق أن العدول ثلاثه:«الأول»العادل الأكبر و هو الشريعه الإلهيه الصادره من عند اللّه سبحانه لحفظ المساواه.«الثانى» العادل الأوسط.و هو الحاكم العادل التابع للنواميس الإلهيه و الشريعه النبويه فإنه خليفه الشريعه فى حفظ المساواه.«الثالث»العادل الصامت و هو الدينار لأنه يحفظ المساواه فى المعاملات و المعاوضات.

بيان ذلک:أن الإنسان مدنى بالطبع فيحتاج بعض أفراده إلى بعض آخر.و لا يتم عيشهم إلا بالتعاون.فيحتاج الزارع إلى عمل التاجر و بالعكس و النجار إلى عمل الصباغ و بالعكس.و هكذا فتقع بينهم معاوضات.فلا بد من حفظ المساواه بينها دفعا للتنازع و التشاجر.و لا يمكن حفظها بالأعمال لاختلافها بالزياده و النقصان و القله و الكثره و غير ذلک.و ربما كان أدنى عمل مساويا لعمل كثير كنظر المهندس.و تدبير صاحب الجيش.فإن نظرهما فى لحظه واحده ربما ساوى عملا كثيرا لمن يعمل و يحارب.فحفظ المساواه

بينها بالـدينار و الـدرهم بأن تقوم بهما الأعمال و الأشياء المختلفه،ليحصل الاعتـدال و الاسـتواء،و يتبين وجه الأخـذ و الإعطاء،و تصح المشاركات و المعاملات على نهج لا يتضمن إفراطا و لا تفريطا قيل:و قد أشير إلى العدول الثلاثه فى الكتاب الإلهى بقوله سبحانه:

وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ

(۱)

.

فإن الكتاب إشاره إلى الشريعه،و الميزان إلى آله معرفه النسبه بين المختلفات و منها الدينار،و الحديد إلى سيف الحاكم العادل المقوم للناس على الوسط.

هـذا و المقابل للعادل-أعنى الجائر المبطل للتساوى أيضا-إما جائر أعظم -و هو الخارج عن حكم الشريعه-و يسمى كافرا-أو جائر أوسط-و هو من لا يطيع عـدول الحكام فى الأحكام-و يسمى طاغيا و باغيا-أو جائر أصغر- و هو من لا يقوم على حكم الدينار،فيأخذ لنفسه أكثر من حقه و يعطى غيره أقل من حقه-و يسمى سارقا و خائنا-.

ثم العداله على أقسام ثلاثه:

«أحدها»ما يجرى بين العباد و بين خالقهم سبحانه،فإنها لما كانت عباره عن العمل بالمساواه على قدر الإمكان،و الواجب سبحانه و أهب الحياه و الكمالات و ما يحتاج إليه كل حى من الأرزاق و الأقوات،و هيأ لنا فى عالم آخر من البهجه و السرور ما لا عين رأت،و لا أذن سمعت،و ما من يوم إلا

۱- ۱) الحديث:الآيه:۲۵.

و یصل إلینا من نعمه و عطایاه ما تکل الألسنه عن حصره و عده،فیجب أن یکون له تعالی علینا حق یقابل به تلک النعم التی لا تحصی کثره حتی تحصل عداله فی الجمله،إذ من أعطی خیرا و لم یقابله بضرب من المقابله فهو جائر.

ثم المقابله و المکافأه تختلف باختلاف الأشخاص،فإن ما یؤدی به حق إحسان السلطان غیر ما یؤدی به حق إحسان غیره،فإن مقابله إحسانه إنما تکون بمثل الدعاء و نشر المحاسن،و مقابله إحسان غیره تکون بمثل بذل المال و السعی فی قضاء حوائجه و غیر ذلک.و الواجب سبحانه غنی عن معونتنا و مساعینا.و لا یحتاج إلی شیء من أعمالنا و أفعالنا،و لکن یجب علینا بالنظر إلی شرع العداله حقوق تحصل بها مساواه فی الجمله،کمعرفته و محبته، و تحصیل العقائد الحقه و الأخلاق الفاضله،و الاجتهاد فی امتثال ما جاءت به رسله و سفراؤه من الصوم و الصلاه،و السعی إلی المواقف الشریفه و غیر ذلک،و إن کان التوفیق لإدراک ذلک کله من جمله نعمائه،إلا أن العبد إذا أدی ما له فیه مدخلیه و اختیار من وظائف الطاعات،و ترک ما تقتضی الضروره بتمکنه علی ترکه من المعاصی و السیئات،لخرج عن الجور المطلق و لم یصدق علیه أنه جائر مطلق،و إن کان أصل تمکنه و اختیاره بل أصل وجوده و حیاته کلها من اللّه سبحانه.

«الثانی»ما یجری بین الناس بعضهم لبعض:من أداء الحقوق و تأدیه الأمانات و النصفه فی المعاملات و المعاوضات و تعظیم الأکابر و الرؤساء و إغاثه المظلومین و الضعفاء،فهذا القسم من العداله یقتضی أن یرضی بحقه،و لا یظلم أحدا،و یقیم کل واحد من أبناء نوعه علی حقه بقدر الإمکان،لئلا یجور بعضهم بعضا،و یؤدی حقوق إخوانه المؤمنین بحسب استطاعته.

و قد ورد فی الحدیث النبوی: «إن المؤمن علی أخیه ثلاثین حقا لا براءه له منها إلا بالأداء

أو العفو:يغفر زلته،و يرحم غربته،و يستر عورته،و يقيل عثرته،و يقبل معذرته.و يرد غيبته،و يديم نصيحته،و يحفظ خلته،و يرعى ذمته،و يعود مرضته،و يشهد ميتته،و يجيب دعوته،و يقبل هديته،و يكافئ صلته، و يشكر نعمته،و يحسن نصرته،و يحفظ حليلته،و يقضى حاجته،و يشفع مسألته،و يسمت عطسته،و يرشد ضالته،و يرد سلامه،و يطيب كلامه، و يبر إنعامه،و يصدق أقسامه،و يواليه و لا يعاديه،و ينصره ظالما أو مظلوما فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه،و أما نصرته مظلوما فيعينه على من ظلمه، و أما نصرته مظلوما فيعينه على أخذ حقه،و لا يسأمه،و لا يخذله،و يحب له من الخير ما يحب لنفسه،و يكره له من الشر ما يكره لنفسه».

«الثالث»ما يجرى بين الأحياء و ذوى حقوقهم من الأموات:من أداء ديونهم و إنفاذ وصاياهم و الترحم عليهم بالصدقه و الدعاء. و قد أشار خاتم الرساله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى أقسام العداله

بقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «التعظيم لأمر اللّه و الشفقه على خلق اللّه»،

و بقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم فى خبر آخر: «الدين النصحيه،قيل لمن؟قال:للّه و لرسوله و لعامه المؤمنين».

ايقاظ

قد ظهر مما ذكر أن الكمال كل الكمال لكل شخص هو العدل و التوسط فى جميع صفاته و أفعاله الباطنه و الظاهره،سواء كانت مختصه بذاته أو متوسطه بينه و بين أبناء نوعه،و لا تحصل النجاه و السعاده إلا بالاستقامه على وسط الأشياء المتخالفه،و التثبت على مركز الأطراف المتباعده،فكن يا حبيبى جامعا للكمالات،متوسطا بين مراتب السعادات،و مركزا لدائره نيل

الإفاضات.فکن أولا متوسطا بین العلم و العمل جامعا بینهما بقدر الإمکان و لا تکتف بأحدهما حتی لا تکون واحدا من الرجلین القاصمین (۱)لظهر فخر الثقلین صلی اللّه علیه و آله و سلم. و کن فی العمل متوسطا بین حفظ الظاهر و الباطن فلا تکن فی باطنک خبیثا و ظاهرک نقیا،حتی تکون کشوهاء ملبسه بزی حوراء مدلسه بأنواع التدلیسات،و لا بالعکس لتکون مثل دره ملوثه بأقسام القاذورات،بل ینبغی أن یکون ظاهرک مرآه لباطنک،حتی یظهر من محاسنک بقدر ما اقتضته ملکاتک الفاضله الباطنه.و کن فی جمیع ملکاتک الباطنه و أفعالک الظاهره متوسطا بین الإفراط و التفریط علی ما یقرع سمعک فی هذا الکتاب. ثم کن فی العلوم متوسطا بین العلوم الباطنه العقلیه و العلوم الظاهره الشرعیه،فلا تکن من الذین قصروا أنظارهم علی ظواهر الآیات و لم یعرفوا من حقائق البینات،یذمون علماء الحقیقه و ینسبونهم إلی الإلحاد و الزندقه،و لا من الذین صرفوا أعمارهم فی فضول أهل یونان و هجروا ما جاء به حامل الوحی و الفرقان،یذمون علماء الشریعه و یثبتون لهم سوء القریحه،یدعون لأنفسهم الذکاء و الفطانه و ینسبون ورثه الأنبیاء إلی الجهل و البطاله.ثم کن فی العقلیات متوسطا بین طرق العقلاء من غیر جمود علی واحده منها بمجرد التقلید أو التعصب،فتوسط بین الحکمه و الکلام و الإشراق و العرفان،و اجمع بین الاستدلال و تصفیه النفس بالعباده و الریاضه،فلا تکن متکلما صرفا لا تعرف سوی الجدل،و لا مشائیا محضا أضاع الدین و أهمل و لا متصوفا استراح بدعوی المشاهده و العیان من دون بینه و برهان. و کن فی العلوم الشرعیه متوسطا بین الأصول و الفروع،فلا تکن أخباریا تارکا

۱- ۱) إشاره إلی قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:(قصم ظهری رجلان: عالم متهتک و جاهل متنسک).

للقواعد القطعيه،و لا ـ أصوليا عاملا بقياسات عاميه.و قس على ذلك جميع أمورك الباطنه و الظاهره،و اعمل به حتى يرشدك إلى طريق السداد،و يوفقك لاكتساب زاد المعاد.

[دفع اشكال]

إن قيل:قد تلخص مما ذكر:أن الفضيله فى جميع الأخلاق و الصفات إنما هو المساواه من غير زياده و نقصان،مع أنه قد ثبت أن للتفضل محمود و هو زياده فلا يدخل تحت العداله الراجعه إلى المساواه (قلنا):التفضل احتياط يقع لتحصيل القطع بعدم الوقوع فى النقصان،و ليس الوسط فى طرفين من الأخلاق على نهج واحد فإن الزياده فى السخاء إذا لم يؤد إلى الإسراف أحسن من النقصان عنه،و أشبه بالمحافظة على شرائطه،فالتفضل إنما يصدر عن فضيله العداله،لأنها مبالغه فيها و لا يخرجها عن حقيقتها،إذ المتفضل من يعطى المستحق أزيد مما يستحقه،و هذه الزياده ليست مذمومه،بل هى العداله مع الاحتياط فيها،و لذا قيل:«إن المتفضل أفضل من العادل»،و المذموم أن يعطى غير المستحق أو يترك المساواه بين المستحقين،لأنه أنفق فيما لا ينبغى أو على ما لا ينبغى،و صاحبه لا يسمى متفضلا بل مضيعا،و لكون التفضل احتياطا إنما يحسن من الرجل بالنسبه إلى صاحبه فى المعامله التى بينهما،و لو كان بين جماعه و لم يكن له نصيب فى ما يحكم فيه لم يسعه إلا العدل المحض و لم يجز له التفضيل

تتميم

(إصلاح النفس قبل إصلاح الغير و أشرف وجوه العداله عداله السلطان) قد تلخص أن حقيقه العداله أو لازمها أن يغلب العقل الذى هو خليفه اللّه على جميع القوى حتى يستعمل كلا منها فيما يقتضى رأيه،فلا يفسد نظام

العالم الإنسانى،فإن الواجب سبحانه لما ركب الإنسان بحكمته الحقه و مصلحته التامه من القوى الكثيره المتضاده،فهى إذا تهايجت و تغالبت و لم يقهرها قاهر خير،حدثت فيه بهيجانها و اضطرابها أنواع الشر،و جذبه كل واحده منها إلى ما يقتضيه و يشتهيه،كما هو الشأن فى كل مركب.و قد شبه المعلم الأول مثله بمن يجذب من جهتين حتى ينقطع و ينشق بنصفين أو من جهات كثيره فيتقطع بحسبها.فيجب على كل إنسان أن يجاهد حتى يغلب عقله الذى هو الحكم العدل و الخير المطلق على قواه المختلفه،ليرفع اختلافها و تجاذبها و يقيم الجميع على الصراط القويم.

ثم كل شخص ما لم يعدل قواه و صفاته لم يتمكن من إجراء أحكام العداله بين شركائه فى المنزل و البلد،إذ العاجز عن إصلاح نفسه كيف يقدر على إصلاح غيره،فإن السراج الذى لا يضىء قريبه كيف يضىء بعيده،فمن عدل قواه و صفاته أولا و اجتنب عن الإفراط و التفريط و استقر على جاده الوسط،كان مستعدا لسلوك هذه الطريقه بين أبناء نوعه،و هو خليفه اللّه فى أرضه،و إذا كان مثله حاكما بين الناس و كان زمام مصالحهم فى قبضه اقتداره لتنورت البلاد بأهلها،و صلحت أمور العباد بأسرها،و زاد الحرث و النسل و دامت بركات السماء و الأرض.

و غير خفى أن أشرف وجوه العدالات و أهمها و أفضل صنوف السياسات و أعمها هو عداله السلطان،إذ غيرها من العدالات مرتبطه بها و لولاه لم يتمكن أحد من رعايه العداله،كيف و تهذيب الأخلاق و تدبير المنزل يتوقف على فراغ البال و انتظام الأحوال،و مع جور السلطان أمواج الفتن متلاطمه، و أفواج المحن متراكمه،و عوائق الزمان متزاحمه،و بوائق (۱)الحدثان

۱- ۱) البائقه:الداهيه و الشر.يقال:رفعت عنك بائقه فلان أى غائلته و شره جمعه بوائق.

متصادمه،و طالبوا الكمال كالحيارى فى الصحارى لا يجدون إلى مناله سبيلا و لا إلى جداوله مرشدا و دليلا،و عرصات العلم و العمل دارسه الآثار، و منازلهما مظلمه الأرجاء و الأقطار،فلا يوجد ما هو الملاك فى تحصيل السعادات،أعنى تفرغ الخاطر و الاطمئنان و انتظام أمر المعاش الضرورى لأفراد الإنسان.و لذا لو تصفحت فى أمثال زماننا زوايا المدن و البلاد و اطلعت على بواطن فرق العباد،لم تجد من الألوف واحدا تمكن من إصلاح نفسه و يكون يومه خيرا من أمسه،بل لا تجد دينا إلا و هو باك على فقد الإسلام و أهله،و لا طالبا إلا و هو لعدم المكنه باق على جهله،و لعمرى إن هذا الزمان هو الزمان الذى

أخبر عنه سيد الأنام و عترته الأبرار الكرام عليه و عليهم أفضل الصلاه و السلام من أنه: «لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، و لا من القرآن إلا رسمه».

و بالجمله:المناط كل المناط فى تحصيل الكمالات و إخراج النفوس من الجهالات،هو عداله السلطان،و اعتناؤه بإعلاء الكلمه،و سعيه فى ترويج أحكام الدين و المله،

و لذا ورد فى الآثار: (إن السلطان إذا كان عادلا كان شريكا فى ثواب كل طاعه تصدر عن كل رعيه،و إن كان جائرا كان سهيما فى معاصيهم) .

و قال سيد الرسل صلى اللّه عليه و آله و سلم: «أقرب الناس يوم القيامه إلى اللّه تعالى الملك العادل و أبعدهم عنه الملك الظالم».

و ورد عنه صلى اللّه عليه و آله و سلم: «عدل ساعه خير من عباده سبعين سنه». و السر أن أثر عدل ساعه واحده ربما يصل إلى جميع المدن و الأمصار و يبقى على مر الدهور و الأعصار،و قال بعض الأكابر:لو علمت أنه يستجيب لى دعوه واحده لخصصتها بإصلاح حال السلطان حتى يعم نفعه.

ص :۱۲۲

تنویر (لا حاجه إلی العداله مع رابطه المحبه)

لو استحکمت رابطه المحبه و علاقه الموده بین الناس لم یحتاجوا إلی سلسله العداله،فإن أهل الوداد و المحبه فی مقام الإیثار و لو کان بهم خصاصه،فکیف یجور بعضهم علی بعض.و السر أن رابطه المحبه أتم و أقوی من رابطه العداله لأن المحبه وحده طبیعیه جبلیه،و العداله وحده قهریه قسریه.علی أنها لا تنتظم بدون المحبه،لکونها باعثه للإیجاد،کما أشیر إلیه

فی الحدیث القدسی «کنت کنزا مخفیا فاحببت أن أعرف» .فالمحبه هو السلطان المطلق،و العداله نائبها و خلیفتها (۱).

وصل (التکمیل الصناعی لاکتساب الفضائل علی طبق ترتیب الکمال الطبیعی)

لاکتساب الفضائل ترتیب ینبغی أن لا یتعدی عنه.و بیان ذلک:أن مبادئ الحرکات المؤدیه إلی الکمالات:إما طبیعیه کحرکه النطفه فی الأطوار المختلفه إلی بلوغ کمال الحیوانیه،أو صناعیه کحرکه الخشب بتوسط الآلات إلی بلوغ کمال السریریه.ثم الطبیعه و تحریکاتها لاستنادها إلی المبادئ العالیه تکون متقدمه علی الصناعیه المستنده إلی الإنسان،و لما کان کمال الثوانی أن تتشبه بالأوائل،فینبغی أن تقتدی الصناعیه فی تحریکاتها المؤدیه إلی کمالها بالطبیعیه.

۱- ۱) و لذلک أن الشریعه الإسلامیه أول ما دعت فیما دعت إلی الإخوه و التآلف بین الناس،و کثیر من أحکامها مثل الجماعه و الجمعه و الإیثار و الإحسان و تحریم الغیبه و النبز و نحو ذلک تستهدف إیجاد رابطه الحب بین الشعوب و القبائل و الأفراد،لیستغنوا عن الأخذ بقانون العدل الصارم المر.

و إذا ثبت ذلک فاعلم:أن تهذیب الأخلاق لما کان أمرا صناعیا لزم أن یقتضی فی تحصیله من حیث الترتیب بأفعال الطبیعه فی ترتیب حصولها،فنقول:

لا ریب فی أن أول ما یحصل فی الطفل قوه طلب الغذاء،و إذا زادت تلک القوه یبکی و یرفع صوته لأجل الغذاء،و إذا قویت حواسه و تمکن من حفظ بعض الصور یطلب صوره الأم أو الظئر (۱)،و جمیع ذلک متعلق بالقوه الشهویه.و نهایه هذه القوه و کمالها أن یتم ما یتعلق بالشخص من الأمور الشهویه،و ینبعث منه المیل إلی استبقاء النوع،فیحدث میل النکاح و الوقاح. ثم تظهر فیه آثار القوه الغضبیه حتی یدفع عن نفسه ما یؤذیه و لو بالاستعانه بغیره.و غایه کمال هذه القوه حصول التمکن من حفظ الشخص و الإقدام علی حفظ النوع،فیحدث فیه المیل إلی ما یحصل به التفوق من أصناف الرئاسات و الکرامات.ثم تظهر فیه آثار قوه التمییز و تتزاید إلی أن یتمکن من تعقل الکلیات.

و هنا یتم ما یتعلق بالطبیعه من التدبیر و التکمیل،و یکون ابتداء التکمیل الصناعی،فلو لم یحصل الاستکمال بالکسب و الصناعه بقی علی هذه الحاله و لم یبلغ إلی الکمال الحقیقی الذی خلق الإنسان لأجله،لأنه لم یخلق أحد مجبولا علی الاتصاف بجمیع الفضائل الخلقیه إلا من أید من عند اللّه بالنفس القدسیه،و إن کان بعض الناس أکثر استعدادا لتحصیل بعض الکمالات من بعض آخر،فلا بد لجل الأنام فی تکمیل نفوسهم من الکسب و الاستعلام.

فظهر مما ذکر:أن الطبیعه تولد أولا قوه الشهوه،ثم قوه الغضب، ثم قوه التمییز،فیجب أن یقتدی به فی التکمیل الصناعی،فیهذب أولا القوه الأولی لیکتسب العفه،ثم الثانیه لیتصف بالشجاعه،ثم الثالثه لیتحلی

۱- ۱) یرید بها المرضعه.

بالحكمه،فمن حصل بعض الفضائل على الترتيب الحكمى كان تحصيل الباقى له فى غايه السهوله،و من حصله لا ـ على الترتيب،فلا يظن أن تحصيل الباقى حينئذ متعذر بل هو ممكن،و إن كان أصعب بالنسبه إلى تحصيله بالترتيب فإن عدم الترتيب يوجب عسر الحصول لا تعذره،كما أن الترتيب يوجب يسره لا مجرد إمكانه.فلا يترك السعى و الجد فى كل حال و لا ييأس من رحمه اللّه الواهب المتعال،و ليشمر ذيل الهمه على منطقه الطلب حتى ييسر اللّه له الوصول إلى ما هو المقصد و المطلب.

ثم الفضيله إن كانت حاصله لزم السعى فى حفظها و إبقائها،و إن لم تكن حاصله بل كان ضدها حاصلا وجب تحصيلها بإزاله الضد،و لذا كان فن الأخلاق على قسمين:(أحدهما)راجع إلى حفظ الفضائل،(و ثانيهما) نافع فى دفع الرذائل، فيكون شبيها بعلم الطب،من حيث انقسامه إلى قسمين:(أحدهما)فى حفظ الصحه،(و ثانيهما)فى دفع المرض، و لذا يسمى طبا روحانيا،كما أن الطب المتعارف يسمى طبا جسمانيا.و من هنا كتب جالينوس إلى روح اللّه عليه السلام:«من طبيب الأبدان إلى طبيب النفوس».فكما أن لكل من حفظ الصحه و دفع المرض فى الطب الجسمانى علاجا خاصا،فكذلك لكل من حفظ الفضائل و إزاله الرذائل فى الطب الروحانى معالجات معينه،كما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

الباب الثالث فی طریق حفظ اعتدال الأخلاق المحموده و استحصالها بإزاله نقائضها المذمومه

اشاره

[المقدمه]

اشاره

الطریق لحفظ اعتدال الفضائل-قانون العلاج فی الطب الروحانی- طریقه معرفه الأمراض النفسیه-المعالجات الکلیه لأمراض النفس- المعالجات الخاصه لأمراض النفس.و له أربعه مقامات:

(الأول)ما یتعلق بالقوه العاقله من الرذائل و الفضائل و کیفیه علاج الرذائل.

(الثانی)ما یتعلق بالقوه الغضبیه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج (الثالث)ما یتعلق بالقوه الشهویه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج.

(الرابع)ما یتعلق بالقوی الثلاث أو باثنتین منها.

و فيه فصول (۱):

فصل (الطريق لحفظ اعتدال الفضائل)

اشاره

قد تقرر فى الطب الجسمانى أن حفظ الصحه بإيراد المثل و ملائم المزاج فيجب أن يكون حفظ اعتدال الفضائل أيضا بذلك.و إيراد المثل لحفظ اعتدالها يكون بأمور:

(منها)اختيار مصاحبه الأخيار،

و المعاشره مع أولى الفضائل الخلقيه و استماع كيفيه سلوكهم مع الخالق و الخليقه،و الاجتناب عن مجالسه الأشرار و ذوى الأخلاق السيئه،و الاحتراز عن استماع قصصهم و حكاياتهم و ما صدر عنهم من الأفعال و مزخرفاتهم،فإن المصاحبه مع كل أحد أقوى باعث على الاتصاف بأوصافه،فإن الطبع يسترق من الطبع كلا من الخير و الشر.و السر:أن النفس الإنسانيه ذات قوى بعضها يدعو إلى الخيرات و الفضائل و بعضها يقتضى الشرور و الرذائل،و كلما حصل لأحدهما أدنى باعث لما تقتضيه جبلته مال إليه و غلب على صاحبه إلى الخير،و لكون دواعى الشر من القوى أكثر من بواعث الخير منها،يكون الميل إلى الشر أسرع و أسهل بالنسبه إلى الميل إلى الخير،و لذا قيل:إن تحصيل الفضائل بمنزله الصعود إلى الأعالى و كسب الرذائل بمثابه النزول منها،و إلى ذلك يشير

قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «حفت الجنه بالمكاره و حفت النار بالشهوات».

(و منها)إعمال القوى فى شرائف الصفات،

و المواضبه على الأفعال التى هى آثار فضائل الملكات،و حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها

۱- ۱) هذه الفصول كتمهيد للمقامات الأربعه التى تتعلق بالعلاج الخاص لذمائم الأخلاق.

الخلق الـذی یریـد حفظه،فالحافظ لملکه الجود یجب أن یواظب علی إنفاق المال و بذله علی المستحقین،و یقهر علی نفسه عند وجـدان میلهـا إلی الإمسـاک، و الحافظ لملکه الشـجاعه یجب ألاـ یترک الإقـدام فی الأخطـار و الأهوال بشـرط إشاره العقل،و یغضب علی نفسه عنـد وجـدان الجبن منهـا.و هکـذا الحال فی سائر الصـفات.و هـذا بمثابه الریاضه الجسـمانیه فی حفظ الصـحه البدنیه.

(و منها)أن یقدم التروی علی کل ما یفعله،

لئلا تصـدر عنه غفله خلاف ما تقتضیـه الفضـیله.و لو صـدر عنه أحیانا خلاف مقتضاها،فلیؤدب نفسه بارتکاب ما یضاده،و یشق علیها عقوبه،بعـد تعییرها و توبیخها،کما إذا أکل ما یضـره من المطاعم فلیؤدبها بالصوم،و إذا صـدر عنه غضب مـذموم فی واقعه فلیؤدبهـا بإیقاعهـا فی مثلهـا مع الصبر علیهـا،أو فی معرض إهانه السـفهاء حتی یکسـر جاهه أو یؤدبها بارتکاب ما یشق علیها من النـذر و الصـدقه و غیر ذلـک.و ینبغی ألاـ یترک الجـد و السـعی فی التحصـیل و الحفـظ و إن بلغ الغـایه لأن التعطیل یؤدی إلی الکساله و هی إلی انقطاع فیوضات عالم القدس، فتنسلخ الصوره الإنسانیه و تحصل الهلاکه الأبدیه،و السعی یوجب ازدیاد تجرد النفس و صـفائها و الأـنس بالحق و الألف بالصـدق (۱)،فیتنفر عن الکـذب و الباطـل،و یتصاعـد فی مـدارج الکمالات و مراتب السـعادات،حـتی تنکشـف له الأسـرار الإلـهیه و الغـوامض الربـانیه،و یتشـبه بالروحانیـات القـادسه و ینخرط فی سـلک الملائکه المقدسه.و یجب أن یکون سـعیه فی أمور الدنیا بقدر الضـروره،و یحرم علی نفسه تحصـیل الزائد،لأنه لا شـقاوه أشد من صـرف الجوهر الباقی النورانی فی تحصیل الخزف الفانی الظلمانی الذی یفوت عنه و ینتقل إلی أعدائه من الوارث و غیرهم.

ص: ۱۲۹

۱- ۱) کذا فی النسخ.و الصحیح«للصدق».

(و منها)أن يحترز عما يهيج الشهوه و الغضب رؤيه و سماعا و تخيلا،

و من هيجهما كمن هيج كلبا عقورا أو فرسا شموسا،ثم يضطر إلى تدبير الخلاص عنه.و إذا تحركتا بالطبع فليقتصر فى تسكينهما بما يسد الخله و لا ينافى حفظ الصحه،و هو القدر الذى جوزه العقل و الشريعه.

(و منها)أن يستقصى فى طلب خفايا عيوب نفسه،

و إذا عثر على شىء منها اجتهد فى إزالته.و لما كانت النفس عاشقه لصفاتها و أفعالها،فكثيرا ما يخفى عليها بعض عيوبها،فيلزم على كل طالب للصحه و حافظها أن يختار بعض أصدقائه ليتفحص عن عيوبه و يخبره بما اطلع عليه،و إذا أخبره بشىء منها فليفرح و ليبادر إلى إزالته حتى يثق صديقه بقوله،و يعلم أن إهداء شىء من عيوبه إليه أحسن عنده من كل ما يحبه و يهواه،و ربما كان العدو فى هذا الباب أنفع من الصديق،لأن الصديق ربما يستر العيب و لا يظهره، و العدو مصر على إظهاره،بل ربما يتجاوز إلى البهتان،فإذا أظهر الأعداء عيوبه فليشكر اللّه على ذلك و ليبادر إلى رفعها و قمعها.

و مما ينفع فى المقام أن يجعل صور الناس مرايا لعيوبه و يتفقد عيوبهم، و إذا عثر على عيب منهم تأمل فى قبحه،و يعلم أن هذا العيب إذا صدر عنه يكون قبيحا و يدرك غيره هذا القبح،فليجتهد فى إزالته.و ينبغى أن يحاسب نفسه فى آخر كل يوم و ليله،و يتفحص عن جميع ما صدر من الأفعال فيهما فإن لم يصدر عنه شىء من القبائح و الذمائم فليحمد اللّه على حسن تأييده، و إن صدر عنه شىء من ذلك فليعاتب نفسه و يتوب،و يجتهد فى ألا يصدر عنه بعد ذلك مثله.

اشاره

(تنبیه)قد تبین أن للطب الروحانی أسوه بالطب الجسمانی.و القانون فی معالجه الأمراض الجسمانیه أن یعرف جنس المرض أولا،ثم الأسباب و العلامات،ثم یبین کیفیه العلاج.و العلاج فیه إما کلی یتناول جمیع الأمراض،أو جزئی یختص بمرض دون مرض،فکذلک الحال فی الطب الروحانی.و نحن نشیر إلی ذلک فی فصول:

فصل (طریق معرفه الأمراض النفسانیه)

الأمراض النفسانیه هی انحرافات الأخلاق عن الاعتدال.و طریق معرفتها:أنک قد عرفت أن القوی الإنسانیه محصوره فی أنواع ثلاثه:

(أحدها)قوه التمییز،(و ثانیها)قوه الغضب و یعبر عنها بقوه الدفع، (و ثالثها)قوه الشهوه و یعبر عنها بقوه الجذب.و انحراف کل منها إما فی الکمیه او فی الکیفیه،و الانحراف فی الکمیه إما للزیاده من الاعتدال أو للنقصان عنه،و الانحراف فی الکیفیه إنما یکون برداءتها.فأمراض کل قوه إما بحسب الإفراط أو التفریط،أو بحسب رداءه الکیفیه.

فالإفراط فی قوه التمییز:کالجربزه و الدهاء،و التجاوز عن حد النظر، و المبالغه فی التنقیر (۱)،و التوقف فی غیر موضعه للشبه الواهیه،و الحکم علی المجردات بقوه الوهم،و إعمال الذهن فی إدراک ما لا یمکن درکه، و التفریط فیه کالبلاهه،و قصور النظر عن درک مقدار الواجب،کإجراء أحکام المحسوسات علی المجردات.و الرداءه کالسفسطه فی الاعتقاد،و المیل

۱- ۱) التنقیر:البحث و التتبع.

إلى العلوم الغير اليقينيه-كعلم الجدل و الخلاف-أزيد مما يميل إلى اليقينيات و استعمالهما فى مقام اليقينيات،و الشوق إلى علم الكهانه و الشعبذه و أمثالهما للوصول إلى الشهوات الخسيسه.

و أما الإفراط فى قوه الدفع:كشده الغضب و الغيظ و فرط الانتقام بحيث يتشبه بالسباع.و أما التفريط،كعدم الغيره و الحميه و التشبه بالأطفال و النسوان فى الأخلاق و الصفات.و أما الرداءه فيها:كالغيظ على الجمادات و البهائم أو على الناس لا بسبب موجب للانتقام.

و أما الإفراط فى قوه الجذب:فكالحرص على الأكل و الجماع أزيد من قدر الضروره.و التفريط فيه:فكالفتور عن تحصيل الأقوات الضروريه و تضييع العيال و الخمود عن الشهوه حتى ينقطع عنه النسل.أما الرداده فيها:كشهوه الطين و الميل إلى مقاربه الذكور.

ثم إنك قد عرفت أن أجناس الفضائل أربعه،فأجناس الرذائل بحسب الكميه ثمانيه،لكل فضيله ضدان كل منهما ضد للآخر،و بحسب الكيفيه أربعه،و يحصل من تركيبها و امتزاجها أنواع و أصناف لا يعد كثره،كما عرفت أكثرها.

فصل (أسباب الأمراض النفسانيه)

اعلم أن أسباب الانحراف فى الأخلاق،إما نفسيه حاصله فى النفس فى بدو فطرتها،أو حادثه من مزاولتها للأعمال الرديه،أو جسميه-و هى الأمراض الموجبه لبعض الملكات الرديه-و السر فى ذلك أن النفس لما كانت متعلقه بالبدن علاقه ارتباطيه،فيتأثر كل منهما بتأثر الآخر،و كل

کیفیه تحدث فی أحدهما تسری فی الآخر،کما أن غضب النفس أو تعشقها یوجب اضطراب البدن و ارتعاشه،و تأثر البدن بالأمراض،(لا)سیما إذا حدثت فی الأعضاء الرئیسیه یوجب النقص فی إدراک النفس و فساد تخیلها و کثیرا ما یحدث من بعض الأمراض السوداویه فساد الاعتقاد و الجبن و سوء الظن،و من بعضها التهور،و یحصل من أکثر الأمراض سوء الخلق.

فصل (المعالجات الکلیه لمرض النفس)

سبب الانحراف إن کان مرضا جسمانیا فیجب أن یبادر إلی إزالته بالمعالجات الطبیه،و إن کان نفسانیا فالمعالجه الکلیه هنا کالمعالجه الکلیه فی الطب الجسمانی.و المعالجه الکلیه فیه أن یعالج المرض أولا بالغذاء الذی هو ضد المرض طبعا،کأن یعالج المرض البارد بالغذاء الحار،فإن لم ینفع فبالدواء و إن لم ینجع فبالسموموات،و إن لم یحصل بها البرء فبالکی أو القطع،و هو آخر العلاج. فالقانون الکلی فی المعالجه هنا أیضا کذلک،و هو أن یبادر بعد معرفه الانحراف إلی تحصیل الفضیله التی هی ضده،و المواظبه علی الأفعال التی هی آثارها،و هذا بمنزله الغذاء المضاد للمرض،فکما أن حصول الحراره فی المزاج یدفع البروده الحادثه فیه.فکذا کل فضیله تحدث فی النفس تزیل الرذیله التی هی ضدها.فإن لم ینفع فلیوبخ النفس و یعیرها علی هذه الرذیله فکرا أو قولا أو عملا،و یعاتبها و یخاطبها بلسان الحال و المقال:أیتها النفس الأماره قد هلکت و تعرضت لسخط اللّه و غضبه،و عن قریب تعذبین فی النار مع الشیاطین و الأشرار.فإن لم یؤثر ذلک فلیرتکب آثار الرذیله التی هی ضد هذه الرذیله،بشرط محافظه التعدیل،فصاحب الجبن مثلا یعمل

أعمال المتهورين،فيخوض فى المخاوف و الأهوال،و يلقى نفسه فى موارد الحذر و الأخطار.و صاحب البخل يكثر من بذل الأموال،بشرط أن يكف إذا قرب زوال الجبن و البخل لئلا يقع فى التهور و الإسراف،و هذا بمنزله المداواه بالسم.فإن لم ينفع ذلك لقوه استحكام المرض فليعذب النفس بأنواع التكاليف الشاقه و الرياضات المتعبه المضعفه للقوه الباعثه على هذه الرذيله،و هذا بمثابه الكى و القطع،و هو آخر العلاج.

المعالجات الخاصه لمرض النفس

(تنبيه)لما عرفت المعالجه الكليه الشامله لجميع الرذائل بأجناسها و أنواعها و أصنافها،فلنشتغل الآن ببيان معالجه كل من الرذائل بخصوصه.

و قد عددنا قبل ذلك ما يتعلق بالقوى الثلاث من الرذائل و أضدادها من الفضائل مما له اسم مشهور،فههنا نذكر معالجه كل رذيله بخصوصها،و نذيله بذكر ما يضادها من الفضيله،و ما ورد فى مدحها عقلا و نقلا،لأن العلم بمعرفه كل فضيله و حسنه أعون شيء على إزاله ما يضادها من الرذيله.و ربما كانت جمله من الرذائل المختلفه فى الاسم مشتركه فى المعالجه،و ربما كان للرذائل أو الفضائل المتعدده ضد واحد منهما،فنحن نشير إلى ذلك،و نشير أيضا فى تلو كل رذيله و فضيله إلى ما يتولد منهما من أفعال الجوارح مع معالجته-إن كان له ذلك-و نراعى الترتيب المذكور فى مقام الإجمال:فنذكر أولا ما يتعلق بالقوه العاقله من الجنسين و أنواعهما،ثم ما يتعلق بالقوه الغضبيه،ثم ما يتعلق بالشهويه،ثم ما يتعلق بالثلاث و الاثنين منها،فهنا أربعه مقامات:

المقام الأول (فی معالجه الرذائل المتعلقه بالقوه العاقله)

اشاره

الجربزه و علاجها-الجهل البسيط و علاجه-شرف العلم و الحكمه-آداب التعلم و التعليم-العلم الإلهی و الأخلاق و الفقه أشرف العلوم-أصول العقائد المجمع عليها-الجهل المركب و الشك-اليقين-علامات صاحبه- مراتب اليقين-الشرك-التوحيد-التوكل على اللّه-حق التوكل بما ذا يحصل-مناجاه السر لأرباب القلوب-الخواطر النفسانيه و الوساوس- أقسام الخواطر و منها الإلهام-المطارده بين جندی الملائكه و الشياطين فی معركه النفس-العلائم الفارقه بين الإلهام و الوسوسه-علاج الوساوس- ما يتم به علاج الوساوس-ما يتوقف قطع الوساوس عليه-حديث النفس لا مؤاخذه عليه-الخاطر المحمود و التفكر-مجاری التفكر فی العوالم و المخلوقات

ص: ۱۳۵

أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

[فأولهما]:

الجربزه

الموجبه للخروج فی الفکر عن الحد اللائق و عدم استقامه الذهن علی شیء بل لا یزال یستخرج أمورا دقیقه غیر مطابقه للواقع و یتجاوز عن الحق و لا یستقر علیه،و ربما أدی فی العقلیات إلی الإلحاد و فساد الاعتقاد،بل إلی نفی حقائق الأشیاء رأسا کما للسوفسطائیه،و فی الشرعیات إلی الوسواس. (و علاجه) بعد تذکر قبحه و إیجابه للهلاک،أن یکلف نفسه علی الاستقامه علی مقتضی الأدله المعتبره عند أولی الأفهام المستقیمه،و لا یتجاوز عن معتقدات أهل الحق المعروفین بالتحقیق و استقامه القریحه،و لا یزال یکلف نفسه علی ذلک حتی یعتاد القیام علی الوسط.و ربما کان للاشتغال بالتعلیمات نفع فی ذلک.

[و ثانیهما]:

اشاره

الجهل البسیط

و قد عرفت أنه من باب التفریط،و هو خلو النفس عن العلم من دون اعتقاد بکونها عالمه.و هو فی البدایه غیر مذموم لتوقف التعلم علیه،إذ ما لم تعتقد النفس جهلها بالمعارف لم تنهض لتحصیلها.و أما الثبات علیه فهو من المهلکات العظیمه.و الطریق فی إزالته أمور: (الأول)أن یتذکر ما یدل علی قبحه و نقصه عقلا،و هو أن یعلم أن الجاهل لیس إنسانا بالحقیقه،و إنما یطلق علیه الإنسان مجازا،إذ فضل الإنسان عن سائر الحیوانات إنما هو إدراک

۱- ۱) أی القوه العاقله.

الکلی المعبر عنه بـالعلم،لمشارکتهـا معه فی سـائر الأـمور من الجسـمیه و القوی الغضبیه و الشـهویه و الصوت و غیر ذلک،فلو لا علمه بحقائق الأشیاء و خواصها لکان حیوانا بالحقیقه،و لذا تری أن من کان فی محل محاورات العلماء و کان جاهلا بأقوالهم لم یکن فرق بینه و بین البهائم بالنسـبه إلیهم.و أی هلاک أعظم من الخروج عن حدود الإنسانیه و الدخول فی حد البهیمیه. (الثانی) أن یتذکر ما ورد فی الشریعه من الذم علیه مثل

قوله-صـلی اللّه علیه و آله و سـلم-: «سـته یـدخلون فی النـار قبل الحساب لسـته» و عـد منهم أهل الرساتیق بالجهاله. (الثالث)أن یتذکر ما یدل علی فضـیله العلم عقلا و نقلا کما نذکره و إذا وقف علی جمیع ذلک فلیتیقظ عن سـنه الغفله،و یصـرف فی إزالته الهمه و یجتهد فی تحصیل العلم عن أهالیه،و یصرف فیه أیامه و لیالیه.

فصل (شرف العلم و الحکمه)

قد علم أن ضد الجنسین-أی الجربزه و السفسطه و الجهل-هو الحکمه، أعنی العلم بحقائق الأشیاء.فلنذکر أولا بعض ما یدل علی شرافته عقلا و نقلا ترغیبا للطالبین علی السعی فی تحصیله و إزاله الجهل عن نفوسهم،فنقول:

لا ریب فی أن العلم أفضل الفضائل الکمالیه و أشرف النعوت الجمالیه، بل هو أجل الصفات الربوبیه و أجمل السمات الألوهیه،و هو الموصـل إلی جوار رب العـالمین و الـدخول فی أفق الملاـئکه المقربین،و هو المؤدی إلی دار المقـامه التی لاـ تزول و محل الکرامه التی لا تحول،و قد تطابق العقل و البرهان و إجماع أرباب الأدیان علی:أن السعاده الأبدیه و القرب من اللّه سبحانه

لا یتیسران بدونه،و أی شیء أفضل مما هو ذریعه إلیهما.و أیضا قد ثبت فی الحکمه المتعالیه:أن العلم و التجرد متلازمان،فکلما تزداد النفس علما تزداد تجردا،و لا ریب فی أن التجرد أشرف الکمالات المتصوره للإنسان، إذ به یحصل التشبه بالملإ الأعلی و أهل القرب من اللّه تعالی.

و من جمله العلوم معرفه اللّه التی هی السبب الکلی لإیجاد العالم العلوی و السفلی،

کما دل علیه الخبر القدسی: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» .علی أن العلم لذیذ فی نفسه محبوب فی ذاته،و ما یحصل منه من اللذه و الابتهاج قلما یحصل من غیره.و أسر فیه أن إدراک الأشیاء و الإحاطه بها نوع تملک و تصرف لها،إذ تتقرر فی ذات المدرک حقائقها و صورها،و مثل هذا التملک لدوامه و جزئیه المدرک للمدرک أقوی من ملکیه الأعیان المبائنه لذات المالک الزائله عنه.و التحقیق:أن إطلاق الملکیه علیه مجازی،و النفس لکونها من سنخ عالم الربوبیه تحت القهر و الاستیلاء علی الأشیاء و المالکیه لها بأی نحو کان،إذ معنی الربوبیه التوحید بالکمال و الاقتدار و الغلبه علی الأشیاء.

ثم من فوائد العلم فی الدنیا العز و الاعتبار عند الأخیار و الأشرار، و نفوذ الحکم علی الملوک و أرباب الاقتدار،فإن طباع الأنام من الخاص و العام مجبوله علی تعظیم أهل العلم و توقیرهم و وجوب إطاعتهم و احترامهم،بل جمیع الحیوانات من البهائم و السباع مطیعه للإنسان مسخره له،لاختصاصه بقوه الإدراک و مزید التمییز.و لو تصفحت آحاد الناس لم تجد أحدا له تفوق و زیاده علی غیره فی جاه أو مال أو غیر ذلک إلا-و هو راجع إلی اختصاصه بمزید تمییز و إدراک،و لو کان من باب المکر و الحیل.

هذا و ما یدل علی شرافه العلم من الآیات و الأخبار أکثر من أن تحصی

نبذه منها قوله تعالى:

إِنَّمٰا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(۱)

و قوله تعالى:

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ

(۲)

و قوله تعالى:

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً

(۳)

و قوله تعالى:

وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ

(۴)

و قول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «اللهم ارحم خلفائى.قيل:

يا رسول اللّه!من خلفاؤك؟قال:الذين يأتون من بعدى يروون حديثى و سنتى» .

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لأبى ذر: «جلوس ساعه عند مذاكره العلم أحب إلى اللّه تعالى من قيام ألف ليله يصلى فى كل ليله ألف ركعه و أحب إليه من ألف غزوه،و من قراءه القرآن كله اثنى عشر ألف مره و خير من عباده سنه صام نهارها و قام ليلها،و من خرج من بيته ليلتمس بابا من العلم كتب اللّه عز و جل له بكل قدم ثواب نبى من الأنبياء،و ثواب ألف شهيد من شهداء بدر،و أعطاه اللّه بكل حرف يسمع أو يكتب مدينه فى الجنه و طالب العلم يحبه اللّه و تحبه الملائكه و النبيون،و لا يحب العلم إلا السعيد و طوبى لطالب العلم،و النظر فى وجه العالم خير من عتق ألف رقبه،و من

۱- ۱) الفاطر،الآيه:۲۸.

۲- ۲) الزمر،الآيه:۹.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۶۹.

۴- ۴) العنکبوت،الآیه:۴۳.

أحب العلم وجبت له الجنه،و يصبح و يمسى فى رضى اللّه،و لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر و يأكل من ثمره الجنه،و لا يأكل الدود جسده و يكون فى الجنه رفيق خضر عليه السلام».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كمال الدين طلب العلم و العمل به،و إن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال،و إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم،و قد ضمنه و سيفى لكم،و العلم مخزون عند أهله فاطلبوه».

و قوله عليه السلام: «إذا مات مؤمن و ترك ورقه واحده عليها علم،تكون تلك الورقه سترا بينه و بين النار،و أعطاه اللّه بكل حرف عليها مدينه أوسع من الدنيا سبع مرات».

و قول سيد الساجدين على بن الحسين-عليهما السلام-: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه،و لو بسفك المهج و خوض اللجج».

و قول الباقر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»

و قول الصادق عليه السلام: «لو يعلم الناس ما فى فضل معرفه اللّه تعالى ما مدوا أعينهم إلى ما متع به الأعداء من زهره الحياه الدنيا و نعيمها،و كانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤن بأرجلهم،و لتنعموا بمعرفه اللّه و تلذذوا بها تلذذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء اللّه.إن معرفه اللّه تعالى أنس من كل وحشه،و صاحب من كل وحده،و نور من كل ظلمه،و قوه من كل ضعف و شفاء من كل سقم،قد كان قوم قبلكم يقتلون و يحرقون و ينشرون و تضيق عليهم الأرض برحبها،فما يردهم عما هم عليه شىء مما هم فيه من غير ترده وتروا من فعل ذلك بهم و لا أذى بما نقموا منهم:

إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

(۱)

ص: ۱۴۰

۱- ۱) البروج،الآيه:۸.

فاسألوا ربكم درجاتهم،و اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم».

و عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام-عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال: «طلب العلم فريضه على كل مسلم،فاطلبوا العلم فى مظانه،و اقتبسوه من أهله،فإن تعلمه للّه تعالى حسنه،و طلبه عباده، و المذاكره به تسبيح،و العمل به جهاد،و تعليمه من لا يعلمه صدقه،و بذله لأهله قربه إلى اللّه،لأنه معالم الحلال و الحرام،و منار سبيل الجنه،و المؤنس فى الوحشه،و الصاحب فى الغربه و الوحده،و المحدث فى الخلوه،و الدليل على السراء و الضراء،و السلاح على الأعداء.و الزين عند الأخلاء،يرفع اللّه به أقواما،و يجعلهم فى الخير قاده،تقتبس آثارهم،و يقتدى بأفعالهم و ينتهى إلى آرائهم،ترغب الملائكه فى خلتهم،و بأجنحتها تمسهم،و فى صلاتها تبارك عليهم،و يستغفر لهم كل رطب و يابس حتى حيتان البحر و هوامه و سباع البر و أنعامه.إن العلم حياه القلوب من الجهل،و ضياء الأبصار من الظلمه و قوه الأبدان من الضعف،يبلغ بالعبد منازل الأخيار و مجالس الأبرار و الدرجات العلى فى الآخره و الأولى.الذكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام.به يطاع الرب و يعبد،و به توصل الأرحام،و يعرف الحلال و الحرام العلم إمام و العمل تابعه،يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء،فطوبى لمن لم يحرمه اللّه من حظه».

آداب التعلم و التعليم

[تنبيه]لكل من التعلم و التعليم آداب و شروط:

[أما آداب التعلم]:

(فمنها)أن يجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات و الهوى و الاختلاط بأبناء الدنيا.

و لقد قال بعض الأكابر:«كما أن الحاسه الجليديه إذا كانت مئوفه

برمد و نحوه فهی محرومه من الأشعه الفائضه عن الشمس،کذلک البصیره إذا کانت مءوفه بمتابعه الشهوات و الهوی و المخالطه بأبناء الدنیا فهی محرومه من إدراک الأنوار القدسیه و محجوبه عن ذوق اللذات الإنسیه».

(و منها)ان یکون تعلمه لمجرد التقرب إلی اللّه و الفوز بالسعادات الأخرویه،

و لم یکن باعثه شیئا من المراء و المجادله،و المباهاه و المفاخره، و الوصول إلی جاه و مال،أو التفوق علی الأقران و الأمثال.

قال الباقر علیه السلام: «من طلب العلم لیباهی به العلماء أو یماری به السفهاء أو یصرف به وجوه الناس فلیتبوأ مقعده من النار،إن الرئاسه لا تصلح إلا لأهلها»

و قال الصادق علیه السلام: «طلبه العلم ثلاثه،فاعرفهم بأعیانهم و صفاتهم صنف یطلبه للجهل (1)و المراء،و صنف یطلبه للاستطاله و الختل،و صنف یطلبه للفقه و العقل.فصاحب الجهل و المراء مؤذ ممار،متعرض للمقال فی أندیه الرجال بتذاکر العلم و صفه الحلم،و قد تسربل بالخشوع و تخلی من الورع،فدق اللّه من هذا خیشومه و قطع منه حیزومه،و صاحب الاستطاله و الختل ذو خب و ملق،یستطیل علی مثله من أشباهه،و یتواضع للأغنیاء من دونه،فهو لحلوانهم (2)هاضم و لدینه حاطم،فأعمی اللّه علی هذا خبره.

1- 1) (الجهل)هنا بمعنی الجفاء و الغلظه.

2- 2) قال الشیخ(ملا صالح المازندرانی)فی تعلیقته علی أصول الکافی عن هذا الحدیث:«الحلوان-بضم الحاء المهمله و سکون اللام-ما تأخذه الحکام و القضاه و الکاهن من الأجر و الرشوه علی أعمالهم،یقال:حلوته أحلوه حلوانا،فهو مصدر کالغفران،و نونه زائده،و أصله من الحلاوه، و فی بعض النسخ(بحلوائهم)-بالهمزه بعد الألف-و الحلوا.-بالمد و القصر-ما یتخذ من الحلاوه».

و قطع من آثار العلماء أثره.و صاحب الفقه و العقل ذو كآبه و حزن و سهر، قد تحنک فی برنسه و قام اللیل فی حندسه،یعمل و یخشی و جلا- داعیا مشفقا مقبلا- علی شأنه عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق إخوانه،فشد اللّه من هذا أرکانه و أعطاه یوم القیامه أمانه».

(و منها)أن یعمل بما یفهم و یعلم،

فإن من عمل بما یعلم ورثه اللّه ما لم یعلم.

و قال الصادق علیه السلام: «العلم مقرون إلی العمل،من علم عمل و من عمل علم،و العلم یهتف بالعمل فإن أجابه و إلا ارتحل عنه».

و عن السجاد علیه السلام: «مکتوب فی الإنجیل:لا- تطلبوا علم ما لا تعملون و لما تعملوا بما علمتم،فإن العلم إذا لم یعمل به لم یزدد صاحبه إلا کفرا و لم یزدده من اللّه إلا بعدا».

و عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا،و من أراد به الدنیا فهی حظه».

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «العلماء رجلان:رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج،و عالم تارک لعلمه فهذا هالک،و أن أهل النار لیتأذون من ریح العالم التارک لعلمه،و أن أشد أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلی اللّه فاستجاب له و قبل منه،فأطاع اللّه فأدخله الجنه،و أدخل الداعی النار بترک عمله (۱)و اتباعه الهوی و طول الأمل،أما اتباع الهوی فیصد عن الحق و طول الأمل ینسی الآخره».

(و منها)أن یحافظ شرائط الخضوع و الأدب للمعلم،

و لا یرد علیه شیئا بالمواجهه،و یکون محبا له بقلبه،و لا ینسی حقوقه،لأنه والده المعنوی الروحانی،و هو أعظم الآباء الثلاثه.

قال الصادق علیه السلام: «اطلبوا

ص:۱۴۳

۱- ۱) صححناه علی بعض نسخ أصول الکافی المصححه و فی نسخ جامع السعادات هکذا:(بترکه علمه).

العلم و تزينوا معه بالحلم و الوقار،و تواضعوا لمن تعلمونه العلم،و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم،و لا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».

هـذا و قد أشـرنا سابقا إلى أن اللازم لكل متعلم أن يطهر نفسه أولا من رذائل الأخلاق و ذمائم الأوصاف بأسـرها،إذ ما لم يجرد لوح نفسه عن النقوش الرديه لم تشرق عليه لمعات أنوار العلم و الحكمه من ألواح العقول الفعاله القدسيه.

(و أما آداب التعليم):

(فمنها)ان يخلص المعلم تعليمه للّه سبحانه

و لم يكن له فيه باعث دنيوى من طمع مالى أو جاه و رئاسه أو شـهره بين الناس،بل يكون الباعث مجرد التقرب إلى اللّه تعالى و الوصول إلى المثوبـات الأبـديه،فـإن من علم غيره علما كان شـريكا،فى ثواب تعليم هـذا الغير لآخر،و فى ثواب تعليم هـذا الآخر لغيره...و هكذا إلى غير النهايه،فيصل بتعليم واحد إلى مثوبات التعاليم الغير المتناهيه،و كفى بهذا له فضلا و شرفا.

(و منها)أن يكون مشفقا على المتعلم ناصحا له،

مقتصرا فى الإفاده على قدر فهمه،متكلما معه باللين و الهشاشه لا بالغلظه و الفظاظه.

(و منها)أن لا يضن العلم من أهله و يمنعه عن غير أهله،

لأن بذل الحكمه للجهال ظلم عليها،و منعها عن أهلها ظلم عليهم،كما ورد فى الخبر (۱).

(و منها)أن يقول ما يعلم و يسكت عما لا يعلم

حتى يرجع إليه و يعلمه، و لا يخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع.و هذا الشرط لا يختص بالمعلمين،

۱- ۱) روى فى أصول الكـافى فى باب بـذل العلم عن الصادق عليه السـلام: «قام عيسـى بن مريم خطيبا فى بنى إسـرائيل فقال:يا بنى إسرائيل!لا تحدثوا الجهال بالحكمه فتظلموها و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

بل یعم کل من تصدر عنه المسائل العلمیه کالمفتی و القاضی و أمثالهما.

و قال الباقر علیه السلام: «حق اللّه علی العباد أن یقولوا ما یعلمون و یقفوا عند ما لا یعلمون» (۱)

و قال الصادق(ع): «إن اللّه تعالی خص عباده بآیتین من کتابه!ألا یقولوا حتی یعلموا و لا یردوا ما لم یعلموا،فقال:

أَ لَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِیثٰاقُ الْکِتٰابِ أَنْ لاٰ یَقُولُوا عَلَی اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ

(۲)

.و قال! بَلْ کَذَّبُوا بِمٰا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّٰا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ (۳).

و عنه(ع)! «إذا سئل الرجل منکم عما لا یعلم،فلیقل!لا أدری، و لا یقل:اللّه أعلم،فیوقع فی قلب صاحبه شکا.و إذا قال المسئول!لا أدری،فلا یتهمه السائل».

و عنه(ع): «إیاک و خصلتین ففیهما هلک من هلک إیاک أن تفتی الناس برأیک،أو تدین بما لا تعلم»،

و عن الباقر(ع) «من أفتی الناس بغیر علم و لا هدی لعنته ملائکه الرحمه و ملائکه العذاب و لحقه وزر من عمل بفتیاه».

و ربما کان لکل من المتعلم و المعلم آداب أخر تظهر لمن وقف علی فن الأخلاق.ثم العارف بأهل زماننا یعلم أن آداب التعلم و التعلیم کسائر الآداب و الفضائل فیهم مهجوره،و الأمر فی مثل الزمان کما قال فی وصفه بعض أهل

---

۱ - ۱) الحدیث المروی فی أصول الکافی هکذا:«عن زراره بن أعین قال سألت أبا جعفر-علیه السلام-ما حق اللّه علی العباد؟قال:أن یقولو ما یعلمون...»الی آخر الحدیث.

۲- ۲) الأعراف،الآیه

۳- ۳) یونس،الآیه:۳۹.

العرفان!«قد فسد الزمان و أهله،و تصدى للتدريس من قل علمه و كثر جهله، فانحطت مرتبه العلم و أصحابه،و اندرست مراسمه بين طلابه».

تتميم (العلم الإلهی و علم الأخلاق و الفقه أشرف العلوم)

العلم كله و إن كان كمالا ـ للنفس و سعاده،إلا ـ أن فنونه متفاوته فی الشرافه و الجمال و وجوب التحصيل و عدمه،فإن بعضها كالطب و الهندسه و العروض و الموسيقى و أمثالها،مما ترجع جل فائدته إلى الدنيا و لا يحصل بها مزيد بهجه و سعاده فی العقبی،و لذا عدت من علوم الدنيا دون الآخره،و لا يجب تحصيلها،و ربما وجب تحصيل بعضها كفايه.

و ما هو علم الآخره الواجب تحصيله،و أشرف العلوم و أحسنها هو العلم الإلهی المعرف لأصول الدين،و علم الأخلاق المعرف لمنجيات النفس و مهلكاتها، و علم الفقه المعرف لكيفيه العبادات و المعاملات،و العلوم التی مقدمات لهذه الثلاثه كالعربيه و المنطق و غيرهما يتصف بالحسن و وجوب التحصيل من باب المقدمه،و هذه العلوم الثلاثه و إن وجب أخذها إجمالا إلا أنها فی كيفيه الأخذ مختلفه!فعلم الأخلاق يجب أخذه عينا على كل أحد على ما بينته الشريعه و أوضحه علماء الأخلاق،و علم الفقه يجب أخذ بعضه عينا إما بالدليل أو التقليد من مجتهد حی،و التارك للطريقين غير معذور،و لذا ورد الحث الأكيد على التفقه فی الدين،

قال الصادق(ع)! «عليكم بالتفقه فی دين اللّه و لا تكونوا أعرابا،فإنه من لم يتفقه فی دين اللّه لم ينظر إليه يوم القيامه و لم يزك له عملا»،

و قال! «ليت السياط على رءوس أصحابی حتى يتفقهوا فی الحلال و الحرام»،

و قال(ع)! «إن آيه الكذاب أن يخبرك خبر السماء و الأرض و المشرق و المغرب،فإذا سألته عن حرام اللّه و حلاله لم يكن

عنده شیء».

و أما أصول العقائد فیجب أخذها عینا من الشرع و العقل،و هما متلازمان لا یتخلف مقتضی أحدهما عن مقتضی الآخر،إذ العقل هو حجه الله الواجب امتثاله و الحاکم العدل الذی تطابق أحکامه الواقع و نفس الأمر، فلا یرد حکمه،و لولاه لما عرف الشرع،

و لذا ورد! «أنه ما أدی العبد فرائض اللّه حتی عقل عنه،و لا بلغ جمیع العابدین فی فضل عبادتهم ما بلغ العاقل»

(۱)

،فهما متعاضدان و متظاهران،و ما یحکم به أحدهما یحکم به الآخر أیضا،و کیف یکون مقتضی الشرع مخالفا لمقتضی ما هو حجه قاطعه و أحکامه للواقع مطابقه،فالعقل هو الشرع الباطن و النور الداخل،و الشرع هو العقل الظاهر و النور الخارج،و ما یتراءی فی بعض المواضع من التخالف بینهما إنما هو لقصور العقل أو لعدم ثبوت ما ینسب إلی الشرع منه،فإن کل عقل لیس تاما،و کلما ینسب إلی الشرع لیس ثابتا منه،فالمناط هو العقل الصحیح و ما ثبت قطعا من الشریعه،و أصح العقول و أقواها و أمتنها و أصفاها هو عقل صاحب الوحی،و لذا یدرک بنوریته ما لا سبیل لأمثال عقولنا إلی درکه، کتفاصیل أحوال نشأه الآخره،فاللازم فی مثله أن نأخذه منه إذعانا و إن لم نعرف مأخذه العقلی.

أصول العقائد المجمع علیها

ثم ما أجمعت الأمه المختاره علیه من أصول العقائد هو!أن الواجب سبحانه موجود،و أنه واحد فی الألوهیه،و بسیط عن شوائب الترکیب، و منزه عن الجسمیه و عوارضها،و أن وجوده و صفاته عین ذاته،و أنه متقدم

۱- ۱) هذا الحدیث رواه فی أصول الکافی عن النبی-صلی اللّه علیه و آله فی کتاب العقل و الجهل فصححناه علیه،و فی نسخ جامع السعادات اختلاف عما هنا.

على الزمان و المكان و متعال عنهما،و أنه حى قديم أزلى قادر مريد عالم بجميع الأشياء،و علمه بها بعد إيجادها كعلمه بها قبله،و لا يزداد بإحداثها علما، و أن قدرته عامه بالنسبه إلى جميع الممكنات،و أنه يخلق ما يشاء و يفعل ما يريد و لا يكون شىء إلا بمشيئته،و أنه عدل فى حكمه صادق فى وعده،و بالجمله مستجمع لجميع الصفات الكماليه،و ليس كمثله شىء،و لا يتصور عقل و لا وهم مثله،بل هو تام فوق التمام.

و أن القرآن كلامه،و محمد-صلى اللّه عليه و آله و سلم-رسوله،ما أتى به من أمور النشأه الآخره من الجنه و النار و الحساب و الثواب و العقاب و الصراط و الميزان و الشفاعه و غير ذلك مما ثبت فى شريعته المقدسه حق ثابت،فيجب على كل مؤمن أن يأخذ بجميع ذلك و يتشبث به و يجرد باطنه له،بحيث لو أورد عليه ما ينقصه لم يقبله و لم يعرضه شك و ريب.

ثم إن المكلفين مختلفون فى كيفيه التصديق و الإذعان بالعقائد المذكوره، فبعضهم فيها على يقين مثل ضوء الشمس،بحيث لو كشف عنهم الغطاء ما ازدادوا يقينا (۱)، و بعضهم على يقين دون ذلك،و أقل هؤلاء رتبه أن تصل مرتبه يقينهم إلى طمأنينه لا اضطراب فيها،و بعضهم على مجرد تصديق ظنى يتزلزل من الشبهات و إلقاء النقيض،و إلى هذا الاختلاف

أشار الإمام محمد ابن على الباقر-عليهما السلام-بقوله «ان المؤمنين على منازل:منهم على واحده، و منهم على اثنتين،و منهم على ثلاث،و منهم على أربع،و منهم على خمس،و منهم على ست،و منهم على سبع،فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحده ثنتين لم يقو،

۱- ۱) كما قال أمير المؤمنين-عليه الصلاه و السلام-:«لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا».

و على صاحب الثنتين ثلاثا لم يقو...إلى آخره» (۱).

و الإمام أبو عبد اللّه الصادق(ع)بقوله! «إن للإيمان حالات و درجات و طبقات و منازل،فمنه التام المنتهى تمامه،و منه الناقص البين نقصانه،و منه الراجح الزائد رجحانه» و لا ريب فى أن تحصيل ما يطمئن به القلب فى العقائد الواجبه أخذها مما لا بد منه لكل مكلف،و مجرد التصديق من غير اطمئنان القلب غير كاف للنجاه فى الأخرى و الوصول إلى مراتب المؤمنين.و مع حصول الاطمئنان تحصل النجاه و الفوز بالفلاح و إن لم يكن حصوله من تفاصيل البراهين الحكميه و الدلائل الكلاميه،بل كان حاصلا من دليل إجمالى برهانى أو إقناعى،إذ الشرع الشريف لم يكلف بأكثر من التصديق و الجزم بظاهر العقائد المذكوره، و لم يكلف البحث و التفتيش عن كيفياتها و حقائقها و عن تكلف ترتيب الأدله فى نظمها،فلو حصل لأحد طمأنينه فى اتصاف الواجب بجميع الصفات الكماليه و براءته عن الصفات السلبيه،بمجرد أن عدم الاتصاف بالأولى و الاتصاف بالثانيه نقص لا يليق بذاته الأقدس،كان كافيا فى النجاه و الدخول فى زمره المؤمنين.و كذا إذا حصل له ذلك بمجرد أن هذا مما اتفق عليه فرق الأنبياء و أساطين الحكماء و العلماء،و قوه عقولهم و دقه أفهامهم تأبى عن اتفاقهم على محض الخطأ.و قس على ذلك غيره مما يفيد الاطمئنان كائنا ما كان.

قال العلامه«الطوسى»-ره-فى بعض تصانيفه!«أقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه،ثم إذا

۱- ۱) الحديث مروى فى أصول الكافى فى باب درجات الإيمان و بقيته: «و على صاحب الثلاث أربعا لم يقو،و على صاحب الأربع خمسا لم يقو، و على صاحب الخمس ستا لم يقو،و على صاحب الست سبعا لم يقو...و على هذه الدرجات».

صدق الرسول ينبغى أن يصدقه فى صفات اللّه و اليوم الآخر و تعيين الإمام المعصوم،كل ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد برهان!أما فى صفات اللّه فبأنه حى عالم قادر مريد متكلم ليس كمثله شىء و هو السميع البصير،و اما فى الآخره فبالإيمان بالجنه و النار و الصراط و الميزان و الحساب و الشفاعه و غيرها،و لا يجب عليه أن يبحث عن حقيقه الصفات،و أن الكلام و العلم و غيرهما حادث أو قديم،بل لو لم تخطر هذه بباله و مات مات مؤمنا،فإن غلب على قلبه شك أو إشكال،فإن أمكن إزالته بكلام قريب من الأفهام و إن لم يكن قويا عند المتكلمين و لا مرضيا فذلك كاف،و لا حاجه إلى تحقيق الدليل،فإن الدليل لا يتم إلا بذكر الشبهه و الجواب،و مهما ذكرت الشبهه لا يؤمن أن تتشبث بالخاطر و القلب فيظنها حقه لقصوره عن إدراك جوابها، إذ الشبهه قد تكون جليه و الجواب دقيقا لا يحتمله عقله،و لذا ورد الزجر عن البحث و التفتيش فى الكلام،و إنما زجر ضعفاء العوام،و أما أئمه الدين فلهم الخوض فى غمره الإشكالات.و منع العوام عن الكلام يجرى مجرى منع الصبيان عن شاطئ دجله خوفا من الغرق،و رخصه الأقوياء فيه أيضا هى رخصه الماهر فى صنعه السباحه،إلا أن ههنا موضع غرور و منزله قدم، و هو أن كل ضعيف فى عقله يظن أنه يقدر على إدراك الحقائق كلها،و أنه من جمله الأقوياء فربما يخوضون و يغرقون فى بحر الجهالات من حيث لا يشعرون، فالصواب منع الخلق كلهم-إلا الشاذ النادر الذى لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو اثنين-من تجاوز سلوك أهل العلم فى الإيمان المرسل و التصديق المجمل بكل ما أنزل اللّه و أخبر به رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- فمن اشتغل بالخوض فيه فقد أوقع نفسه فى شغل شاغل،إذ

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم- حين رأى أصحابه يخوضون،بعد أن غضب حتى

احمرت وجنتاه!أ فبهذا أمرتم؟تضربون كتاب اللّه بعضه ببعض!انظروا فيما أمركم اللّه فافعلوا و ما نهاكم عنه فانتهوا» فهذا على تنبيه منهج الحق.

ثم لا ريب فى أن نورانيه اليقين و وضوحه،بل و اطمئنان القلب و سكونه.لا يحصل من مجرد صنعه الجدل و الكلام،كما لا يحصل من محض التلقين و تقليد العوام.بل(الأول)-أعنى الاستضاءه بنور اليقين-يتوقف على ملازمه الورع و التقوى،و فطام النفس عن الهوى و إزاله كدرتها و صدأها! وَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها (۱).

و تطهيرها عن ذمائم الصفات و الاشتغال بمشاق الرياضه و المجاهدات،حتى يقذف فى قلبه نور إلهى تنكشف به الحجب و الأستار عن حقائق هذه العقائد، و هو غايه مقصد الطالبين و قره عيون الصديقين و المقربين و له درجات و مراتب، و الناس فيه مختلفون بحسب اختلافهم فى القوه و الاستعداد و السعى و الاجتهاد، كما هم مختلفون فى إدراك أنواع العلوم و الصنائع«و كل ميسر لما خلق له» (۲).

و أما(الثانى)-أعنى مجرد الاعتقاد الجازم الراسخ بظواهر تلك العقائد-فيمكن أن يحصل بما دون ذلك،بأن يشتغل-بعد تلقين هذه العقائد و التصديق بها-بوظائف الطاعات،و يصرف برهه من وقته فى شرائف العبادات،و يواظب على تفسير القرآن و تلاوته،و درس الحديث و درايته، و يحترز عن مخالطه أولى المذاهب الفاسده و ذوى الآراء الباطله،بل يجتنب كل الاجتناب عن مرافقه أرباب الهوى و أصحاب الشر و الشقاء،و يختار مصاحبه أهل الورع و اليقين،و مجالسه الأتقياء و الصالحين،و يلاحظ سيماهم و سيرتهم و هيئاتهم فى الخضوع للّه و الاستكانه،فيكون التلقين كالقاء البذر فى

۱- ۱) الشمس،الآيه:۹.

۲- ۲) حديث نبوى شريف مشهور تقدم ذكره صفحه«۲۶».

الصدر،و هذه الأمور كالسقى و التربيه له،فينمو ذلك البذر بها و يتقوى و يزداد رسوخا،حتى يرتفع شجره طيبه راسخه أصلها ثابت و فرعها فى السماء. ثم من وصل إلى مقام العقيده الجازمه إن اشتغل بالشواغل الدنيويه و لم يشتغل بالرياضه و المجاهده لم ينكشف له غيره،و لكنه إذا مات مات مؤمنا على الحق و سلم فى الآخره،و إن اشتغل بتصقيل النفس و ارتياضها انشرح صدره و انفتح له باب الإفاضه،و وصل إلى المرتبه الأولى.

أنواع الرذائل المتعلقه بالعاقله

اشاره

أما الأنواع المتعلقه بالعاقله

فمنها:

الجهل المركب

و هو خلو النفس عن العلم و إذعانها بما هو خلاف الواقع،مع اعتقاد كونها عالمه بما هو الحق،فصاحبه لا يعلم،و لا يعلم أنه لا يعلم،و لذا سمى مركبا.و هو أشد الرذائل و أصعبها،و إزالته فى غايه الصعوبه،كما هو ظاهر من حال بعض الطلبه.و قد اعترف أطباء النفوس بالعجز عن معالجته كما اعترف أطباء الأبدان بالعجز عن معالجه بعض الأمراض المزمنه،

و لذا قال عيسى-عليه السلام-: «إنى لا أعجز عن معالجه الأكمه و الأبرص و أعجز عن معالجه الأحمق». و السر فيه!أنه مع قصور النفس بهذا الاعتقاد الفاسد لا يتنبه على نقصانها،فلا يتحرك للطلب،فيبقى فى الضلاله و الردى ما دام باقيا فى دار الدنيا.ثم إن كان المنشأ له اعوجاج السليقه فأنفع العلاج له تحريض صاحبه على تعلم العلوم الرياضيه من الهندسه و الحساب،فإنها موجبه لاستقامه الذهن لألفه لأجلها باليقينيات فيتنبه على خلل اعتقادها،فيصير جهلها بسيطا،فينتهض للطلب.و إن كان خطأ فى الاستدلال،فليوازن استدلاله لاستدلالات أهل التحقيق و المشهورين باستقامه القريحه،و يعرض

أدله المطلوب على القواعد الميزانيه باحتياط تام و استقصاء بليغ،حتى يظهر خطأه.و إن كان مانع من عصبيه أو تقليد أو غير ذلک فليجتهد فى إزالته.

و منها الشک و الحيره

اشاره

و هو من باب رداءه الكيفيه و هو عجز النفس عن تحقيق الحق و إبطال الباطل فى المطالب الخفيه،و الغالب حصوله من تعارض الأدله،و لا ريب أنه مما يهلک النفس و يفسدها،إذ الشک ينافى اليقين الذى لا يتحقق الإيمان بدونه.

قال أمير المؤمنين-عليه السلام-فى بعض خطبه: «لا ترتابوا فتشكوا و لا تشكوا فتكفروا، و كأن الارتياب فى كلامه-عليه السلام- مبدأ الشک.

و قال الباقر-عليه السلام-: «لا ينفع مع الشک و الجحود عمل».

و قال الصادق-عليه السلام-: «إن الشک و المعصيه فى النار ليس منا و لا إلينا».

و سئل-عليه السلام- عن قول اللّه تعالى! اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمٰانَهُمْ بِظُلْمٍ (١).

قال:«بشک».

و قال-عليه السلام-: «من شک فى اللّه تعالى بعد مولده على الفطره لم يفئ إلى خير أبدا».

و قال-عليه السلام-: «من شک أو ظن فأقام على أحدهما احبط اللّه عمله،إن حجه اللّه هى الحجه الواضحه».

و قال-عليه السلام-: «من شک فى اللّه تعالى و فى رسوله -صلى اللّه عليه و آله و سلم-فهو كافر». و بمضمونه وردت أخبار أخر.و غير خفى أن المراد بالشک ما يضعف الاعتقاد و يزيل اليقين لا مجرد الوسوسه و حديث النفس،لما يأتى أنه لا ينافى الإيمان،بل الظاهر من بعض الأخبار أن إيجاب الشک للكفر إذا انجر إلى الجحود،

كما روى أن أبا بصير سأل الصادق-عليه السلام-ما تقول فيمن شک فى اللّه تعالى؟قال:«كافر»،

١- ١) الأنعام،الآيه:٨٢.

قال:فشک فی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-؟قال«کافر»،ثم التفت إلی زراره فقال:«انما یکفر إذا جحد».

ثم علاجه أن یتذکر أولا قضیه بدیهیه،هی:أن النقیضین لا یجتمعان و لا یرتفعان،و منه یعلم إجمالا أن أحد الشقوق العقلیه المتصوره فی المطلوب ثابت فی الواقع و نفس الأمر و البواقی باطله،ثم یتصفح المقدمات المناسبه للمطلوب و یعرضها علی الأقیسه المنطقیه باستقصاء بلیغ و احتیاط تام فی کل طرف،حتی یقف علی موضع الخطأ و یجزم بحقیه أحد الشقوق و بطلان الآخر.و الغرض من وضع المنطق(لا)سیما مباحث القیاسات السوفسطائیه المشتمله علی المغالطات إزاله هذا المرض.و لو کان ممن لا یقتدر علی ذلک، فالعلاج فی حقه أن یواظب علی العباده و قراءه القرآن،و یشتغل بمطالعه الأحادیث و سماعها من أهلها،و یجالس الصلحاء و المتقین و أصحاب الورع و أهل الیقین،لتکتسب نفسه بذلک نورانیه یدفع بها ظلمه شکه.

وصل الیقین

قد عرفت:أن ضد الجهل المرکب و الحیره و الشک هو(الیقین)،و أول مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غیر زائل بشبهه و إن قویت، فالاعتقاد الذی لا یطابق الواقع لیس یقینا،و إن جزم به صاحبه و اعتقد مطابقته للواقع،بل هو-کما أشیر إلیه-جهل مرکب ینشأ عن اعوجاج القریحه،أو خطأ فی الاستدلال،أو حصول مانع من إفاضه الحق کتقلید أو عصبیه أو غیر ذلک.فالیقین من حیث اعتبار الجزم فیه یکون ضد الحیره و الشک،و من حیث اعتبار المطابقه للواقع فیه یکون ضدا للجهل المرکب.

ثم العلم إن لم یعتبر فیه المطابقه للواقع ففرقه عن الیقین ظاهر،و إلا

فيتساويان و يتشاركان فى المراتب المثبته لليقين.

هذا و متعلق اليقين إما أجزاء الإيمان و لوازمه،من وجود الواجب و صفاته الكماليه و سائر المباحث الإلهيه من النبوه و أحوال النشأه الآخره، أو غيرها من حقائق الأشياء التى لا يتم الإيمان بدونها.و لا ريب فى أن مطلق اليقين أقوى أسباب السعاده،و إن كان اليقين فى المباحث الإلهيه أدخل فى تكميل النفس و تحصيل السعاده الأخرويه،لتوقف الإيمان عليه،بل هو أصله و ركنه،و غيره من المراتب فرعه و غصنه،و النجاه فى الآخره لا تحصل إلا به،و الفاقد له خارج عن زمره المؤمنين داخل فى حزب الكافرين.

و بالجمله:اليقين أشرف الفضائل الخلقيه و أهمها،و أفضل الكمالات النفسيه و أعظمها،و هو الكبريت الأحمر الذى لا يظفر به إلا أوحدى من أعاظم العرفاء أو ألمعى من أكابر الحكماء.و من وصل إليه فاز بالرتبه القصوى و السعاده العظمى.

قال سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أقل ما أوتيتم اليقين و عزيمه الصبر،و من أوتى حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار و قيام الليل»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «اليقين الإيمان كله»

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: ما آدمى إلا و له ذنوب،و لكن من كانت غريزته العقل و سجيته اليقين لم تضره الذنوب،لأنه كلما أذنب ذنبا تاب و استغفر و ندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنه».

و قال الصادق-عليه السلام-! «إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند اللّه تعالى من العمل الكثير على غير يقين»،

و عنه عليه السلام-! إن اللّه تعالى بعدله و قسطه جعل الروح و الراحه فى اليقين و الرضا،و جعل الهم و الحزن فى الشك و السخط».

و فى وصيه لقمان لابنه: «يا بنى!لا يستطاع العمل إلا باليقين،و لا يعمل المرء إلا بقدر يقينه،و لا يقصر عامل حتى ينقص يقينه».

علامات صاحب اليقين

ثم لصاحب اليقين علامات!

(منها)ألا يلتفت فى أموره إلى غير اللّه سبحانه.

و لا يكون اتكاله فى مقاصده إلا عليه،و لا ثقته فى مطالبه إلا به.فيتبرى عن كل حول و قوه سوى حول اللّه و قوته،و لا يرى لنفسه و لا لأبناء جنسه قدره على شيء و لا منشأيه لأثر.و يعلم أن ما يرد عليه منه تعالى و ما قدّر له و عليه من الخير و الشر سيساق إليه أ فتستوى عنده حاله الوجود و العدم.و الزياده و النقصان و المدح و الذم.و الفقر و الغنى.و الصحه و المرض.و العز و الذل.و لم يكن له خوف و رجاء إلا منه تعالى.و السر فيه:أنه يرى الأشياء كلها من عين واحده هو مسبب الأسباب.و لا يلتفت إلى الوسائط،بل يراها مسخره تحت حكمه

قال الإمام أبو عبد اللّه-عليه السلام-!«من ضعف يقينه تعلق بالأسباب،و رخص لنفسه بذلك،و اتبع العادات و أقاويل الناس بغير حقيقه،و السعى فى أمور الدنيا و جمعها و إمساكها،مقرا باللسان أنه لا مانع و لا معطى إلا اللّه،و أن العبد لا يصيب إلا ما رزق و قسم له،و الجهد لا يزيد فى الرزق،و ينكر ذلك بفعله و قلبه، قال اللّه سبحانه:

يَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِهِمْ مٰا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا يَكْتُمُونَ

(۱)

.

۱- ۱) الآیه من سوره آل عمران:۱۶۱ و هذا الحديث منقول عن(مصباح الشريعه و مفتاح الحقيقه)المنسوب إلى الصادق-عليه السلام-و هذا الكتاب قال فيه المجلسى-قدس سره-فى مقدمه البحار:«فيه ما يريب اللبيب الماهر،و اسلوبه لا يشبه سائر كلمات الأئمه و آثارهم»،ثم قال!«و إن سنده ينتهى إلى الصوفيه و لذا اشتمل على كثير من اصطلاحاتهم و على الروايه عن مشايخهم».

و قال-علیه السلام-! «لیس شیء الا و له حد»قیل!فما حد التوکل؟قال!«الیقین»،قیل!فما حد الیقین؟قال!«ألا تخاف مع اللّه شیئا».

و عنه-علیه السلام-! «من صحه یقین المرء المسلم ألا-یرضی الناس بسخط اللّه و لا یلومهم علی ما لم یؤته اللّه فإن الرزق لا یسوقه حرص حریص و لا ترده کراهیه کاره،و لو أن أحدکم فرّ من رزقه کما یفرّ من الموت لأدرکه رزقه کما یدرکه الموت».

(و منها)أن یکون فی جمیع الأحوال خاضعا للّه سبحانه.

خاشعا منه، قائما بوظائف خدمته فی السر و العلن،مواظبا علی امتثال ما أعطته الشریعه من الفرائض و السنن،متوجها بشراشره إلیه،متخضعا متذللا بین یدیه، معرضا عن جمیع ما عداه،مفرغا قلبه عما سواء،منصرفا بفکره إلی جناب قدسه،مستغرقا فی لجه حبه و أنسه،و السر أن صاحب الیقین عارف باللّه و عظمته و قدرته،و بأن اللّه تعالی مشاهد لأعماله و أفعاله،مطلع علی خفایا ضمیره و هواجس خاطره،و أن:

مَن یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ (۱).

فیکون دائما فی مقام الشهود لدیه و الحضور بین یدیه،فلا-ینفک لحظه عن الحیاء و الخجل و الاشتغال بوظائف الأدب و الخدمه،و یکون سعیه فی تخلیه باطنه عن الرذائل و تحلیته بالفضائل لعین اللّه الکالئه أشد من تزیین

۱- ۱) الزلزال،الآیه:۸-۹

ظاهره لأبناء نوعه.

و بـالجمله:من يقينه بمشاهـدته تعـالى لأعمـاله الباطنه و الظاهره و بالجزاء و الحساب،يكون أبـدا فى مقام امتثال أوامره و اجتناب نواهيه.

و من يقينه بمـا فعـل اللّه فى حقه من إعطـاء ضـروب النعم و الإحسـان، يكون دائمـا فى مقام الانفعال و الخجل و الشـكر لمنعمه الحقيقى.

و من يقينه بما يعطيه المؤمنين فى الدار الآخره من البهجه و السرور، و ما أعده لخلص عبيده مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب أحد،يكون دائما فى مقام الطمع و الرجاء.

و من يقينه باسـتناد جميع الأـمور إليه سـبحانه،و بأن صـدور ما يصـدر فى العالم إنما يكون بالحكمه و المصـلحه و العنايه الأزليه الراجعه إلى نظام الخير، يكون أبدا فى مقام الصبر و التسليم و الرضا بالقضاء من دون عروض تغير و تفاوت فى حاله.

و من يقينه بكون الموت داهيه من الدواهى العظمى و ما بعده أشد و أدهى،يكون أبدا محزونا مهموما.

و من يقينه بخساسه الدنيا و فنائها،لا يركن إليها.

قال الصادق-عليه السلام- فى الكنز الذى قال اللّه تعالى:

وَ كٰانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمٰا

(۱)

:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم:عجبت لمن أيقن بـالموت كيـف يفرح، و عجبت لمن أيقن بالقـدر كيـف يحزن،و عجبت لمن أيقن بالدنيا و تقلبها بأهلها كيف يركن إليها».

و من يقينه بعظمه اللّه الباهره و قوته القاهره،يكون دائما فى مقام

۱- ۱) الكهف الآيه:۸۲.

الهيبه و الدهشه.

و قد ورد أن سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان من شده خضوعه و خشوعه للّه تعالى و خشيته منه تعالى بحيث إذا كان يمشى يظن أنه يسقط على الأرض.

و من يقينه بكمالاته الغير المتناهيه و كونه فوق التمام،يكون دائما فى مقام الشوق و الوله و الحب.و حكايات أصحاب اليقين من الأنبياء و المرسلين و الأولياء و الكاملين فى الخوف و الشوق و ما يعتريهم من الاضطراب و التغير و التلون و أمثال ذلك فى الصلاه و غيرها مشهوره،و فى كتب التواريخ و السير مسطوره،و كذا ما يأخذهم من الوله و الاستغراق و الابتهاج و الانبساط باللّه سبحانه. و حكايه حصول تكرر الغشيات لمولانا أمير المؤمنين-عليه السلام- فى أوقات الخلوات و المناجاه و غفلته عن نفسه فى الصلوات مما تواتر عند الخاصه و العامه.و كيف يتصور لصاحب اليقين الواقعى باللّه و بعظمته و جلاله و باطلاعه تعالى على دقائق أحواله،أن يعصيه فى حضوره و لا يحصل له الانفعال و الخشيه و الدهشه و حضور القلب و التوجه التام إليه عند القيام لديه و المثول بين يديه،مع أنا نرى أن الحاضر عند من له أدنى شوكه مجازيه من الملوك و الأمراء مع رذالته و خساسته أولا و آخرا يحصل له من الانفعال و الدهشه و التوجه إليه بحيث يغفل عن ذاته.

(و منها)أن يكون مستجاب الدعوات،

بل له الكرامات و خرق العادات.و السر فيه أن النفس كلما ازدادت يقينا ازدادت تجردا،فتحصل لها ملكه التصرف فى موارد الكائنات.

قال الإمام أبو عبد الصادق-عليه السلام-: اليقين يوصل العبد إلى كل حال سنى و مقام عجيب،كذلك أخبر رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-من عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى بن مريم-عليه السلام-كان يمشى على الماء،فقال:لو زاد يقينه

لمشی فی الهوی» .فهذا الخبر دل علی أن الکرامات تزداد بازدیاد الیقین، و أن الأنبیاء مع جلاله محلهم من اللّه متفاوتون فی قوه الیقین و ضعفه.

مراتب الیقین

و قد ظهر مما ذکر:أن الیقین جامع جمیع الفضائل و لا ینفک عن شیء منها،ثم له مراتب: (أولها)علم الیقین،و هو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع-کما مر-و هو یحصل من الاستدلال باللوازم و الملزومات،و مثاله الیقین بوجود النار من مشاهده الدخان. (و ثانیها)عین الیقین،و هو مشاهده المطلوب و رؤیته بعین البصیره و الباطن،و هو أقوی فی الوضوح و الجلاء من المشاهده بالبصر،و إلی هذه المرتبه

أشار أمیر المؤمنین(ع)بقوله! «لم أعبد ربا لم أره»بعد سؤال ذعلب الیمانی عنه-علیه السلام-!أ رأیت ربک؟

و بقوله-علیه السلام-: «رأی قلبی ربی» .و هو إنما یحصل من الریاضه و التصفیه و حصول التجرد التام للنفس،و مثاله الیقین بوجود النار عند رؤیتها عیانا، و(ثالثها)حق الیقین،و هو أن تحصل وحده معنویه و ربط حقیقی بین العاقل و المعقول،بحیث یری العاقل ذاته رشحه من المعقول و مرتبطا به غیر منفک عنه،و یشاهد دائما ببصیرته الباطنیه فیضان الأنوار و الآثار منه الیه،و مثاله الیقین بوجود النار بالدخول فیها من غیر احتراق.و هذا إنما یکون لکمل العارفین باللّه المستغرقین فی لجه حبه و أنسه،المشاهدین ذواتهم بل سائر الموجودات من رشحات فیضه الأقدس،و هم الصدیقون الذین قصروا أبصارهم الباطنه علی ملاحظه جماله و مشاهده أنوار جلاله.و حصول هذه المرتبه یتوقف علی مجاهدات شاقه و ریاضیات قویه،و ترک رسوم العادات و قطع أصول الشهوات،و قلع الخواطر النفسانیه و قمع الهواجس الشیطانیه، و الطهاره عن أدناس جیفه الطبیعه،و التنزه عن زخارف الدنیا الدنیه،و بدون

ذلک لا یحصل هذا النوع من الیقین و المشاهده:

و کیف تری لیلی بعین تری بها

سواها و ما طهرتها بالمدامع

ثم فوق ذلک مرتبه یثبتها بعض أهل السلوک و یعبرون عنه(بحقیقه حق الیقین و الفناء فی اللّه،و هو أن یری العارف ذاته مضمحلا فی أنوار اللّه محترقا من سبحات وجهه،بحیث لا یری استقلالا و لا تحصیلا أصلا، و مثاله الیقین بوجود النار بدخوله فیها و احتراقه منها.

ثم لا ریب فی أن الیقین الحقیقی النورانی المبری عن ظلمات الأوهام و الشکوک و لو کان من المرتبه الأولی لا یحصل من مجرد الفکر و الاستدلال، بل یتوقف حصوله علی الریاضه و المجاهده و تصقیل النفس و تصفیتها عن کدورات ذمائم الأخلاق و صدأها،لیحصل لها التجرد التام فتحاذی شطر العقل الفعال،فتتضح فیها جلیه الحق حق الاتضاح. و السر أن النفس بمنزله المرآه تنعکس إلیها صور الموجودات من العقل الفعال،و لا ریب فی أن انعکاس الصور من ذوات الصور إلی المرآه یتوقف علی تمامیه شکلها و صقاله جوهرها و حصول المقابله و ارتفاع الحائل بینهما و الظفر بالجهه التی فیها الصور المطلوبه،فیجب فی انعکاس حقائق الأشیاء من العقل إلی النفس: -۱-عدم نقصان جوهرها،فلا یکون کنفس الصبی التی لا تنجلی لها المعلومات لنقصانها -۲- و صفاؤها عن کدورات ظلمه الطبیعه و إخباث المعاصی،و نقاؤها عن رسوم العادات و خبائث الشهوات.و هو بمنزله الصقاله عن الخبث و الصدا -۳-و توجهها التام و انصراف فکرها إلی المطلوب،فلا یکون مستوعب الهم بالأمور الدنیویه و أسباب المعیشه و غیرهما من الخواطر المشوشه لها،و هو بمنزله المحاذاه -۴-و تخلیتها عن التعصب و التقلید.و هو بمثابه ارتفاع الحجب -۵-و استحصال المطلوب من تألیف مقدمات مناسبه للمطلوب علی

الترتیب المخصوص و الشرائط المقرره،و هو بمنزله العثور علی الجهه التی فیها الصوره.

و لولا هذه الأسباب المانعه للنفوس عن إفاضه الحقائق الیقینیه إلیها، لکانت عالمه بجمیع الأشیاء المرتسمه فی العقول الفعاله،إذ کل نفس لکونها أمرا ربانیا و جوهرا ملکوتیا فهی بحسب الفطره صالحه لمعرفه الحقائق،و لذا امتازت عن سائر المخلوقات من السماوات و الأرض و الجبال،و صارت قابله لحمل أمانه اللّه (۱)التی هی المعرفه و التوحید،فحرمان النفس عن معرفه أعیان الموجودات إنما هو لأحد هذه الموانع،و قد أشار سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله و سلم-الی مانع التعصب و التقلید

بقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «کل مولود یولد علی الفطره حتی یکون أبواه یهودانه و یمجسانه (۲)و ینصرانه» ،و إلی مانع کدورات المعاصی و صدأها

بقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لو لا أن الشیاطین یحومون علی قلوب بنی آدم لنظروا إلی ملکوت السماوات و الأرض». فلو ارتفعت عن النفس حجب السیئات و التعصب و حاذت شطر الحق الأول تجلت لها صوره عالم الملک و الشهاده بأسره،إذ هو

۱- ۱) إشاره إلی قوله تعالی: إِنّٰا عَرَضْنَا الْأَمٰانَهَ عَلَی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبٰالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّهُ کٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً الأحزاب،الآیه:۷۲.

۲- ۲) روی السید المرتضی علم الهدی هذا الحدیث فی الجزء الثالث من أمالیه بدون کلمه(یمجسانه)،و کذا فی غوالی اللئالی،إلا أن المعروف فی روایته إضافه کلمه(یمجسانه)و لکنها بعد کلمه(ینصرانه)،کما أرسلها فی مجمع البیان:ج ۸ ص ۳۰۳ طبع صیدا،و کذا فی مجمع البحرین فی ماده (فطر)،و کذا فی صحیح البخاری:ج ۱ ص ۲۰۶،و صحیح مسلم:ج ۲ ص ۴۱۳،و معالم التنزیل فی هامش تفسیر الخازن:ج ۵ ص ۱۷۲،و غیر هؤلاء.

متناه یمکن لها الإحاطه به،و صوره عالمی الملکوت و الجبروت بقدر ما یتمکن منه بحسب مرتبته،لأنهما الإسرار الغائبه عن مشاهده الأبصار المختصه بإدراک البصائر،و هی غیر متناهیه،و ما یلوح منها للنفس متناه،و إن کانت فی نفسها و بالإضافه إلی علم اللّه سبحانه و غیر متناهیه،و مجموع تلک العوالم یسمی ب(العالم الربوبی)،إذ کل ما فی الوجود من البدایه إلی النهایه منسوب إلی اللّه سبحانه،و لیس فی الوجود سوی اللّه سبحانه و أفعاله و آثاره،فالعالم الربوبی و الحضره الربوبیه هو العالم المحیط بکل الموجودات،فعدم تناهیه ظاهر بین،فلا یمکن للنفس أن تحیط بکله،بل یظهر لها منه بقدر قوتها و استعدادها. ثم بقدر ما یحصل للنفس من التصفیه و التزکیه و ما یتجلی لها من الحقائق و الأسرار،و من معرفه عظمه اللّه و معرفه صفات جلاله و نعوت جماله تحصل لها السعاده و البهجه و اللذه و النعمه فی نعیم الجنه،و تکون سعه مملکته فیها بحسب سعه معرفته باللّه و بعظمته و بصفاته و أفعاله،و کل منها لا نهایه له.و لذا لا تستقر النفس فی مقام من المعرفه.و البهجه و الکمال و التفوق و الغلبه تکون غایه طلبتها،و لا تکون طالبه لما فوقها.

و ما اعتقده جماعه من أن ما یحصل للنفس من المعارف الإلهیه و الفضائل الخلقیه هی الجنه بعینها فهو عندنا باطل،بل هی موجبه لاستحقاق الجنه التی هی دار السرور و البهجه.

و منها:

اشاره

الشرک

و هو أن یری فی الوجود مؤثرا غیر اللّه سبحانه،فإن عبد هذا الغیر -سواء کان صنما أو کوکبا أو إنسانا أو شیطانا-کان شرک عباده،و إن لم یعبده و لکن لاعتقاد کونه منشأ أثر أطاعه فیما لا یرضی اللّه فهو شرک طاعه

و الأول يسمى بالشرك الجلى،و الثانى يسمى بالشرك الخفى،و إليه الإشاره بقوله تعالى:

وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ

(۱)

و كون الشرك أعظم الكبائر الموبقه و موجبا لخلود النار مما لا ريب فيه، و قد انعقد عليه إجماع الأمه،و الآيات و الأخبار الوارده به خارجه عن حد الإحصاء.

ثم للشرك مراتب تظهر فى بحث ضده الذى هو التوحيد،و الشرك و إن كان شعبه من الجهل،كما أن التوحيد الذى هو ضده من أفراد اليقين و العلم فذكرهما على حده لم يكن لازما هنا،إلا أنه لما كان المتعارف ذكر التوحيد فى كتب الأخلاق.فنحن أيضا ذكرنا له عنوانا على حده تأسيا بها،و أشرنا إلى لمعه يسيره منه،إذ الاستقصاء فيه و الخوض فى غمراته مما ليس فى وسعنا و لا يليق هنا،فإن التوحيد هو البحر الخضم الذى لا ساحل له.

وصل (التوحيد فى الفعل)

ضد الشرك(التوحيد)،و هو إما توحيد فى أصل الذات بمعنى عدم تركيب خارجى و عقلى فى ذاته تعالى و عينيه وجوده و صفاته لذاته،و يلزمه كونه تعالى صرف الوجود و بحته،أو توحيد فى وجوب وجوده بمعنى نفى الشرك فى وجوب الوجود عنه(و لا بحث لنا هنا عن إثبات هذين القسمين،لثبوتهما فى الحكمه المتعاليه)،أو توحيد فى الفعل و التأثير و الإيجاد،بمعنى أن لا فاعل و لا مؤثر إلا هو،و هو الذى نذكر هنا مراتبه و ما يتعلق به فنقول:

هذا التوحيد-على ما قيل-له أربع مراتب:قشر:و قشر القشر،و لب

۱- ۱) يوسف،الآيه:۱۰۶.

و لب اللب كالجوز الذى له قشرتان و له لب،و اللب دهن و هو لب اللب.

(فالمرتبه الأولى)أن يقول الإنسان باللسان:لا إله إلا اللّه،و قلبه منكر و غافل عنه،كتوحيد المنافقين،و هذا توحيد بمجرد اللسان و لا فائده فيه إلا حفظ صاحبه فى الدنيا من السيف و السنان. (الثانيه)أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه،كما هو شأن عموم المسلمين،و هو اعتقاد العوام و صاحبه موحد،بمعنى أنه معتقد بقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه.و هو عقد على القلب لا يوجب انشراحا و انفتاحا و صفاء له،و لكنه يحفظ صاحبه عن العذاب فى الآخره إن مات عليه و لم يضعف بالمعاصى. (الثالثه)أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطه نور الحق،و ذلك بأن يرى أشياء كثيره و لكن يراها بكثرتها صادره عن الواحد الحق،و هو مقام المقربين و صاحبه موحد بمعنى أنه لا يشاهد إلا فاعلا و مؤثرا واحدا،لأنه انكشف له الحق كما هو عليه. (الرابعه)ألا يرى فى الوجود إلا واحدا،و يسميه أهل المعرفه الفناء فى التوحيد،لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا، و إذا لم ير نفسه،لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه فى توحيده،بمعنى أنه فنى عن رؤيه نفسه،و هو مشاهده الصديقين،و صاحبه موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد،فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد.و هذا هى الغايه القصوى فى التوحيد.

فالمرتبه الأولى:كالقشره العليا من الجوز،و كما أن هذه القشره لا خير فيها أصلا،بل إن أكلتها فهى مر المذاق،و إن نظرت إلى باطنها فهو كريه المنظر،و إن اتخذتها حطبا أطفأت النار و أكثرت الدخان،و إن تركتها فى البيت ضيقت المكان،فلا تصلح إلا أن تترك مده على الجوز لحفظ القشره السفلى،ثم ترمى،فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر

مـذموم الظاهر و الباطن،لكن ينفع مـده فى حفظ المرتبه الثانيه إلى وقت الموت، و المرتبه الثانيه:كالقشـره السـفلى،فكما أن هذه القشـره ظـاهره النفـع بالإضـافه إلى القشـره العليـا،فإنهـا تصـون اللب عن الفسـاد عنـد الادخـار،و إذا فصـلت أمكن أن ينتفـع بها حطبـا،لكنها نازله القـدر بالإضافه إلى اللب، فكـذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسـبه إلى مجرد نطق اللسان،إذ تحصل به النجاه فى الآخره،لكنه ناقص القدر بالإضافه إلى الكشف و العيان الذى يحصل بانشـراح الصدر و انفتاحه بإشـراق نور الحق فيه. و المرتبه الثـالثه:كـاللب،و كمـا أن اللب نفيس فى نفسه بالإضـافه إلى القشـر و كـأنه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصـاره بالإضـافه إلى الـدهن منه فكـذلك توحيـد الفعـل على طريق الكشف مقصـد عـال للسـالكين،إلا ـ أنه لا يخلو عن شوب ملا ـحظه الغير و الالتفـات إلى الكثره بالإضـافه إلى من لا ـ يشاهـد سوى الواحـد الحق، و المرتبه الرابعه:كالـدهن المسـتخرج من اللب، و كما أن اللب هو المطلوب لذاته و المرغوب فى نفسه.فكذلك قصـر النظر على مشاهده الحق الأول هو المقصود لذاته و المحبوب فى نفسه.

[تنـبيه]إن قيـل:كيف يمكن تحقيق المرتبه الرابعه من التوحيـد لتوقفهـا على عـدم مشاهـده غير الواحـد،مع أن كـل أحـد يشـاهد الأرض و السماء و سائر الأجسام المحسوسه و هى كثيره،فكيف يكون الكثير واحدا؟ (قلنا):من تيقن أن الممكنات بأسرها أعدام صرفه فى نفسـها،و أن مـا به تحققها من اللّه سـبحانه،ثم أحاط على قلبه نور عظمته و جلاله بحيث بهره و غلب على قلبه الحب و الأنس حتى عن غيره أغفله،فأى استبعاد فى أن يوجب شده استغراقه فى لجه العظمه و الجلال و الكمال و الجمال و غلبه الحب و الأنس عليه،مع عدميه الكثره و وحده ما به التحقق عنده و رسوخ ذلك،

و ارتكازه فى قلبه أن لا يرى فى نظر شهوده إلا هو،و يغيب عنه غيره،لقصر نظر بصيرته الباطنه على ما هو الحقيقه و الواقع. و مما يكسر سوره استبعادک:

أن المشغول بالسلطان و المستغرق فى ملاحظه سطوته ربما غفل عن مشاهده غيره،و أن العاشق قد يستغرق فى مشاهده جمال معشوقه و يبهره حبه بحيث لا يرى غيره،مع تحقق الكثره عنده،و أن الكواكب موجوده فى النهار مع أنها لا ترى لمغلوبيه أنوارها و اضمحلالها فى جنب نور الشمس،فإذا جاز أن يغلب نور الشمس على نور الكواكب و يقهرها بحيث يضمحل و يغيب عن بصر الظاهر،فأى استبعاد فى أن يغلب نور الوجود الحقيقى القاهر على الموجودات الضعيفه الإمكانيه و يقهرها،بحيث يغيب عن نظر العقل و البصيره ثم هذه المشاهدات التى لا يظهر فيها إلا اللّه الواحد الحق لا تدوم،بل هى كالبرق الخاطف و الدوام فيها عزيز نادر.

فصل (ابتناء التوكل على حصر المؤثر فى اللّه تعالى)

اعلم:أنه لا يمكن التوكل على اللّه تعالى فى الأمور حق التوكل إلا بالبلوغ إلى المرتبه الثالثه من التوحيد،و هى التى يرتبط بها التوكل دون غيرها من المراتب،إذ المرتبه الرابعه لا يتوقف و لا يبتنى عليها التوكل،و الأولى مجرد نفاق لا يفيد شيئا-و الثانيه-أعنى مجرد التوحيد بالاعتقاد-لا يورث حال توكل كما ينبغى،فإنه موجود فى عموم المسلمين مع عدم وجود التوكل كما ينبغى فيهم.

فالمناط فى التوكل هو ثالث المراتب فى التوحيد،و هو أن ينكشف للعبد بنور الحق أن لا فاعل إلا اللّه،و أن كل موجود:من خلق و رزق و عطاء و منع و غنى و فقر،و صحه و مرض،و عز و ذل،و حياه و موت...إلى غير ذلک مما

يطلق عليه اسم،فالمتفرد بإبداعه و اختراعه هو اللّه تعالى لا شريک له فيه، و إذا انكشف له هذا لم ينظر إلى غيره،بل كان منه خوفه و إليه رجاؤه،و به ثقته و عليه اتكاله،فإنه الفاعل بالانفراد دون غيره،و ما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريک ذره فى ملكوت السماوات و الأرض و إذا انفتح له أبواب المعارف اتضح له هذا اتضاحا أتم من المشاهده بالبصر،و إنما يصده الشيطان عن هذا التوحيد،و يوقع فى قلبه شائبه الشرک بالالتفات إلى بعض الوسائط التى يتراءى فى بادى النظر منشئيتها لبعض الأمور،كالاعتماد على الغيم فى نزول المطر،و على المطر فى خروج الزرع و نباته و نمائه،و على الريح فى استواء السفينه و سيرها،و على بعض نظرات الكواكب و اتصالاتها فى حدوث بعض الحوادث فى الأرض،و كالالتفات إلى اختيار بعض الحيوانات و قدرتها على بعض الافعال، فيوسوس الشيطان فى قلبه و يقول له:كيف ترى الكل من اللّه تعالى،و هذا الإنسان يعطيک رزقک باختياره فإن شاء أعطاک و إن شاء منع،و هذا الشخص قادر على جز رقبتک بسيفه فإن شاء جز رقبتک و إن شاء عفى عنک،فكيف لا تخافه و لا ترجوه و أمرک بيده،و أنت تشاهد ذلک و لا تشک فيه؟! و لا ريب فى أن أمثال هذه الالتفاتات جهل بحقائق الأمور،و من مكن الشيطان و سلطه على نفسه حتى يوقع هذه الوساوس فى قلبه فهو من الجاهلين بأبواب المعارف،إذ من انكشف له أمر العالم كما هو عليه،علم أن السماء و الكواكب و الريح و الغيم و المطر و الإنسان و الحيوان...و غير ذلک من المخلوقات كلهم مقهورون مسخرون للواحد الحق الذى لا شريک له،فيعلم أن الريح مثلا هواء،و الهواء لا يتحرک بنفسه ما لم يحركه محرک،و هذا المحرک لا يحرک الهواء ما لم يحركه على التحريک محرک آخر...و هكذا إلى أن ينتهى

إلى المحرک الأول الـذی لا محرک له و لا هو متحرک فی نفسه.و کذا الحال فی توسط غیره من الأفلاک و نجومها،و کائنات الجو،و الموجودات علی الأرض من الجماد و النبات و الحیوان.

فالتفـات العبـد فی نجاته إلی بعض الأشیاء من الریاح و الأمطار أو الإنسان أو الحیوان یضاهی التفاوت من أخـذ لتجز رقبته،فأمر الملک کاتبه بأن یکتب توقیعا بالعفو عنه و تخلیته،فأخـذ العبـد یشـتغل بمـدح الحبر أو الکاغـد أو القلم أو الکاتب،و یقول:لو لا الخبر أو القلـم أو الکاغـذ أو الکـاتب مـا تخلصـت،فیری نجـاته من الحـبر و الکاغـذ دون القلم أو من القلم دون محرکه -أعنی الکاتب-أو من الکاتب دون الملک الذی هو محرک الکاتب و مسخره.

و من علم أن القلم لاـ حکم له فی نفسه و إنمـا هو مسـخر فی یـد الکـاتب،و أن الکـاتب لاـ حکم له و إنمـا هو مسـخر تحت ید الملـک،لم یلتفت إلی القلم و الکـاتب و لم یشـکر إلاـ الملـک،بـل ربمـا یـدهشه فرح النجـاه و شـکر الملک عن أن یخطر بباله الکاغـد و الحبر و القلم و الکـاتب. و لا ریب فی أن جمیع المخلوقات من الشـمس و القمر و النجوم و الغیم و المطر و الأرض و کل حیوان أو جماد مسـخرات فی قبضه القدره،کتسـخیر القلم فی ید الکاتب و تسخیر الکاتب فی ید السلطان بل هذا تمثیل فی حق العبد لاعتقاده أن الملک الموقع هو الکاتب حقیقه،و لیس الأمر کذلک،إذ الحق أن الکاتب هو اللّه سبحانه کما قال تعالی.

وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ رَمیٰ

(۱)

فمن انکشف له أن جمیع مـا فی السـماوات و الأـرض مسـخرات للـواجب الحـق،لم یر فی الوجود مؤثرا إلاـ هو،و انصـرف عنه الشیطان خائبا،و أیس عن مزج توحیده بهذا الشرک.

ص :۱۶۹

۱- ۱) الأنفال،الآیه:۱۷.

و أما من لم ينشرح بنور اللّه صدره،قصرت بصيرته عن ملاحظه جبار السماوات و الأرض و مشاهده كونه وراء الكل،فوقف فى الطريق على بعض المسخرات،و هو جهل محض.و غلطه فى ذلك كغلط النمله مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد،و لم يمتد بصرها إلى الأصابع و اليد،فضلا عن صاحب اليد،و ظنت أن القلم هو المسود للبياض،و ذلك لقصور بصرها عن مجاوزه رأس القلم لضيق حدقتها.

فصل مناجاه السر لأرباب القلوب)

قال بعض العارفين (۱):أرباب القلوب و المشاهدات قد انطلق اللّه فى حقهم كل ذره فى الأرض و السماوات بقدرته التى أنطق بها كل شیء،حتى سمعوا تقديسها و تسبيحها و شهادتها على نفسها بالعجز،بلسان الواقع الذى هو ليس بعربى و لا أعجمى و ليس فيه حرف و صوت،و لا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلى الملكوتى دون السمع الظاهر الحسى الناسوتى،و هذا النطق الذى لكل ذره من الأرض و السماوات مع أرباب القلوب إنما هو(مناجاه السر)،و ذلك مما لا ينحصر و لا يتناهى،فإنها كلمات تستعد (۲)من بحر كلام اللّه الذى لا نهايه له:

۱- ۱) المقصود به(أبو حامد الغزالى)فى إحياء العلوم،راجع الجزء الرابع ص ۱۱۴ المطبوع بالمطبعه العثمانيه بمصر سنه ۱۳۵۲،و سترى أن هذه الفصول مقتبسه منه بتغيير فى العباره و تقديم و تأخير.و كذلك هذا الفصل المنقول عنه فيه تغيير و اختصار كثير،و صاحب الكتاب اعترف-فيما سيأتى-باقتباس هذه الفصول من الغزالى.

۲- ۲) و فى نسختنا الخطيه:(لأنها كلام يستمد)،و لكن الموجود فى المطبوعه و فى نسخه إحياء العلوم كما أثبتناه فى المتن.

قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً

(۱)

.

ثم إنها لما كانت مناجيه بأسرار الملك و الملكوت،و ليس كل أحد موضعا للسر،بل صدور الأحرار قبور الأسرار،فاختصت مناجاتها بالأحرار من أرباب القلوب.و هم أيضا لا يحكون هذه الأسرار لغيرهم،إذ إفشاء السر لؤم و هل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوجى بخفاياه فينادى بها على الملإ من الخلق،و لو جاز إفشاء كل سر لما نهى النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-عن إفشاء سر القدر،و لما خص أمير المؤمنين(ع)ببعض الأسرار،

و لما قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا» بل كان يذكر لهم ذلك حتى يبكون و لا يضحكون.

فإذن عن حكايات مناجاه ذرات الملك و الملكوت لقلوب أرباب المشاهده مانعان:(أحدهما)المنع عن إفشاء السر، (ثانيهما)خروج كلماتها عن الحصر و النهايه.و نحن نحكى فى فعل الكتابه قدرا يسيرا من مناجاه بعض ما يرى أسبابا و وسائط،و إقرارها بالعجز على أنفسها،ليقاس عليه جميع الأفعال الصادره عن جميع الأسباب و الوسائط المسخره تحت قدره اللّه،و يفهم به على الإجمال كيفيه ابتناء التوكل عليه،و نرد لضروره التفهم كلماتها الملكوتيه إلى الحروف و الأصوات،و إن لم تكن أصواتا و حروفا،فنقول:

قال بعض الناظرين عن مشكاه نور اللّه للكاغد،و قد رأى وجهه أسود بالحبر:«لم سودت وجهك و قد كان أبيض مشرقا؟».

فقال:«ما سودت وجهى،و إنما سوده الحبر،فاسأله لم فعل كذا؟».

۱- ۱) الكهف،الآيه:۱۰۹.

فسأل الحبر عن ذلک،فقال:«هذا السؤال علی القلم الذی أخرجنی من مستقری ظلما».

فسأل القلم،فأحاله إلی الید و الأصابع،و هی إلی القدره و القوه،و هی إلی الإراده،معترفا کل واحد منهم بعجز نفسه،و بکونه مقهورا مسخرا تحت قهر المحال علیه من دون استطاعه لمخالفته.

و لما سأل الإراده،قالت:«ما انتهضت بنفسی،بل بعثت علی إشخاص.

القدره و إنهاضها،و بحکم رسول قاهر ورد علی من حضره القلب بلسان العقل،و هذا الرسول هو العلم،فالسؤال عن انتهاضی یتوجه علی العقل و القلب و العلم».

و لما سألها قال(العقل):«أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسی و لکنی اشعلت».

و قال(القلب):«أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسی و لکنی بسطت».

و قال(العلم):«أما أنا فنقش نقشت فی لوح القلب لما أشرق سراج العقل،و ما انتقشت بنفسی بل نقشنی غیری،فسل القلم الذی نقشنی و رسمنی علی لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل».

و عند هذا تحیر السائل و قال:«ما هذا القلم و هذا اللوح و هذا الخط و هذا السراج؟فإنی لا أعلم قلما إلا من القصب،و لا لوحا إلا من الحدید أو الخشب،و لا خطا إلا بالحبر،و لا سراجا إلا من النار.و إنی لأسمع فی هذا المنزل حدیث اللوح و القلم و الخط و السراج،و لا أشاهد من ذلک شیئا» فقال له(العلم):«فإذن بضاعتک مزجاه،و زادک قلیل،و مرکبک ضعیف،و المهالک فی الطریق الذی توجهت إلیه کثیره،فإن کنت راغبا فی استتمام الطریق إلی المقصد،فاعلم أن العوالم فی طریقک ثلاثه: (أولها)

عـالم الملـك و الشـهاده،و لقـد كـان الكاغـد و الحبر و القلم و اليـد و الأصـابع من هـذا العالم،و قـد جاوزت تلك المنازل على سهوله، (و ثانيها)عالم الملكوت الأسـفل و هو يشـبه السـفينه التى بين الأرض و الماء،فلا هى حد اضطراب الماء،و لا هى فى حد سكون الأـرض و ثباتهـا،و القـدره و الإـراده و العلم من منـازل هـذا العالم. (و ثالثها) عالم الملكوت الأعلى،و هو من ورائى،فإذا جـاوزتنى انتهيت إلى منازله.و أول منازله القلم الـذى يكتب به العلم على لوح القلب و فى هـذا العالم المهامه الفسـيحه و الجبال الشاهقه و البحار المغرقه».

فقـال له السائل السالك:«قـد تحيرت فى أمرى و لست أدرى أنى أقـدر على قطع هـذا الطريق المخوف أم لا،فهل لـذلك علامه أعرف بها تمكنى على قطع هذا الطريق؟».

فقال:«نعم!افتـح بصـرك،و اجمع ضوء عينك و حـدقه نحوى،فإن ظهر لك القلم الذى به يكتب فى لوح القلب،فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق،فإن كل من جاوز الملكوت الأسـفل و قرع أول باب من الملكوت الأعلى كوشف بالقلم.أ ما ترى النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كوشف به و أنزل عليه قوله تعالى:

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ... إلى قوله: اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ (۱).

و هـذا القلم قلم إلهى ليس بقصب و لاـ خشب.أ و ما سـمعت أن متاع البيت يشـبه رب البيت؟و قـد علمت أن اللّه تعالى لا تشـبه ذاته سائر الـذوات فليس فى ذاته بجسم و لا هو فى مكان،فكـذلك لا تشـبه يـده سائر الأيدى، و لا قلمه سائر الأقلام،و لا كلامه سائر الكلام،و لا خطه سائر الخطوط.

بل هذه أمور إلهيه من عالم الملكوت الأعلى،فليست يده من لحم و عظم

۱- ۱) العلق،الآيه:۳،۱-۵.

و دم،و لا ـ قلمه من قصب،و لا ـ لوحه من خشب،و لا ـ كلا ـمه من صوت و حرف،و لا ـ خطه من نقش و رسم و رقم،و لا حبره من زاج و عفص.فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فأنت من أهل التشبيه و التجسم و ما عرفت ربك إذ لو نزهت ذاته تعالى و صفاته عن ذات الأجسام و صفاتها و نزهت كلا ـمه عن الحروف و الأ ـصوات،فما بالك تتوقف فى يده و قلمه و لوحه و خطه، و لا تنزهها عن الجسميه و التشبيه بغيرها؟».

فلما سمع السائل السالك من العلم ذلك،استشعر قصور نفسه و فتح بصر بصيرته،بعد الابتهال إلى ربه،فانكشف له القلم الإ ـلهى،فإذا هو كما وصفه العلم،ما هو من خشب و لا ـ قصب،و لا له رأس و لا ذنب،و هو يكتب على الدوام فى قلوب البشر أصناف العلم،فشكر العلم و ودعه،و سافر إلى حضره القلم الإلهى،و قال له:

«أيها القلم!ما لك تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى انهاض القدره و إشخاصها و صرفها إلى المقدورات؟».

فقال له(القلم الإلهى):«أ فنسيت ما رأيت فى عالم الملك و سمعته من جواب القلم الآدمى حيث أحالك إلى اليد؟فجوابى مثل جوابه،فإنى مسخر تحت يد اللّه تعالى الملقبه:(يمين الملك)،فاسأله عن شأنى فإنى فى قبضته و هو الذى يرددنى،و أنا مقهور مسخر،فلا فرق بين القلم الإلهى و القلم الآدمى فى معنى التسخير،و إنما الفرق فى ظاهر الصوره».

فقال السائل:«من يمين الملك؟».

قال القلم:«أ ما سمعت قوله تعالى:

وَ السَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ؟

(۱)

».

ص :۱۷۴

۱- ۱) الزمر،الآیه:۶۷.

قال:«نعم!سمعته».

قال:«و الأقلام أيضا فی قبضته و هو الذی یرددها».

فسافر السائل من عنـد القلم إلی الیمین،حتی شاهـده،و رأی من عجائبه ما یزید علی عجائب القلم،و رأی أنه یمین لا کالأیمان،و یدا کالأیدی، و إصبع لا کالأصابع،فرأی القلم متحرکا فی قبضته،فسأله عن سبب تحریکه القلم فقال:«جوابی ما سمعته من الیمین التی رأیتها فی عالم الشهاده،و هو الحواله علی القدره،إذ الید لا حکم لها فی نفسها،و إنما محرکها القدره».

فسافر إلی عالم القدره و رأی فیها من العجائب ما استحقر لأجلها ما قبلها فسألها عن سبب تحریکها الیمین.

فقالت:«إنما أنا صفه فاسأل القادر،إذ العهده علی الموصوف دون الصفه».

و عند هذا کاد أن یزیغ قلب السائل،و ینطلق بالجرأه لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت و نودی من وراء سرادقات الحضره:

لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ

(۱)

.

فغشیته دهشه الحضره،فخر صعقا فی غشیته مده،فلما أفاق قال:

«سبحانک!ما أعظم شأنک و أعز سلطانک،تبت إلیک و توکلت علیک، و آمنت بأنک الملک الجبار الواحد القهار،فلا أخاف غیرک و لاـ أرجو سواک و لاـ أعوذ إلا بعفوک من عقابک،و برضاک من سخطک،و ما لی إلا أن أسألک و أتضرع إلیک،و أقول:

(اشْرَحْ لِی صَدْرِی) لا عرفک، (وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسٰانِی) (۲)لأثنی علیک.

ص:۱۷۵

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۲۳.

۲- ۲) طه،الآیه:۲۷،۲۵.

فنودی من وراء الحجاب:«إیاک أن تطمع فی الثناء،

فإن سید الأنبیاء -صلی اللّه علیه و آله و سلم-ما زاد فی هذه الحضره إلی أن قال: (سبحانک لا أثنی ثناء علیک کما أنت أثنیت علی نفسک) .و إیاک أن تطمع فی المعرفه

فإن سید الأوصیاء قال: (العجز عن درک الإدراک إدراک،و الفحص عن سر ذات السر إشراک). فیکفیک نصیبا من حضرتنا أنک عاجز عن ملاحظه جلالنا و جمالنا،و قاصر عن إدراک دقائق حکمنا و أفعالنا».

فعند هذا رجع السائل السالک،و اعتذر عن أسئلته و معاتبته،و قال للقدره و الیمین و القلم و العلم و الإراده و القدره و ما بعدها:«أقبلوا عذری فإنی کنت غریبا جدید العهد بالدخول فی هذه البلاد.و الآن قد صح عندی عذرکم و انکشف لی أن المتفرد بالملک و الملکوت و العزه و الجبروت هو الواحد القهار و ما أنتم إلا مسخرون تحت قهره و قدرته،مرددون فی قبضته،و هو الأول بالإضافه إلی الوجود،إذ صدر منه الکل علی ترتیبه واحدا بعد واحد، و هو الآخر بالإضافه إلی سیر المسافرین إلیه،فإنهم لا یزالون مترقین من منزل إلی منزل إلی أن یقع الانتهاء إلی حضرته،فهو أول فی الوجود و آخر فی المشاهده و هو الظاهر بالإضافه إلی من یطلبه بالسراج الذی اشتعل فی قلبه بالبصیره الباطنه النافذه فی عالم الملکوت،و هو الباطن بالإضافه إلی العاکفین فی عالم الشهاده الطالبین لإدراکه بالحواس».

و هذا هو التوحید فی الفعل للسالکین،الذین انکشف لهم وحده الفاعل بالمشاهده و استماع کلام ذرات الملک و الملکوت،و هو موقوف علی الإیمان بعالم الملکوت و التمکن من المسافره إلیه و استماع الکلام من أهله.و من کان أجنبیا من هذا العالم و لم یکن له استعداد الوصول إلیه و لم یمکنه أن یسلک السبیل الذی ذکرناه،فینبغی أن یرد مثله إلی التوحید الاعتقادی الذی

یوجد فی عالم الشهاده،و هو أن یعلم ببعض الأدله وحده الفاعل،مثل أن یقال له:إن کل أحد یعلم أن المنزل یفسد بصاحبین و البلد یفسد بأمیرین، فإله العالم و مدبره واحد،إذ:

لَوْ کٰانَ فِیهِمٰا آلِهَهٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتٰا

(۱)

فیکون ذلک علی ذوق ما رآه فی عالم الشهاده،فینغرس اعتقاد التوحید فی قلبه بهذا الطریق بقدر عقله و استعداده،و قد کلفوا الأنبیاء أن یکلموا الناس علی قدر عقولهم.

ثم الحق أن هذا التوحید الاعتقادی إذا قوی یصلح أن یکون عمادا للتوکل و أصلا فیه،إذ الاعتقاد إذا قوی عمل عمل الکشف فی إثاره الأحوال إلا أنه فی الغالب یضعف و یتسارع إلیه الاضطراب،فیحتاج إلی من یحرسه بکلامه،و أما الذی شاهد الطریق و سلکه بنفسه،فلا یخاف علیه شیء من ذلک،بل لو کشف له الغطاء لما ازداد یقینا و إن کان یزداد وضوحا.

(تنبیه)اعلم أن ما یبتنی علیه التوحید المذکور،أعنی کون جمیع الأشیاء من الأسباب و الوسائط مقهورات مسخرات تحت القدره الأزلیه ظاهر.و سائر ما أوردنا فی هذا المقام مما ذکره أبو حامد الغزالی و تبعه بعض أصحابنا«و لا إشکال فیه إلا فی أفعال الإنسان و حرکاته» (۲).فإن البدیهه تشهد بثبوت نوع اختیار له،لأنه یتحرک إن شاء و یسکن إن شاء،مع أنه لو کان مسخرا مقهورا فی جمیع أفعاله و حرکاته،لزم الجبر و لم یصح التکلیف و الثواب و العقاب.و لتحقیق هذه المسأله موضع آخر،و لا یلیق ذکرها هنا.

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۲۲.

۲- ۲) هکذا فی المطبوعه و فی نسختنا الخطیه و النسخه الأخری:«و لا ریب فی لزوم الإشکال فی أفعال الإنسان و حرکاته».

و الحق أن كل ما قيل فيها لا يخلو عن قصور و نقصان،و الأولى فيها السكوت و التأدب بآداب الشرع (١).

و منها:

اشاره

الخواطر النفسانيه و الوساوس الشيطانيه

اعلم أن الخاطر ما يعرض فى القلب من الأفكار فإن كان مذموما داعيا إلى الشر سمى(وسوسه)،و إن كان محمودا داعيا إلى الخير سمى(إلهاما).

و توضيح ذلك:أن مثل القلب بالنسبه إلى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب،أو حوض تنصب إليه مياه مختلفه من الجداول،أو قبه ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفه،أو مرآه منصوبه تجتاز إليها صور متباينه.فكما أن هذه الأمور لا تنفك عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر.فلا تزال هذه اللطيفه الإلهيه مضمارا لتطاردها و معركه لجولانها و تزاحمها،إلى أن يقطع ربطها عن البدن و لذاته،و يتخلص عن لدغ عقارب الطبع و حياته.

ثم لما كان الخاطر أمرا حادثا فلا بد له من سبب،فإن كان سببه شيطانا فهو الوسوسه،و إن كان ملكا فهو الإلهام.و ما يستعد به القلوب لقبول الوسوسه يسمى إغواءا و خذلانا،و ما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمى لطفا و توفيقا.و إلى ذلك

أشار سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-بقوله: «فى القلب

١- ١) هذا اعتراف بالعجز و هروب من حل هذه المعضله التأريخيه فى سر الخلق،و الحل الذى لم يسبق إليه البشر حتى عند فلاسفتهم الأقدمين و المتأخرين ما قاله إمامنا الصادق(ع):«لا جبر و لا تفويض،و لكن أمر بين أمرين» فإن الفاعل الذى منه الوجود هو اللّه تعالى وحده لا شريك له فى خلقه،و الفاعل الذى به الوجود هو العبد المختار فى فعله.

لمتان (۱):لمه من الملک ایعاد بالخیر و تصدیق بالحق،و لمه من الشیطان إیعاد بالشر و تکذیب بالحق».

و بقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن».

فصل (أقسام الخواطر و منها الإلهام)

الخاطر ینقسم إلی ما یختلج بالبال من دون أن یکون مبدأ للفعل،و هی الأمانی الکاذبه و الأفکار الفاسده،و إلی محرک الإراده و العزم علی الفعل، إذ کل فعل مسبوق بالخاطر أولا،فمبدأ الأفعال الخواطر،و هی تحرک الرغبه و الرغبه العزم،و العزم النیه،و النیه تبعث الأعضاء علی الفعل،(و الثانی) کما عرفت إن کان مبدأ للخیر یکون إلهاما و محمودا،و إن کان مبدأ للشر یکون وسواسا و مذموما.(و الأول)له أنواع کثیره:

(منها)ما یرجع إلی التمی،سواء کان حصول ما یتمناه ممکنا أو محالا، و سواء کان المتمنی حسنا محمودا أو قبیحا مذموما،و سواء کان عدمه مستندا

۱- ۱) روی الحدیث فی إحیاء العلوم ج ۲ ص ۲۳ هکذا:«فی القلب لمتان: لمه من الملک إیعاد بالخیر و تصدیق بالحق،فمن وجد ذلک فلیعلم أنه من اللّه سبحانه و لیحمد اللّه.و لمه من العدو إیعاد بالشر و تکذیب بالحق و نهی عن الخیر،فمن وجد ذلک فلیستعذ باللّه من الشیطان الرجیم»،ثم تلا قوله تعالی:الشیطان یعدکم الفقر...الآیه. و هذا الحدیث لم نعثر علیه من طرقنا،و کذا الحدیث الآتی: فی نهایه ابن الأثیر:«فی حدیث ابن مسعود:لابن آدم لمتان:لمه من الملک و لمه من الشیطان-اللمه الهمه و الخطره تقع فی القلب،أراد إلمام الملک أو الشیطان به و القرب منه».

إلی قضاء اللّه و قدره أو إلی تقصیره و سوء تدبیره فیخطر بباله أنه یا لیت لم یفعل کذا أو فعل کذا.

(و منها)ما یرجع إلی تذکر الأحوال الغالبه،إما بدون اختیاره أو مع اختیار ما،بأن یتصور ما له من النفائس الفانیه فیستر به،أو یتخیل فقده فیحزن لأجله،أو یتفکر فی ما اعتراه من العلل و الأسقام و اختلال أمر المعاش و سوء الانتظام،أو یذهب وهمه إلی حساب المعاملین أو جواب المعاندین،و تصویر إهلاک الأعداء بالأنواع المختلفه من دون تأثیر و فائده.

(و منها)ما یرجع إلی التطیر،و ربما بلغ حدا یتخیل کثیرا من الأمور الاتفاقیه الداله علی وقوع مکروه بنفسه أو بما یتعلق به،و یضطرب بذلک، و إن لم تکن مشهوره بذلک عند الناس،و ربما حدثت فی القوه الوهمیه خباثه و شیطنه تذهب غالبا إلی ما یؤذیه و یکرهه و لا یذهب إلی ما یریده و یسره، فیتخیل ذهاب أمواله و أولاده و ابتلاءه بالأمراض و الأسقام و وصول المکروه من الغیر و مغلوبیته من عدوه،و ربما حصل لنفسه نوع إذعان لهذه التخیلات لمغلوبیه العاقله للواهمه.فیعتریه نوع اضطراب و انکسار،و قلما یذهب مثل هذه القوه الوهمیه فیما یشاء و یریده من تخیل الغلبه و حصول التوسعه فی الأموال و الأولاد،بحیث یحصل لنفسه نوع إذعان لها،فتنبسط و تهتز.و هذا شر الوساوس و أردؤها،و ربما کان المنشأ لبعضها نوع اختلال فی الدماغ.

و جمیع الأنواع المذکوره بأقسامها مفسده للنفس یحدث فیها نوع ذبول و انکسار و یصدها عما خلقت لأجله.

(و منها)ما یرجع إلی التفاؤل،و هذا لیس مذموما.

و قد ورد من رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: أنه یحب التفاؤل، و کثیرا ما یتفاءل ببعض الأمور.

(و منها)الوسواس فی العقائد،بحیث لا- یؤدی إلی الشک المزیل للیقین، فإنه قادح فی الإیمان کما تقدم.و مرادنا بالوسوسه و حدیث النفس فی العقائد هنا ما لا یضر بالإیمان و لا یؤاخذ به-کما یأتی-.

(تذنیب)قد ظهر مما ذکر:أن أکثر جولان الخاطر إنما یکون فی فائت لا تدارک له،أو فی مستقبل لا بد و أن یحصل منه ما هو مقدر،و کیف کان هو تضییع لوقته،إذ آله العبد قلبه و بضاعته عمره،فإذا غفل القلب فی نفس واحد عن ذکر یستفید به أنسا باللّه أو عن فکر یستفید معرفه اللّه لیستفید بالمعرفه حبا للّه،فهو مغبون.و هذا إن کان فکره و وسواسه فی المباحات،مع أن الغالب لیس کذلک،بل یتفکر فی وجوه الحیل لقضاء الشهوات،إذ لا- یزال ینازع فی الباطن کل من فعل فعلا مخالفا لغرضه،أو من یتوهم أنه ینازعه و یخالفه فی رأیه،بل یقدر المخالفه من أخلص الناس فی حبه حتی فی أهله و ولده،ثم یتفکر فی کیفیه زجرهم و قهرهم و جوابهم عما یتعللون به فی مخالفتهم فلا یزال فی شغل دائم مضیع لدینه و دنیاه.

فصل (المطارده بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس)

قد عرفت أن الوسواس أثر الشیطان الخناس،و الإلهام عمل الملائکه الکرام.و لا ریب فی أن کل نفس فی بدو فطرتها قابله لأثر کل منهما علی التساوی،و إنما یترجح أحدهما بمتابعه الهوی و ملازمه الورع و التقوی، فإذا مالت النفس إلی مقتضی شهوه أو غضب وجد الشیطان مجالا فیدخل بالوسوسه،و إذا انصرفت إلی ذکر اللّه ضاق مجاله و ارتحل فیدخل،الملک بالإلهام.فلا یزال التطارد بین جندی الملائکه و الشیاطین فی معرکه النفس.

لهیولانیه وجودها و قابلیتها للأمرین بتوسط قوتیها العقلیه و الوهمیه،إلی أن

یغلب أحد الجندین و یسخر مملکه النفس و یستوطن فیها،و حینئذ یکون اجتیاز الثانی علی سبیل الاختلاس،و حصول الغلبه إنما هو بغلبه الهوی أو التقوی فإن غلب علیها الهوی و خاضت فیه صارت مرعی الشیطان و مرتعه و کانت من حزبه،و إن غلب علیها الورع و التقوی صارت مستقر الملک و مهبطه و دخلت فی جنده،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «خلق اللّه الإنس ثلاثه أصناف:صنف کالبهائم،قال اللّه تعالی:

لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ یَفْقَهُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لاٰ یُبْصِرُونَ بِهٰا (1).

و صنف أجسادهم أجساد بنی آدم و أرواحهم أرواح الشیاطین،و صنف کالملائکه فی ظل اللّه یوم لا ظل إلا ظله».

و لا ریب فی أن أکثر القلوب قد فتحها جنود الشیاطین و ملکوها،و یتصرفون فیها بضروب الوساوس الداعیه إلی إیثار العاجله و إطراح الآجله.و السر فیه:

أن سلطنه الشیطان ساریه فی لحم الإنسان و دمه و محیطه بمجامع قلبه و بدنه، کما أن الشهوات ممتزجه بجمیع ذلک، و من هنا

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن الشیطان لیجری من بنی آدم مجری الدم» ،و قال اللّه سبحانه-حکایه عن لسان اللعین-:

لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرٰاطَکَ الْمُسْتَقِیمَ ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمٰانِهِمْ

1- 1) الأعراف،الآیه:179.

وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ

(۱)

.

فالخلاص من أیدی الشیاطین یحتاج إلی مجاهده عظیمه ریاضه شاقه،فمن لم یقم فی مقام المجاهده کانت نفسه هدفا لسهام وساوسهم و داخله فی أحزابهم

فصل (تسویلات الشیطان و وساوسه)

لما کانت طرق الباطل کثیره و طریق الحق واحده،فالأبواب المفتوحه للشیطان إلی القلب کثیره،و باب الملائکه واحده،

و لذا روی أن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-خط یوما لأصحابه خطا و قال!«هذا سبیل اللّه»،ثم خط خطوطا عن یمینه و شماله فقال:«هذه سبل علی کل سبیل منها شیطان یدعو إلیه» ،ثم تلا قوله سبحانه:

وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ

(۲)

.

ثم لسهوله میل النفس إلی الباطل و عسر انقیادها للحق تکون الطرق المؤدیه إلی الباطل التی هی أبواب الشیطان جلیه ظاهره،فکانت أبواب الشیطان مفتوحه أبدا،و الطرق المؤدیه إلی الحق التی هی باب الملائکه خفیه.

فکان باب الملائکه مسدودا دائما،فما أصعب بالمسکین ابن آدم أن یسد هذه الأبواب الکثیره الظاهره المفتوحه و یفتح بابا واحدا خفیا مسدودا،علی أن

۱- ۱) الأعراف الآیه:۱۷،۱۶.

۲- ۲) الأنعام،الآیه:۱۵۳.

اللعین ربما یلبس بین طریق الحق و الباطل و یعرض الشر فی موضع الخیر، بحیث یظن أنه لمه الملک و إلهامه،لا وسوسه الشیطان و إغواؤه،فیهلک و یضل من حیث لا یعلم،کما یلقی فی قلب العالم أن الناس لکثره غفلتهم أشرفوا علی الهلاک،و هم من الجهل موتی،و من الغفله هلکی،أ ما لک رحمه علی عباد اللّه؟أ ما ترید الثواب و السعاده فی العقبی؟فما بک لا تنبههم عن رقده الغفلات بوعظک،و لا تنقذهم من الهلاک الأبدی بنصحک؟و قد من اللّه علیک بقلب بصیر و علم کثیر و لسان ذلق و لهجه مقبوله!فکیف تخفی نعم اللّه تعالی و لا تظهرها؟فلا یزال یوسوسه بأمثال ذلک و یثبتها فی لوح نفسه، إلی أن یسخره بلطائف الحیل و یشتغل بالوعظ،فیدعوه إلی التزین و التصنع و التحسن بتحسین اللفظ،و السرور بتملق الجماعه،و الفرح بمدحهم إیاه، و الانبساط بتواضعهم لدیه،و انکسارهم بین یدیه،لا یزال فی أثناء الوعظ یقرر فی قلبه شوائب الریاء و قبول العامه،و لذه الجاه و حب الریاسه،و التعزز بالعلم و الفصاحه،و النظر إلی الخلق بعین الحقاره،فیهدی الناس و یضل نفسه و یعمر یومه و یخرب أمسه،و یخالف اللّه و یظن أنه فی طاعته،و یعصیه و یحسب انه فی عبادته،فیدخل فی جمله من قال اللّه فیهم:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً

(۱)

.

۱- ۱) الکهف الآیه ۱۰۳-۱۰۴.

و یکون

ممن قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فیهم: «إن اللّه لیؤید هذا الدین بأقوام لا خلاق لهم،و«إن اللّه لیؤید هذا الدین بالرجل الفاجر». فلا نجاه من مصائد الشیطان و مکائده إلا ببصیره باطنه نورانیه و قوه قدسیه ربانیه،کما لا نجاه للمسافر الحیران فی بادیه کثیره الطرق غامضه المسلک فی لیله مظلمه إلا بعین بصیره صحیحه و طلوع شمس مشرقه نیره.

فصل (العلائم الفارقه بین الإلهام و الوسوسه)

من تمکن من معرفه الخیر و الشر سهل علیه التفرقه بین الإلهام و الوسوسه و قد قیل إلهام الملک و وسوسه الشیطان یقع فی النفوس علی وجوه و علامات:

(أحدها)کالعلم و الیقین الحاصلین من جانب یمین النفس و تقابله الشهوه و الهوی الحاصلان من جانب شمالها. (و ثانیها)کالنظر إلی آیات الآفاق و الأنفس علی سبیل النظام و الأحکام المزیل للشکوک و الأوهام،و المحصل للمعرفه و الحکمه فی القوه العاقله هی جانب الأیمن من النفس و یقابله النظر إلیها علی سبیل الاشتباه و الغفله و الإعراض عنها،الناشئه منها الشبه و الوساوس فی الواهمه و المتخیله التی علی الجانب الأیسر منها،فإن الآیات المحکمات بمنزله الملائکه المقدسه من العقول و النفوس الکلیه،لأنها مبادئ العلوم الیقینیه،و المتشابهات الوهمیات بمنزله الشیاطین و النفوس الوهمانیه،لأنها مبادئ المقدمات السفسطیه. (و ثالثها)کطاعه الرسول المختار و الأئمه الأطهار فی مقابله أهل الجحود و الإنکار و أرباب التعطیل و التشبیه من الکفار.فکل من سلک سبیل الهدایه فهو بمنزله الملائکه المقدسین الملهمین للخیر،و من سلک سبیل الضلال فهو بمنزله الشیاطین المغوین بالشرور. «و رابعها» کتحصیل العلوم و الإدراکات التی هی فی الموضوعات العالیه و الأعیان الشریفه

كـالعلم بـاللّه و ملائكته و رسـله،و اليوم الآـخر،و البعث،و قيـام الساعه،و مثول الخلائق بين يـدى اللّه تعالى،و حضور الملائكه و النبيين و الشـهداء و الصالحين، فى مقابله تحصيل العلوم و الإدراكات التى هى من باب الحيل و الخديعه و السفسطه،و التأمل فى أمور الـدنيا الغير الخـارجه عن دار المحسوسـات،فـإن الأـول يشـبه الملائكه الروحـانيه و جنود الرحمن الـذين هم سـكان عـالم الملكوت السـماوى،و الثانى يشبه الأبالسه المطروده عن باب اللّه،الممنوعه من ولوج السماوات،المحبوسه فى الظلمات،المحرومه فى الدنيا عن الارتقاء،و المحجوبه فى الآخره عن دار النعيم.

فصل (علاج الوساوس)

الوسـاوس إن كـانت بواعث الشـرور و المعاصـى،فالعلاـج فى دفعها أن يتـذكر سوء عاقبه العصـيان و وخامه خاتمته فى الـدنيا و الآخره،و يتذكر عظيم حق اللّه و جسيم ثوابه و عقابه،و يتذكر أن الصبر عما تدعو إليه هذه الوساوس أسهل من الصبر على نار لو قـذف شـراره منهـا إلى الأرض أحرقت نبتها و جمادها فإذا تـذكر هـذه الأمور و عرف حقيقتها بنور المعرفه و الإيمان،حبس عنه الشـيطان و قطع عنه وسواسه،إذ لاـ يمكن أن ينكر عليه هـذه الأـمور الحقه،إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك و يخيبه،بحيث يرجع هاربا خائبا.فإن التهاب نيران (1)البراهين بمنزله رجوم الشياطين،فإذا قوبلت بها وساوسهم فرت فرار الحمر من الأسد.

و إن كانت مختلجه بالبال بلا إراده و اختيار،من دون أن تكون مبادئ الأفعال،فقطعها بالكليه فى غايه الصـعوبه و الإشـكال،و قد اعترف أطباء

١- ١) و فى نسختنا الخطيه هكذا:«فإن نيرات البراهين».

النفوس بأنها الداء العضال و يتعسر دفعه بالمره،و ربما قيل بتعذره،و لكن الحق إمكانه،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من صلى ركعتين لم تتحدث نفسه فيهما بشىء غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر»، و لو لا إمكانه لم يتصور ذلك.

و السر فى صعوبه قطعها بالكليه أن للشيطان جندين:جندا يطير و جندا يسير،و الواهمه جنده الطيار،و الشهوه جنده السيار،لأن غالب ما خلقتا منه هى النار التى خلق منها الشيطان،فالمناسبه اقتضت تسلطه عليهما و تبعيتهما له.

ثم لما كانت النار بذاتها مقتضيه للحركه،إذ لا تتصور نار مشتعله لا تتحرك،بل لا تزال تتحرك بطبعها،فشأن كل من الشيطان و القوتين أن يتحرك و لا يسكن،إلا أن الشيطان لما خلق من النار الصرفه من دون امتزاج شىء آخر بها فهو دائم الحركه و التحريک للقوتين بالوسوسه و الهيجان، و القوتان لما امتزج بغالب مادتهما-أعنى النار-شىء من الطين لم تكونا بمثابه ما خلق من صرف النار فى الحركه،إلا أنهما استعدتا لقبول الحركه منه،فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما و يحركهما بالوسوسه و الهيجان و يطير و يجول فيهما ثم الشهوه لكون الناريه فيها أقل فسكونها ممكن،فيحتمل أن يكف تسلط الشيطان عن الإنسان فيها،فيسكن بالكليه عن الهيجان.و أما الواهمه فلا يمكن أن يقطع تسلطه عنها،فيمتنع قطع وسواسه عن الإنسان،إذ لو أمكن قطعه أيضا بالمره،لصار اللعين منقادا للإنسان مسخرا له،و انقياده له هو سجوده له،إذ روح السجود و حقيقته هو الانقياد و الإطاعه،و وضع الجبهه حالته و علامته،و كيف يتصور أن يسجد الملعون لأولاد آدم عليه السلام مع عدم سجوده لأبيهم و استكباره من أن يطمئن عن حركته ساجدا له معللا بقوله:

خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

فلا یمکن أن یتواضع لهم بالکف عن الوسوسه،بل هو من المنظرین لإغوائهم إلی یوم الـدین،فلا یتخلص منه أحد إلا من أصـبح و همومه هم واحد فیکون قلبه مشـتغلا باللّه وحده،فلا یجد الملعون مجالا فیه،و مثله من المخلصین الداخلین فی الاستثناء (۲)عن سلطنـه هـذا اللعیـن،فلاـ تظنـن أنه یخلـو عنه قلب فـارغ،بـل هـو سـیال یجری من ابن آدم مجری الـدم،و سـیلانه مثـل الهـواء فی القدح،فإنک إن أردت أن تخلی القدح عن الهواء من غیر أن تشـغله بمثل الماء فقد طمعت فی غیر مطمع،بل بقدر ما یدخل فیه الماء یخلو عن الهواء، فکـذلک القلب إذا کان مشـغولا بفکر مهم فی الـدین یمکن أن یخلو من جولان هذا اللعین،و أما لو غفل عن اللّه و لو فی لحظه،فلیس له فی تلک اللحظه قرین إلا الشیطان،کما قال سبحانه:

وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ

(۳)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه یبغض الشاب الفارغ» ،لأن الشاب إذا تعطل عن عمل مباح یشغل باطنه لا بـد أن یـدخل فی قلبه الشـیطان و یعیش فیه و یبیض و یفرخ،و هکـذا یتوالد نسل الشـیطان توالدا أسرع من توالد الحیوانات،لأن الشیطان طبعه من النار،و الشهوه

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۲.
۲- ۲) إشاره إلی قوله تعالی: قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَغْوَیْتَنِی لَأُزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ إِلاّٰ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ الحجر الآیه:۴۰.
۳- ۳) الزخرف،الآیه ۳۵.

فی نفس الشاب کالحلفاء (۱)الیابسه،فإذا وجدها کثره تولده و تولدت النار من النار و لم تنقطع أصلا.

فظهر أن وسواس الخناس لا یزال یجاذب قلب کل إنسان من جانب إلی جانب،و لا علاج له إلا قطع العلائق کلها ظاهرا و باطنا،و الفرار عن الأهل و المال و الولد و الجاه و الرفقاء،ثم الاعتزال إلی زاویه،و جعل الهموم هما واحدا هو اللّه.و هذا أیضا غیر کاف ما لم یکن له مجال فی الفکر و سیر فی الباطن فی ملکوت السماوات و الأرض و عجائب صنع اللّه،فإن استیلاء ذلک علی القلب و اشتغاله به یدفع مجاذبه الشیطان و وسواسه،و إن لم یکن له سیر بالباطن فلا ینجیه إلا الأوراد المتواصله المترتبه فی کل لحظه من الصلوات و الأذکار و الأدعیه و القراءه.و یحتاج مع ذلک إلی تکلیف القلب الحضور، إذ الأوراد الظاهره لا تستغرق القلب،بل التفکر بالباطن هو الذی یستغرقه و إذا فعل کل ذلک لم یسلم له من الأوقات إلا بعضها،إذ لا یخلو فی بعضها عن حوادث تتجدد و تشغله عن الفکر و الذکر،کمرض أو خوف أو إیذاء و طغیان،و لو من مخالطه بعض لا یستغنی عنه فی الاستعانه فی بعض أسباب المعیشه.

فصل (ما یتم به علاج الوسواس)

لو أمکن العلاج فی القطع الکلی للوساوس فإنما یتم بأمور ثلاثه:

(الأول)سد الأبواب العظیمه للشیطان فی القلب،

و هی الشهوه، و الغضب،و الحرص،و الحسد و العداوه،و العجب،و الحقد،و الکبر، و الطمع،و البخل،و الخفه و الجبن،و حب الحطام الدنیوی الدائر،و الشوق

۱- ۱) الحلفاء:نبت أطرافه محدده کأنها سعف النخل و الخوص،ینبت فی مغایض المیاه.الواحده(حلفه و حلفاء).

إلى التزين بالثياب الفاخره،و العجله فى الأمر،و خوف الفاقه و الفقر، و التعصب لغير الحق،و سوء الظن بالخالق و الخلق...و غير ذلك من رؤس ذمائم الصفات و رذائل الملكات،فإنها أبواب عظيمه للشيطان،فإذا وجد بعضها مفتوحا يدخل منه فى القلب بالوساوس المتعلقه به،و إذا سدت لم يكن له إليه سبيل إلا على طريق الاختلاس و الاجتياز.

(الثانى)عماره القلب بأضدادها

من فضائل الأخلاق و شرائف الاوصاف،و الملازمه للورع و التقوى،و المواظبه على عباده ربه الأعلى.

(الثالث)كثره الذكر بالقلب و اللسان،

فإذا قلعت عن القلب أصول ذمائم الصفات المذكوره التى هى بمنزله الأبواب العظيمه للشيطان،زالت عنه وجوه سلطنته و تصرفاته،سوى خطراته و اجتيازاته،و الذكر يمنعها و يقطع تسلطه و تصرفه بالكليه،و لو لم يسد أبوابه أولا لم ينفع مجرد الذكر اللسانى فى إزالتها،إذ حقيقه الذكر لا يتمكن فى القلب إلا بعد تخليته عن الرذائل و تحليته بالفضائل،و لولاهما لم يظهر على القلب سلطانه،بل كان مجرد حديث نفس لا يندفع به كيد الشيطان و تسلطه،فإن مثل الشيطان مثل كلب جائع،و مثل هذه الصفات المذمومه مثل لحم أو خبز أو غيرهما من مشتهيات الكلب،و مثل الذكر مثل قولك له:اخسأ.و لا ريب فى أن الكلب إذا قرب إليك و لم يكن عندك شىء من مشتهياته فهو ينزجر عنك بمجرد قولك:

اخسأ،و إن كان عندك شىء منها لم يندفع عنك بمجرد هذا القول ما لم يصل إلى مطلوبه. فالقلب الخالى عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر،و أما القلب المملو منه فيدفع الذكر إلى حواشيه،و لا يستقر فى سويدائه،لاستقرار الشيطان فيه.و أيضا الذكر بمنزله الغذاء المقوى،فكما لا تنفع الأغذيه المقويه ما لم ينق البدن عن الأخلاط الفاسده و مواد الأمراض الحادثه،كذلك

لا ينفع الـذكر ما لم يطهر القلب عن الأخلاق الـذميمه التى هى مواد مرض الوسواس،فالذكر إنما ينفع للقلب إذا كان متطهرا عن شوائب الهوى و منورا بأنوار الورع و التقوى،كما قال سبحانه.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذٰا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ مِنَ الشَّيْطٰانِ تَذَكَّرُوا فَإِذٰا هُمْ مُبْصِرُونَ

(۱)

و قال سبحانه:

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَذِکْریٰ لِمَنْ کٰانَ لَهُ قَلْبٌ

(۲)

و لو كان مجرد الذكر مطردا للشيطان لكان كل أحد حاضر القلب فى الصلاه،و لم يخطر بباله فيها الوساوس الباطله و الهواجس الفاسده،إذ منتهى كل ذكر و عباده إنما هو فى الصلاه مع أن من راقب قلبه يجد أن خطور الخواطر فى صلاته أكثر من سائر الأوقات،و ربما لا يتذكر ما نسيه من فضول الدنيا إلا فى صلاته،بل يزدحم عندها جنود الشياطين على قلبه و يصير مضمارا لجولانهم،و يقلبونه شمالا و يمينا بحيث لا يجد فيه إيمانا و لا يقينا و يجاذبونه إلى الأسواق و حساب المعاملين و جواب المعاندين،و يمرون به فى أوديه الدنيا و مهالكها،و مع ذلك كله لا تظنن أن الذكر لا ينفع فى القلوب الغافله أصلا،فإن الأمر ليس كذلك،إذ للذكر عند أهله أربع مراتب كلها تنفع الذاكرين،إلا أن لبه و روحه و الغرض الأصلى من ذلك المرتبه الأخيره:

(الأولى)اللسانى فقط.

(الثانيه)اللسانى و القلبى،مع عدم تمكنه من القلب،بحيث احتياج

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۲۰۱.

۲- ۲) ق،الآيه:۳۶.

القلب إلى مراقبته حتى يحضر مع الذكر،و لو خلى و طبعه استرسل فى أوديه الخواطر.

(الثالثه)القلبى الذى تمكن من القلب و استولى عليه،بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهوله،بل احتاج ذلك إلى سعى و تكلف،كما احتيج فى الثانيه إليهما فى قراره معه و دوامه عليه.

(الرابعه)القلبى الذى يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحى عند الذكر،فلا يلتفت القلب إلى نفسه و لا إلى الذكر،بل يستغرق بشراشره فى المذكور،و أهل هذه المرتبه يجعلون الالتفات إلى الذكر حجابا شاغلا.

و هذه المرتبه هى المطلوبه بالذات و البواقى مع اختلاف مراتبها مطلوبه بالعرض لكونها طرقا إلى ما هو المطلوب بالذات.

فصل (ما يتوقف عليه قطع الوساوس)

السر فى توقف قطع الوساوس بالكليه على التصفيه و التخليه أولا،ثم المواظبه على ذكر اللّه:إن بعد حصول هذه الأمور للنفس تحصل لقوتها العاقله ملكه الاستيلاء و الاستعلاء على القوى الشهويه و الغضبيه و الوهميه،فلا تتأثر عنها و تؤثر فيها على وفق المصلحه،فتتمكن من ضبط الواهمه و المتخيله بحيث لو أرادت صرفهما عن الوساوس لأمكنها ذلك،و لم تتمكن القوتان من الذهاب فى أوديه الخواطر بدون رأيها،و إذا حصلت للنفس هذه الملكه و توجهت إلى ضبطهما كلما أرادتا الخروج عن الانقياد و الذهاب فى أوديه الوساوس و تكرر منها هذا الضبط،حصل لهما ثبات الانقياد بحيث لم يحدث فيهما خاطر سوء مطلقا،بل لم يخطر فيهما إلا خواطر الخير من خزائن الغيب و حينئذ تستقر النفس على مقام الاطمئنان،و تنسد عنها أبواب الشيطان و تنفتح فيها أبواب

الملائکه،و یصیر مستقرها و مستودعها،فتستضاء بشروق الأنوار القدسیه من مشکاه الربوبیه،و یشملها خطاب:

یٰا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً (۱) و مثل هذه النفس أحسن النفوس و أشرفها،و تقابلها النفس المنکوسه المملوه من الخبائث الملوثه بأنواع الذمائم و الرذائل،و هی التی انفتحت فیها أبواب الشیطان و انسدت منها أبواب الملائکه،و یتصاعد منها دخان مظلم إلیها،فتملأ جوانبها و یطفئ نور الیقین و یضعف سلطان الإیمان، حتی تخمد أنواره بالکلیه،و لا یخطر فیها خاطر خیر أبدا،و تکون دائما محل الوساوس الشیطانیه،و مثلها لا یرجع إلی الخیر أبدا،و علامتها عدم تأثرها من النصائح و المواعظ،و لو أسمعت الحق عمیت عن الفهم و صمت عن السمع،و إلی مثلها أشیر بقوله سبحانه:

أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَیْهِ وَکِیلاً (۲)و بقوله تعالی:

خَتَمَ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلیٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلیٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَهٌ

(۳)

و بقوله سبحانه:

إِنْ هُمْ إِلاّٰ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۴)

۱- ۱) الفجر،الآیه:۲۷-۲۸.

۲- ۲) الفرقان،الآیه:۴۳.

۳- ۳) البقره،الآیه:۷.

۴- ۴) الفرقان،الآیه:۴۴.

و بقوله تعالی:

وَ سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

(۱)

و بقوله عز و جل:

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

(۲)

و بین هاتین النفسین نفس متوسطه فی السعاده و الشقاوه،و لها مراتب مختلفه فی اتصافها بالفضائل و الرذائل بحسب الکم و الکیف و الزمان فیختلف فیها فتح أبواب الملائکه و الشیاطین بالجهات المذکوره،فتاره یبتدئ فیها خاطر الهوی فیدعوها إلی الشر،و تاره یبتدئ فیها خاطر الإیمان فیبعثها علی الخیر،و مثلها معرکه تطارد جندی الشیاطین و الملائکه و تجاذبهما،فتاره یصول الملک علی الشیطان فیطرده،و تاره یحمل الشیطان علی الملک فیغلبه، و لا تزال متجاذبه بین الحزبین متردده بین الجندین،إلی أن تصل إلی ما خلقت لأجله لسابق القضاء و القدر.ثم النفس الأولی فی غایه الندره،و هی نفوس الکمل من المؤمنین الموحدین،و الثانیه فی نهایه الکثره و هی نفوس الکفار بأسرهم،و الثالثه نفوس أکثر المسلمین،و لها مراتب شتی و درجات لا تحصی و لها عرض عریض،فیتصل أحد طرفین بالنفس الأولی،و آخرهما بالثانیه

فصل (حدیث النفس لا مؤاخذه علیه)

قد عرفت أن الوساوس بأقسامها مشترکه فی إحداث ظلمه و کدره فی النفس،إلا أن مجرد الخواطر-أی(حدیث النفس)و ما یتولد عنه بلا

۱- ۱) یس،الآیه:۱۰.

۲- ۲) یس،الآیه:۷.

اختيار،کالميل و هيجان الرغبه-لا مؤاخذه عليهما،و لا يكتب بهما معصيه لعدم دخولهما تحت الاختيار،فالمؤاخذه عليهما ظلم،و النهى عنهما تكليف بما لا يطاق،و الاعتقاد و حكم القلب بأنه ينبغى أن يفعل هذا فيؤاخذ به لكونه اختياريا،و كذا الهم بالفعل و العزم عليه،إلا أنه إن يفعل مع الهم خوفا من اللّه و ندم عنه كتبت له حسنه،و إن لم يفعل لمانع منعه لا لخوف اللّه سبحانه كتبت عليه سيئه.

و الدليل على هذا التفصيل:أما على عدم المؤاخذه على مجرد الخاطر،

فما روى فى الكافى: «إنه جاء رجل إلى النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-فقال يا رسول اللّه!هلكت.فقال له هل أتاك الخبيث فقال لك من خلقك؟فقلت اللّه تعالى،فقال لك:اللّه من خلقه؟فقال له:أى و الذى بعثك بالحق لكان كذا.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-.ذاك و اللّه محض الإيمان» و مثله

ما روى: أن رجلا أتى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-فقال «يا رسول اللّه نافقت!فقال و اللّه ما نافقت!و لو نافقت ما أتيتنى تعلمنى،ما الذى رابك؟ أظن أن العدو الحاضر أتاك،فقال:من خلقك؟فقلت:اللّه تعالى خلقنى.

فقال لك:من خلق اللّه؟فقال:أى و الذى بعثك بالحق لكان كذا،فقال:إن الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم،فأتاكم من هذا الوجه لكى يستزلكم،فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم اللّه وحده». و قريب منه

ما روى: أن رجلا كتب إلى أبى جعفر عليه السلام يشكو إليه لمما يخطر على باله،فأجابه فى بعض كلامه:«إن اللّه إن شاء ثبتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقا.قد شكى قوم إلى النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لمما يعرض لهم لأن تهوى بهم الريح أو يقطعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به،فقال رسول اللّه:أ تجدون ذلك؟قالوا:نعم!قال:و الذى نفسى بيده إن ذلك

لصريح الإيمان،فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا باللّه و رسوله و لا حول و لا قوه إلا باللّه»

و سئل الصادق عليه السلام عن الوسوسه و إن كثرت،فقال.

«لا شيء فيها،تقول لا اله الا اللّه ».

و عن جميل بن دراج قال: قلت للصادق عليه السلام:إنه يقع فى قلبى أمر عظيم،فقال: «قل لا اله الا اللّه» ،قال جميل فكلما وقع فى قلبى قلت لا اله الا اللّه ،فيذهب عنى.

و مما يدل على عدم المؤاخذه عليه و على الميل و هيجان الرغبه إذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار

ما روى. أنه لما نزل قوله تعالى.

وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ

(۱)

جاء ناس من الصحابه إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و قالوا كلفنا ما لا نطيق،إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت فى قلبه، ثم يحاسب بذلك؟فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-«لعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل.سمعنا و عصينا،قولوا.سمعنا و أطعنا، فقالوا.سمعنا و أطعنا،فأنزل اللّه الفرج بعد سنه بقوله تعالى.

لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا

(۲)

و ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى قوله سبحانه.

«وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ» .«إن هذه الآيه عرضت على الأنبياء و الأمم السابقه فأبوا أن يقبلوها من ثقلها،و قبلها رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و عرضها على أمته فقبلوها.فلما رأى اللّه

۱- ۱) البقره الآيه:۲۸۴.

۲- ۲) البقره الآيه:۲۸۶.

عز و جل منهم القبول على أنهم لا يطيقونها،قال.أما إذا قبلت الآيه بتشديدها و عظم ما فيها و قد عرضتها على الأمم السابقه فأبوا أن يقبلوها و قبلتها أمتك،فحق على أن أرفعها عن أمتك،و قال عز من قائل: لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا»

و ما روى عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال «وضع عن أمتى تسع خصال:الخطأ،و النسيان،و ما لا يعلمونه،و ما لا يطيقونه،و ما اضطروا عليه،و ما استكرهوا عليه،و الطيره و الوسوسه فى التفكر فى الخلق،و الحسد ما لم يظهر بلسان أويد».

و ما روى أنه سئل الصادق عليه السلام عن رجل يجىء منه الشىء على حد الغضب يؤاخذه اللّه تعالى؟ فقال عليه السلام.«إن اللّه تعالى أكرم من أن يستغلق على عبده»، و المراد من الغضب فيه.الغضب الذى سلب الاختيار.

و بالجمله القطع حاصل بعدم المؤاخذه و المعصيه على ما لا يدخل تحت الاختيار من الخواطر و الميل و هيجان الرغبه،إذ النهى عنها مع عدم كونها اختياريه تكليف بما لا تطاق،و إن لم ينفك عن إحداث خباثه فى النفس.

و أما (۱)على أنه يكتب سيئه على الاعتقاد و اللهم بالفعل و التصميم عليه مع تركه لمانع لا-لخوف من اللّه،فهو أن كلا-من الاعتقاد و الهم بالمعصيه فعل من الأفعال الاختياريه للقلب،و قد ثبت فى الشريعه ترتب الثواب و العقاب على فعل القلب إذا كان اختياريا،قال اللّه سبحانه:

إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤٰادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً

(۲)

و قال سبحانه:

۱- ۱) أى و أما الدليل على أنه يكتب سيئه.

۲- ۲) بنى إسرائيل،الآيه:۳۸.

لاٰ يُؤٰاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکُمْ وَ لٰکِنْ یُؤٰاخِذُکُمْ بِمٰا کَسَبَتْ قُلُوبُکُمْ

(۱)

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إنما یحشر الناس علی نیاتهم» .

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا التقی المسلمان بسیفهما فالقاتل و المقتول فی النار»،قیل:یا رسول اللّه هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال:«لأنه أراد قتل صاحبه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم: «لکل امرئ ما نوی» و الآثار الوارده فی ترتب العقاب علی الهم بالمعصیه کثیره،و إطلاقها محمول علی غیر صوره الترک خوفا من اللّه،لما یأتی من أنه فی هذه الصوره تکتب بها حسنه،و کیف لا یؤاخذ علی أعمال القلوب مع أن المؤاخذه علی الملکات الردیه من الکبر و العجب و الریاء و النفاق و الحسد و غیرها قطعی الثبوت من الشرع،مع کونها أفعالا قلبیه،و قد ثبت فی الشریعه أن من وطأ امرأه ظانا أنها أجنبیه کان عاصیا و إن کانت زوجته.

و أما علی أنه یکتب حسنه علی الترک بعد الهم خوفا من اللّه،

فما روی عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-أنه قال: «قالت الملائکه:رب ذاک عبدک یرید أن یعمل سیئه و هو أبصر،فقال:راقبوه فإن عملها فاکتبوها علیه بمثلها،و إن ترکها فاکتبوها له حسنه إنما ترکها لأجلی».

و ما روی عن الإمام محمد بن علی الباقر-علیهما السلام-: «ان اللّه تعالی جعل لآدم فی ذریته من هم بحسنه و لم یعملها کتبت له حسنه،و من هم بحسنه و عملها کتبت له عشرا،و من هم بسیئه و لم یعملها لم تکتب علیه سیئه،و من هم بها و عملها کتبت علیه سیئه»،

و قوله: «لم یکتب علیه» محمول علی صوره عدم

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۲۵.

العمل خوفا من اللّه.لما تقدم من أنه إن لم يعملها لمانع غير خوف اللّه كتبت عليه سيئه.

و ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال: «ما من مؤمن إلا و له ذنب يهجره زمانا ثم يلم به و ذلك قوله تعالى:

إِلَّا اللَّمَمَ

(۱)

و قال:«و اللمم:الرجل يلم بالذنب فيستغفر اللّه منه» ،و قد وردت بهذا المضمون اخبار أخر.

وصل (الخاطر المحمود و التفكر)

قد عرفت أن ضد الوسوسه الخاطر المحمود المستحسن شرعا و عقلا،لأن القلب إذا كان مشغولا بشىء لا يمكن أن يشغله شىء آخر،فإذا كان مشغولا بشىء من الخواطر المحموده لا سبيل للخواطر المذمومه إليه،و ربما كان للغفله التى هى ضد النيه تقابل لكل من الوسوسه و الخاطر المحمود،إذ عند الغفله لا يتحقق شىء منهما،إلا أن خلو القلب عن كل نيه و خاطر بحيث يكون ساذجا فى غايه الندره،على أن الظاهر أن مرادهم من الغفله خلو الذهن من القصد الباعث و إن كان مشغولا بالوساوس الباطله،كما يأتى تحقيقه.

ثم الخاطر المحمود إن كان قصدا و نيه لفعل جميل معين كان متعلقا بالقوه التى يتعلق هذا الفعل بها،و إلا كان راجعا إما إلى الذكر القلبى أو إلى التدبر فى العلوم و المعارف و التفكر فى عجائب صنع اللّه و غرائب عظمته، أو إلى التدبر الإجمالى الكلى فيما يقرب العبد إلى اللّه سبحانه أو ما يبعده عنه

ص: ۱۹۹

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۲.

تعالی،و لیس وراء ذلک خاطر محمود متعلق بالدین أو غیر ذلک من الخواطر المذمومه المتعلقه بالدنیا.

و إذا عرفت ذلک فاعلم:أنه من معالجات مرض الوسواس معرفه شرافه ضده الذی هو الخاطر المحمود،لیبعثه علی المواظبه علیه الموجبه لدفع الوساوس.و فضیله الخواطر المحموده الباعثه علی الأفعال الجمیله یأتی ذکرها فی باب النیه و ربما یعلم من بیان فضیله نفس هذه الأفعال أیضا کما یأتی ذکرها فی باب النیه،و فضیله الذکر القلبی یعلم فی باب مطلق الذکر.

أما بیان شرافه التفکر و بعض مجاریه من أفعال اللّه تعالی و الإشاره إلی کیفیه التفکر فیها و فیما یقرب العبد إلی اللّه تعالی و فیما یبعده عنه،فلنشر إلی مجمل منه هنا لتعلقه بالقوه النظریه،فنقول:

التفکر:هو سیر الباطن من المبادئ إلی المقاصد،و المبادئ :هی آیات الآفاق و الأنفس،و المقصد:هو الوصول إلی معرفه موجودها و مبدعها و العلم بقدرته القاهره و عظمته الباهره،و لا یمکن لأحد أن یترقی من حضیض النقصان إلی أوج الکمال إلا بهذا السیر.و هو مفتاح الأسرار و مشکاه الأنوار،و منشأ الاعتبار و مبدأ الاستبصار،و شبکه المعارف الحقیقه و مصیده الحقائق الیقینیه،و هو أجنحه النفس للطیران إلی وکرها القدسی،و مطیه الروح للمسافره إلی وطنها الأصلی و به تنکشف ظلمه الجهل و أستاره و تنجلی أنوار العلم و أسراره،و لذا ورد علیه الحث و المدح فی الآیات و الأخبار کقوله سبحانه:

أَ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ

(۱)

».

۱- ۱) الروم الآیه:۸.

و قوله تعالی:

أَ وَ لَمْ یَنْظُرُوا فِی مَلَکُوتِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَیْءٍ

(۱)

و قوله تعالی:

فَاعْتَبِرُوا یٰا أُولِی الْأَبْصٰارِ

(۲)

و قوله تعالی:

قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

(۳)

و قوله تعالی:

إِنَّ فِی خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ... لَآیٰاتٍ لِأُولِی الْأَلْبٰابِ (۴)و قوله تعالی:

وَ فِی الْأَرْضِ آیٰاتٌ لِلْمُوقِنِینَ. وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ

(۵)

و قوله تعالی:

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۸۵.

۲- ۲) الحشر،الآیه:۳.

۳- ۳) العنکبوت،الآیه:۲۰.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۹۰.

۵- ۵) الذاریات،الآیه:۲۰-۲۱.

اَلَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ

(۱)

.

و قول رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «التفکر حیاه قلب البصیر»

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم: «فکره ساعه خیر من عباده سنه» ،و لا ینال منزله التفکر إلا من خصه اللّه عز و جل بنور التوحید و المعرفه،

و قوله -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أفضل العباده إدمان التفکر فی اللّه و فی قدرته»

(۲)

،و مراده من التفکر فی اللّه التفکر فی قدرته و صنعه و فی عجائب أفعاله و مخلوقاته و غرائب آثاره و مبدعاته،لا التفکر فی ذاته،لکونه ممنوعا عنه فی الأخبار،و معللا بأنه یورث الحیره و الدهشه و اضطراب العقل،

و قد ورد: «إیاکم و التفکر فی اللّه،و لکن إذا أردتم أن تنظروا إلی عظمته فانظروا إلی عظیم خلقه». و اشتهر

عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-أنه قال: «تفکروا فی آلاء اللّه و لا تفکروا فی اللّه،فإنکم لن تقدروا قدره»،

و قول أمیر المؤمنین علیه السلام: «التفکر یدعو إلی البر و العمل به» ،

و قوله علیه السلام: «نبه بالتفکر قلبک،و جاف عن اللیل جنبک،و اتق اللّه ربک»،

و قول الباقر علیه السلام: «بإجاله الفکر یستدر الرأی المعشب»

و قول الصادق علیه السلام: «الفکر مرآه الحسنات و کفاره السیئات،و ضیاء للقلوب و فسحه للخلق،و إصابه فی صلاح المعاد،و اطلاع علی العواقب،و استزاده فی العلم و هی خصله لا یعبد اللّه بمثلها»،

و قول الرضا علیه السلام: «لیس العباده کثره فی الصلاه و الصوم،إنما العباده التفکر فی أمر الله عز و جل».

۱- ۱) آل عمران،الآیه ۱۹۱.

۲- ۲) روی هذه الأحادیث فی الکافی فی(باب التفکر)عن أبی عبد اللّه -علیه السلام-کما هنا.

تکمله (مجاری التفکر فی المخلوقات)

الموجودات بأسرها مجاری التفکر و مطارح النظر،إذ کل ما فی الوجود سوی واجب الوجود فهو من رشحات وجوده و آثاره فیضه و جوده،و کل موجود و مخلوق من جوهر أو عرض مجرد أو مادی،فلکی أو عنصری، بسیط أو مرکب فعل اللّه و صنعه،و ما من ذره من ذرات العالم إلاـ و فیها ضروب من عجائب حکمته و غرائب عظمته،بحیث لو تشمر عقلاء الأقطار و حکماء الأمصار مدی الأعصار لاستنباطها،انقضت أعمارهم دون الوقوف علی عشر عشیرها و قلیل من کثیرها.

ثم إن الموجودات المخلوقه منقسمه إلی ما لا یعرف أصله فلا یمکننا التفکر فیه،و إلی ما یعرف أصله و مجمله من دون معرفه تفاصیله فیمکننا التفکر فی تفصیله لتزداد لنا معرفه و بصیره بخالقه.و هو إلی ما لاـ یدرک بحس البصر و یسمی ب(الملکوت)،کالملائکه و الجن و الشیاطین و عوالم العقول و النفوس المجرده،و لها أجناس و طبقات لاـ یحیط بها إلا موجدها،و إلی ما یدرک به،و له أجناس ثلاثه:عالم السماوات المشاهده بکواکبها و نجومها و دورانها فی طلوعها و غروبها،و عالم الأرض المحسوسه ببحارها و جبالها و وهادها و تلالها و معادنها و أنهارها و نباتها و أشجارها و حیوانها و جمادها،و عالم الجو المدرک بسحبه و غیومه و أمطاره و ثلوجه و شهبه و بروقه و ریاحه و رعوده،و کل من هذه الأجناس الثلاثه ینقسم إلی أنواع،و یتشعب کل نوع إلی أقسام و أصناف غیر متناهیه،مختلفه فی الصفات و الهیئات،و اللوازم و الآثار و الخواص، و المعانی الظاهره و الباطنه،و لیس شیء منها إلا و موجده هو اللّه سبحانه،

ص:٢٠٣

و فی وجوده و حرکته و سکونه حکم و مصالح لا تحصی.

و کل ذلک مجاری التفکر و التدبر لتحصیل المعرفه و البصیره بخالقها الحکیم و موجدها القیوم العلیم،إذ کلها شواهد عدل و بینات صدق علی وحدانیته و حکمته و کمال کبریائه و عظمته،فمن قدم قدم حقیقته،و دار عالم الوجود و فتح عین بصیرته،و شاهد مملکه ربه الودود،لظهر له فی کل ذره من ذرات الخلق عجائب حکمه و غرائب قدره،بهر منها عقله و وهمه، و حسر دونها لبه و فهمه.

ثم لا ریب فی أن طبقات العوالم المنتظمه المرتبه علی النحو الأصلح و النهج الأحسن بأمر موجدها الحکیم و مدبرها العلیم،مبتدأه فی الصدور من الأشرف فالأشرف،حتی ینتهی إلی أسفل العوالم و أخسها،و هو عالم الأرض بما فیه،و کل عالم أسفل لا قدر له بالنسبه إلی ما فوقه،فلا قدر للأرض بالنظر إلی عالم الجو،و لا للجو بالقیاس إلی عالم السماوات،و لا للسماوات بالنسبه إلی عالم المثال،و لا للمثال بالنظر إلی عالم الملکوت،و لا للملکوت بالقیاس إلی الجبروت،و لا للجمیع بالنسبه إلی ما لا سبیل لنا إلی درکه تفصیلا و إجمالا من عوالم الألوهیه،کما ظهر لعلماء الطبیعه و أهل الرصد و الهندسه،و وضح لأرباب المکاشفه و العرفان و أصحاب المشاهده و العیان.

ثم أخس العوالم الذی عرفت حاله-أعنی الأرض-لا قدر لما علی ظهرها من الحیوان و النبات و الجماد،بالنظر إلی نفسها،و لذا یفسد من أدنی تغیر لها جل ما علیها،و لکل جنس مما علیها أنواع و أقسام و أصناف غیر متناهیه. و أضعف أنواع الحیوان البعوضه و النحل و أشرف أنواعه الإنسان فنحن نشیر إلی نبذه یسیره من الحکم و العجائب المودعه فیها،و کیفیه التفکر فیها،لیقاس علیها البواقی إجمالا.فإن بیان مجاری التفکر

بأسرها فی حین المحال،و ما یمکن منه خارج عن حیطه الضبط و التدوین، و لذا تری أن البارعین من الحکماء و الفائقین من أجله العرفاء بذلوا وسعهم فی بیان مجاری التفکر و مطارحه و شرح بمجال النظر و مسارحه فسطروا فیه الأساطیر و ملأوا منه الطوامیر،و خاضوا فی غمرات بحار الأفکار و غاصوا فی تیار لجج الأنظار،و مع ذلک لم یعودوا بالنظر إلی ما هو الواقع إلا صفر الیدین و رجعوا آخر الأمر(بخفی حنین).و نحن لو تعرضنا لشرح ما یمکن لنا درکه من الحکم و الغرائب المودعه فی عضو واحد من أعضائها علی التفصیل لخرجنا عن وضع الکتاب،و ارتکبنا ما یعمل الناظرین من الإطناب،فنشیر إجمالا إلی بعض ما فیها من الحکم و العجائب،تنبیها للطالبین علی کیفیه التفکر فی الصنائع الإلهیه،فنقول:

أما(البعوض)

فانظر کیف خلقه اللّه علی صغر قدره علی شکل الفیل الذی هو أعظم الحیوانات،إذ خلق له خرطوما کخرطومه،و خلق له مع صغره جمیع الأعضاء التی خلقها للفیل بزیاده جناحین،فقسم أعضاءه الظاهره، فأنبت جناحیه و أخرج یدیه و رجلیه،و شق سمعه و بصره و دبر فی باطنه أعضاء الغذاء،و رکب فیها من القوی الغاذیه و الجاذبه و الدافعه و الماسکه و الهاضمه ما رکب فی الحیوانات العظیمه-کما یأتی فی الإنسان-ثم هداه إلی غذائه الذی هو دم الإنسان و غیره من الحیوانات،فأنبت له آله الطیران إلی الإنسان،و خلق له الخرطوم الطویل و هو محدد الرأس،و هداه إلی الامتصاص من مسام بشره الإنسان حتی یضع خرطومه فی واحد من مسامه، و یغرز فیه و یمص الدم و یتجرعه،و خلق خرطومه-مع دقته-مجوفا حتی یجری فیه الدم الصافی الرقیق و ینتهی إلی باطنه و ینتشر فی معدته و فی سائر أعضائه،و عرفه أن الإنسان یقصده بیده فعلمه حیله الهرب،و خلق له

السمع الذی یسمع به حفیف حرکه الید مع کونها بعیده منه،فیترک المص و یهرب،و إذا سکنت الید عاد،و خلق له حدقتین حتی یبصر مواضع غذائه فیقصده مع صغر حجم وجهه.و لما کانت حدقه کل حیوان صغیره بحیث لا یحتمل الأجفان لصغره،و کانت الأجفان مصقله لمرأه الحدقه عن القذی و الغبار،خلق للبعوض و الذباب و غیرهما من الحیوانات الصغیره یدین لیمسح بهما حدقتیه و یطهرهما عن الغبار و القذی،أ و لا تری الذباب أنه علی الدوام یمسح حدقتیه بیدیه.و أما الإنسان و غیره من الحیوانات العظیمه خلق لحدقتیه الأجفان حتی ینطبق أحدهما علی الآخر و أطرافهما حاده،فیجمع الغبار الذی یلحق الحدقه و یرمیها إلی أطراف الأهداب.فهذه لمعه یسیره من عجائب صنع اللّه فیه،و فیها من العجائب الظاهره و الباطنه ما لو اجتمع الأولون و الآخرون علی الإحاطه بکنهها عجزوا عن حقیقتها.

أما(النحل)

-فانظر کیف أوحی اللّه تعالی إلیها حتی اتخذت! مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمّا یَعْرِشُونَ (۱)و استخرج من لعابها الشمع و العسل،و جعل أحدهما ضیاء و الآخر شفاء و انظر فی عجائب أمرها فی تناولها الأزهار و الأنهار و اجتنابها عن النجاسات و الأقذار،و فی طاعتها و انقیادها لواحد من جملتهم،و أکبرهم شخصا،و هو أمیرهم.و انظر کیف علم اللّه أمیرهم أن یحکم بالعدل و الإنصاف بینهم، حتی أنه لیقتل علی باب النفذ کل ما وقع منها علی نجاسه.ثم انظر إلی بناء بیوتها من الشمع و اختیارها من جمله الأشکال المسدس،فلا یبنی مستدیرا و لا مربعا و لا مخمسا،بل اختار المسدس لخاصیه یقصر عن درکها أفهام المهندسین،و هو أن أوسع الأشکال و أجودها المستدیر،ثم ما یقرب منه،

۱- ۱) النحل،الآیه:۶۸.

فإن المربع تخرج منه زوايا ضايعه،و شكل النحل مستدير مستطيل،فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغه،و لو بناها مستديره لبقيت خارج البيوت فرج ضايعه،لأن الأشكال المستديره إذا اجتمعت لم تجتمع متراصه و لا شكل فى الإشكال ذوات الزوايا يقرب فى الوسعه و الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجمله منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجه إلا المسدس،فهذه خاصيه هذا الشكل. فانظر كيف علم اللّه النحل مع صغر جرمها لطفا بها و عنايه بوجودها ليهنأ عيشها،فسبحانه ما أعظم شأنه.و ما ذكرناه قدر يسير من عجائب الحكمه المودعه فيها،و ما فيها من العجائب الظاهره و الباطنه مما لا يمكن الإحاطه به.

و أما(الإنسان)

فنقول:لا ريب فى أن أول كل إنسان قطره من ماء قذره،لو خليت بنفسها لأنتنها الهواء و أفسدها،و كانت متفرقه فى جميع أجزاء بدن الذكر، فألقى اللّه بلطائف حكمته محبه بينه و بين الأنثى و قادهما بسلاسل الشهوه إلى الاجتماع،و استخرج هذه النطفه المنتنه بحركه الوقاع و أعطى لآله الرجل قوه دافعه،و لرحم الأنثى قوه جاذبه،حتى جذبتها من فم الإحليل إلى نفسها،و امتزجت بمنى الأنثى بحيث صارتا واحده،و استقرت فى الرحم،و جعل مبدأ عقد الصوره فى منى الذكر،و مبدأ انعقادها فى منى الأنثى،فهما بالنظر إلى الجنين كالأنفحه و اللبن بالقياس إلى الجبن،و الحق إن لكل من المنيين القوه العاقده و المنعقده،إلا أن الأولى فى الذكورى و الثانيه فى الأنوثى أقوى،و إلا لم يتحدا شيئا واحدا،و لم ينعقد الذكورى حتى يصير جزءا من الولد.فلو كان مزاج الأنثى ذكوريا كما فى النساء الشريفه النفوس القويه القوى،و كان مزاج كبدها حارا،كان المنى المنفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيرا من المنفصل عن كليتها اليسرى،فإذا اجتمعا فى الرحم،

و كان مزاج الرحم قويا فى الإمساك و الجذب،قام المنفصل عن الكليه اليمنى مقام منى الذكر فى شده قوه العقد،و المنفصل من اليسرى مقام منى الأنثى فى قوه الانعقاد،فيختلق الولد،و بهذا تتصحح ولاده مريم البتول-عليها السلام- حيث تمثل لها روح القدس بشرا سويا حسن الصوره،فمع تحقق ما ذكر لها تأيدت به-أى بروح القدس-و سرى أثر اتصالها به إلى الطبيعه و البدن و تغير مزاجها و مد جميع القوى فى أفعالها بالمدد الروحانى،فصارت أقدر على أفعالها بما لا ينضبط بالقياس.

ثم ابتدأ خلق الجنين فى استقرار الماءين فى الرحم،و شبه بالعجين إذا ألصق بالتنور،فغيره اللّه تعالى سبحانه عن حاله قليلا،كالبذر إذا نبت من الأرض،فصارت نطفه،فاستجلب دم الحيض من أعماق العروق إليها،حتى ظهرت فيها نقط دمويه منه و صارت علقه.ثم أظهر فيها حمره ظاهره حتى صار شبيها بالدم الجامد،و هيج فيها ريحا حاره فصارت مضغه.ثم أظهر فيها رسوم الأعضاء و شكلها و صورها،فأحسن تصويرها،فقسم أجزاءها المتشابهه إلى أجزاء مختلفه من العظام و الأعصاب و العروق و الأوتار و اللحم و الشحم.

ثم ركب الأعضاء الظاهره و الباطنه من اللحم و العروق و الأعصاب، فدور الرأس،و شق البصر و السمع و الفم و الأنف و سائر المنافذ،و مد اليد و الرجل،و قسم رءوسها بالأصابع و قسم الأصابع بالأنامل،و خلق كل واحد من القلب و الدماغ و الكبد و الطحال و المعده و الرئه و الرحم و المثانه و الأمعاء و غيرها من الأعضاء على شكل مخصوص،و جعل لكل واحد منها عملا معينا و فعلا مخصوصا،و جميع ذلك يحصل للجنين و هو فى ظلمه الأحشاء محبوس و فى دم الحيض مغموس،منضم فى صره،كفاه على خديه،و مرفقاه على حقويه،جمعت ركبتاه على صدره و ذقنه على رأس ركبتيه،و هو كشبه

نـائم،سـرته متصـله بسـره أمه يمتص منهـا الغـذاء،و وجهه إلى وجهها إن كان أنثى و إلى ظهرها إن كان ذكرا.فتتوارد عليه تلك النقـوش العجيبـه و التصـويرات الغريبـه مـن غير خـبر منهـا لـه و للرحم،و لا للأب و الأم،و لا يرى داخـل النطفه أو الرحم و لا خارجهما نقاش يصل إليه أثر نقشه،فكأن الجنين بلسان حاله ينادى قلوب العارفين بنغمات تهيجها و ترقصـها:تصوروني في ظلمه الأحشـاء مغموسـا بـدم الحيض،كيف يظهر التخطيـط و التصوير على وجهى، فينقش النقـاش أجفاني و حـدقتى،و يصور المصور خـدى و شـفتى،و لا يزال يظهر على نقش بعـد نقش و صوره بعـد صوره،و لا أرى نقاشـا و لا مصورا، أ و لا تتعجبون من هـذا النقاش الذى لا يحتاج إلى تماس و مزاوله و لا يفتقر إلى آله و مباشـره،أ و لا تنتقلون من عجيب صنعه إلى عظيم قدرته و جسيم عظمته، أ و ليس لكم أعين بها تبصـرون أو قلوب بها تفقهون،فكيف تنظرون إلى تكون أعضائى و عجائبها و لا تعتبرون؟! فانظر الآن-يا حبيبى-فى نبـذ من العجائب و الحكم المودعه فى بعض من هـذه الأعضاء،فتأمل فى(العظام)التى هى أجسام قويه صـلبه كيف خلقهـا من نطفه سـخيفه رقيقه،و أحكمهـا و صـلبها فى الرحم بين المياه،مع أن صـلابه المائع فى الماء محال عاده،و جعلها قواما و دعامه للبـدن،و لـذا صـلبها و أحكمها لئلا تنكسـر عنـد الحركات العنيفه،و قـدرها مقادير مختلفه و شـكلها على أشـكال متفاوته،ففيها صـغير و كبير و طويل و قصـير و مسـتقيم و مسـتدير و دقيق و عريض و مجوف و مصمت،على ما اقتضته الحكمه و المصلحه،و لمـا كـان الإنسـان محتاجـا إلى الحركه،تاره بجمله بـدنه،و تاره ببعض أعضائه،لم يخلقه من عظم واحـد،بل جعل له عظامـا كثيره بينهـا مفاصـل،حتى تتيسـر له الحركه بجمله بـدنه و بعض أعضـائه،و قـدر شـكل كـل واحـد منها على وفق الحركه المطلوبه

بها،و ما لم تكن فيه فائده سوى كونه عمادا للبدن خلقه مصمتا،و إن جعل فيه المسام و الخلل التى لا بد منها،و ما يحتاج إليه للحركه أيضا،زاد فى تجويفه ليكون أخف،و جعل تجويفه فى الوسط واحدا لئلا يحتاج فى وصول الغذاء إليه إلى التجاويف و الخلل المتفرقه،فيصير رخوا،بل صلبه مع تجويفه،لئلا ينكسر عند الحركات العنيفه،و ما كانت الحاجه فيه إلى الوثاقه أشد جعل تجويفه أقل،و ما كان الاحتياج فيه إلى الخفه أكثر جعل تجويفه أزيد،و جمع غذاءه و هو المخ فى حشوه ليغذوه و يرطبه دائما،لئلا يتفتت بتجفيف الحركه.

ثم وصل مفاصلها و ربط بعضها بالبعض بأوتار أنبتها من أحد العظمين و ألصقها بالآخر،كالرباط،و خلق فى أحدهما زوائد خارجه منه و فى الآخر حفرا غائصه فيه موافقه لشكل الزوائد،ليدخل فيها و ينطبق عليها،و لذلك لو أراد الإنسان أن يحرك جزءا من بدنه دون سائر أعضائه لم يتعسر عليه، و لو لا المفاصل لتعذر عليه ذلك.

ثم وسط بين العظام الصلبه و اللحوم الرخوه(الغضاريف)و هى من العظم ألين و من اللحم أصلب،ليحسن اتصال الصلب باللين،فلا يتأذى منه،خصوصا عند الضربه و الضغطه،و ليحسن به مجاوره المفاصل المتحاكه فلا تتراض لصلابتها.

ثم انظر-يا أخى-فى(العروق)و ما فيها من العجائب و الحكم،فانها خلقت على نوعين:(أحدهما)الشرايين:و هى العروق الضوارب المتحركه و منبتها القلب.و لما كان القلب ينبوع الحياه و منبع الروح و الحراره الغريزيه خلقت هذه العروق مبتدأه منه منتشره فى سائر الأعضاء لإيصال الروح و الحياه منه إليها،و لها حركتان،انقباضيه يقبض بها الأبخره الدخانيه عن القلب

و انبساطيه يجذب بها صافى النسيم إليه،ليستريح،و لو لا هذا القبض و الجذب لاختنق القلب بالبخار الدخانى،و خلقت ذات صفاقين لئلا تنشق بقوه حركتها و لئلا يتحلل ما فيها من الروح،و جعل الصفاق الداخل أصلب لأنه الملاقى لقوه الحراره الغريزيه و مصادمه حركه الروح،فأوجب الحكمه الإلهيه زياده إحكامها حفظا لها عن الانشقاق،لقوه حركه الروح،و تقويه المحل الحراره الغريزيه،لئلا يتحلل شىء منها بتحلل محلها.و واحد من هذه الشرايين و يسمى الشريان الوريدى،لما كان حاملا لغذاء الريه لأن غذاءها من القلب فيغوص فيها و يصير شعبا،فخلق لذلك ذا صفاق واحد لئلا يزاحم بصلابته الريه لرخاوتها و لينها،مع عدم مصادمه لحمها له عند الحركه لكثره لينه و رخاوته.فلم تكن حاجه إلى زياده استحكامه،على أن الريه تحتاج إلى الغذاء على سبيل الترشح بسرعه و سهوله،و كثره الصلابه منافيه لذلك.

(و ثانيهما)العروق الساكنه:و تسمى الأورده،و شأنها جذب الغذاء من المعده إلى الكبد و منه إلى سائر الأعضاء،و هى ذات صفاق واحد لأنها ساكنه فلا يخشى انشقاقها.و جعل واحد منها و يسمى الوريد الشريانى ذا صفاقين لنفوذه فى التجويف الأيمن من القلب،فكان اللازم زياده وثاقته لئلا يعتريه انشقاق بقوه حركه القلب و صلابته،و هو الذى يأتى بغذاء الريه إلى القلب،و إذا خلص عن القلب و جاوزه يأخذ الشريان الوريدى منه الغذاء و يذهب به إلى الريه.

فانظر-يا أخى-إلى عجيب حكمه ربك،فإن حامل غذاء الريه ما دام نافذا فى القلب و مصادما لحركته خلق صلبا ذا صفاقين،و إذا خلص عنه إلى الريه التى لا تتحمل الصلب جعل رخوا ذا صفاق واحد،فسبحانه ما أجل شأنه و أعظم برهانه.

ثم تفکر أیها المتفکر فی(الرأس)و عجیب خلقه،حیث رکبه من عظام مختلفه الأشکال و الصور،و ألف بعضها إلی بعض حتی استوت کره کما تراه،و جعله مجمع الحواس،و لذا جعله مستدیرا،لأن المستدیر أبعد من الآفات بالقیاس إلی ذی الزاویه،و أعظم مساحه منه مع تساوی إحاطتهما و جعل استدارته إلی طول،لأن منابت الأعصاب الدماغیه موضوعه فی الطول فلو لم یتسع منبتها لازدحمت و انضغطت،و ألف قحفه (۱)من سته أعظم:

اثنان بمنزله السقف و أربعه بمثابه الجدران،و وصل بعضها ببعض بالدروز و الشؤن،و جعل الجدران أصلب من الیافوخ الذی هو السقف،لأن الصدمات علیها أکثر،و تخلخل الیافوخ مما لا بد منه لخروج الأبخره المتحلله(و عدم ثقله علی الدماغ) (۲)و فائده الدروز أن تخرج منها الأبخره المتحلله فی الدماغ لئلا یؤدی مکثها إلی الصداع و غیره من الأمراض الدماغیه،و جعل أصلب الجدران مؤخرها لأنه غائب عن البصر فلا یحرسه فاحتاج إلی زیاده وثاقه.

و خلق فیها الدماغ لینا دسما،لتنطبع فیه المحسوسات بسهوله،و لتکون الأعصاب النابته منه لزجه لئلا تنکسر،و جعل مزاجه رطبا باردا لتنفعل القوی المودعه فیه عن مدرکاتها،و لئلا یشتعل بالحراره الحاصله عن الحرکات الفکریه و جعل مقدمه الذی هو منبت الأعصاب الحسیه ألین من مؤخره الذی هو منبت أعصاب الحرکه،لأن الحرکه لا تحصل إلا بالقوه،و القوه إنما تحصل بالصلابه.ثم جلل الدماغ بغشاءین:(أحدهما)رقیق لین ملاصق

۱- ۱) القحف:العظم فوق الدماغ و ما انفلق من الجمجمه فبان قال فی القاموس:«و لا یدعی قحفا حتی یبین أو ینکسر منه شیء».
۲- ۲) هذه الجمله مطابقه لنسختنا الخطیه و المطبوعه،لکنها غیر موجوده فی النسخه الخطیه الأخری.

لجوهره،و(ثانيهما)غليظ صلب ملاصق للقحف،و هو مثقب بثقب كثيره لاندفاع الفضول منه،و انشعبت منه شعب دقاق تصعد من دروز القحف إلى ظاهره،ليتشبث بها هذا الغشاء بالقحف و لا ينفصل عنه،و جعل بين جزئى الدماغ المقدم و المؤخر حجابا لطيفا ليحجب عن مماسه الألين بالأصلب فيتأذى منه،و خلق تحت الدماغ بين الغشاء الغليظ و العظم نسيجه (1)شبيهه بالشباك،و قد تكونت من الشرايين الصاعده من القلب و الكبد إلى الدماغ،و قد فرشت هذه الشبكه تحت الدماغ،ليبرد فيها الدم الشريانى و الروح،و يتشبه بالمزاج الدماغى بعد النضج،ثم يتخلص إلى الدماغ على التدريج،و لولاه لم يصلح الدم الكبدى و الروح القلبى لكثره حرارتهما لتغذيه الدماغ،و لم يناسبا جوهره،و جعل الفرج التى بين فروع هذه الشريانات محشوه بلحم غددى لئلا تبقى خاليه،و لتعتمد عليه تلك الفروع و تبقى على أوضاعها.

ثم لما كان الدماغ مبدأ الحس و الحركه.و لم يكن لسائر الأعضاء حس و حركه بذاتها،و كان اللازم إيصالهما منه إليهما،و لم يكن ذلك ممكنا بدون واسطه فى الإيصال،فخلق(الأعصاب)من جوهره،و وصلها منه إلى سائر الأعضاء من العظام و غيرها،ليفيدها الدماغ بتوسطها حسا و حركه،و ليشد و يتقوى بها اللحم و البدن،و أيضا لم يجعلها متصله بالعظم مفرده،بل بعد اختلاطها باللحم و الرباط،لئلا يتأذى من صلابته.

ثم لما كان نزول جميع الأعصاب التى يحتاج إليها من الدماغ موجبا لثقل الرأس و عظمه،خلق اللّه من جوهر الدماغ أشبه شىء به و هو(النخاع)، و جعل فى أسفل القحف ثقبا و أخرجه منها،و خصه بالعنق و الصلب،

١- ١) الموجود فى نسختنا الخطيه:«فسحه»بدل(نسيجه).

و أخرج منه كثيرا من الأعصاب المحتاج إليها إلى الأعضاء.فالدماغ بمنزله العين و الينبوع للحس و الحركه،و النخاع بمثابه النهر العظيم الجارى منه، و الأعصاب كالجداول.و المنبع ألين من النهر و النهر ألين من الجداول.

ثم انظر-يا حبيبى-كيف خلق(العين)و فتحها و أحسن شكلها و لونها و هيئتها و رتب لها سبع طبقات و ثلاث رطوبات كل منها على شكل خاص و لون مخصوص،لو تغير شىء منها عما عليه لاختل أمر الإبصار،و تأمل كيف أظهر فى حدقتها التى بمقدار العدسه صوره السماء مع اتساع أكنافها و تباعد أقطارها،و حماها بالأجفان ليسترها و يحفظها و يصقلها،و جعلها وقايه لها يدفع بها الأقذاء عنها،و يمنعها عن وصول الغبار و الدخان و الشعاع إليها عند انطباقها،و جعل الجفن الأسفل أصغر من الأعلى،لأن الأعلى يستر الحدقه تاره و يكشفها أخرى لتحركه،و أما الأسفل فغير متحرك،فلو زيد على هذا القدر يستر شيئا من الحدقه دائما،و يجتمع فيه الفضول و لا تسيل ثم زين الأجفان:(الأهداب)ليمنع من الحدقه بعض الأشياء التى لا يمنعها الأجفان مع انفتاح العين-كما ترى عند هبوب الرياح التى يأتى بالأقذاء-فيفتح العين أدنى فتح،و تتصل الأهداب الفوقانيه بالسفلانيه فيحصل شبه شباك ينظر من ورائه،فتحصل الرؤيه مع دفع القذى.

ثم انظر كيف شق(الأذن)و أودعها ما يحفظ سمعها و يدفع الهوام عنها و جعل ثقبها محاطه بصدفه مرتفعه لئلا تتأذى من البرد و الحر و غيرهما مما يؤذى،و ليجتمع فيها الهواء المتحرك من الأصوات فينفذ فيها و يحرك الهواء الذى فى داخلها و يموجه-كما ترى من دوائر الماء إذا وقع فيه شىء- حتى يصل إلى العصبه المفروشه على الصماخ التى فيها قوه السمع،فيدرك الصوت.و جعل فى منفذها تجويفات و اعوجاجات كثيره لتكثر حركه ما يدب

فيها و يطول طريقها،فيتنبه صاحبها إذا قصدته دابه مؤذيه فيدفع شرها، و خلق فيها جرما نتنا عفنا لتنفر عنه الدواب المؤذيه و لا تدخلها.

ثم تأمل كيف زين الوجه ب(الحاجبين)و حسنهما بدقه الشعر و استقواس الشكل.

و زين وجه الرجل ب(اللحيه)و وجه المرأه بعدمها،و المتأمل يعرف أن اللحيه زين للرجل و شين للمرأه،و هذا من عجائب الحكمه.

و زين الوجه برفع(الأنف)من وسطه،و حسن شكله و فتح منخريه، و أودع فيهما حاسه الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه و أغذيته و ليستنشق الهواء الطيب الصافى،و يدفع الهواء الحار الدخانى،و ترويحا لقلبه،و جعل له منخرين لتميل الفضلات النازله من الدماغ غالبا إلى أحدهما،و يبقى الآخر مفتوحا،فلا تسد طرق الاستنشاق بأسرها.

ثم انظر إلى(الفم)و عجائبه و إلى اللسان و غرائبه،فإنه سبحانه لعظيم قدرته و حكمته فتح الفم،و أودعه اللسان و جعله ناطقا معربا عما فى القلب و مكنه من التكلم باللغات المتخالفه و تقطيع الأصوات و إخراج الحروف المتباينه،و جعل له قدره على الحركه فى مخارج مختلفه تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها.و خلق(الفكين)و ركب فيهما الأسنان لتكون آله للطحن و القطع و الكسر،فأحكم أصولها،و حسن لونها،و رتب صفوفها متساويه الرءوس متناسقه الترتيب،كالدرر المنظومه،مختلفه الأشكال باختلاف الأغراض و المقاصد،متفاوته الأوضاع بتفاوت الغايات و الفوائد و لما كان الطعام يحتاج تاره إلى الكسر و تاره إلى القطع و أخرى إلى الطحن فقسم الأضراس إلى عريضه طواحن كالأضراس،و إلى حاده قواطع كالرباعيات،و إلى ما يصلح للكسر كالأنياب.و الأضراس التى فى الفك

إلا على لما كانت معلقه جعل أصولها ثلاثه أو أربعه،و التى فى الفك الأسفل اكتفى فى أصولها باثنين أو ثلاثه لعدم الاحتياج،و جعل لسائر الأسنان أصلا واحدا لعدم ثقل فيها.ثم جعل مفصل(الفكين)متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل و يتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى،و هو ثابت لا يتحرك،فيتم الطحن بذلك.فانظر فى عجيب صنع اللّه فى هذه الرحى حيث يدور الأسفل منها على الأعلى على خلاف سائر الأرحيه،لدوران الأعلى منها على الأسفل.و الحكمه فى تحرك الأسفل دون الأعلى:أن الأعلى مجمع الدماغ و الحواس،فتحركه كان موجبا لأذيتهما و اضطرابهما،و أيضا هو مفصل الرأس و العنق،فلو تحرك لم يستحكم،مع أن الوثاقه فيه لازمه ثم لما كان مضغ الطعام محتاجا إلى تحركه فيما تحت الأسنان،فأعطى اللّه سبحانه قدره اللسان على أن يطوف فى جوانب الفم و يرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجه.و لما كان الطعام يابسا فلم يمكن ابتلاعه إلا بنوع رطوبه،فخلق تحت اللسان عينا جاريه يفيض منها اللعاب و ينصب بقدر الحاجه،حتى يعجن به الطعام و يقدر على ابتلاعه.

ثم تفكر كيف خلق(الحناجر)و هيأها لخروج الأصوات،و جعلها مختلفه الأشكال فى الضيق و السعه و الخشونه و الملاسه و الطول و القصر و صلابه الجوهر و رخاوته،حتى اختلفت بها الأصوات،فلا يتشابه صوتان،بل يظهر به بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع أصوات آحاد الناس بمجرد سماعها فى الظلمه و الغيبه.

ثم مد(العنق)و جعله مركبا للرأس،و كبه من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات و زيادات و نقصان،لينطبق البعض على البعض، و لما كان أكثر منافعه فى الحركه جعل مفاصله سلسه،و لم يجعل زوائدها المفصليه

کبیره کزوائد فقرات الصلب،لتکون حرکاته أسرع،و تدارک تلک السلاسه بأعصاب و عضلات کثیره محیطه به.

ثم انظر إلی عجائب(المعده)و آلاتها التی یتم بها الأکل،فجعل سطح الفم متصلا بفم المعده بحیث کأنهما سطح واحد،حتی یحصل أولا-نوع انهضام بالمضغ،ثم هیأ(المریء) (۱)و الحنجره،و جعل علی رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق و تنضغط حتی یهوی الطعام من دهلیز المری إلی المعده،و إذا ورد علیها لا-یصلح لأن یصیر عظما و لحما و دما علی هذه الهیئه،بل لا بد أن ینطبخ انطباخا تاما تتشابه أجزاؤه،فخلق اللّه المعده علی هیئه قدر یقع فیه الطعام و تنغلق علیه الأبواب،و خلق فیها حراره صالحه للطبخ،و مع ذلک جعلها محاطه من جوانبها الأربعه بالحراره المنبجسه من الکبد و الطحال و الثرب و لحم الصلب،فمن هذه الحرارات ینطبخ الطعام فی المعده و ینهضم،حتی یصیر کیلوسا (۲)أی جوهرا سیالا لیشبه ماء الکشک (۳)الثخین.

ثم خلق اللّه بعظیم حکمته و رأفته لإیصال صفو ما طبخ فی المعده إلی الکبد قسمین من العروق:(أحدهما)العروق المخلوقه فی تحت المعده المتصله بالمعاء المسماه ب(ماساریقا) (۴)،و جعل لها فوهات کثیره لینصب لطیف المطبوخ فیها،و(ثانیهما)العرق المسمی بباب الکبد النافذ فیه بعد تفرقه بعروق شعریه لیفیه منتشره فی اجزائه،و جعل الماساریقا متصله بباب الکبد،فإذا انصب خالص الکیلوس فی الماساریقا یوصله إلی باب الکبد،

ص: ۲۱۷

۱- ۱) هو الخرطوم المتصل بالأوداج الأربعه إلی الحنجره.

۲- ۲) کلمه یونانیه،المراد منه هو الطعام المطبوخ فی المعده طبخا ناقصا.

۳- ۳) ماء الکشک:هو ماء الشعیر.

۴- ۴) أی العروق تحت المعده المتصله بالمعاء.و الکلمه یونانیه.

و ينصب منه إلى العروق الليفيه المتفرقه فى جوهر الكبد،فتستولى قوه الكبد على هذا الكيلوس،بحيث يلاقى كله كله،و لذا يصير فعله فيه أشد و أسرع،فيمتصه و يجذبه إلى نفسه فيطبخه و يفيده الحراره و الحمره،حتى ينصبغ بلون الدم،و من هذا الطبخ يحصل شىء كالرغوه و هى(الصفراء)، و شىء كالدودى و هو(السوداء)،و شىء كبياض البيض و هو(البلغم)، و هو كما يتكون من هذا الطبخ يتكون من الطبخ الأول أيضا،و قد يصير شىء من هذا البلغم إلى الكبد مع عصاره الطعام،و يبقى المتصفى من هذه الجمله دما ناضجا ذا رطوبه مائيه منتشره فى العروق الشعريه،فلو بقيت الصفراء و السوداء و البلغم و المائيه مختلطه بالدم و لم تنفصل عنه لفسد مزاج البدن، فخلق اللّه بحكمته الكليتين و المراره و الطحال،و جعل لكل منهما عنقا ممدودا فى الكبد،و جعل عنقى الآخرين داخلا فى تجويف الكبد،و لم يجعل عنقى الكليتين داخلا فى تجويفه،بل جعلهما متصلين بالعروق الطالعه من حدبه الكبد حتى يجذبا مائيته بعد الطلوع من العروق الدقيقه التى فى الكبد،اذ لو اجتذبت قبل ذلك لغلظت و لم تخرج بسهوله عن العروق الدقيقه الشعريه.

ثم إذا انجذبت المائيه من جانب محدب الكبد من طريق العروق الطالعه منه إلى الكليتين،حملت مع نفسها من الدم ما يكون صالحا كما و كيفا لغذائهما فتغذوان الدسومه و الدمويه من تلك المائيه،و يندفع باقيها إلى المثانه،و منها إلى الإحليل.و أما(المراره)فتأخذ الرغوه الصفراويه من محدب الكبد بعنقها الذى اتصل بالكبد،و تقذفها من منفذ آخر لها إلى الأمعاء،ليلذعها بحدتها فتحركها على دفع الأثقال التى بقيت من الكيلوس بعد ذهاب صفوه إلى الكبد،فينضغط حتى تندفع منها الأثقال،و بخروجها تخرج تلك الرغوه الصفراويه،و صفرتها لذلك.و أما(الطحال)فيأخذ بعنقه المتصل بمحدب

الکبد منه الرسوب السوداوی و یحیله حتی یکتسب قبضا و حموضه،ثم یرسل منه فی کل یوم شیئا إلی فم المعده لتنبه بالجوع،فیحرک الشهوه بحموضته و قبضه،ثم یخرج بخروج الثقل أیضا.و أما(الدم)فیتوجه إلی الأعضاء و یتوزع علیها فی شعب العرق الأجوف العظیم النابت من محدب الکبد،فیسلک فی الأورده المتشعبه منه فی جداول،ثم فی سواقی الجداول، ثم فی رواضع السواقی،ثم فی العروق الشعریه اللیفیه،ثم یترشح من فوهاتها فی الأعضاء بتقدیر خالق الأرض و السماء.

و مما ذکر ظهر أنه لو حدث بواحد من المراره و الطحال و الکلیتین آفه، فسد الدم و حصلت أمراض الخلط الذی یجذبه من الکبد،فلو عرضت آفه بالمراره حدثت الأمراض الصفراویه،و لو حصلت آفه بالطحال حصلت أمراض سوداویه،و لو لم تندفع المائیه إلی الکلی بعروض آفه لها حصل مرض الاستسقاء، و أما(البلغم)فما یتکون فی الکبد أو یصیر إلیه مع عصاره الطعام انهضم فیه و صار دما،و ما بقی منه فی الأمعاء و لم ینحدر إلی الکبد انغسل بمره الصفراء التی شأنها تنقیه الأمعاء من الفضول بحرافتها و حدتها و سیلانها،و من البلغم ما یبقی فی البدن لاحتیاجه إلیه فی حرکه المفاصل و ترطیب الأمعاء،و منه ما یخرج من الفم بالقیء و البصاق أو ینحدر من الرأس إلی الفم و یخرج منه بالتنخع.

ثم انظر-یا أخی-فی(القلب)و عجائبه،حیث خلقه جسما صنوبریا و جعله منبعا لروح الحیاه،و لذا خلقه صلبا لیکون محفوظا من الواردات، و جعل هذا الروح جرما حارا لطیفا نورانیا شفافا،و جعله مطیه للنفس و قواها،و أناط به حیاه الإنسان و بقاءه،فیبقی ببقائه و یفنی بفنائه،فکل عضو

يفيض عليه من سلطان نوره يكون حيا،و إلا كان ميتا،و لذا لو حصل بعضو سده مانعه من نفوذه فيه بطل حسه و حركته،و يتوزع هذا الروح من القلب الذى هو منبعه إلى سائر الأعضاء العاليه و السافله،بوساطه سفراء الشرايين و الأورده،فما يصعد منه إلى الدماغ بأيدى خوادم الشرايين،و يعتدل بكسب البروده من جوهر الدماغ،ثم يفيض على الأعضاء المدركه و المتحركه منبثا فى جميع البدن،يسمى(روحا نفسانيا).و ما ينزل بصحابه أمناء الأورده إلى الكبد الذى هو مبدأ القوى النباتيه،و منه يتفرق إلى سائر الأعضاء،يسمى(روحا طبيعيا).و قد خلق اللّه سبحانه هذا الروح من لطائف الأمشاج الأربعه،كما خلق الأعضاء من كثائفها.و هذا الروح مثاله جرم نار السراج،و القلب الذى محله كالمسرجه له،و الدم الأسود الذى فى باطن القلب و يتكون هذا البخار اللطيف منه بمنزله الفتيله له،و الغذاء له كالزيت و الحياه الظاهره فى جميع أجزاء البدن بسببه كالضوء للسراج فى جمله البيت،كما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ،فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه و كما أن الفتيله قد تحترق و تصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت،فكذلك الدم الأسود الذى فى باطن القلب قد يحترق بحيث لا يقبل الغذاء الذى تبقى الروح به،كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به،و كما أن السراج ينطفئ تاره بسبب من داخل-كما ذكرنا-و تاره بسبب من خارج،كهبوب ريح أو إطفاء إنسان،فكذلك انطفاء الروح تاره يكون بسبب من داخل و تاره بسبب من خارج،كالقتل،و كما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده كذلك انطفاء الروح هو منتهى وقت وجود الإنسان،و هو أجله الذى أجل له فى أم الكتاب.و كما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله كذلك الروح اذا انطفا أظلم البدن كله،و فارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح،و هى

أنوار الإحساسات و القدره و الإرادات و سائر ما يجمعها معنى الحياه.

ثم انظر-يا حبيبى-إن كنت من أهل اليقظه فى(اليدين)و حكمتهما، حيث طولهما لتمتدا إلى المقاصد،و عرّض الكف و وضع عليها الأصابع الخمس،و قسم كل إصبع بثلاث أنامل،و جعل الإبهام فى جانب،و البواقى فى جانب،ليدور عليها،و لو اجتمع الأولون و الآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام من الأربع و ترتبها فى صف واحد و تفاوتها فى الطول و القصر،على أن يكون هذا الوجه أزين و أصلح منه أو مثله و شبهه فى الزينه و المصلحه لم يقدروا عليه،إذ بهذا الترتيب صلحت للقبض و الإعطاء،فإن بسطتها كانت لك طبقا تضيع عليها ما تريد،و إن جمعتها كانت لك آله للضرب،و إن نشرتها ثم ضممتها كانت آله للقبض،و إن ضممتها ضما غير تام كانت لك مغرفه،و إن وضعت الإبهام على السبابه كانت لك مخرقه،و إن بسطت الكف مع اتصال الأصابع كانت لك مجرفه و إن بسطت الكف و جمعت عليها الأصابع كانت لك محرزه،إلى غير ذلك من المنافع.

ثم خلق(الأظفار)على رءوسها،زينه للأنامل و عمادا لها من ورائها، حتى لا تنفت،و ليلتقط بها الأشياء الدقيقه التى لا تتناولها الأنامل،و ليحك بها بدنه عند الحاجه،فالظفر الذى هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان و حدثت به حكمه لكان أضعف الخلق و أعجزهم،ثم هدى(اليد)إلى موضع الحك حتى تمتد إليه و لو فى حاله النوم و الغفله،من غير حاجه إلى فحص و طلب،و لو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك.

ثم خلق(الرجلين)مركبتين من الفخذ و الساق و القدم،كل منها على شكل خاص و تركيب خاص،ليتحرك بهما الإنسان إلى أى موضع أراد،و لو

تغير شیء من الشكل أو الوضع أو التركيب فی جزء من إجزائهما لأختل أمر الحركه،و وضع عليهما جمله البدن و جعلهما دعامه و أساسا له و حاملين لثقله،مع خفتهما و صغر جثتهما بالنسبه إليه،إذ حسن التركيب و سهوله الحمل و الحركه فی مثل هذا الخلق لا يتصور بدون ذلك.فانظر فی عجيب حكمه ربك حيث جعل الأخف و الأدق و الأصغر أساسا و حاملا للأثقل و الأغلظ و الأكبر،مع أن كل بناء يكون أساسه أكبر و أغلظ مما يبنی عليه،و كل حامل يكون أعظم جثه من المحمول،فسبحانه من خالق لا نهايه لعجائب حكمته و غرائب قدرته.

ثم خلق جميع ذلك فی النطفه جوف الرحم فی ظلمات ثلاث،و لو كشف عنها الغطاء و امتد إليها البصر،لكان يری التخطيط و التصوير يظهر عليها شيئا فشيئا،و لا يری المصور و لا آلته،فسبحانه من مصور فاعل يتصرف فی مصنوعه من دون احتياج إلی مباشره آله و لا افتقار إلی مكادحه عمل.

تذنيب

ثم تأمل-أيها المتأمل-فی عجائب حكم ربك:إنه لما كبر الصبی و ضاق عنه الرحم كيف هداه السبيل إلی الخروج حتی تنكس و تحرك،و خرج من ذلك المضيق كأنه عاقل بصير،و لما خرج و كان محتاجا إلی الغذاء و لم يحتمل بدنه الأغذيه الكثيفه للينه و رخاوته خلق له اللبن اللطيف،و استخرجه من بين الفرث و الدم،خالصا سائغا،و خلق الثديين و جمع فيهما هذا اللبن، و أنبت منهما الحلمه علی قدر ما ينطبق فم الصبی،و هداه إلی التقامها،و فتح فيها ثقبا ضيقه جدا،حتی لا يخرج اللبن إلا بعد المص تدريجيا،لأن الطفل

لا یطیق منه إلا القلیل،ثم هداه إلی الامتصاص حتی یستخرج من مثل هذا المضیق اللبن الکثیر عند شده الجوع،و أخر خلق الأسنان إلی تمام الحولین، لأنه لا یحتاج فیهما إلیهما باللبن،و ما دام مغتذیا به لما کان فی دماغه رطوبه کثیره سلط علیه البکاء،لتسیل به تلک الرطوبه،فلا تنزل إلی بصره أو إلی غیره من أعضائه فتفسده،ثم لما کبر و لم یوافقه اللبن الخفیف و افتقر إلی الأغذیه الغلیظه المحتاجه إلی المضغ و الطحن أنبت له الأسنان عند الحاجه من دون تقدیم و تأخیر،و حنن علیه قلوب الوالدین بالقیام علی تربیته و تکفل حاله ما دام عاجزا عن تدبیر نفسه.

ثم رزقه الإدراک و الفهم و القدره و العقل علی التدریج حتی بلغ ما بلغ و أودع فی نفسه المجرده و قواها الباطنه أسرارا عجیبه تحیر طوامح العقول و تدهش منها ثواقب الأنظار و الفهوم.فانظر إلی قوه الخیال بعرضیتها الغیر المنقسمه کیف تطوی السماء و الأرض و تتحرک من المغرب إلی المشرق فی آن واحد،و إلی قوه الوهم کیف تستنبط کثره المعانی الجزئیه فی لحظه واحده، و تأخذها من حواق الأشیاء،و إلی المتخیله کیف ترکب بعضها بالبعض و تأخذ منها ما فیه الصلاح و الرشاد فی أمر المعاش و المعاد.

ثم انظر فی عجائب النفس و عالمها:من إحاطتها بالبدن کله و تدبیرها له، مع تنزهها عن صقع المکان و اتصافها بالعلم و القدره و سائر الصفات الکمالیه، و تمکنها من الإحاطه علی حقائق الأشیاء بأسرها،و تصرفها فی الملک و الملکوت بقوتها العقلیه و العملیه و مع ذلک عاجزه عن معرفه ذاتها و حقیقتها، و من تطوراتها فی الأطوار المختلفه،و تقلبها فی النشآت المتباینه،و ترقیاتها بحسب درجاتها و مقاماتها،من لدن تعلقها بالنطفه القذره إلی صیرورتها عالما ربانیا محیطا بحقائق الأشیاء متصلا بالملکوت الأعلی،و من اجتماع

عوالم السباع و البهائم و الملائکه و الشیاطین فیه (۱)،و إطاعه جمیع الموجودات له،حتی السباع تخضع لدیه و الطیور تخفض أجنحه الذل بین یدیه، و یستخدم الجن و یسخر الکواکب و روحانیتها،و من عجائب عالمه الطبع الموزون و الصوت الحسن،و علمه بصناعه الموسیقی،و استنباطه أنواع الصنائع من الأرض،و قد یتعدی إلی عالم العجیبه و الحرف الغریبه.

و منها أمر الرؤیا و إخباره بالمغیبات لاتصاله بالجواهر الروحانیه،و تأثیره فی مواد الأکوان بنزع صوره و إلباس أخری،فیؤثر بانقطاعه إلی اللّه فی استحاله الهواء إلی الغیم و نزول الأمطار،و إزاله أنواع الأمراض،و إهلاک قوم و إنجائهم،و تمکنه من فعل أو تحریک یخرج عن وسع مثله،و إمساکه عن القوت مده غیر معتاده،و اقتداره علی إظهار بدنه المثالی فی مواضع مختلفه فی وقت واحد،و إحضاره ما یریده من المطاعم و الملابس،و مصاحبته مع الملائکه و أخذ العلوم منهم.فانظر-یا أخی-إن کنت من أهل الیقظه إلی قدره ربک العظیم حیث أودع جمیع ذلک فیما عرفت حاله من النطفه السخیفه القذره،و هذه النطفه هی التی قد تصیر ملکا شدید الهمه و البطش مسخرا للربع المسکون،بحیث ینوط به انتظام النوع و اختلاله،و قد یصیر بحیث تظهر منه خوارق العادات و غرائب المعجزات فی عالم الأرض،و قد یتعدی إلی عالم الأفلاک،فینشق القمر و یرد الشمس.

و لیت شعری إن الناس کیف یتعجبون من صیروره المیت حیا،مع أنه جثته کانت موجوده و إنما أفیض علیه مجرد حس و حرکه،و لا یتعجبون من بلوغ قطره ماء قذره إلی المراتب التی عرفتها.و لیس المنشأ لذلک إلا کثره مشاهدتهم و تکرر ملاحظتهم له مع أن هذا لا یدفع العجب و الغرابه لو

۱- ۱) تذکیر الضمیر هنا و فیما یأتی باعتبار الإنسان،و تقدم مثله صفحه(۱۱).

نظروا بعين العبره و البصيره،إذ منشأهما إما عظم الصنع و حسن الإبداع، فهما فى بلوغ النطفه إلى المراتب المذكوره أقوى و أشد من إحياء ميت،أو دلاله هـذا الصـنع و الفعل على صانع حكيم و فاعل عليم،فلا ريب أيضا فى أن دلاله الأول على ذلك أشد من دلاله الثانى عليه،إذ كل من رزق أدنى حظ من البصيره يعلم أن بلوغ قطره ماء قـذره إلى المراتب المـذكوره ليس إلا من قـدره قادر حكيم و صنع صانع عليم،أو من حدوث الفعل من دون مشاهده سبب مباشر،فهذا فى أمر النطفه أظهر،و على أى تقدير كان يكون التعجب و الغرابه فى بلوغ النطفه السخيفه القذره إلى المراتب المذكوره أشد و أحرى من التعجب فى إحياء ميت أو إبراء أكمه أو أبرص أو تكلم حيوان أو نبـات أو جمـاد أو غير ذلک من خوارق العادات و غرائب المعجزات،فالنظر الـذى لا يقتضـى منه العجب إنما هو نظره حمقاء لم ينشأ عن حقيقه الروايه و الاتقان و لم يصدر عن ذى قلب يقظان.و بالجمله:الحكم و العجائب المودعه فى النشأه الإنسانيه أكثر من أن تحصى.و إنما أشرنا إلى نبذه قليله منها تبصره لمن استبصر،و تنبيها على كيفيه التفكر فى سائر مجارى الفكر و النظر،

قـال الإمام أبو عبـد اللّه الصادق(ع): «إن الصوره الإنسانيه أكبر حجه للّه على خلقه،و هى الكتاب الـذى كتبه بيـده،و هى الهيكل الـذى بنـاه بحكمته،و هى مجموع صور العالمين،و هى المختصـر من العلوم فى اللوح المحفوظ،و هى الشاهـد على كل غائب،و هى الحجه على كل جاحد،و هى الطريق المستقيم إلى كل خير، و هى الصراط الممدود بين الجنه و النار».

و إذا عرفت نبـذا من عجائب نفسک و بـدنک،فقس عليه عجائب الأرض التى هى مقرک،بوهادها،و تلالها،و سـهلها،و جبالها،و أشجارها،و أنهارها،و بحارها

و أزهارهـا،و برارهـا،و عمارهـا و مـدنها،و أمصارهـا،و معادنها،و جمادها، و حيوانها،و نباتها،فإن كل ما نظرت إليه منها لو تأملته لوجدته مشتملا على غرائب حكم لا تعد و عجائب مصالح لا تحد،و لرأيته آيه باهره على عظمه مبدعه و حجه قاطعه على جلاله موجده.

فانظر-أولا-إلى(رواسى الجبال)و شوامخ الصم الصلاب،

كيف أحكم بها جوانب الأرض و أودع المياه تحتها،فانفرجت من هـذه الأحجار اليابسه و التربه الكدره مياه عذبه صافيه،و أودع فيهـا الجواهر النفيسه العـاليه و هـدى النـاس إلى اسـتخراجها و اسـتعمالها فيمـا ينبغى،و خلق فى الأـرض معـادن يحتاج إليها نوع الإنسـان،و لو فقـد واحـدا منهـا لم يتم انتظامه،و لم يترك معموره لم يكن فى قربها هـذه المعادن،و جعل ما يكون الاحتياج إليه أشد و أكثر أعم وجودا و أقرب مسافه،كالملح و مثله.

ثم انظر إلى(أنواع النبات)

بكثرتها و اختلافها فى الإشـكال و الألوان و الطعوم و الروائـح و الخواص و المنافع،فهـذا يغـذى،و هـذا يقوى،و هـذا يقتل،و هذا يحيى،و هذا يسخن،و هذا يبرد،و هذا يجفف،و هذا يرطب و هذا يسهر،و هذا ينوم،و هذا يحزن،و هذا يفرح...إلى غير ذلك من المنـافع المختلفه و الفوائـد المتبـاينه،مع اشتراكهـا فى السـقى من مـاء واحـد، و الخروج من أرض واحـده.(فـإن قلت):اختلاـفها لاختلاف بذورها، (قلنا):متى كانت فى النواه نخله مطوقه بعناقيد الرطب؟و متى كانت فى حبه واحده سبع سنابل فى كل سنبله مـائه حبه؟و انظر إلى كـل شـجر و نبت إذا أنزل عليهـا المـاء كيـف يهـتز و يربـو و يخضـر و ينمـو بجميـع أجزائه من الأـصول و الأغصان و الأوراق و الأثمار على نسبه واحده،من غير زياده لجزء على آخر لوصول الماء إليها على نسـبه واحده و قسـمته عليها بالسويه،فمن هذا القاسم

العدل فى فعل ما ليس له شعور و لا إدراك؟فتبا لأقوام يسندون هذه الحكم المتقنه الظاهره و المصالح المحكمه الباهره إلى ما لا خبر له بوجوده و ذاته و لا بأفعاله و صفاته.

ثم انظر إلى(أنواع الحيوانات)

و أصنافها و كثرتها و اختلافها:من الطيور و الوحوش و السباع و البهائم،كيف هدى اللّه كل واحد منها إلى ترتيب المنزل و تحصيل القوت،و جعل ما لا يتم معاش الإنسان بدونه من الإنعام و البهائم مأنوسا به غير متوحش عنه،و غيره وحشيا عنه غير ألف به،و جعل فى كل منها من عجائب الحكم و غرائب المصالح ما تتحير منه العقول،فمن ذا الذى يقدر أن يحيط بعجائب خلق العنكبوت و النحله-بل البقه و النمله- و غرائب أفعالها مع كونها من صغار الحيوانات،من وضع منازلها و جميع أقواتها و ادخارها لنفسها و هدايتها إلى حوائجها؟فأى مهندس يقدر على رسم بيوت النحل و العنكبوت على هذا التناسب الهندسى؟و انظر كيف جعل العنكبوت بيته شبكه ليصيد بها البق و الذباب.و بالجمله:كل شخص من الحيوان أودع فيه من العجائب ما لا يمكن وصفه،و كل أحد إنما يدرك قدر ما يصل إليه فهمه.

ثم انتقل من عالم الأرض إلى(عالم البحر)و عجائبه من الحيوانات و الجواهر و النفائس،فإن العجائب المودعه فيه أضعاف عجائب الأرض،كما أن سعته أضعاف سعته،و كل حيوان يوجد فى الأرض يوجد فيه،و فيه حيوانات أخر ليس لها نظير فى البر أصلا،و قد يوجد فيه من الحيوانات ما عظمه بقدر جزيره عظيمه،و كثيرا ما ينزل الركبان عليه فيتحرك.أو من عجائبه خلق اللؤلؤ فى صدفه تحت الماء و إنبات المرجان من صم الصخور تحته،مع كونه على هيئه شجر ثابته ناميه...و قس عليه الغير و سائر النفائس التى يقذفها البحر و تستخرج منه.و بالجمله عجائب البحر أضعاف عجائب البر،و قد صنف

جماعه فيها مجلدات من الكتب،و مع ذلک لم يأتوا إلا باليسير،و لم يذكروا إلا قليلا من كثير.

ثم انتقل إلى(عالم الجو)و عجائبه.من السحب و الغيوم و الأمطار و الثلوج و الشهب و البروق و الصواعق و الرعود،فانظر إلى السحاب الخفيف مع رخاوته کيف يحمل الماء الثقيل و يسكن فی جو صاف لا يتحرک إلا أن يأذن اللّه سبحانه فی إرساله الماء،و تقطيع القطرات کل قطره بالقدر الذی شاء و أراد،فينزل قطرات متفاصله لا تدرک قطره منها أخرى،و لا يتقدم المتأخره و لا يتأخر المتقدم،حتى يصيب الأرض قطره قطره،و عين کل قطره لجزء من الأرض أو قوتا لحيوان معين،و لو كنت-يا حبيبی-ذا قلب لشاهدت فی کل قطره خطا إليها مكتوبا بقلم إلهی:إنه يصيب الجزء الفلانی من الأرض،أو رزق للحيوان الفلانی فی الموضع الفلانی.

ثم ارفع رأسک إلى هذا(السقف الأخضر)

قائلا:سبحانک!ما خلقت هذا باطلا.و انظر إلى هذه الأجرام النوريه و عجائبها،و اصرف برهه من وقتک فی الفحص عن حقائق غرائبها:من الشمس و إضاءتها عالم الأكوان، و القمر و اختلاف تشكلاته فی الزياده و النقصان،و سائر الأنجم الدائره، و الكواكب الثابته و السائره،و اختلاف صورها و أشكالها و مقاديرها و أوضاعها،و تفاوت مشارقها و مغاربها،و تباين منازلها و مواضعها،و اجتماعها و اتصالها،و تفرقها و انفصالها،و طلوعها و أفولها،و كسوفها و خسوفها، و انتظام حركاتها و اتساق دورانها،و حسن وضعها و ترتيبها و عجيب نضدها و ترصيعها،بحيث حصل من كيفيه نضدها و وضعها صور جميع الحيوانات:

من العقرب و الحمل و الثور و الجدی و الإنسان و الحوت و السرطان،بل صور

غير الحيوان:من السنبله و الميزان و القوس و الدلو و غير ذلك.حتى ما من صوره فى الأرض إلا و لها تمثال فى السماء أ يظن عاقل أن وضع هذه الكواكب على هذه الصوره و اختلاف بعضها فى اللون:ككموده زحل، و حمره المريخ،و قلب العقرب،و صفره عطارد،و رصاصيه الزهره و المشترى،بمجرد الاتفاق،و ليس لخالقها فى ذلك حكمه و مصلحه فما أشد جهلا و حمقا من توهم ذلك!

ثم انظر إلى حركه(الشمس)

يسير فلكها و إتمامها الدور بهذا السير فى سنه،و به تقرب من وسط السماء و تبعد عنه،و بسير آخر تطلع و تغرب فى كل يوم و تتم الدور بيوم و ليله،فلو لا سيرها الأول الموجب لغايه قربها إلى وسط السماء مده،و غايه بعدها عنه تاره،و توسطها بين الغايتين مرتين، لم تحصل الفصول الأربعه الموجبه لنشوء النباتات و الثمار و نضجها و بلوغها إلى غاياتها المطلوبه،و لو لا سيرها الثانى لم يختلف الليل و النهار،فلم يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحه،و لم تعرف المواقيت من الشهور و الأعوام و الساعات و الأيام.و تأمل فى أنه لو لم تكن السماوات مستديره و حركاتها دوريه،لم يتم شىء من الفوائد و الحكم المطلوبه من الحركه و الزمان و ما ارتبط بها من أمور العالم السفلى.

ثم انظر إلى عظم أقدار هذه الأجرام السماويه،

حتى لا قدر لجميع العوالم السفليه من الأرض و البحار و عالم الجو بالنسبه إليها،فلا يمكن أن يقال جميع ذلك بالنسبه إليها،بل بالنسبه إلى فكل الشمس فقط-مثلا-كنسبه قطره إلى البحر المحيط،و قد قال المهندسون:إن جرم كوكب الشمس فقط مائه و نيف و ستون ضعف الأرض بجميعها،بل قال بعضهم أكثر من ذلك، و مع ذلك بينوا أن ثخن فلك المريخ ثلاثه أمثال غلظ فلك الشمس،مع

ما فيه من أفلاك الزهره و عطارد و القمر و العناصر الأربعه،ثم أصغر كوكب تراه فى السماء هو مثل جميع الأرض ثمانى مرات،و أكبرها ينتهى إلى قريب من مائه و عشرين مثلا للأرض.

ثم انظر مع هذا العظم إلى سرعه حركتها و خفتها،

فإن شده سرعه حركتها مما لا يمكن دركها،إلا أنك لا تشك فى أن كل جزء من الفلك فى لحظه يسيره يسير مقدار عرض كوكب،و الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه فى غايه القله.و قد علمت أن هذا الكواكب إما مثل الأرض مائه و نيف و ستين مره أو أكثر أو مائه و عشرين مره أو مائه مره،و الأقل قدرا أن يكون مثلها ثمانى مرات،فقد دار كل جزء من الفلك فى هذه اللحظه مثل الأرض مائه و سبعين مره أو مائه و عشرين مره.و قد عبر روح الأمين عليه السلام عن سرعه حركه الفلك،إذا

قال سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «هل زالت الشمس؟»قال:لا-نعم!فقال له:كيف تقول لا-نعم!فقال:من حيث قلت:لا،إلى أن قلت نعم،سارت الشمس مسيره خمسمائه عام.

فتيقظ-يا أخى-من نوم الطبيعه،و تأمل من الذى حرك هذه الأجسام الثقيله العظيمه بهذه الحركه السريعه الخفيفه،و أدخل صورتها مع اتساع أكنافها فى حدقه العين بصغرها،و تفكر من ذا الذى سخرها و أدار رحاها، فقل: بِسْمِ اللّهِ مَجْراٰها وَ مُرْسٰاها ،و لو نظرت إليها بعين البصيره،لعلمت أنها عباد طائعون خاضعون،و عشاق إلهيون والهون،و بإشاره من ربهم إلى يوم القيامه رقاصون دائرون.

و بالجمله:لو نظرت بعين العبره فى ذرات الوجود لا-تجد ذره من ملكوت السماوات و الأرض إلا-و فيها غرائب حكمه يكل البيان عن وصفها،و لو

كان لك قلب و ألقيت السمع و أنت شهيد،لعلمت أن جميع ذرات الكائنات شواهد ظاهره و آيات متظافره على عظمه ربك الأعلى،و ما من ذره إلا و هى بلسان حالها ناطقه و عن جلاله بارئها مفصحه،قائله لأصحاب الشهود بحركاتها و سكناتها،و مناديه لأرباب القلوب بنغماتها:أ و ما تنظرون إلى خلقى و تكوينى و تصويرى و تركيبى و اختلاف صفاتى و حالاتى و تحولى فى أطوارى و تقلباتى؟أ و لا تشاهدون كثره فوائدى و منافعى و غرائب حكمى و مصالحى؟أ تظنون أنى تكونت بنفسى أو خلقنى أحد من جنسى؟أو تستحيون تنظرون فى كلمه مرقومه من ثلاثه أحرف،فتجزمون أنها صنعه آدمى مريد عالم و متكلم قادر،ثم تنظرون إلى عجائب الخطوط الإلهيه المرقومه على صفحات وجهى و العجائب الربانيه المودعه فى باطنى و ظاهرى،و مع ذلك عن عظمه ربى غافلون و عن علمه و حكمته ذاهلون؟!

تتميم

قد دريت إجمالا أن التفكر النافع محصور بين التفكر فى صفات اللّه و عجائب أفعاله،و التفكر فى ما يقرب العبد إلى اللّه ليفعله و فيما يبعده عنه ليتركه.و غير ذلك من الأفكار ليس نافعا و لا متعلقا بالدين.مثال ذلك أن حال السائر إلى اللّه الطالب للقائه،كحال العاشق المستهتر،فكما أن تفكره لا يتجاوز عن التفكر فى معشوقه و جماله و فى صفاته و أفعاله و فى أفعال نفسه التى تقربه منه و تحببه إليه ليتصف بها،أو التى تبعده عنه و تسقطه عن عينه ليتنزه عنها،و لو تفكر فى غير ذلك كان ناقص العشق،كذلك المحب الخالص للّه ينبغى أن يحصر فكره فى اللّه و فى صفاته و أفعاله و فيما يقربه منه و يحببه اليه أو يبعده عنه،و لو تفكر فى غير ذلك كان كاذبا فيما يدعيه من الشوق و الحب

ص :٢٣١

ثم التفکر فی ذات اللّه،بل فی بعض صفاته مما لا یجوز،و قد منعته الشریعه الحقه الإلهیه و الحکمه المتعالیه الحقیقیه،لأن ذاته أجل من أن تکون مرقی لأقدام الأفهام،أو مرمی لسهام الأوهام،فطرح النظر إلیه یورث اختلاط الذهن و الحیره،و جولان الفکر فیه یوجب اضطراب العقل و الدهشه و بعض الصدیقین المتجردین عن جلباب البدن لو أطاقوا إلیه مد البصر فإنما هو کالبرق الخاطف،و لو تجاوزوا عن ذلک لاحترقوا من سبحات وجهه.

و حال الصدیقین فی ذلک کحال الإنسان فی النظر إلی الشمس،فإنه و إن قدر علی مد البصر إلیها،إلا أن إدامته یورث الضعف و العمش،بل لا مشابهه بین الحالین،و إنما هو مجرد تقریب و تفهیم،فإن المناسبه بین نور الشمس و نور البصر فی الجمله ثابته،و أین مثل هذه المناسبه بین نور البصر و نور الأنوار القاهر علی کل نور بالإحاطه و الغلبه،و ما من نور إلا و هو منبجس من نوره و مترشح عن ظهوره،فکل نور فی مرتبه نوره زائل،و کل ظهور فی جنب ظهوره و شروقه مضمحل باطل.

و لما کان التفکر فی ذاته تعالی مذموما،فانحصر التفکر الممدوح فی التفکر فی عجائب صنعه و بدائع خلقه-و قد تقدم-و فی ما یقرب العبد إلی اللّه من الفضائل الخلقیه و الطاعات العضویه،و ما یبعده عنه من الملکات الباطنه و المعاصی الظاهره.و هذه الملکات و الأفعال هی المعبر عنها بالمنجیات و المهلکات و الطاعات و السیئات التی تذکر فی هذا الکتاب و فی غیره من کتب الأخلاق،و المراد بالتفکر فیها ههنا أن یتفکر العبد فی کل یوم و لیله فی وقت واحد أو أوقات متعدده فی أخلاقه الباطنه و أعماله الظاهره، و یتفحص عن حال قلبه و أعضائه،فإن وجد قلبه مستقیما علی جاده العداله متصفا بجمیع الفضائل الخلقیه و مجتنبا عن الرذائل الباطنه،و وجد أعضاءه

ملازمه للطاعات و العبادات المتعلقه بها تارکه للمعاصی المنسوبه إلیها،فلیشکر اللّه علی عظیم توفیقه،و إن وجد فی قلبه شیئا من الرذائل أو رآه خالیا عن بعض الفضائل،فلیبادر إلی العلاج بالقوانین المقرره،بعد التفکر فی سوء خاتمته و أدائه إلی مقت اللّه و هلاکه،و کذلک إن عثر بالتفکر علی صدور معصیه أو ترک طاعه منه فلیتدارکه بالندم و التوبه و قضاء تلک الطاعه.

و لا ریب فی أن هذا القسم من التفکر له مجال متسع و القدر الضروری منه یستغرق الیوم بلیلته،و الاستقصاء فیه خارج عن حیطه شهر و سنه،إذ اللازم منه أن یتفکر فی کل یوم و لیله فی کل واحد من الملکات المهلکه:

من البخل،و الکبر،و العجب،و الریاء،و الحقد،و الحسد.و الجبن،و شده الغضب و الحرص و الطمع و شره الطعام و الوقاع،و حب المال،و حب الجاه، و النفاق،و سوء الظن،و الغفله،و الغرور...و غیر ذلک.و ینظر بنور الفکره و البصیره فی زوایا قلبه،و یتفقد منها هذه الصفات،فإن وجدها بظنه خالیه عنها،فلیتفکر فی کیفیه امتحان القلب و الاستشهاد بالعلامات الداله علی البراءه الیقینیه،فإن النفس قد تلبس الأمر علی صاحبها:فإن ادعت البراءه من الکبر،فینبغی أن یمتحن بحمل قربه ماء أو حزمه حطب فی السوق، فإن ادعت البراءه من الغضب فلیجرب بإیقاعها فی معرض إهانه السفهاء، و هکذا فلیمتحن فی غیرهما من الصفات بالامتحانات التی کان الأولون و السلف الصالحون یجربون بها أنفسهم،حتی یطمئن بانقطاع أصولها و فروعها من قلبه.و لو وجد بالامتحان أو تصریح المشاهده و العیان شیئا منها فی قلبه.

فلیتفکر فی کیفیه الخلاص من المعالجه بالضد أو بالموعظه و النصیحه و التوبیخ و الملامه،أو ملازمه أولی الأخلاق الفاضله و مجالسه أصحاب الورع و التقوی، أو بالریاضه و المجاهده و غیر ذلک.فإن نفع شیء منها فی الإزاله بالسهوله

فلیحمد اللّه علی ذلک،و إلا فلیواظب علی هذه المعالجات و تکررها حتی یوفقه اللّه للخلاص بمقتضی وعده.

ثم یتفکر فی کل واحد من الفضائل المنجیه:کالیقین،و التوکل، و الصبر علی البلاء،و الرضا بالقضاء،و الشکر علی النعماء،و اعتدال الخوف و الرجاء،و الشجاعه و السخاء،و الزهد و الورع،و الإخلاص فی العمل، و ستر العیوب،و الندم علی الذنوب،و حسن الخلق مع الخلق،و حب اللّه و الخشوع له...و غیر ذلک،فإن وجد قلبه متصفا بالجمیع فلیجربه بالعاملات حتی یطمئن من تلبیس النفس-کما علمت طریقه-و إن وجد قلبه خالیا من شیء منها فلیتفکر فی طریق تحصیله-کما أشیر إلیه-.ثم یتوجه إلی کل واحد من أعضائه و یتفکر فی المعاصی المتعلقه به،مثل أن ینظر فی لسانه و یتفکر فی أنه هل صدر منه شیء من الغیبه،أو الکذب،أو الفحش،أو فضول الکلام أو النمیمه،أو الثناء علی النفس،أو غیر ذلک.ثم ینظر فی سمعه،و یتفکر فی أنه هل سمع شیئا من ذلک.ثم ینظر فی بطنه هل عصی اللّه بأکل حرام أو شبهه،أو کثره مانعه عن صفاء النفس و غیر ذلک...

و هکذا یفعل فی کل عضو عضو.

ثم یتفکر فی الطاعات المتعلقه بکل واحد منها و فیما خلق هذا العضو لأجله من الفرائض و النوافل،فإن وجد-بعد التفکر-عدم صدور شیء من المعاصی عن شیء منها-و إتیانها بالطاعات المفروضه علیها بأسرها و بالنوافل المرغبه إلیها بقدر الیسر و الاستطاعه فلیحمد اللّه علی ذلک،و إن عثر علی صدور شیء من المعاصی أو ترک شیء من الفرائض،فلیتفکر أولا فی الأسباب الباعثه علی ذلک،من الاشتغال بفضول الدنیا أو مصاحبه أقران السوء أو غیر ذلک،فلیبادر إلی قطع السبب،ثم التدارک بالتوبه و الندم،

لئلا یکون غده مثل یومه.و هذا القدر من التفکر فی کل یوم و لیله لازم لکل دیّن معتقد بالنشأه الآخره،و قد کان ذلک عاده و دیدنا لسلفنا المتقین فی صبیحه کل یوم أو عشیه کل لیله،بل کانت لهم جریده یکتبون فیها رءوس المهلکات و المنجیات و یعرضون فی کل یوم و لیله صفاتهم علیها،و مهما اطمأنوا بقطع رذیله أو الاتصاف بفضیله یخطون علیها فی الجریده،و یدعون الفکر فیها،ثم یقبلون علی البواقی،و هکذا یفعلون حتی یخطوا علی الجمیع، و من کان أقل مرتبه منهم من الصلحاء ربما یثبتون فی جریدتهم بعض المعاصی الظاهره من أکل الحرام،و الشبهه،و إطلاق اللسان،و الکذب،و الغیبه و المزاء،و النمیمه،و المداهنه مع الخلق بترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر...و غیر ذلک،و یفعلون بمثل ما مر.

و بالجمله:کان إخواننا السالفون و سلفنا الصالحون لا ینفکون عن هذا النوع من التفکر،و یرونه من لوازم الإیمان بالحساب،فأف علینا حیث ترکنا بهم التأسی و القدوه،و خضنا فی غمرات الغفله،و لعمری إنهم لو رأونا لحکموا بکفرنا و عدم إیماننا بیوم الحساب،کیف و أعمالنا لا تشابه أعمال من یؤمن بالجنه و النار.فإن من خاف شیئا هرب منه،و من رجا شیئا طلبه،و نحن ندعی الخوف من النار و نعلم أن الهرب منها بترک المعاصی و مع ذلک منهمکون فیها،و ندعی الشوق إلی الجنه و نعلم أن الوصول إلیها بکثره الطاعات و مع ذلک مقصرون فی فعلها.

ثم هذا النوع من التفکر إنما هو تفکر العلماء و الصالحین،و أما تفکر الصدیقین فأجل من ذلک،لأنهم مستغرقون فی لجه الحب و الأنس،و منقطعون بشراشرهم إلی جناب القدس،ففکرهم مقصور علی جلال اللّه و جماله و قلبهم مستهتر به،بحیث فنی عن نفسه و نسی صفاته و أحواله،فحالهم أبدا کحال

العشاق المستهترين عند لقاء المعشوق،و لا تظن أن هذا التفكر-بل أدنى مراتب التلذذ بالتفكر فى عظمه اللّه و جلاله-ممكن الحصول بدون الانفكاك عن جميع الرذائل المهلكه و الاتصاف بجميع الفضائل المنجيه،فإن حال المتفكر فى جلال اللّه و عظمته مع اتصافه بالأخلاق الرذيله،كحال العاشق الذى خلى بمحبوبته،و كان تحت ثيابه حيات و عقارب تلدغه مره بعد أخرى، فتمنعه عن لذه المشاهده و الأنس.و لا يتم ابتهاجه إلا بإخراجها عن ثيابه و لا ريب أن الملكات الرذيله كلها كالحيات و العقارب مؤذيات و مشوشات، و من كان له أدنى معرفه و توجه إلى مناجاه ربه و كان فى نفسه شيء منها،يجد أنه كيف يشوشه و يصده عن الابتهاج،ثم إن لدغ هذه الصفات لا يظهر ظهورا بينا للمنهمكين فى علائق الطبيعه،و بعد مفارقه النفس عن البدن يشتد ألم لدغها بحيث يزيد على ألم لدغ الحيات و العقارب بمراتب شتى.

نصيحه

تيقظ-يا حبيبى-من نوم الغفله،و تفكر اليوم لغدك،قبل أن تنشب مخالب الموت فى جسدك،و لا تنفك قوتك العاقله عن التفكر فى صفاتك و أحوالك،و اعلم على سبيل القطع و اليقين أن كل ما فى نفسك من فضيله أو رذيله و كل ما يصدر عنك من طاعه أو معصيه يكون بإزائه جزاء عند رحلتك عن هذه الدار الفانيه،و اسمع

قول سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و لو كنت ذا قلب لكفاك إيقاظا و تنبيها،حيث قال: «إن روح القدس نفث فى روعى:أحب ما أحببت فإنك مفارقه،و عش ما شئت فإنك ميت،و اعمل ما شئت فإنك مجزى به». و لعمرى إنك إن كنت مؤمنا بالمبدإ و المعاد لكفاك هذا الكلام واعظا و حائلا بينك و بين الالتفات إلى الدنيا و أهلها.و بالجمله:ينبغى للمؤمن ألا يخلو فى كل يوم و ليله عن الفكر

فی صفاته و أفعاله،و إذا صرف برهه من وقته فی هذا التفکر و برهه أخری فی التفکر فی عجائب قدره ربه،و صار ذلک معتادا له،حصل لنفسه کمال قوتیها العقلیه و العملیه،و خلصت عن الوساوس الشیطانیه و الخواطر النفسانیه،وفقنا اللّه بعظیم فضله الموصول إلی ما خلقنا لأجله.

(و منها)-أی و من رذائل القوه العاقله-استنباط وجوده.

المکر و الحیل

للوصول إلی مقتضیات قوتی الغضب و الشهوه.و اعلم أن المکر، و الحیله،و الخدعه،و النکر،و الدهاء:ألفاظ مترادفه،و هی فی اللغه قد تطلق علی شده الفطانه،و أرباب المعقول یطلقونها علی استنباط بعض الأمور من المآخذ الخفیه البعیده علی ما تجاوز عن مقتضی استقامه القریحه،و لذا جعلوها ضدا للذکاء و سرعه الفهم،و العرف خصصها باستنباط هذه الأمور إذا کانت موجبه لإصابه مکروه إلی الغیر من حیث لا یعلم،و ربما فسر بذلک فی اللغه أیضا،و هذا المعنی هو المراد هنا.

و لترکبه من إصابه المکروه إلی الغیر و من التلبیس علیه،یکون ضده استنباط الأمور المؤدیه إلی الخیریه،و النصیحه لکل مسلم،و استواء العلانیه للسریریه.

ثم فرق المکر و مرادفاته عن التلبیس و الغش و الغدر و أمثالها،إما باعتبار خفاء المقدمات و بعدها فیها دونها.أو بتخصیص الأولی بنفس استنباط الأمور المذکوره و الثانیه بارتکابها،و لذا عدت الأولی من رذائل القوه الوهمیه أو العاقله للعذر المذکور،و الثانیه من رذائل الشهویه،و ربما کان استعمالهما علی الترادف،و أطلق کل منهما علی ما تطلق علیه الأخری.

ص:٢٣٧

هذا و للمكر مراتب شتى و درجات لا تحصى من حيث الظهور و الخفاء، فربما لم يكن فيه كثير دقه و خفاء فيشعر به من له أدنى شعور،و ربما كان فى غايه الغموض و الخفاء بحيث لم يتفطن به الأذكياء.و من حيث الموارد و المواضع كالباعث لظهور المحبه و الصداقه و اطمئنان عاقل،ثم التهجم عليه بالإيذاء و المكروه،و الباعث لظهور الأمانه و الديانه و تسليم الناس أموالهم و نفائسهم إليه على سبيل الوديعه أو المشاركه أو المعامله،ثم أخذها و سرقها على نحو آخر من وجوه المكر،و كالباعث لظهور ورعه و عدالته و اتخاذ الناس إياه إماما أو أميرا فيفسد عليهم باطنا دينهم و دنياهم.و قس على ذلك غيره من الموارد و المواضع.

ثم المكر من المهلكات العظيمه،لأنه أظهر صفات الشيطان،و المتصف به أعظم جنوده،و معصيته أشد من معصيه إصابه المكروه إلى الغير فى العلانيه،إذ المطلع بإراده الغير إيذاءه يحتاط و يحافظ نفسه عنه،فربما دفع أذيته،و أما الغافل فليس فى مقام الاحتياط،لظنه أن هذا المكار المحيل محب و ناصح له،فيصل إليه ضره و كيده فى لباس الصداقه و المحبه.فمن أحضر طعاما مسموما عند الغير مريدا إهلاكه فهو أخبث نفسا و أشد معصيه ممن شهر سيفه علانيه مريدا قتله،إذ الثانى أظهر ما فى باطنه و اعلم هذا الغير بإرادته،فيجزم بأنه عدو محارب له فيتعرض لصرف شره و منع ضره،فربما تمكن من دفعه،و أما الأول فظاهره فى مقام الإحسان و باطنه فى مقام الإيذاء و العدوان،و الغافل المسكين لا خبر له عن خباثه باطنه،فيقطع بأنه يحسن إليه،فلا يكون معه فى مقام الدفع و الاحتياط،بل فى مقام المحبه و الوداد،فيقتله و هو يعلم أنه يحسن إليه،و يهلكه و هو فى مقام الخجل منه.

و بالجمله:هذه الرذيله أخبث الرذائل و أشدها معصيه،و لذلك

قال

ص :٢٣٨

رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لیس منا من ماکر مسلما».

و قال أمیر المؤمنین(ع): «لو لا أن المکر و الخدیعه فی النار لکنت أمکر الناس» ،

و کان(ع)کثیرا ما یتنفس الصعداء و یقول: «وا ویلاه یمکرون بی و یعلمون أنی بمکرهم عالم و أعرف منهم بوجوه المکر،و لکنی أعلم أن المکر و الخدیعه فی النار فأصبر علی مکروهم و لا ارتکب مثل ما ارتکبوا».

و طریق علاجه-بعد الیقظه-أن یتأمل فی سوء خاتمته و وخامه عاقبته،و فی تأدیته إلی النار و مجاوره الشیاطین و الأشرار،و یتذکر أن وبال کل مکر و حیله یرجع فی الدنیا إلی صاحبه،کما نطقت به الآیات و الأخبار و شهدت به التجربه و الاعتبار.ثم یتذکر فوائد ضد المکر و محامده،أعنی استنباط ما یوجب النصیحه و الخیریه للمسلمین و موافقه ظاهره لباطنه فی أفعاله و أقواله-کما یأتی فی محله-و بعد ذلک لو کان عاقلا-مشفقا علی نفسه لا-جتنب عنه کل الاجتناب،و ینبغی أن یقدم التروی فی کل فعل یصدر عنه لئلا-یکون له فیه مکر و حیله،و إذا عثر علی فعل یتضمنه فلیترکه معاتبا لنفسه،و إذا تکرر منه ذلک تزول عن نفسه أصول المکر و فروعه بالکلیه بعون اللّه و توفیقه.

المقام الثانی (فیما یتعلق بالقوه الغضبیه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج)

اشاره

التهور و الجبن و الشجاعه-الخوف-الخوف المذموم و أقسامه- الخوف المحمود و أقسامه و درجاته-بم یتحقق الخوف-الخوف من اللّه أفضل الفضائل-الخوف إذا جاوز حده کان مذموما-طرق تحصیل الخوف الممدوح-خوف سوء الخاتمه و أسبابه-الفرق بین الاطمئنان و الأمن من مکر اللّه-التلازم بین الخوف و الرجاء-مواقع الخوف و الرجاء و ترجیح أحدهما علی الآخر-العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف-مداواه الناس بالخوف و الرجاء علی اختلاف أمراضهم-صغر النفس و کبرها و صلابتها-الثبات- دناءه الهمه و علوها-الغیره و الحمیه و عدمها-الغیره علی الدین و الحریم و الأولاد-العجله-الأناه و التوقف و الوقار و السکینه-سوء الظن-حسن الظن-الغضب-الإفراط و التفریط و الاعتدال فی قوته-ذم الغضب- إمکان إزاله الغضب و طرق علاجه-فضیله الحلم و کظم الغیظ-الانتقام و العفو-العنف و الرفق-فضیله الرفق-المداراه-سوء الخلق بالمعنی الأخص-طرق اکتساب حسن الخلق-الحقد-العداوه الظاهره-الضرب و الفحش و اللعن و الطعن-العجب-ذمه آفاته-علاجه إجمالا و تفصیلا-انکسار النفس-الکبر-ذمه-التکبر علی اللّه و الناس-درجات الکبر-علاجه علما و عملا-التواضع-الذله-الافتخار-البغی-تزکیه النفس-العصبیه- کتمان الحق-الإنصاف و الاستقامه علی الحق-القساوه.

ص: ۲۴۱

فنقول: أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

«فأحدهما»:

التهور

كما علم،و هو من طرف الإفراط:أی الإقدام علی ما لا ینبغی و الخوض فی ما یمنعه العقل و الشرع من المهالک و المخاوف.و لا ریب فی أنه من المهلکات فی الدنیا و الآخره.و یدل علی ذمه کل ما ورد فی وجوب محافظه النفس و فی المنع عن إلقائها فی المهالک،کقوله تعالی:

وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ

(۲)

و غیر ذلک من الآیات و الأخبار.و الحق أن من لا یحافظ نفسه عما یحکم العقل بلزوم المحافظه عنه فهو غیر خال من شائبه من الجنون،و کیف یستحق اسم العقل من ألقی نفسه من الجبال الشاهقه و لم یبال بالسیوف الشاهره،أو وقع (۳)فی الشطوط الغامره الجاریه و لم یحذر من السباع الضاریه.کیف و من ألقی نفسه فیما یظن به العطب،فهلک،کان قاتل نفسه بحکم الشریعه،و هو یوجب الهلاکه الأبدیه و الشقاوه السرمدیه.

و علاجه-بعد تذکر مفاسده فی الدنیا و الآخره-أن یقدم التروی فی کل فعل یرید الخوض فیه،فإن جوزه العقل و الشرع و لم یحکما بالحذر عنه ارتکبه،و إلا ترکه و لم یقدم علیه.و ربما احتیاج فی معالجته أن یلزم نفسه الحذر و الاجتناب عن بعض ما یحکم العقل بعدم الحذر عنه،حتی یقع فی طرف التفریط،و إذا علم من نفسه زوال التهور ترکه و أخذ بالوسط الذی هو الشجاعه.

۱- ۱) أی القوه الغضبیه.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۹۵.

۳- ۳) کذا فی النسختین،و لعل الصحیح(أو أوقع نفسه).

«و ثانيهما»:

اشاره

الجبن

و هو سكون النفس عن الحركه إلى الانتقام أو غيره،مع كونها أولى.

و الغضب إفراط فى تلك الحركه،فله ضديه للغضب باعتبار،و للتهور باعتبار آخر.و على الاعتبارين هو فى طرف التفريط من المهلكات العظيمه،و يلزمه من الأعراض الذميمه،مهانه النفس،و الذله،و سوء العيش،و طمع الناس فيما يملكه،و قله ثباته فى الأمور،و الكسل،وجب الراحه،و هو يوجب الحرمان عن السعادات بأسرها و تمكين الظالمين من الظلم عليه،و تحمله للفضائح فى نفسه و أهله،و استماع القبائح من الشتم و القذف،و عدم مبالاته بما يوجب الفضيحه و العار،و تعطيل مقاصده و مهماته،و لذلك ورد فى ذمه من الشريعه ما ورد

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا ينبغى للمؤمن أن يكون بخيلا و لا جبانا» ،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-.

«اللهم إنى أعوذ بك من البخل،و أعوذ بك من الجبن،و أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر».

و علاجه-بعد تنبيه نفسه على نقصانها و هلاكها-أن يحرك الدواعى الغضبيه فيما يحصل به الجبن،فإن القوه الغضبيه موجوده فى كل أحد،و لكنها تضعف و تنقص فى بعض الناس فيحدث فيهم الجبن،و إذا حركت و هيجت على التواتر تقوى و تزيد،كما أن النار الضعيفه تتوقد و تلتهب بالتحريك المتواتر،و قد نقل عن الحكماء أنهم يلقون أنفسهم فى المخاطرات الشديده و المخاوف العظيمه دفعا لهذه الرذيله.و مما ينفع من المعالجات أن يكلف نفسه على المخاصمه مع من يأمن غوائله،تحريكا لقوه الغضب،و إذا وجد من نفسه حصول ملكه الشجاعه فليحافظ نفسه لئلا يتجاوز و يقع فى طرف الإفراط.

وصل الشجاعه

قد عرفت أن ضد هذين الجنسين هو(الشجاعه)،فتذكر مدحها و شرافتها،و كلف نفسك المواظبه على آثارها و لوازمها،حتى يصير ما تكلفته طبعا و ملكه،فترتفع عنك آثار الضدين بالكليه.و قد عرفت أن الشجاعه طاعه قوه الغضب للعاقله فی الإقدام على الأمور الهائله و عدم اضطرابها بالخوض فی ما يقتضيه رأيها.و لا ريب فی أنها أشرف الملكات النفسيه و أفضل الصفات الكماليه،و الفاقد لها برىء عن الفحليه و الرجوليه،و هو بالحقيقه من النسوان دون الرجال،و قد وصف اللّه خيار الصحابه بها فی قوله أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ (۱)و أمر اللّه نبيه بها بقوله: وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ (۲)إذ الشده و الغلظه من لوازمها و آثارها،و الأخبار مصرحه باتصاف المؤمن بها.

قال أمير المؤمنين(ع) فی وصف المؤمن:«نفسه أصلب من الصلد».

و قال الصادق عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل إذ الجبل يستفل (۳)منه و المؤمن لا يستقل من دينه».

ص: ۲۴۴

۱- ۱) الفتح،الآيه ۲۹.

۲- ۲) التوبه،الآيه ۷۳.

۳- ۳) استفل الشیء:أخذ منه أدنى جزء كعشره.

و أما الأنواع و لوازمها المتعلقه بالقوه الغضبيه

اشاره

فمنها:

اشاره

الخوف

و هو تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال مشكوك الوقوع،فلو علم أو ظن حصوله سمى توقعه انتظار مكروه،و كان تألمه أشد من الخوف،و كلامنا فى كليهما.و فرقه عن الجبن على ما قررناه من حدهما ظاهر،فإن الجبن هو سكون النفس عما يستحسن شرعا و عقلا-من الحركه إلى الانتقام أو شىء آخر،و هذا السكون قد يتحقق من غير حدوث التألم الذى هو الخوف،مثلا-من لا-يجترئ على الدخول فى السفينه أو النوم فى البيت وحده أو التعرض لدفع من يظلمه و يتعرض له يمكن اتصافه بالسكون المذكور مع عدم تألم بالفعل،فمثله جبان و ليس بخائف.و من كان له ملكه الحركه إلى الانتقام و غيره من الأفعال التى يجوزها الشرع و العقل ربما حصل له التألم المذكور من توقع حدوث بعض المكاره،كما إذا أمر السلطان بقتله،فمثله خائف و ليس بجبان.

ثم الخوف على نوعين:(أحدهما)مذموم بجميع أقسامه،و هو الذى لم يكن من اللّه و لا من صفاته المقتضيه للهيبه و الرعب،و لا من معاصى العبد و جناياته،بل يكون لغير ذلك من الأمور التى يأتى تفصيلها.و هذا النوع من رذائل قوه الغضب من طرف التفريط،و من نتائج الجبن.و(ثانيهما) محمود و هو الذى يكون من اللّه و من عظمته و من خطأ العبد و جنايته،و هو من فضائل القوه الغضبيه،إذ العاقله تأمر به و تحسنه،فهو حاصل من انقيادها لها.و لنفصل القول فى أقسام النوعين،و بيان العلاج فى إزاله أقسام الأول و تحصيل الثانى:

فصل الخوف المذموم و أقسامه

للنوع الأول أقسام يقبحها العقل بأسرها و لا يجوزها،فلا ينبغى للعاقل أن يتطرقها إلى نفسه.بيان ذلك:أن باعث هذا الخوف يتصور على أقسام

(الأول)أن يكون أمرا ضروريا لازم الوقوع،

و لم يكن دفعه فى مقدره البشر.و لا ريب فى أن الخوف من مثله خطأ محض،و لا يترتب عليه فائده سوى تعجيل عقوبه بصده عن تدبير مصالحه الدنيويه و الدينيه.و العاقل لا يتطرق على نفسه مثل ذلك،بل يسلى نفسه و يرضيها بما هو كائن إدراكا لراحه العاجل و سعاده الآجل.

(الثانى)أن يكون أمرا ممكنا لم يجزم بشيء من طرفيه،

و لم يكن لهذا الشخص مدخليه فى وقوعه و لا وقوعه.و لا ريب فى أن الجزم بوقوع مثله و التألم لأجله خلاف مقتضى العقل،بل اللازم إبقاؤه على إمكانه من دون جزم بحصوله،ف:

لَعَلَّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً

(۱)

و هذا القسم مع مشاركته للأول فى استلزامه تعجيل العقوبه بلا سبب، لعدم مدخليته لاختياره فيه،يمتاز عنه بعدم الجزم بوقوعه،فهو بعدم الخوف أولى منه.

(الثالث)أن يكون أمرا ممكنا فاعله هذا الشخص،

و هو ناشيء عن سوء اختياره،فعلاجه ألا يرتكبه و لا يقدم على فعل يخاف من سوء عاقبته.

فإنه إما فعل غير قبيح من شأنه التأدى إلى ما يضره،و لا ريب فى أن

۱- ۱) الطلاق،الآيه:۱.

ارتکـاب مثلـه خلاف حکـم العقـل،و لـو ظهر التأدی بعـد إیقـاعه فیکـون من الثـانی،أو فعـل قبیـح لـو ظهر أوجب الفضـیحه و المؤاخـذه،و إنما فعله ظنا منه أنه لا یظهر،ثم یخاف من الظهور و المؤاخذه،و لا ریب فی أن هذا الظن ناشـیء عن الجهل،إذ کل فعـل یصـدر عن کـل فاعـل و لـو خفیه یمکن أن یظهر، و إذا ظهر یمکن إیجـابه للفضـیحه و المؤاخـذه.و العاقـل العـالم بطبیعه الممکن لا یرتکب مثله،فباعث الخوف فی الثانی هو الحکم علی الممکن بالوجوب، و فی هـذا الحکم علیه بالامتناع،و لو حکم علیه بما یقتضی ذاته أمن من الخوفین.

)

الرابع)أن یکون مما توحش منه الطباع،بلا داع عقلی و لا باعث نفس أمری،

کـالمیت و الجـن و أمثالهمـا،(لا)سیما فی اللیـل مع وحـدته، و لا ریب فی أن هـذا ناشـیء عن قصـور العقـل و مقهـوریته عن الواهمه،فلیحرک القوه الغضبیه و یهیجهـا لتغلب به العـاقله علی الوهم.و ربمـا ینفع إلزام نفسه علی الوحـده فی اللیـالی المظلمه و الصبر علیها،حتی یزول عنه هذا الخوف علی التدریج.

ثم لما کان خوف الموت أشد أقسام هذا النوع و أعمها،فلنشر إلی علاجه بخصوصه،فنقول:

باعث خوف الموت یحتمل أمورا:

(الأول)تصور فناء ذاته بالکلیه

و صیرورته عدما محضا بالموت.

و لا ریب فی کونه ناشئا عن محض الجهل إذ الموت لیس إلا قطع علاقه النفس عن بدنه،و هی باقیه أبدا،کما دلت علیه القواطع العقلیه و الشواهـد الـذوقیه و الظواهر السـمعیه،و لعل ما تقـدم یکفی لإثبات هـذا المطلوب.و مع قطع النظر عن ذلک نقول:کیف یجوز لمن له أدنی بصیره أن یجتمع عظمـاء نوع الإنسـان بحـذافیرهم،کأهـل الوحی و الإلهـام و أساطین الحکمه و العرفان علی محض الکذب و صرف الباطل!فمن تأمل أدنی تأمل یتخلص من هذا الخوف.

(الثانی)تصور إیجابه ألما جسمانیا عظیما لا یتحمل مثله و لم یدرک فی الحیاه شبهه.

و هذا أیضا من الخیالات الفاسده،فإن الألم فرع الحیاه،و الألم الجسمانی ما دامت الحیاه لا یکون أشد مما رآه کل إنسان فی حیاته من الأوجاع و قطع الاتصال،و بعد زوال الحیاه لا معنی لوجوده،إذ کل جسمانی إدراکه بواسطه الحیاه،و بعد انقطاعها لا إدراک،فلا ألم.

(الثالث)تصور عروض نقصان لأجله.

و هو أیضا غفله عن حقیقه الموت و الإنسان،إذ من علم حقیقتهما یعلم أن الموت متمم الإنسانیه و آثارها و المائت جزء لحد الإنسان.و لذا قال أوائل الحکماء:(الإنسان حی ناطق مائت)،و حد الشیء یوجب کماله لا نقصانه،فبالموت تحصل التمامیه دون النقصان«نشنیده ای که هر که بمرد أو تمام شد» (۱)فالإنسان الکامل یشتاق إلی الموت،لاقتضائه تمامیته و کماله،و خروجه عن ظلمه الطبیعه و مجاوره الأشرار إلی عالم الأنوار و مرافقه الأخیار من العقول القادسه و النفوس الطاهره،و أی عاقل لا یرجح الحیاه العقلیه و الابتهاجات الحقیقیه علی الحیاه الموحشه الهیولانیه،المشوبه بأنواع الآلام و المصائب و أصناف الأسقام و النوائب! فیا حبیبی!تیقظ من نوم الغفله و سکر الطبیعه،و استمع النصیحه ممن هو أحوج منک إلی النصیحه:حرک الشوق الکامن فی جوهر ذاتک إلی عالمک الحقیقی و مقرک الأصلی،و انسلخ عن القشورات الهیولانیه،و انقض عن روحک القدسی ما لزقه من الکدورات الجسمانیه،و طهر نفسک الزکیه عن أدناس دار الغرور و أرجاس عالم الزور،و اکسر قفصک الترابی الظلمانی و طر

۱- ۱) هذه الجمله من الکلمات الحکمیه القصار،و معناها:(أ ما سمعت بأن کل من مات صار إنسانا کاملا).

بجناح همتك إلى وكرك القدسى النورانى،و ارتفع عن حضيض الجهل و النقصان إلى أوج العزه و العرفان،و خلص نفسك عن مضيق سجن الناسوت و سيرها فى فضاء قدس اللاهوت،فما بالك نسيت عهود الحمى و رضيت بمصاحبه من لا ثبات له و لا وفاء؟! زد سحر طائر قدسم ز سر سدره صفير كه در اين دامگه حادثه آرام مگير (۱)

(الرابع)صعوبه قطع علاقته من الأولاد و الأموال و المناصب و الأحباب

و معلوم أن هذا ليس خوفا من الموت فى نفسه،بل هو حزن على مفارقه بعض الزخارف الفانيه.و علاجه:أن يتذكر أن الأمور الفانيه مما لا يليق بالعاقل أن يرتبط بها قلبه،و كيف يحب العاقل خسائس عالم الطبيعه و يطمئن إليها مع علمه بأنه عن قريب يفارقها،فاللازم أن يخرج حب الدنيا و أهلها عن قلبه ليتخلص من هذا الألم.

(الخامس)تصور سرور الأعداء و شماتتهم بموته.

و هذا وسوسه شيطانيه صادره عن محض التوهم،إذ مسره الأعداء أو شماتتهم لا توجب ضررا فى

۱- ۱) هذا البيت للشاعر الفارسى الفيلسوف الشهير(حافظ الشيرازى) و هو من أبيات العرفان.و أراد(بالسحر)على سبيل الرمز وقت استكمال النفس و تنبهها،و(بالطائر القدسى)ما يرمز إليه العرفا المسمى عندهم أيضا(البيضانى)،و هو أحد العقول المجرده الذى بصفيره يوقظ الراقدين فى مراقد الظلمات،و بصوته ينبه الغافلين عن تذكر الآيات،و(بالسدره) سدره المنتهى المقصود منها منتهى قوس الصعود فى سلسله الممكنات. و حاصل معنى البيت المطابقى:قد صفر الطائر القدسى المنسوب إلى من على السدره فى السحر،و يقول فى صفيره:لا تستقر فى المصيده المخيفه(و هى الدنيا و عوالم السفليات)،و المراد أن يذهب عنها إلى عالم المجردات النورانى حرا طليقا.

إيمانه و دينه،و لا ألما فى روحه و جسمه،على أن ذلك لا يختص بالموت، إذ العدو يشمت و يفرح بما يرد عليه فى حال الحياه أيضا من البلايا و المحن فمن كره ذلك فليجتهد فى قطع العداوه و إزالتها بالمعالجات المقرره للحقد و الحسد

(السادس)تصور تضييع الأولاد و العيال،و هلاك الأعوان و الأنصار

و هذا أيضا من الوساوس الباطله الشيطانيه و الخواطر الفاسده النفسانيه، إذ ذلك يوجب ظن منشئيته لاستكمال الغير و عزته،و مدخليته فى قوته و ثروته،و ذلك ناشىء من جهله باللّه و بقضائه و قدره،إذ فيضه الأقدس اقتضى إيصال كل ذره من ذرات العالم إلى ما يليق بها و إبلاغها إلى ما خلقت لأجله،و ليس لأحد أن يغير ذلك أو يبدله و لذا ترى أكثر الأفاضل يجتهدون فى تربيه أولادهم و لا ينجح سعيهم أصلا،و تشاهد غير واحد من الأغنياء يخلفون لأولادهم أموالا كثيره و تخرج عن أيديهم فى مده قليله، و ترى كثيرا من أيتام الأطفال لا تربيه لهم و لا مال،و مع ذلك يبلغون بالتربيه الأزليه مدارج الكمال،أو يحصلون ما لا حصر له من الأموال.و الغالب أن الأيتام الذين ذهب عنهم الآباء فى حاله الصبى تكون ترقياتهم فى الآخره و الدنيا أكثر من الأولاد الذين نشأوا فى حجر الآباء.و التجربه شاهده بأن من اطمأن من أولاده بمال يخلفه لهم أو ذى قوه يفوض إليه أمورهم، اعتراهم بعده الفقر و الفاقه و الذله و المهانه،و ربما صار ذلك سببا لهلاكهم و انقراضهم.و من فوض أمورهم إلى رب الأرباب و خالق العباد ازداد لهم بعده عزا و قوه و كثره و ثروه.فاللائق بالعقلاء أن يفوضوا أمور الأولاد و غيرهم من الأقارب و الأنصار إلى من خلقهم و رباهم،و يوكلهم إلى موجدهم و مولاهم،و هو نعم المولى و نعم الوكيل.و قد ظهر أن الخوف من الموت لأجل البواعث المذكوره لا وجه له.

ثم ينبغى للعاقل أن يتفكر فى أن كل كائن فاسد البته،كما تقرر فى

الحکمه.و هو من الکائنات.و الفساد ضروری له.فمن أراد وجود بدنه أراد فساده اللازم له،فتمنی دوام الحیاه من الخیالات الممتنعه،و العاقل لا یحوم حولها و لا یتمنی مثلها.بل یعلم یقینا أن ما یوجد فی النظام الکلی هو الأصلح الأکمل و تغییره ینافی الحکمه و الخیریه،فیرضی بما هو واقع علی نفسه و غیره من غیر ألم و کدوره. ثم من یتمنی طول عمره فمقصوده منه إن کان حب اللذات الجسمیه و امتداد زمانها،فلیعلم أن الشیب إذا أدرکه ضعفت الأعضاء و اختلت القوی و زالت عنه الصحه التی هی عمده لذاته فضلا عن غیرها،فلا یلتذ بالأکل و الإجماع و سائر اللذات الحسیه،و لا یخلو لحظه عن مرض و ألم،و تتراجع جمیع أحواله،فتتبدل قوته بالضعف و عزه بالذل،و کذا سائر أحواله،کما أشیر إلیه فی الکتاب الإلهی بقوله تعالی:

وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ

(۱)

.

و مع ذلک لا یخلو کل یوم من مفارقه حبیب أو شفیق،و مهاجره قریب أو رفیق.و ربما ابتلی بأنواع المصیبات،و یهجم علیه الفقر و الفاقه و النکبات،و طالب العمر فی الحقیقه طالب هذه الزحمات.و إن کان مقصوده منه اکتساب الفضائل العلمیه و العملیه،فلا ریب فی أن تحصیل الکمالات بعد أوان الشیخوخه فی غایه الصعوبه،فمن لم یحصل الفضائل الخلقیه إلی أن أدرکه الشیب،و استحکمت فیه الملکات المهلکه من الجهل و غیره،فإنی یمکنه بعد ذلک إزالتها و تبدیلها بمقابلاتها،إذ رفع ما رسخ فی النفس مع الشیخوخه التی لا یقتدر معها علی الریاضات و المجاهدات غیر ممکن.

و لذا ورد فی الآثار: «إن الرجل إذا بلغ أربعین سنه و لم یرجع إلی الخیر،جاء الشیطان و مسح علی وجهه و قال:بأبی وجه من لا یفلح أبدا». علی أن

۱- ۱) یس،الآیه:۶۸.

الطالب للسعاده ينبغى أن يكون مقصور الهم فى كل حال على تحصيلها،و من جملتها دفع طول الأمل و الرضا بما قدر له من طول العمر و قصره،و يكون سعيه أبدا فى تحصيل الكمالات بقدر الإمكان و التخلص عن مزاحمه الزمان و المكان،و قطع علاقته من الدنيا و زخارفها الفانيه و الميل إلى الحياه و اللذات الباقيه،و الاهتمام فى كسب الابتهاجات العقليه و الاتصال التام بالحضره الإلهيه،حتى يتخلص عن سجن الطبيعه و يرتقى إلى أوج عالم الحقيقه،فيتفق له الموت الإرادى الموجب للحياه الطبيعيه،كما قال(معلم الإشراق):«مت بالإراده تحيى بالطبيعه»، فينقل إلى مقعد صدق هو مستقر الصديقين،و يصل إلى جوار رب العالمين،و حينئذ يشتاق للموت و لا يبالى بتقديمه و تأخيره، و لا يركن إلى ظلمات البرزخ الذى هو منزل الأشقياء و الفجار و مسكن الشياطين و الأشرار،و لا يتمنى الحياه الفانيه أصلا و ينطق بلسان الحال:

خرم آن روز كزين منزل ويران بروم

راحت جان طلبم و ز پى جانان بروم

بهواى لب أو ذره صفت رقص كنان

تا لب چشمه خورشيد درخشان بروم (۱)

(السابع)تصور العذاب الجسمانى و الروحانى المترتب على ذمائم الأعمال و قبائح الأفعال.

و لا ريب فى أن الخوف من ذلك ممدوح،و هو

---

۱ – ۱) البيتان للشاعر الفيلسوف(حافظ الشيرازى).و معنى الأول:«إن سرورى يكون فى يوم الرحيل من هذه الدار الخربه طلبا لراحه نفسى و لقاء الحبيب».و يقصد بحبيبه:الحق الأول،و براحه نفسه:النعيم الأبدى، و بالرحيل عن الدار الخربه:انتقال نفسه من بدنه بالموت. و معنى البيت الثانى:«أنى لشوقى إلى إلقاء الحبيب اهتز اهتزاز الذره فى ضوء الشمس لكى أصل إلى لقاء عين الشمس المتوهجه».و يقصد بعين الشمس: خالق الكائنات.

معدود من أقسام النوع الثانى،إلا أن البقاء عليه و عدم السعى فيما يدفعه من ترك الخطيئات و كسب الطاعات جهل و بطاله،إذ هذا الخوف ناشىء من سوء الاختيار،و قد بعث اللّه الرسل و أوصياءهم لاستخلاص الناس عنه.

فعلاجه ترك المعاصى و تحصيل معالى الأخلاق.و معلوم أن المنهمك فى المعاصى مع خوفه من العذاب كالملقى نفسه فى البحر أو النار مع خوفه من الغرق و الحرق،و لا ريب فى أن إزاله هذا الخوف باختياره،فليترك المعاصى و يجتهد فى كسب وظائف الطاعات ليتخلص عنه،و اهتمام أكابر الدين من الأنبياء و المرسلين و الحكماء و الصديقين فى وظائف الطاعات و صبرهم على مشاق العبادات و مجاهدتهم مع جنود الشياطين إنما هو لدفع هذا الخوف عن نفوسهم،فهو فى الحقيقه ناشىء منك و من سوء اختيارك،فبادر إلى تقليله بالمواظبه على صوالح الأعمال و فضائل الأفعال.و قد يأتى أن هذا الخوف هو سوط اللّه الباعث على العمل،و معه لو كان مفرطا فليعالج بأسباب الرجاء، و بدونه فلا بد أن يكون حتى يبعثه عليه،على أنه مع عظم جرمه و قصور باعه عن تداركه فلا ينبغى أن ييأس من روح اللّه،فلعل واسع الرحمه السابقه على الغضب يدركه بسابقه من القضاء و القدر.

فصل الخوف المحمود و أقسامه و درجاته

و للنوع الثانى من الخوف أقسام:(الأول)أن يكون من اللّه سبحانه و من عظمته و كبريائه،و هذا هو المسمى بالخشيه و الرهبه فى عرف أرباب القلوب.(الثانى)من جنايه العبد باقترافه المعاصى.(الثالث)أن يكون منهما جميعا.و كلما ازدادت المعرفه بجلال اللّه و عظمته و تعاليه و بعيوب

نفسه و جنایاته،ازداد الخوف،إذ إدراک القدره القاهره و العظمه الباهره و القوه القویه و العزه الشدیده،یوجب الاضطراب و الدهشه،و لا ریب فی أن عظمه اللّه و قدرته و سائر صفاته الجلالیه و الجمالیه غیر متناهیه شده و قوه و یظهر منها علی کل نفس ما یطیقه و یستعد له.و أنی لأحد من أولی المدارک أن یحیط بصفاته علی ما هی علیه،فإن المدارک عن إدراک غیر المتناهی قاصره.نعم،لبعض المدارک العالیه أن یدرکه علی الإجمال.مع أن ما یظهر للعقلاء من صفاته لیس هو من حقیقه صفاته،بل هو غایه ما تتأدی إلیه عقولهم و یتصور کمالا،و لو ظهر قدر ذره من حقیقه بعض صفاته لأقوی العقول و أعلی المدارک،لاحترق من سبحات وجهه،و تفرقت أجزاؤه من نور ربه.و لو انکشف من بعضها الغطاء لزهقت النفوس و تقطعت القلوب فغایه ما للمدارک العالیه من العقول و النفوس القادسه،أن یتصور عدم تناهیها فی الشده و القوه،و کونها فی الکمال و البهاء غایه ما یمکن و یتصور و یحتمله ظرف الواقع و نفس الأمر،کما هو الشأن فی ذاته سبحانه.و إدراک هذه الغایه أیضا یختلف باختلاف علو المدارک،فمن کان فی الدرک أقوی و أقدم کان بربه أعرف،و من کان به أعرف کان منه أخوف،و لذا قال تعالی:

إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(۱)

و قال سید الرسل: «أنا أخوفکم من اللّه». و قد قرع سمعک حکایات خوف زمره المرسلین و من بعدهم من فرق الأولیاء و العارفین،و عروض الغشیات المتواتره فی کل لیله لمولانا أمیر المؤمنین علیه السلام.

و هذا مقتضی کمال المعرفه الموجب لشده الخوف،إذ کمال المعرفه

۱- ۱) الفاطر،الآیه:۲۸.

يوجب احتراق القلب،فيفيض أثر الحرقه من القلب إلى البدن بالنحول و الصفار و الغشيه و البكاء،و إلى الجوارح بكفها عن المعاصى و تقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط فى جنب اللّه،و من لم يجتهد فى ترك المعاصى و كسب الطاعات فليس على شىء من الخوف،و لذا قيل:ليس الخائف من يبكى و يمسح عينيه،بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه. و قال بعض الحكماء:«من خاف شيئا هرب منه،و من خاف اللّه هرب إليه»،و قال بعض العرفاء:

«لا يكون العبد خائفا حتى ينزل نفسه منزله السقيم الذى يحتمى مخافه طول السقام».و إلى الصفات بقمع الشهوات و تكدر اللذات،فتصير المعاصى المحبوبه عنده مكروهه،كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف كونه مسموما،فتحترق الشهوات بالخوف،و تتأدب الجوارح،و يحصل فى القلب الذبول و الذله و الخشوع و الاستكانه،و تفارقه ذمائم الصفات،و يصير مستوعب الهم بخوفه و النظر فى خطر عاقبته،فلا يتفرغ لغيره،و لا يكون له شغل إلا المجاهده و المحاسبه و المراقبه و الضنه بالأنفاس و اللحظات، و مؤاخذه النفس فى الخطرات و الكلمات،و يشتغل ظاهره و باطنه بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره،كما أن من وقع فى مخالب ضارى السبع يكون مشغول اللهم به و لا شغل له بغيره.و هذا حال من غلبه الخوف و استولى عليه كما جرى عليه جماعه من الصحابه و التابعين و من يحذوهم من السلف الصالحين فقوه المجاهده و المحاسبه بحسب شده الخوف الذى هو حرقه القلب و تألمه،و هو بحسب قوه المعرفه بجلال الله و عظمته و سائر صفاته و أفعاله، و بعيوب النفس و ما بين يديها من الأخطار و الأهوال.

و أقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال أن يكف عن المحظورات و يسمى الكف منها(ورعا)،فإن زادت قوته كف عن الشبهات،يسمى

ذلک(تقوی)إذ التقوی أن یترک ما یریبه إلی ما لا یربیه،و قد یحمله علی ترک ما لا بأس به مخافه ما به بأس،و هو الصدق فی التقوی،فإذا انضم إلیه التجرد للخدمه،و صار ممن لا یبنی ما لا یسکنه،و لا یجمع ما لا یأکله،و لا یلتفت إلی دنیا یعلم أنه یفارقها،و لا یصرف إلی غیر الله نفسا عن أنفاسه، فهو(الصدق)،و یسمی صاحبه(صدیقا)،فیدخل فی الصدق التقوی، و فی التقوی الورع،و فی الورع العفه،لأنها عباره عن الامتناع من مقتضی الشهوات.

فإذن یؤثر الخوف فی الجوارح بالکف و الإقدام.

فصل بم یتحقق الخوف

اعلم أن الخوف لا یتحقق إلا بانتظار مکروه،و المکروه إما أن یکون مکروها فی ذاته کالنار،أو مکروها لإفضائه إلی المکروه فی ذاته کالمعاصی المفضیه إلی المکروه لذاته فی الآخره،و لا بد لکل خائف أن یتمثل فی نفسه مکروه من أحد القسمین،و یقوی انتظاره فی قلبه حتی یتألم قلبه بسبب استشعاره ذلک المکروه،و یختلف مقام الخائفین فیما یغلب علی قلوبهم من المکروهات المحظوره:

فالذین یغلب علی قلوبهم خوف المکروه لذاته،فإما أن یکون خوفهم من سکرات الموت و شدته و سؤال النکیرین و غلظته،أو عذاب القبر و وحدته و هول المطلع و وحشته،أو من الموقف بین یدی اللّه و هیبته و الحیاء من کشف سریرته،أو من الحساب و دقته و الصراط وحدته،أو من النار و أ هوالها و الجحیم و أغلالها،أو الحرمان من دار النعیم و عدم وصوله إلی الملک

المقیم،أو من نقصان درجاته فی العلیین و عدم مجاورته المقربین،أو من اللّه سبحانه بأن یخاف جلاله و عظمته و البعد و الحجاب منه و یرجو القرب منه، و هذا أعلاها رتبه،و هو خوف أرباب القلوب العارفین من صفاته ما یقتضی الهیبه و الخوف،و العالمین بلذه الوصال و ألم البعد و الفراق و المطلعین علی سر قوله:

وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ

(۱)

،و قوله: اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ (۲).

و قیل:ذلک خوف العابدین و الزاهدین و کافه العاملین.

و أما الذین غلب علی قلوبهم خوف المکروه لغیره،فإما یکون خوفهم من الموت قبل التوبه،أو نقضها قبل انقضاء المده،أو من ضعف القوه عن الوفاء بتمام حقوق اللّه،أو تخلیته مع حسناته التی اتکل علیها و تعزز بها فی عباد اللّه،أو من المیل عن الاستقامه،أو إلی اتباع الشهوات المألوفه استیلاء للعاده،أو تبدیل رقه القلب إلی القساوه،أو تبعات الناس عنده من الغش و العداوه،أو من الاشتغال عن اللّه بغیره،أو حدوث ما یحدث فی بقیه عمره،أو من البطر و الاستدراج بتواتر النعم،أو انکشاف غوائل طاعته حتی یبدو له من اللّه ما لم یعلم،أو من الاغترار بالدنیا و زخارفها الفانیه،أو تعجیل العقوبه بالدنیا و افتضاحه بالعلانیه،أو من اطلاع اللّه علی سریرته و هو عنه غافل،و توجهه إلی غیره و هو إلیه ناظر،أو من الختم له عند الموت بسوء الخاتمه،أو مما سبق له فی الأزل من السابقه.و هذه کلها مخاوف العارفین.

و لکل واحد منها خصوص فائده،هو الحذر عما یفضی إلی الخوف،

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۲۸.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۵۲.

فالخائف من تبعات الناس يجتهد فی براءه ذمته عنها،و من استیلاء العاده یواظب علی فطام نفسه عنها.و من اطلاع اللّه علی سریرته یشتغل بتطهیر قلبه عن الوساوس.و هکذا فی بقیه الأقسام.

و أغلب هذه المخاوف علی المتقین خوف سوء الخاتمه،و هو الذی قطع قلوب العارفین،إذ الأمر فیه مخطر-کما یأتی-و أعلی الأقسام و أدلها علی کمال المعرفه خوف السابقه،لأن الخاتمه فرع السابقه،و یترتب علیها بعد تخلل أسباب کثیره،و لذا قال العارف الأنصاری:«الناس یخافون من الیوم الآخر و أنا أخاف من الیوم الأول».فالخاتمه تظهر ما سبق به القضاء فی أم الکتاب،

و إلیه أشار النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فی المنبر، حیث رفع یده الیمنی قابضا علی کفه،ثم قال:«أ تدرون أیها الناس ما فی کفی؟»، قالوا:اللّه و رسوله أعلم،قال:«أسماء أهل الجنه و أسماء آبائهم و قبائلهم إلی یوم القیامه».ثم رفع یده الیسری و قال:«أیها الناس!أ تدرون ما فی کفی؟» قالوا:اللّه و رسوله أعلم،فقال:أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم إلی یوم القیامه».ثم قال:«حکم اللّه و عدل،حکم اللّه»:

فَرِیقٌ فِی الْجَنَّهِ وَ فَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ

(۱)

.

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یسلک بالسعید فی طریق الأشقیاء حتی یقول الناس:ما أشبهه بهم بل هو منهم،ثم تتدارکه السعاده.و قد یسلک بالشقی طریق السعداء حتی یقول الناس:ما أشبهه بهم،بل هو منهم،ثم یتدارکه الشقاء.إن من کتبه اللّه سعیدا و إن لم یبق من الدنیا إلا فواق ناقه ختم له بالسعاده» (۲)،

ص :۲۵۸

۱- ۱) الشوری،الآیه:۷.

۲- ۲) هذا الحدیث مروی فی أصول الکافی فی(باب السعاده و الشقاوه)عن أبی عبد الله الصادق-علیه السلام-

فصل الخوف من اللّه أفضل الفضائل

الخوف منزل من منازل الدين و مقام من مقامات الموقنين،و هو أفضل الفضائل النفسانيه،إذ فضيله الشیء بقدر إعانته على السعاده،و لا سعاده كسعاده لقاء اللّه و القرب منه،و لا وصول إليها إلا بتحصيل محبته و الأنس به،و لا يحصل ذلك إلا بالمعرفه،و لا تحصل المعرفه إلا بدوام الفكر، و لا يحصل الأنس إلا بالمحبه و دوام الذكر،و لا تتيسر المواظبه على الفكر و الذكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب،و لا ينقلع ذلك إلا بقمع لذاتها و شهواتها،و أقوى ما تنقمع به الشهوه هو نار الخوف،فالخوف هو النار المحرقه للشهوات،فإذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات و يكف من المعاصی و يحث على الطاعات،و يختلف ذلك باختلاف درجات الخوف -كما مر-.

و قيل:من أنس باللّه،و ملك الحق قلبه،و بلغ مقام الرضا،و صار مشاهدا لجمال الحق:لم يبق له الخوف،بل يتبدل خوفه بالأمن،كما يدل عليه قوله سبحانه:

أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ

(۱)

إذ لا يبقى له التفات إلى المستقبل،و لا كراهيه من مكروه،و لا رغبه إلى محبوب،فلا يبقى له خوف و لا رجاء،بل صار حاله أعلى منهما.نعم، لا يخلو عن الخشيه-أی الرهبه من اللّه و من عظمته و هيبته-و إذا صار متجليا بنظر الوحده لم يبق فيه أثر من الخشيه أيضا،لأنه من لوازم التكثر،

۱- ۱) الأنعام الآيه:۸۲.

و قد زال.و لذا قيل:«الخوف حجاب بين اللّه و بين العبد».و قيل أيضا:

«إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها محل لخوف و لا رجاء».و قيل أيضا:«المحب إذا شغل قلبه فى مشاهده المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا فى دوام الشهود الذى هو غايه المقامات».

و أنت خبير بأن هذه الأقوال مما لا التفات لنا إليها،فلنرجع إلى ما كنا بصدده من بيان فضيله الخوف،فنقول:الآيات و الأخبار الداله عليه أكثر من أن تحصى،و قد جمع اللّه للخائفين العلم و الهدى و الرحمه و الرضوان، و هى مجامع مقامات أهل الجنان،فقال:

إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ

(١)

.و قال: هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (٢).و قال: رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٣).

و كثير من الآيات مصرحه بكون الخوف من لوازم الإيمان، كقوله تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (۴)و قوله: وَ خٰافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۵)و مدح الخائفين بالتذكر فى قوله:

١- ١) الفاطر،الآيه:٢٨.

٢- ٢) الأعراف،الآيه:١۵۴.

٣- ٣) البينه،الآيه:٨.

۴- ۴) الانفال،الآيه:٢.

۵- ۵) آل عمران،الآيه:١٧۵.

سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى

(۱)

و وعدهم الجنه و جنتين،بقوله:

وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى

(۲)

و قوله: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ (۳).

و فى الخبر القدسى: «و عزتى لا أجمع على عبدى خوفين و لا أجمع له أمنين،فإذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامه،و إذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامه».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «رأس الحكمه مخافه اللّه»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من خاف اللّه أخاف اللّه منه كل شيء،و من لم يخف اللّه أخافه اللّه من كل شيء»

(۴)

،

و قال لابن مسعود:«إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أتمكم عقلا أشدكم اللّه خوفا».

و عن ليث بن أبى سليم قال: «سمعت رجلا من الأنصار يقول:بينما رسول اللّه مستظل بظل شجره فى يوم شديد الحر،إذ جاء رجل فنزع ثيابه، ثم جعل يتمرغ فى الرمضاء،يكوى ظهره مره،و بطنه مره،و جبهته مره، و يقول:يا نفس ذوقى،فما عند اللّه أعظم مما صنعت بك.و رسول اللّه ينظر إليه ما يصنع.ثم إن الرجل لبس ثيابه،ثم أقبل،فأومى إليه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم- بيده و دعاه،فقال له:يا عبد اللّه!رايتك صنعت شيئا

۱- ۱) الأعلى،الآيه:۱۰.

۲- ۲) النازعات،الآيه:۴۰-۴۱

۳- ۳) الرحمن،الآيه:۴۶.

۴- ۴) روی الحدیث فی أصول الکافی فی باب الخوف و الرجاء عن الصادق(ع)

ما رأیت أحدا من الناس صنعه،فما حملک علی ما صنعت؟فقال الرجل:

حملنی علی ذلک مخافه اللّه،فقلت لنفسی:یا نفس ذوقی فما عند اللّه أعظم مما صنعت بک.فقال النبی-صلی الله علیه و آله و سلم-:لقد خفت ربک حق مخافته،و إن ربک لیباهی بک أهل السماء،ثم قال لأصحابه:یا معشر من حضر!ادنوا من صاحبکم حتی یدعو لکم.فدنوا منه،فدعا لهم،و قال اللهم اجمع أمرنا علی الهدی و اجعل التقوی زادنا،و الجنه مآبنا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما من مؤمن یخرج من عینیه دمعه،و إن کانت مثل رأس الذباب،من خشیه اللّه،ثم یصیب شیئا من حر وجهه،إلا حرمه اللّه علی النار»،

و قال: «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشیه اللّه تحاتت عنه خطایاه کما یتحات من الشجر ورقها»،

و قال: «لا یلج النار أحد بکی من خشیه اللّه حتی یعود اللبن فی الضرع».

و قال سید الساجدین(ع) فی بعض أدعیته:

«سبحانک!عجبا لمن عرفک کیف لا یخافک»

.

و قال الباقر علیه السلام: «صلی أمیر المؤمنین علیه السلام بالناس الصبح بالعراق،فلما انصرف وعظهم،فبکی و أبکاهم من خوف اللّه،ثم قال:أما و اللّه لقد عهدت أقواما علی عهد خلیلی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:و أنهم لیصبحون و یمسون شعثا غبرا خمصا بین أعینهم کرکب البعیر یبیتون لربهم سجدا و قیاما، یراوحون بین أقدامهم و جباههم،یناجون ربهم فی فکاک رقابهم من النار و اللّه لقد رأیتهم مع هذا و هم خائفون مشفقون»،

و فی روایه أخری: «و کأن زفیر النار فی آذانهم،إذا ذکر اللّه عندهم مادوا کما تمید الشجر،کأنما القوم باتوا غافلین»،

ثم قال علیه السلام: «فما رئی علیه السلام بعد ذلک ضاحکا حتی قبض».

و قال الصادق علیه السلام: «من عرف اللّه خاف اللّه و من خاف اللّه سخت نفسه عن الدنیا».

و قال علیه السلام: «إن من العباده

شده الخوف من اللّه تعالى يقول: إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ .و قال:

فَلا تَخْشَوُا النّاسَ وَ اخْشَوْنِ

(۱)

قال: وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲).

و قال:«إن حب الشرف و الذكر لا يكونان فى قلب الخائف الراهب»

و قال عليه السلام: «المؤمن بين مخافتين:ذنب قد مضى ما يدرى ما صنع اللّه فيه،و عمر قد بقى لا يدرى ما يكتسب فيه من المهالك،فهو لا يصبح إلا خائفا و لا يصلحه إلا الخوف»،

و قال(ع): «خف اللّه كأنك تراه،و إن كنت لا تراه فإنه يراك،و إن كنت ترى أنه لا يراك،فقد كفرت،و إن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصيه فقد جعلته من أهون الناظرين إليك»،

و قال(ع) «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا،و لا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف و يرجو»،

و قال(ع): «مما حفظ من خطب النبى -صلى اللّه عليه و آله و سلم-أنه قال:أيها الناس!إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم،و إن لكم نهايه فانتهوا إلى نهايتكم،ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما اللّه صانع فيه و بين أجل قد بقى لا يدرى ما اللّه قاض فيه،فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته،و من الشبيبه قبل الكبر،و فى الحياه قبل الممات،فو الذى نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب و ما بعدها من دار إلا الجنه أو النار».

ثم الأخبار الوارده فى فضل العلم و التقوى و الورع و البكاء و الرجاء تدل على فضل الخوف،لان جمله ذلك متعلقه به تعلق السبب أو تعلق

۱- ۱) المائده،الآيه:۴۴.

۲- ۲) الطلاق،الآيه:۲.

المسبب،إذ العلم سبب الخوف،و التقوى و الورع يحصلان منه و يترتبان عليه-كما ظهر مما سبق-و البكاء ثمرته و لازمه،و الرجاء يلازمه و يصاحبه إذ كل من رجا محبوبا فلا بد أن يخاف فوته،إذ لو لم يخف فوته لم يحبه فلا ينفك أحدهما عن الآخر،و إن جاز غلبه أحدهما على الآخر،إذ من شرطهما تعلقهما بالمشكوك،لأن المعلوم لا يرجى و لا يخاف،فالمحبوب المشكوك فيه تقدير وجوده يروح القلب و هو الرجاء،و تقدير عدمه يؤلمه و هو الخوف،و التقديران يتقابلان.نعم أحد طرفى الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب،و يسمى ذلك ظنا،و مقابله وهما،فإذا ظن وجود المحبوب قوى الرجاء و ضعف الخوف بالإضافه إليه،و كذا بالعكس،و على كل حال فهما متلازمان،و لذلك قال اللّه سبحانه.

وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

.و قال: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً (۲).

و قد ظهر أن ما يدل على فضل الخمسه يدل على فضيلته،و كذا ما ورد فى ذم الأمن من مكر اللّه يدل على فضيلته،لأنه ضده،و ذم الشيء مدح لضده الذى ينفيه.و مما يدل على فضيلته ما ثبت بالتواتر من كثره خوف الملائكه و الأنبياء و أئمه الهدى-عليهم السلام-كخوف جبرائيل،و ميكائيل، و إسرافيل،و حمله العرش،و غيرهم من الملائكه المهيمين و المسلمين.و كخوف نبينا،و إبراهيم،و موسى،و عيسى،و داود،و يحيى...و غيرهم.و خوف أمير المؤمنين و سيد الساجدين و سائر الأئمه الطاهرين-عليهم السلام-و حكايه

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۹۰.

۲- ۲) السجده،الآيه:۱۶.

خوف کل منهم فی کتب المحدثین مذکوره و فی زبرهم مسطوره،فلیرجع إلیها من أراد،و من اللّه العصمه و السداد.

فصل الخوف إذا جاوز حده کان مذموما

اعلم أن الخوف ممدوح إلی حد،فإن جاوزه کان مذموما.و بیان ذلک:

أن الخوف سوط اللّه الذی سوق به العباد إلی المواظبه علی العلم و العمل، لینالوا بهما رتبه القرب إلیه تعالی و لذه المحبه و الأنس به،و کما أن السوط الذی تساق به البهیمه و یأدب به الصبی،له حد فی الاعتدال.لو قصر عنه لم یکن نافعا فی السوق و التأدیب،و لو تجاوز عنه فی المقدار أو الکیفیه أو المبالغه فی الضرب کان مذموما لأدائه إلی إهلاک الدابه و الصبی،فکذلک الخوف الذی هو سوط اللّه لسوق عباده له حد فی الاعتدال و الوسط،و هو ما یوصل إلی المطلوب،فإن کان قاصرا عنه کان قلیل الجدوی،و کان کقضیب ضعیف یضرب به دابه قویه،فلا یسوقها إلی المقصد.و مثل هذا الخوف یجری مجری رقه النساء عند سماع شیء محزن یورث فیهن البکاء،و بمجرد انقطاعه یرجعن إلی حالهن الأولی،أو مجری خوف بعض الناس عند مشاهده سبب هائل،و إذا غاب ذلک السبب عن الحس رجع القلب إلی الغفله.

فهذا خوف قاصر قلیل الجدوی.فالخوف الذی لا یؤثر فی الجوارح بکفها عن المعاصی و تقییدها بالطاعات حدیث نفس و حرکه خاطر لا یستحق أن یسمی خوفا.و لو کان مفرطا ربما جاوز إلی القنوط و هو ضلال:

وَ مَنْ یَقْنَطُ مِنْ رَحْمَهِ رَبِّهِ إِلاَّ الضّالُّونَ

(۱)

۱- ۱) الحجر،الآیه:۵۶.

أو إلى اليأس و هو كفر:

لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ

(۱)

و لا ـ ريب فى أن الخوف المجاوز إلى اليأس و القنوط يمنع من العمل، لرفعهما نشاط الخاطر الباعث على الفعل،و إيجابهما كساله الأعضاء المانعه من العمل.و مثل هذا الخوف محض الفساد و النقصان و عين القصور و الخسران و لا رجحان له فى نظر العقل و الشرع مطلقا،إذ كل خوف بالحقيقه نقص لكونه منشأ العجز،لأنه متعرض لمحذور لا يمكنه دفعه،و باعث الجهل لعدم اطلاعه على عاقبه أمره،إذ لو علم ذلك لم يكن خائفا،لما مر من أن الخوف هو ما كان مشكوكا فيه،فبعض أفراد الخوف إنما يصير كمالا بالإضافه إلى نقص أعظم منه، و باعتبار رفعه المعاصى و إفضائه إلى ما يترتب عليه من الورع و التقوى و المجاهده و الذكر و العباده و سائر الأسباب الموصله إلى قرب اللّه و أنسه،و لو لم يؤد إليها كان فى نفسه نقصا لا كمالا،إذ الكمال فى نفسه هو ما يجوز أن يوصف اللّه تعالى به،كالعلم و القدره و أمثالهما،و ما لا يجوز وصفه به ليس كمالا فى ذاته،و ربما صار محمودا بالإضافه إلى غيره و بالنظر إلى بعض فوائده،فما لا يفضى إلى فوائده المقصوده منه لإفراطه فهو مذموم، و ربما أوجب الموت أو المرض أو فساد العقل،و هو كالضرب الذى يقتل الصبى أو يهلك الدابه أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها.و إنما مدح صاحب الشرع الرجاء و كلف الناس به ليعالج به صدمه الخوف المفرط المفضى إلى اليأس أو إلى أحد الأمور المذكوره.فالخوف المحمود ما يفضى إلى العمل مع بقاء الحياه و صحه البدن و سلامه العقل،فإن تجاوز إلى إزاله شى منها فهو مرض يجب علاجه،و كان بعض مشائخ العرفاء يقول للمرتاضين من

۱- ۱) يوسف،الآيه:۸۷.

مریـدیه الملازمین للجوع أیامـا کثیره:احفظوا عقولکم،فإنه لم یکن للّه تعالی ولی ناقص العقل،و ما قیل:«إن من مات من خوف اللّه تعالی مات شـهیدا، معناه أن موته بالخوف أفضل من موته فی هـذا الوقت بـدونه،فهو بالنسـبه إلیه فضـیله،لا بالنظر إلی تقدیر بقائه و طول عمره فی طاعه اللّه و تحصـیل المعارف إذ للمترقی فی درجات المعارف و الطاعات له فی کل لحظه ثواب شهید أو شهداء فأفضل السعادات طول العمر فی تحصیل العلم و العلم،فکل ما یبطل العمر أو العقل و الصحه فهو خسران و نقصان.

فصل طرق تحصیل الخوف الممدوح

لتحصیل الخوف الممدوح و جلبه طرق:

(الأول)أن یجتهد فی تحصیل الیقین.

أی قوه الإیمـان بـاللّه،و الیوم الآـخر،و الجنه،و النـار،و الحسـاب،و العقـاب.و لاـ ریب فی کونه مهیجـا للخوف من النـار و الرجاء للجنه.ثم الخوف و الرجـاء یؤدیـان إلی الصبر علی المکاره و المشاق،و هو إلی المجاهـده و التجرد لـذکر اللّه تعالی و الفکر فیه علی الـدوام،و یقـوی دوام الـذکر علی الأـنس،و دوام الفکر علی کمـال المعرفه، و یؤدی الأـنس و کمـال المعرفه إلی المحبه،و یتبعها الرضا و التوکل و سائر المقامات.و هـذا هو الترتیب فی سلوک منازل الـدین،فلیس بعـد أصل الیقین مقام سوی الخوف و الرجاء،و لا بعـدهما مقام سوی الصبر،و لا بعـده سوی المجاهده و التجرد للّه ظاهرا و باطنا،و لا بعده سوی الهدایه و المعرفه،و لا بعـدهما سـوی الأـنس و المحبـه.و مـن ضـروره المحبـه الرضـا بفعـل المحبـوب و الثقـه بعنـایه،و هـو التوکل.فـالیقین هـو سـبب الخوف،فیجب تحصیل

السبب ليؤدى إلى المسبب.

(الثانى)ملازمه التفكر فى أحوال القيامه،

و أصـناف العـذاب فى الآـخره و اسـتماع المواعظ المنـذره،و النظر إلى الخـائفين و مجالسـتهم،و مشاهـده أحـوالهم و استماع حكايـاتهم.و هـذا ممـا يستجلب الخوف من عـذابه تعـالى،و هو خوف عموم الخلق،و هو يحصـل بمجرد أصل الإيمان بالجنه و النـار،و كونهما جزاءين على الطاعه و المعصـيه،و إنما يضـعف للغفله أو ضـعف الإيمان، و تزول الغفله و الضـعف بما ذكر.و أما الخوف من اللّه بأن يخاف البعـد و الحجاب و يرجو القرب و الوصال،و هو خوف أرباب القلوب،العارفين من صـفاته ما يقتضـى الخوف و الهيبه،المطلعين على سر قوله:

وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ

(۱)

و قوله: اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ (۲).

فالعلاج فى تحصـيله الارتقاء إلى ذروه المعرفه،إذ هذا الخوف ثمره المعرفه باللّه و بصفات جلاله و جماله،و من لم يمكنه ذلك فلاـ يترك سـماع الأخبار و الآثار و ملاحظه أحوال الخائفين من هيبته و جلاله،كالأنبياء و الأولياء و زمره العرفاء،فإنه لا يخلو عن تأثير.

(الثالث)أن يتأمل فى أن الوقف على كنه صفات اللّه فى حيز المحال،

و أن الإحـاطه بكنه الأمور ليس فى مقـدره البشـر،إذ هى مرتبطه بالمشـيه ارتباطا يخرج عن حـد المعقول و المألوف.و من عرف ذلك على التحقيق يعلم أن الحكم على أمر من الأمور الآتيه غير ممكن بالحدس و القياس،فضلا

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۲۸.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۰۲.

عن القطع و التحقیق،و حینئذ یعظم خوفه و یشتد ألمه،و إن کانت الخیرات کلها له میسره و نفسها عن الدنیا بالمره منقطعه.و إلی اللّه بشراشرها ملتفته، إذ خطر الخاتمه و عسر الثبات علی الحق مما لا یمکن دفعه،و کیف یحصل الاطمئنان من تغیر الحال،و قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن، و أنه أشد تقلبا من القدر فی غلیانها،و قد قال مقلب القلوب:

إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَیْرُ مَأْمُونٍ (۱)فإنی للناس أن یطمئنوا و هو ینادیهم بالتحذر،و لذا قال بعض العرفاء:

«لو حالت بینی و بین من عرفته بالتوحید خمسین سنه أسطوانه فمات لم أقطع له بالتوحید،لأنی لا أدری ما ظهر له من التقلب» (۲).

فصل خوف سوء الخاتمه و أسبابه

قد أشیر إلی أن أعظم المخاوف خوف سوء الخاتمه،و له أسباب مختلفه ترجع إلی ثلاثه:

(الأول)و هو الأعظم،و هو أن یغلب علی القلب عند سکرات الموت و ظهور أ هواله،

إما الجحود أو الشک،فتقبض الروح فی تلک الحاله،و تصیر عقده الجحود أو الشک حجابا بینه و بین اللّه تعالی،و ذلک یقتضی البعد الدائم،و الحرمان اللازم،و خسران الأبد،و العذاب المخلد.

ثم هذا الجحود أو الشک إما یتعلق ببعض العقائد الأصولیه،کالتوحید

۱- ۱) المعارج،الآیه:۲۸.

۲- ۲) نقل هذه الکلمه فی أحیاء العلوم(ج ۴ ص ۱۴۹)عن بعض العارفین و لم یذکر اسمه أیضا.

و علمه تعالی أو غیر ذلک من صفاته الکمالیه،أو بضروریات أمر الآخره و النبوه.و کل واحد من ذلک کاف فی الهلاک و زهوق النفس علی الزندقه.

أو یتعلق بجمیعها إما إصاله أو سرایه، و المراد بالسرایه أن الرجل ربما اعتقد فی ذات اللّه و صفاته و أفعاله خلاف ما هو الحق و الواقع،إما برأیه و معقوله،أو بالتقلید،فإذا قرب الموت و ظهرت سکراته و اضطرب القلب بما فیه،ربما انکشف بطلان ما اعتقده جهلا،إذ حال الموت حال کشف الغطاء،و یکون ذلک سببا لبطلان بقیه اعتقاداته أو الشک فیها،و إن کانت صحیحه مطابقه للواقع،إذ لم یکن عنده أولا فرق بین هذا الاعتقاد الفاسد الذی انکشف فساده و بین سائر عقائده الصحیحه،فإذا علم خطأه فی البعض لم یبق له الیقین و الاطمئنان فی البواقی.کما نقل أن(الفخر الرازی)بکی یوما،فسألوه عن سبب بکائه،قال:«اعتقدت فی مسأله منذ سبعین سنه علی نحو انکشف الیوم لی بطلانه،فما أدرانی أن لا تکون سائر عقائدی کذلک» و بالجمله:إن اتفق زهوق روحه فی هذه الخطره قبل أن ینیب و یعود إلی أصل الإیمان،فقد ختم له بالسوء و خرجت روحه علی الشرک،أعاذنا اللّه منه، و ثبتنا علی الاعتقاد الحق لدیه،و هم المقصودون من قوله:

وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ

(۱)

.

و من قوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمٰالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً (۲).

۱- ۱) الزمر،الآیه:۴۷.

۲- ۲) الکهف،الآیه:۱۰۳-۱۰۴.

و البله:أعنی الذین آمنوا باللّه و رسوله و الیوم الآخر إیمانا مجملا راسخا، بمعزل عن هذا الخطر،

و لذلک ورد :أن أکثر أهل الجنه البله. و ورد المنع من البحث و النظر و الخوض فی الکلام،و الأخذ بظواهر الشرع،مع اعتقاد کونه تعالی منزها عن النقص متصفا بما هو الغایه و النهایه من صفات الکمال و السر فی ذلک:أن البله إذا أخذوا بما ورد من الشرع و اعتقدوا به،یثبتون علیه لقصور أذهانهم عن درک الشبهات و عدم اعتیادهم بالتشکیک،فلا یختلج ببالهم شک و شبهه و لو عند الموت.

و أما الخائضون فی غمرات البحث و النظر،و الآخذون عقائدهم من عقولهم المزجاه،فلیس لهم تثبت علی عقائدهم،إذ العقول عن درک صفات اللّه و سائر العقائد الأصولیه علی ما هی علیه قاصره،و الأدله التی یستخرجها مضطربه متعارضه.و أبواب الشکوک و الشبهات بالخوض و البحث تصیر مفتوحه.

فأذهانهم دائما محل تعارض العقائد و الشکوک،فربما ثبتت لهم عقیده بملاحظه بعض دلائله،فیحصل لهم فیها طمأنینه،ثم یعرض لهم شک یرفعها أو یضعفها،فهم دائما فی غمرات الحیره و الاضطراب.فإذا کان حالهم هذا فأخذتهم سکرات الموت،فأی استبعاد فی أن یختلج لهم حینئذ شک فی بعض عقائدهم.و مثله مثل من انکسرت سفینته و هو فی ملتطم الأمواج یرمیه موج إلی موج،و الغالب فی مثله الهلاک،و إن اتفق نادرا أن یرمیه موج إلی الساحل.

و قد نقل عن(نصیر الدین الحلی)-و هو من أعاظم المتکلمین-أنه قال:

«إنی تفکرت فی العلوم العقلیه سبعین سنه،و صنفت فیها من الکتب ما لا یحصی،لم یظهر لی منها شیء سوی أن لهذا المصنوع صانعا،و مع ذلک عجائز القوم فی ذلک أشد یقینا منی». فالصواب تلقی أصل الإیمان و العقائد من صاحب الوحی،مع تطهیر الباطن عن خبائث الأخلاق،و الاشتغال

بالطاعات و صوالح الأعمال،و عدم التعرض لما هو خارج عن طاقتهم من التفكر فى حقائق المعارف،إلا من أيده اللّه بالقوه القدسيه و القريحه المستقيمه،و أشرق نور الحكمه فى قلبه.و شمله خفى الألطاف من ربه،فله الخوض فى غمرات العلوم.و أما غيره فينبغى أن يأخذ منه أصول عقائده الوارده من الشرع،و يشتغل بخدمته حتى تشمله بركات أنفاسه،فإن العاجز عن المجاهده فى صف القتال ينبغى أن يسقى القوم و يتعهد دوابهم،ليحشر يوم القيامه فى زمرتهم و إن كان فاقدا لدرجتهم.

(الثانى)ضعف الإيمان فى الأصل،

و مهما ضعف الإيمان ضعف حب اللّه و قوى حب الدنيا فى القلب،و استولى عليه بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب اللّه إلا من حيث حديث النفس،فلا يظهر له أثر فى مخالفه النفس و الشيطان،فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات،حتى يظلم القلب و يسود،و تتراكم ظلمه الذنوب عليه،و لا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان حتى ينطفئ بالكليه،فإذا جاءت سكره الموت ازداد حب اللّه ضعفا،و ربما عدم بالمره،لما يستشعر من فراقه محبوبه الغالب على قلبه و هو الدنيا،فيتألم و يرى ذلك من اللّه،فيختلج ضميره بإنكاره ما قدره اللّه من الموت،و ربما يحدث فى باطنه بغض اللّه بدل الحب،لما يرى أن موته من اللّه،كما أن من يحب ولده حبا ضعيفا،إذا أخذ مالا له هو أحب إليه منه و أتلفه،انقلب حبه بغضا.فإن اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظه التى خطر فيها هذه الخطره فقد ختم له بالسوء.نعوذ باللّه من ذلك.

و قد ظهر أن السبب المفضى إلى ذلك غلبه حب الدنيا مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب اللّه،فمن وجد فى قلبه حب اللّه أغلب من حب الدنيا فهو أبعد من هذا الخطر،و إن أحب الدنيا أيضا،و من وجد فى قلبه عكس

ذلـک فهو قریب من هـذا الخطر.و السـبب فی قله حب اللّه قله المعرفه به،إذ لا یحب اللّه إلا من عرفه،و إلی هـذا القسم من سوء الخاتمه أشیر فی الکتاب الإلهی بقوله:

قُلْ إِنْ کٰانَ آبٰاؤُکُمْ وَ أَبْنٰاؤُکُمْ وَ إِخْوٰانُکُمْ وَ أَزْوٰاجُکُمْ وَ عَشِیرَتُکُمْ وَ أَمْوٰالٌ اقْتَرَفْتُمُوهٰا وَ تِجٰارَهٌ تَخْشَوْنَ کَسٰادَهٰا وَ مَسٰاکِنُ تَرْضَوْنَهٰا أَحَبَّ إِلَیْکُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهٰادٍ فِی سَبِیلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّٰی یَأْتِیَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ

(۱)

فمن فـارقته روحه فی حـاله کراهه فعـل اللّه و بغضه له فی تفریقه بینه و بین أهله و ماله و سائر محابه،فیکون موته قـدوما علی ما أبغضه و فراقا لما أحبه فیقدم علی اللّه قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به علی مولاه قهرا،و لا یخفی ما یستحق مثله من الخزی و النکال و أما الـذی یموت علی حب اللّه و الرضا بفعله کان قـدومه قدوم العبد المحسن المشـتاق إلی مولاه،و لا یخفی ما یلقاه من الفرح و السرور.

(و الثالث)کثره المعاصی و غلبه الشهوات،و إن قوی الإیمان.

و بیـان ذلـک:أن مفـارقه المعاصـی سـببها غلبه الشـهوات و رسوخهـا فی القلب بکثره الألف و العاده،و جمیع ما ألفه الإنسان فی عمره یعود ذکره فی قلبه عنـد موته،فـإن کان أکثر میله إلی الطاعات کان أکثر ما یحضـره عنـد الموت طاعه اللّه،و إن کان أکثر میله إلی المعاصی غلب ذکرها علی قلبه عنده،و إن کان أکثر

۱- ۱) التوبه،الآیه:۲۴.

شغله السخریه و الاستهزاء و المزاح و أمثال ذلک کان الغالب عند الموت ذلک،و هکذا الحال فی جمیع الأشغال و الأعمال الغالبه فی عمره،فإنها تغلب علی قلبه عند موته،فربما یقبض روحه عند غلبه شهوه من شهوات الدنیا و معصیه من المعاصی،فیعتقد بها قلبه،و یصیر محجوبا عن اللّه تعالی.

و هو المراد بالختم علی السوء.فالذی غلبت علیه المعاصی و الشهوات،و کان قلبه أمیل إلیها منه إلی الطاعه،فهذا الخطر قریب فی حقه و لا یمیل إلیها أصلا،فهو بعید منه جدا.و من غلبت علیه الطاعات و لم یقارف المعاصی إلا نادرا،فلعل الراجح فی حقه النجاه منه،و إن أمکن حصوله.و من لم یغلب شیء من طاعاته و معاصیه علی الآخر فأمره فی هذا الخطر إلی اللّه،و لا یمکن لنا الحکم بشیء من القرب و البعد فی حقه.

و السر فی ذلک:أن الغشیه المتقدمه علی الموت شبیهه بالنوم،فکما أن الإنسان یری فی منامه جمله من الأحوال التی عهدها طول عمره و ألفها،حتی أنه لا یری فی منامه إلا ما یماثل مشاهداته فی الیقظه،و حتی أن المراهق الذی یحتلم لا یری صوره الوقاع،فکذلک حاله عند سکرات الموت و ما یتقدمه من الغشیه،لکونه شبیها بالنوم و إن کان فوقه، فیقتضی ذلک تذکر المألوفات و عودها إلی القلب،فربما یکون غلبه الألف سببا لأن تتمثل صوره فاحشه فی قلبه و تمیل نفسه إلیها و تقبض علیها روحه،و یکون ذلک سبب سوء خاتمته،و إن کان أصل الإیمان باقیا بحیث یرجی له الخلاص منها بعنایه اللّه و فضله.و کما أن ما یخطر بالبال فی الیقظه إنما یخطر بسبب خاص لا یعلمه بحقیقته أحد إلا اللّه،فکذلک ما یری فی آحاد المنامات و ما یختلج فی القلب عند سکرات الموت له أسباب عند اللّه لا نعرف بعضها،و ربما نتمکن من معرفه بعضه،فإنا نعلم أن الخاطر ینتقل من الشیء إلی ما یناسبه،إما بالمشابهه

بـأن ينظر إلى جميل فيتـذكر جميلا آخر،و إما بالمضاده،بأن ينظر إلى جميل فيتـذكر قبيحا،و إما بالمقارنه،بأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان،و قد ينتقل الخاطر من شـىء إلى شىء،و لا يدرى وجه المناسبه له،و ربما ينتقل إلى شىء لا يعرف سـببه أصـلا.و كذلك انتقالات الخواطر بالمنام و عند سـكرات الموت لها أسباب لا نعرف بعضها و نعرف بعضها بالنحو المذكور. و من أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصى و الشهوات،فلا طريق له إلا المجاهده طول عمره فى فطام نفسه عنها،و فى قمع الشهوات عن قلبه،فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار،و يكون طول المجاهده و المواظبه على العلم و تخليه السر عن الشواغل الدنيويه و تقييده بالتوجه إلى اللّه و حبه و أنسه عده و ذخيره لحاله سكرات الموت،

إذ المرء يموت على ما عاش عليه،و يحشر على ما مات عليه،كما ورد فى الخبر (۱).

و قد دلت المشاهده على أن كل أحد يكون عند موته مشغول القلب بما هو الغالب عليه طول عمره،حيث يظهر منه عند ذلك،و إنمـا المخوف الموجب لسوء الخـاتمه هو خاطر سوء يخطر،و منه عظم خوف العارفين،إذ اختلاج الخواطر و الاتفاقات المقتضـيه لكونها مـذمومه أو ممـدوحه لا يـدخل تحت الاختيار دخولا كليا،و إن كان لطول الألف و العاده تأثير و مـدخليه،و لـذا إذا أراد الإنسان ألا يرى فى المنام إلا الأنبياء و الأئمه-عليهم السـلام- و أحوال الصالحين و العبادات لم يتيسـر له،و إن كانت كثره الحب و المواظبه على الصـلاح و الطاعه مؤثره فيه. و بالجمله:اضـطرابات الخيال لا تدخل بالكليه تحت الضبط،و إن كان الغالب مناسبه ما يظهر فى النوم لما غلب فى

ص :۲۷۵

۱- ۱) لم نعثر على مصدر لهذا الخبر،و جاء ذكر هذا الخبر مرسـلا فى(الحقائق) -ص ۸۸ طبع إيران-للشيخ(ملا محسن الفيض)و لم يذكر المصدر له.

اليقظه.و بذلك يعلم أن أعمال العبد كلها ضائعه إن لم يسلم فى النفس الأخير الذى عليه خروج الروح،و أن السلامه مع اضطراب أمواج الخواطر مشكله و لذلك

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنه خمسين سنه حتى لا يبقى بينه و بين الجنه إلا فواق ناقه، فيختم له بما سبق به الكتاب» و معلوم أن فواق الناقه لا يتسع لأعمال توجب الشقاوه،بل هى الخواطر التى تضطرب و تخطر خطور البرق الخاطف.و من هنا قيل (۱):«إنى لا أعجب ممن هلك،كيف هلك،و لكنى أعجب ممن نجا كيف نجا»،

و ورد (۲): «أن الملائكه إذا صعدت بروح المؤمن،و قد مات على الخير و الإسلام،تعجبت الملائكه منه،و قالوا:كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا». و لذلك قيل (۳):من وقعت سفينته فى لجه البحر،و هجمت عليه الرياح العاصفه،و اضطربت الأمواج،كانت النجاه فى حقه أبعد من الهلاك،و قلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينه،و أمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر،و مقلب القلوب هو اللّه.و من هنا يظهر سر

قوله:

«الناس كلهم هلكى إلا العالمون،و العالمون كلهم هلكى إلا العاملون، و العاملون كلهم هلكى إلا المخلصون،و المخلصون على خطر عظيم» (۴).

ص :۲۷۶

۱- ۱) القائل هو(مطرف بن عبد اللّه)كما فى إحياء العلوم:ج ۴ ص ۱۵۵

۲- ۲) يظهر من كلمه(ورد)أن هذا حديث.و فى إحياء العلوم-ج ۴ ص ۱۵۵-كلام ينقله عن(حامد اللفاف).

۳- ۳) القائل هو(الغزالى)فى إحياء العلوم،فى الصفحه المتقدمه.

۴- ۴) جاء نص هذا الكلام فى أثناء كلام(الغزالى)فى إحياء العلوم-ج ۴ ص ۱۵۶-و كأنه من كلام نفسه.إلا أنه جاء نص هذه العباره فى(مجموعه الشيخ ورام)ص ۳۲۰،عن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-مرسلا.و كذلك جاء فى(مصباح الشريعه)المنسوب إلى الصادق-عليه السلام-فى الباب- ۷۷ ما يقرب من هذا النص.فما ذا نظن أراد المؤلف بقوله:(سر قوله)،هل أراد الغزالى ما ترى؟

و لأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهاده مطلوبه و موت الفجأه مكروها، إذ موت الفجأه ربما يتفق عند غلبه خاطر سوء و استيلائه على القلب.

و أما الشهاده فى سبيل اللّه فإنها عباره عن قبض الروح فى حاله لم يبق فى القلب غير حب اللّه،و خرج حب الدنيا و المال و الولد،فإن من هجوم على صف القتال بأمر اللّه و أمر رسوله يكون موطنا نفسه على الموت لرضا اللّه و حبه، بائعا دنياه بآخرته،راضيا بالبيع الذى بايعه اللّه به فى قوله:

إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ

(۱)

.

و بذلك يظهر أن القتل لا بسبب الشهاده التى حقيقتها ما فسر،لا يفيد الاطمئنان من هذا الخطر،و إن كان ظلما،و إن كان فى الجهاد،إذا لم تكن هجرته فيه إلى اللّه و رسوله،بل إلى دنيا يصيبها أو امرأه يأخذها.

و قد ظهر مما ذكر:أن سوء الخاتمه باختلاف أسبابه راجع إلى أحوال القلب،و حاله القلب إما خاطر خير أو خاطر سوء أو خاطر مباح،فمن زهق روحه على خاطر مباح لم يمكن الحكم بأنه ختم على خير أو سوء،بل أمره إلى اللّه،و إن كانت النجاه له أقرب بعد غلبه صالحات أعماله على فاسداتها،و من زهق روحه على خاطر سوء و هو أحد الخواطر المتقدمه:

فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً بَعِيداً ،و خَسِرَ خُسْرٰاناً مُبِيناً (۲) و من زهق روحه على خاطر خير و هو أن يكون قلبه فى حاله الموت

ص :۲۷۷

۱- ۱) التوبه،الآيه:۱۱۱.

۲- ۲) النساء،الآيه:۱۱۹،۱۱۶.

متوجها إلى اللّه ممتليا من حبه و أنسه«فقد فاز فوزا عظيما».و هذا موقوف على المجاهده فى فطام النفس عن الشهوات الحيوانيه،و إخراج حب الدنيا عنها رأسا،و الاحتراز عن فعل المعاصى و مشاهداتها و التفكر فيها،و عن مجالسه أهلها و استماع حكاياتهم،بل عن مباحات الدنيا بالكليه،و تخليه السر عما سوى اللّه،و الانقطاع بشراشره إليه،و إخراج محبه كل شىء سوى محبته عن قلبه،حتى يصير حبه سبحانه و الأنس به ملكه راسخه،ليغلب على القلب عند سكره الموت،و بدون ذلك لا يمكن القطع بذلك،كيف و قد علمت أن الغشيه المتقدمه على الموت شبه النوم،و أنت فى غالب الرؤيا الظاهره عليك فى المنام لا تجد فى قلبك حبا للّه و أنسا به و توجها إليه،بل لا يخطر ببالك أن لك ربا متصفا بالصفات الكماليه،بل ترى ما كنت تألفه و تعتاده من الأمور الباطله و الخيالات الفاسده،فإن زهق روحك عند اشتغال خاطرك بشىء من الأمور الدنيويه،و لم يكن متوجها إلى اللّه و مستحضرا معرفته و مبتهجا بحبه و أنسه،لبقيت على تلك الحاله أبدا،و هو الشقاوه العظمى و الخيبه الكبرى.

فتيقظ-يا حبيبى-من سنه الغفله،و تنبه عن سكر الطبيعه،و اخرج حب الدنيا عن قلبك،و توجه بشراشرك إلى جناب ربك،و اكتف من الدنيا بقدر ضرورتك و لا تطلب منها فوق حاجتك،و اقنع من الطعام ما يقيم صلبك و لا تكثر التناول منه ليزيل من ربك قربك،و ارض من اللباس بما يستر عورتك و لا يظهر للناس سوءتك،و اكتف من المسكن بما يحول بينك و بين الأبصار و يدفع عنك حر الشمس و برد الأمطار،فإن جاوزت عن ذلك تشعبت همومك و تكثرت غمومك،و أحاط بك الشغل الدائم و العناء اللازم و ذهب عنك جل خيراتك و ضاعت بركات أوقاتك.و بعد ذلك راقب قلبك

فی جمیع الأوقات،و إیاک أن تهمله لحظه من اللحظات،و احفظه من أن یکون محلا لغیر معرفه اللّه و حبه،و لیکن القرب إلی اللّه و الأنس به غایه همک،إذ العاقل إنما یمیل و یشتاق إلی ما هو الأشرف و الأکمل،و یسر و یرتاح بما له أحسن و أنفع،و لا ریب فی أن أشرف الموجودات و أکملها هو سبحانه،بل هو الموجود الحقیقی و الکمال الواقعی،و غیره من الموجودات و الکمالات من لوازم فیضه و رشحات وجوده و فضله،و له غایه ما یتصور من العلو و الکمال و البهاء و الجلال،و إن معرفته و حبه أحسن الأشیاء و أنفعها لکل أحد،لأنه الباعث للسعاده الأبدیه و البهجه الدائمیه،فلا ینبغی للعاقل أن یترک ذلک اشتغالا بفضول الدنیا و خسائسها،بل یلزم علیها أن یترک حبلها علی غاربها،و یخلص نفسه الشریفه عن مخالبها،و یتوجه بکلیته إلی جناب ربه،و لم یکن فرحه و ابتهاجه إلا بحبه و أنسه.

فصل الفرق بین الاطمئنان و الأمن من مکر اللّه

ضد الخوف المذموم هو اطمئنان القلب فی الأمور المذکوره،و لا ریب فی کونه فضیله و کمالا،إذ قوه القلب و عدم اضطرابه مما یحکم العقل بعدم الحذر عنه صفه کمال،و نقیضه نقص و رذیله.

و أما الخوف الممدوح،فضده الأمن من مکر اللّه،و هو من المهلکات، و قد ورد به الذم فی الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

فَلاٰ یَأْمَنُ مَکْرَ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ

(۱)

و قد ثبت بالتواتر:أن الملائکه و الأنبیاء کانوا خائفین من مکره،

کما

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۹۹.

روى: «أنه لما ظهر على إبليس ما ظهر،طفق جبرئيل و ميكائيل يبكيان، فأوحى اللّه إليهما:ما لكما تبكيان؟فقالا:يا رب!لا نأمن مكرك.فقال اللّه هكذا كونا،لا تأمنا مكرى».

و روى: «أن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم- و جبرئيل بكيا من خوف اللّه تعالى،فأوحى اللّه إليهما:لم تبكيان و قد أمنتكما؟ فقالا:و من يأمن مكرك؟» و كأنهما لم يأمنا أن يكون قوله(قد أمنتكما) ابتلاء لهما و امتحانا،حتى أن سكن خوفهما (۱)ظهر أنهما قد أمنا المكر و ما وفيا بقولهما،كما أن إبراهيم عليه السلام لما وضع فى المنجنيق قال:حسبى اللّه و كان هذا القول منه من الدعاوى العظيمه،فامتحن و عورض بجبرئيل عليه السلام فى الهواء حتى قال:أ لك حاجه؟قال:أما إليك فلا.و كان ذلك وفاء بمقتضى قوله،فأخبر اللّه تعالى عنه و قال:

وَ إِبْرٰاهِيمَ اَلَّذِى وَفّٰى

(۲)

و بالجمله:ينبغى للمؤمن ألا يأمن من مكر ربه،كما لم يأمن منه الملائكه و الأنبياء،و إذا لم يأمن منه كان خائفا منه دائما.

تتميم التلازم بين الخوف و الرجاء

الرجاء ارتياح القلب لانتظار المحبوب،و هو يلازم الخوف،إذ الخوف -كما عرفت-عباره عن التألم من توقع مكروه ممكن الحصول،و ما يمكن حصوله يمكن عدم حصوله أيضا،و ما كان حصوله مكروها كان عدم حصوله محبوبا،فكما أنه يتألم بتوقع حصوله يرتاح ليتوقع عدم حصوله أيضا، فالخوف عن شيء وجودا يلزمه الرجاء عدما،و عنه عدما يلزمه الرجاء

۱- ۱) هذه العباره لبيان الابتلاء و الامتحان،يعنى:أنهما يخشيان إذا سكن خوفهما أن يظهر أنهما قدامنا المكر و لم يوفيا بقولهما فيكون ذلک امتحانا لهما

۲- ۲) النجم،الآيه:۳۷.

وجودا. و قس علیه استلزام الرجاء للخوف،فهما متلازمان،و إن أمکن غلبه أحدهما نظرا إلی کثره حصول أسبابه.و إن تیقن الحصول أو عدمه لم یکن انتظارهما خوفا و رجاء،بل سمی انتظار مکروه أو انتظار محبوب.

ثم کما أن الخوف من متعلقات قوه الغضب،و أن الممدوح منه من فضائلها،لکونه مقتضی العقل و الشرع،و باعثا للعمل من حیث الرهبه، فکذا الرجاء متعلق بها و من فضائلها،لکونه مقتضاهما و باعثا للعمل من حیث الرغبه.إلا أن الخوف لترتبه علی ضعف القلب یکون أقرب إلی طرف التفریط،و الرجاء لترتبه علی قوته یکون أقرب إلی طرف الإفراط،و إن کان کلاهما ممدوحین.ثم لا-بد أن یحصل أکثر أسباب حصول المحبوب حتی یصدق اسم الرجاء علی انتظاره،کتوقع الحصاد ممن ألقی بذرا جیدا فی أرض طیبه یصلها الماء.و أما انتظار ما لم یحصل شیء من أسبابه فیسمی غرورا و حماقه، کتوقع من ألقی بذرا فی أرض سبخه لا یصلها الماء.و انتظار ما کان أسبابه مشکوکه یسمی تمنیا،کما إذا صلحت الأرض و لا ماء.

و تفصیل ذلک:أن الدنیا مزرعه الآخره،و القلب کالأرض،و الإیمان کالبذر،و الطاعات هی الماء الذی تسقی به الأرض،و تطهیر القلب من المعاصی و الأخلاق الذمیمه بمنزله تنقیه الأرض من الشوک و الأحجار و النباتات الخبیثه،و یوم القیامه هو وقت الحصاد.فینبغی أن یقاس رجاء العبد(المغفره) برجاء صاحب الزرع(التنمیه)،و کما أن من ألقی البذر فی أرض طیبه،و ساق إلیها الماء فی وقته،و نقاها الشوک و الأحجار،و بذل جهده فی قلع النباتات الخبیثه المفسده للزرع،ثم جلس ینتظر کرم اللّه و لطفه مؤملا-أن یحصل له وقت الحصاد مائه قفیز مثلا-سمی انتظاره رجاء ممدوحا،فکذلک العبد إذا طهر أرض قلبه عن شوک الأخلاق الردیه و بث فیه بذر الإیمان بماء

الطاعـات،ثم انتظر من فضـل اللّه تثبيته إلى الموت و حسن الخـاتمه المفضـيه إلى المغفره،كـان انتظـاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه.و كمـا أن من تغافـل عن الزراعه و اختار الراحه طول السـنه،أو ألقى البـذر فى أرض سـبخه مرتفعه لا ينصب إليها ماء،و لم يشتغل بتعهـد البـذر و إصـلاح الأرض من النباتات المفسـده للزرع،ثم جلس منتظرا إلى أن ينبت له زرع يحصده،سـمى انتظاره حمقا و غرورا.كـذلک من لم يلق بـذر الإيمان فى أرض قلبه،أو ألقاه فيه مع كونه مشـحونا برذائل الأخلاق منهمكا فى خسائس الشهوات و اللذات، و لم يسق إليها ماء الطاعات،ثم انتظر المغفره،كان انتظاره حمقا و غرورا.

و كمـا أن من بث البـذر فى أرض طيبه لا- مـاء لهـا،و جلس ينتظر ميـاه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار،و إن لم يمتنع أيضا،سـمى انتظـاره تمنيا.كـذلک من ألقى بـذر الإيمـان فى أرض قلبه،و لكنه لم يسق إليه مـاء الطاعات و انتظر المغفره بلطفه و فضـله،كان انتظاره تمنيا.

فإذن،اسم(الرجاء)إنما يصـدق على انتظار محبوب تمهـدت جميع أسـبابه الـداخله تحت اختيار العبد،و لم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، و هو فضل اللّه تعالى بصـرف القواطع و المفسدات.فالأحاديث الوارده فى الترغيب على الرجاء و فى سعه عفو اللّه و جزيـل رحمته و وفـور مغفرته، إنمـا هى مخصـوصه بمن يرجـو الرحمه و الغفران بالعمـل الخـاص المعـد لحصولهمـا، و ترک الانهمـاک فى المعاصـى المفوت لهـذا الاسـتعداد.فاحذر أن يغرک الشـيطان و يثبطـک عن العمـل و يقنعـک بمحض الرجاء و الأمـل.و انظر إلى حال الأنبياء و الأولياء و اجتهادهم فى الطاعات و صـرفهم العمر فى العبادات ليلا و نهارا، أ ما كان يرجون عفو اللّه و رحمته؟بلى و اللّه!إنهم كـانوا أعلم بسـعه رحمه اللّه و أرجى لهـا منـک و من كل أحـد،و لكن علموا أن رجاء الرحمه من دون العمل

غرور محض و سفه بحت،فصرفوا فی العبادات أعمارهم و قصروا علی الطاعات لیلهم و نهارهم.

و نحن نشیر(أولا)إلی بعض ما ورد فی الرجاء من الآیات و الأخبار، ثم نورد نبذا مما یدل علی أنه لا معنی للرجاء بدون العمل،لیعلم أن إطلاق الأول محمول علی الثانی.فنقول:

الظواهر الوارده فی الرجاء أکثر من أن تحصی،و هی علی أقسام:

(الأول)ما ورد فی النهی عن القنوط و الیأس من رحمه اللّه

کقوله تعالی:

یا عِبادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ

(۱)

:

و قول علی(ع) لرجل أخرجه الخوف إلی القنوط لکثره ذنوبه:

«أیا هذا!یأسک من رحمه اللّه أعظم من ذنوبک».

و ما روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-لما قال:لو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلا و لبکیتم کثیرا و لخرجتم إلی الصعدات تلدمون صدورکم و تجأرون إلی ربکم.فهبط جبرئیل (ع)فقال:إن ربک یقول:لم تقنط عبادی؟فخرج علیهم و رجاهم و شوقهم».

و ما ورد: «أن رجلا من بنی إسرائیل کان یقنط الناس و یشدد علیهم،فیقول اللّه له یوم القیامه:الیوم أویسک من رحمتی کما کنت تقنط عبادی منها».

(الثانی)ما ورد فی الترغیب علی خصوص الرجاء و کونه سبب النجاه،

کما ورد فی أخبار یعقوب من«أنه تعالی أوحی إلیه أ تدری لم فرقت بینک و بین یوسف؟لقولک:

وَ أَخافُ أَنْ یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ

(۲)

.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۵۳.

٢- ٢) يوسف،الآيه:١٣.

لم خفت الذئب و لم ترجنی؟و لم نظرت إلی غفله إخوته و لم تنظر إلی حفظی؟»

و قول أمیر المؤمنین(ع) لرجل قال عند النزع:أجدنی أخاف ذنوبی و أرجو رحمه ربی:«ما اجتمعا فی قلب عبد فی هذا الموطن إلا أعطاه اللّه ما رجا و أمنه مما یخاف»

(۱)

،

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه تعالی یقول للعبد یوم القیامه،ما منعک إذ رأیت المنکر أن تنکره؟فإن لقنه اللّه حجته،قال:رب رجوتک و خفت الناس،فیقول اللّه:قد غفرته لک».

و ما روی عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أن رجلا یدخل النار فیمکث فیها ألف سنه ینادی یا حنان یا منان،فیقول اللّه لجبرئیل:اذهب فأتنی بعبدی،فیجیء به،فیوقفه علی ربه،فیقول اللّه له:کیف وجدت مکانک؟فیقول:شر مکان،فیقول:رده إلی مکانه.قال:فیمشی و یلتفت إلی ورائه،فیقول اللّه عز و جل:إلی أی شیء تلتفت؟فیقول:لقد رجوت ألا تعیدنی إلیها بعد إذ أخرجتنی منها،فیقول اللّه تعالی:اذهبوا به إلی الجنه».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال اللّه تعالی:لا یتکل العاملون علی أعمالهم التی یعملونها لثوابی،فإنهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم أعمارهم فی عبادتی،کانوا مقصرین غیر بالغین فی عبادتهم کنه عبادتی،فیما یطلبون عندی من کرامتی،و النعیم فی جناتی،و رفیع الدرجات العلی فی جواری،و لکن برحمتی فلیثقوا،و إلی حسن الظن بی فلیطمئنوا،و فضلی فلیرجوا (۲)،فإن رحمتی عند ذلک تدرکهم،و منی یبلغهم رضوانی،و مغفرتی تلبسهم عفوی فإنی أنا اللّه الرحمن الرحیم و بذلک تسمیت».

و عن أبی جعفر(ع)قال:

۱- ۱) روی(احیاء العلوم:ج ۴ ص ۱۲۵)هذا الحدیث عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-.

۲- ۲) فی الکافی فی(باب حسن الظن باللّه عز و جل)تقدیم و تأخیر عما هنا، فقد جاء فیه:«و فضلی فلیرجوا و إلی حسن الظن بی فلیطمئنوا».

«وجدنا فی کتاب علی(ع)أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال و هو علی منبره.و الذی لا إله إلا هو ما أعطی مؤمن قط خیر الدنیا و الآخره إلا بحسن ظنه باللّه و رجائه له و حسن خلقه و الکف عن اغتیاب المؤمنین و الذی لا إله إلا هو لا یعذب اللّه مؤمنا بعد التوبه و الاستغفار إلا بسوء ظنه باللّه و تقصیره من رجائه و سوء خلقه و اغتیابه للمؤمنین،و الذی لا إله إلا هو لا یحسن ظن عبد مؤمن باللّه إلا کان اللّه عند ظن عبده المؤمن،لان اللّه کریم بیده الخیرات یستحیی (۱)أن یکون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم یختلف ظنه و رجاءه،فأحسنوا باللّه الظن و ارغبوا إلیه».

(الثالث)ما ورد فی استغفار الملائکه و الأنبیاء للمؤمنین

کقوله تعالی:

وَ الْمَلاٰئِکَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِی الْأَرْضِ

(۲)

.

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:«حیاتی خیر لکم و موتی خیر لکم،أما حیاتی فأسن لکم السنن و أشرع لکم الشرائع،و أما موتی فإن أعمالکم تعرض علی،فما رأیت منها حسنا حمدت اللّه علیه و ما رأیت منها سیئا استغفرت اللّه لکم».

(الرابع)ما ورد فی تأجیل المذنب إلی أن یستغفر،

کقول الباقر-علیه السلام:«إن العبد إذا أذنب أجل من غدوه إلی اللیل،فإن استغفر لم یکتب علیه» (۳).

و قول الصادق(ع):«من عمل سیئه أجل فیها

۱- ۱) فی الکافی فی(باب حسن الظن):(یستحی).

۲- ۲) الشوری،الآیه:۵.

۳- ۳) روی الکافی فی(باب الاستغفار من الذنب)هذا الحدیث عن الصادق-علیه السلام-.

سبع ساعات من النهار،فإن قال: أستغفر اللّه الذی لا إله إلا هو الحی القیوم و أتوب إلیه ثلاث مرات، لم تکتب علیه».

(الخامس)ما ورد فی شفاعه النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-

کقوله تعالی:

وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ

(۱)

.

و قد ورد فی تفسیره أنه لا یرضی محمد و واحد من أمته فی النار،

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ادخرت شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی» ،و کذا ما ورد فی شفاعه الأئمه و المؤمنین.

(السادس)ما ورد من البشارات للشیعه و من عدم خلودهم فی النار،

و من أن حب النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و العتره الطاهره ینجیهم من العذاب،و إن فعلوا ما فعلوا.

(السابع)ما دل علی أن النار إما أعدها اللّه لأعدائه من الکافرین،

و إنما یخوف بها أولیاءه،کقوله تعالی.

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذٰلِکَ یُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهِ عِبٰادَهُ

(۲)

،و قوله: وَ اتَّقُوا النّٰارَ الَّتِی أُعِدَّتْ لِلْکٰافِرِینَ (۳)و قوله: لاٰ یَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَی الَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی (۴).

ص: ۲۸۶

۱- ۱) الضحی،الآیه:۵.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۱۶.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۳۱.

۴- ۴) اللیل،الآیه:۱۵-۱۶.

(الثامن)ما ورد فی سعه عفو اللّه و مغفرته و وفور رأفته و رحمته،

کقوله:

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلیٰ ظُلْمِهِمْ

(۱)

و ما روی فی تفسیر قوله تعالی:

یَوْمَ لاٰ یُخْزِی اللّٰهُ النَّبِیَّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ

(۲)

«أن اللّه أوحی إلی نبیه:أنی أجعل حساب أمتک إلیک،فقال:لا یا رب!أنت خیر لهم منی (۳)،فقال إذن لا أخزیک فیهم»

و ما روی:«أنه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال یوما: یا کریم العفو!فقال جبرئیل:أ تدری ما تفسیر یا کریم العفو؟هو:أنه یعفو عن السیئات برحمته ثم یبدلها حسنات بکرمه» (۴).

و ما ورد: أن العبد إذا أذنب فاستغفر،یقول اللّه لملائکته:

انظروا إلی عبدی أذنب ذنبا،فعلم أنه له ربا یغفر الذنوب و یأخذ بالذنب أشهدکم أنی قد غفرت له.

و ما ورد فی الخبر القدسی: إنما خلقت الخلق لیربحوا علی،و لم أخلقهم لأربح علیهم» .

و ما ورد من«أنه لو لم یذنبوا، لخلق اللّه تعالی خلقا یذنبون لیغفر لهم

و قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«و الذی نفسی بیده.اللّه أرحم بعبده المؤمن من الوالده الشفیقه بولدها»

و ما ورد من«أنه سبحانه لیغفرن یوم القیامه مغفره ما خطرت قط علی قلب أحد حتی أن إبلیس یتطاول لها رجاء أن تصیبه». و الآیات و الاخبار الوارده فی هذا المعنی متجاوزه عن حد التواتر.

۱- ۱) الرعد،الآیه ۶.

۲- ۲) التحریم،الآیه ۸.

٣- ٣) فی(احیاء العلوم:ج ۴ ص ١٢٨)هکذا:«أنت أرحم بهم منی»، و کذا بدل لا أخزیک:«لا نخزیک».

۴- ۴) فی(إحیاء العلوم:ص ١٢٩ من ج ۴)هکذا:«هو إن عفا عن السیئات برحمته بدلها حسنات بکرمه».

(التاسع)ما دل على أن ابتلاء المؤمن فی الدنیا بالبلایا و الأمراض کفاره لذنوبه،

کقوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «الحمی من قیح جهنم، و هی حظ المؤمن من النار».

(العاشر)-ما ورد فی أن الإیمان لا یضر معه عمل،

کما أن الکفر لا ینفع معه عمل،و فی أنه قد یغفر اللّه عبدا و یدخله الجنه لأجل مثقال ذره من الإیمان أو عمل جزئی من الأعمال الصالحه.

(الحادی عشر)ما ورد فی الترغیب علی حسن الظن باللّه،

کقوله -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا یموتن أحدکم إلا و هو یحسن الظن باللّه»

و قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «یقول اللّه تعالی:أنا عند ظن عبدی بی فلیظن بی ما شاء».

و قول الرضا(ع): «أحسن الظن باللّه،فإن اللّه عز و جل یقول:أنا عند ظن عبدی لی،إن خیرا فخیر و إن شرا فشر».

و قول الصادق(ع): «حسن الظن باللّه:ألا ترجو إلا اللّه،و لا تخاف إلا ذنبک» و قد تقدم بعض أخبار أخر فی هذا المعنی.ثم إیجاب حسن الظن للرجاء و جلبه له مما لا ریب فیه.

(الثانی عشر)ما دل علی أن الکافر أو النصاب یکونون یوم القیامه فداء للمؤمنین أو الشیعه،

کما روی أنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال:

«أمتی أمه مرحومه لا عذاب علیها فی الآخره،و عجل عقابها فی الدنیا بالزلزال و الفتن،فإذا کان یوم القیامه دفع إلی کل رجل من أمتی رجل من أهل الکتاب، فقیل هذا فداؤک من النار».

و عن أهل البیت-علیهم السلام-: «أن النصاب یجعلون فداء لشیعتنا بظلمهم إیاهم و وقیعتهم فیهم».

و عن الصادق(ع): «سیؤتی بالواحد من مقصری شیعتنا فی أعماله،بعد أن صان الولایه و التقیه و حقوق إخوانه،و یوقف بإزائه ما بین مائه و أکثر من ذلک إلی مائه ألف من النصاب،فیقال

له:هؤلاء فداؤك من النار،فيدخل هؤلاء المؤمنون إلى الجنه و أولئك النصاب إلى النار،و ذلك ما قال اللّه تعالى:

رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ

(۱)

فى الدنيا منقادين للإمامه،ليجعل مخالفوهم من النار فداءهم».

و أما(الثانى)-أعنى ما يدل على أن رجاء المغفره و العفو و الرحمه إنما هو بعد العمل

-فأكثر من أن يحصى،كقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ

(۲)

و قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا (۳).

و قول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت،و الأحمق من اتبع نفسه هواها و تمنى على اللّه الجنه».

و ما روى عن الصادق عليه السلام أنه قيل له:قوم يعملون بالمعاصى و يقولون:نرجوا فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت،فقال:«هؤلاء قوم يترجحون فى الأمانى كذبوا ليسوا براجين،«إن» (۴)من رجا شيئا طلبه،و من خاف من شىء هرب منه»

و عن على بن محمد،قال: قلت له عليه السلام:إن قوما من مواليك يلمون بالمعاصى و يقولون نرجوا،فقال:«كذبوا،ليسوا لنا بموال

۱- ۱) الحجر،الآيه:۲.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۱۸.

۳- ۳) الأعراف،الآيه:۱۶۹.

۴- ۴) روى الحديث فى الكافى(باب الرجاء)و ليس فيه كلمه«إن».

أولئك قوم ترجحت بهم الأمانی.من رجا شیئا عمل له،و من خاف شیئا هرب منه».

و عنه قال: «لا یکون المؤمن مؤمنا حتی یکون خائفا راجیا،و لا یکون خائفا راجیا حتی یکون عاملا لما یخاف و یرجو».

فصل مواقع الخوف و الرجاء و ترجیح أحدهما علی الآخر

قد عرفت أن الخوف و الرجاء محمودان،لکونهما باعثین علی العمل، و دواءین یداوی بهما أمراض القلوب،فضل کل منهما إنما هو بحسب ما یترتب علیه من فائده العمل و معالجه المرض.

و هذا یختلف باختلاف الأشخاص:فمن کان تأثیر الخوف فی بعثه علی العمل أکثر من تأثیر الرجاء فیه،فالخوف له أصلح من الرجاء و من کان بالعکس فبالعکس و من غلب علیه مرض الأمن من مکر اللّه و الاغترار به، فالخوف له أصلح.و من غلب علیه الیأس و القنوط،فالرجاء له أصلح.و من انهمک فی المعاصی،فالخوف له أصلح.و من ترک ظاهر الإثم و باطنه و خفیه و جلیه،فالأصلح له أن یعتدل خوفه و رجاؤه.

و الوجه فی ذلک:أن کل ما یراد به المقصود،ففضله إنما یظهر بالإضافه إلی مقصوده لا إلی نفسه،فلو فرض تساویهما فی البعث علی العمل و لم یغلب شیء من المذکورات،فالأصلح اعتدالهما،

کما قال أمیر المؤمنین علیه السلام لبعض ولده: «یا بنی!خف اللّه خوفا تری أنک إن أتیته بحسنات أهل الأرض لم یتقبلها منک،و ارج اللّه رجاء کأنک لو أتیته بسیئات أهل الأرض غفرها لک».

و قال الباقر علیه السلام: «لیس من عبد مؤمن إلا و فی قلبه نوران:نور خیفه،و نور رجاء،لو وزن هذا لم یزد علی هذا،و قد جمع اللّه سبحانه بینهما فی وصف من أثنی علیهم،فقال:یدعون ربهم خوفا و طمعا

و قال:یدعوننا رغبا و رهبا».

و عن الحارث بن المغیره قال: قلت للصادق علیه السلام:ما کان فی وصیه لقمان؟قال:«کان فیها الأعاجیب،و کان أعجب ما کان فیها أن قال لابنه:خف اللّه عز و جل خیفه لو جئته ببر الثقلین لعذبک،و ارج اللّه رجاء لو جئته بذنوب الثقلین لرحمک»،ثم قال علیه السلام: «کان أبی علیه السلام یقول:إنه لیس من عبد مؤمن إلا و فی قلبه نوران.نور خیفه،و نور رجاء،لو وزن هذا لم یزد علی هذا،و لو وزن هذا لم یزد علی هذا».

و قال علیه السلام: «الخوف رقیب القلب،و الرجاء شفیع النفس،و من کان باللّه عارفا کان من اللّه خائفا و إلیه راجیا،و هما جناحا الإیمان،یطیر العبد المحلق بهما إلی رضوان اللّه،و عینا عقله،یبصر بهما إلی وعد اللّه و وعیده، و الخوف طالع عدل اللّه و ناعی وعیده،و الرجاء داعی فضل اللّه،و هو یحیی القلب،و الخوف یمیت النفس...و من عبد اللّه علی میزان الخوف و الرجاء لا یضل،و یصل إلی مأموله،و کیف لا یخاف العبد و هو غیر عالم بما تختم صحیفته،و لا له عمل یتوسل به استحقاقا،و لا قدره له علی شیء و لا مفر، و کیف لا یرجو و هو یعرف نفسه بالعجز،و هو غریق فی بحر آلاء اللّه و نعمائه من حیث لا تحصی و لا تعد،و المحب یعبد ربه علی الرجاء بمشاهده أحواله بعین سهر (۱)،و الزاهد یعبد علی الخوف» (۲).

۱- ۱) هکذا فی نسخ هذا الکتاب و نسخه البحار،و لم نعثر علی استعمال (سهر)للمبالغه فی معنی ساهره.

۲- ۲) هذه الروایه نقلها فی البحار(الجزء الثانی من المجلد ۱۵ فی باب الخوف و الرجاء)عن مصباح الشریعه.و قد تقدم رأی صاحب البحار فی مصباح الشریعه ص ۱۲۱ فی تعلیقتنا و هذه الروایه ظاهره أنها لیست من أسلوب کلام الإمام-علیه السلام-.

و قد ظهر مما ذكر:أن الرجاء أصلح و أفضل فی موضعین:(أحدهما)فی حق من تفتر نفسه عن فضائل الأعمال و یقتصر علی الفرائض،و کان الرجاء باعثا له علی التشمیر و النشاط للطاعات،و مثله ینبغی أن یرجی نفسه نعم اللّه تعالی و ما وعد اللّه به الصالحین فی العلیین،حتی ینبعث من رجائه نشاط العباده. (و ثانیهما)فی حق العاصی المنهمک إذا خطر له خاطر التوبه،فیقنطه الشیطان من رحمه اللّه،و یقول له:کیف تقبل التوبه من مثلک؟فعند هذا یجب علیه أن یقمع قنوطه بالرجاء و یتذکر ما ورد فیه،کقوله تعالی:

لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ

(۱)

و قوله: وَ إِنِّی لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ (۲).

و یتوب و یتوقع المغفره مع التوبه لا-بدونها،إذ لو توقع المغفره مع الإصرار کان مغرورا.و الرجاء الأول یقمع الفتور المانع من النشاط و التشمیر و الثانی یقطع القنوط المانع من التوبه.

فصل العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف

العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف،لأن أقرب العباد أحبهم إلیه، و الحب یغلب بالرجاء.و اعتبر ذلک بملکین یخدم أحدهما خوفا من عقابه و الآخر رجاء لعطائه،و لذلک عیر اللّه أقواما یظنون السوء باللّه،قال:

وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ أَرْدٰاکُمْ

(۳)

.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۵۳

۲- ۲) طه،الآیه:۸۲.

۳- ۳) فصلت،الآیه:۲۳.

و قال:

وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ اَلسَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً

(۱)

و ورد فی الرجاء و حسن الظن ما ورد- کما تقدم-

و فی الخبر: «أن اللّه تعالی أوحی إلی داود:أحبنی و أحب من یحبنی و حببنی إلی خلقی،فقال:

یا رب!کیف أحببک إلی خلقک؟قال:اذکرنی بالحسن الجمیل،و اذکر آلائی و إحسانی،و ذکرهم ذلک،فإنهم لا یعرفون منی إلا الجمیل». و رأی بعض الأکابر فی النوم-و کان یکثر ذکر أبواب الرجاء-فقال:«أوقفنی اللّه بین یدیه،فقال:ما الذی حملک علی ذلک؟فقلت:أردت أن أحببک إلی خلقک.فقال:قد غفرت لک».

هذا مع أن الرجاء أفضل من الخوف للعبد بالنظر إلی مطلعهما،إذ الرجاء مستقی من بحر الرحمه و الخوف مستقی من بحر الغضب.و من لاحظ من صفات اللّه ما یقتضی اللطف و الرحمه کانت المحبه علیه أغلب،و لیس وراء المحبه مقام.و أما الخوف فمستنده الالتفات إلی الصفات التی تقتضی الغضب فلا تمازجه المحبه کممازجتها للرجاء.نعم،لما کانت المعاصی و الاغترار علی الخلق أغلب،(لا)سیما علی الموجودین فی هذا الزمان،فالأصلح لهم غلبه الخوف،بشرط ألا یخرجهم إلی الیأس و قطع العمل،بل یحثهم علی العمل، و یکدر شهواتهم،و یزعج قلوبهم عن الرکون إلی دار الغرور،و یدعوهم إلی التجافی عن عالم الزور،إذ مع غلبه المعاصی علی الطاعات لا ریب فی أصلحیه الخوف،(لا)سیما أن الآفات الخفیه:من الشرک الخفی،و النفاق،و الریاء و غیر ذلک من خفایا الأخلاق الخبیثه فی أکثر الناس موجوده،و محبه الشهوات و الحطام الدنیوی فی بواطنهم کامنه،و أهوال سکرات الموت و اضطراب

۱- ۱) الفتح،الآیه:۱۱.

الاعتقاد عنده ممكنه،و مناقشات الحساب و رد أعمالهم الصالحه لأسباب خفيه محتمله، فمن عرف حقائق هذه الأمور،فإن كان ضعيف القلب جبانا فی نفسه غلب خوفه علی رجائه،و إن كان قوی القلب ثابت الجأش تام المعرفه استوی خوفه و رجاؤه.و أما أن يغلب رجاؤه فلا-بل غلبته إنما هو من الاغترار و قله التدبر،كما فی غالب الناس،بل الأصلح لهم غلبه الخوف، و لكن قبل الإشراف علی الموت،و أما عنده فالأصلح لهم غلبه الرجاء و حسن الظن،لأن الخوف جار مجری السوط الباعث علی العمل،و قد انقضی وقته و هو لا يطيق هنا أسباب الخوف،لأنها تقطع نياط قلبه و تعين علی تعجيل موته و أما روح الرجاء فيقوی قلبه و يحبب إليه ربه الذی إليه رجاؤه.

و ينبغی أن لا يفارق أحد الدنيا إلا محبا للّه،ليكون محبا للقائه،و من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه،و من أحب اللّه و لقاءه،و علم أنه تعالی أيضا يحب لقاءه،اشتقاق إليه تعالی،و كان فرحانا بالقدوم عليه،إذ من قدم علی محبوبه عظم سروره بقدر محبته،و من فارق محبوبه اشتد عذابه و محنته،فمهما كان الغالب علی القلب عند الموت حب الأهل و الولد و المال كانت محابه كلها فی الدنيا،فكانت الدنيا جنته،إذ الجنه هی البقعه الجامعه لجميع المحاب، فكان موته خروجا عن الجنه و حيلوله بينه و بين ما يشتهيه.و هذا أول ما يلقاه كل محب للدنيا،فضلا عما أعد اللّه له من ضرور الخزی و النكال و السلاسل و الأغلال. و أما إذا لم يكن له محبوب سوی اللّه و سوی معرفته و حبه و أنسه،فالدنيا و علائقها شاغله له عن المحبوب،فالدنيا أول سجنه،إذ السجن هی البقعه المانعه عن الوصول إلی محابه،فموته خلاص له من السجن و قدوم علی المحبوب،و لا يخفی حال من خلص من السجن و خلی بينه و بين محبوبه، و هذا أول ابتهاج يلقاه من كان محبا للّه غير محب للدنيا و ما فيها،فضلا عما

أعده اللّه مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

فصل مداواه الناس بالخوف أو الرجاء على اختلاف أمراضهم

قد عرفت أن المحتاج إلى تحصيل دواء الرجاء من غلب عليه اليأس فترك العباده أو غلب عليه الخوف فأسرف فيها حتى أضر بنفسه و أهله.و أما المنهمكون فى طغيان الذنوب و المغرورون بما هم فيه من الفساد و الخوف -كأكثر أبناء زماننا-فأدويه الرجاء بالنسبه إليهم سموم مهلكه،إذ لا يزداد سماعهم لها إلا تماديا فى طغيانهم و فسادا فى فسادهم و عصيانهم،فواعظ الخلق ينبغى أن يعرف أمراضهم و ينظر إلى مواقع عللهم،و يعالج كل عله بما يضادها لا بما يزيدها،ففى مثل هذا الزمان ينبغى ألا يذكر لهم بواعث الرجاء،بل يبالغ فى ذكر أسباب الخوف،لئلا يهلكهم و يرديهم بالكليه،و لا يقصد بموعظته استماله القلوب و توقع الثناء من الناس،فينتقل إلى الترغيب على الرجاء لكونه أخف على القلوب و ألذ عند النفوس،فيهلك و يهلكهم و يضل و يضلهم.

و بالجمله:الطريق إلى تحصيل الرجاء لمن يحتاج إليه:أن يتذكر الآيات و الأخبار المتواتره الوارده فيه و فى سعه رحمته و وفور عفوه و رأفته-كما تقدم شطر منها-ثم يتأمل فى لطائف نعمائه و عجائب آلائه لعباده فى دار الدنيا،حتى أعد لهم كل ما هو ضرورى لهم فى دوام الوجود،بل لم يترك لهم شيئا جزئيا يحتاجون إليه نادرا يفوت بفقده ما هو الأصلح الأولى لهم من الزينه و الجمال.فإذا لم تقصر العنايه الإلهيه عن عباده فى جميع ما يحب و يحسن لهم من اللطف و الإحسان فى دار الدنيا-و هى حقيقه دار البليه و المحنه

لا دار النعمه و الراحه-و لم يرض أن يفوته شيء من المزائد و المزايا فى الحاجه و الزينه،فكيف يرضى فى دار الآخره التى هى دار الفيض و الجود بسياقهم إلى الهلاک المؤبد و العذاب المخلد،مع أنه تعالى أخبر بأن رحمته سابقه على غضبه؟!و أقوى ما يجلب به الرجاء أن يعلم أن اللّه تعالى خير محض لا شريه فيه أصلا،و فياض على الإطلاق،و إنما أوجد الخلق لإفاضه الجود و الإحسان عليهم،فلا بد أن يرحمهم و لا يبقيهم فى الزجر الدائم.

از خير محض جز نكوئى نايد

خوش باش كه عاقبت نكو خواهد شد (۱)

و منها:

صغر النفس

و هو ملكه العجز عن تحمل الواردات،و هو من نتائج الجبن،و من خبائث الصفات.و تلزمه الذله و المهانه،و عدم الاقتحام فى معالى الأمور، و المسامحه فى النهى عن المنكر و الأمر بالمعروف،و الاضطراب بعروض أدنى شيء من البلايا و المخاوف.

و قد ورد فى الأخبار بأن المؤمن بریء عن ذله النفس،

قال الصادق عليه السلام: «إن الله عز و جل فوض إلى المؤمن أموره كلها و لم يفوض إليه أن يكون ذليلا:أ ما تسمع اللّه تعالى يقول:

وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ

(۲)

فالمؤمن يكون عزيزا و لا يكون ذليلا،إن المؤمن أعز من الجبل،

۱- ۱) و حاصل معنى هذا البيت!(أن الخير المحض لا يصدر عنه إلا الجميل فكن مطمئنا أن عاقبتک ستكون إلى الجميل).

۲- ۲) المنافقون،الآيه:۸.

الجبل يستقل منه (۱)بالمعاول و المؤمن لا يستقل من دينه شیء».

و قال(ع) «إن اللّه فوض إلی المؤمن کل شیء إلا إذلال نفسه». و قد وردت بهذا المضمون أخبار أخر.و علاجه ما تقدم فی معالجه الجبن.

وصل کبر النفس و صلابتها

و ضده(کبر النفس و صلابتها)،و قد عرفت أنه ملکه التحمل لما یرد علیه کائنا ما کان.و قد دلت الأخبار علی أن المؤمن ذو صلابه و عزه و مهابه، و کل ذلک فرع کبر النفس.

قال الباقر(ع): «المؤمن أصلب من الجبل»،

و قال(ع): «إن اللّه أعطی المؤمن ثلاث خصال:العز فی الدنیا و الآخره، و الفلح فی الدنیا و الآخره،و المهابه فی صدور الظالمین». و صاحب هذه الملکه لا یبالی بالکرامه و الهوان،و یتساوی عنده الفقر و الیسار و الغنی و الإعسار،بل الصحه و المرض و المدح و الذم،و لا یتأثر بتقلب الأمور و الأحوال.و هی ملکه شریفه لیست شریعه لکل وارد،و لا یصل إلیها إلا واحد بعد واحد،بل لا یحوم حولها إلا أوحدی من أفاضل الحکماء،أو المعی قوی القلب من أماثل العرفاء.و طریق تحصیلها-بعد تذکر شرافتها-أن یتکلف فی المواظبه علی آثارها و الاجتناب عما ینافیها، حتی تحصل بالتدریج.

---

۱ - ۱) تقدم فی صفحه(۲۰۸)مضمون هذا الحدیث،و رجعنا فیه کلمه (یستفل)بدل(یستقل)و فسرناها ثم بعد التحقیق وجدنا ذلک الحدیث المتقدم فی أصول الکافی فی باب صفات المؤمن بکلمه(یستقل)-بالقاف-و کذلک نسخ جامع السعادات هنا و هناک.و جاء فی البحار(الجزء الأول من المجلد ۱۵- باب علامات المؤمن و صفاته ص ۵۹۶)فی شرح هذا الحدیث هکذا:«الجبل یستقل منه:من القله،أی ینقص و یؤخذ منه بعضه بالفأس و المعول و نحوهما»

تتميم الثبات أخص من كبر النفس

قد عرفت أن الثبات أخص من كبر النفس،و هو ملكه التحمل على الخوض فى الأهوال،و قوه المقاومه مع الشدائد و الآلام،بحيث لا يعتريه الانكسار،و إن زادت و كثرت.و ضده الاضطراب فى الأهوال و الشدائد، و من جمله الثبات فى الإيمان،و هو اطمئنان النفس فى عقائدها، بحيث لا يتزلزل فيها بالشبهات،قال اللّه تعالى:

يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَهِ

(۱)

.

و هذا الاطمئنان من شرائط كسب الكمال و فضائل الأعمال،إذ ما لم تستقر النفس على معتقداتها فى المبدإ و المعاد لم يحصل لها العزم البالغ على تحصيل ما يتوقف فائدته عليها فمن ليس له هذا الثبات لا تجده ثابتا و مواظبا على شيء من الأعمال الفاضله،بل هو:

كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرانَ

(۲)

.

و المتصف به مواظب لها دائما من غير فتور.و عدم هذا الثبات لعدم البصيره الباطنه أو لضعف فى النفس.فوجوده يحصل من المعرفه و قوه النفس، فهو من فضائل العاقله و قوه الغضب،و عدمه من رذائل إحداهما أو كليهما،

۱- ۱) إبراهيم،الآيه:۲۷.

۲- ۲) الانعام،الآيه:۷۱.

و منها:

دناءه الهمه

و هو قصور النفس عن طلب معالی الأمور و قناعتها بأدانیها،و هو من نتائج ضعف النفس و صغرها.و ضده(علو الهمه).و هو ملکه السعی فی تحصیل السعاده و الکمال و طلب معالی الأمور،من دون ملاحظه منافع الدنیا و مضارها،حتی لا یعتریه السرور بالوجدان و لا الحزن بالفقدان،بل لا یبالی فی طریق الطلب بالموت و القتل و أمثالهما.و صاحب هذه الملکه هو المؤمن الحقیقی الشائق للموت،و الموت تحفه له،و أعظم سرور یصل إلیه، کما ورد فی الأخبار.و هو الذی یقول:

آن مرد نیم کز عدمم بیم آید

کان بیم مرا خوشتر از این بیم آید

جانی است مرا بعاریت داده خدا

تسلیم کنم چو و قد تسلیم آید (۱)

و یقول:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آی

تا در آغوشش در آرم تنگ تنگ

ص :۲۹۹

---

۱ – ۱) الأبیات کلها ل(حافظ الشیرازی)المتقدم ذکره.و معنی البیتین: (لست بذلک الرجل الذی یخشی من فناء نفسه،فإن ما أخشی منه–و هو الموت–أحسن عندی من نفس الخوف منه،لأن نفسی قد أعارنیها اللّه تعالی، فعلی أن أسلمها عند ما یطلب تسلیم العاریه).

من از آن عمری ستانم جاودان

آن ز من دلقی ستاند رنگ رنگ (۱)

و يقول:

اين جان عاريت كه بحافظ سپرده دوست

روزی رخش ببینم و تسلیم وی کنم (۲)

و هذه الملكه من نتائج كبر النفس و شجاعتها،و هى أعظم الفضائل النفسانيه،إذ كل من وصل إلى المراتب العظيمه و الأمور العاليه فإنما وصل إليها لأجلها،إذ صاحبها لا يرضى بالمراتب الدنيه،و يشمر لتحصيل المراتب العاليه و الأمور المتعاليه،و فى جوهر الإنسان و جبلته أن يصل إلى كل ما يجتهد فى طلبه:

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا

(۳)

.

من طلب الشىء و جدّ وجد.و من أفراد علو الهمه الشهامه،و هو الحرص على اقتناء عظائم الأمور توقعا لجميل الذكر على مر الدهور.

و منها:

عدم الغيره و الحميه

و هو الإهمال فى محافظه ما يلزم محافظته:من الدين،و العرض، و الأولاد،و الأموال.و هو من نتائج صغر النفس و ضعفها،و من المهلكات العظيمه،و ربما يؤدى إلى الدياثه و القياده.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه

ص:۳۰۰

۱- ۱) معنى البيتين:(لو أن الموت رجل،فقل له:يأتينى حتى أحتظنه شوقا إليه، و ألزه لزا،و ذلك لأنى آخذ منه الحياه الخالده و يأخذ منى هذه الزخارف الفانيه للوارث).

۲- ۲) معنى البيت:(أن هذه النفس العاريه التى أمنها الحبيب عند حافظ-و يعنى نفسه- لا بد أن أسلمها فى يوم من الأيام عند ما

أری وجه الحبیب-یعنی بالحبیب:اللّه تعالی)

۳- ۳) العنکبوت،الآیه:۶۹.

و آله و سلم- إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا غير الرجل فى أهله أو بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر، بعث اللّه إليه طائرا يقال له(القندر)حتى يسقط على عارضه بابه،ثم يمهله أربعين يوما،ثم يهتف به:إن اللّه غيور يحب كل غيور،،فإن هو غار و غير و أنكر ذلك فأكبره،و إلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه،فينزع اللّه منه بعد ذلك روح الإيمان،و تسميه الملائكه:

الديوث».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «كان إبراهيم غيورا و أنا أغير منه،و جدع اللّه أنف من لا يغار على المؤمنين و المسلمين».

و قال أمير المؤمنين(ع): «يا أهل العراق!نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال فى الطريق، أ ما تستحيون؟».

و قال(ع): «أ ما تستحيون و لا تغارون،نساؤكم يخرجن إلى الأسواق و يزاحمن العلوج؟».

وصل الغيره و الحميه

و ضده(الغير و الحميه)،و هو السعى فى محافظه ما يلزم محافظته،و هو من نتائج الشجاعه و كبر النفس و قوتها.و هى شرائف الملكات،و بها تتحقق الرجوليه و الفحليه،و الفاقد لها غير معدود من الرجال.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن سعدا لغيور،و أنا أغير من سعد،و اللّه أغير منى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه لغيور،و لأجل غيرته حرم الفواحش»

و قال: «إن اللّه يغار،و المؤمن يغار،و غيره اللّه أن يأتى الرجل المؤمن ما حرم اللّه عليه».

و قال الصادق(ع): «إن اللّه تعالى غيور و يحب الغيره،و لغيرته حرم الفواحش ظاهرها و باطنها».

فصل الغیره علی الدین و الحریم و الأولاد

مقتضی الغیره و الحمیه فی(الدین)

أن یجتهد فی حفظه عن بدع المبتدعین،و انتحال المبطلین،و قصاص المرتدین،و إهانه من یستخف به من المخالفین،و رد شبه الجاحدین،و یسعی فی ترویجه و نشر أحکامه،و یبالغ فی تبیین حلاله و حرامه،و لا یتسامح فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و مقتضی الغیره علی(الحریم)

ألا یتغافل عن مبادئ الأمور التی تخشی غوائلها،فیحفظهن عن أجانب الرجال،و یمنعهن عن الدخول فی الأسواق.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-لفاطمه(ع):«أی شیء خیر للمرأه؟قالت:أن لا تری رجلا و لا یراها رجل.فضمها إلیه،و قال:

ذریه بعضها من بعض». و کان أصحاب النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم- یسدون الثقب و الکوی فی الحیطان،لئلا تطلع النساء علی الرجال.

و قال -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من أطاع امرأته أکبه اللّه علی وجهه فی النار»

و ما روی أنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:أذن للنساء فی حضور المساجد، و قال:«لا تمنعوا إماء اللّه مساجد اللّه»، فالظاهر انه کان مختصا بنساء عصره-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:لعلمه بعدم ترتب فساد علی حضورهن فیها.و الصواب الیوم أن یمنع من حضور المساجد و الذهاب إلی المشاهد إلا العجائز منهن،للقطع بترتب الفساد و المعصیه علی خروج نساء هذا العصر إلی أی موضع کان.

و سئل الصادق(ع)عن خروج النساء فی العیدین، فقال:«لا!إلا العجوز علیها منقلاها» ،یعنی الخفین.

و فی روایه أخری أنه(ع):«سئل عن خروج النساء فی العیدین و الجماعه،فقال:لا! إلا امرأه مسنه».

و بالجمله:من اطلع على أحوال نساء أمثال عصرنا يعلم أن مقتضى الغيره أن يبالغ فى حفظهن عن جميع ما يحتمل أن يؤدى إلى فتنه و فساد،سواء كان فى نفسه محرما كالنظر إلى الرجال الأجانب و استماع كلامهم بلا ضروره شرعيه و ارتكاب الملاهى المحرمه،أولا،كالخروج عن البيت بلا داع شرعى أو ضرورى،و لو إلى المساجد و المشاهد المشرفه و مجامع تعزيه مولانا أبى عبد اللّه الحسين(ع)،إذ ذلك و إن كان فى نفسه راجحا إلا أن الغالب عدم انفكاكه عما ينافى الغيره و الحميه على ما هو المشاهد فى عصرنا،فإن أقل ما فى الباب أنه لا ينفك عن نظرهن إلى الأجانب و استماع كلامهم،بل عن نظرهم إليهن و استماع كلامهن،و هذا خروج للطرفين إلى الانحراف عن قانون العفه مع أنا نعلم قطعا أن خروج أكثرهن لا يخلو عن غرض فاسد أو مرجوح، و ما أقل فيهن أن يكون خروجها إلى أحد المواضع المذكوره لمحض القربه و الثواب.فالصواب أن يمنعن فى أمثال هذا العصر عن مطلق الخروج،إلا إلى سفر واجب كالحج،أو إلى بيت عالم عادل لأخذ ما يجب عليهن من المسائل،إذا لم يتمكن أزواجهن من أخذها و إيصالها إليهن.نعم،لو فرض خروجها إلى أحد المشاهد أو إلى مجمع تعزيه من مجامع النساء بل إلى مجمع العرس على نحو اطمأن الزوج منها و تيقن عدم حدوث ما ينافى الغيره و عدم ترتب فساد و معصيه و ريبه عليه،فالظاهر جواز الإذن بل رجحانه.و جميع ذلك إنما هو فى الشواب من النساء،و أما العجائز فلا بأس بخروجهن إلى المواضع المذكوره!و مقتضى الغيره أن يمنعن من استماع الكلمات الملهيه و الحكايات المهيجه للشهوه،و عن مجالسه العجائز اللاتى يحضرن مجامع الرجال و ينقلن حكاياتهم و قصصهم لأنهن ناقصات العقل و الإيمان،و مع ذلك شهوتهن فى غايه القوه و الغلبه،فاستماعهن لشىء من المذكورات يوجب ثوران الشهوه

و هیجانها فیهن فلما لم یکن فیهن قاهر العقل و مانع الإیمان فربما أدی ذلک إلی فساد عظیم.و لذلک ورد فی الأخبار منعهن عن تعلم سوره یوسف(ع)، إذ استماعهن لأمثال القصه المذکوره فیها ربما أدی إلی انحرافهن عن طریق العفه.

قال أمیر المؤمنین(ع) «لا تعلموا نساءکم سوره یوسف و لا تقرءوهن إیاها فإن فیها الفتن،و علموهن سوره النور فإن فیها المواعظ».

و قال(ع):

«لا تحملوا الفروج علی السروج فتهیجوهن للفجور».

و قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تنزلوا النساء الغرف و لا تعلموهن الکتابه و علموهن الغزل و سوره النور».

و بالجمله:مقتضی العقل و النقل أن یمنعن عن جمیع ما یمکن أن یؤدی إلی فساد و ریبه،و عن مبادئ الأمور التی تخاف غوائلها،و ینبغی لصاحب الغیره أن یجعل نفسه مهیبا فی نظرها،حتی تکون منه علی خوف و حذر، و لا تطمئن منه فتتبع هواها و ما تقتضیه جبلتها،و أن یجعلها مشغوله فی کل وقت بأمر من الأمور،کتدبیر المنزل و إصلاح أمر المعیشه،أو بکسب من المکاسب،حتی یکون لها دائما شغل شاغل،و لا تکون فارغه عنه فی وقت من الأوقات،إذ لو خلت عن الأشغال و تعطلت عن المهمات أوقعها الشیطان فی أودیه الأفکار الردیه،فتمیل إلی الزینه و الخروج و التفرج،و النظر إلی أجانب الرجال،و الملاعبه و المضاحکه للنسوان،فینجر أمرها إلی الفساد، و ینبغی أیضا لصاحب الغیره أن یعطی امرأته ما تحتاج إلیه من القوت و اللباس و سائر الضروریات،حتی لا تضطر إلی ارتکاب ما لا ینبغی من الحرکات و الأفعال توصلا إلی أخذ شیء من ذلک من غیر زوجها.

ثم ینبغی ألا توقعه الغیره فی طرف الإفراط فیبالغ فی إساءه الظن و العتنت و تجسس البواطن،

فقد نهی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«أن يتبع عورات النساء و أن يتعنت بهن».

و فى الخبر المشهور: أن المرأه كالضلع،إن أردت أن تقيمه كسرته،فدعه تستمتع به على عوج».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من الغيره غيره يبغضها اللّه و رسوله،و هى غيره الرجل على أهله من غير ريبه»

و قال أمير المؤمنين(ع): «لا تكثر الغيره على أهلك فترمى بالسوء من أجلك».

و قال(ع) فى رسالته إلى الحسن (ع):«إياك و التغاير فى غير موضع الغيره،فإن ذلك يدعوهن إلى السقم، و لكن احكم أمرهن،فإن رأيت عيبا فعجل النكير على الصغير و الكبير،بأن تعاقب منهن البريئه فتعظم الذنب و تهون العيب». و بالجمله:لا ينبغى المبالغه فى الفحص و التفتيش،إذ لا ينفك ذلك عن سوء الظن الذى نهينا عنه،فإن بعض الظن إثم.

و أما مقتضى الغيره على(الأولاد):

أن تراقبهم من أول أمرهم، فاستعمل فى حضانه كل مولود له و إرضاعه امرأه صالحه تأكل الحلال،إذ الصبى الذى تتكون أعضاؤه من اللبن الحاصل من غذاء حرام يميل طبعه إلى الخبائث،لأن طينته انعجنت من الخبث.

و إذا بدأت فيه مخائل التمييز فينبغى أن يؤدب بآداب الأخيار.و لما كان أول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام،فينبغى أن يؤدب فيه بأن يؤمر بألا يأخذ إلا بيمينه،و يقول(باسم اللّه)عند أكله،و يأكل مما يليه،و لا يبادر إلى الطعام قبل غيره،و لا يحدق إلى الطعام و لا إلى من يأكل،و لا يسرع فى الأكل،و يمضغ الطعام مضغا جيدا،و لا يلطخ ثوبه و لا يده.

و يقبح عنده كثره الأكل بأن يذم كثير الأكل و يشبه بالبهائم،و يمدح الصبى الذى يقنع بالقليل و يحبب إليه الإيثار بالطعام و قله المبالاه به

و القناعه بأى طعام اتفق.ثم يؤدب فى أمر اللباس،حتى لا يخرج فيه عن زى الأبرار و أهل الورع،فيحبب إليه ثياب القطن و البيض،دون الإبريسم الملون،و يقرر عنده بأن ذلك شأن النساء و المخنثين،و الرجال يستنكفون منه،و يحفظ من الصبيان الذين تعودوا التنعم و الترفه و الزينه. ثم يؤدب فى الأخلاق و الأفعال و يبالغ فى ذلك،لأن الصبى إذا أهمل فى أول نشوه خرج فى الأكثر ردى الأخلاق و الأفعال،فيكون كذابا،حسودا،لجوجا، عنودا،سارقا،خائنا،ذا ضحك و فضول،و ربما صار مخنثا مائلا إلى الفسوق و الفجور.فينبغى أن يحفظ من قرناء السوء،و هو الأصل فى تأديبه.و يسلم إلى معلم دين صالح،يعلمه القرآن و أحاديث الأخيار و حكايات الأبرار، لينغرس فى نفسه حب الصالحين.و يحفظ عن الأشعار التى فيها ذكر الفسوق و أهله.إذ ذلك يغرس فى قلبه بذر الفساد.و ينبغى أن يعود الصبر و السكوت إذا ضربه المعلم،حتى لا يكثر الصراخ و الشغب و لا يستشفع بأحد حينئذ، و يذكر له أن ذلك دأب الرجال و الشجعان،و أن كثره الصراخ دأب المماليك و النسوان.و ينبغى أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب باللعب المباح الجميل حتى يستريح من تعب الأدب،و لا يموت قلبه،و لا ينقص ذكاء.و يعلم محاسن الأخلاق و الأفعال،و يجنب عن خبائث الصفات و رذائل الأعمال.

فيخوف من الحسد،و العداوه،و الجبن،و البخل،و الكبر،و العجب.

و يحذر من السرقه،و أكل الحرام،و الكذب،و الغيبه،و الخيانه،و الفحش، و اللعن،و السب،و لغو الكلام...و غير ذلك.و يرغب فى الصبر، و الشكر،و التوكل،و الرضا،و الشجاعه،و السخاء،و الصدق،و النصيحه...

و غير ذلك من محاسن الأخلاق و فضائلها.و يمدح عنده الأخيار و يذم الأشرار،حتى يصير الخير عنده محبوبا،و يصير الشر عنده مبغوضا.

ص :۳۰۶

و إذا بلغ سن التمييز،يؤمر بالطهاره و الصلاه و الصوم فى بعض الأيام من شهر رمضان،و يعلم أصول العقائد و كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع.و مهما ظهر منه خلق جميل أو فعل محمود،فينبغى أن يكرم عليه و يجازى لأجله بما يفرح به،و يمدح بين أظهر الناس.و إن ظهر منه فعل قبيح مره واحده ينبغى أن يتغافل عنه و لا يهتك ستره،و لا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله،(لا)سيما إذا ستره الصبى و اجتهد فى إخفائه، فإن إظهار ذلك ربما يفيده جساره حتى لا يبالى بالمكاشفه بعد ذلك،فإن عاد ثانيا إلى مثله،فينبغى أن يعاتب عليه سرا و يعظم الأمر فيه،و يقال له:إياك أن يطلع على فعلك هذا أحد فتفتضح عند الناس.و لا يكثر العتاب عليه حتى يسقط وقع الكلام من قلبه. و ليكن الأب حافظا هيبته فى الكلام و الحركات معه.و ينبغى للأم أن تخوفه بالأب.و ينبغى أن يمنع من كل ما يفعله خفيه، فإنه لا يخفيه إلا و هو يعتقد أنه قبيح،فإذا ترك يعود فعل القبيح.و يعود الوقار و الطمأنينه فى المشى و سائر الحركات و الأفعال،و عدم كشف أطرافه، و التواضع و الإكرام لكل من عاشره،و التلطف معه فى الكلام.و يعلم طاعه والديه،و معلمه،و مؤدبه،و كل من هو أكبر سنا منه،من قريب و بعيد،و يعود النظر إليهم بعين التعظيم و الجلاله و ترك اللعب بين أيديهم و يمنع من الفخر على أقرانه بشىء مما تملكه نفسه أو والده.و يخوف من أخذ شىء من الصبيان أو الرجال،أو يذكر له أن الرفعه فى العطاء،و الأخذ لؤم و خسه و مهانه و ذله،فإنه دأب الكلب،إذ هو يتبصبص فى انتظار لقمه، و يقبح عنده حب الذهب و الفضه،و يحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات و العقارب،اذ آفه حبهما أكثر من آفه السموم،و قد هلك لأجله كل من هلك العالم. و يعود ألا يبصق فى مجلسه،و لا يتمخط،و لا يتمطط،و لا

يتثأب بحضره غيره،و لا يستدبر غيره،و لا يضع رجلا على رجل و لا يضرب كفه تحت ذقنه،لأنه دليل الكسل.و يعلم كيفيه الجلوس و الحركه و السكون.و يمنع من النوم فى النهار،و من التنعم فى المفرش و الملبس و المطعم بل يعود الخشونه فيها حتى تنصلب أعضاؤه،و لا يستخف بدنه،و يذكر له أنها خلقت لدفع الضرر و الألم لا لأجل اللذه،و أن الأطعمه أدويه يتقوى الإنسان بها على عباده اللّه،و أن الدنيا كلها لا أصل لها و لا بقاء لها،و أن الموت يقطع نعيمها،و أنها دار ممر لا دار مقر.و أن الآخره هى دار القرار و محل الراحه و اللذات،و الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخره. و ينبغى أن يمنع من كثره الكلام،و من الكذب،و اليمين و لو كان صدقا،و من اللهو و اللعب و السخريه و كثره المزاح،و من أن يبتدئ بالكلام،و يعود ألا يتكلم إلا جوابا و بقدر السؤال،و أن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سنا منه،و أن يقوم لمن هو أكبر منه،و يوسع له المكان و يجلس بين يديه.

فإذا تأدب الصبى بهذه الآداب فى صغره صارت له بعد بلوغه ملكات راسخه،فيكون خيرا صالحا.و إن نشأ على خلاف ذلك،حتى ألف اللعب، و الفحش،و الوقاحه،و الخرق،و شره الطعام.و اللباس،و التزين و التفاخر بلغ و هو خبيث النفس كثيف الجوهر،و كان وبالا لوالديه،و صدر منه ما يوجب الفضيحه و العار.فيجب على كل والد ألا يتسامح فى تأديب ولده فى حاله الصبا،لأنه أمانه اللّه عنده،و قلبه الطاهر جوهره نفيسه ساذجه عن كل نقش و صوره،و قابل للخير و الشر،و أبواه يميلان به إلى أحدهما،فإن عود الخير نشأ عليه و سعد فى الدنيا و الآخره،و شاركه فى ثوابه أبواه و كل معلم و مؤدب،و إن عود الشر و أهمل شقى و هلك،و كان الوزر فى رقبه أبيه

أو من كان قيما و وليا له.

ثم الصبيه تؤدب بمثل ما مر،إلا فيما يتفاوت به الصبى و الصبيه، فيستعمل ما يليق بها،و يجب السعى فى جعلها ملازمه للبيت،و الحجاب، و الوقار،و العفه و الحياء،و سائر الخصال التى ينبغى أن تتصف بها النساء.

ثم ينبغى أن يتفرس من حال الصبى أنه مستعد لأى علم و صناعه، فيجعل مشغولا باكتسابه و يمنع من اكتساب غيره،لئلا يضيع عمره و لا تترتب عليه فائده،إذ كل أحد ليس مستعدا لكل صناعه،و إلا لاشتغل الجميع بأشراف الصناعات،و اختلاف الناس و تفاوتهم فى هذا الاستعداد لتوقف قوام النوع و انتظام العالم عليه.

و أما الغيره على(المال)،

فلا تظن أنها ليست ممدوحه لسرعه فناء المال و عدم اعتناء الأخيار،إذ كل إنسان ما دام فى دار الدنيا محتاج إليه،و تحصيل الآخره أيضا يتوقف عليه،إذ كسب العلم و العمل موقوف على بقاء البدن، و هو موقوف على بدل مما يتحلل عنه من الأغذيه و الأقوات.فلا بد لكل عاقل أن يعتنى بالمال و يجتهد فى حفظه و ضبطه،بعد تحصيله من المداخل الطيبه و المكاسب المحموده،و مقتضى السعى فى حفظه المعبر عنه بالغيره عليه ألا يصرفه فى مصرف لا تترتب عليه فائده لآخرته أو دنياه،كإنفاقه للرياء و المفاخره و التضيف،أو بذله على غير المستحقين بلا داع دينى أو دنيوى أو عادى،أو تمكينه الظلمه و السارقين و أهل الخيانه من أخذه علانيه أو سرا،أو عدم مبالاته بتضييعه من غير أن يصل نفعه إلى أحد،أو إسرافه فى بذله،أو غير ذلك من المصارف التى ليست راجحه بحسب العقل و الشرع و لا يعود إليه عوض فى الآخره و الدنيا. بل مقتضى الغيره عليه أن يصرف

جميع أمواله فى حياته فى المصارف التى تعود فائدتها إلى نفسه،و لا يترك شيئا منها لوارثه إلا للأخيار من أولاده،إذ بقائهم بمنزله بقائه،و يترتب على وجودهم-مع حسن حالهم و عيشهم-جميل الذكر و جزيل الثواب له بعد موته و كيف يرضى صاحب الغيره أن يترك ماله الذى أتعب نفسه فى اكتسابه و فنى عمره فى تحصيله و يحاسب عليه فى عرصات القيامه.لزوج امرأته،فيأكله و يجامعها،و غايه رضى هذه المرأه الخبيثه التى ليست لها حميه و وفاء و لا لها مطلوب أهم من مقاربه الرجال،أن يأكل هذا الرجل صفو ماله ليتقوى على مجامعتها،و هذا محنه لا يتحمل مثلها أهل الديانه و القياده،فضلا عن صاحب الغيره و الحميه،و قس على ذلك تخليف الأموال لسائر الوراث الذين لا يعرفون الحقوق،و ليسوا من أهل الخير و الصلاح و الوفاء،من أولاد السوء و أزواج البنات،و سائر الأقارب من الإخوان و الأخوات و الأعمام و العمات و الأخوال و الخالات.و هؤلاء و إن لم يكونوا بمثابه زوج امرأته،إلا أن ترك الأموال لهم إذا لم يكونوا من أهل الخير و الصلاح لا تثمر له فائده سوى الوزر و الوبال و ذكره بالسوء و الشتم و الفحش كما هو المشاهد فى زماننا هذا.

و منها:

العجله

و هى المعنى الراتب فى القلب،الباعث على الإقدام على الأمور بأول خاطر،من دون توقف و استبطاء فى اتباعها و العمل بها.و قد عرفت أنه من لوازم ضعف النفس و صغرها،و هو من الأبواب العظيمه للشيطان،قد أهلك به كثيرا من الناس،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«العجله من الشيطان.و التأنى من اللّه». و قد خاطب اللّه تعالى نبيه-صلى اللّه

علیه و آله و سلم-بقوله:

وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ

(۱)

،

و قد روی: «أنه لما ولد عیسی(ع)أتت الشیاطین إبلیس،فقالت:

أصبحت الأصنام قد نکست رءوسها.فقال:هذا حادث قد حدث، مکانکم.فطار حتی جاء خافقی الأرض،فلم یجد شیئا،ثم وجد عیسی(ع) قد ولد،و إذا الملائکه قد حفت حوله،فرجع إلیهم،فقال:إن نبیا قد ولد البارحه،ما حملت أنثی قط و لا وضعت إلا و أنا بحضرتها،إلا هذا،فایأسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه اللیله،و لکن ائتوا بنی آدم من قبل العجله و الخفه».

و الظواهر فی ذم العجله أکثر من أن تحصی،و لذلک أفتی بعض علماء العامه بالمنع من التعجیل لمن خاف فوت صلاه الجمعه.و السر فی شده ذمها:

أن الأعمال ینبغی أن تکون بعد المعرفه و البصیره،و هما موقوفان علی التأمل و المهله،و العجله تمنع من ذلک،فمن یستعجل فی أمر یلقی الشیطان شره علیه من حیث لا یدری.و التجربه شاهده بأن کل أمر یصدر علی العجله یوجب الندامه و الخسران،و کل ما یصدر علی التأنی و التثبت لا تعرض بعده ندامه، بل یکون مرضیا،و بأن کل خفیف عجول ساقط عن العیون،و لا وقع له عند القلوب.و المتأمل فی الأمور یعلم أن العجله هو السبب الأعظم لتبدیل نعیم الآخره و ملک الأبد بخسائس الدنیا و مزخرفاتها.

و بیان ذلک:أنه لا ریب فی أن أحب اللذات و ألذها للنفس هو الغلبه و الاستیلاء،لأنها من صفات الربوبیه التی هی مطلوبه بالطبع للنفوس المجرده.

۱- ۱) طه،الآیه:۱۱۴.

و السر فيه:أن كل معلول من سنخ علته،و يناسبها فی صفاتها و آثارها،و غایه ابتهاجه أن یتصف بمثل کمالاتها،و لذا قیل:«کل ما یصدر عن شیء لا یمکن أن یکون من جمیع الجهات هو هو،و لا أن یکون من جمیع الجهات لیس هو بل من جهه هو هو و من جهه لیس هو».و هذا معنی کلام قدماء الحکمه:

(الممکن زوج ترکیبی).و لا ریب فی أن جمیع الموجودات معلومه للواجب سبحانه،صادره عن محض وجوده و مترشحه عن فیضه و وجوده،فهو غایه الکل و الکل طالبه نحو کمالاته،إلا أن ما هو فی سلسله الصدور إلیه أقرب و الواسطه بینهما أقل،تکون مناسبه له أتم و شوقه إلی الاتصاف بکماله أشد و لا ریب فی أن الذوات المجرده النوریه التی هی من عالم الأمر مقتبسه من مشکاه نوره،فلها غایه القرب إلیه فی سلسله الصدور،فتکون شدیده الشوق إلی الاتصاف بنحو کماله.و النفس الإنسانیه لکونها منها و من عالم الأمر -کما قال اللّه تعالی-:

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی

(۱)

تکون مثلها فی القرب إلیه تعالی أو فی المناسبه له،فلها غایه الشوق فی الاتصاف بصفاته و کمالاته التی من جملتها الغلبه و الاستعلاء و لیس ذلک مذموما،إذ ینبغی لکل عبد أن یطلب ملکا عظیما لا آخر له،و سعاده دائمیه لا نفاد لها،و بقاء لا فناء فیه،و عز لا ذل معه،و أمنا لا خوف فیه،و غنی لا فقر معه،و کمالا لا نقصان فیه.و هذه کلها من أوصاف الربوبیه،و طالبها طالب للعلو و العز و الکمال لا محاله.

فالمذموم من الرئاسه و الاستیلاء إنما هو الغلط الذی وقع للنفس بسبب تغریر اللعین المبعد عن عالم الأمر،إذ حسدها علی کونها من عالم الأمر،

۱- ۱) الإسراء،الآیه:۸۵.

فأضلها و أغواها من طريق العجله،فزين فى نظره الملك الفانى المشوب بأنواع الآلام،لكونه عاجلا،و صده عن الملك المخلد الدائم الذى لا يشوبه كدر و لا يقطعه قاطع،لكونه آجلا.و المسكين المخذول ابن آدم لما خلق عجولا راغبا فى العاجله،لما جاءه المطرود من عالم الأمر،و توسل إليه بواسطه العجله التى فى طبعه،و استغواه بالعاجله،و أمال قلبه إلى عدم الاعتناء بالآجله، و زين له الحاضره،و وعده بالغرور و بالتمنى على اللّه فى باب الآخره،فانخدع بغروره و اشتغل بطلب ملك الدنيا و مزخرفاتها مع فنائها،و ترك سلطنه الآخره مع بقائها،و لم يتأمل المسكين فى أن ملك الدنيا و رئاستها ليس كمالا و لا علوا و استيلاء فى الحقيقه،بل هو صفه نقص يصده عن الكمال الحقيقى و الرئاسه المعنويه. مثال ذلك:أنه لا ريب فى أن الحب و العشق صفه كمال، و لكن إذا وقع فى موقعه،و ذلك إذا كان المحبوب شريفا كاملا فى ذاته و صفاته،فحب اللّه سبحانه أشرف الصفات الكماليه،و حب الجمادات و خسائس الحيوانات أخس الرذائل النفسيه،فكل من كان جاهلا بحقائق الأمور ينخدع بغروره،و يختار الملك العاجل الفانى على السلطنه الآجله الباقيه،و أما العالم الموفق فلا يتدلى بحبل غروره،إذ علم مداخل مكره، فأعرض عن العاجله و اختيار الآجله.

و لما استطار مكر اللعين فى كافه الخلق،أرسل اللّه إليهم الأنبياء،و اشتغلوا بدعوتهم من الملك المجازى الذى لا أصل له و لا دوام ان سلم إلى الملك الحقيقى الذى لا زوال له أصلا،فنادوا فيهم:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاهِ الدُّنْيَا مِنَ

الْآخِرَهِ فَمٰا مَتٰاعُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا فِی الْآخِرَهِ إِلاّٰ قَلِيلٌ

(۱)

و ذموا من اختار العاجله الفانيه على الآخره الباقيه كما قال سبحانه:

إِنَّ هٰؤُلاٰءِ يُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً

(۲)

و قال: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَهَ (۳) فالغرض من بعثه الرسل ليس إلا دعوه الخلق إلى الملک المخلد،ليكونوا ملوكا فى الآخره بسبب القرب من اللّه تعالى،و دركک بقاء لا فناء فيه،و عز لا ذل معه،و قره عين أخفيت لا يعلمها أحد.و الشيطان يدعوهم من طريق العجله إلى ملک الدنيا الفانى،لعلمه بأن ما سمى ملک الدنيا،مع أنه لا يسلم و لا يخلو عن المنازعات و المكدرات و طول الهموم فى التدبيرات،يفوت به ملک الآخره،إذ الدنيا و الآخره ضرتان.بل يفوت به الملک الحاضر الذى هو الزهد فى الدنيا،إذ معناه أن يملک العبد شهوته و غضبه،فينقادان لباعث الدين و إشاره الإيمان.و هذا ملک بالاستحقاق،إذ به يصير صاحبه حرا و باستيلاء الشهوه يصير عبد لبطنه و فرجه و سائر أعضائه،فيكون مسخرا مثل البهيمه،مملوكا يسخره زمام الشهوه،أخذ المخنقه إلى حيث يريد و يهوى فما أعظم اغترار الإنسان،إذ ظن أنه ينال الملک بأن يصير مملوكا،و ينال الربوبيه بأن يصير عبدا. و مثل هذا هل يكون إلا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخره؟.فقد ظهر أن منشأ الخسران فى الدنيا و الآخره هو العجله.

ص:۳۱۴

۱- ۱) التوبه،الآيه:۳۸.

۲- ۲) الدهر،الآيه:۲۷.

۳- ۳) القيامه،الآيه:۲۰-۲۱.

و الطريق فی علاجها:أن يتذكر فسادها،و سوء عاقبتها،و إيجابها للخفه و المهانه عند الناس،و تأديتها إلى الندامه و الخسران.ثم يتذكر شرافه الوقار الذی هو ضده،و كونه صفه الأنبياء و الأخيار،فيوطن نفسه على ألا يرتكب فعلا إلا بعد التأمل و المهلكه،و لا يترك الطمأنينه و السكون باطنا و ظاهرا فی جميع أفعاله و سكناته،فإذا فعل ذلک مده،و لو بالتكلف و التعمل،يصير ذلک عاده له،فتزول عنه هذه الصفه،و تحدث صفه الوقار و السكينه.

وصل الأناه و التوقف و الوقار و السكينه

ضد العجله(الأناه) (۱)،و هو المعنى الراتب فی القلب،الباعث على الاحتياط فی الأمور و النظر فيها،و التأنی فی اتباعها و العمل بها.

ثم(التوقف)قريب من التأنی و الأناه،و الفرق بينهما:أن التوقف هو السكون قبل الدخول فی الأمور حتى يستبين له رشدها،و التأنی سكون و طمأنينه بعد الدخول فيها،حتى يؤدی لكل جزء منها حقه،و ضد التوقف و التعسف.

و(الوقار)يتناول الأناه و التوقف كليهما،فهو طمأنينه النفس و سكونها فی الأقوال و الأفعال و الحركات قبل الدخول فيها و بعدها.و هو من نتائج قوه النفس و كبرها.و ما قل من الفضائل النفسانيه أن يبلغ مرتبته فی الشرافه،و لذا يمدح به الأنبياء و الأصفياء،

و ورد فی الأخبار: «أن المؤمن متصف به البته» فينبغی لكل مؤمن أن يتكلف آثاره فی الحركات

ص: ۳۱۵

۱- ۱) فی النسخ(الأناءه)،فصححناه كما هنا.

و الأفعال،حتی یصیر بالتدریج ملکه،و تکلف الطمأنینه فی الأفعال و الحرکات قبل أن تصیر ملکه یختص باسم الوقار،و إذا صارت ملکه سمیت سکینه، إذ هی طمأنینه الباطن،و الوقار اطمئنان الظاهر.

و منها:

سوء الظن بالخالق و المخلوق

و هو من نتائج الجبن و ضعف النفس،إذ کل جبان ضعیف النفس تذعن نفسه لکل فکر فاسد یدخل فی وهمه و یتبعه،و قد یترتب علیه الخوف و الغم و هو من المهلکات العظیمه،و قد قال اللّه سبحانه:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

(۱)

.و قال تعالی: وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ (۲).و قال: وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ کُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (۳).

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «ضع أمر أخیک علی أحسنه حتی یأتیک ما یغلبک منه،و لا تظنن بکلمه خرجت من أخیک سوءا و أنت تجد لها فی الخیر محملا». و لا ریب فی أن من حکم بظنه علی غیره بالشر،بعثه الشیطان علی أن یغتابه أو یتوانی فی تعظیمه و إکرامه،أو یقصر فیما یلزمه من القیام بحقوقه،أو ینظر إلیه بعین الاحتقار و یری نفسه خیرا منه و کل ذلک من

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) فصلت،الآیه:۲۳.

۳- ۳) الفتح،الآیه:۱۲.

المهلکات.علی أن سوء الظن بالناس من لوازم خبث الباطن و قذراته،کما أن حسن الظن من علائم سلامه القلب و طهارته،فکل من یسیء الظن بالناس و یطلب عیوبهم و عثراتهم فهو خبیث النفس سقیم الفؤاد،و کل من یحسن الظن بهم و یستر عیوبهم فهو سلیم الصدر طیب الباطن،فالمؤمن یظهر محاسن أخیه،و المنافق یطلب مساویه،و کل إناء یترشح بما فیه.

و السر فی خباثه سوء الظن و تحریمه و صدوره عن خبث الضمیر و إغواء الشیطان:أن أسرار القلوب لا یعلمها إلا علام الغیوب،فلیس لأحد أن یعتقد فی حق غیره سوء إلا إذا انکشف له بعیان لا یقبل التأویل،إذ حینئذ لا یمکنه ألا یعتقد ما شاهده و علمه،و أما ما لم یشاهده و لم یعلمه و لم یسمعه و إنما وقع فی قلبه،فالشیطان ألقاه إلیه،فینبغی أن یکذبه،لأنه أفسق الفسقه،و قد قال اللّه:

إِنْ جٰاءَکُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهٰالَهٍ

(۱)

.

فلا یجوز تصدیق اللعین فی نبأه،و إن حف بقرائن الفساد، ما احتمل التأویل و الخلاف فلو رأیت عالما فی بیت أمیر ظالم لا تظنن أن الباعث طلب الحطام المحرمه،لاحتمال کون الباعث إغاثه مظلوم.و لو وجدت رائحه الخمر فی فم مسلم فلا تجز من بشرب الخمر و وجوب الحد،إذ یمکن أنه تمضمض بالخمر و مجه و ما شربه،أو شربه إکراها و قهرا.فلا یستباح سوء الظن إلا بما یستباح به المال،و هو صریح المشاهده،أو قیام بینه فاضله.

و لو أخبرک عدل واحد بسوء من مسلم،وجب علیک أن تتوقف فی

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۶.

إخباره من غير تصديق و لا تكذيب،إذ لو كذبته لكنت خائنا على هذا العدل،إذ ظننت به الكذب،و ذلك أيضا من سوء الظن،و كذا إن ظننت به العداوه أو الحسد أو المقت لتتطرق لأجله التهمه،فترد شهادته،و لو صدقته لكنت خائنا على المسلم المخبر عنه،إذ ظننت به السوء،مع احتمال كون العدل المخبر ساهيا،أو التباس الأمر عليه بحيث لا يكون فى إخباره بخلاف الواقع آثما و فاسقا.و بالجمله:لا ينبغى أن تحسن الظن بالواحد و تسيء بالآخر،فتذكر المذكور حاله على ما كان فى الستر و الحجاب،إذ لم ينكشف لك حاله بأحد القواطع،و لا بحجه شرعيه يجب قبولها،و تحمل خبر العدل على إمكان تطرق شبهه مجوزه للخبار و إن لم يكن مطابقا للواقع ثم المراد بسوء الظن هو عقد القلب و ميل النفس دون مجرد الخواطر و حديث النفس،بل الشك أيضا،إذ المنهى عنه فى الآيات و الأخبار إنما هو أن يظن،و الظن هو الطرف الراجح الموجب لميل النفس إليه.و الأمارات التى بها يمتاز العقد عن مجرد الخواطر و حديث النفس،هو أن يتغير القلب منه عما كان من الألف و المحبه إلى الكراهه و النفره،و الجوارح عما كانت عليه من الأفعال اللازمه فى المعاشرات إلى خلافها. و الدليل على أن المراد هو ما ذكر،

قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم -ثلاث فى المؤمن لا تستحسن و له منهن مخرج،فمخرجه من سوء الظن ألا يحققه» ،أى لا يحقق فى نفسه بعقد و لا فعل لا فى القلب و لا فى الجوارح.

ثم لكون سوء الظن من المهلكات،منع الشرع من التعرض للتهمه، صيانه لنفوس الناس عنه،

فقال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «اتقوا مواقع التهم».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرض نفسه للتهمه فلا يلومن من أساء به الظن».

و روى: «أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان يكلم زوجته

صفیه بنت حی ابن أخطب،فمر به رجل من الأنصار،فدعاه رسول اللّه، و قال:یا فلان!هذه زوجتی صفیه.فقال:یا رسول اللّه أ فنظن بک إلا خیرا؟ قال:إن الشیطان یجری من ابن آدم مجری الدم،فخشیت أن یدخل علیک» فانظر کیف أشفق رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-علی دینه فحرسه و کیف علم الأمه طریق الاحتراز عن التهمه،حتی لا یظن العالم الورع المعروف بالتقوی و الدین أن الناس لا یظنون به إلا خیرا،إعجابا منه بنفسه،فإن ما لا جزم بتحققه فی حق سید الرسل و أشرفهم،فکیف یجزم بتحققه فی حق غیره،و إن بلغ من العلم و الورع ما بلغ.و السر فی ذلک:أن أورع الناس و أفضلهم لا ینظر الناس کلهم إلیه بعین واحده،بل إن نظر إلیه بعضهم بعین الرضا ینظر إلیه بعض آخر بعین السخط:

و عین الرضا عن کل عیب کلیله

و لکن عین السخط تبدی المساویا

فکل عدو و حاسد لا ینظر إلا بعین السخط،فیکتم المحاسن و یطلب المساوی،و کل شریر لا یظن بالناس کلهم إلا شرا،و کل معیوب مفتضح عند الناس یحب أن یتفضح غیره و تظهر عیوبه عندهم،لأن البلیه إذا عمت هانت،و لأن یشتغل الناس به فلا تطول ألسنتهم فیه.فاللازم لکل مؤمن ألا یتعرض لموضع التهمه حتی یوقع الناس فی المعصیه بسوء الظن،فیکون شریکا فی معصیتهم،إذ کل من کان سببا لمعصیه غیره یکون شریکا له فی هذه المعصیه.و لذا قال اللّه تعالی:

وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَیَسُبُّوا اللّٰهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ

(۱)

.

۱- ۱) الأنعام،الآیه:۱۰۸.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «كيف ترون من يسب أبويه؟فقالوا:هل من أحد يسب أبويه؟فقال:نعم!يسب أبوى غيره فيسبون أبويه».

ثم طريق المعالجه فى إزالته-بعد تذكر ما تقدم من فساده و ما يأتى من فضيله ضده-أنه إذا خطر لك خاطر سوء على مسلم،لا تتبعه،و لا تحققه و لا تغير قلبك عما كان عليه بالنسبه إليه،من المراعاه و التفقد و الإكرام و الاعتماد بسببه،بل ينبغى أن تزيد فى مراعاته و إعظامه و تدعو له بالخير، فإن ذلك يقنط الشيطان و يدفعه عنك،فلا يلقى إليك خاطر السوء خوفا من اشتغالك بالدعاء و زياده الإكرام.و مهما عرفت عثره من مسلم فانصحه فى السر و لا تبادر إلى اغتيابه،و إذا وعظته فلا تعظه و أنت مسرور باطلاعك على عيبه،لتنظر إليه بعين الحقاره،مع أنه ينظر إليك بعين التعظيم،بل ينبغى أن يكون قصدك استخلاصه من الإثم،و تكون محزونا كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان،و ينبغى أن يكون تركه ذلك العيب من غير نصيحتك أحب إليك من تركه بنصيحتك،و إذا فعلت ذلك جمعت بين أجر نصيحته و أجر الحزن بمصيبته و أجر الإعانه على آخرته.

وصل حسن الظن

قد عرفت أن ضد سوء الظن بالخالق و المخلوق هو(حسن الظن بهما) و لما كان الأول من لوازم ضعف النفس و صغرها،فالثانى من نتائج قوتها و ثباتها،و فوائده أكثر من أن تحصى،و قد تقدمت الظواهر الوارده فى مدحه، فينبغى لكل مؤمن ألا ييأس من روح اللّه،و لا يظن أنه لا يرحمه

و یعذبه البته و لا یخلصه من العقاب،و أن ما یرد علیه فی الدنیا من البلایا و المصائب هو شر له و عقوبه،بل ینبغی أن یعلم أنه أرحم و أرأف به من والدیه،و إنما خلقه لأجل الفیض و الجود،فلا بد أن یرحمه فی دار الآخره، و خلصه من عذاب الأبد و یوصله إلی نعیم السرمد،و ما یرد علیه من المصائب و البلایا فی دار الدنیا خیر له و صلاح،و ذخیره له فی یوم المعاد.

و کذا لا یظن السوء و الشر بالمسلمین،و لا یحملن ما له وجه صحیح من أعمالهم و أقوالهم علی وجه فاسد،بل یجب أن یحمل کل ما یشاهده من أفعالهم و حرکاتهم علی أحسن الوجوه و أصحها،ما لم یجزم بفساده،و یکذب وهمه و سائر حواسه،فیما یذهب إلیه من المحامل الفاسده و الاحتمالات القبیحه المحرمه،و یکلف نفسه علی ذلک،حتی یصیر ذلک ملکه له،فترتفع عنه ملکه سوء الظن بالکلیه.نعم،الحمل علی الوجه الصحیح علی تقدیر عدم مطابقته للواقع،لو کان باعثا لضرر مالی أو فساد دینی أو عرضی، لزم فیه الحزم و الاحتیاط،و عدم تعلیق أموره الدینیه و الدنیویه علیه،لئلا یترتب علیه الخسران و الإضرار،و تلزمه الفضیحه و العار.

و منها:

الغضب

و هو کیفیه نفسانیه موجبه لحرکه الروح من الداخل إلی الخارج للغلبه، و مبدؤه شهوه الانتقام،و هو من جانب الإفراط،و إذا اشتد یوجب حرکه عنیفه،یمتلئ لأجلها الدماغ و الأعصاب من الدخان المظلم،فیستر نور العقل و یضعف فعله،و لذا لا یؤثر فی صاحبه الوعظ و النصیحه،بل تزیده الموعظه غلظه و شده.قال بعض علماء الأخلاق:«الغضب شعله نار اقتبست من نار

اللّه الموقده،إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئده،و إنها لمستكنه فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد،و تستخرجها حميه الدين من قلوب المؤمنين، أو حميه الجاهليه و الكبر الدفين من قلوب الجبارين،التى لها عرق إلى الشيطان اللعين،حيث قال:

خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

.

فمن شأن الطين السكون و الوقار،و من شأن النار التلظى و الاستعار».

ثم قوه الغضب تتوجه عند ثورانها إما إلى دفع المؤذيات إن كان قبل وقوعها أو إلى التشفى و الانتقام إن كان بعد وقوعها،فشهوتها إلى أحد هذين الأمرين و لذتها فيه،و لا تسكن إلا به.فإن صدر الغضب على من يقدر أن ينتقم منه،و استشعر باقتداره على الانتقام،انبسط الدم من الباطن إلى الظاهر،و احمر اللون،و هو الغضب الحقيقى.و إن صدر على من لا يتمكن أن ينتقم منه لكونه فوقه،و استشعر باليأس عن الانتقام.انقبض الدم من الظاهر إلى الباطن،و صار حزنا.و إن صدر على من يشك فى الانتقام منه انبسط الدم تاره أو انقبض أخرى،فيحمر و يصفر و يضطرب.

فصل الإفراط و التفريط و الاعتدال فى قوه الغضب

الناس فى هذه القوه على إفراط و تفريط و اعتدال.فالإفراط:أن تغلب هذه الصفه حتى يخرج عن طاعه العقل و الشرع و سياستهما،و لا تبقى له فكره و بصيره.و التفريط:أن يفقد هذه القوه أو تضعف بحيث لا يغضب عما ينبغى الغضب عليه شرعا و عقلا.و الاعتدال:أن يصدر غضبه فيما ينبغى

۱- ۱) الأعراف،الآيه ۱۲.و ص،الآيه:۷۶.

و لا يصدر فى ما لا ينبغى،بحيث يخرج عن سياسه الشرع و العقل،بل يكون تابعا لهما فى الغضب و عدمه،فيكون غضبه و انتقامه بأمرهما.و لا ريب فى أن الاعتدال ليس مذموما،و لا معدودا من الغضب،بل هو من الشجاعه.

و التفريط مذموم معدود من الجبن و المهانه،و ربما كان أخبث من الغضب، إذ الفاقد لهذه القوه لا حميه له،و هو ناقص جدا.و من آثاره عدم الغيره على الحرم و صغر النفس.و الجور،و تحمل الذل من الأخساء،و المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الفحشاء.و لذا قيل:«من استغضب فلم يغضب فهو حمار» (۱).و قد وصف اللّه خيار الصحابه بالحميه و الشده،فقال:

أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ

(۲)

.

و خاطب نبيه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-بقوله:

وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ

(۳)

و الشده و الغلظه من آثار قوه الغضب،ففقد هذه القوه بالكليه أو ضعفها مذموم.و قد ظهر أن الغضب المعدود من الرذائل هو حد الإفراط الذى يخرجه عن مقتضى العقل و الدين،و حد التفريط و إن كان رذيله إلا أنه ليس غضبا،بل هو ضد له معدود من الجبن،و حد الاعتدال فضيله و ضد له و معدود من الشجاعه،فانحصر الغضب بالأول.

ثم الناس كما هم مختلفون فى أصل قوه الغضب،كذلك مختلفون فى حدوثه و زواله سرعه و بطأ،فيكونان فى بعضهم سريعين،و فى بعضهم بطيئين و فى بعضهم يكون أحدهما سريعا و الآخر بطيئا،و فى بعضهم يكون كلاهما

۱- ۱) هذه الكلمه منسوبه للشافعى-على ما فى إحياء العلوم:ج ۳ ص ۱۴۵ و ۱۵۶-
۲- ۲) الفتح،الآيه:۲۹.
۳- ۳) التوبه،الآيه:۷۳.

أو أحدهما متوسطا بين السرعه و البطء.و ما كان من ذلك بإشاره العقل فهو ممدوح معدود من أوصاف الشجاعه،و غير مذموم محسوب من آثار الغضب أو الجبن.

فصل (الغضب)

(الغضب)من المهلكات العظيمه،و ربما أدى إلى الشقاوه الأبديه، من القتل و القطع،و لذا قيل:(إنه جنون دفعى).

قال أمير المؤمنين(ع):

«الحده ضرب من الجنون،لأن صاحبها يندم،فإن لم يندم فجنونه مستحكم» و ربما أدى إلى اختناق الحراره،و يورث الموت فجأه.و قال بعض الحكماء:

«السفينه التى وقعت فى اللجج الغامره،و اضطربت بالرياح العاصفه و غشيتها الأمواج الهائله أرجى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب».و قد ورد به الذم الشديده فى الأخبار،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»،

و قال الباقر(ع)، إن هذا الغضب جمره من الشيطان توقد فى قلب ابن آدم،و إن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه و انتفخت أوداجه و دخل الشيطان فيه،فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض،فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك».

و قال الصادق (ع):«و كان أبى(ع)يقول: أى شىء أشد من الغضب؟إن الرجل يغضب فيقتل النفس التى حرم الله،و يقذف المحصنه»

و قال(ع) (١): «إن الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار».

و قال الصادق(ع):

۱- ۱) أى:الباقر-عليه السلام و قد روى هذه الأخبار المذكوره هنا الكافى فى باب الغضب،فروى هذا الخبر عنه-عليه السلام-لا عن الصادق-عليه السلام.

«الغضب مفتاح كل شر».

و قال(ع): «الغضب ممحقه لقلب الحكيم».

و قال(ع): من لم يملك غضبه لم يملك عقله».

ثم مما يلزم الغضب من الآثار المهلكه الذميمه،و الأغراض المضره القبيحه:انطلاق اللسان بالشتم و السب،و إظهار السوء و الشماته بالمساءه و إفشاء الأسرار و هتك الأستار و السخريه و الاستهزاء،و غير ذلك من قبيح الكلام الذى يستحيى منه العقلاء،و توثب الأعضاء بالضرب و الجرح و التمزيق و القتل و تألم القلب بالحقد و الحسد و العداوه و البغض و مما تلزمه الندامه بعد زواله، و عداوه الأصدقاء،و استهزاء الأراذل،و شماته الأعداء،و تغير المزاج، و تألم الروح و سقم البدن،و مكافاه العاجل و عقوبه الآجل.

و العجب ممن توهم أن شده الغضب من فرط الرجوليه،مع أن ما يصدر عن الغضبان من الحركات القبيحه إنما هو أفعال الصبيان و المجانين دون الرجال و العاقلين،كيف و قد تصدر عنه الحركات غير المنتظمه،من الشتم و السب بالنسبه إلى الشمس،و القمر،و السحاب،و المطر،و الريح،و الشجر، و الحيوانات و الجمادات،و ربما يضرب القصعه على الأرض،و يكسر المائده، و يخاطب البهيمه و الجماد كما يخاطب العقلاء،و إذا عجز عن التشفى،ربما مزق ثوبه،و لطم وجهه،و قد يعدو عدو المدهوش المتحير،و ربما اعتراه مثل الغشيه،أو سقط على الأرض لا يطيق النهوض و العدو.و كيف يكون مثل هذه الأفعال القبيحه من فرط الرجوليه

و قد قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «الشجاع من يملك نفسه عند غضبه».

ص :۳۲۵

فصل (إمكان إزاله الغضب و طرق علاجه)

قد اختلف علماء الأخلاق فى إمكان إزاله الغضب بالكليه و عدمه، فقيل:قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن،لأنه مقتضى الطبع،إنما الممكن كسر سورته و تضعيفه،حتى لا يشتد هيجانه،و أنت خبير بأن الغضب الذى يلزم إزالته هو الغضب المذموم،إذ غيره مما يكون بإشاره العقل و الشرع ليس غضبا فيه كلامنا،بل هو من آثار الشجاعه،و الاتصاف به من اللوازم،و إن أطلق عليه اسم الغضب أحيانا حقيقه أو مجازا،

كما روى عن أمير المؤمنين (ع)أنه قال: «كان النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لا يغضب للدنيا،و إذا أغضبه الحق لم يصرفه أحد،و لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له». و لا ريب أن الغضب الذى يحصل لرسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لم يكن غضبا مذموما،بل كان غضبا ممدوحا يقتضيه منصب النبوه،و توجيه الشجاعه النبويه.ثم الغضب المذموم ممكن الزوال،و لو لا إمكانه لزوم وجوده للأنبياء و الأوصياء،و لا ريب فى بطلانه.

ثم علاجه يتوقف على أمور،

و ربما حصل ببعضها:

(الأول)إزاله أسبابه المهيجه له،

إذ علاج كل عله بحسم مادتها، و هى:العجب،و الفخر،و الكبر،و الغدر،و اللجاج،و المراء،و المزاح، و الاستهزاء،و التعيير،و المخاصمه،و شده الحرص على فضول الجاه و الأموال الفانيه،و هى بأجمعها أخلاق رديه مهلكه،و لا خلاص من الغضب مع بقائها،فلا بد من إزالتها حتى تسهل إزالته.

(الثانى)أن يتذكر قبح الغضب و سوء عاقبته،

و ما ورد فى الشريعه

من الذم عليه،کما تقدم.

(الثالث)أن يتذكر ما ورد من المدح و الثواب على دفع الغضب فى موارده،

و يتأمل فيما ورد من فوائد عدم الغضب،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من کف غضبه عن الناس کف اللّه تبارک و تعالى عنه عذاب يوم القيامه».

و قول الباقر(ع): «مكتوب فى التوراه:فيما ناجى اللّه به موسى:أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبى».

و قول الصادق(ع): «أوحى اللّه تعالى إلى بعض أنبيائه:يا بن آدم!اذكرنى فى غضبك أذكرك فى غضبى،و لا أمحقك فيمن أمحق،و إذا ظلمت بمظلمه فارض بانتصارى لك،فإن انتصارى لك خير من انتصارك لنفسك».

و قوله(ع):

«سمعت أبى يقول: أتى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-رجل بدوى:

فقال:إنى أسكن الباديه،فعلمنى جوامع الكلم.فقال:آمرك ألا تغضب.

فأعاد الأعرابى عليه المسأله ثلاث مرات،حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال:لا أسألك عن شىء بعد هذا،ما أمرنى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-إلا بالخير».

و قوله(ع): «إن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- أتاه رجل،فقال:يا رسول اللّه!علمنى عظه أتعظ بها،فقال له:انطلق و لا تغضب،ثم عاد عليه،فقال له:انطلق و لا تغضب...ثلاث مرات»

و قوله (ع): «من كف غضبه ستر اللّه عورته»... إلى غير ذلك من الأخبار.

(الرابع)ان يتذكر فوائد ضد الغضب،أعنى الحلم و كظم الغيظ،

و ما ورد من المدح عليهما فى الأخبار-كما يأتى-و يواظب على مباشرته و لو بالتكلف،فيتحلم و إن كان فى الباطن غضبانا،و إذا فعل ذلك مده صار عاده مألوفه هنيئه على النفس،فتنقطع عنها أصول الغضب.

(الخامس)

أن يقدم الفكر و الروايه على كل فعل أو قول يصدر عنه،

و يحافظ نفسه من صدور غضب عنه.

(السادس)أن يحترز عن مصاحبه أرباب الغضب،

و الذين يتبجحون بتشفى الغيظ و طاعه الغضب،و يسمون ذلك شجاعه و رجوليه،فيقولون:

نحن لا نصبر على كذا و كذا،و لا نحتمل من أحد أمرا.و يختار مجالسه أهل الحلم،و الكاظمين الغيظ،و العافين عن الناس.

(السابع)أن يعلم أن ما يقع إنما هو بقضاء اللّه و قدره،

و أن الأشياء كلها مسخره فى قبضه قدرته،و أن كل ما فى الوجود من اللّه،و أن الأمر كله للّه،و أن اللّه لا يقدر له ما فيه الخيره،و ربما كان صلاحه فى جوعه،أو مرضه،أو فقره،أو جرحه أو قتله،أو غير ذلك.فإذا علم بذلك غلب عليه التوحيد،و لا يغضب على أحد،و لا يغتاظ عما يرد عليه،إذ يرى-حينئذ- أن كل شىء فى قبضه قدرته أسير،كالقلم فى يد الكاتب.فكما أن من وقع عليه ملك بضرب عنقه لا يغضب على القلم،فكذلك من عرف اللّه و علم أن هذا النظام الجملى صادر منه على وفق الحكمه و المصلحه،و لو تغيرت ذره منه عما هى عليه خرجت عن الأصلحيه،لا يغضب على أحد،إلا أن غلبه التوحيد على هذا الوجه كالكبريت الأحمر و توفيق الوصول إليه من اللّه الأكبر.و لو حصل لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون كالبرق الخاطف،و يرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا،و لو تصور دوام ذلك لأحد لتصور لفرق الأنبياء،مع أن التفاتهم فى الجمله إلى الوسائط مما لا يمكن إنكاره.

(الثامن)أن يتذكر أن الغضب مرض قلب و نقصان عقل،

صادر عن ضعف النفس و نقصانها،لا عن شجاعتها و قوتها،و لذا يكون المجنون أسرع غضبا من العاقل،و المريض أسرع غضبا من الصحيح.و الشيخ الهرم أسرع

غضبا من الشاب،و المرأه أسرع غضبا من الرجل،و صاحب الأخلاق السيئه و الرذائل القبيحه أسرع غضبا من صاحب الفضائل.فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمه،و البخيل يغاظ لبخله إذا فقد الحبه،حتى يغضب لقد أدنى شيء على أعزه أهله و ولده.و النفس القويه المتصفه بالفضيله أجل شأنا من أن تتغير و تضطرب لمثل هذه الأمور،بل هي كالطود الشاهق و لا تحركه العواصف،

و لذا قال سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ليس الشديد بالصرعه،إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب». و إن شككت فى ذلك فافتح عينيك و انظر إلى طبقات الناس الموجودين،ثم ارجع إلى كتب السير و التواريخ،و استمع إلى حكايات الماضين،حتى تعلم:أن الحلم و العفو و كظم الغيظ شيمه الأنبياء و الحكماء و أكابر الملوك و العقلاء،و الغضب خصله الجهله و الأغبياء.

(التاسع)أن يتذكر أن قدره اللّه عليه أقوى و أشد من قدرته

على هذا الضعيف الذى يغضب عليه،و هو أضعف فى جنب قوته القاهره بمراتب غير متناهيه من هذا الضعيف فى جنب قوته،فليحذر،و لم يأمن إذا أمضى غضبه عليه أن يمضى اللّه عليه غضبه فى الدنيا و الآخره،

و قد روى: «أنه ما كان فى بنى إسرائيل ملك إلا و معه حكيم،إذا غضب أعطاه صحيفه فيها:(ارحم المساكين،و اخش الموت،و اذكر الآخره)،فكان يقرأها حتى يسكن غضبه»

و فى بعض الكتب الإلهيه: «يا ابن آدم!اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب،فلا امحقك فيمن أمحق» (١).

ص: ٣٢٩

١- ١) روى الكافى فى باب الغضب نفس هذا الحديث عن الصادق-عليه السلام-بهذه العباره:«أن فى التوراه مكتوبا:يا بن آدم:اذكرنى حين تغضب أذكرك عند غضبى،فلا امحقك فيمن أمحق...»و قد تقدم مثله ص ٢٩١.

(العاشر)

أن يتذكر أن من يمضى عليه غضبه ربما قوى و تشمر لمقابلته و جرد عليه لسانه بإظهار معائبه و الشماته بمصائبه،و يؤذيه فى نفسه و أهله و ماله و عرضه.

(الحادى عشر)أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الغيظ و الغضب

فإن كان خوف الذله و المهانه و الاتصاف بالعجز و صغر النفس عند الناس، فليتنبه أن الحلم و كظم الغيظ و دفع الغضب عن النفس ليست ذله و مهانه، و لم يصدر من ضعف النفس و صغرها،بل هو من آثار قوه النفس و شجاعتها و أضدادها تصدر من نقصان النفس و خورها.فدفع الغضب عن نفسه لا يخرجه من كبر النفس فى الواقع،و لو فرض خروجه به منه فى أعين جهله الناس فلا يبالى بذلك،و يتذكر أن الاتصاف بالذله و الصغر عند بعض أراذل البشر أولى من خزى يوم المحشر و الافتضاح عند اللّه الملك الأكبر، و إن كان السبب خوف أن يفوت منه شيء مما يحبه،فليعلم أن ما يحبه و يغضب لفقده إما ضرورى لكل أحد،كالقوت و المسكن و اللباس و صحه البدن، و هو الذى أشار إليه سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله و سلم

-بقوله: «من أصبح آمنا فى سربه،معافى فى بدنه،و له قوت يومه،فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها» .أو غير ضرورى لأحد،كالجاه و المنصب و فضول الأموال.

او ضرورى لبعض الناس دون بعض،كالكتاب للعالم،و أدوات الصناعات لأربابها.و لا ريب أن كل ما ليس من هذه الأقسام ضروريا فلا يليق أن يكون محبوبا عند أهل البصيره و ذوى المروات،إذ ما لا يحتاج إليه الإنسان فى العاجل لا بد له من تركه فى الآجل،فما بال العاقل أن يحبه و يغضب لفقده و إذا علم ذلك لم يغضب على فقد هذا القسم البته.و أما ما هو ضرورى للكل أو البعض،و إن كان الغضب و الحزن من فقده مقتضى الطبع لشده الاحتياج

إليه،إلاـ أن العاقل إذا تأمل يجد أن ما فقد عنه من الأشياء الضروريه إن أمكن رده و الوصول إليه يمكن ذلك بدون الغيظ و الغضب أيضا،و إن لم يمكن لم يمكن معهما أيضا.و على أى حال بعد التأمل يعلم أن الغضب لا ثمره له سوى تألم العاجل و عقوبه الآجل،و حينئذ لا يغضب،و إن غضب يدفعه عن نفسه بسهوله.

(الثانى عشر)أن يعلم أن اللّٰه يحب منه ألا يغضب،

و الحبيب يختار البته ما يحب محبوبه،فإن كان محبا للّٰه فليطفئ شده حبه له غضبه.

(الثالث عشر)أن يتفكر فى قبح صورته و حركاته عند غضبه،

بأن يتذكر صوره غيره و حركاته عند الغضب.

تتميم

اعلم أن بعض المعالجات المذكوره يقتضى قطع أسباب الغضب و حسم مواده،حتى لا يهيج و لا يصدر،و بعضها يكسر سورته أو يدفعه إذا صدر و هاج.و من علاجه عند الهيجان الاستعاذه من الشيطان،و الجلوس إن كان قائما،و الاضطجاع إن كان جالسا،و الوضوء أو الغسل بالماء البارد،و إن كان غضبه على ذى رحم فليدن منه و ليمسه،فإن الرحم إذا مست سكنت، كما ورد فى الأخبار (۱).

وصل (فضيله الحلم و كظم الغيظ)

قد عرفت أن الحلم هو طمأنينه النفس،بحيث لاـ يحركها الغضب بسهوله و لاـ يزعجه المكروه بسرعه،فهو الضد الحقيقى للغضب،لأنه المانع من حدوثه

ص: ۳۳۱

۱- ۱) روى ذلك فى الكافى فى باب الغضب عن الباقر-عليه السلام-.

و بعد هیجانه لما کان کظم الغیظ مما یضعفه و یدفعه،فمن هذه الحیثیه یکون کظم الغیظ أیضا ضدا له.فنحن نشیر إلی فضیله الحلم و شرافته،ثم إلی فوائد کظم الغیظ و منافعه،لیجتهد طالب إزاله الغضب فی الاتصاف بالأول فلا یحدث فیه أصلا،و بالثانی،فیدفعه عند هیجانه.فنقول:

أما(الحلم)

فهو أشرف الکمالات النفسانیه بعد العلم،بل لا ینفع العلم بدونه أصلا،و لذا کلما یمدح العلم أو یسأل عنه یقارن به،

قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «اللهم أغننی بالعلم و زینی بالحلم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «خمس من سنن المرسلین.و عد منها الحلم.

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ابتغوا الرفعه عند اللّه».قالوا:و ما هی یا رسول اللّه!؟قال:«تصل من قطعک،و تعطی من حرمک،و تحلم عمن جهل علیک».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم: «إن الرجل المسلم لیدرک بالحلم درجه الصائم القائم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن اللّه یحب الحی الحلیم،و یبغض الفاحش البذی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ثلاث من لم تکن فیه واحده منهن فلا تعتدوا بشیء من عمله:

تقوی تحجزه عن معاصی اللّه،و حلم یکف به السفیه،و خلق یعیش به فی الناس».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا جمع الخلائق یوم القیامه نادی مناد:أین أهل الفضل؟فیقوم ناس-و هم یسیر-فینطلقون سراعا إلی الجنه،فتتلقاهم الملائکه فیقولون:إنا نراکم سراعا إلی الجنه؟فیقولون نحن أهل الفضل.فیقولون:ما کان فضلکم؟فیقولون:کنا إذا ظلمنا صبرنا و إذا أسیء إلینا عفونا،و إذا جهل علینا حلمنا.فقال لهم:ادخلوا الجنه فنعم أجر العاملین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما أعز اللّه بجهل قط، و لا أذل بحلم قط».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «لیس الخیر أن یکثر مالک

و ولدک،و لکن الخیر أن یکثر علمک و یعظم حلمک».

و قال علی بن الحسین -علیهما السلام-: «إنه لیعجبنی الرجل أن یدرکه حلمه عند غضبه»

و قال الصادق-علیه السلام-: «کفی بالحلم ناصرا».

و قال علیه السلام: «و إذا لم تکن حلیما فتحلم».

و قال علیه السلام: «إذا وقع بین رجلین منازعه نزل ملکان،فیقولان للسفیه منهما:قلت و قلت و أنت أهل لما قلت،و ستجزی بما قلت،و یقولان للحلیم منهما:صبرت و حلمت سیغفر لک إن أتممت ذلک.

قال علیه السلام:فان رد الحلیم علیه ارتفع الملکان».

و بعث علیه السلام غلاما له فی حاجه فأبطأ،فخرج علی أثره فوجده نائما،فجلس عند رأسه یروحه حتی انتبه،فقال له:«یا فلان!و اللّه ما ذلک لک!تنام اللیل و النهار لک اللیل و لنا منک النهار».

و قال الرضا-علیه السلام-: «لا یکون الرجل عابدا حتی یکون حلیما».

و اما(کظم الغیظ)

-فهو و إن لم یبلغ مرتبه الحلم فضیله و شرافه،لأنه التحلم:أی تکلف الحلم،إلا أنه إذا واظب علیه حتی صار معتادا تحدث بعد ذلک صفه الحلم الطبیعی،بحیث لا یهیج الغیظ حتی یحتاج إلی کظمه،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إنما العلم بالتعلم و الحلم بالتحلم» فمن لم یکن حلیما بالطبع لا بد له من السعی فی کظم الغیظ عند هیجانه،حتی تحصل له صفه الحلم.و قد مدح اللّه سبحانه کاظمی الغیظ فی محکم کتابه، و تواترت الأخبار علی شرافته و عظم أجره،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من کظم غیظا و لو شاء أن یمضیه أمضاه،ملأ اللّه قلبه یوم القیامه رضا»

(۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما جرع عبد جرعه أعظم أجرا من جرعه غیظ کظمها ابتغاء وجه اللّه تعالی»:

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن لجهنم بابا لا یدخله إلا من شفی غیظه بمعصیه اللّه تعالی».

۱- ۱) روی الحدیث الکافی فی باب کظم الغیظ عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كظم غيظا و هو يقدر على أن ينفذه دعاه اللّه يوم القيامه على رءوس الخلائق،حتى يخير من أى الحور شاء» (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من أحب السبيل (۲)إلى اللّه تعالى جرعتان:جرعه غيظ يردها بحلم.و جرعه مصيبه يردها بصبر».

و قال سيد الساجدين عليه السلام: «و ما تجرعت جرعه أحب إلى من جرعه غيظ لا أكافى بها صاحبها».

و قال الباقر-عليه السلام-: «من كظم غيظا و هو يقدر على إمضائه،حشا اللّه تعالى قلبه أمنا و إيمانا يوم القيامه».

و قال-عليه السلام- لبعض ولده (۳): «يا بنى!ما من شىء أقر لعين أبيك من جرعه غيظ عاقبتها صبر و ما يسرنى أن لى بذل نفسى حمر النعم».

و قال الصادق-عليه السلام- «نعم الجرعه الغيظ لمن صبر عليها.فإن عظيم الأجر البلاء.و ما أحب اللّه قوما إلا ابتلاهم».

و قال-عليه السلام-: «ما من عبد كظم غيظا إلا زاده اللّه -عز و جل-عزا فى الدنيا و الآخره.و قد قال اللّه-عز و جل-:

وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النّاسِ وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(۴)

۱- ۱) صححنا هذا الحديث على ما فى البحار(الجزء الثانى من المجلد ۱۵- فى باب الحلم)رواه عن جامع الأخبار للشيخ الجليل الحسن بن فضل الطبرسى و فيه اختلاف كثير عما فى نسخ جامع السعادات.

۲- ۲) كذا وجدنا الحديث فى البحار و الكافى و نسخ جامع السعادات.و الظاهر أن الأصح(السبل).

۳- ۳) فى الكافى فى باب كظم الغيظ روى هذا الحديث هكذا:«عن أبى جعفر -عليه السلام-قال:قال لى أبى:يا بنى!ما من شىء...»إلى آخر الحديث فالقائل هو سيد الساجدين لا الباقر-عليهما السلام-.

۴- ۴) آل عمران.الآيه:۱۳۴

و أثابه اللّه مكان غيظه ذلک».

و قال أبو الحسن الأول-علیه السلام-:

«اصبر علی أعداء النعم،فإنک لن تکافی من عصی اللّه فیک بأفضل من أن تطیع اللّه فیه».

و منها:

الانتقام

بمثل ما فعل به،أو بالأزید منه-و إن کان محرما ممنوعا من الشریعه- و هو من نتائج الغضب،إذ کل انتقام لیس جائزا،فلا یجوز مقابله الغیبه بالغیبه،و الفحش بالفحش،و البهتان بالبهتان،و السعایه إلی الظلمه بمثلها.

و هکذا فی سائر المحرمات.

قال سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«إن امرؤ عیرک بما فیک فلا تعیره بما فیه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «المستبان شیطانان یتهاتران».

و قد ورد. أن رجلا شتم أبا بکر بحضره النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و هو ساکت،فلما ابتدأ لینتصر منه،قام رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و قال مخاطبا له:«إن الملک کان یجیب عنک،فلما تکلمت ذهب الملک و جاء الشیطان،فلم أکن لأجلس فی مجلس فیه الشیطان».

فکل فعل أو قول یصدر من شخص بالنسبه إلی غیره ظلما،إن کان له فی الشرع قصاص و غرامه،فیجب ألا یتعدی عنه،و إن کان العفو عن الجائر أیضا أفضل و أولی و أقرب إلی الورع و التقوی،و إن لم یرد له بخصوصه من الشرع حکومه معینه،وجب أن یقتصر فی الانتقام و ما یحصل به التشفی علی ما لیس فیه حرمه و لا کذب،مثل أن یقابل الفحش و الذم و غیرهما من الأذایا التی لم یقدر لها فی الشرع حکومه معینه،بقوله:یا قلیل الحیاء و یا سیء الخلق!و یا صفیق الوجه!...و أمثال ذلک،إذا کان متصفا بها و مثل

قوله:جزاك اللّه و انتقم منک!و من أنت؟و هل أنت إلا من بنی فلان؟ و مثل قوله:یا جاهل!و یا أحمق!.و هذا لیس فیه کذب مطلقا،إذ ما من أحد إلا و فیه جهل و حمق،(أما الأول)فظاهر،(و أما الثانی)فلما ورد من أن الناس کلهم حمقی فی ذات اللّه.

و الدلیل علی جواز هذا القدر من الانتقام،

قول النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم-«المستبان ما قالا فعلی البادئ منهما حتی یتعدی المظلوم» (۱).

و قول الکاظم علیه السلام فی رجلین یتسابان:«البادئ منهما أظلم،و وزره و وزر صاحبه علیه ما لم یتعد المظلوم» (۲). و هما یدلان علی جواز الانتصار لغیر البادئ من دون وزر ما لم یتعد،و معلوم أن المراد بالسب فیهما أمثال الکلمات المذکوره دون الفحش و الکلمات الکاذبه،و لا ریب فی أن الاقتصار علی مجرد ما وردت به الرخصه بعد الشروع فی الجواب مشکل،و لعل السکوت عن أصل الجواب و حواله الانتقام إلی رب الأرباب أیسر و أفضل.ما لم یؤد إلی فتور الحمیه و الغیره،إذ أکثر الناس لا یقدر علی ضبط نفسه عند فور الغضب.لاختلاف حالهم فی حدوث الغضب و زواله.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «ألا إن بنی آدم خلقوا علی طبقات شتی،منهم بطیء الغضب سریع الفیء.و منهم سریع الغضب سریع الفیء فتلک بتلک.و منهم سریع الغضب بطیء الفیء،و منهم بطیء الغضب بطیء الفیء.ألا و إن خیرهم البطیء الغضب السریع الفیء،و شرهم السریع الغضب البطیء الفیء»

و قد ورد فی خبر آخر: «إن المؤمن سریع الغضب سریع الرضا،فهذه بتلک»

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی إحیاء العلوم(ج ۳ ص ۱۰۶)و علی نسختنا الخطیه و فی المطبوعه:«حتی یعتذر إلی المظلوم».

۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی أصول الکافی فی باب السفه و فی نسختنا الخطیه و المطبوعه:«ما لم یعتذر إلی المظلوم».

ثم طريق العلاج فى ترك الانتقام:أن يتنبه على سوء عاقبته فى العاجل و الآجل،و يتذكر فوائد تركه،و يعلم أن الحواله إلى المنتقم الحقيقى أحسن و أولى،و أن انتقامه أشد و أقوى،ثم يتأمل فى فوائد العفو و فضيلته، كما يأتى،

وصل (العفو)

ضد الانتقام(العفو)،و هو إسقاط ما يستحقه من قصاص أو غرامه، ففرقه عن الحلم و كظم الغيظ ظاهر،و الآيات و الأخبار فى مدحه و حسنه أكثر من أن تحصى،قال اللّه تعالى سبحانه:

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ

(١)

و قال:

وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا

(٢)

و قال: وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ (٣).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث و الذى نفسى بيده إن كنت حالفا لحلفت عليهن:ما نقصت صدقه من مال فتصدقوا، و لا عفا رجل من مظلمه يبتغى بها وجه اللّه إلا زاده اللّه بها عزا يوم القيامه، و لا فتح رجل على نفسه باب مسأله إلا فتح اللّه عليه باب فقر».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «العفو لا يزيد العبد إلا عزا،فاعفوا يعزكم اللّه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لعقبه:«أ لا أخبرك بأفضل أخلاق أهل

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۹۹.

۲- ۲) النور،الآیه:۲۲.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۳۷.

الدنیا و الآخره:تصل من قطعک و تعطی من حرمک.و تعفو عمن ظلمک» (۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «قال موسی،یا رب!أی عبادک أعز علیک؟قال:الذی إذا قدر عفی».

و قال سید الساجدین(ع) «إذا کان یوم القیامه،جمع اللّه الأولین و الآخرین فی صعید واحد،ثم ینادی مناد،أین أهل الفضل؟قال:فیقوم عنق من الناس،فتلقاهم الملائکه،فیقولون:و ما فضلکم؟فیقولون،کنا نصل من قطعنا،و نعطی من حرمنا،و نعفو عمن ظلمنا،قال:فیقال لهم:صدقتم،ادخلوا الجنه».

و قال الباقر(ع): «الندامه علی العفو أفضل و أیسر من الندامه علی العقوبه».

و قال الصادق(ع):

«ثلاث من مکارم الدنیا و الآخره:تعفو عمن ظلمک...إلی آخر الحدیث.

و قال أبو الحسن(ع) «ما التقت فئتان قط إلا نصر أعظمهما عفوا». و کفی للعفو فضلا و شرافه أنه من أجمل الصفات الإلهیه،و قد یمدح اللّه تعالی به فی مقام الخضوع و التذلل،

قال سید الساجدین(ع):

أنت الذی سمیت نفسک بالعفو،فاعف عنی»

.

و قال(ع)، «أنت الذی عفوه أعلی من عقابه».

و منها:

العنف

و هو الغلظه و الفظاظه فی الأقوال أو الحرکات أیضا،و هو من نتائج الغضب،و ضده(الرفق)،أی اللین فیهما،و هو من نتائج الحلم.و لا ریب فی أن الغلظه فی القول و الفعل ینفر الطباع و یؤدی إلی اختلال أمر المعاش و المعاد،و لذلک نهی اللّه-سبحانه-نبیه عنه فی مقام الإرشاد،و قال:

۱- ۱) فی أصول الکافی فی باب العفو:«أ لا أدلکم علی خیر أخلاق الدنیا و الآخره تصل من قطعک...»إلی آخر الحدیث.

وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

(۱)

.

و روى عن سلمان:«أنه قال: إذا أراد اللّه تعالى هلاک عبد نزع منه الحياء،فإذا نزع منه الحياء،لم يلقه إلا خائنا مخوفا،و إذا كان خائنا مخوفا نزعت منه الأمانه،فإذا نزعت منه الأمانه لم يلقه إلا فظا غليظا،فإذا كان فظا غليظا نزعت منه ربقه الإيمان،فإذا نزعت منه ربقه الإيمان لم يلقه إلا شيطان ملعونا».

و يظهر من هذا الكلام أن من كان من أهل الغلظه و الفظاظه فهو الشيطان حقيقه،فيجب على كل عاقل أن يجتنب عن ذلک كل الاجتناب،و يقدم التروى على كل ما يصدر عنه من القول و الفعل،ليحافظ نفسه عن التعنف و الغلظه فيه،و يتذكر ما ورد فى فضيله الرفق،و يرتكبه فى حركاته،و لو بالتكلف،إلى أن يصير ملكه،و تزول عن نفسه آثار العنف بالكليه.

وصل (فضيله الرفق)

الأخبار فى فضيله الرفق و فوائده أكثر من أن تحصى،و نحن نشير إلى شطر منها هنا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لو كان الرفق خلقا يرى،ما كان فيما خلق اللّه شىء أحسن منه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «إن الرفق لم يوضع على شىء إلا زانه،و لا ينزع من شىء إلا شانه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-، «لكل شىء قفل،و قفل الإيمان الرفق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه رفيق يحب

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۵۹.

الرفیق،و یعطی علی الرفق ما لا یعطی علی العنف» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «ما اصطحب اثنان إلا کان أعظمهما أجرا و أحبهما إلی اللّه تعالی،أرفقهما بصاحبه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «الرفق یمن، و الخرق شؤم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من کان رفیقا فی أمره نال ما یریده من الناس».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا أحب اللّه أهل بیت أدخل علیهم الرفق».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «من أعطی حظه من الرفق أعطی حظه من خیر الدنیا و الآخره،و من حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنیا و الآخره».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا أحب اللّه عبدا أعطاه الرفق،و من یحرم الرفق یحرم الخیر کله».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أ تدرون من یحرم علی النار کل هین لین سهل قریب».

و قال الکاظم(ع): «الرفق نصف العیش».

و قال(ع) لمن جری بینه و بین رجل من القوم کلام:«إرفق بهم،فإن کفر أحدکم فی غضبه،و لا خیر فیمن کان کفره فی غضبه».

ثم التجربه شاهده بأن إمضاء الأمور و إنجاح المقاصد موقوف علی الرفق و اللین مع الخلائق،فکل ملک کان رفیقا بجنده و رعیته انتظم أمره و دام ملکه،و إن کان فظا غلیظا اختل أمره و انفض الناس من حوله،و زال ملکه و سلطانه فی أسرع زمان.و قس علیه غیره من طبقات الناس من العلماء و الأمراء و غیرهما،من ذوی المناصب الجلیله،و أرباب المعامله و المکاسبه، و أصحاب الصنایع و الحرف.

۱- ۱) روی هذان الحدیثان فی أصول الکافی،فی باب الرفق،عن أبی جعفر الباقر-علیهما السلام-.

تکمله (المداراه)

(المداراه):قریب من الرفق معنی،لأنها ملائمه الناس،و حسن صحبتهم،و احتمال أذاهم،و ربما فرق بینهما باعتبار تحمل الأذی فی المداراه دون الرفق،و قد ورد فی مدحها و فوائدها الدنیویه و الأخرویه أخبار کثیره

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «المداراه نصف الإیمان» ،

و قوله -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ثلاث من لم یکن فیه لم یتم عمله:ورع یحجزه عن معاصی اللّه،و خلق یداری به الناس،و حلم یرد به جهل الجاهل،

و قوله -صلی اللّه علیه و آله و سلم-، «أمرنی ربی بمداراه الناس کما أمرنی بأداء الفرائض».

و قول الباقر(ع): «فی التوراه مکتوب:فیما ناجی اللّه عز و جل-به موسی بن عمران(ع):یا موسی!اکتم مکتوم سری فی سریرتک و أظهر فی علانیتک المداراه عنی لعدوی و عدوک من خلقی...إلی آخر الحدیث» (۱).

و قول الصادق(ع): «جاء جبرئیل إلی النبی(ص)فقال:

یا محمد!ربک یقرئک السلام،و یقول:دار خلقی».

و قوله(ع): «إن قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فنفوا (۲)من قریش،و أیم اللّه ما کان

۱- ۱) و تمام الحدیث فی أصول الکافی فی باب المداراه:«و لا تستسب لی عندهم بإظهار مکتوم سری،فتشرک عدوی و عدوک فی سبی».قال فی الوافی،«و لا تستسب لی:أی لا تطلب سبی،فان من لم یفهم السر یسب من تکلم به،فتشرک:أی تکون شریکا له،لانک أنت الباعث له علیه.

۲- ۲) هکذا فی النسخه المطبوعه.و فی بعض نسخ الکافی المصححه«فانفوا»، و فی بعضها«فالقوا».قال فی الوافی،«فانفوا»،کأنه صیغه مجهول من الأنفه بمعنی الاستنکاف،إذا لم یأت الإنفاء بمعنی النفی.و فی بعض النسخ،فألقوا من الإلقاء،و لعله الأصح».

باحسابهم بأس،و إن قوما من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع... ثم قال:من كف يده عن الناس،فإنما يكف عنهم يدا واحده و يكفون عنه أيدى كثيره».

و منها:

سوء الخلق بالمعنى الأخص

و هو التضجر،و انقباض الوجه،و سوء الكلام،و أمثال ذلك.و هو أيضا من نتائج الغضب،كما أن ضده-أعنى(حسن الخلق بالمعنى الأخص) و هو أن تلين جناحك،و تطيب كلامك،و تلقى أخاك ببشر حسن-من نتائج الحلم،و أكثر ما يطلق سوء الخلق و حسنه فى الأخبار يراد به هذا المعنى و لا ريب فى أن سوء الخلق مما يبعد صاحبه عن الخالق و الخلق،و التجربه شاهده بأن الطباع متنفره عن كل سيء الخلق،و يكون دائما أضحوكه للناس و لا ينفك لحظه عن الحزن و الألم،

و لذا قال الصادق(ع): «من ساء خلقه عذب نفسه»، و قد يعتريه لأجله الضرر العظيم.هذا كله مع سوء عاقبته فى الآخره و أدائه إلى العذاب الأبدى،و لذا ورد به الذم الشديد من الشريعه

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لما خلق اللّه الإيمان قال:

اللهم قونى،فقواه بحسن الخلق و السخاء.و لما خلق اللّه الكفر قال:اللهم قونى،فقواه بالبخل و سوء الخلق».

و روى أنه قيل له-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:«إن فلانه تصوم النهار و تقوم الليل و هى سيئه الخلق تؤذى جيرانها بلسانها.قال:لا خير فيها!هى من أهل النار».

و عنه-صلى اللّه

علیه و آله و سلم- «سوء الخلق یفسد العمل کما یفسد الخل العسل (۱).

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن العبد لیبلغ من سوء خلقه أسفل درک جهنم».

و عنه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «أبی اللّه لصاحب الخلق السیء بالتوبه،قیل فکیف ذاک یا رسول اللّه!؟قال:«لأنه إذا تاب من ذنب وقع فی ذنب أعظم منه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «سوء الخلق ذنب لا یغفر».

و قال الإمام جعفر بن محمد-علیهما السلام-: «إذا خلق اللّه العبد فی أصل الخلق کافرا لم یمت حتی یحبب اللّه إلیه الشر،فیقرب منه.فابتلاه بالکبر و الجبروت،فقسی قلبه،و ساء خلقه،و غلظ وجهه، و ظهر فحشه،و قل حیاؤه،و کشف اللّه تعالی ستره،و رکب المحارم و لم ینزع عنها،ثم رکب معاصی اللّه،و أبغض طاعته،و وثب علی الناس لا یشبع من الخصومات،فاسألوا اللّه العافیه و اطلبوها منه». و قال بعض الأکابر:«لئن یصحبنی فاجر حسن الخلق أحب إلی من أن یصحبنی عابد سیء الخلق».

و طرق العلاج فی إزالته:أن یتذکر أولا أنه یفسد آخرته و دنیاه، و یجعله ممقوتا عند الخالق و الخلق،فیعد نفسه لإزالته،ثم یقدم التروی و التفکر عند کل حرکه و تکلم،فیحفظ نفسه عنده-و لو بالتحمل و التکلف- من صدور سوء الخلق،و یتذکر ما ورد فی مدح حسن الخلق الذی هو ضده -کما یأتی-و یواظب حتی تزول علی التدریج آثاره بالکلیه.

وصل (طرق اکتساب حسن الخلق)

قد عرفت أن ضد هذه الرذیله(حسن الخلق بالمعنی الأخص)،فمن

۱- ۱) روی هذا الحدیث أصول الکافی فی باب سوء الخلق عن الصادق-علیه السلام-و لکن جاء فیه«لیفسد العمل»بدل«یفسد العمل».

معالجاتها أن يواظب عليه حتى ترتفع آثارها بالكليه.و أقوى البواعث على اكتسابه و المواظبه عليه أن يتذكر ما يدل على شرافته و مدحه عقلا و نقلا:

أما حكم العقل على مدحه فظاهر لا يحتاج إلى بيان،و أما النقل فالأخبار التى وردت به أكثر من أن تحصى،و نحن نورد شطرا منها تذكره لمن أراد أن يتذكر،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامه أفضل من حسن الخلق»

و قال: «يا بنى عبد المطلب!إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم.فالقوهم بطلاقه الوجه،و حسن البشر».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه استخلص هذا الدين لنفسه،و لا يصلح لدينكم إلا السخاء و حسن الخلق،ألا فزينوا دينكم بهما».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «حسن الخلق خلق اللّه الأعظم».

و قيل له-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:أى المؤمنين أفضلهم إيمانا؟قال:«أحسنهم خلقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم- «إن أحبكم إلى و أقربكم منى مجلسا يوم القيامه أحسنكم خلقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم يكن فيه واحده منهن فلا يعتد بشىء من عمله:تقوى تحجزه عن محارم اللّه و حلم يكف به السيئه،و خلق يعيش به فى الناس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الخلق الحسن يميت الخطيئه،كما تميت الشمس الجليد (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخره و أشرف المنازل،و إنه يضعف العباده».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-لأم حبيبه: «إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا و الآخره

ص :۳۴۴

---

۱ - ۱) روى هذا الحديث فى الكافى فى باب حسن الخلق عن أبى عبد اللّه الصادق-عليه السلام،و فى نهايه ابن الأثير:فى الحديث:حسن الخلق يذيب الخطيئه كما تذيب الشمس الجليد»،و يذيب بمعنى يميت.

و قال لها-بعد ما سألته إن المرأه يكون لها زوجان فی الدنیا فتموت و یموتان و یدخلان الجنه لا یهما هی؟-:«إنها لأحسنهما خلقا».

و قال صلی اللّه علیه و آله و سلم-:«إن حسن الخلق یبلغ بصاحبه درجه الصائم القائم» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:«أکثر ما یلج به أمتی الجنه تقوی اللّه و حسن الخلق».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:«أفضلکم أحسنکم أخلاقا،الموطئون أکنافا (۲)الذین یألفون و یؤلفون».

و قال أمیر المؤمنین (ع):«المؤمن مألوف،و لا خیر فیمن لا یألف و لا یؤلف». و لا ریب فی أن سیء الخلق تتنفر عنه الطباع،فلا یکون مألوفا.

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-علیهما السلام-:«إن أکمل المؤمنین إیمانا أحسنهم خلقا»،

و قال (ع):«أتی رجل رسول اللّه،فقال:یا رسول اللّه!أوصنی فکان فیما أوصاه أن قال:(الق أخاک بوجه منبسط)»

و قال الصادق(ع):«ما یقدم المؤمن علی اللّه-عز و جل-بعمل بعد الفرائض أحب إلی اللّه تعالی من أن یسع الناس بخلقه»

و قال(ع):«البر و حسن الخلق یعمران الدیار و یزیدان فی الأعمار».

و قال(ع):«إن اللّه تبارک و تعالی لیعطی العبد من الثواب علی حسن الخلق کما یعطی المجاهد فی سبیل اللّه یغدو علیه و یروح».

و قال(ع):

«ثلاث من أتی اللّه بواحده منهن أوجب اللّه له الجنه:الإنفاق من إقتار، و البشر لجمیع العالم،و الإنصاف من نفسه».

و قال(ع):«صنایع المعروف و حسن البشر یکسبان المحبه و یدخلان الجنه،و البخل و عبوس الوجه یبعدان من اللّه و یدخلان النار».

ص:۳۴۵

۱- ۱) هذا الحدیث مروی فی الکافی فی باب حسن الخلق عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-

۲- ۲) قال المبرد فی الکامل ص ۳:«قوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:الموطؤن أکنافا،مثل،و حقیقته:أن التوطئه هی التذلیل و التمهید...فأراد القائل بقوله:موطأ الأکناف،أن ناحیته یتمکن فیها صاحبها غیر مؤذی و لا ناب به موضعه

و من تأمل فی هذه الأخبار،و رجع إلی الوجدان و التجربه،و تذکر أحوال الموصوفین بسوء الخلق و حسنه،یجد أن کل سیء الخلق بعید من اللّه و من رحمته،و الناس یبغضونه و یشمئزون منه،و لذا یحرم من برهم و صلتهم و کل حسن الخلق محبوب عند اللّه و عند الناس،فلا یزال محلا لرحمه اللّه و فیوضاته،و مرجعا للمؤمنین بإیصال نفعه و خیره إلیهم،و إنجاح مقاصده و مطالبه منهم،و لذلک لم یبعث اللّه سبحانه نبیا إلا و أتم فیه هذه الفضیله، بل هی أفضل صفات المرسلین و أشرف أعمال الصدیقین،و لذا قال اللّه تعالی لحبیبه مثنیا علیه و مظهرا نعمته لدیه.

وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ

(۱)

و لعظم شرافته بلغ رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فیه ما بلغ من غایته،و تمکن علی ذروته و نهایته،

حتی ورد: بینا رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-ذات یوم جالس فی المساجد،اذ جاءت جاریه لبعض الأنصار و هو قائم (۲)فأخذت بطرف ثوبه،فقام لها النبی(ص)فلم تقل شیئا و لم یقل لها النبی(ص)شیئا،حتی فعلت ذلک ثلاث مرات،فقام لها النبی(ص)فی الرابعه،و هی خلفه،فأخذت هدبه من ثوبه ثم رجعت.فقال لها الناس:

فعل اللّه بک و فعل! (۳)حبست رسول اللّه ثلاث مرات لا تقولین له شیئا و لا هو یقول لک شیئا!ما کانت حاجتک إلیه؟قالت:إن لنا مریضا فأرسلنی

۱- ۱) القلم،الآیه:۴.

۲- ۲) قال فی البحار-ج ۱۵ فی باب حسن الخلق ص ۲۰۷-:«حال عن بعض الأنصار»أی ان القائم هذا البعض صاحب الجاریه لا النبی-صلی اللّه علیه و آله

۳- ۳) قال فی البحار-فی الموضع المتقدم-:«کنایه عن کثره الدعاء علیها بإیذائها النبی-صلی اللّه علیه و آله-و هذا شائع فی عرف العرب و العجم».

أهلى لآخذ هدبه من ثوبه يستشفى (۱)بها.فلما أردت أخذها رآنى فقام، استحييت أن آخذها و هو يرانى،و أكره أن استأمره فى أخذها،فأخذتها» (۲).

و منها:

الحقد

و قد عرفت أنه إضمار العداوه فى القلب،و هو من ثمره الغضب،لأن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال،رجع إلى الباطن و احتقن فيه فصار حقدا،و هو من المهلكات العظيمه.

و قد قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «المؤمن ليس بحقود». و الغالب أن الحقد يلزمه من الآفات:

الحسد،و الهجره،و الانقطاع عن المحقود،و إيذاؤه بالضرب،و التكلم فيه بما لا يحل:من الكذب،و الغيبه،و البهتان،و إفشاء السر،و هتك الستر، و إظهار العيوب،و الشماته بما يصيبه من البلاء و السرور به،و الانبساط بظهور عثراته و هفواته،و المحاكاه عنه بالاستهزاء و السخريه،و الإعراض عنه استصغارا له،و منع حقوقه من دين أو رد مظلمه أو صله رحم.و كل ذلك حرام يؤدى إلى فساد الدين و الدنيا.و أضعف مراتبه أن يحترز عن الآفات المذكوره،و لا يرتكب لأجله ما يعصى اللّه به،و لكن يستثقله بالباطن،و لا ينتهى قلبه عن بغضه.

۱- ۱) قال فى البحار-فى الموضع المذكور ص ۲۰۸-:«فى بعض النسخ- بل أكثرها-:ليستشفى».

۲- ۲) صححنا الحديث على أصول الكافى فى باب حسن الخلق،و فى نسخ جامع السعادات اختلاف كثير عما أثبتناه،و قد جاء فى أصول الكافى فى صدر الحديث:«قال أبو عبد اللّه-عليه السلام- يا بحر حسن الخلق يسر...ثم قال:أ لا أخبرك بحديث ما هو فى يدى أحد من أهل المدينه؟قلت بلى!قال:بينا رسول اللّه...إلى آخر الحديث».

و هو أيضا من الأمراض المؤلمه للنفس،المانعه لها عن القرب إلى اللّه و الوصول إلى الملأ الأعلى.و يمنع صاحبه عما ينبغى أن يصدر عنه بالنسبه إلى أهل الإيمان:من الهشاشه و الرفق و التواضع و القيام بحوائجهم و المجالسه معهم و الرغبه إلى إعانتهم و مواساتهم...و غير ذلک.و هذا كله مما ينقص درجته فى الدين،و يحول بينه و بين مرافقه المقربين.

و لما كانت حقيقته عباره عن العداوه الباطنه،فجميع الأخبار الوارده فى ذم المعاداه تدل على ذمه،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«ما كان جبرئيل يأتينى إلا قال:يا محمد!اتق شحناء الرجال و عداوتهم».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما عهد إلى جبرئيل قط فى شىء ما عهد إلى فى معاداه الرجال».

و قول الصادق(ع): «من زرع العداوه حصد ما بذر»... و قس عليها غيرها.

و طريق العلاج فى إزالته:أن يتذكر أن هذه العداوه الباطنه تؤلمه فى العاجل،إذ الحقود المسكين لا يخلو عن التألم و الهم لحظه،و يعذبه فى الآجل و مع ذلک لا يضر المحقود أصلا،و العاقل لا يدوم على حاله تكون مضره لنفسه و نافعه لعدوه.و بعد هذا التذكر،فليجتهد فى أن يعامله معامله أحبائه:

من مصاحبته بالانبساط و الرفق،و القيام بحوائجه،و غير ذلک،بل يخصه بزياده البر و الإحسان،مجاهده للنفس و إرغاما للشيطان،و لا يزال يكرر ذلک حتى ترتفع عن نفسه آثاره هذه الرذيله بالكليه.ثم لما كان الحقد عباره عن العداوه الباطنه،و حقيقتها اضمار الشر و كراهه الخير لمن يعاديه،فضده (النصيحه)التى هى قصد الخير و كراهه الشر،لا المحبه-كما يتراءى فى بادى الرأى-إذ هى ضد الكراهه دون العداوه-كما يأتى فى محله-فمن معالجات الحقد أن يتذكر فوائد النصيحه و مدحها-كما يأتى-ليعين على إزالته.

ص :348

و منها:

العداوه الظاهره

و هی من لوازم الحقد،لأنه إذا قوی قوه لا یقدر معها علی المجامله أظهر العداوه بالمکاشفه.و الأخبار الوارده فی ذمها کثیره،و قد تقدم بعضها.و علاجها کما تقدم فی الحقد،و ضدها النصیحه الظاهره،أعنی فعلیه الخیر و الصلاح لا مجرد قصدهما،فلیکلف نفسه علیها،حتی تصیر ملکه له و یزیل ضدها.

و منها:

الضرب و الفحش و اللعن و الطعن

و هذه ناشئه غالبا عن العداوه و الحقد،و ربما صدرت من مجرد الغضب و سوء الخلق،و ربما صدر الفحش من الاعتیاد الحاصل من مخالطه الفساق، و ربما کان الباعث فی بعض أفرادها حب المال و فقده المعدود من رذائل قوه الشهوه،إلا أن الفاعل المباشره لهذه الأمور هی القوه الغضبیه،أو النفس لهیجان قوه الغضب.و إن کان الهیجان حاصلا بوساطه فعل قوه الشهوه.و علی أی تقدیر یکون من رذائل القوه الغضبیه علی قاعدتنا،و لذا أدرجناها تحتها فقط.

ثم لا ریب فی کون هذه الأمور مذمومه محرمه فی الشریعه،موجبه لحبط الأعمال و خسران المال.و جمیع ما یدل علی ذم الإیذاء و الإضرار یدل علی ذمها،لکونها بعض أفرادهما.و العقل و الشرع متطابقان علی شده قبح کل واحد منها بخصوصه و إیجابه للهلاک:

أما(الضرب)

-فلأنه لا ريب فى أن ضرب مسلم بلا داع شرعى مما يقبحه كل عاقل،و يذمه جميع طوائف العالم،حتى نفاه الأديان،و الأخبار الوارده فى ذمه كثيره،و فى عده

منها: «إن من ضرب رجلا سوطا لضربه اللّه سوطا من النار».

و أما(الفحش و السب و بذاءه اللسان)

-فلا ريب فى كونه صادرا عن خباثه النفس.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ليس المؤمن بالطعان و لا اللعان،و لا الفاحش و لا البذى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إياكم و الفحش،فإن اللّه لا يحب الفحش و التفحش».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «الجنه حرام على كل فاحش أن يدخلها».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن الفحش و التفحش ليسا من الإسلام فى شيء-

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «البذاء و البيان شعبتان من شعب النفاق»

و روى: أن المراد بالبيان:كشف ما لا يجوز كشفه.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أربعه يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى»...وعد منهم:رجلا يسيل فوه قيحا،و هو من كان فى الدنيا فاحشا.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوه منهم» (۱).

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه حرم الجنه على كل فحاش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل له،فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغيه (۲)أو شرك شيطان».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا رأيتم الرجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل فيه فإنه-لغيه أو شرك شيطان».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن اللّه ليبغض الفاحش البذى و السائل الملحف».

و قال

۱- ۱) و فى بعض نسخ الكافى فى باب السباب،(بينهم)بدل(منهم).
۲- ۲) قال فى القاموس فى ماده(غوى):«ولد غيه-و يكسر-أى زنيه- فيكون معنى(لغيه)أى(لزنيه).

-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن من شرار عباد اللّه من تكره مجالسته لفحشه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سباب المؤمن فسوق،و قتاله كفر،و أكل لحمه معصيه،و حرمه ماله كحرمه دمه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سباب المؤمن كالمشرف على الهلكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «شر الناس عند اللّه تعالى يوم القيامه الذين يكرمون اتقاء شرهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «المتسابان شيطانان متعاديان و متهاتران».

و قال الصادق(ع): «من علامات شرك الشيطان الذى لا يشك فيه أن يكون فحاشا لا يبالى ما (۱)قال و لا ما (۲)قيل فيه».

و قال(ع):

«البذاء من الجفاء،و الجفاء فى النار».

و قال(ع): «من خاف الناس لسانه فهو فى النار»،

و قال: «إن أبغض خلق اللّه تعالى عبد اتقى الناس لسانه».

و عن الكاظم(ع) فى رجلين يتسابان:«فقال:البادى منهما أظلم،و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم» (۳).

(تنبيه)اعلم أن حقيقه الفحش هو التعبير عن الأمور المستقبحه بالعباره الصريحه.و يجرى أكثر ذلك فى ألفاظ الوقاع و آلاته و ما يتعلق بهما فإن لأهل الفساد عبارات صريحه فاحشه يستعملونها فيه،و أهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها،بل يكنون عنها و يعبرون عنها بالرموز.قال بعض الصحابه:«إن اللّه حى كريم يعف و يكنى،كنى باللمس عن الجماع».

فالمس،و اللمس،و الدخول،و الصحبه،كنايات عن الوقاع،و ليست بفاحشه و عنه عبارات فاحشه يستقبح ذكرها.و ليس هذا يختص بالوقاع،بل

۱- ۱) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما)فى الموضعين.

۲- ۲) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما)فى الموضعين.

۳- ۳) قد مضى فى الصفحه(۳۰۰)تصحيح الحديث على ما فى أصول الكافى فى باب السفه.فصححناه هنا أيضا.

الکنایه بقضاء الحاجه عن التبول و التغوط أولی من لفظه التغوط و الخراء و غیرهما،و کذا التعبیر عن المرأه،فهذا أیضا مما یخفی و یستحیی منه،فلا ینبغی أن تذکر ألفاظه الصریحه باللسان،بل یکنی عنها،فلا یقال:قالت زوجک أو امرأتک،بل یقال:قیل فی الحجره،أو قیل من وراء الستر، و قالت أم الأولاد،و أمثال ذلک،و کذلک من به عیوب یستحی منها،فلا ینبغی أن یعبر عنها بصریح لفظها،کالبرص،و القرح،و البطن،و أمثال ذلک بل یکنی عنها بعبارات غیر صریحه،مثل العارض الذی عرض و ما یجری مجراه،إذ التصریح بجمیع ذلک داخل فی الفحش.

ثم ألفاظ الفحش لا ریب-حینئذ-فی کونها محظوره بأسرها مذمومه،و إن کان بعضها أفحش من بعض،فیکون أثمه أشد،سواء استعمل فی الشتم و الإیذاء أو لا یستعمل فیه،بل فی المزاح و الهزل و غیرهما.و حینئذ لما کانت هذه العبارات متفاوته فی الفحش بعضها أفحش من بعض،و ربما اختلف بعاده البلاد،فیکون بعضها مکروها و بعضها محظورا،فإن من قال لغیره مزاحا أو اعتیادا حاصلا من مخالطه الفساق:(فرج امرأتک ضیق أم لا؟)لا ریب فی کونه فحشا محرما مذموما،مع أنه لم یستعمل فی الشتم.

و بالجمله:أوائل هذه العبارات مکروهه و أواخرها محظوره،و بینهما درجات تتردد بین الکراهه و الحرمه.

و أما(اللعن)

-فلا ریب فی کونه مذموما،لأنه عباره عن الطرد و الإبعاد من اللّه تعالی،و هذا غیر جائز إلا علی من اتصف بصفه تبعده بنص الشریعه.و قد ورد علیه الذم الشدید فی الأخبار،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «المؤمن لیس بلعان».

و عن الباقر(ع)قال: «خطب رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-الناس،فقال:أ لا أخبرکم بشرارکم؟قالوا

ص: ۳۵۲

بلی یا رسول اللّه!قال:الذی یمنع رفده،و یضرب عبده،و یتردد وحده.

فظنوا أن اللّه لم یخلق خلقا هو شر من ذلک،ثم قال:أ لا أخبرکم بمن هو شر من ذلک؟قالوا:بلی یا رسول اللّه!قال.المفتحش اللعان الذی إذا ذکر عنده المؤمنون لعنهم،و إذا ذکروه لعنوه».

و قال الباقر علیه السلام:

«إن اللعنه إذا خرجت من فم صاحبها ترددت بینهما فإن وجدت مساغا و إلا رجعت إلی صاحبها».

ثم لما کان اللعن هو الحکم بالبعد أو طلب الإبعاد من اللّه.(و الأول) غیب لا یطلع علیه إلا اللّه.(و الثانی)لا یجوز إلا علی من اتصف بصفه تبعده منه،فینبغی ألا یلعن أحدا إلا من جوز صاحب الشرع لعنه، و المجوز من الشرع إنما هو اللعن علی الکافرین و الظالمین و الفاسقین،کما ورد فی القران و لا ریب فی جواز ذلک بالوصف الأعم.کقولک:لعنه اللّه علی الیهود و النصاری.

و الحق جواز اللعن علی شخص معین علم اتصافه بصفه الکفر أو الظلم أو الفسق.(و ما قیل)من عدم جواز ذلک إلا علی من یثبت لعنه من الشرع کفرعون و أبی جهل.لأن کل شخص معین کان علی إحدی الصفات الثلاثه ربما رجع عنها،فیموت مسلما أو تائبا،فیکون مقربا عند اللّه لا مبعدا عنه (کلام ینبغی)أن یطوی و لا یروی،إذا المستفاد من کلام اللّه تعالی و کلام رسوله-صلی اللّه علیه و آله و سلم-و کلام أئمتنا الراشدین:جواز نسبته إلی الشخص المعین،بل المستفاد منها أن اللعن علی بعض أهل الجحود و العناد من أحب العبادات و أقرب القربات،قال اللّه سبحانه:

أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَهُ اللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِکَهِ وَ النّٰاسِ

أَجْمَعِینَ

(۱)

.و قال: أُولئِکَ یَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ (۲).

و قال النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لعن اللّه الکاذب و لو کان مازحا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم فی جواب أبی سفیان حین هجاء بألف بیت.«اللهم إنی لا أحسن الشعر و لا ینبغی لی،اللهم العنه بکل حرف ألف لعنه» .و قد لعن أمیر المؤمنین علیه السلام جماعه.

و روی أنه کان یقنت فی الصلاه المفروضه بلعن معاویه و عمرو بن العاص و أبی موسی الأشعری و أبی أعور الأسلمی،مع أنه أحلم الناس و أشدهم صفحا عمن یسوء به، فلو لا أنه کان یری لعنهم من الطاعات لما یتخیر محله فی الصلوات المفروضات.

و روی الشیخ الطوسی: «أن الصادق علیه السلام کان ینصرف من الصلاه بلعن أربعه رجال». و من نظر إلی ما وقع للحسن علیه السلام مع معاویه و أصحابه و کیف لعنهم،و تتبع ما ورد من الأئمه فی الکافی و غیره من کتب الأخبار و الأدعیه فی لعنهم من یستحق اللعن من رؤساء الضلال و التصریح بأسمائهم یعلم أن ذلک من شعائر الدین،بحیث لا یعتریه شک و مریه.

و ما ورد من قوله-علیه السلام- «لا تکونوا لعانین» .و مثله.نهی عن اللعن علی غیر المستحقین،

و ما روی: أن أمیر المؤمنین-علیه السلام-نهی عن لعن أهل الشام، فإن صح،فلعله کان یرجو إسلامهم و رجوعهم إلیه،کما هو شأن الرئیس المشفق علی الرعیه.

و بالجمله:اللعن علی رؤساء الظلم و الضلال و المجاهرین بالکفر و الفسق جائز،بل مستحب،و علی غیرهم من المسلمین غیر جائز،إلا أن یتیقن

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۶۱.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۵۹

باتصافه بإحدى الصفات الموجبه له.و ينبغى ألا يحكم باتصافه بشىء منها بمجرد الظن و التخمين،إذ لا يجوز أن يرم مسلم بكفر و فسق من غير تحقيق،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يرم رجل رجلا بالكفر فلا يرميه بالفسق إلا ارتد عليه إن لم يكن كذلك».

ثم اللعن على الأموات أشد وزرا و أعظم إثما،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الأموات،فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». و لا ينبغى أن يلعن الجماد و الحيوان أيضا.

لما روى: «أنه ما لعن أحد الأرض إلا قالت:

اللعن على أعصانا للّه»،

و ما روى: «أن النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم أنكر على أمراه لعنت ناقه،و على رجل لعن بعيرا». ثم الدعاء على المسلم بالشر قريب من اللعن عليه،فلا ينبغى ارتكابه و لو على الظالم،إلا إذا اضطر إليه لشره و إضراره،

و قد ورد أن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضيله يوم القيامه.

و قال على بن الحسين-عليهما السلام- «إن الملائكه إذا سمعوا المؤمن يذكر أخاه بالسوء و يدعو عليه قالوا:بئس الأخ أنت لأخيك!كف أيها المستر على ذنوبه و عورته،و أربع على نفسك، و أحمد اللّه الذى ستر عليك! (1)ثم ضد ذلك-أعنى الدعاء للأخ المسلم بما يحب لنفسه-من أحب الطاعات و أقرب القربات،و فوائده أكثر من أن تحصى،بل عند التحقيق دعاؤك له دعاء لنفسك،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك:و لك مثل ذلك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يستجاب للرجل فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه».

و قال على بن الحسين-عليهما السلام-: «إن الملائكه إذا

١- ١) هذه الروايه من تتمه الروايه الآتيه عن على بن الحسين عليهما السلام

سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير،قالوا:نعم الأخ أنت لأخيك!تدعو له بالخير و هو غائب عنك،و تذكره بالخير.قد أعطاك اللّه-عز و جل-مثلى ما سألت له،و أثنى عليك مثلى ما أثنيت عليه، و لك الفضل عليه». و مثله ورد عن الباقر-عليه السلام-أيضا.و الأخبار فى فضيله الدعاء للإخوان أكثر من أن تحصى،و أى كرامه أعظم لك من أن تصل منك إلى المؤمن و هو تحت إطباق الثرى هدايا الاستغفار و الأدعيه، و هل تدرى كيف تسر روحه منك بهذا العمل؟فإن أهله يقسمون ميراثه و يتنعمون بما خلف،و أنت متفرد بحزنك تدعو له فى ظلمه الليل،

و قد قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء،ينتظر دعوه من ولد أو والد أو أخ أو قريب،» و أنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال،و هو للأموات بمنزله الهدايا للأحياء،فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور،فيقول:هذه هديه لك من عند أخيك،فلان،من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحى بالهديه (١).

و أما(الطعن)

-فهو أيضا من ذمائم الأفعال،و يورث الضرر فى الدنيا و العذاب فى الأخرى.

قال الباقر-عليه السلام-: «إياكم و الطعن على المؤمنين».

و قال-عليه السلام-: «ما من إنسان يطعن فى عين مؤمن إلا مات شر ميته،و كان قمنا ألا يرجع إلى خير».

و اعلم أن هذه الأمور-أعنى الفحش و اللعن و الطعن و أمثالها مما يأتى

١- ١) هذا الكلام من بعد الحديث الذى وضعناه بين قوسين رواه فى إحياء العلوم-ج ٢ ص ١۶۴-عن بعض السلف،و بمضمونه أحاديث مرويه عن آل البيت(ع).روى منها فى الوسائل فى أبواب الاحتضار من كتاب الطهاره (باب استحباب الصلاه عن الميت و الصوم و الحج).

فی موضعه:من الغیبه.و الکذب،و البهتان،و الاستهزاء،و المزاح، و الخوض فی الباطل،و التکلم بالفضول و ما لا یعنی:من آفات اللسان،و یأتی أن لجمیع آفات اللسان ضدا عاما هو الصمت،و یأتی بیان فضیلته و کثره فوائده.و یأتی أیضا ما یدل بعمومه علی ذم جمیع آفات اللسان-أعنی ما ورد فی ذم اللسان،و کون شره أعظم من شر سائر الأعضاء-فإنه بعمومه یدل علی ذم هذه الأمور.

و منها-أی و من رذائل القوه الغضبیه-:

العجب

و هو استعظام نفسه لأجل ما یری لها من صفه کمال،سواء کانت له تلک الصفه فی الواقع أم لا.و سواء کانت صفه کمال فی نفس الأمر أم لا، و قیل:«هو إعظام النعمه و الرکون إلیها مع نسیان إضافتها إلی المنعم»و هو قریب مما ذکر،و لا یعتبر فی مفهومه رؤیه نفسه فوق الغیر فی هذا الکمال و هذه النعمه،و بذلک یمتاز عن الکبر،إذ الکبر هو أن یری لنفسه مزیّه علی غیره فی صفه کمال،و بعباره أخری هو الاسترواح و الرکون إلی رؤیه النفس فوق المتکبر علیه،فالکبر یستدعی متکبرا علیه و متکبرا به.

و العجب لا یستدعی غیر المعجب،بل لو لم یخلق الإنسان إلا وحده تصور أن یکون معجبا،و لا یتصور أن یکون متکبرا،إلا أن یکون مع غیره و هو یری نفسه فوق ذلک الغیر فی صفه الکمال و لا یکفی أن یستعظم نفسه لیکون متکبرا،فإنه قد یستعظم نفسه،و لکن یری فی غیره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا یتکبر علیه،فهو معجب و لیس متکبرا و لا یکفی أن یستحقر غیره،فإنه مع ذلک لو رأی نفسه أحقر أو رأی غیره مثل

ص:357

نفسه لم يكن متكبرا،بل المتكبر هو أن يرى لنفسه مرتبه و لغيره مرتبه، ثم يرى مرتبه نفسه فوق مرتبه غيره.

و الحاصل:أن العجب مجرد إعظام النفس لأجل كمال أو نعمه،و إعظام نفس الكمال و النعمه مع الركون و نسيان إضافتهما إلى اللّه.فإن لم يكن معه ركون و كان خائفا على زوال النعمه مشفقا على تكدرها أو سلبها بالمره،أو كان فرحا بها من حيث أنها من الله من دون إضافتها إلى نفسه لم يكن معجبا، فالمعجب ألا يكون خائفا عليها،بل يكون فرحا بها مطمئنا إليها،فيكون فرحه بها من حيث إنها صفه كمال منسوبه إليه،لا من حيث إنها عطيه منسوبه إلى اللّه تعالى.و مهما غلب على قلبه أنها نعمه من اللّه مهما شاء سلبها زال العجب.

ثم لو انضاف إلى العجب-أى غلب على نفس المعجب-أن له عند اللّه حقا،و أنه منه بمكان،و استبعد أن يجرى عليه مكروه،و كان متوقعا منه كرامه لعمله،سمى ذلك(إدلالا)بالعمل،فكأنه يرى لنفسه على اللّه داله فهو وراء العجب و فوقه إذ كل مدل معجب،و رب معجب لا يكون مدلا، إذ العجب مجرد الاستعظام و نسيان الإضافه إلى اللّه من دون توقع جزاء على عمله،و الإدلال يعتبر فيه توقع الجزاء بعمله،إذ المدل يتوقع إجابه دعوته و يستنكر ردها بباطنه و يتعجب منه،فالإدلال عجب مع شيء زائد.

و على هذا،فمن أعطى غيره شيئا،فإن استعظمه و من عليه كان معجبا، و إن استخدمه مع ذلك أو اقترح عليه الاقتراحات و استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه و كما أن العجب قد يكون مما يراه صفه كمال و ليس كذلك العجب بالعمل قد يكون بعمل هو مخطئ فيه و يراه حسنا،كما قال سبحانه:

أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً

(۱)

۱- ۱) الفاطر،الآيه:۸.

و قال أبو الحسن-عليهما السلام-: «العجب درجات:و منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا،فيعجبه و يحسب أنه يحسن صنعا.و منها أن يؤمن العبد بربه،فيمن على اللّه-عز و جل-و للّه عليه فيه المن».

فصل (ذم العجب)

العجب من المهلكات العظيمه و أرذل الملكات الذميمه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ثلاث مهلكات:شح مطاع،و هوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إذا رأيت شحا مطاعا،و هوى متبعا،و إعجاب كل ذى رأى برأيه،فعليك نفسك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك،العجب العجب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «بينما موسى(ع)جالس (۱)،إذ أقبل عليه إبليس و عليه برنس ذو ألوان، فلما دنى منه خلع البرنس،و قام إلى موسى(ع)فسلم عليه،فقال له موسى:

من أنت؟فقال:أنا إبليس،قال أنت:فلا قرب اللّه دارك،قال:إنى إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من اللّه،فقال له موسى(ع):فما هذا البرنس قال:به اختطف قلوب بنى آدم،فقال موسى:فأخبرنى بالذنب الذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه،قال:إذا أعجبته نفسه و استكثر عمله و صغر فى عينه ذنبه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «قال اللّه-عز و جل- يا داود!بشر المذنبين و أنذر الصديقين،قال:كيف أبشر المذنبين و أنذر الصديقين؟قال:بشر المذنبين أنى أقبل التوبه و أعفو عن الذنب،و أنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم،فإنه ليس عبدا نصبه للحساب إلا هلك».

۱- ۱) و فى بعض نسخ الكافى فى باب العجب هكذا:(جالسا)-بالنصب-

و قال الباقر(ع): «دخل رجلان المسجد،أحدهما عابد و الآخر فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق صديق و العابد فاسق،و ذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها،فتكون فكرته فى ذلك،و تكون فكره الفاسق فى الندم على فسقه،و يستغفر اللّه مما صنع من الذنوب».

و قال الصادق(ع) «إن اللّه علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب،و لو لا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنب أبدا».

و قال(ع): «من دخله العجب هلك».

و قال(ع): «إن الرجل ليذنب فيندم عليه،و يعمل العمل فيسره ذلك،فيتراخى عن حاله تلك،فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه».

و قال(ع): «أتى عالم عابدا فقال له:كيف صلاتك؟فقال:مثلى يسأل عن صلاته و أنا أعبد اللّه منذ كذا و كذا،قال:فكيف بكاؤك؟قال:أبكى حتى تجرى دموعى، فقال له العالم:فإن ضحكك و أنت خائف أفضل من بكائك و أنت مدل،إن المدل لا يصعد من عمله شىء».

و قال(ع): «العجب ممن يعجب بعمله و هو لا يدرى بما يختم له،فمن أعجب بنفسه و فعله،فقد ضل عن نهج الرشاد و ادعى ما ليس له،و المدعى من غير حق كاذب و إن أخفى دعواه و طال دهره.و إن أول ما يفعل بالمعجب نزع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز حقير،و يشهد على نفسه ليكون الحجه عليه أوكد،كما فعل بإبليس.و العجب نبات حبها الكفر،و أرضها النفاق و ماؤها البغى،و أغصانها الجهل،و ورقها الضلاله،و ثمرها اللعنه و الخلود فى النار،فمن اختار العجب فقد بذر الكفر و زرع النفاق،و لا بد أن يثمر» (۱)

و قيل له(ع):الرجل يعمل العمل و هو خائف مشفق،ثم يعمل شيئا من البر

۱- ۱) صححنا هذه الروايه على ما فى البحار-الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر فى باب العجب-و قد نقلها عن مصباح الشريعه،و فيه اختلاف عن نسخ جامع السعادات.

فیدخله شبه العجب به،فقال:«هو فی حاله الأولی و هو خائف أحسن حالا منه فی حال عجبه».

و قال(ع): «إن عیسی بن مریم-علیهما السلام-کان من شرائعه السیح فی البلاد،فخرج فی بعض سیحه و معه رجل من أصحابه قصیر، و کان کثیر اللزوم لعیسی،فلما انتهی عیسی إلی البحر قال: بسم اللّه ،بصحه یقین منه،فمشی علی ظهر الماء.فقال الرجل القصیر حین نظر إلی عیسی جازه بسم اللّه ،بصحه یقین منه،فمشی علی الماء،و لحق بعیسی-صلی اللّه علیه-، فدخله العجب بنفسه،فقال:هذا عیسی روح اللّه یمشی علی الماء و أنا أمشی علی الماء،فما فضله علی؟!قال:فرمس فی الماء،فاستغاث بعیسی(ع)،فتناوله من الماء فأخرجه،ثم قال له:ما قلت یا قصیر؟!قال قلت:هذا روح اللّه یمشی علی الماء و أنا أمشی،فدخلنی من ذلک عجب،فقال له عیسی:لقد وضعت نفسک فی غیر الموضع الذی وضعک اللّه،فمقتک اللّه علی ما قلت،فتب إلی اللّه-عز و جل- مما قلت،قال:فتاب الرجل،و عاد إلی مرتبته التی وضعه اللّه فیها» (۱).

فصل (آفات العجب)

العجب آفاته کثیره:(منها)الکبر لأنه أحد أسبابه-کما یأتی- (و منها)أنه یدعو إلی نسیان الذنوب و إهمالها،فلا یتذکر شیئا منها،و إن تذکر بعضا منها یستصغرها و لا یستعظمها،فلا یجتهد فی تدارکها و تلافیها، بل یظن أنها تغفر له.و أما العبادات،فیستعظمها و یتبجح بها و یمن علی اللّه بفعلها،و ینسی نعمه اللّه علیه بالتوفیق و التمکین منها،و إذا أعجب بها عمی عن آفاتها.و من لم یتفقد آفات الأعمال ضل سعیه،إذ الأعمال الظاهره إذا

۱- ۱) صححنا أکثر هذه الأحادیث علی الکافی فی باب العجب و الحسد.

لم تکن خالصه نقیه عن الشوائب قلما تنفع،و إنما یتفقد الخائف المشفق دون المعجب،لأنه یغتر بنفسه و برأیه و یأمن مکر اللّه و عذابه،و یظن أنه عند اللّه بمکان،و أن له عند اللّه حقا بأعماله التی هی من عطایاه تعالی و نعمه، و ربما یخرجه العجب إلی تزکیه نفسه و الثناء علیها.و إن أعجب برأیه و عقله و علمه منعه ذلک من السؤال و الاستفاده و الاستشاره،فیستبد بنفسه و رأیه و یستنکف عن سؤال الأعلم،و ربما یعجب بالرأی الخطأ الذی خطر له، فیفرح بکونه من خواطره و لا یعتنی بخواطر غیره،فیصر علیه،و لا یسمع نصح ناصح و لا وعظ واعظ،بل ینظر إلی غیره بعین الاستحقار و الاستجهال،فإن کان رأیه الفاسد متعلقا بأمر دنیوی أضره و فضحه،و إن کان متعلقا بأمر دینی-(لا)سیما فی أصول العقائد-أضله و أهلکه.و لو اتهم نفسه و لم یثق برأیه،و استعان بعلماء الدین و سؤال أهل البصیره،لکان خیرا له و أحسن،و موصلا له إلی الحق المتیقن.و من آفاته أنه یفتر فی الجد و السعی،لظنه أنه قد استغنی و فاز بما ینجیه،و هو الهلاک الصریح الذی لا شبهه فیه.

فصل (علاج العجب إجمالا و تفصیلا)

اعلم أن للعجب علاجین:إجمالیا و تفصیلیا (۱)

أما العلاج الإجمالی

-فهو أن یعرف ربه،و أنه لا تلیق العظمه و العزه إلا به،و أن یعرف نفسه حق المعرفه،لیعلم أنه بذاته أذل من کل ذلیل و أقل من کل قلیل،و لا تلیق به إلا الذله و المهانه و المسکنه،فما له و العجب

۱- ۱) و فی النسخ،(اجمالی و تفصیلی).

و استعظام نفسه،فإنه لا ريب فى كونه ممكنا،و كل ممكن فى ذاته صرف العدم و محض اللاشىء،كما ثبت فى الحكمه المتعاليه،و وجوده و تحققه و كماله و آثاره جميعا من الواجب الحق،فالعظمه و الكبرياء إنما تليق بمفيض وجوده و كمالاته،لا لذاته التى هى صرف العدم و محض الليس،فإن شاء أن يستعظم شيئا و يفتخر به فليستعظم ربه و به افتخر،و يستحقر نفسه غايه الاستحقار و حتى يراها صرف العدم و محض اللاشىء.و هذا المعنى يشترک فيه كل ممكن كائنا من كان.

و أما المهانه و الذله التى تخص هذا المعجب و بنى نوعه،فكون أوله نطفه قذره و آخره جيفه عفنه،و كونه ما بين ذلک حمال نجاسات منتنه،و قد مرّ على ممر البول ثلاث مرات.و تكفيه آيه واحده من كتاب اللّه تعالى لو كان له بصيره،و هى قوله:

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.

مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ

(۱)

.

فقد أشارت الآيه إلى أنه كان أولا فى كتم العدم غير المتناهى،ثم خلقه من أقذر الأشياء الذى هو نطفه مهينه،ثم أماته و جعله جيفه منتنه خبيثه.

و أى شىء أخس و أرذل ممن بدايته محض العدم،و خلقته من أنتن الأشياء و أقذرها،و نهايته الفناء و صيرورته جيفه خبيثه.و هو ما بين المبدإ و المنتهى عاجز ذليل،لم يفوض إليه أمره،و لم يقدر على شىء لنفسه و لا لغيره،إذ سلطت عليه الأمراض الهائله،و الأسقام العظيمه،و الآفات

۱- ۱) عبس الآيه:۱۷-۲۲.

المختلفه،و الطبائع المتضاده،من المره و الدم و الريح و البلغم،فيهدم بعض أجزائه بعضا،شاء أم أبى،رضى أم سخط،فيجوع كرها،و يعطش كرها، و يمرض كرها،و يموت كرها،لا يملك لنفسه نفعا و ضرا و لا خيرا و شرا.

يريد أن يعلم الشىء فيجهله،و يريد أن يذكر الشىء فينساه،و يريد أن ينسى الشىء فلا ينساه،و يريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول فى أوديه الوساوس و الأفكار بالاضطرار.فلا يملك قلبه قلبه،و لا نفسه نفسه.

يشتهى الشىء و فيه هلاكه و يكره الشىء و فيه حياته،يستلذ ما يهلكه و يرديه و يستبشع ما ينفعه و ينجيه،و لا يأمن فى لحظه من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه و بصره و علمه و قدرته،و تفلج أعضاؤه،و يختلس عقله،و تختطف روحه، و يسلب جميع ما يهواه فى دنياه،و هو مضطر ذليل،أن ترك فنى،و أن خلى ما بقى،عبد مملوك،لا يقدر على شىء من نفسه و لا من غيره،فأى شىء أذل منه لو عرف نفسه؟و أنى يليق العجب به لو لا جهله؟.و هذا وسط أحواله.

و أما آخره،فهو الموت-كما عرفت-فيصير جيفه منتنه قذره،ثم تضمحل صورته،و تبلى أعضاؤه،و تنخر عظامه،و تتفتت أجزاؤه،فيصير رميما رفاتا،ثم يصير روثا فى أجواف الديدان،يهرب منه الحيوان، و يستقذره كل إنسان،و أحسن أحواله أن يعود إلى ما كان،فيصير ترابا تعمل منه الكيزان،و يعمر منه البنيان،فما أحسنه لو ترك ترابا،بل يحيى بعد طول البلى ليقاسى شدائد البلا،فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقه،و يساق إلى عرصات القيامه،فيرى سماء مشققه،و أرضا مبدله، و جبالا مسيره،و نجوما منكدره،و شمسا منكسفه،و جحيما مسعره،و جنه مزينه،و موازين منصوبه،و صحائف منشوره،فإذا هو فى معرض المؤاخذه و الحساب و عليه ملائكه غلاظ شداد،فيعطى كتابه إما بيمينه أو شماله،

فیری فیه جمیع أعماله و أفعاله،من قلیل و کثیر و نقیر و قطمیر.فإن غلبت سیئاته علی حسناته و کان مستحقا للعذاب و النار،تمنی أن یکون کلبا أو خنزیرا لصیر مع البهائم ترابا و لا یلقی عقابا و لا عذابا. و لا ریب فی أن الکلب و الخنزیر أحسن و أطیب ممن عصی ربه القهار و یعذب فی النار،إذ أولهما و آخرهما التراب،و هو بمعزل عن العقارب و العذاب،و الکلب و الخنزیر لا یهرب منهما الخلق،و لو رأی أهل الدنیا من یعذب فی النار لصعقوا من وحشه خلقته و قبح صورته.و لو وجدوا ریحه لماتوا من نتنه،و لو وقعت قطره من شرابه الذی یسقاه فی بحار الدنیا صارت أنتن من الجیفه المنتنه.

فما لمن هذه حاله و العجب و استعظام نفسه!و ما أغفله من التدبر فی أحوال یومه و أمسه!و لو لم یدرکه العذاب و لم یؤمر به إلی النار فإنما ذلک للعفو،لأنه ما من عبد إلا و قد أذنب ذنبا،و کل من أذنب ذنبا استحق عقوبه،فلو لم یعاقب فإنما ذلک للعفو.و لا ریب فی أن العفو لیس یقینا،بل هو مشکوک فیه،فمن استحق عقوبه و لا یدری أ یعفی عنها أم لا،یجب أن یکون أبدا محزونا خائفا ذلیلا،فکیف یستعظم نفسه و یلحقه العجب، أ لا تری أن من جنی علی بعض الملوک بما استحق به ألف سوط مثلا،فأخذ و حبس فی السجن.و هو منتظر أن یخرج إلی العرض و تقام علیه العقوبه علی ملإ من الخلق،و لیس یدری أ یعفی عنه أم لا،کیف یکون ذله فی السجن؟ أ فتری أنه مع هذه الحاله یکون معجبا بنفسه؟!و لا أظنک أن تظن ذلک.

فما من عبد مذنب،و لو أذنب ذنبا واحدا،إلا و قد استحق عقوبه من اللّه، و الدنیا سجنه،و لا یدری کیف یکون أمره،فیکفیه ذلک خوفا و مهانه و ذله.فلا یجوز له أن یعجب و یستعظم نفسه.

هذا هو العلاج الإجمالی للعجب.

ص :۳۶۵

و أما التفصيلى

-فهو أن يقطع أسبابه-أعنى ما به العجب-و هى العلم، و المعرفه،و العباده،و الطاعه،و غير ذلک من الکمالات النفسيه،کالورع، و الشجاعه،و السخاوه،و النسب،و الحسب،و الجمال،و المال،و القوه، و البطش،و الجاه،و الاقتدار،و کثره الأعوان و الأنصار،و الکياسه، و التفطن لدقائق الأمور،و الرأى الخطإ.

أما(العجب بالعلم):

فعلاجه أن يعلم أن العالم الحقيقى هو الذى يعرف نفسه و خطر الخاتمه،و أن من تليق به العظمه و العزه و الکبرياء هو اللّه سبحانه،و ما عداه هالک الهويه و الذات فاقد الکمال و الصفات.و هذا العلم يزيد الخوف و الذله و المهانه و المسکنه،و الاعتراف بالقصور و التقصير فى أداء حقوق اللّه،و الشکر بإزاء نعمه،و لذا قيل:«من ازداد علما ازداد وجعا».

فالعلم الذى لا يوجب ذلک و يورث العجب،إما ليس علما حقيقيا،بل هو من العلوم الدنيويه التى ينبغى أن تسمى صناعات لا علوما،إذ صاحبه خاض فيه و هو خبيث النفس ردى الأخلاق لم يهذب نفسه أولا و لم يزکها بالمجاهدات و لم يرضها فى عباده ربه،فيبقى خبيث الجوهر،فإذا خاض فى العلم و إن کان علما حقيقيا صادف من قلبه منزلا خبيثا،فلم يطب ثمره و لم يظهر فى الخير اثره،فإن العلم مثله مثل الغيث ينزل من السماء عذبا صافيا،فإذا شربته الأشجار و النباتات ازداد المر مراره و الحلو حلاوه،کذلک العلم إذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبيث ظلمه و خباثه.و الطيب الصافى طيبا و صفاء و إذا علم ذلک،يعرف أنه لا ينبغى العجب بالعلم،و يجب أيضا أن يعلم أنه إذا أعجب بنفسه صار ممقوتا عند اللّه مبغوضا لديه،لما تقدم من الأخبار و قد أحب اللّه منه الذله و الحقاره عند نفسه.

و قال بواسطه سفرائه: «إن لک عندى قدرا ما لم تر لنفسک قدرا،فإن رأيت لنفسک قدرا فلا قدر لک

عندى» (۱).

و قال: «صغروا أنفسكم ليعظم عندى محلكم». فلا بد أن يكلف نفسه ما يحب مولاه،و أن يعلم أن حجه اللّه على أهل العلم أوكد،و أنه يتحمل من الجاهل ما لا يتحمل عشره من العالم،لأن العالم إذا زل زل بزلته كثير من الناس،و لأن من عصى اللّه عن علم و معرفه كانت جنايته أفحش إذا لم يقض حق نعمه اللّه عليه فى العلم،و لذلك

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«يؤتى بالعالم يوم القيامه فيلقى فى النار،فتندلق أقتابه،فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى،فيطيف به أهل النار،فيقولون:ما لك؟فيقول:كنت آمر بالخير و لا آتيه و أنهى عن الشر و آتيه». و قد مثل اللّه تعالى علماء(اليهود) بالحمار (۲)،و بلعلم بن باعوراء بالكلب (۳)،لعدم عملهم بما علموه.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم،يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا و من أعلم منا»ثم التفت إلى أصحابه فقال:«أولئك منكم أيها الأمه،أولئك هم وقود النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه و إن أشد أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلى اللّه فاستجاب له و قبل منه،فأطاع اللّه فأدخله اللّه الجنه،و أدخل الداعى النار بتركه علمه و اتباعه الهوى و طول الأمل»

و قال روح اللّه(ع): «ويل لعلماء السوء (۴)كيف

۱- ۱) هذا كلام بنصه مذكور فى إحياء العلوم-ج ۳ ص ۳۱۲-و يظهر منه أنه من كلامه هو أو مقتبس من مضامين الأخبار،لا أنه نص حديث،و كذا ما بعده و هو قوله:«صغروا...».

۲- ۲) إشاره إلى قوله تعالى-فى سوره الجمعه الآيه ۵-: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰاهَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا كَمَثَلِ الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً» .

۳- ۳) إشاره إلى قوله تعالى-فى سوره الأعراف الآيه ۱۷۶-: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ» .

۴- ۴) فى النسخ المصححه للكافى-باب لزوم الحجه على العالم-هكذا:«للعلماء السوء بتعريف العلماء-و نحن رجحنا نسخه جامع السعادات المطبوعه فأثبتناه بلا تعريف قال صاحب مجمع البحرين-ماده(سوء)-:«تقول هذا رجل سوء بالإضافه ثم تدخل عليه الألف و اللام،فتقول هذا رجل السوء.و لا يقال الرجل السوء.كذا قاله الجوهرى».

تتلظى عليهم النار».

و قال الصادق(ع): يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

و لا ريب فى أن كل عالم يأمر الناس بالتواضع و ذل النفس و انكسارها، و ينهاهم عن العجب و الكبر،و هو معجب متكبر،يكون من علماء السوء، و ممن لم يعمل بعلمه،فيكون داخلا تحت هذه الأخبار.و أى عالم يتصور فى أمثال هذه الأزمنه أن يجزم بأنه عمل بجميع ما علم و أمر به،و لم يضع شيئا من أوامر ربه من الجنايات الظاهره و الذنوب الباطنه،كالرياء و الحسد و العجب و النفاق و غير ذلك؟و كيف يمكنه القطع بأنه امتثل ما أمر به من التكاليف العامه و الخاصه به؟فخطره أعظم من خطر غيره،كيف

و قد روى:

«أن حذيفه صلى بقوم،فلما سلم قال:لتلتمس إماما غيرى أو لتصلن وحدانا،فإنى رأيت فى نفسى أنه ليس فى القوم أفضل منى». فإذا كان مثله لا يسلم،فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الأمه،فما أعز على بسيط الأرض فى هذه الأعصار علماء الآخره الذين أقبلوا على شأنهم،و استوحشوا من أوثق إخوانهم،و شغلهم عظيم الأمر عن الالتفات إلى الدنيا و زهرتها، و أزعجهم خوف الرحمن عن مضاجعهم فى حنادس الليالى و ظلمتها،و لا يشتهون من نعيم الدنيا حارا و لا باردا،و صارت همومهم هما واحدا،هيهات!فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم،فهم أرباب الإقبال و أصحاب الدول،و قد انقرضوا فى القرون الأول،بل يعز أن يوجد فى زماننا هذا عالم لا تكون له استطاله و خيلاء،و لم يكن متكبرا على الفقراء،و متواضعا للأغنياء.فينبغى لكل

عالم أن يتفكر فى أحواله و أعماله و ما أريد منه،و فى عظم خطره حتى تنكسر نفسه،و يظهر خوفه و حزنه و يبطل كبره و عجبه.

و أما(العجب بالعباده و الطاعه):

فعلاجه أن يعلم أن الغرض من العباده هو إظهار الذل و الانكسار،و صيرورتهما ملكه للنفس ليحصل له معنى العبوديه و حقيقتها،فالعجب لمنافاته الغرض المقصود منها يبطلها،و بعد بطلانها فلا معنى للعجب بها و أيضا آفات العباده الموجبه لحبطها كثيره، و كذلك شرائطها و آدابها التى لا يصح بدونها كثيره،فيمكن أن تدخلها بعض الآفات،أو تفقد عنها بعض الشرائط و الآداب،فلا تكون مقبوله عند اللّه، و مع إمكان ردها و عدم قبولها كيف يعجب العاقل بها؟و من يمكنه القطع بسلامه طاعاته و عباداته عن جميع الآفات؟و من قطع بذلك فهو فى غايه الجهل بحقائق الأمور.على أن فائده العباده إنما هو إذا كان عند اللّه سعيدا،و من جوز أن يكون عند اللّه شقيا،و قد سبق القضاء الآلهى بشقوته،فأى نفع يتصور لعبادته حتى يعجب بها؟و لا ريب فى أنه لا يخلو عبد عن هذا التجويز،فما لأحد إلى العجب و التكبر فى حال من الأحوال سبيل.

و أما(العجب بالورع،و التقوى،و الصبر،و الشكر،و السخاوه، و الشجاعه،و غيرها من الفضائل النفسيه):

فعلاجه أن يعلم أن هذه الفضائل إنما تكون نافعه و منجيه إذا لم يدخلها العجب،و إذا دخلها العجب أبطلها و أفسدها، فما للعاقل أن يرتكب رذيله تضيع ما له من الفضائل،و أنى له لا يظهر الذله و التواضع فى نفسه حتى يزيد فضيله على فضائلها،و يختم لأجلها الجميع بالخير، و تصير عاقبته محموده،و تكون مساعيه مقبوله مشكوره. و ينبغى أن يعلم أن كل واحد من الفضائل التى يثبتها لنفسه موجوده مع الزياده فى كثير من بنى نوعه،و إذا علم اشتراك الناس معه فى هذه الفضيله زال إعجابه بها. و قد نقل أن

واحدا من مشاهير الشجعان إذا قابل خصمه اصفر لونه و ارتعدت فرائصه و اضطرب قلبه،فقيل له،ما هذه الحاله و أنت أشجع الناس و أقواهم؟فقال إنی لم أمتحن خصمی،فلعله أشجع منی.و أيضا النصر و الغلبه و حسن العاقبه مع الذله و المسكنه،لا مع الإعجاب بالقوه و الشجاعه،فإن اللّه عند المنكسره قلوبهم.

و من المعالجات النافعه للعجب بكل واحد من الصفات الكماليه:أن يقابل سببه بضده،إذ علاج كل عله بمقابله سببها بضده،و لما كانت عله العجب هو الجهل المحض،فعلاجه المعرفه المضاده له،فنقول:

الكمال الذی به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنه فيه و هو محله و مجراه،أو من حيث إنه نشأ منه و حصل بسببه و قوته و قدرته،فإن كان(الأول)،فهو محض الجهل،لأن المحل مسخر،و إنما يجری ما يجری فيه و عليه من جهه غيره،و لا مدخل له فی الإيجاد و التحصيل،فكيف يعجب بما ليس له.و إن كان(الثانی)،فينبغی أن يتأمل فی قدرته و إرادته و أعضائه،و سائر الأسباب التی بها يتم كماله و عمله،أنها من أين كانت له:فإن كان علم أن جميع ذلک نعمه من اللّه إليه من غير حق سبق له،فينبغی أن يكون إعجابه بجود اللّه تعالی و كرمه و فضله،إذ أفاض عليه ما لا يستحقه،و آثره به علی غيره من غير سابقه و وسيله،فإن ظن أنه تعالی وفقه لهذا العمل لاتصافه ببعض الصفات الباطنه المحموده،كحبه له تعالی أو مثله،فيقال له الحب و العمل كلاهما نعمتان من عنده،ابتدأک بهما من غير استحقاق من جهتک،إذ لا وسيله لک و لا علاقه،فليكن الإعجاب بجوده،إذ أنعم بوجودک و بوجود صفاتک و أعمالک و أسباب أعمالک.

فإذا لا معنی لعجب العالم بعلمه،و عجب العابد بعبادته،و عجب الشجاع

بشجاعته،و عجب الجمیل بجماله،و عجب الغنی بماله،لأن کل ذلک من فضل اللّه،و إنما هو محل لفیضان فضل اللّه و جوده.و المحل أیضا من فضله و جوده، فإنه هو الذی خلقک،و خلق أعضاءک،و خلق فیها القوه و القدره و الصحه، و خلق لک العقل و العلم و الإراده،و لو أردت أن تنفی شیئا من ذلک لم تقدر علیه.ثم خلق الحرکات فی أعضائک مستبدا باختراعها من غیر مشارکه لک معه فی الاختراع،إلا أنه خلقها علی ترتیب،فلم یخلق الحرکه ما لم یخلق فی العضو قوه و فی القلب إراده،و لم یخلق العلم ما لم یخلق القلب الذی هو محله، فتدریجه فی الخلق شیئا بعد شیء هو الذی خیل إلیک أنک مستقل بإیجاد عملک،و قد غلطت،فإن تحریک البواعث،و صرف العوائق،و تهیئه الأسباب کلها من اللّه،لیس شیء منها إلیک.

و من العجائب أن تعجب بنفسک،و لا تعجب بمن إلیه الأمر کله، و لا تعجب بجوده و کرمه،و فضله فی إیثاره إیاک علی الفساق من عباده، إذ مکنهم من أسباب الشهوات و اللذات،و زواها عنک،و صرف عنهم بواعث الخیر و هیاها لک،حتی یتیسر لک الخیر من غیر وسیله سابقه منک.

روی: «أن أیوب(ع)قال:(إلهی إنک ابتلیتنی بهذا البلاء،و ما ورد علی أمر إلا آثرت هواک علی هوای).فنودی من غمامه بعشره آلاف صوت:یا أیوب!أنی لک ذلک؟قال:فأخذ رمادا فوضعه علی رأسه،و قال منک یا رب!فرجع عن نسیانه،و أضاف ذلک إلی اللّه تعالی،و لذلک قال اللّه تعالی:

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ مٰا زَکیٰ مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً

(۱)

.

۱- ۱) النور،الآیه:۲۱.

و قال النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «ما منکم من أحد ینجیه عمله»،قالوا:و لا أنت یا رسول اللّه!قال:«و لا أنا إلا أن یتغمدنی اللّه برحمته».

(فإن قیل):ما ذکرت من استناد الصفات و الأفعال و محلها جمیعا إلی اللّه تعالی،یؤدی إلی الجبر و نفی التکلیف،و بطلان الثواب و العقاب،(قلنا):

هذا فرع باب مسأله یتعلق بعلم آخر،و لا یلیق بیانها هنا (۱).و نحن لم نسلب القدره و الاختیار عن العبد بالکلیه فی متعلق التکلیف-أعنی أفعاله العرضیه- بل نفینا استقلاله فیها.نعم،فی غیرها من المحال و الأسباب و الصفات اللازمه،و التوفیق،و تحریک البواعث،و صرف الموانع،لا قدره له فیها أصلا،و لا یلزم منه فساد.

و أما(العجب بالحسب و النسب):فعلاجه یتم بمعرفه أمور:

الأول-أن یعلم أن التعزز بکمال الغیر غایه السفاهه و الجهل،

فإنه لو کان خسیسا فی صفات ذاته،فمن أین یجبر خسته کمال غیره،و لو کان أباه أوجده،بل لو کان الذی یعجب به بالانتساب حیا لکان له أن یقول:

الفضل لی لا لک و أنت دوده خلقت من فضلتی،أ فتری أن الدوده التی خلقت من فضله الإنسان أشرف من الدوده التی خلقت من فضله حمار؟!هیهات! فإنهما متساویان فی الخسه،ان الشرف للإنسان لا للدوده،

و لذا قال أمیر المؤمنین(ع):

أنا ابن نفسی و کنیتی أدبی

من عجم کنت أو من العرب

إن الفتی من یقول ها أنا ذا

لیس الفتی من یقول کان أبی

و قیل:

۱- ۱) تقدم ذکر هذا الأمر ص ۱۴۱.

لئن فخرت بآباء ذوی شرف

لقد صدقت و لکن بئس ما ولدوا

و قد روی: «أن أبا ذر قال بحضره النبی-صلی اللّٰه علیه و آله و سلم- لرجل:(یا ابن السوداء!)،فقال النبی-صلی اللّٰه علیه و آله و سلم-:

(یا أبا ذر!طف الصاع طف الصاع،لیس لابن البیضاء علی ابن السوداء فضل).

فاضطجع أبو ذر و قال لرجل:قم فطأ علی خدی».

و روی: «أن بلالا لما أذن یوم الفتح علی الکعبه،قال جماعه:هذا العبد الأسود یؤذن!فنزل قوله تعالی:

یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ إِنّٰا خَلَقْنٰاکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثیٰ وَ جَعَلْنٰاکُمْ شُعُوباً وَ قَبٰائِلَ لِتَعٰارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰاکُمْ

(۱)

.

و قال رسول اللّٰه-صلی اللّٰه علیه و آله و سلم-: «إن اللّٰه قد أذهب عنکم عیبه الجاهلیه-أی کبرها-کلکم بنو آدم و آدم من تراب». و نقل:

أن واحدا من رؤساء الیونان افتخر علی غلام،فقال له:إن کان منشأ افتخارک آبائک فالتفوق لهم لا لک،و إن کان لباسک فالشرافه له دونک، و إن کان مرکوب فالفضیله له لا لک.فلیس لک شیء یصلح للعجب و المفاخره

و لذا قال متمم مکارم الأخلاق-صلی اللّٰه علیه و آله و سلم-: «لا تأتونی بأنسابکم و ائتونی بأعمالکم».

الثانی-أن یعرف نسبه الحقیقی،

فإن أباه القریب نطفه قذره، و جده البعید تراب ذلیل.و قد عرفه اللّٰه نسبه فقال:

وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسٰانِ مِنْ طِینٍ. ثُمَّ جَعَلَ

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۳

نَسْلَهُ مِنْ سُلاٰلَهٍ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ

(۱)

.

و الأصل الذی یوطأ بالأقدام أو تغسل منه الأجسام أی رفعه یکون لفرعه!

الثالث

-أن یعلم أن من یعجب بهم بالانتساب من أسلافه،إن کانوا من أهل الدیانه و الخصال المرضیه و الشرافه الحقیقیه،فظاهر أنه ما کان من أخلاقهم العجب،بل الذله و الإزراء علی النفس و مذمتها و استعظام الخلق،فإن اقتدی بهم فی أخلاقهم فلا یلیق به العجب و التعزز،و إلا کان طاعنا فی نسبه بلسان حاله.و إن لم یکونوا من أهل الدیانه الواقعیه و الشرافه العلمیه و العملیه بل کان لهم مجرد شوکه ظاهریه،کالسلاطین الظلمه و أعوانهم،فأف لمن یفتخر بهم و یعجب بنفسه لأجلهم!إذ الانتساب إلی الکلاب و الخنازیر أحسن من الانتساب إلیهم،کیف و أنهم ممقوتون عند اللّه معذبون فی النار، بحیث لو نظر إلی صورهم فی النار و ما لحقهم فیها من النتن و القذاره،لاستنکف منهم و تبرأ من الانتساب إلیهم،

و لذلک قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«لیدعن قوم الفخر بآبائهم و قد صاروا فحما فی جهنم،أو لیکونن أهون علی اللّه من الجعلان التی تدوف بآنافهم القذر»

و روی، أنه افتخر رجلان عند موسی(ع)،فقال أحدهما:أنا فلان بن فلان،حتی عد تسعه،فأوحی اللّه تعالی إلی موسی:«قل للذی افتخر،بل التسعه من أهل النار و أنت عاشرهم!».

و أما(العجب بالجمال):

فعلاجه أن یعلم أنه فی معرض الزوال بالعلل و الآلام و الأمراض و الأسقام،و أی عاقل یعجب بشیء تزیله حمی یوم أو قرحه أو جدری!

۱- ۱) السجده،الآیه ۷-۸.

بر مال و جمال خويشتن غرّه مشو

كآن را بشبى برند و اين را به تبى (۱)

و لو لم يرتفع بها،فهل يشك عاقل بزواله بذهاب الشباب و مجىء الشيب و بالموت الذى لا بد أن تذوقه كل نفس؟فانظر إلى الوجوه الجميله و الأبدان الناعمه،كيف تمزقت فى التراب و انتنت فى القبور،بحيث استقذرتها الطباع على أنه لو نظر العقلاء فى باطنه عند اتصافه بغايه جماله،لرأى من الفضائح ما يكدر عليه العجب و التعزز به،فإنه وكلت إليه (۲)الأقذار فى جميع أجزائه:(البصاق)فى فمه،(و المخاط)فى أنفه،(و الوسخ)فى أذنه،(و النتن)تحت إبطه،(و الصديد)تحت بشرته،(و الفضلات)فى معدته،(و الرجيع)فى أمعائه،(و الديدان)فى أحشائه،(و البول)فى مثانته،(و الصفراء)فى مرارته،يتردد إلى الخلاء كل يوم مرتين،و يغسل الغائط كل يوم بيده مرتين،يخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا أن يمسه أو يشمه.و فى أول أمره خلق من الأقذار الشنيعه الصور،من النطفه و دم الحيض،و خرج من مجارى الأقذار،أعنى الصلب و الذكر و الرحم و الفرج.و لو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهده بالغسل و التنظيف، لثارت منه الأنتان و الأقذار،و صار أقذر و أنتن من الدواب المهمله.هذا أوله و وسطه،و سيموت فيصير جيفه أقذر من سائر الأقذار.فما للعاقل أن يعجب و يتعزز بهيئه حاصله لبدن هذه حقيقته.

و أما(العجب بالمال):

فهو عجب بأمر خارج عن ذات الإنسان،فهو أقبح أنواع العجب.و علاجه أن يتفكر فى آفات المال،و كونه فى معرض

۱- ۱) معنى البيت:(لا تغتر بمالك و جمالك،فإن ذاك يذهب بليله و هذا بحمى واحده).

۲- ۲) و فى النسخ:«و كل به»،و رجحنا ما أثبتناه.

الفناء و الزوال،من الغضب و النهب و الحرق و الغرق،و غير ذلك من الآفات السماويه و الأرضيه،و يتذكر أن فى اليهود و الهند و من يزيد عليه فى المال.

و أفّ لشرف يسبقه اليهود و الهند!و أف لشرف يأخذه السارق فى لحظه فيعود صاحبه ذليلا مفلسا!!و يتذكر ما ورد فى ذم المال و حقاره الأغنياء، و فى فضيله الفقر و شرافه الفقراء،و سبقهم إلى الجنه فى القيامه،و ما ورد فى عقوبه المعجب بالمال بخصوصه، كقوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «بينما رجل يتبختر فى حله له قد أعجبته نفسه،إذ أمر اللّه الأرض فأخذته،فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامه» (۱)،أشار به إلى عقوبه إعجابه بماله و نفسه و كيف يتصور المؤمن العاقل أن يعجب بالمال و يفرح به،مع كثره حقوقه و عظم غوائله،و إيجابه المؤاخذه و طول المحاسبه فى القيامه،و العقوبه و النكال إن كان حراما،و انحطاط المرتبه و الدرجه إن كان حلالا،بل ينبغى له ألا يخلو ساعه عن الخوف من تقصيره،فى القيام بحقوقه،و أخذه من حله، و وضعه فى حقه.

و أما(العجب بالقوه و شده البطش):

فعلاجه أن يتذكر ما سلط عليه من العلل و الأمراض،و أن حمى يوم تضعف قوته و يتحلل منها ما لا ينجبر فى مده،و أنه لو وجع عرق واحد من بدنه صار أعجز من كل عاجز و أذل من كل ذليل،و أنه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه.و أن بقه لو دخلت فى أنفه أو نمله دخلت فى أذنه لقتلته،و أن شوكه لو دخلت فى رجله لأعجزته.ثم أقوى إنسان لا يكون أقوى من حمار أو جمل أو فيل أو بقر، و أى عجب و افتخار فى صفه يسبقه البهائم فيها،هذا مع أن الغالب أن من يعجب بقوته يسلبها اللّه تعالى عنه بأدنى آفه يسلطها عليه.

ص: ۳۷۶

۱- ۱) هذا الحديث صححناه على ما فى إحياء العلوم-۳:۳۲۲-.

و أما(العجب بالجاه،و المنصب،و ولايه السلاطين،و كثره الأتباع و الأنصار:

من الأولاد و الأقارب و القبائل و العشائر و الخدم و الغلمان):

فعلاجه أن يعلم أن كل ذلك فى معرض الانقطاع،و عن قريب يقع بينه و بينها المفارقه إما بفنائه و موته أو بفنائها و هلاكها،بل العاقل يجدها كسراب بقيعه،و إنما هى خيالات تظن شيئا و ليست بشىء،و ستفترق عنه إذا مات و دفن فى قبره ذليلا مهينا وحده،لا يرافقه أهل و أولاد و لا أعوان و أتباع، فيسلمونه إلى البلاء و إلى العقارب و الحيات و الديدان،و لا يغنون عنه شيئا، و هو فى أحوج أوقاته إليهم،و كيف يعجب العاقل بمن يفارقه فى أشد أحواله! على أنهم فى الدنيا يتبعونه ما دام يحصل منه ما يشتهونه من البذل و الإعطاء فلا بد له من إيقاع نفسه فى المهالك و تعرضه لسخط اللّه و عقوبته،لتحصيل الأموال من الوجوه المحرمه و صرفها إليهم،ليستمروا على متابعته و إعانته، و لو نقص شىء مما يتمنونه تعرضوا لمقته و عداوته،فضلا عن بقائهم على حمايته و إطاعته.ثم المعجب بتمكين السلطان و ولايته بناء أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر،إذ لو تغير عليه كان أذل الخلق.

و أما(العجب بالعقل و الكياسه و التفطن لدقائق الأمور):

فعلاجه أن يعلم أن ذلك يزول عنه بأدنى مرض يصيب دماغه،و ربما زال عقله دفعه.

مع أنه إن كان فى الواقع فطنا كيسا فى الأمور يلزم عليه أن يشكر اللّه تعالى على ذلك،و يستصغر (۱)عقله و فطانته،ليبقى اللّه تعالى عليه تلك النعمه و لا يسلبها عنه لأجل عجبه.

و أما(العجب بالرأى الخطإ الذى يزين له بجهله):

فهو أقبح أنواع العجب،إذ جميع أهل البدع و الضلال و الفرق الذين اختاروا مذاهب باطله

۱- ۱) فى النسخ:«يستغفر»،فرجحنا ما أثبتناه.

و آراء فاسده إنما أصروا عليها لعجبهم بها،و لذا يفتخرون بمذاهبهم على غيرهم،و بذلك هلكت الأمم إذا افترقت فرقا،و كل معجب برأيه،و:

كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

(۱)

.

فكل من استحسن ما يسوقه إليه الهوى و الشبهه-مع ظن كونه حقا- يكون له هذا العجب،

و قد أخبر رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمه». و علاجه أشد من علاج غيره،لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطإه،و لو عرفه لتركه.و لا يعالج الداء الذى لا يعرف إذ العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله و يزيله عنه إذا لم يكن معجبا برأيه و جهله،و إذا كان معجبا به يتهمه و لا يصغى إليه حتى يعالجه،فقد سلطت عليه بليه تهلكه و هو يظن أنها نعمه.و كيف يطلب الهرب مما يعتقد أنه سبب سعادته!و إنما علاجه فى الجمله أن يكون متهما لرأيه لا يغتر به،إلا أن يشهد له قاطع عقلى أو نقلى لا يعتريه ريب و شبهه.

و معرفه أدله الشرع و العقل و شروطها و مكان الغلط فيها موقوفه على عقل ثابت،و قريحه تامه مستقيمه،مع جد و تشمير فى الطلب،و ممارسه الكتاب و السنه،و مجالسه أهل العلم و مدارسه العلوم طول العمر،و مع ذلك لا يؤمن عليه الغلط.فالصواب للكل-إلا من أيده اللّه بقوه قدسيه يتمكن بها من الخوض فى غمرات العلوم-ألا يخوض فى المذاهب الباطله و لا يصغى إليها،و يتبع أهل الوحى فيما جاءوا به من عند اللّه فى الأصول و الفروع.

۱- ۱) المؤمنون،الآيه:۵۳.

وصل (انكسار النفس)

ضد العجب انكسار النفس و استحقارها و كونها فى نظره ذليله مهينه.

و كما أن العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار استصغار الغير معه،فكذا ضده مجرد استحقار النفس من دون اشتراط إعظام الغير معه،إذ الأول مع اعتبار الثانى تكبر،و الثالث مع اشتراط الرابع تواضع،و هما ضدان.

ثم لا ريب فى فوائد انكسار النفس و استصغارها،و كل من بلغ مرتبه عظيمه فإنما بلغ بهذه الصفه،لأن اللّه تعالى عند المنكسره قلوبهم،

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «ما من أحد إلا و معه ملكان و عليه حكمه (۱)يمسكانها،فإن هو رفع نفسه جبذاها (۲)ثم قالا:اللهم ضعه،و إن وضع نفسه قالا:اللهم ارفعه» (۳).

و روى: «أنه أوحى اللّه تعالى إلى موسى(ع):أن يا موسى!أ تدرى لم اصطفيتك بكلامى دون خلقى؟قال:يا رب!و لم ذلك؟فأوحى اللّه تبارك و تعالى إليه:أنى قلبت عبادى ظهرا لبطن،فلم أجد فيهم أحدا أذل نفسا لى منك،يا موسى!إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب».

و روى: «أنه لما أوحى اللّه تعالى إلى الجبال.أنى واضع سفينه نوح عندى على جبل منكن،فتطاولت و شمخت، و تواضع الجودى،و هو جبل عندكم،فضربت السفينه بجؤجؤها الجبل، فقال نوح عند ذلك:(يا مارى اتقن)و هو بالسريانيه:رب أصلح» (۴)

۱- ۱) الحكمه بالتحريك:ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه.

۲- ۲) بمعنى جذباها.

۳- ۳) صححنا الحديث على ما فى احياء العلوم-ج ۲ ص ۳۲۹-.

۴- ۴) هذا الحديث و ما قبله رواهما الكافى فى باب التواضع.فصححناهما عليه

و منها:

الكبر

و قد عرفت:أنه الركون إلى رؤيه النفس فوق الغير،و بعباره أوضح:

هو عزه و تعظيم يوجب رؤيه النفس فوق الغير و اعتقاد المزيه و الرجحان عليه،فهو يستدعى متكبرا عليه.و به ينفصل عن العجب،إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها فوق الغير،فالعجب سبب الكبر و الكبر من نتائجه.

ثم الكبر-أى العزه الموجبه لرؤيه النفس فوق الغير-هو خلق الباطن يقتضى أعمالا فى الظاهر هى ثمراته،و تسمى تلك الأعمال الظاهره الصادره منه تكبرا،و لذا من تعزز و رأى نفسه باطنا فوق الغير،من دون صدور فعل على جوارحه،يقال له(كبر)،و إذا ظهرت الأعمال يقال له(تكبر) و هذه الأعمال الظاهره التى هى ثمرات خلق الكبر أفعال و أقوال توجب تحقير الغير و الإزراء به،كالترفع عن مؤاكلته و مجالسته،و الاستنكاف عن مرافقته و مصاحبته،و إبعاده عن نفسه،و إبائه عن الجلوس بجنبه،و انتظاره أن يسلم عليه،و توقعه أن يقوم ماثلا بين يديه،و الاستنكاف من قبول وعظه،و تعنيفه فى إرشاده و نصحه،و تقدمه عليه فى المحافل و الطرقات، و عدم الالتفات إليه فى المحاورات،و توقع التقديم عليه فى كل ما يدل على التعظيم عرفا. و بالجمله،الأعمال الصادره عن الكبر كثيره،و لا-حاجه إلى إحصائها،لكونها مشهوره معروفه،و من جملتها الاختيال فى المشى و جر الثياب،إذ فاعلهما يرى نفسه فوق الأكثر و يقصد بهما استحقارهم،فهما يقتضيان متكبرا عليه،فيكونان من أنواع التكبر،و ما ورد فى ذمهما يدل

ص:٣٨٠

أیضا علی ذمه،کما یأتی.و هـذه الأفعال المعبر عنها بالتکبر قـد تصدر عن الحقد أو الحسد أو الریاء،و إن لم تکن فی النفس عزه و تعظم.

فصل (ذم الکبر)

الکبر آفه عظیمه و غـائلته هـائله،و به هلک خواص الأنام فضـلا عن غیرهم من العوام،و هو الحجاب الأعظم للوصول إلی أخلاق المؤمنین،إذ فیه عز یمنع عن التواضع،و کظم الغیـظ،و قبول النصـح،و الـدوام علی الصـدق،و ترک الغضب و الحقـد و الحسـد و الغیبه و الإزراء بالناس،و غیر ذلک.فما من خلق مذموم إلا و صاحب الکبر مضـطر إلیه،لیحفظ به عزه، و ما من خلق محمود إلا و هو عاجز عنه.خوفا من فوات عزه.و لذا ورد فی ذمه ما ورد من الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبِّرٍ جَبّٰارٍ

(۱)

.

و قال: سَأَصْرِفُ عَنْ آیٰاتِیَ الَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ (۲).و قال:

وَ الْمَلاٰئِکَهُ بٰاسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ ...إلی قوله: وَ کُنْتُمْ عَنْ آیٰاتِهِ تَسْتَکْبِرُونَ (۳).و قال: اُدْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِینَ فِیهٰا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ (۴).

و قال: فَالَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ قُلُوبُهُمْ مُنْکِرَهٌ وَ هُمْ

۱- ۱) غافر،الآیه:۳۵.

۲- ۳) الأنعام،الآیه ۹۳.

۳- ۲) الأعراف،الآیه:۱۴۶.

۴- ۴) الزمر،الآیه:۷۲.

مُسْتَكْبِرُونَ

(۱)

.و قال: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ (۲).و قال: إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاّ كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ (۳).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يدخل الجنه من كان فى قلبه مثقال حبه من خردل من كبر» (۴)،

و قال: «من تعظم فى نفسه و اختال فى مشيته،لقى اللّه و هو عليه غضبان».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا ينظر اللّه إلى رجل يجز إزاره بطرا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «قال اللّه.الكبرياء ردائى و العظمه إزارى،فمن نازعنى فى واحد منهما ألقيته فى جهنم» .

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين،فيصيبه ما أصابهم من العذاب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان و عينان تبصران و لسان ينطق،يقول وكلت بثلاثه،بكل جبار عنيد، و بكل من دعا مع اللّه إلها آخر،و بالمصورين».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يدخل الجنه جبار،و لا بخيل،و لا سىء الملكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: ثلاثه لا يكلمهم اللّه و لا ينظر إليهم يوم القيامه، و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم:شيخ زان،و ملك جبار،و مقل مختال».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «بئس العبد عبد تجبر و اعتدى و نسى

۱- ۱) النحل،الآيه:۲۳.

۲- ۲) غافر،الآيه: ۶۰.

۳- ۳) غافر،الآيه:۵۶.

۴- ۴) روى الحديث فى الكافى عن أحد الصادقين-عليهما السلام-فى باب الكبر،و جاء فيه هكذا:«الكبر»بتعريف كبر..

الجبار الأعلى،بئس العبد عبد تبختر و اختال و نسى الكبير المتعال،و بئس العبد عبد غفل و سها و نسى المقابر و البلى،بئس العبد عبد عتا و بغى و نسى المبدأ و المنتهى».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «أ لا أخبركم بأهل النار:كل عتل جواظ جعظرى متكبر» (۱).

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن أبغضكم إلينا و أبعدكم منا فى الآخره الثرثارون المتشدقون المتفيهقون»: أى المتكبرون.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يحشر المتكبرون يوم القيامه فى مثل صور الذر،تطأهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال،يعلوهم كل شىء من الصغار،ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له (يولس)،تعلوهم نار شر أنيار (۲)،يسقون من طينه الخبال و عصاره أهل النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: يحشر الجبارون و المتكبرون يوم القيامه فى صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على اللّه تعالى»،

و قال «ان فى جهنم واديا يقال له(هبهب)،حق على اللّه أن يسكنه كل جبار»،

و قال:

«إن فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم»،

و قال: «إذا مشت أمتى المطيطاء و خدمتهم(فارس)و(الروم)سلط اللّه بعضهم على بعض»، و المطيطاء:مشيه فيها اختيال.

و قال عيسى بن مريم: «كما أن الزرع ينبت فى السهل و لا ينبت على الصفاء،كذلك الحكمه تعمر فى قلب المتواضع و لا تعمر فى قلب المتكبر،أ لا ترون أنه من يتشمخ برأسه إلى السقف شجه، و من يطأطئ أظله و أكنه».

و لما حضرت نوحا الوفاه،دعا ابنيه فقال:

۱- ۱) صححنا الحديث على كنز العمال-ج ۲ ص ۱۰۷-.و الجواظ:المتكبر الجافى،و الجعظرى:الفظ الغليظ.

۲- ۲) كذا فى النسخ.و فى نسخه احياء العلوم-ج ۲ ص ۲۹۰-:(نار الأنيار)،و لم نعثر على جمع نار على أنيار،و إنما من جمله جموعها(نيار).

«إنی آمرکما باثنتین و أنهاکما عن اثنتین:أنهاکما عن الشرک و الکبر و آمرکما بلا إله إلا اللّه و سبحان اللّه و بحمده».

و قال سلیمان بن داود یوما للطیر و الجن و الإنس و البهائم:«اخرجوا،فخرجوا فی مائتی ألف من الإنس و مائتی ألف من الجن،فرفع حتی سمع زجل الملائکه بالتسبیح فی السماوات، ثم خفض حتی مست أقدامه البحر،فسمع صوتا یقول:لو کان فی قلب صاحبکم مثقال ذره من کبر لخسفت به أبعد مما رفعته.

و قال الباقر(ع): «الکبر رداء اللّه،و المتکبر ینازع اللّه رداءه»،

و قال: «العز رداء اللّه و الکبر إزاره،فمن تناول شیئا منه أکبه اللّه فی جهنم

و قال الصادق(ع): «إن فی جهنم لوادیا للمتکبرین یقال له(سقر)شکی إلی اللّه شده حره و سأله أن یأذن له أن یتنفس،فتنفس فاحرق جهنم».

و قال (ع): «إن المتکبرین یجعلون فی صور الذر،یتوطأهم الناس حتی یفرغ اللّه من الحساب».

و قال(ع): ما من رجل تکبر أو تجبر إلا لذله وجدها فی نفسه،

و قال(ع): «إن فی السماء ملائکه موکلین بالعباد،فمن تواضع رفعاه،و من تکبر وضعاه».

و قال(ع): «الجبار الملعون من غمض الناس و جهل الحق»،قال الراوی،أما الحق فلا أجهله،و الغمض لا أدری ما هو قال:«من حقر الناس و تجبر علیهم فذلک الجبار».

و قال(ع): «ما من عبد إلا و فی رأسه حکمه و ملک یمسکها،فإذا تکبر قال له:اتضع وضعک اللّه،فلا یزال أعظم الناس فی نفسه و أصغر الناس فی أعین الناس،و إذا تواضع رفعها اللّه-عز و جل-ثم قال له:انتعش نعشک اللّه،فلا یزال أصغر الناس فی نفسه و أرفع الناس فی أعین الناس».

فصل (التكبر على اللّه و على الناس)

التكبر قد يكون على اللّه،كما كان لنمرود و فرعون،و سببه الطغيان و محض الجهل،و هو أفحش أنواع الكبر،إذ هو أعظم أفراد الكفر،و لذا تكررت فی ذمه الآيات،كقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِی سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دٰاخِرِينَ

(۱)

.و قوله: وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (۲).و قوله:تعالى:: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا (۳)و قوله: فَالَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (۴).

و قد يكون على الرسل من حيث تعزز النفس و ترفعها عن انقيادهم، كما كان لمن يقول:

أَ هٰؤُلاٰءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنٰا

(۵)

.و لمن يقول:

أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا

(۶)

. إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ

۱- ۱) غافر،الآيه:۶۰.

۲- ۴) النحل،الآيه:۲۳.

۳- ۲) النساء،الآيه:۱۷۲.

۴- ۵) الانعام،الآيه:۵۳.

۵- ۳) مريم،الآيه:۶۹.

۶- ۶) المؤمنون،الآيه:۴۷.

مِثْلُنا

(۱)

. وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (۲).و لمن قال: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَهُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (۳).

و هذا فی الشناعه قريب من التكبر على اللّه،و إن كان دونه.

و قد يكون على العباد بأن يستعظم نفسه و يستصغرهم،و هذا و إن كان دون الأولين،إلا أنه من المهلكات العظيمه،من حيث إنه يؤدی إلى مخالفه اللّه سبحانه،إذ صاحبه إذا سمع من عبد استنكف من قبوله و اشمأز بجحده، و من حيث إن العز و العظمه و العلى لا يليق إلا بالعلى الأعلى،فمهما تكبر العبد نازع اللّه فی صفه من صفاته،

و لذا قال اللّه سبحانه: «العظمه إزاری و الكبرياء ردائی،فمن نازعنی فيهما تصمته».

فصل (درجات الكبر)

للكبر درجات ثلاث:

(الأولى)أن يكون مستقرا فی قلبه،يرى نفسه خيرا من غيره، و يظهره فی أفعاله:بالرفع فی المجالس،و التقدم على الأقران،و أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم،و يعبس وجهه،و يقطب جبينه.و فی أقواله:

۱- ۱) إبراهيم،الآيه ۱۰.

۲- ۲) المؤمنون،الآيه:۳۴.

۳- ۳) الفرقان،الآيه:۲۱.

بإظهار الإنكار على من يقصر فيما يتوقعه،من التعظيم،و إبداء الدعوى، و المفاخره و المباهاه،و تزكيه النفس،و التشمير لغلبه الغير فى العلم و العمل، و هذه الدرجه أقبح الدرجات و أشدها،إذ صاحبها قد رسخت فى قلبه شجره الكبر و ارتفعت أغصانها و فروعها،بحيث أحاطت على جميع جوارحه.

(الثانيه)كالأولى،إلا فى إظهاره على اللسان،

و هى دون الأولى، لكونها أقل أغصانا منها.

(الثالثه)ان يكون مستقرا فى قلبه

بحيث رأى نفسه خيرا من غيره، إلا أنه يجتهد فى التواضع،و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه.و هذا و إن رسخت فى قلبه شجره الكبر،إلا أنه قطع أغصانها بالكليه،فإن كان مع ذلک منكرا على نفسه فيما رسخ فيها،و مغضبا عليها و متشمرا لإزالتها إلا أنه لم يقدر على دفعه بسرعه و سهوله،و تميل النفس إلى ما تشتهيه فى بعض الأحيان بدون اختيار،و لكنه كان فى مقام المجاهده،فلعله لم يكن عليه كثير إثم،و مثله يوفقه اللّه للوصول إلى ما يطلبه بمقتضى وعده.

فصل (علاج الكبر علما و عملا)

الكبر كالعجب فى كيفيه العلاج إجمالا و تفصيلا،إذ الكبر لما تظمن معنى العجب-أى استعظام النفس-و كان العجب منشأ له،فما ذكر لعلاج مطلق العجب هو العلاج لمطلق الكبر أيضا.و لكن ما به الكبر-أعنى بواعثه-هى بواعث العجب بعينها،فما ذكر لعلاج العجب بالواعث المذكوره مشترک بينهما.

و من المعالجات المختصه بالكبر:أن يتذكر ما ورد فى ذمه من الآيات

و الأخبار المذكوره و غيرها،و يتأمل فيما ورد فى مدح ضده-أعنى التواضع كما يأتى.و لكون الكبر مشتملا على شىء زائد على العجب هو رؤيه النفس فوق الغير،فينبغى أن يعلم أن الحكم بخيريه نفسه من الغير غايه الجهل و السفاهه،فلعل فى الغير من خفايا الأخلاق الكريمه ما ينجيه،و فيه من الملكات الذميمه ما يهلكه و يرديه.و كيف يجترئ صاحب البصيره أن يرجح نفسه على الغير،مع إبهام الخاتمه و خفاء الأخلاق الباطنه و اشتراك الكل فى الانتساب إلى اللّه تعالى،و فى صدورها و ترشحها منه و معلوليتها و لازميتها له،فالواقف بخطر الخاتمه و إناطه النجاه و الهلاك بالواطن لا يرى لنفسه مزيه على غيره،و العارف بكون كل فرد من أفراد الموجودات أثرا من آثار ذاته و لمعه من لمعات أنوار صفاته،بل رشحه من رشحات فضله و جوده و قطره من قطرات تيار فيض وجوده،لا ينظر إلى أحد بنظر السوء و العداوه،بل يشاهد الكل بعين الخيريه و المحبه.

اشكال و حل

(فإن قيل):كيف يحسن أن يتواضع العالم الورع للجاهل الفاسق و يراه خيرا من نفسه،مع ظهور جهله و فسقه،و قطعه باتصاف نفسه بالعلم و الورع و خلوه عنهما؟و كيف يجوز له أن يحب فاسقا أو كافرا أو مبتدعا و يتواضع له و لا يعاديه،مع أنه مبغوض عند اللّه،فيكون مأمورا ببغضه، و الجمع بين الحب و التواضع و بين البغض جمع بين النقيضين؟ (أجبنا)عن(الأول)بأن حقيقه التواضع ألا يرى النفس لذاتها مزيه واقعيه و خيريه حقيقيه على الغير،لا ألا يرى مزيه لذاتها عليه فى الصفات الظاهره التى يجزم باتصاف نفسه بها و عدم اتصافه بها،كالعلم و العباده و السخاوه و العداله و الاجتناب عن الأموال المحرمه و غير ذلك،إذ العالم ببعض

العلوم لا يمكنه أن يدفع عن نفسه القطع بكونه عالما بها و كون فلان العامى غير عالم بها.لكن المزيه الواقعيه و الخيريه النفس الآمريه إنما هو بالتقرب إلى اللّه و الوصول إلى السعاده الدائميه،و لا شك فى أن ذلك لا يحصل بمجرد تعلم بعض العلوم و المواظبه على بعض العبادات أو غير ذلك من الصفات المحموده،بل المناط فيه حسن الخاتمه،و هو أمر مبهم،إذ العواقب مطويه عن العباد،فيمكن أن يسلم الكافر و يختم له بالإيمان و يضل هذا العالم الورع و يختم له بالكفر،فعلى كل عبد إن رأى من هو شرا منه ظاهرا أن يقول:

لعل هذا ينجو و أهلك أنا،فلا يراه شرا من نفسه فى الواقع خائفا من العاقبه و يقول:لعل بر هذا باطن،بأن يكون فيه خلق كريم بينه و بين اللّه فيرحمه اللّه و يتوب عليه و يختم له بأحسن الأعمال،و برّى ظاهر لا آمن أن تدخله الآفات فتحبطه. و بالجمله:ملاحظه الخاتمه و السابقه و العلم بأن الكمال فى القرب من اللّه و سعاده الآخره دون ما يظهر فى الدنيا من الأعمال الظاهره- يوجب نفى الكبر و التواضع لكل أحد.

و عن(الثانى)أن الحب ينبغى أن يكون لأجل النسبه الشريفه المذكوره و التواضع لأجل ملاحظه الخاتمه،و بغضه و غضبه عليه لأجل ما ظهر منه من الكفر و الفسوق.و أى منافاه بين الغضب للّه فى صدور معصيه من عبد،و بين عدم الكبر و الإذلال؟إذ الغضب إنما هو لله لا لنفسك،إذ أمرك بأن تغضب عند مشاهده المنكر،و التواضع و عدم الكبر إنما هو بالنظر إلى نفسك،بأ لا ترى نفسك ناجيا و صاحبك هالكا فى حال غضبك عليه لأمر اللّه،بل يكون خوفك على نفسك مما علم اللّه من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمه،فليس من ضروره الغضب و البغض للّه أن تتكبر على المغضوب عليه،و ترى قدرك فوق قدره.

و مثال ذلک.أن یکون لملک غلام و ولـد،و قـد وکل الملک الغلام علی ولده بأن یراقبه و یضـربه مهما ساء أدبه،و یغضب علیه إذا اشـتغل بمـا لاـ یلیق به،فـإن کان الغلام مطیعا محبا لمولاه یغضب علیه إذا ساء أدبه امتثالا لأمر مولاه،و مع ذلک یحبه لانتسابه إلی مولاه بالولاده،و لا یتکبر علیه و یتواضع له،و یری قدره عند مولاه فوق قدر نفسه،لأن الولد أعز لا محاله من الغلام.

تذنیب (العلاج العملی للکبر)

مـا ذکرنـاه لعلاـج الکبر إنمـا هو العلاـج العلمی،و أمـا(العلاـج العملی) فهو أن یتواضع بالفعـل للّه و لسـائر الخلق،و یواظب علی أخلاق المتواضـعین، و یکلف نفسه علی ذلک إلی أن تقطع عن قلبه شـجره الکبر بأصولها و فروعها، و یصـیر التواضع ملکه له.و للقطع الکلی و حصول ملکه التواضع امتحانـات یعرفـان بهـا،فلاـ بـد أن یمتحن نفسه بهـا حتی یطمئن بـأنه متواضع،إذ النفس قد تضمر التواضع و تدعی البراءه من الکبر،فإذا وقعت الواقعه عادت إلی طبعها و نسیت وعدها:

(الأول)ان یناظر مع أقرانه فی بعض المسائل،

فإذا ظهر شـیء من الحق علی لسانهم،فإن اعترف به مع السـرور و الاهتزاز و الشـکر لهم لتنبیههم إیاه علی ما غفل عنه فهو علامه التواضع،و إن ثقل علیه القبول و الاعتراف و لم یسر بظهور الحق علی لسانه فهو دلیل بقاء الکبر بعد.فلیعالجه من حیث العلم بأن یتـذکر سوء عـاقبته و خسه نفسه و خباثتهـا،من حیث إن قبول الحق یثقـل علیهـا،و من حیث العلم بـأن یکلف نفسه علی مـا یثقل علیهـا من الاـعتراف بـالحق و إطلاق اللسان بالثناء و الشـکر،و الإقرار علی نفسه بالعجز و القصور، و یقول:ما أحسن فطانتک!لقد أرشدتنی إلی الحق،فجزاک اللّه خیرا،فإذا

واظب على ذلک مراتب متواليه،صار ذلک له طبعا،و سقط ثقل الحق عن قلبه و طاب له قبوله،و إن لم يثقل عليه فى الخلوه و ثقل عليه فى الملإ،فليس فيه كبر،بل فيه رياء،فليعالج بما يأتى فى معالجه الرياء.

(الثانى)ان يقدم الأقران و الأمثال على نفسه فى المحافل،

و يمشى خلفهم فى الطرق،فإن لم يثقل ذلک عليه فهو متواضع،و إلا فمتكبر، فليقدمهم بالتكلف،و يجلس تحتهم،و يظهر السرور و الارتياح بذلک،حتى يسقط عنه ثقله.

قال أبو عبد اللّه الصادق(ع): «إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه».

و قال(ع): «من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس،و أن تسلم على من تلقى،و أن تترک المراء و إن كنت محقا،و لا تحب أن تحمد على التقوى». و من المتكبرين من إذا لم يجد مكانا فى الصدر يجلس فى صف النعال،أو يجعل بينه و بين الأقران بعض الأراذل و لا يجلس تحتهم و غرضهم من ذلک استحقار الأقران أو إيهام أن تركهم للصدر إنما هو بالتفضل،فهو أشد أنواع التكبر.

(الثالث)أن يجيب دعوه الفقير،

و يمر إلى السوق فى حاجه الرفقاء و الأقارب،و يحمل حاجتهم و حاجه نفسه منه إلى البيت،فإن لم يثقل عليه ذلک فى الخلوه و الملأـ فليس فيه كبر و رياء،و إن ثقل عليه فيهما ففيه كبر و رياء،و إن ثقل عليه عند مشاهده،الناس دون الخلوه ففيه رياء دون الكبر.

قال أمير المؤمنين(ع): «لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شىء إلى عياله».

و روى: «أنه اشترى لحما بدرهم فحمله فى ملحفته،فقال له بعضهم احمل عنک يا أمير المؤمنين؟فقال:لا!أبو العيال أحق أن يحمل».

و روى:

«أن الصادق(ع):نظر إلى رجل من أهل المدينه قد اشترى لعياله شيئا و هو يحمله.فلما رآه الرجل استحيى منه،فقال له أبو عبد اللّه(ع):اشتريته

لعيالك و حملته إليهم،أما و اللّه لو لا أهل المدينه لأحببت أن اشترى لعيالى الشىء ثم أحمله إليهم».

(الرابع)ان يلبس ثيابا بذله،

فإن لم يثقل عليه ذلك أصلا فليس فيه كبر و رياء،و إلا كان متكبرا أو مرائيا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من اعتقل البعير و لبس الصوف فقد برىء من الكبر».

و قال -صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «إنما أنا عبد آكل فى الأرض،و ألبس الصوف،و أعقل البعير،و ألعق أصابعى،و أجيب دعوه المملوك،فمن رغب عن سنتى فليس منى» و قيل لسلمان:لم لا تلبس ثوبا جديدا؟فقال:

«إنما أنا عبد،فإذا اعتقت يوما لبست جديدا»:أشار به إلى العتق فى الآخره.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم -البذاذه-أى الدون من اللباس-من الإيمان».

و عوتب أمير المؤمنين-عليه السلام-فى إزار مرقوع،فقال:«يقتدى به المؤمن و تخشع له القلوب».

(الخامس)أن يأكل مع خدامه و غلمانه،

فإن لم يثقل عليه فهو متواضع و إلا فمتكبر.

و روى رجل من أهل بلخ،قال: كنت مع الرضا(ع)فى سفره إلى خراسان،فدعا يوما بمائده،فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم،فقلت:جعلت فداك!لو عزلت لهؤلاء مائده،فقال(ع):إن الرب تعالى واحد،و الدين واحد،و الأم واحده،و الأب واحد،و الجزاء بالأعمال».

و الامتحانات لبقاء الكبر ليست منحصره بما ذكر،بل هى كثيره:

كأن يحب قيام الناس له أو بين يديه،

قال أمير المؤمنين(ع): «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد و بين يديه قوم قيام».

و قال بعض الصحابه: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول اللّه.

ص: ٣٩٢

و كانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك».

و أن يحب أن يمشى خلفه غيره،

و قد روى «أنه لا يزال العبد يزداد من اللّه بعد ما مشى خلفه». و كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم- فى بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب،فيأمرهم بالتقدم و يمشى فى غمارهم.

و ألا يزور غيره،و إن كان فى زيارته فائده دينيه.و أن يستنكف من مجالسه الفقراء و المعلولين و المرضى.

روى أنه دخل على رسول اللّه رجل و عليه جدرى قد تقشر،و عنده ناس من أصحابه يأكلون،فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه.فأجلسه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-إلى جنبه.

و كان -صلى اللّه عليه و آله و سلم-فى نفر من أصحابه يأكلون فى بيته،إذ دخل عليهم رجل به زمانه تنكره الناس لأجلها فأجلسه رسول اللّه على فخذه و قال له:«اطعم»،و كأن رجلا من قريش اشمأز منه و تكره،فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانه مثلها.

و مر سيد الساجدين-عليه السلام- على المجذومين (1)و هو راكب حماره،و هم يتغدون،فدعوه إلى الغداء، فقال:«أما إنى لو لا أنى صائم لفعلت»،فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع،و أمر أن يتنوقوا فيه،ثم دعاهم،فتغدوا عنده و تغدى معهم...

و قس على هذه غيرها من الامتحانات.

و لقد كانت سيره رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-جامعه لجميع ما يمتحن به التواضع،بريئه عن جميع ما يصدر من الكبر من الأفعال و الحركات،فينبغى لكل مؤمن أن يقتدى به.

و قد روى أبو سعيد الخدرى:

«أنه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان يعلف الناضح،و يعقل البعير،و يقم

١- ١) و فى بعض نسخ الكافى المصححه فى باب التواضع هكذا:(المجذمين).

البيت،و يحلب الشاه،و يخصف النعل،و يرقع الثوب،و يأكل مع خادمه، و يطحن عنه إذا أعيى،و يشرى الشىء من السوق،و لا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجمله فى طرف ثوبه و ينقلب إلى أهله.يصافح الغنى و الفقير و الصغير و الكبير،و يسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاه،ليست له حله لمدخله و لا حله لمخرجه،لا يستحيى من أن يجيب إذا دعى،و إن كان أشعث أغبر،و لا يحقر ما دعى إليه و إن لم يجد إلا حشف الرّقل (۱)،لا يدفع غداء لعشاء و لا عشاء لغداء.

هين المؤنه،لين الخلق،كريم الطبيعه،جميل المعاشره،طلق الوجه،بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس،شديدا فى غير عنف.و متواضعا فى غير مذله،جوادا من غير سرف،رحيما لكل ذى قربى،قريبا من كل ذمى و مسلم،رقيق القلب،دائم الإطراق،لم يبسم قط من شبع،و لا يمد يده إلى طمع». هذا

و قال أبو الحسن-عليهما السلام-: «التواضع:أن تعطى الناس ما تحب أن تعطاه».

و سئل عن حد التواضع الذى إذا فعله العبد كان متواضعا،فقال:«التواضع درجات:منها أن يعرف المرء قدر نفسه،فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب أن يأتى إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه،إن رأى سيئه درأها بالحسنه،كاظم الغيظ عاف عن الناس،و اللّه يحب المحسنين».

وصل (التواضع و مدحه)

قد أشير إلى أن ضد الكبر(التواضع)،و هو انكسار للنفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزيه على الغير،و تلزمه أفعال و أقوال موجبه لاستعظام

۱- ۱) فى إحياء العلوم-ج ۳ ص ۳۰۶-هكذا:(الدقل)،و كل من النسختين يصح به المعنى.

الغیر و إکرامه،و المواظبه علیها أقوی معالجه لإزاله الکبر.و لا بد من الإشاره إلی الأخبار الوارده فی مدح التواضع و فوائده،تحریکا للطالبین إلی السعی فی تحصیله الموجب لإزاله ضده،و هذه الأخبار کثیره خارجه عن حد الإحصاء،فنکتفی بإیراد بعض منها:

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «ما تواضع أحد للّه إلا رفعه اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «طوبی لمن تواضع فی غیر مسکنه،و أنفق مالا جمعه من غیر معصیه،و رحم أهل الذله و المسکنه، و خالط أهل الفقه و الحکمه».

و روی: «أن اللّه سبحانه أوحی إلی موسی:

إنما أقبل صلاه من تواضع لعظمتی و لم یتعاظم علی خلقی و ألزم قلبه خوفی و قطع نهاره بذکری و کف نفسه عن الشهوات من أجلی».

و قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-لأصحابه: «ما لی لا أری علیکم حلاوه العباده! قالوا:و ما حلاوه العباده؟قال:التواضع».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:

«إذا تواضع العبد رفعه اللّه إلی السماء السابعه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «إذا هدی اللّه عبدا الإسلام و حسن صورته و جعله فی موضع غیر شائن له و رزقه مع ذلک تواضعا،فذلک من صفوه اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «أربع لا یعطیهن اللّه إلا من یحبه:الصمت و هو أول العباده،و التوکل علی اللّه،و التواضع،و الزهد فی الدنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «لیعجبنی أن یحمل الرجل الشیء فی یده یکون مهنه لأهله یدفع به الکبر عن نفسه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «من تواضع للّه رفعه اللّه،و من تکبر خفضه اللّه،و من اقتصد فی معیشه رزقه اللّه،و من بذر حرمه اللّه،و من أکثر ذکر الموت أحبه اللّه،و من أکثر ذکر اللّه أظله اللّه فی جنته».

و روی: «أنه أتی رسول اللّه-صلی اللّه علیه

و آله و سلم-ملک،فقال:إن اللّه تعالی یخیرک أن تکون عبدا رسولا متواضعا أو ملکا رسولا.فنظر إلی جبرئیل(ع)و أومی بیده أن تواضع،فقال:

عبدا متواضعا رسولا،فقال الرسول-یعنی الملک-:مع أنه لا ینقصک مما عند ربک شیئا».

و قال عیسی بن مریم(ع): «طوبی للمتواضعین فی الدنیا! هم أصحاب المنابر یوم القیامه،طوبی للمصلحین بین الناس فی الدنیا!هم الذین یرثون الفردوس یوم القیامه:طوبی للمطهره قلوبهم فی الدنیا هم الذین ینظرون إلی اللّه تعالی یوم القیامه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله و سلم- «إن التواضع لا یزید العبد إلا رفعه،فتواضعوا برحمکم اللّه».

و أوحی اللّه تعالی إلی داود (ع):«یا داود!کما أن أقرب الناس إلی اللّه المتواضعین کذلک أبعد الناس من اللّه المتکبرون».

و روی: «أن سلیمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنیاء و الأشراف حتی یجیء إلی المساکین فیقعد معهم،و یقول مسکین مع مساکین».

و روی: «أنه ورد علی أمیر المؤمنین(ع)أخوان له مؤمنان،أب و ابن،فقام إلیهما و أکرمهما و أجلسهما فی صدر مجلسه و جلس بین أیدیهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأکلا منه،ثم جاء قنبر بطست و إبریق خشب و مندیل، و جاء لیصب علی ید الرجل،فوثب أمیر المؤمنین و أخذ الإبریق لیصب علی ید الرجل،فتمرغ الرجل فی التراب،و قال یا أمیر المؤمنین!اللّه یرانی و أنت تصب علی یدی!قال:اقعد و اغسل،فإن اللّه-عز و جل-یراک و أخوک الذی لا یتمیز منک و لا ینفصل عنک یخدمک،یرید بذلک فی خدمته فی الجنه مثل عشره أضعاف عدد أهل الدنیا.فقعد الرجل.و قال له علی(ع):

أقسمت علیک بعظیم حقی الذی عرفته لما غسلت مطمئنا کما کنت تغسل لو کان الصاب علیک قنبر،ففعل الرجل ذلک،فلما فرغ ناول الإبریق محمد بن الحنفیه،و قال:یا بنی!لو کان هذا الابن حضرنی دون أبیه لصببت علی یده، و لکن اللّه-عز و جل-یأبی أن یسوی بین ابن و أبیه إذا جمعهما مکان،

لکن قد صب الأب علی الأب فلیصب الابن علی الابن،فصب محمد بن الحنفیه علی الابن» (۱).

و قال الصادق(ع): «التواضع أصل کل شرف نفیس و مرتبه رفیعه، و لو کان للتواضع لغه یفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما فی مخفیات العواقب.

و التواضع ما یکون للّه و فی اللّه،و ما سواه فکبر.و من تواضع للّه شرفه اللّه علی کثیر من عباده.و لأهل التواضع سیماء یعرفها أهل السماوات من الملائکه و أهل الأرض من العارفین.قال اللّه عز و جل.

وَ عَلَی الْأَعْرافِ رِجالٌ یَعْرِفُونَ کُلاًّ بِسِیماهُمْ

(۲)

.

و أصل التواضع من إجلال اللّه و هیبته و عظمته.و لیس للّه عز و جل عباده یقبلها و یرضاها إلا و بابها التواضع.و لا یعرف ما فی معنی حقیقه التواضع إلا المقربون من عباده المستقلین بوحدانیته،قال اللّه عز و جل:

وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً

(۳)

.

و قد أمر اللّه-عز و جل-أعز خلقه و سید بریته محمدا-صلی اللّه علیه و آله-بالتواضع،فقال عز و جل:

وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ

(۴)

ص:۳۹۷

۱- ۱) روی هذا الحدیث فی البحار-فی الجزء الرابع من المجلد الخامس عشر ص ۱۴۹ باب التواضع-عن الاحتجاج و التفسیر المنسوب إلی الإمام العسکری(ع).

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۴۶.

۳- ۳) الفرقان،الآیه ۶۳.

۴- ۴) الشعراء الآیه:۲۱۵.

و التواضع مزرعه الخضوع و الخشوع و الخشيه و الحياء،و إنهن لا يأتين إلا منها و فيها،و لا يسلم الشرف التام الحقيقى إلا للمتواضع فى ذات اللّه تعالى (۱).

و قال الإمام أبو محمد الحسن بن على العسكرى عليهم السلام:

«أعرف الناس بحقوق أخوانهم و أشدهم قضاء لهم أعظمهم عند اللّه شأنا، و من تواضع فى الدنيا لإخوانه فهو عند اللّه من الصديقين و من شيعه على بن أبى طالب-عليه السلام-حقا» (۲).

تتميم (الذله)

لما عرفت أن كل فضيله وسط له طرفان مذمومان،فأحد طرفى التواضع (الكبر)-كما عرفت-و هو من طرف الإفراط،و آخرهما(الذله)و التخاسس و هو من طرف التفريط.فكما أن الكبر مذموم،فكذلك المذله و التخاسس أيضا مذموم،إذ كلا طرفى الأمور ذميم،و المحمود:هو التواضع من دون الخروج إلى شىء من الطرفين،إذ أحب الأمور إلى اللّه أوسطها،و هو أن يعطى كل ذى حق حقه،و هو العدل،فلو وقع فى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه،فالعالم إذا دخل عليه إسكاف فخلى له مجلسه و اجلسه فيه،و ترك تعليمه و إفادته،و إذا قام عدا إلى الباب خلفه،فقد تخاسس و تذلل،و هو غير محمود،بل هو رذيله فى طرف التفريط.فاللازم إذا وقع فيه أن يرفع نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذى هو الصراط المستقيم فإن العدل أن يتواضع بمثل ما ذكر لا مثاله و لمن يقرب درجته.فأما تواضعه للسوقى،فبالبشر فى الكلام،و الرفق فى السؤال،و إجابه دعوته،و السعى

۱- ۱) روى هذا الحديث فى البحار أيضا فى الموضع المتقدم عن مصباح الشريعه.

۲- ۲) هذا الحديث من نفس الحديث المتقدم عن الاحتجاج و التفسير المنسوب إلى الإمام

فی حاجته،و أمثال ذلک،و ألا یری نفسه خیرا منه،نظرا إلی خطر الخاتمه.

ثم ینبغی ألاـ یتواضع للمتکبرین،إذ الانکسار و التذلل لمن یتکبر و یتعزز مع کونه من التخاسس و المذله المذمومه یوجب إضلال هذا المتکبر، و تقریره علی تکبره،و إذا لم یتواضع له الناس و تکبروا علیه ربما تنبه و ترک التکبر،إذ المتکبر لا یرضی بتحمل المذله و الإهانه من الناس،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إذا رأیتم المتواضعین من أمتی فتواضعوا لهم،و إذا رأیتم المتکبرین فتکبروا علیهم،فإن ذلک لهم مذله و صغار».

و منها:

الافتخار

أی المباهاه باللسان بما توهمه کمالا،و الغالب کون المباهاه بالأمور الخارجه عن ذاته،و هو بعض أصناف التکبر-کما أشیر إلیه-فکل ما ورد فی ذمه یدل علی ذمه،و الأسباب الباعثه علیه هی أسباب التکبر.و قد تقدم أن شیئا منها لا یصلح لأن یکون منشأ للافتخار،فهو ناش من محض الجهل و السفاهه.

قال سید الساجدین(ع): «عجبا للمتکبر الفخور الذی کان بالأمس نطفه ثم(هو) (۱)غدا جیفه».

و قال الباقر(ع): «عجبا للمختال الفخور،و إنما خلق من نطفه ثم یعود جیفه،و هو فیما بین ذلک لا یدری ما یصنع به».

و قال(ع): «صعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم- المنبر یوم فتح مکه،فقال:أیها الناس!إن اللّه قد أذهب عنکم نخوه الجاهلیه و تفاخرها بآبائها،ألا إنکم من آدم و آدم من طین،ألا إن خیر عباد اللّه عبد اتقاه».

و قال له(ع)عقبه بن بشیر الأسدی:أنا فی الحسب الضخم عزیز

۱- ۱) فی بعض نسخ الکافی فی باب الفخر و الکبر زیاده کلمه(هو).

فی قومی،فقال له:«تمن علینا بحسبک!إن اللّه تعالی رفع بالإیمان من کان الناس یسمونه وضیعا إذا کان مؤمنا،و وضع بالکفر من کان الناس یسمونه شریفا إذا کان کافرا.فلیس لأحد فضل علی أحد إلا بتقوی اللّه».

و قال الصادق (ع):«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-: آفه الحسب الافتخار و العجب».

و قال(ع)، «أتی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-رجل،فقال:

یا رسول اللّه!أنا فلان بن فلان...حتی عد تسعه،فقال رسول اللّه:أما إنک عاشرهم فی النار!».

و نقل: أن قریشا تفاخروا عند سلمان،فقال:«لکنی خلقت من نطفه قذره ثم أعود جیفه منتنه ثم إلی المیزان،فإن ثقل فأنا کریم و إن خف فأنا لئیم». ثم ضده استحقاره نفسه و ترجیح غیره علیها بالقول.

و منها:

البغی

و یسمی البذخ أیضا،و هو صعوبه الانقیاد و التابعیه لمن یجب أن ینقاد(له)،و قد فسر بمطلق العلو و الاستطاله،سواء تحقق فی ضمن عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد(له)،أو فی ضمن أحد أفعال الکبر،أو فی ضمن الظلم و التعدی علی الغیر.و علی أی تقدیر هو أفحش أنواع الکبر إذ عدم الانقیاد لمن یجب أن ینقاد(له)-کالأنبیاء و أوصیائهم-یؤدی إلی الکفر الموجب للهلاک الأبدی.و لقد هلک بذلک أکثر طوائف الکفار،کالیهود و النصاری و کفار قریش و غیرهم.و کذا الظلم و التعدی علی المسلم و إذ لا له بالمقهوریه و المغلوبیه من المهلکات العظیمه،و لذا ورد فی ذمه ما ورد،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إن أعجل الشر عقوبه البغی».

و قال -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: «حق علی اللّه عز و جل ألا یبغی شیء علی شیء

إلا أذله اللّه،و لو أن جبلا بغى على جبل لهد اللّه الباغى منهما».

و قال أمير المؤمنين(ع): «أيها الناس!إن البغى يقود أصحابه إلى النار.و إن اول من بغى على اللّه عناق بنت آدم،و أول قتيل قتله اللّه عناق،و كان مجلسها جريبا فى جريب،و كان لها عشرون إصبعا فى كل إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلط اللّه عليها أسدا كالفيل،و ذئبا كالبعير،و نسرا كالبغل،فقتلنها.و قد قتل اللّه تعالى الجبابره على أفضل أحوالهم و آمن ما كانوا».

و قال الصادق(ع):

«يقول إبليس لجنوده:ألقوا بينهم الحسد و البغى فإنهما يعدلان عند اللّه الشرك».

و كتب(ع)إلى بعض أصحابه: «انظر ألا تكلمن بكلمه بغى أبدا، و إن أعجبتك نفسك و عشيرتك».

و علاجه:أن يتذكر-أولا-هذه الأخبار الوارده فى ذمه،و-ثانيا- ما ورد فى مدح ضده-أعنى التسليم و الانقياد لمن يلزم إطاعته و تابعيته-

كقولهم-عليهم السلام- :«شيعتنا المسلمون». و الآيات و الاخبار الوارده فى وجوب إطاعه اللّه و إطاعه النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-و أولى الأمر، و غيرهم من العلماء و الفقهاء الذين هم نواب الأئمه فى زمن الغيبه.و بعد ذلك يكلف نفسه التابعيه و الإطاعه لمن يجب أن يطاع،و يتخضع له قولا و فعلا،حتى يصير ذلك له ملكه.

و منها:

تزكيه النفس

أى نفى النقائص عنها،و إثبات الكمالات لها.و هو من نتائج العجب.

و قبحه أظهر من أن يخفى.إذ من عرف حقيقه الإمكان،ثم اطلع على خلق الإنسان،يعلم أنه عين القصور و النقصان،فلا يطلق بمدح نفسه اللسان.

ص :۴۰۱

على أنه يتضمن بخصوصه قبحا يشهد به الذوق و الوجدان،و لذا

قال أمير المؤمنين(ع): «تزكيه المرء لنفسه قبيحه» .و قد تقدم ما يكفيك لمعرفه حقاره الإنسان و خساسته.

ثم ضد التزكيه عدم تبرئه نفسه من العيوب و الإقرار بها و إثبات النقائص لها،فإذا كلف نفسه عليه و فعل ذلك مرات متواليه،يصير معتادا له،و يزول عنه ما اعتاده من مدح نفسه.

و منها:

العصبيه

و هى السعى فى حمايه نفسه أو ماله إليه نسبه:من الدين،و الأقارب، و العشائر،و أهل البلد،قولا أو فعلا:فإن كان ما يحميه و يدفع عنه السوء مما يلزم حفظه و حمايته،و كانت حمايته بالحق من دون خروج من الإنصاف و الوقوع فى ما لا يجوز شرعا،فهو الغيره الممدوحه التى هى من فضائل قوه الغضب-كما مر-.و إن كان مما يلزم حمايته،أو كانت حمايته بالباطل،بأن يخرج عن الإنصاف و ارتكب ما يحرم شرعا،فهو التعصب المذموم،و هو من رداءه قوه الغضب.

و إلى ذلك يشير كلام سيد الساجدين(ع) حيث سئل عن العصبيه،فقال:«العصبيه التى يأثم عليها صاحبها:أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين،و ليس من العصبيه أن يحب الرجل قومه،و لكن من العصبيه أن يعين قومه على الظلم».

و الغالب إطلاق العصبيه فى الأخبار على التعصب المذموم،و لذا ورد بها الذم،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

ص :۴۰۲

«من كان فى قلبه حبه من خردل من عصبيه بعثه اللّه يوم القيامه مع أعراب الجاهليه».

و قال السجاد(ع): «لم يدخل الجنه حميه غير حميه حمزه بن عبد المطلب،و ذلك حين أسلم عصبا للنبى-صلى اللّه عليه و آله- فى حديث السلى الذى ألقى على النبى-صلى اللّه عليه و آله-».

و قال الصادق(ع): «إن الملائكه كانوا يحسبون أن إبليس منهم،و كان فى علمه أنه ليس منهم، فاستخرج ما فى نفسه بالحميه و العصب،فقال:

خَلَقْتَنِي مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

(۱)

.

و منها:

كتمان الحق

و الانحراف عنه.و باعثه إما العصبيه أو الجبن،فهو من نتائج واحده منهما،فعلى(الأول)يكون من رذائل قوه الغضب من جانب الإفراط، و على(الثانى)يكون من رذائلها من جانب التفريط،و ربما كان الباعث فى بعض أفراده الطمع المالى،إلا أن الظاهر كون الفاعل المباشر النفس مع رداءه قوه الغضب،كما فى نفس الغضب و غيره،إذ ما لم يحصل فى النفس ضعف و فى القوه الغضبيه خمود لم يتحقق كتمان الحق.و يندرج تحته الميل فى الحكم،و كتمان الشهاده،و شهاده الزور،و تصديق المبطل،و تكذيب المحق،و غير ذلك.

و الظواهر الداله على ذمه مطلقا،و على كل واحد من الأصناف المندرجه تحته كثيره،و لا حاجه إلى ذكرها لاشتهارها.و علاج العصبيه و كتمان الحق:أن يتذكر-أولا-إيجابهما لسخط اللّه و مقته،و ربما تأديا

ص:۴۰۳

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۲.ص،الآيه:۷۶.

إلى الكفر،و-ثانيا-فوائد ضدهما،أعنى الإنصاف و الاستقامه على الحق.

و بعد ذلك يكلف نفسه على إظهار ما هو الحق و العمل به،و لو بالمشقه الشديده،إلى أن يصير ذلك عاده له،فيزول عن نفسه ما صار لها ملكه من التعصب و كتمان الحق.

وصل (الإنصاف و الاستقامه على الحق)

لما كان ضدهما الإنصاف و الاستقامه على الحق،فلنشر إلى بعض ما ورد فى مدحهما تحريكا للطالبين إلى الأخذ بهما،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال:

الإنفاق من الاقتار،و الإنصاف من نفسه،و بذل السلام».

و كان-صلى اللّه عليه و آله-يقول فى آخر خطبته: «طوبى لمن طاب خلقه،و طهرت سجيته،و صلحت سريرته،و حسنت علانيته،و أنفق الفضل من ماله، و أمسك الفضل من قوله،و أنصف الناس من نفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك...»إلى آخره.

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «من واسى الفقير من ماله و أنصف الناس من نفسه،فذلك المؤمن حقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«ثلاث خصال من كن فيه أو واحده منهن كان فى ظل عرش اللّه يوم لا ظل إلا ظله:رجل أعطى الناس عن نفسه ما هو سائلهم...»الحديث.

و قال أمير المؤمنين(ع)فى كلام له: «ألا إنه من ينصف من نفسه لم يزده اللّه إلا عزا».

و قال الصادق(ع): «من يضمن لى أربعه بأربعه أبيات فى الجنه:أنفق و لا تخف فقرا،و أفش السلام فى العالم،و اترك المراء و إن

كنت محقا،و أنصف الناس من نفسك».

و قال(ع): «ألا أخبركم بأشد ما فرض اللّه على خلقه؟»،فذكر ثلاثه أشياء أولها:(إنصاف الناس من نفسك).

و قال(ع): «من أنصف الناس من نفسه رضى به حكما لغيره».

و قال(ع): «ما تدارى اثنان فى أمر قط فأعطى أحد النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أديل منه».

و قال(ع): «ثلاثه هم أقرب الخلق إلى اللّه تعالى يوم القيامه حتى يفرغ من الحساب:رجل لم تدعه قدره فى حال غضبه على أن يحيف على من تحت يده،و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بعشيره،و رجل قال بالحق فيما له و عليه».

و قال-عليه السلام-:

«إن للّه جنه لا يدخلها إلا ثلاثه،أحدهم من حكم فى نفسه بالحق» (۱).

و منها:

القساوه

و هى ملكه عدم التأثر عن ألم أبناء النوع.و لا ريب فى كونه ناشئا من غلبه السبعيه،و أكثر ذمائم الصفات:من الظلم و الإيذاء،و عدم إغاثه المظلومين،و عدم مواساه الفقراء و المحتاجين و غير ذلك يترتب عليه.و ضده الرحمه و الرقه،و هو التأثر عن مشاهده تألم أبناء نوعه،و يترتب عليه من الصفات المرضيه أضداد ما ذكر.و قد ورد به المدح و الترغيب فى الأخبار الكثيره،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-: «يقول اللّه تعالى:

اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم،فإنى جعلت فيهم رحمتى.و لا تطلبوه من القاسيه قلوبهم،فإنى جعلت فيهم سخطى».

و كقول الصادق(ع): «اتقوا اللّه و كونوا إخوه برره متحابين فى اللّه متواصلين

۱- ۱) هذا الحديث رواه فى الكافى فى باب الإنصاف و العدل عن الباقر عليه السلام

متراحمين...إلخ» .

و قوله(ع): «تواصلوا و تباروا و تراحموا و كونوا إخوه برره كما أمركم اللّه» .

و قوله(ع): «يحق على المسلمين الاجتهاد فى التواصل و التعاون على التعاطف و المواساه لأهل الحاجه و تعاطف بعضهم على بعض،حتى تكونوا كما أمركم اللّه عز و جل:رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-».

و قد ورد: أن من ترحم على العباد يرحمه اللّه. و الأخبار الوارده فى فضيله مطلق الرحمه،و فى فضيله خصوص كل واحد واحد فيما يندرج تحته:من إعانه المحتاج،و إغاثه المظلوم، و مواساه الفقير،و الاغتمام بمصائب المؤمنين،و أمثال ذلك،أكثر من أن تحصى.

ثم إن إزاله القساوه و اكتساب الرحمه فى غايه الإشكال،إذ القساوه صفه راسخه فى القلب لا يقدر على تركها بسهوله،فطريق العلاج أن يترك لوازمها و آثارها من الأفعال الظاهره،و يواظب على ما يترتب على الرحمه من الصفات الاختياريه،و يكلف نفسه على ذلك حتى يرتفع على التدريج مبدأ الأولى و يحصل مبدأ الثانيه.

(انتهى الجزء الأول)

المجلد ۲

اشاره

[تتمه الباب الثالث]

اشاره

ص: ۱

المقام الثالث (فيما يتعلق بالقوه الشهويه من الرذائل و الفضائل و كيفيه العلاج)

اشاره

الشره-فوائد الجوع-الشهوه الجنسيه-خمود الشهوه-العفه-الاعتدال فى الشهوه-حب الدنيا-لابد للمؤمن من مكسب-الدنيا المذمومه هى الهوى-ذم الدنيا و أنها عدوه اللّه و الإنسان-خسائس صفات الدنيا- تشبيهات الدنيا و أهلها-عاقبه حب الدنيا و بغضها-الجمع بين ذم المال و مدحه-حب المال-ذم المال-غوائل المال و فوائده-الأمور المنجيه من غوائل المال -الزهد-مدح الزهد-اعتبارات الزهد و درجاته-الزهد الحقيقى-ذم الغنى-الفقر-اختلاف أحوال الفقراء-مراتب الفقر و مدحه-الموازنه بين الفقر و الغنى-ما ينبغى للفقير-وظيفه الفقراء-موارد قبول العطاء و ردّها-لا يجوز السؤال من غير حاجه-الحرص و ذمه-القناعه-علاج الحرص-الطمع و ذمه-الاستغناء عن الناس-البخل-ذم البخل-السخاء معرفه ما يجب أن يبذل-الإيثار-علاج البخل-الزكاه-سر وجوب الزكاه و فضيله سائر الانفاقات-الحث على التعجيل فى الإعطاء-فضيله اعلان الصدقه الواجبه-ذم المن و الأذى فى الصدقه-ما ينبغى للمعطى- ما ينبغى للفقراء فى أخذ الصدقه-زكاه الأبدان- الخمس-الإنفاق على الأهل و العيال-ما ينبغى فى الإنفاق على العيال-صدقه التطوع-فضيله الإسرار فى الصدقه المندوبه-الهديه-الضيافه-ما ينبغى أن يقصد فى الضيافه-آداب الضيافه-الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ-القرض- إنظار المعسر و التحليل-بذل الكسوه و السكنى و نحوهما-ما يبذل لوقايه العرض و النفس-ما ينفق فى المنافع العامه-الفرق بين الإنفاق و البر

ص: ٣٠

و المعروف-طلب الحرام-عزه تحصيل الحلال-أنواع الأموال-الفرق بين الرشوه و الهديه-الورع عن الحرام-مدح الورع-مداخل الحلال- درجات الورع-الغدر-أنواع الفجور-الخوض فى الباطل-التكلم بما لا يعنى-حد التكلم بما لا يعنى-أسباب الخوض فيما لا يعنى-الصمت، فنقول:

أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

فأحدهما:

اشاره

الشره

و هو إطاعه شهوه البطن و الفرج،و شده الحرص على الأكل و الجماع و ربما فسر باتباع القوه الشهويه فى كل ما تدعو إليه:من شهوه البطن و الفرج،و حب المال،و غير ذلك،ليكون أعم من سائر رذائل قوه الشهوه،و تتحقق جنسيته،و على الأول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه،إلا أن القوم لما فسروه بالأول فنحن اتبعناهم، إذ الأمر فى مثله هين.

و بالجمله:رذيله الشره من طرف الإفراط و لا ريب فى كونه أعظم المهلكات لابن آدم،

و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-:

«من وقى شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه فقد وقى» ،و القبقب:البطن، و الذبذب:الفرج،و اللقلق:اللسان.

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم:- «ويل للناس من القبقبين!فقيل:و ما هما يا رسول اللّه؟!قال:الحلق و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «أكثر ما يلج به أمتى النار الأجوفان:البطن و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-:

«ثلاث أخافهن على أمتى من بعدى:الضلاله بعد المعرفه،و مضلات

١- ١) أى القوه الشهويه.

الفتن،و شهوه البطن و الفرج».

و يدل على ذم(الأول)-أعنى شهوه البطن و الحرص على الأكل و الشرب

قوله-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه،حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»و إن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه و ثلث لشرابه و ثلث لنفسه»،

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «لا تميتوا القلوب بكثره الطعام و الشراب،فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-:

«أفضلكم منزله عند اللّه أطولكم جوعا و تفكرا،و أبغضكم إلى اللّه تعالى كل نؤم أكول شروب»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «المؤمن يأكل فى معاء واحد و المنافق يأكل فى سبعه أمعاء»، أى يأكل سبعه أضعاف ما يأكله المؤمن أو تكون شهوته سبعه أمثال شهوته،فالمعاء كنايه عن الشهوه.

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «إن أبغض الناس إلى اللّه المتّخمون الملأى،و ما ترك عبد أكله يشتهيها إلا كانت له درجه فى الجنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «بئس العون على الدين قلب نخيب و بطن رغيب و نعظ شديد»

(۱)

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «أطول الناس جوعا يوم القيامه أكثرهم شبعا فى الدنيا

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه».

و فى التوراه: «إن اللّه ليبغض الحبر السمين» ،لأن السمن يدل على الغفله و كثره الأكل.

و فى بعض الآثار: «إن اللّه يبغض القارئ السمين».

و قال لقمان لابنه:«يا بنى!إذا امتلأت المعده فامت الفكره

---

۱ - ۱) صححنا الحديث على نسخ الوسائل المصححه فى كتاب الأطعمه،و الوافى ۶۶:۱۰-.و كذا ذكره فى مجمع البحرين ماده(نخب)،و النخيب:الجبان الذى لا فؤاد له.و الرغيب:الواسع.

و خرست الحكمه،و قعدت الأعضاء عن العباده».

و قال الباقر-عليه السلام- «إذا شبع البطن طغى».

و قال-عليه السلام-: «ما من شىء أبغض إلى اللّه-عز و جل-من بطن مملو».

و قال الصادق-عليه السّلام-:

«إن البطن ليطغى من أكله،و أقرب ما يكون العبد من اللّه إذا خف بطنه و أبغض ما يكون العبد إلى اللّه إذا امتلأ بطنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «ليس لابن آدم بد من أكله يقيم بها صلبه،فإذا أكل أحدكم طعاما،فليجعل ثلث بطنه للطعام،و ثلث بطنه للشراب،و ثلثه للنفس،و لا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح».

و قال-عليه السلام-:

«ما من شىء أضر لقلب المؤمن من كثره الأكل و هى مورثه شيئين:

(قسوه)القلب،و(هيجان)الشهوه.و الجوع إدام للمؤمن،و غذاء للروح،و طعام للقلب،و صحه للبدن».

و الأخبار الوارده بهذه المضامين كثيره،و لا ريب فى أن أكثر الأمراض و الأسقام تترتب على كثره الأكل.

قال الصادق-عليه السلام-:

«كل داء من التخمه إلا الحمى فإنها ترد ورودا».

و قال-عليه السلام-:

«الأكل على الشبع يورث البرص». و كفى لشهوه البطن ذما أنها صارت منشأ لإخراج آدم و حواء من دار القرار إلى دار الذل و الافتقار،إذ نهيا عن أكل الشجره فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها،فبدت لهما سوآتهما.

و البطن منبت الأدواء و الآفات و ينبوع الشهوات،إذ تتبعها شهوه الفرج شده السبق إلى المنكوحات،و تتبع شهوه المطعم و المنكح شده الرغبه فى الجاه و المال،ليتوسل بهما إلى التوسع فى المطعومات و المنكوحات،و يتبع ذلك أنواع الرعونات،و ضروب المحاسدات و المنافسات،و تتولد من ذلك آفه الرياء،و غائله التفاخر و التكاثر و العجب و الكبر،و يداعى ذلك إلى الحقد و العداوه و البغضاء،و يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغى و المنكر

و الفحشاء.و كل ذلك ثمره إهمال المعده و ما يتولد من بطر الشبع و الامتلاء و لو ذلل العبد نفسه بالجوع،و ضيق مجارى الشيطان،لم يسلك سبيل البطر و الطغيان،و لم ينجر به إلى الانهماك فى الدنيا و الانغمار فيما يفضيه إلى الهلاك و الردى،

و لذا ورد فى فضيله الجوع و الصبر عليه ما ورد من الأخبار،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «جاهدوا أنفسكم بالجوع و العطش، فإن الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل اللّه،و أنّه ليس من عمل أحب إلى اللّه من جوع و عطش»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «أفضل الناس من قل مطعمه و ضحكه،و رضى بما يستر عورته».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «سيد الأعمال الجوع،و ذل النفس لباس الصوف»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «اشربوا و كلوا فى أنصاف البطون فإنه جزء من النبوه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «قله الطعام هى العباده».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «إن اللّه يباهى الملائكه بمن قلّ مطعمه فى الدنيا»يقول:انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام و الشراب فى الدنيا فصبر و تركهما،اشهدوا يا ملائكتى:ما من أكله يدعها إلا أبدلته بها درجات فى الجنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- «أقرب الناس من اللّه-عز و جل-يوم القيامه من طال جوعه و عطشه و حزنه فى الدنيا».

و قال عيسى(ع): «أجيعوا أكبادكم و أعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى اللّه-عز و جل-».

و قالت بعض زوجاته-صلّى اللّه عليه و آله-: «إنّ رسول اللّه لم يمتل قط شبعا،و ربما بكيت رحمه مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدى،و أقول:نفسى لك الفداء!لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك و يمنعك من الجوع،فيقول:إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا،فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم و أجزل ثوابهم،فاجدنى أستحى إن

ترفهت فی معیشتی أن یقصر بی غدا دونهم،فاصبر أیاما یسیره أحب إلی من أن ینقص بی حظی غدا فی الآخره و ما من شیء أحب إلی من اللحوق بأصحابی و إخوانی».

و روی: «أنه جاءت فاطمه-علیها السلام- و معها کسیره من خبز،فدفعتها إلی النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-فقال:

ما هذه الکسیره؟قالت:قرص خبزته للحسن و الحسین-علیهما السلام-جئتک منه بهذه الکسیره،فقال:أما إنه أول طعام دخل فم أبیک منذ ثلاث» (۱).

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد:هی صفاء القلب و رقته،و اتقاد الذهن و حدته و الالتذاذ بالمناجاه و الطاعه،و الابتهاج بالذکر و العباده،و الترحم لأرباب الفقر و الفاقه،و التذکر بجوع یوم القیامه.و الانکسار المانع عن الطغیان و الغفله،و تیسر المواظبه علی الطاعه و العباده،و کسر شهوات المعاصی المسئولیه بالشبع،و دفع النوم الذی یضیع العمر و یکل الطبع و یفوت القیام و التهجد،و التمکن من الإیثار و التصدیق بالزائد،و خفه المؤنه الموجبه للفراغ عن الاهتمام بالتحصیل و الإعداد،و صحه البدن و دفع الأمراض،إذ المعده بیت کل داء و الحمیه رأس کل دواء،

و ورد: «کلوا فی بعض بطونکم تصحوا» ،و أضداد هذه الفوائد من المفاسد یترتب علی الشبع.

ثم علاج الشره بالأکل و الشرب:أن یتذکر الأخبار الوارده فی ذمه،و ینبه نفسه علی رذاله المأکولات و خساستها،و علی خسه الشرکاء من الحیوانات،و یتأمل فی المفاسد المترتبه علی الولوع به:من الذله،و المهانه و سقوط الحشمه و المهابه،و فتور الفطنه،و ظهور البلاده،و حدوث العلل

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی سفینه البحار-۱:۱۹۵.

و الأمراض الكثيره،و بعد ذلک يحافظ نفسه عن الإفراط فی الأکل و لو بالتکلف حتی يصير الاعتدال فيه عاده.

الشهوه الجنسيه

(و أما الثانی)-أعنی طاعه شهوه الفرج و الإفراط فی الوقاع- فلا ريب فی أنه يقهر العقل حتی يجعل الإنسان مقصور الهم علی التمتع بالنسوان و الجواری،فيحرم من سلوک طريق الآخره،أو يقهر الدين حتی يجر إلی اقتحام الفواحش و ربما انتهت هذه الشهوه بمن غلب و همه علی عقله إلی العشق البهيمی الذی ينشأ من استيلاء الشهوه،فيسخر الوهم العقل لخدمه الشهوه،و قد خلق العقل ليکون مطاعا لا ليکون خادما للشهوه،و هذا مرض قلوب فارغه خلت عن محبه اللّه و عن الهمم العاليه.

و يجب الاحتراز من أوائله بترک معاوده الفکر و النظر،و إذا استحکم عسر دفعه،و کذلک حب باطل من الجاه و المال و العقار و الأولاد،فمثل من يکسره فی أول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابه عند توجهها إلی باب ليدخله،و ما أهون منعها بصرف عنانها،و مثل من يعالجه بعد استحکامه مثل من يترک الدابه حتی تدخل و تتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها و يجرها إلی ورائها،و ما أعظم التفاوت بين الأمرين فی اليسر و العسر.

فليکن الاحتراز و الاحتياط فی بدايات الأمور،إذ فی أواخرها لا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يکاد يوازی نزع الروح.

و ربما انتهی إفراط هذه الشهوه بطائفه إلی أن يتناولوا ما يقويها ليستکثروا من الجماع،و مثلهم کمثل من بلی بسباع ضاريه تغفل عنه فی

بعض الأوقات فيحتال لإثارتها و تهييجها فى هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها و إصلاحها.و التجربه شاهده بأن من ينقاد لهذه الشهوه و يسعى فى تكثير ما يهيجها من النسوان و تجديدهن و التخيل و النظر و تناول الأغذيه و الأدويه المحركه لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر،و قد ينجر إفراطها إلى سقوط القوه و اختلال القوى الدماغيه و فساد العقل-كما برهن عليه فى الكتب الطبيه-. و الوقاع أضر الأشياء بالدماغ،إذ جل المواد المنويه يجلب منه،و لذا شبه الغزالى هذه الشهوه بالعامل الظالم الذى لو أطلقه السلطان و لم يمنعه من ظلمه أخذ أموال الرعيه على التدريج بأسرها و ابتلاهم بالفقر و الفاقه،فأهلكهم الجوع و عدم تمكنهم من تحصيل القوت،و كذا هذه القوه لو لم يقهرها سلطان العقل و لم يقمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحه و الأخلاط المحموده التى اكتسبتها القوى الغذائيه لبدل ما يتحلل من الأعضاء فى مصارف نفسها و جعلها بأسرها منيا،و تبقى جميع الأعضاء بلا قوت،فتضعف و يدركها الفناء بسرعه.و لو كانت مطيعه للعقل،بحيث تقدم على ما يأمرها به و تنزجر عما ينهاها عنه،كانت كالعامل الذى يأخذ الخراج على طريق العدل و المروه،و يصرفه فى مصارف المملكه من سد الثغور و إصلاح القناطر و خروج العساكر،و تبقى سائر أموال الرعيه لأنفسهم،فيبقى لهم القوت و سائر ما يحتاجون إليه.

و لعظم آفه هذه الشهوه و اقتضائها هلاك الدين و الدنيا إن لم تضبط و لم ترد إلى حد الاعتدال،ورد فى ذمها ما ورد من الأخبار،

و قال رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-فى بعض دعواته:

«اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى و بصرى و قلبى و شر منى»

.

و روى: «أنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله»

و ورد فى تفسير قوله تعالى:

وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ

(۱)

أی:و من شر الذکر إذا قام أو دخل.

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «النساء حبائل الشیطان»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-:

«ما بعث اللّه نبیا فیما خلا إلا لم ییأس إبلیس أن یهلکه بالنساء،و لا شی أخوف عندی منهن» (۲)

و قال-صلّی اللّه علیه و آله- «اتقوا فتنه النساء،فإن أول فتنه بنی إسرائیل کانت من قبل النساء»

و روی: «أن الشیطان قال لموسی علیه السلام:لا تخل بأمرأه لا تحل لک.فإنه ما خلا رجل بامرأه لا تحل له إلا کنت صاحبه دون أصحابی حتی أفتنه بها».

و روی أیضا: «أن الشیطان قال:المرأه نصف جندی،و هی سهمی الذی أرمی فلا أخطئ،و هی موضع سری،و هی رسولی فی حاجتی» و لا ریب فی أنه لو لا هذه الشهوه لما کان للنساء تسلط علی الرجال.

و قد ظهر بالعقل و النقل:أن الإفراط فی هذه الشهوه و کثره الطروقه و النزو علی النسوان مذموم.و لا تغرنک کثره نکاح رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فإنه کان لا یشغل قلبه جمیع ما فی الدنیا،و کان استغراقه فی حب اللّه بحیث یخشی احتراق قلبه و السرایه منه إلی قالبه،فکان-صلّی اللّه علیه و آله-یکثر من النسوان و یشغل نفسه الشریفه بهن،لیبقی له نوع التفات إلی الدنیا،و لا یؤدی به کثره الاستغراق إلی مفارقه الروح عن البدن،

و لذا إذا غشیته کثره الاستغراق و خاض فی غمرات الحب و الأنس،یضرب یده علی فخذ عائشه و یقول-صلّی اللّه علیه و آله-:

۱- ۱) الفلق،الآیه:۳.

۲- ۲) فی إحیاء العلوم-۳:۸۶ ان هذا الکلام من قول سعید بن المسیب لا من کلام النبی-صلّی اللّه علیه و آله-.

«کلمینی و اشغلینی یا حمیراء!» و هی تشغله بکلامها عن عظیم ما هو فیه لقصور طاقه قالبه عنه.

ثم لما کانت جبلته الأنس باللّه،و کان أنسه بالخلق عارضا یتکلفه رفقا ببدنه،فإذا طالت مجالسته معهم لم یطق الصبر معهم و ضاق صدره

فیقول: «أرحنا یا بلال!» ،حتی یعود إلی ما هو قره عینه.فالضعیف إذا لاحظ أحواله فهو معذور،لأن الأفهام تقصر عن الوقوف علی أسرار أفعاله (۱).

ثم علاج إفراط هذه الشهوه-بعد تذکر مفاسدها المذکوره-کسرها بالجوع،و سد الطرق المؤدیه إلیها:من التخیل و النظر و التکلم و الخلوه، فإن أقوی الأسباب المهیجه لها هو النظر و الخلوه،و لذا قال اللّه تعالی:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ

(۲)

و قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «النظره سهم مسموم من سهام إبلیس،فمن ترکها خوفا من اللّه تعالی أعطاه اللّه إیمانا یجد حلاوته فی قلبه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لکل عضو من أعضاء ابن آدم حظ من الزنا فالعینان تزنیان و زناهما النظر».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تدخلوا علی المغیبات-أی التی غاب عنها زوجها-فإن الشیطان یجری من أحدکم مجری الدم».

و قال عیسی بن مریم-علیهما السّلام-: «إیاکم و النظره،فإنها تزرع فی القلب شهوه،و کفی بها فتنه».

و قیل لیحیی بن زکریا:ما بدء

۱- ۱) هذا الکلام کله عن تعلیل کثره طروق النبی-صلّی اللّه علیه و آله مأخوذ من کلام الغزالی فی احیاء العلوم-۳:۸۷-.

۲- ۲) النور،الآیه:۳۰.

الزنا؟قال:«النظره و التمنى».

و قال داود-عليه السّلام-لابنه:

«يا بنى!امش خلف الأسد(و) (۱)الأسود و لا تمش خلف المرأه».

و قال إبليس:«النظره قوسى و سهمى الذى لا أخطئ به».

و لكون النظر مهيجا للشهوه،حرم فى الشريعه نظر كل من الرجل و المرأه إلى الآخر،و كذا حرم استماع كل منهما لكلام الآخر، إلا مع الضروره و عموم الحاجه،و كذا حرم نظر الرجال إلى المرد من الصبيان إذا كان مورثا للفتنه،و لذا كان كبراء الأخيار و عظماء الأبرار فى الأعصار و الأمصار محترزين عن النظر إلى وجوه الصبيان،حتى قال بعضهم «ما أنا بأخوف على الشباب الناسك من سبع ضار كخوفى عليه من غلام أمرد يجلس إليه».

ثم إن لم تنقمع الشهوه بالجوع و الصوم و حفظ النظر،فينبغى كسرها بالنكاح،بشرط الاستطاعه و الأمن من غوائله.

قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «معاشر الشباب!عليكم بالباءه،فمن لم يستطع فعليه بالصوم،فإن الصوم له وجاء».

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «إن المرأه إذا أقبلت أقبلت بصوره شيطان،فإذا رأى أحدكم امرأه فأعجبته فليأت أهله،فإن معها مثل الذى معها».

(و ثانيهما)-أى ثانى جنسى رذائل قوه الشهوه-: الخمود

اشاره

ص: ۱۳

۱- ۱) حرف(و)موجود فى نسختنا الخطيه و فى احياء العلوم-۳:۸۷-، و لكنه قد شطب عليها فى النسخه المطبوعه.

و هو التفريط فی کسب ضروری القوت،و الفتور عما ینبغی من شهوه النکاح،بحیث یؤدی إلی سقوط القوه و تضییع العیال و انقطاع النسل و لا ریب فی کون ذلک مذموما غیر مستحسن فی الشرع،إذ تحصیل المعارف الإلهیه و اکتساب الفضائل الحلقیه و العبادات البدنیه موقوف علی قوه البدن،فالتفریط فی إیصال بدل ما یتحلل إلی البدن یوجب الحرمان عن تحصیل السعادات.و هو غایه الخسران.و کذا إهمال قوه شهوه النکاح یوجب الحرمان عن الفوائد المترتبه علیها،فإن هذه القوه إنما سلطت علی الإنسان لبقاء النسل و دوام الوجود،و لأن یدرک لذته فیقیس بها لذات الآخره،فإن لذه الوقاع لو دامت لکانت أقوی اللذات الجسمانیه،کما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانیه،فالترغیب و الترهیب یسوقان الخلق إلی سعاداتهم،و لیس ذلک إلا بلذه مدرکه و ألم محسوس مشابهین للذات و الآلام الأخرویه.

و لبقاء النسل فوائد:موافقه محبه اللّه بالسعی فی تحصیل الولد لبقاء نوع الإنسان،و عدم قطعه السلسله التی وصلت إلیه من مبدأ النوع،و طلب محبه رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فی تکثیر من به مباهاته،و طلب التبرک بدعاء الولد الصالح بعده،و طلب الشفاعه بموت الولد الصغیر إذا مات قبله،کما استفاضت به الأخبار.

و من فوائد النکاح:کسر التوقان و التحرز من الشیطان،بغض البصر و حفظ الفرج و قطع الوساوس و خطرات الشهوه من القلب،و إلیه الإشاره

بقوله-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه» و من فوائد النكاح:تفريغ القلب عن تدبير المنزل،و التكفل بشغل الطبخ و الفرش و الكنس،و تنظيف الأوانى و تهيئه أسباب المعيشه،فإن الفراغ عن ذلك أعون شيء على تحصيل العلم و العمل،

و لذا قال النبى -صلّى اللّه عليه و آله-: «ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا و قلبا شاكرا و زوجه مؤمنه صالحه تعينه على آخرته».

و منها:مجاهده النفس و رياضتها بالسعى فى حوائج الأهل و العيال، و الاجتهاد فى إصلاحهم و إرشادهم إلى طريق الدين،و فى تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبه،و القيام بتربيه الأولاد،و الصبر على أخلاق النساء،و كل ذلك من الفضائل العظيمه،

و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «الكاد فى نفقه عياله كالمجاهد فى سبيل اللّه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من حسنت صلاته،و كثر عياله و قل ماله،و لم يغتب المسلمين:كان معى فى الجنه كهاتين».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من الذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كانت له ثلاث بنات فأنفق عليهن و أحسن إليهن حتى يغنيهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالى له الجنه».

و لا ريب فى أن الخمود عن الشهوه يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكوره فهو مرجوح.

ثم لما كان للنكاح آفات أيضا،كالاحتياج إلى المال و صعوبه تحصيل الحلال منه-لا سيما فى أمثال زماننا-و العجز عن القيام بحقوق النسوان، و الصبر على أخلاقهن،و احتمال الأذى منهن،و تفرق الخاطر لأجل القيام بتدبير المعيشه و تهيئه ما يحتاجون إليه،و تأديه ذلك غالبا إلى ما لا ينبغى من

الانغمار فی الدنیا و الغفله عن اللّه-سبحانه-و عما خلق لأجله،فاللائق أن یلاحظ فی کل شخص أن الراجح فی حقه ما ذا؟-بعد ملاحظه الفوائد و المفاسد-فیأخذ به.

وصل العفه

قد عرفت أن ضد الجنسین(العفه)،و هو انقیاد قوه الشهوه للعقل فی الإقدام علی ما یأمرها به من المأکل و المنکح کما و کیفا،و الاجتناب عما ینهاها عنه،و هو الاعتدال الممدوح عقلا و شرعا،و طرفاه من الإفراط و التفریط مذمومان،فإن المطلوب فی جمیع الأخلاق و الأحوال هو الوسط، إذ خیر الأمور أوساطها،و کلا طرفیها ذمیم،فلا تظنن مما ورد فی فضیله الجوع أن الإفراط فیه ممدوح،فإن الأمر لیس کذلک،بل من أسرار حکمه الشریعه أن کلما یطلب الطبع فیه طرف الإفراط بالغ الشرع فی المنع عنه علی وجه یتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفریط،و العالم یدرک أن المقصود هو الوسط،فإن الطبع إذا طلب غایه الشبع،فالشرع ینبغی أن یطلب غایه الجوع،حتی یکون الطبع باعثا و الشرع مانعا،فیتقاومان و یحصل الاعتدال.و لما بالغ النبی-صلّی اللّه علیه و آله-فی الثناء علی قیام اللیل و صیام النهار،ثم علم من حال بعضهم أنه یقوم اللیل کله و یصوم الدهر کله،فنهی عنه. و الأخبار الوارده فی مدح العفه و فضیلتها کثیره،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أفضل العباده العفاف».

و قال الباقر علیه السّلام: «ما من عباده أفضل من عفه بطن و فرج».

و قال علیه السّلام: «ما عبد اللّه بشیء أفضل من عفه بطن و فرج»

و قال علیه

السّلام: «أی الاجتهاد أفضل من عفه بطن و فرج». و فی معناها أخبار أخر.

و إذا عرفت هـذا،فاعلم أن الاعتـدال فی الأکل أن یأکل بحیث لا یحس بثقل المعده و لا بألم الجوع،بل ینسـی بطنه فلا یؤثر فیه أصـلا، فـإن المقصود من الأکـل بقـاء الحیـاه و قوه العباده،و ثقل الطعام یمنع العباده و ألم الجوع أیضا یشـغل القلب و یمنع منها فالمقصود أن یأکل أکلا معتدلا بحیث لا یبقی للأکل فیه أثر،لیکون متشـبها بالملائکه المقدسـین عن ثقل الطعام و ألم الجوع،و إلیه الإشاره بقوله تعالی:

وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

و هـذا یختلف بالنسـبه إلی الأشـخاص و الأـحوال و الأغـذیه،و المعیـار فیه ألاـ یأکـل طعامـا حـتی یشـتهیه،و یرفع یـده عنه و هو یشـتهیه:و ینبغی ألا یکون غرضه من الأکل التلـذذ،بل حفظ القوه علی تحصـیل ما خلق لأجله،فیقتصـر من أنواع الطعام علی خبز البر فی بعض الأوقات،و علی خبز الشـعیر فی بعضـها،و لو ضم إلیه الأدام فیکتفی بأدام واحـد فی بعض الأحیان،و لا یواظب علی اللحم،و لا یترکه بالمره،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «من ترک اللحم أربعین یوما ساء خلقه،و من داوم علیه أربعین یوما قسی قلبه».

(الاعتدال فی الشهوه)

و الاعتدال أن یکتفی فی الیوم بلیلته بأکله واحده فی وقت السـحر، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاه العشاء،أو بأکلتین:التغدی و التعشی-

ص: ۱۷

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۳۰.

إن لم يقدر على الاكتفاء بمره واحده-و قد استفاضت أخبار أئمتنا الراشدين -عليهم السّلام-بالحث على التعشى.

ثم للعرفاء ترغيبات على الجوع و تصريحات على كثره فوائده،و على توقف كشف الأسرار الإلهيه و الوصول إلى المراتب العظيمه عليه،و لهم حكايات فى إمكان الصبر عليه،و على عدم الأكل شهرا أو شهرين أو سنه و نقلوا حصوله عن بعضهم،و هذا أمر وراء ما وردت به السنه و كلفت به عموم الأمه،فإن كان ممدوحا فإنما هو لقوم مخصوصين.

و أما الجماع،فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على ما لا ينقطع عن النسل و يحصل له التحصن،و تزول به خطرات الشهوه،و لا يؤدى إلى ضعف البدن و القوى.

و أما غير الجنسين من الأنواع و النتائج و الآثار المتعلقه بالقوه الشهويه

اشاره

-و إن كان بعضها أعم الجنسين أو مساويا لهما-:

فمنها:

اشاره

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهيه فى نفسها و ماهيه فى حق العبد،أما ماهيه الدنيا و حقيقتها فى نفسها،فعباره عن أعيان موجوده:هى الأرض و ما عليها و الأرض هى العقار و الضياع و أمثالهما،و ما عليها تجمعه المعادن و النبات و الحيوان،و المعادن تطلب لكونها إما من الآلات و الزينه كالنحاس و الرصاص و الجواهر و أمثالها،أو من النقود كالذهب و الفضه،و النبات يطلب لكونه

من الأقوات أو الأدویه،و الحیوانات تطلب إما لملکیه أبدانها و استخدامها کالعبید و الغلمان أو لملکیه قلوبها و تسخیرها لیترتب علیه التعظیم و الإکرام و هو الجاه،أو للتمتع و التلذذ بها کالجواری و النسوان،أو للقوه و الاعتضاد کالأولاد.هذه هی الأعیان المعبر عنها بالدنیا،و قد جمعها اللّه سبحانه فی قوله:

زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِکَ مَتاعُ الْحَیاهِ الدُّنْیا

(۱)

.

و حب جمیع ذلک من رذائل قوه الشهوه،إلا حب تسخیر القلوب لقصد الغلبه و الاستیلاء،فإنه من رذائل قوه الغضب-کما تقدم- و بذلک یظهر أن حب الدنیا المتعلق بقوه الشهوه أعم من الشره بأول تفسیریه -کما أشیر إلیه-.

و أما ماهیتها فی حق العبد،فعباره عن جمیع ما له قبل الموت،کما أن بعد الموت عباره عن الآخره،فکل ما للعبد فیه نصیب و شهوه و حظ و غرض و لذه فی عاجل الحال قبل الوفاه فهی الدنیا فی حقه،و للعبد فیه علاقتان،علاقه بالقلب:و هو حبه له،و علاقه بالبدن:و هو إشغاله بإصلاحه،لیستوفی منه حظوظه.إلا أن جمیع ما له إلیه میل و رغبه لیس بمذموم،و ذلک لأن ما یصحبه فی الدنیا و تبقی ثمرته معه بعد الموت-أعنی العلم النافع و العمل الصالح-فهو من الآخره فی الحقیقه،و إنما سمی بالدنیا

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۴.

باعتبار دنوه،فإن كلا من العالم و العابد قد يلتذ بالعلم و العباده بحيث يكون ذلک ألذ الأشياء عنده،فهو و إن كان حظا عاجلا له فی الدنيا إلا أنه ليس من الدنيا المذمومه،بل هو من الآخره فی الحقيقه،و إن عد من الدنيا من حيث دخوله فی الحس و الشهاده،فإن كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الشهاده-أعنی الدنيا-و لذا جعل نبينا-صلّی اللّه عليه و آله- الصلاه من الدنيا،

حيث قال: «حبب إلی من دنياكم ثلاث:الطيب و النساء،و قره عينی فی الصلاه» ،مع أنها من أعمال الآخره.

فالدنيا المذمومه عباره عن حظ عاجل،لا يكون من أعمال الآخره و لا وسيله إليها،و ما هو إلا التلذذ بالمعاصی و التنعم بالمباحات الزائده علی قدر الضروره فی تحصيل العلم و العمل.

و أما قدر الضروره من الرزق،فتحصيله من الأعمال الصالحه-كما نطقت به الأخبار-

قال رسول اللّه-صلّی اللّه عليه و آله و سلم-: العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلّی اللّه عليه و آله-:

ملعون من ألقی كله علی الناس».

و قال السجاد عليه السّلام: «الدنيا دنياءان:دنيا بلاغ،و دنيا ملعونه»

و قال الباقر عليه السلام: «من طلب الدنيا استعفافا عن الناس،و سعيا علی أهله،و تعطفا علی جاره،لقی اللّه- عز و جل-يوم القيامه و وجهه مثل القمر ليله البدر».

و قال الصادق عليه السّلام: «الكاد علی عياله كالمجاهد فی سبيل اللّه».

و قال عليه السّلام «إن اللّه تبارک و تعالی ليحب الاغتراب فی طلب الرزق».

و قال عليه السّلام: «ليس منا من ترک دنياه لآخرته و لا آخرته لدنياه».

و قال -عليه السّلام-: «لا تكسلوا فی طلب معايشكم،فإن آباءنا كانوا يركضون فيها و يطلبونها».

و قال له عليه السّلام رجل:«إنا لنطلب الدنيا و نحب أن نؤتاها،فقال:تحب أن تصنع بها ما ذا؟قال:أعود بها علی نفسی

و عیالی،و أصل بها و أتصدق،و أحج و أعتمر،فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام:لیس هذا طلب الدنیا،هذا طلب الآخره».

و کان أبو الحسن علیه السّلام یعمل فی أرض قد استنقعت قدماه فی العرق،فقیل له:

«جعلت فداک!أین الرجال؟فقال:و قد عمل بالید من هو خیر منی فی أرضه و من أبی،فقیل:و من هو؟فقال:رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-و أمیر المؤمنین و آبائی کلهم کانوا قد عملوا بأیدیهم،و هو من عمل النبیین و المرسلین و الأوصیاء و الصالحین» و قد ورد بهذه المضامین أخبار کثیره أخر مشهوره.

تذنیب (لا بد للمؤمن من مکسب)

قد ظهر من هذه الأخبار أن الراجح-بل اللازم-لکل مؤمن أن یکون له مکسب طیب یحصل منه ما یحتاج إلیه من الرزق و غیره من المخارج المحموده،و قد صرح بذلک فی أخبار کثیره أخر،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أوحی اللّه-عز و جل-إلی داود علیه السّلام:إنک نعم العبد لو لا أنک تأکل من بیت المال و لا تعمل بیدک شیئا،قال:فبکی داود أربعین صباحا،فأوحی اللّه-عز و جل-إلی الحدید أن لن لعبدی داود فألان اللّه له الحدید،و کان یعمل کل یوم درعا فیبیعها بألف درهم،فعمل ثلاثمائه و ستین درعا فباعها بثلاثمائه و ستین ألفا،و استغنی عن بیت المال».

و قال الصادق علیه السّلام «من أحبنا أهل البیت فلیأخذ من الفقر جلبابا

أو تجفافا»، و الجلباب:كنايه عن الستر على فقره،و التجفاف (۱):

كنايه عن كسب طيب يدفع فقره.

و قيل له فى رجل قال:لأقعدن فى بيتى،و لأصومن،و لأعبدن ربى،فأما رزقى فسيأتينى:قال أبو عبد اللّه «هذا أحد الثلاثه الذين لا يستجاب لهم».

و هذا-أى ملكه تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبه و صرفها فى المخارج المحموده-هو الحريه بأحد المعنيين،إذ للحريه إطلاقان:

(أحدهما)ذلك،و هو الحريه بالمعنى الأخص،(و ثانيهما)التخلص عن أسر الهوى و عبوديه القوه الشهويه،و هو الحريه بالمعنى الأعم المرادفه، و ضده الرقيه بالمعنى الأعم الذى هو طاعه قوه الشهوه و متابعه الهوى.

و ضد الأول-أعنى الرقيه بالمعنى الأخص-هو افتقاره إلى الناس فيما يحتاج إليه من الرزق،و القاء نظره إلى أيديهم،و حواله رزقه على أموالهم،إما على وجه محرم،كالغصب و النهب و السرقه و أنواع الخيانات أو غير محرم،كأخذ وجوه الصدقات و أوساخ الناس،بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل يده يدا سفلى و يدهم يدا عليا.و لا ريب فى كون الرقيه بهذا المعنى مذمومه،إذ(الوجه الأول)محرم فى الشريعه و موجب للهلاك الأبدى،و(الوجه الثانى)و إن لم يكن محرما إذا كان فقيرا مستحقا، إلا أنه لإيجابه التوقع من الناس و كون نظره إليهم يقتضى المذله و الانكسار و التخضع للناس و الرقيه و العبوديه لهم،و هذا يرفع الوثوق باللّه و الاعتماد و التوكل عليه،و ينجر ذلك إلى سلب التوكل على اللّه بالكليه،و ترجيح المخلوق على الخالق،و هذا ينافى مقتضى الإيمان و المعرفه الواقعيه باللّه سبحانه

۱- ۱) التجفاف:آله للحرب يتقى بها كالدرع و عن تفسير أمثال هذا الحديث راجع الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ۶۵،ففيه تفصيل معناه و قد نقل عن ابن الأثير فى النهايه،و ابن أبى الحديد فى شرحه:كلاما فى هذا الباب.

فصل (الدنیا المذمومه هی الهوی)

قد ظهر مما ذکر:أن الدنیا المذمومه حظ نفسک الذی لا حاجه إلیه لأمر الآخره،و یعبر عنه بالهوی،و إلیه أشار قوله تعالی:

وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِیَ الْمَأْوی

(۱)

.

و مجامع الهوی هی المذکوره فی قوله تعالی:

أَنَّمَا الْحَیاهُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَهٌ وَ تَفاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ

(۲)

.

و الأعیان التی تحصل منها هذه الأمور هی المذکوره فی قوله سبحانه:

زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

(۳)

.

فهذه أعیان الدنیا،و للعبد معها علاقتان:

۱- ۱) النازعات،الآیه:۴۰.

۲- ۲) الحدید،الآیه:۲۰.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۴.

(علاقه مع القلب):و هی حبه لها و حظه منها و انصراف همه إلیها حتی یصیر قلبه کالعبد أو المحب المستهتر بها،و یدخل فی هذه العلاقه جمیع صفات القلب المتعلقه بالدنیا:کالریاء،و السمعه،و سوء الظن،و المداهنه و الحسد،و الحقد،و الغل،و الکبر،و حب المدح،و التفاخر و التکاثر.

فهذه هی الدنیا الباطنه،و الظاهره هی الأعیان المذکوره.

و(علاقه مع البدن):و هو اشتغاله بإصلاح هذه الأعیان لتصلح لحظوظه و حظوظ غیره،و هذا الاشتغال عباره عن الصناعات و الحرف التی اشتغل الناس بها،بحیث أنستهم أنفسهم و خالقهم و أغفلتهم عما خلقوا لأجله،و لو عرفوا سبب الحاجه إلیها و اقتصروا علی قدر الضروره،لم یستغرقهم اشتغال الدنیا و الانهماک فیها،و لما جهلوا بالدنیا و حکمتها و حظهم منها لم یقتصروا إلا علی قدر الاحتیاج،فأوقعوا أنفسهم فی أشغالها،و تتابعت هذه الأشغال و اتصلت بعضها ببعض،و تداعت إلی غیر نهایه محدوده، فغفلوا عن مقصودها،و تاهوا فی کثره الأشغال.فإن أمور الدنیا لا یفتح منها باب إلا و تنفتح لأجله عشره أبواب أخر،و هکذا یتداعی إلی غیر حد محصور،و کأنها هاویه لا نهایه لعمقها،و من وقع فی مهواه منها سقط منها إلی أخری...و هکذا علی التوالی.أ لا تری أن ما یضطر إلیه الإنسان بالذات منحصر بالمأکل و الملبس و المسکن؟و لذلک حدثت الحاجه إلی خمس صناعات هی أصول الصناعات:الفلاحه،و الرعایه للمواشی،و الحیاکه و البناء و الاقتناص-أی تحصیل ما خلق اللّه من الصید و المعادن و الحشائش و الأحطاب-و تترتب علی کل من هذه الصناعات صناعات أخر،و هکذا إلی أن حدثت جمیع الصناعات التی نراها فی العالم،و ما من أحد إلا و هو مشتغل بواحده منها أو أکثر،إلا أهل البطاله و الکساله،حیث غفلوا عن الاشتغال فی أول الصبا،أو منعهم مانع و استمروا علی غفلتهم و بطالتهم،حتی نشأوا

بلا شغل و اکتساب،فاضطروا إلی الأخذ مما یسعی فیه غیرهم،و لذلک حدثت حرفتان خبیثتان هی(اللصوصیه)و(الکدیه) (۱)و لکل واحد منهما أنواع غیر محصوره لا تخفی علی المتأمل.

فصل (ذم الدنیا و أنها عدوه اللّه و الإنسان)

اعلم أن الدنیا عدوه للّه و لأولیائه و لأعدائه:أما عداوتها للّه،فإنها قطعت الطریق علی العباده،و لذلک لم ینظر إلیها مذ خلقها،کما ورد فی الأخبار (۲)و أما عداوتها لأولیائه و أحبائه،فإنها تزینت لهم بزینتها و عمتهم بزهرتها و نضارتها،حتی تجرعوا مراره الصبر فی مقاطعتها.و أما عداوتها لأعدائه،فإنها استدرجتهم بمکرها و مکیدتها و اقتنصتهم بشباکها و حبائلها حتی وثقوا بها و عولوا علیها،فاجتبوا منها حیره و ندامه تنقطع دونها الأکباد،ثم حرمتهم عن السعاده أبد الآباد،فهم علی فراقها یتحسرون و من مکائدها یستغیثون و لا یغاثون،بل یقال لهم:

اِخْسَؤُا فِیهٰا وَ لاٰ تُکَلِّمُونِ

(۳)

. أُولٰئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا بِالْآخِرَهِ فَلاٰ یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ (۴).

۱- ۱) قال فی المنجد:الکدیه:الاستعطاء و حرفه السائل الملح.

۲- ۲) سیأتی الخبر بهذا المعنی-ص ۲۶-و هو عامی.

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۱۰۹.

۴- ۴) البقره،الآیه:۸۶.

و الآيات الوارده فی ذم الـدنيا و حبها كثيره،و أكثر القرآن مشـتمل علی ذلک و صـرف الخلق عنها و دعوتهم إلی الآخره،بل هو المقصود من بعثه الأنبياء،فلا حاجه إلی الاستشـهاد بآيات القرآن لظهورها.فلنشر إلی نبذه من الأخبار الوارده فی ذم الدنيا و حبها و فی سرعه زوالها،

قال رسول اللّه-صلّی اللّه عليه و آله و سلم-: «لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضه ما سقی كافرا منها شربه ماء».

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه عليه و آله و سلم-: «الدنيا ملعونه،ملعون ما فيها إلا ما كان للّه منها»

و قال-صلّی اللّه عليه و آله و سلم- :«الدنيا سجن المؤمن و جنه الكافر»

و قـال-صـلّی اللّه عليه و آله و سـلم-: «من أصـبح و الـدنيا أكبر همه فليس من اللّه فی شـیء،و ألزم اللّه قلبه أربع خصـال:هما لا ينقطع عنه أبدا،و شغلا لا يتفرغ منه أبدا و فقرا لا ينال غناه أبدا.و أملا لا يبلغ منتهاه أبدا،

و قال-صلّی اللّه عليه و آله-: «يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود و هو يسعی لدار الغرور!».

و قال-صلّی اللّه عليه و آله-: «لتأتينكم بعدی دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب».

و قـال: «ألهـاكم التكـاثر،يقول ابن آدم:مـالی مـالی.و هـل لـک من مالـک إلاـ مـا تصـدقت فـأبقيت،أو أكلت فأفنيت،أو لبسـت فأبليت؟».

و قال: «أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی:لا تركنن إلی حب الدنيا،فلن تأتين بكبيره هی أشد عليک منها»

و قال-صلّی اللّه عليه و آله-: «حب الدنيا رأس كل خطيئه».

و قال -صلّی اللّه عليه و آله-: «من أحب دنياه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنياه،فآثروا ما يبقی علی ما يفنی».

و مر-صـلّی اللّه عليه و آله-علی مزبله،فوقف عليهـا و قال:«هلموا إلی الـدنيا!و أخـذ خرقا قـد بليت علی تلک المزبله و عظاما قد نخرت،فقال:ذه الدنيا!»

و قال-صلّی اللّه عليه و آله- «إن اللّه لم يخلق خلقا أبغض إليه

من الدنيا،و إنه لم ينظر إليها منذ خلقها».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله- «الدنيا دار من لا دار له و مال من لا مال له،و لها يجمع من لا عقل له،و عليها يعادى من لا علم عنده،و عليها يحسد من لا فقه له،و لها يسعى من لا يقين له».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «لما هبط آدم من الجنه إلى الأرض قال له:إن للخراب ولد للفناء».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «لتجيئن أقوام يوم القيامه و أعمالهم كجبال تهامه.فيؤمر بهم إلى النار،فقيل:يا رسول اللّه!أ مصلين؟قال:

نعم،!كانوا يصومون و يصلون و يأخذون هنيئه من الليل،فإذا عرض لهم من الدنيا شىء وثبوا عليه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «هل منكم من يريد أن يذهب اللّه عنه العمى و يجعله بصيرا؟ألا إنه من رغب فى الدنيا و طال فيها أمله أعمى اللّه قلبه على قدر ذلك،و من زهد فى الدنيا و قصر أمله فيها أعطاه اللّه علما بغير تعلم و هدى بغير هدايه».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «فو اللّه ما الفقر أخشى عليكم،و لكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم،فتنافسوها كما تنافسوها،و تهلككم كما اهلكتهم»

و قال: «أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج اللّه لكم من بركات الأرض،فقيل:ما بركات الأرض؟قال:

زهره الدنيا».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه و هو لا يشعر».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «سيأتى قوم بعدى يأكلون أطايب الطعام و أنواعها،و ينكحون أجمل النساء و ألوانها،و يلبسون ألين الثياب و ألوانها و يركبون أقوى الخيل و ألوانها،لهم بطون من القليل لا تشبع،و أنفس بالكثير لا تقنع،عاكفين على الدنيا،يغدون و يروحون إليها،اتخذوها آلهه دون إلههم و ربا دون ربهم إلى أمرهم ينتهون و هواهم يلعبون،فعزيمه

من محمد بن عبد اللّه لمن أدرک ذلک الزمان من عقب عقبکم و خلف خلفکم أبدا لا یسلم علیهم و لا یعود مرضاهم و لا یتبع جنائزهم و لا یوقر کبیرهم و من فعل ذلک فقد أعان علی هدم الإسلام».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «ما لی و للدنیا و ما أنا و الدنیا؟!إنما مثلی و مثلها کمثل راکب سار فی یوم صائف،فرفعت له شجره،فقال تحت ظلها ساعه،ثم راح و ترکها»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «احذروا الدنیا،فإنها أسحر من هاروت و ماروت».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «حق علی اللّه ألا یرفع شیئا من الدنیا إلا وضعه».

و قال عیسی بن مریم-علیه السّلام- «ویل لصاحب الدنیا!کیف یموت و یترکها،و یأمنها و تغره،و یثق بها و تخذله،ویل للمغترین!کیف ألزمهم ما یکرهون،و فارقهم ما یحبون، و جاءهم ما یوعدون،ویل لمن أصبحت الدنیا همه و الخطایا عمله!کیف یفتضح غدا بذنبه».

و قال-علیه السّلام-: «من ذا الذی یبنی علی أمواج البحر دارا تلکم الدنیا،فلا تتخذوها قرارا».

و قال علیه السّلام «لا یستقیم حب الدنیا و الآخره فی قلب مؤمن،کما لا یستقیم الماء و النار فی إناء واحد».

و أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی:«یا موسی:!ما لک و لدار الظالمین!إنها لیست لک بدار،اخرج منها همک و فارقها بعقلک فبئست الدار هی،إلا لعامل یعمل فیها فنعمت الدار هی،یا موسی! إنی مرصد للظالم حتی آخذ منه للمظلوم».

و أوحی إلیه:«یا موسی! لا ترکنن إلی حب الدنیا،فلن تأتین بکبیره هی أشد منها».

و مر موسی علیه السّلام برجل و هو یبکی،و رجع و هو یبکی،فقال موسی:«یا رب عبدک یبکی من مخافتک،فقال تعالی:یا بن عمران!لو نزل دماغه مع عینیه و رفع یدیه حتی یسقطا لم أغفر له و هو یحب الدنیا!».

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد ما قیل له صف لنا الدنیا-:

«و ما أصف لک من دار من صح فيها سقم،و من أمن فيها ندم،و من افتقر فيها حزن،و من استغنى فيها افتتن،فى حلالها الحساب،و فى حرامها العقاب».

و قال-عليه السّلام-: «إنما مثل الدنيا كمثل الحيه ما ألين مسها و فى جوفها السم الناقع،يحذرها الرجل العاقل و يهوى إليها الصبى الجاهل».

و قال فى وصف الدنيا: «ما أصف من دار أولها عناء و آخرها فناء،فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب،من استغنى فيها فتن،و من افتقر فيها حزن،و من ساعاها فاتته،و من قعد عنها آتته، و من بصر بها بصرته،و من أبصر إليها أعمته»،

و قال عليه السّلام فى بعض مواعظه: «ارفض الدنيا،فإن حب الدنيا يعمى و يصم و يبكم و يذل الرقاب،فتدارک ما بقى من عمرک،و لا تقل غدا و بعد،فإنما هلک من كان قبلک بإقامتهم على الأمانى و التسويف،حتى أتاهم أمر اللّه بغته و هم غافلون فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمه الضيقه،و قد أسلمهم الأولاد و الأهلون،فانقطع إلى اللّه بقلب منيب.من رفض الدنيا و عزم ليس فيه انكسار و لا انخذال».

و قال-عليه السّلام-: «لا تغرنكم الحياه الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفه،و بالفناء معروفه،و بالغدر موصوفه،فكل ما فيها إلى زوال،و هى بين أهلها دول و سجال،لا تدوم أحوالها،و لا يسلم من شرها نزالها،بينا أهلها منها فى رخاء و سرور إذا هم منها فى بلاء و غرور أحوال مختلفه،و تارات متصرمه،العيش فيها مذموم،و الرخاء فيها لا يدوم،و إنما أهلها فيها أغراض مستهدفه،ترميهم بسهامها،و تفنيهم بحمامها. و اعلموا عباد اللّه انكم و ما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى،ممن كان أطول منكم أعمارا،و أشد منكم بطشا،و أعمر ديارا و أبعد آثارا،فأصبحت أصواتهم هامده خامده من بعد طول تقلبها، و أجسادهم باليه،و ديارهم على عروشها خاويه،و آثارهم عافيه،استبدلوا

بالقصور المشيده و السرر و النمارق الممهده الصخور و الأحجار المسنده فى القبور اللاطئه الملحده فمحلها مقترب،و ساكنها مغترب،بين أهل عماره موحشين،و أهل محله متشاغلين،لا يستأنسون بالعمران،و لا يتواصلون تواصل الجيران الإخوان،على ما بينهم من قرب الجوار و دنو الدار،و كيف يكون بينهم تواصل،و قد طحنهم بكلكله البلاء،و أكلتهم الجنادل و الثرى و أصبحوا بعد الحياه أمواتا،و بعد نضاره العيش رفاتا،فجع بهم الأحباب و سكنوا تحت التراب،و ظعنوا فليس لهم إياب،هيهات هيهات! كَلّا إِنَّها كَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۱).

فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى و الوحده فى دار المثوى، و ارتهنتم فى ذلك المضجع،و ضمكم ذلك المستودع،و كيف بكم لو عاينتم الأمور،و بعثرت القبور،و حصل ما فى الصدور،و أوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل،فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب،و هتكت عنكم الحجب و الأستار،فظهرت منكم العيوب و الأسرار،هنالك.

تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ

(۲)

.

و قال أيضا-عليه السّلام-فى بعض خطبه: «أوصيكم بتقوى اللّه و الترك للدنيا التاركه لكم،و إن كنتم لا تحبون تركها،المبليه أجسامكم و أنتم تريدون تجديدها،فإنما مثلكم و مثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا

۱- ۱) المؤمنون،الآيه:۱۰۱.

۲- ۲) المؤمن،الآيه:۱۷.

و كأنهم قد قطعوه،و أفضوا إلى علم،فكأنهم قد بلغوه،و كم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى الغايه،و كم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا،و طالب حثيث يطلبه حتى يفارقها،فلا تجزعوا لبؤسها و ضرائها فإنه إلى انقطاع،و لا تفرحوا بمتاعها و نعمائها فإنه إلى زوال،عجبت لطالب الدنيا و الموت يطلبه،و غافل و ليس بمغفول عنه».

و قال السجاد-عليه السّلام-: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبره، و إن الآخره قد ارتحلت مقبله،و لكل واحده منهما بنون،فكونوا من أبناء الآخره و لا تكونوا من أبناء الدنيا،ألا و كونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخره،ألا إن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا و التراب فراشا و الماء طيبا،و قرضوا من الدنيا تقريضا،ألا و من اشتاق إلى الجنه سلا عن الشهوات،و من أشفق من النار رجع عن المحرمات،و من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب،ألا إن للّه عبادا كمن رأى أهل الجنه فى الجنه مخلدين،و كمن رأى أهل النار فى النار معذبين،شرورهم مأمونه و قلوبهم محزونه،أنفسهم عفيفه،و حوائجهم خفيفه،صبروا أياما قليله،فصاروا بعقبى راحه طويله، أما الليل فصافون أقدامهم،تجرى دموعهم على خدودهم،و هم يجأرون إلى ربهم،يسعون فى فكاك رقابهم،و أما النهار فحلماء علماء برره أتقياء كأنهم القداح،قد براهم الخوف من العباده، ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى،و ما بالقوم من مرض،أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار و ما فيها».

و قال-عليه السّلام- «ما من عمل بعد معرفه اللّه-عز و جل-و معرفه رسوله-صلّى اللّه عليه و آله-أفضل من بغض الدنيا،فإن ذلك لشعبا كثيره،و للمعاصى شعبا فأول ما عصى اللّه به الكبر معصيه إبليس حين أبى و استكبر و كان من الكافرين ثم الحرص،و هى معصيه آدم و حواء حين قال اللّه-عز و جل-لهما:

فَکَلا مِنْ حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَکُونا مِنَ الظّالِمِینَ

(۱)

.

فأخذا ما لا حاجه بهما إلیه،فدخل ذلک علی ذریتهما إلی یوم القیامه و ذلک أن أکثر ما یطلب ابن آدم ما لا حاجه به إلیه.ثم الحسد،و هو معصیه ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله،فتشعب من ذلک حب النساء و حب الدنیا،و حب الرئاسه،و حب الراحه،و حب الکلام،و حب العلو و الثروه،فصرن سبع خصال،فاجتمعن کلهن فی حب الدنیا.فقال الأنبیاء و العلماء-بعد معرفه ذلک-:حب الدنیا رأس کل خطیئه، و الدنیا دنیاءان:دنیا بلاغ و دنیا ملعونه».

و قال الباقر علیه السّلام لجابر:

«یا جابر!إنه من دخل قلبه صافی خالص دین اللّه شغل قلبه عما سواه یا جابر!ما الدنیا و ما عسی أن تکون الدنیا؟!هل هی إلا طعام أکلته أو ثوب لبسته،أو امرأه أصبتها؟یا جابر!إن المؤمنین لم یطمئنوا إلی الدنیا ببقائهم فیها،و لم یأمنوا قدومهم الآخره.یا جابر!الآخره دار قرار،و الدنیا دار فناء و زوال،و لکن أهل الدنیا أهل غفله،و کان المؤمنون هم الفقهاء أهل فکره و عبره،لم یصمهم عن ذکر اللّه-جل اسمه-ما سمعوا بآذانهم،و لم یعمهم عن ذکر اللّه ما رأوا من الزینه بأعینهم ففازوا بثواب الآخره کما فازوا بذلک العلم» (۲)

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۹.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الکافی فی باب ذم الدنیا،و صدر الحدیث هکذا: «قال جابر:دخلت علی أبی جعفر-علیه السّلام-فقال:یا جابر!و اللّه لمحزون! و إنی لمشغول القلب،قلت:جعلت فداک!و ما شغلک و ما حزن قلبک...»إلی آخر الحدیث.

و قال الصادق-علیه السّلام-: «مثل الدنیا کمثل ماء البحر،کلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتی یقتله».

و قال: فیما ناجی اللّه-عز و جل-به موسی:

«یا موسی!لا ترکن إلی الدنیا رکون الظالمین و رکون من اتخذها أبا و أما یا موسی!لو وکلتک إلی نفسک لتنظر لها إذن لغلب علیک حب الدنیا و زهرتها یا موسی!نافس فی الخیر أهله و استبقهم إلیه،فإن الخیر کاسمه،و اترک من الدنیا ما بک الغنی عنه و لا تنظر عینک إلی کل مفتون بها و موکل إلی نفسه،و اعلم أن کل فتنه بدؤها حب الدنیا،و لا تغبط أحدا بکثره المال فإن مع کثره المال تکثر الذنوب لواجب الحقوق و لا تغبطن أحدا برضی الناس عنه.حتی یتعلم أن اللّه راض عنه،و لا تغبطن مخلوقا بطاعه الناس له،فإن طاعه الناس له و اتباعهم إیاه علی غیر الحق هلاک له و لمن تبعه»

و أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی و هارون لما أرسلهما إلی فرعون:«لو شئت أن أزینکما بزینه من الدنیا،یعرف فرعون حین یراها أن مقدرته تعجز عما أوتیتما لفعلت،و لکنی أرغب لکما عن ذلک و أزوی ذلک عنکما و کذلک أفعل بأولیائی،إنی لأزویهم عن نعیمها،کما یزوی الراعی الشفیق غنمه عن مواقع الهلکه،و إنی لأجنبهم عیش سلوتها،کما یجنب الراعی الشفیق إبله عن مواقع الغره،و ما ذلک لهوانهم علی،و لکن لیستکلموا نصیبهم من کرامتی سالما موفرا،إنما یتزین لی أولیائی:بالذل و الخشوع و الخوف و التقوی».

و قال الکاظم-علیه السّلام-: «قال أبو ذر -رحمه اللّه-:جزی اللّه الدنیا عن مذمه بقدر رغیفین من الشعیر،أتغدی بأحدهما و أتعشی بالآخر،و بعد شملتی الصوف،أتزر بأحداهما و أتردی بالأخری».

و قال لقمان لابنه:«یا بنی!بع دنیاک بآخرتک تربحهما جمیعا،و لا تبع آخرتک بدنیاک تخسرهما جمیعا.و قال له:«یا بنی! إن الدنیا بحر عمیق،قد غرق فیها ناس کثیر،فلتکن سفینتک فیها تقوی

اللّه-عز و جل-و حشوها الإيمان،و شراعها التوكل على اللّه،لعلك ناج و ما أراك ناجيا».و قال:«يا بنى!إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له،و إنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل و وعدت عليه أجرا،فأوف عملك و استوف أجرك،و لا تكن فى هذه الدنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر فأكلت حتى سمنت،فكان حتفها عند سمنها،و لكن اجعل الدنيا بمنزله قنطره على نهر جزت عليها و تركتها،و لم ترجع إليها آخر الدهر،أخر بها و لا تعمر،فإنك لم تؤمر بعمارتها،و اعلم أنك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدى اللّه-عز و جل-عن أربع:شبابك فيما أبليته،و عمرك فيما أفنيته،و مالك مما اكتسبته.

و فيما أنفقته،فتأهب لذلك،و أعد له جوابا،و لا تأس على ما فاتك من الدنيا.فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه،و كثيرها لا يؤمن بلاؤه،فخذ حذرك و جد فى أمرك،و اكشف الغطاء عن وجهك،و تعرض لمعروف ربك، و جدد التوبه فى قلبك،و اكمش فى فراغك قبل أن يقصد قصدك،و يقضى قضاؤك،و يحال بينك و بين ما تريد».

و قال بعض الحكماء:«الدنيا دار خراب،و أخرب منها قلب من يعمرها.و الجنه دار عمران،و أعمر منها قلب من يعمرها».و قال بعضهم:«الدنيا لمن تركها،و الآخره لمن طلبها».و قال بعضهم:

«إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا إلا و قد كان له أهل قبلك،و يكون له أهل بعدك،و ليس لك من الدنيا إلا عشاء ليله و غداء يوم،فلا تهلك نفسك فى أكله،و صم الدنيا،و أفطر على الآخره،فإن رأس مال الدنيا الهوى،و ربحها النار». و قال بعض أكابر الزهاد:«الدنيا تخلق الأبدان و تجدد الآمال،و تقرب المنيه،و تبعد الأمنيه،و من ظفر بها تعب،و من فاتته نصب»،و قال بعضهم:«ما فى الدنيا شىء يسرك إلا و قد التزق

به شیء یسؤک».و قال آخر:«لا تخرج نفس ابن آدم من الدنیا إلا بحسرات ثلاث:إنه لم یشبع مما جمع،و لم یدرک ما أمل،و لم یحسن الزاد لما قدم علیه» و قال حکیم:کانت الدنیا و لم أکن فیها،و تذهب و لا أکون فیها،فکیف أسکن إلیها؟فإن عیشها نکد،و صفوها کدر،و أهلها منها علی وجل،إما بنعمه زائله،أو بلیه نازله،أو منیه قاضیه».

و قال بعض العرفاء:«الدنیا حانوت الشیطان،فلا تسرق من حانوته شیئا،فیجیء فی طلبک و یأخذک».و قال بعضهم:«لو کانت الدنیا من ذهب یفنی و الآخره من خزف یبقی،لکان ینبغی أن یختار العاقل خزفا یبقی علی ذهب یفنی،فکیف و الآخره ذهب یبقی و الدنیا أدون من خزف یفنی؟»

و قد ورد: «أن العبد إذا کان معظما للدنیا،یوقف یوم القیامه،و یقال:هذا عظم ما حقره اللّه».

و روی: «أنه لما بعث النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-أتت إبلیس جنوده،فقالوا:قد بعث نبی و أخرجت أمه،قال:یحبون الدنیا؟قالوا:نعم!قال:إن کانوا یحبونها ما أبالی ألا یعبدوا الأوثان،و أنا أغدو علیهم و أروح بثلاثه:

أخذ المال من غیر حقه،و إنفاقه فی غیر حقه،و إمساکه عن حقه، و الشر کله لهذا تبع».

و روی: «أنه أوحی اللّه تعالی إلی بعض أنبیائه احذر مقتک،فتسقط من عینی،فاصب علیک الدنیا صبا». و قال بعض الصحابه:«ما أصبح أحد من الناس فی الدنیا إلا و هو ضیف،و ما له عاریه.فالضیف مرتحل،و العاریه مردوده».و قال بعضهم:«إن اللّه جعل الدنیا ثلاثه أجزاء:جزء للمؤمن،و جزء للمنافق،و جزء للکافر.

فالمؤمن یتزود،و المنافق یتزین،و الکافر یتمتع».و قیل:«من أقبل علی الدنیا أحرقته نیرانها حتی یصیر رمادا،و من أقبل علی الآخره صفته نیرانها فصار سبیکه ذهب ینتفع بها،و من أقبل علی اللّه سبحانه،أحرقته

نیران التوحید،فصار جوهرا لا حد لقیمته». و قیل أیضا:«العقلاء ثلاثه:من ترک الدنیا قبل أن تترکه،و بنی قبره قبل أن یدخله و أرضی خالقه قبل أن یلقاه».و سأل بعض الأمراء رجلا بلغ عمره مائتی سنه عن الدنیا،فقال:

«سنیات بلاء و سنیات رخاء،یوم فیوم،و لیله فلیله،یولد ولد،و یهلک هالک، فلو لا المولود باد الخلق،و لو لا الهالک لضاقت الدنیا بمن فیها»،فقال له الأمیر:سل ما شئت،قال:«أرید منک أن ترد علی ما مضی من عمری،و تدفع عنی ما حضر من أجلی»،قال:لا أملک ذلک،قال:

«فلا حاجه لی إلیک».

و الأخبار و الآثار فی ذم الدنیا و حبها،و فی سرعه زوالها و عدم الاعتبار بها،و فی هلاک من یطلبها و یرغب إلیها،و فی ضدیتها للآخره،أکثر من أن تحصی.و ما ورد فی ذلک من کلام أئمتنا الراشدین،(لا)سیما عن مولانا أمیر المؤمنین-صلوات اللّه علیهم أجمعین إلی یوم الدین-فیه بلاغ لقوم زاهدین.و من تأمل فی خطب علی علیه السّلام و مواعظه کما فی نهج البلاغه و غیره-یظهر له خساسه الدنیا و رذالتها. و قضیه السؤال و الجواب بین روح الأمین و نوح فی کیفیه سرعه زوال الدنیا مشهوره، و حکایه مرور روح اللّه علی قریه هلک أهلها من حب الدنیا معروفه (1) و لعظم آفه الدنیا و حقارتها و مهانتها عند اللّه،لم یرضها لأحد من أولیائه و حذرهم عن غوائلها،فتزهدوا فیها و أکلوا منها قصدا،و قدموا فضلا أخذوا منها ما یکفی،و ترکوا ما یلهی،لبسوا من الثیاب ما ستر العوره، و أکلوا من الطعام ما سد الجوع،نظروا إلی الدنیا بعین أنها فانیه،و إلی الآخره أنها باقیه،فتزودوا منها کزاد الراکب،فخربوا الدنیا و عمروا

۱- ۱) ذکرها(الکافی)عن أبی عبد اللّه الصادق(ع)فی باب حب الدنیا بتمامها.

بها الآخره،و نظروا إلى الآخره بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم صبروا قليلا و نعموا طويلا.

فصل (خسائس صفات الدنيا)

اعلم أن للدنيا صفات خسيسه قد مثلت فی کل صفه بما تماثله فيها فمثالها فی سرعه الفناء و الزوال و عدم الثبات:مثل النبات الذی اختلط به ماء السماء فاخضر،ثم أصبح هشيما تذروه الرياح،أو كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه،أو كقنطره تعبر عنها و لا تمكث عليها.و فی كونها مجرد الوهم و الخيال،و كونها مما لا أصل لها و لا حقيقه،كفیء الظلال، أو خيالات المنام و أضغاث الأحلام،فإنک قد تجد فی منامک ما تهواه، فإذا استيقظته ليس معک منه شیء.

و فی عداوتها لأهلها و إهلاكها إياهم:بامرأه تزينت للخطاب،حتى إذا نكحتهم ذبحتهم.

فقد روی: «أن عيسى عليه السّلام كوشف بالدنيا فرآها فی صوره عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينه،فقال لها:كم تزوجت؟قالت:لا أحصيهم،قال:فكلهم مات عنک أو كلهم طلقک؟قالت:بل كلهم قتلت،فقال عيسى-عليه السّلام-:بؤسا لأزواجک الباقين،كيف لا يعتبرون بالماضين؟كيف تهلكينهم واحدا واحدا و لا يكونون منک على حذر؟!».

و فی مخالفه باطنها لظاهرها:كعجوز متزينه تخدع الناس بظاهرها.

فإذا وقفوا على باطنها و كشفوا القناع عن وجهها،ظهرت لهم قبائحها

روی: «أنه یؤتی بالدنیا یوم القیامه فی صوره عجوز شمطاء زرقاء،أنیابها بادیه،مشوه خلقها،فتشرف علی الخلائق،و یقال لهم:تعرفون هذه فیقولون:نعوذ باللّه من معرفه هذه!فیقال:هذه الدنیا التی تفاخرتم علیها،و بها تقاطعتم الأرحام،و بها تحاسدتم و تباغضتم و أغررتم،ثم یقذف بها فی جهنم،فتنادی:أی رب!أین أتباعی و أشیاعی؟فیقول اللّه -عز و جل-:ألحقوا بها أتباعها و أشیاعها».

و فی قصر عمرها لکل شخص بالنسبه إلی ما تقدمه من الأزل و ما یتأخر عنه من الأبد:کمثل خطوه واحده،بل أقل من ذلک،بالنسبه إلی سفر طویل،بل بالنسبه إلی کل مسافه الأرض أضعافا غیر متناهیه.

و من رأی الدنیا بهذه العین لم یرکن إلیها،و لم یبال کیف انقضت أیامه فی ضیق و ضر أو فی سعه و رفاهیه،بل لا یبنی لبنه علی لبنه.توفی سید الرسل صلّی اللّه علیه و آله و ما وضع لبنه علی لبنه و لا قصبه علی قصبه.

و رأی بعض أصحابه یبنی بیتا من جص،فقال:«أری الأمر أعجل من هذا». و إلی هذا

أشار عیسی علیه السّلام حیث قال: «الدنیا قنطره، فاعبروها و لا تعمروها».

و فی نعومه ظاهرها و خشونه باطنها:مثل الحیه التی یلین مسها و یقتل سمها.

و فی قله ما بقی منها بالإضافه إلی ما سبق:مثل ثوب شق من أوله إلی آخره،فبقی متعلقا فی آخره،فیوشک ذلک الخیط أن ینقطع.

و فی قله نسبتها إلی الآخره:کمثل ما یجعل أحد إصبعه فی الیم،فلینظر بم یرجع إلیه من الأصل.

و فی تأدیه علائقها بعض إلی بعض حتی ینجر إلی الهلاک:کماء البحر کلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتی یقتله.

و فی تـأدیه الحرص علیها إلی الهلاک غما:کمثل دوده القز کلما ازدادت علی نفسـها لفا کان أبعـد لها من الخروج حتی تموت غما.

و فی تعذر الخلاص من تبعاتها و استحاله عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فیها:کالماشی فی الماء،فإنه یمتنع ألا تبتل قدماه.

و فی نضـاره أولهـا و خباثه عاقبتها:کالأطعمه التی تؤکل،فکما أن الطعام کلما کان ألـذ طعما و أکثر دسومه کان رجیعه أقـذر و أشـد نتنـا، فکـذلک کـل شـهوه من شـهوات الـدنیا التی کانت للقلب أشـهی و أقوی، فتنتها و کراهیتها و التأذی بها عنـد الموت أشد،و هذا مشاهد فی الدنیا.

فإن المصیبه و الألم و التفجع فی کل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده و حرصه علیه و حبه له،و لذا تری أن من نهبت داره و أخذت أهله و أولاده، یکون تفجعه و ألمه أشـد مما إذا أخـذ عبـد من عبیده،فکل ما کان عند الوجود أشـهی عنده و الذ،فهو عند الفقد أدهی و أمر،و ما للموت معنی إلا فقد ما فی الدنیا.

و فی تنعم الناس بها ثم تفجعهم علی فراقها:مثل طبق ذهب علیه بخور و ریاحین،فی دار رجل هیأه فیها،و دعا الناس علی الترتیب واحـدا بعـد واحـد لیـدخلوا داره،و یشـمه کل واحـد و ینظر إلیه،ثم یترکه لمن یلحقه،لا لیتملکه و یأخـذه،فـدخل واحـد و جهل رسـمه،فظن أنه قـد وهب ذلـک له،فتعلق به قلبه،لمـا ظن أنه له،فلما استرجع منه ضـجر و تألم، و من کان عالما برسـمه انتفع به و شکره و رده بطیب قلب و انشـراح صدر.فکذلک من عرف سـنه اللّه فی الدنیا،علم أنها دار ضیافه سبلت علی المجتازین لینتفعوا بما فیها،کما ینتفع المسافر بالعواری،ثم یترکوها و یتوجهوا إلی مقصدهم من دون صـرف قلوبهم إلیها،حتی تعظم مصـیبتهم عند فراقها،و من جهل سنه اللّه فیها،ظن أنها مملوکه له،فیتعلق بها

قلبه،فلما أخذت منه عظمت بليته و اشتدت مصيبته.

و فی اغترار الخلق بها و ضعف إیمانهم بقوله تعالی فی تحذیره إیاهم غوائلها:کمفازه غبراء لا نهایه لها،سلکوها قوم و تاهوا فیها بلا زاد و ماء و راحله،فأیقنوا بالهلاک،فبیناهم کذلک إذ خرج علیهم رجل و قال:

أ رأیتم إن هدیتکم إلی ریاض خضر و ماء رواء ما تعملون؟قالوا:لا نعصیک فی شیء.فأخذ منهم عهودا و مواثیق علی ذلک،فأوردهم ماء رواء و ریاضا خضراء،فمکث فیهم ما شاء اللّه،ثم قال:الرحیل!قالوا:إلی أین؟قال:إلی ماء لیس کمائکم،و إلی ریاض لیست کریاضکم.فقال أکثرهم:لا نرید عیشا خیرا من هذا،فلم یطیعوه.و قالت طائفه -و هم الأقلون-:ألم تعطوا هذا الرجل عهودکم و مواثیقکم باللّه ألا تعصوه و قد صدقکم فی أول حدیثه؟فو اللّه إنه صادق فی هذا الکلام أیضا!فأتبعه هذا الأقل،فذهب فیهم إلی أن أوردهم فی ماء و ریاض أحسن بمراتب شتی مما کانوا فیه أولا،و تخلف عنه الأکثرون،فبدرهم عدو، فأصبحوا من بین قتیل و أسیر.

تذنیب (تشبیها الدنیا و أهلها)

قد شبه بعض الحکماء حال الإنسان و اغتراره بالدنیا،و غفلته عن الموت و ما بعده من الأهوال،و انهماکه فی اللذات العاجله الفانیه الممتزجه بالکدورات:بشخص مدلی فی بئر،مشدود وسطه بحبل،و فی أسفل ذلک البئر ثعبان عظیم متوجه إلیه،منتظر سقوطه،فاتح فاه لالتقامه، و فی أعلی ذلک البئر جرذان أبیض و أسود،لا یزالان یقرضان ذلک الحبل شیئا فشیئا،و لا یفتران عن قرضه آنا من الآنات،و ذلک الشخص،

مع أنه يرى ذلك الثعبان و يشاهد انقراض الحبل آنا فآنا،قد أقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر و امتزج بترابه و اجتمعت عليه زنابير كثيره،و هو مشغول بلطعه منهمك فيه،ملتذ بما أصاب منه،مخاصم لتلك الزنابير عليه،قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك،غير ملتفت إلى ما فوقه و إلى ما تحته.فالبئر هو الدنيا،و الحبل هو العمر،و الثعبان الفاتح فاه هو الموت،و الجرذان الليل و النهار القارضان للعمر،و العسل المختلطه بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجه بالكدورات و الآلام،و الزنابير هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها.

و شبه بعض العرفاء الدنيا و أهلها،فى اشتغالهم بنعيمها و غفلتهم عن الآخره،و حسراتهم العظيمه بعد الموت،من فقدهم نعيم الجنه بسبب انغمارهم فى خسائس الدنيا:بقوم ركبوا السفينه،فانتهت بها إلى جزيره فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجه،و حذرهم المقام فيها،و خوفهم مرور السفينه و استعجالها،فتفرقوا فى نواحى الجزيره،فقضى بعضهم حاجته،و بادر إلى السفينه،فصادف المقام خاليا،فأخذ أوسع الأماكن و أوفقها بمراده.و بعضهم توقف فى الجزيره،و اشتغل بالنظر إلى أزهارها و أنوارها و أشجارها و أحجارها و نغمات طيورها،ثم تنبه لخطر فوات السفينه فرجع إليها،فلم يصادف إلا مكانا ضيقا،فاستقر فيه.و بعضهم، بعد التنبه لخطر مرور السفينه،لما تعلق قلبه ببعض أحجار الجزيره و أزهارها و ثمارها،لم تسمح نفسه بأهمالها،فاستصحت منها جمله و رجع إلى السفينه فلم يجد فيها إلا مكانا ضيقا لا يسعه إلا بالتكلف و المشقه،و ليس فيه مكان لوضع ما حمله،فصار ذلك ثقلا عليه وبالا،فندم على أخذها،و لم يقدر على رميها،فحملها فى السفينه على عنقه متأسفا على أخذها.و بعضهم اشتغل بمشاهده الجزيره،بحيث لم يتنبه أولا من خطر مرور السفينه و من

نداء الملاح،حتى امتلأت السفينه،فتنبه أخيرا و رجع إليها،مثقلا بما حمله من أحجار الجزيره و حشائشها،و لما وصل إلى شاطئ البحر سارت السفينه،أ و لم يجد فيها موضعا أصلا،فبقى على شاطئ البحر. و بعضهم لكثره الاشتغال بمشاهده الجزيره و ما فيها نسوا المركب بالمره،و لم يبلغهم النداء أصلا،لكثره انغمارهم فى أكل الثمار و شرب المياه و التنسم بالأنوار و الأزهار و التفرج بين الأشجار،فسارت السفينه و بقوا فى الجزيره من دون تنبههم بخطر مرورها،فتفرقوا فيها،فبعضهم نهشته العقارب و الحيات و بعضهم افترسته السباع،و بعضهم مات فى الأوحال،و بعضهم هلك من الندامه و الحسره و الغصه،و أما من بقى على شاطئ البحر فمات جوعا، و أما من وصل إلى المركب مثقلا بما أخذه،فشغله الحزن بحفظها و الخوف من فوتها،و قد ضيق عليه مكانه،فلم يلبث إن ذبلت ما أخذه من الأزهار،و عفنت الثمار،و كمدت ألوان الأحجار،فظهر نتن رائحتها، فتأذى من نتن رائحتها و لم يقدر على إلقائها فى البحر لصيرورتها جزءا من بدنه،و قد أثر فيه ما أكل منها،و لم ينته إلى الوطن إلا بعد إحاطه الأمراض و الأسقام عليه لأجل ما لم ينفك عنه من النتن،فبلغ إليه سقيما مدنفا،فبقى على سقمه أبدا،أو مات بعد مده،و أما من رجع إلى المركب بعد تضيق المكان،فما فاته إلا سعه المحل،فتأذى بضيق المكان مده، و لكن لما وصل إلى الوطن استراح،و من رجع إليه أولا و وجد المكان الأوسع فلم يتأذ من شىء أصلا و وصل إلى الوطن سالما. فهذا مثال أصناف أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجله،و نسيانهم وطنهم الحقيقى،و غفلتهم عن عاقبه أمرهم.و ما أقبح بالعاقل البصير أن تغره بأحجار الأرض و هشيم النبت،مع مفارقته عند الموت و صيرورته كلا و وبالا عليه.

ص :۴۲

فصل (عاقبه حب الدنيا و بغضها)

اعلم أنه لا يبلغ مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب،أعنى طهارته عن أدناس الدنيا و حبه للّه و أنسه بذكره،و صفاء القلب و طهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا،و الحب لا يحصل إلا بالمعرفه،و المعرفه لا تحصل إلا بدوام الفكره،و الأنس لا يحصل إلا بكثره ذكر اللّه و المواظبه عليه،و هذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت،و هى الباقيات الصالحات.

أما طهاره القلب عن أدناس الدنيا،فهى الجنه بين العبد و بين عذاب اللّه،

كما ورد فى الخبر: «أن اعمال العبد تناضل عنه،فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه،و إذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقه تدفع عنه...»الحديث.

و أما الحب و الأنس،فهما يوصلان العبد إلى لذه المشاهده و اللقاء.

و هذه السعاده تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل الجنه،فيصير القبر روضه من رياض الجنه،و كيف لا يصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غايه البهجه و نهايه اللذه بمشاهده جمال الحق،و لا يكون القبر عليه روضه من الرياض الخلد،و لم يكن له إلا محبوب واحد،و كانت العوائق تعوقه عن الأنس بدوام ذكره و مطالعه جماله،و بالموت ارتفعت العوائق و أفلت من السجن و خلى بينه و بين محبوبه،فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق؟ و كيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا و لم يكن له محبوب إلا الدنيا،و قد غصبت منه و حيل بينه و بينها،و سدت عليه طرق

ص:۴۳

الحیله فی الرجوع إلیه؟و لیس الموت عـدما،إنما هو فراق لمحاب الـدنیا و قدوم علی اللّه،فإذن سالک طریق الآخره هو المواظب علی أسـباب هـذه الصـفات الثلاث،و هی:الـذکر،و الفکر،و العمل الـذی یفطمه عن شـهوات الدنیا و یبغض إلیه ملاذها و یقطعه عنهـا.و کـل ذلـک لاـ یمکن إلا بصـحه البـدن،و صـحه البـدن لا تنال إلا بالقوت و الملبس و المسـکن،و یحتاج کل واحـد إلی أسـباب،فالقـدر الـذی لا بـد منه من هـذه الثلاثه إذا أخـذه العبـد من الدنیا للآخره لم یکن من أبناء الدنیا و کانت الدنیا فی حقه مزرعه الآـخره،و إن أخـذ ذلـک علی قصـد التنعم و حـظ النفس صـار من أبنـاء الـدنیا و الراغبین فی حظوظها.إلاـ أن الرغبه فی حظوظ الـدنیا تنقسم إلی ما یعرض صاحبه لعذاب اللّه فی الآخره،و سـمی ذلک حراما،و إلی ما یحول بینه و بین الدرجات العلی و یعرضه لطول الحساب،و یسـمی ذلک حلالا.و البصـیر یعلم أن طول الموقف فی عرصات القیامه لأجل المحاسبه أیضا عذاب، فمن نوقش فی الحساب عذب،و لذلک

قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-: «فی حلالهـا حسـاب و فی حرامهـا عقـاب». بـل لو لم یکن الحسـاب،لکان ما یفوت عن الـدرجات العلی فی الجنه و مـا یرد علی القلب من التحسر علی تفویتهـا بحظوظ حقیره خسیسه لاـ بقـاء لهـا،هو أیضا عـذاب و یرشـدک إلی ذلـک حالـک فی الـدنیا إذا نظرت إلی أقرانک،و قـد سـبقوک إلی السـعادات الـدنیویه،کیف ینقطع قلبک علیها حسـرات،مع علمک بأنها سـعادات متصـرمه لا بقاء لها،و منغصه بکدورات لا صـفاء لها، فما حالک فی فوات سـعادات لا یحیط الوصف بعظمتهـا و تنقطع الأذهـان و الـدهور دون غایتهـا؟و کـل من تنعم فی الـدنیا،و لو بسـماع صوت من طـائر أو بـالنظر إلی خضره أو بشربه ماء بارد،فهو ینقص من حظه فی الآخره و التعرض لجواب السؤال فیه ذل،و حذر،و خوف،و خطر،و خجل

و انکسار،و مشقه،و انتظار،و کل ذلک من نقصان الحظ.

فالدنیا-قلیلها و کثیرها،حلالها و حرامها-ملعونه،إلا ما أعان علی تقوی اللّه،فإن ذلک القدر لیس من الدنیا،و کل من کانت معرفته أقوی و أتم کان حذره من نعیم الدنیا أشد و أعظم،حتی

أن عیسی علیه السلام وضع رأسه علی حجر لما نام ثم رمی به،إذ تمثل له إبلیس و قال رغبت فی الدنیا.

و حتی أن سلیمان-علیه السلام-فی ملکه کان یطعم الناس من لذائذ الأطعمه و هو یأکل خبز الشعیر، فجعل الملک علی نفسه بهذا الطریق امتحانا و شده،فإن الصبر من لذیذ الأطعمه مع وجودها أشد.و لذا زوی اللّه-تعالی-الدنیا علی نبینا-صلی اللّه علیه و آله- فکان یطوی أیاما،و کان یشد الحجر علی بطنه من الجوع،و لهذا سلط اللّه المحن و البلاء علی الأنبیاء و الأولیاء،ثم الأمثل فالأمثل فی درجات العلی.کل ذلک نظرا لهم و امتنانا علیهم،لیتوفر من الآخره حظهم،کما یمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواکه و الأطعمه و یلزمه الفصد و الحجامه،شفقه علیه و حبا له لا بخلا به علیه. و قد عرفت بهذا أن کل ما لیس للّه فهو من الدنیا و ما هو للّه فلیس من الدنیا.

ثم الأشیاء علی أقسام ثلاثه:

(الأول)ما لا یتصور أن یکون للّه،بل من الدنیا صوره و معنی و هی أنواع المعاصی و المحظورات و أصناف التنعم بالمباحات،و هی الدنیا المحضه المذمومه علی الإطلاق.

(الثانی)ما صورته من الدنیا،کالأکل و النوم و النکاح و أمثالها، و یمکن أن یجعل معناه للّه،فإنه یمکن أن یکون المقصود منه حظ النفس فیکون معناه کصورته أیضا من الدنیا،و یمکن أن یکون المقصود منه الاستعانه علی التقوی،فهو للّه بمعناه و إن کانت صورته صوره الدنیا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى اللّه و هو عليه غضبان،و من طلبها استعفافا عن المسأله و صيانه لنفسه جاء يوم القيامه و وجهه كالقمر ليله البدر».

(الثالثه)ما صورته للّه،و يمكن أن يجعل معناه من الدنيا بالقصد، و هو ترك الشهوات،و تحصيل العلم،و عمل الطاعات و العبادات.فهذه الثلاث إذا لم يكن لها باعث سوى أمر اللّه و اليوم الآخر فهى للّه صوره و معنى،و لم تكن من الدنيا أصلا،و إن كان الغرض منها حفظ المال و الحميه و الاشتهار بالزهد و الورع و طلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفه صار من الدنيا معنى و إن كان يظن بصورته أنه للّه.

و منها:

اشاره

حب المال

و هو من شعب حب الدنيا،إذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل،و المال بعض أجزاء الدنيا،كما أن الجاه بعضها،و اتباع شهوه البطن و الفرج بعضها،و تشفى الغيظ بحكم الغضب و الحسد بعضها،و الكبر و طلب العلو بعضها.

و بالجمله:لها أبعاض كثيره يجمعها كل ما لإنسان فيه حظ عاجل، فآفات الدنيا كثيره الشعب و الأرجاء،واسعه الأرجاء و الأكناف،و لكن أعظم آفاتها المتعلقه بالقوه الشهويه هو(المال)،اذ كل ذى روح محتاج إليه و لا غناء له عنه،فإن قد حصل الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا و إن وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبه أمره إلا خسرا،فهو

لا ـ يخلو من فوائد و آفات،و فوائده من المنجيات و آفاته من المهلكات، و تمييز خيرها و شرها من المشكلات،إذ من فقده تحصل صفه الفقر،و من وجوده تحصل صفه الغناء،و هما حالتان يحصل بهما الامتحان.

ثم(للفاقد)حالتان:القناعه،و الحرص،و أحداهما محموده و الأخرى مذمومه.و(للحريص)حالتان:تشمر للحرف و الصنائع مع اليأس عن الخلق،و طمع بما فى أيديهم.و إحدى الحالتين شر من الأخرى.و (للواجد)حالتان:إمساك،و إنفاق.و أحدهما مذموم و الآخر ممدوح و(للمنفق)حالتان:إسراف،و اقتصاد،و الأول مذموم و الثانى ممدوح و هذه أمور متشابهه لا بد أولا من تمييزها،ثم الأخذ بمحمودها و الترك لمذمومها،حتى تحصل النجاه من غوائل المال و فتنتها.و من هنا قال بعض الأكابر:الدرهم عقرب،فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه،فإنه إن لدغك قتلك سمه.قيل و ما رقيته؟قال:أخذه من حله،و وضعه فى حقه.

فصل الكتاب و السنه متظاهران فى ذم المال و كراهه حبه،

قال اللّه سبحانه:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِكُمْ أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ

(۱)

.

و قال: وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ (۲).

۱- ۱) المنافقون،الآيه:۹.

۲- ۲) الأنفال،الآيه:۲۸.

و قال: اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا... الآیه (۱).

و قال رسول الله-صلی اللّه علیه و آله-: «حب المال و الشرف ینبتان النفاق،کما ینبت الماء البقل».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما ذئبان ضاریان أرسلا فی زریبه غنم بأکثر فسادا من حب المال و الجاه فی دین الرجل المسلم»،

و قال: «شر أمتی الأغنیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول اللّه-تعالی-:یا ابن آدم!مالی،مالی!و هل لک من مالک إلا ما تصدقت فأمضیت،أو أکلت فأفنیت،أو لبست فأبلیت؟!»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أخلاء ابن آدم ثلاثه:واحد یتبعه إلی قبض روحه و هو ماله،و واحد یتبعه إلی قبره و هو أهله، و واحد یتبعه إلی محشره و هو عمله».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یجاء بصاحب الدنیا الذی أطاع اللّه فیها و ماله بین یدیه،کلما یکفأ به الصراط قال له ماله:امض و قد أدیت حق اللّه فی.ثم یجاء بصاحب الدنیا الذی لم یطع اللّه فیها و ماله بین کفیه،کلما یکفأ به الصراط قال ماله:ویلک ألا أدیت حق اللّه فی؟...فما یزال کذلک حتی یدعو بالثبور و الویل»

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن الدینار و الدرهم أهلکا من کان قبلکم، و هما مهلکاکم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «لکل أمه عجل،و عجل هذه الأمه الدینار و الدرهم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یؤتی برجل یوم القیامه،و قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حرام فیقال:اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی حرام،فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حلال فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

حلال،فيقال له:قف لعلك قصرت فى طلب هذا بشىء مما فرضت عليك من صلاه لم تصلها لوقتها،و فرطت فى شىء من ركوعها و سجودها و وضوئها،فيقول:لا يا رب!كسبت من حلال و أنفقت فى حلال، و لم أضيع شيئا مما فرضت،فيقال:لعلك اختلت فى هذا المال فى شىء من مركب أو ثوب باهيت به،فيقول:لا يا رب!لم اختل و لم أباه فى شىء،فيقال:لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل،فيقول:لا يا رب!لم أضيع حق أحد أمرتنى أن أعطيه.فيجىء أولئك فيخاصمونه،فيقولون:يا رب أعطيته و أغنيته و جعلته بين أظهرنا و أمرته أن يعطينا،فإن كان قد أعطاهم و ما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض و لم يختل فى شىء،فيقال:قف الآن هات شكر نعمه أنعمتها عليك من أكله أو شربه أو لقمه أو لذه...فلا يزال يسأل».

فليت شعرى-يا أخى-إن الرجل الذى فعل فى الحلال،و أدى الفرائض بحدودها،و قام بالحقوق كلها،إذا حوسب بهذه المحاسبه، فكيف يكون حال أمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا و تخاليطها،و شبهاتها و شهواتها و زينتها،فيا لها من مصيبه ما أفظعها،و رزيه ما أجلها،و حسره ما أعظمها لا ندرى ما تفعل بنا الدنيا غدا فى الموقف عند يدى الجبّار.

و لخوف هذا الخطر قال بعض الصحابه:«ما يسرنى أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال و أنفقها فى طاعه اللّه،و لم يشغلنى الكسب عن صلاه الجماعه»،قالوا له:و لم ذلك رحمك اللّه؟قال:«لأنى غنى عن مقامى يوم القيامه،فيقول اللّه:عبدى من أين اكتسبت و فى أى شىء أنفقت؟».

فينبغى لكل مؤمن تقى ألا يتلبس بالدنيا،فيرضى بالكفاف،و إن

كان معه فضل فليقدمه لنفسه،إذ لو بقى بعده لكان له مفاسد و آفات.

روى: «أنه قال رجل:يا رسول اللّه،ما لى لا أحب الموت؟فقال:

هل معك من مال؟قال:نعم يا رسول اللّه،قال:قدم مالك أمامك فإن قلب المؤمن مع ماله،إن قدمه أحب أن يلحقه،و إن خلفه أحب أن يتخلف معه».

و وضع أمير المؤمنين-عليه السلام-درهما على كفه ثم قال:«أما إنك ما لم تخرج عنى لا تنفعنى».

و روى: «أن أول ما ضرب الدينار و الدرهم رفعهما إبليس،ثم وضعهما على جبهته،ثم قبلهما و قال:من أحبكما فهو عبدى حقا».

و قال عيسى عليه السلام: «لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا،فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم». و قال بعض الأكابر:«مصيبتان لم يسمع الأولون و الآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته»،قيل:و ما هما؟قال:«يؤخذ منه كله،و يسأل عنه كله».

ثم جميع ما ورد فى ذم الغنى و مدح الفقر-كما يأتى بعضه-و جميع ما ورد فى ذم الدنيا-كما تقدم بعضه-يتناول ذم المال،لأنه أعظم أركان الدنيا.

فصل (الجمع بين ذم المال و مدحه)

أعلم أنه كما ورد ذم المال فى الآيات و الأخبار ورد مدحه فيهما أيضا و قد سماه اللّه خيرا فى مواضع،فقال:

إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّهُ...

(۱)

.و قال فى مقام الامتنان:

۱- ۱) البقره،الآيه:۱۸۰.

وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- :«نعم المال الصالح للرجل الصالح». و كل ما جاء فى ثواب الصدقه،و الضيافه،و السخاء،و الحج و غير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلا بالمال،فهو ثناء عليه.

و وجه الجمع بين الظواهر المادحه و الذامه هو:أن المال قد يكون وسيله إلى مقصود صحيح هو السعاده الأخرويه،إذ الوسائل إليها فى الدنيا ثلاث،و هى:الفضائل النفسيه،و الفضائل البدنيه،و الفضائل الخارجيه التى عمدتها المال.و قد يكون وسيله إلى مقاصد فاسده و هى المقاصد الصاده عن السعاده الأخرويه و الحياه الأبديه،و الصاده سبيل العلم و العمل.فهو إذن محمود و مذموم بالإضافه إلى المقصودين.فالظواهر الذامه محموله على صوره كونه وسيله إلى مقاصد فاسده،و المادحه على صوره كونه وسيله إلى مقاصد صحيحه.و لما كانت الطبائع مائله إلى اتباع الشهوات القاطعه لسبيل اللّه،و كان المال مسهلا لها و آله إليها،عظم الخطر فى ما يزيد على قدر الكفايه،فاستعاذ طوائف الأنبياء و الأولياء من شره، حتى

قال نبينا-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا»

و قال-صلى اللّه عليه و آله- : «اللهم أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا».

ص:۵۱

۱- ۱) نوح،الآيه:۱۲.

فصل (غوائل المال و فوائده)

قد ظهر مما ذكر:أن المال مثل حيه فيها سم و ترياق،فغوائله سمه،و فوائده ترياقه،فمن عرفهما أمكنه أن يحترز من شره و يستدر منه خيره.

و لبيان ذلک نقول:

إن غوائله إما دنيويه أو دينيه:
و الدنيويه:

هی ما يقاسيه أرباب الأموال:من الخوف،و الحزن، و الهم،و الغم،و تفرق الخاطر،و سوء العيش،و التعب فی کسب الأموال و حفظها،و دفع الحساد و کيد الظالمين،و غير ذلک.

و الدينيه:ثلاثه أنواع:
أولها-أداؤه إلی المعصيه.

إذ المال من الوسائل إلی المعاصی،و نوع من القدره المحرکه لداعيتها.فإذا استشعرها الإنسان من نفسه،انبعثت الداعيه،و اقتحم فی المعاصی،و ارتکب أنواع الفجور.و مهما کان آيسا عن القدره لم يتحرک داعيه إليها:إذ العجز قد يحول بين المرء و بين المعصيه،و من العصمه ألا يقدر،و أما مع القدره فإن اقتحم ما يشتهيه هلک، و إن صبر وقع فی شده.إذ الصبر مع القدره أشد،و فتنه السراء من فتنه الضراء أعظم.

و ثانيها-أداؤه إلی التنعم فی المباحات.

فإن الغالب أن صاحب المال يتنعم بالدنيا و يمرن عليه نفسه،فيصير التنعم محبوبا عنده مألوفا، بحيث لا يصبر عنه،و يجره البعض منه إلی البعض.و إذا اشتد ألفه به و صار عاده له،ربما لم يقدر عليه من الحلال،فيقتحم فی الشبهات

و يخوض فى المحرمات:من الخيانه،و الظلم،و الغصب،و الرياء،و الكذب و النفاق،و المداهنه،و سائر الأخلاق المهلكه،و الأشغال الرديه،لينتظم أمر دنياه و يتيسر له تنعمه.و ما أقل لصاحب الثروه و المال ألا يصير التنعم مألوفا له،إذ متى يقدر أن يقنع بخبز الشعير و لبس الخشن و ترك لذيذ الأطعمه بأسرها،فإنما ذلك شأن نادر من أولى النفوس القويه القدسيه كسليمان بن داود عليه السلام و أمثاله.على أن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس،و من احتاج إلى الناس فلا بد أن ينافقهم و يسخط اللّه فى طلب رضاهم،فإن سلم من الآفه الأولى،أعنى مباشره المحرمات،فلا يسلم من هذه أصلا.و من الحاجه إلى الناس تثور العداوه و الصداقه، و يحصل الحقد،و الحسد،و الكبر،و الرياء،و الكذب،و الغيبه،و البهتان و النميمه،و سائر معاصى القلب و اللسان،و كل ذلك يلزم من شؤم المال و الحاجه إلى حفظه و إصلاحه.

و ثالثها-و هو الذى لا ينفک عنه أحد من أرباب الأموال،

و هو أنه يلهيه إصلاح ماله و حفظه عن ذكر اللّه تعالى،و كل ما يشغل العبد عن اللّه تعالى فهو خسران و وبال.

و لذا قال روح اللّه عليه السلام: «فى المال ثلاث آفات،أن يأخذه من غير حله»،فقيل:إن أخذه من حله؟ قال:«يضعه فى غير حقه»،فقيل:إن وضعه فى حقه؟فقال:

«يشغله إصلاحه عن اللّه». و هذا هو الداء العضال،إذ أصل العبادات و روحها و حقيقتها هو الذكر و الفكر فى جلال اللّه تعالى،و ذلک يستدعى قلبا فارغا.و صاحب الضيعه يصبح و يمسى متفكرا فى خصومه الفلاح و محاسبته و خيانته،و منازعه الشركاء و خصومتهم فى الماء و الحدود،و خصومه أعوان السلطان فى الخراج،و خصومه الإجراء فى التقصير فى العماره و غير ذلک.و صاحب التجاره يكون متفكرا فى خيانه الشركاء و انفرادهم بالربح

و تقصیرهم فی العمل و تضییعهم المال،و یکون غالبا فی بلاد الغربه متفرق الهم محزون القلب من کساد ما یصحبه من مال التجاره.و کذلک صاحب المواشی و غیره من أرباب أصناف الأموال.و أبعدها عن کثره الشغل النقد المکنون تحت الأرض،و صاحبه أیضا لا یزال متفکرا مترددا فیما یصرف إلیه،و فی کیفیه حفظه،و فی الخوف ممن یعثر علیه،و فی دفع طمع الخلق منه. و بالجمله:أودیه أفکار أهل الدنیا لا نهایه لها،و الذی لیس معه إلا قوت یومه أو سنته،و لا یطلب أزید من ذلک،فهو فی سلامه من جمیع ذلک.

و أما فوائده:فهی أیضا دنیویه و دینیه:
أما الدنیویه:

فهی ما یتعلق بالحظوظ العاجله:من الخلاص من ذل السؤال،و حقاره الفقر،و الوصول إلی العز و المجد بین الخلق،و کثره الإخوان و الأصدقاء و الأعوان،و حصول الوقار و الکرامه فی القلوب.

و أما الدینیه:فثلاثه أنواع:
أولها-أن ینفقه علی نفسه فی عباده،

کالحج و الجهاد،أو فیما یقوی علی العباده،کالمطعم و الملبس و المسکن.

و ثانیها-أن یصرفه إلی أشخاص معینه:

کالصدقه،و المروه، و وقایه العرض،و أجره الاستخدام.و أما الصدقه بأنواعها،فلا یحصی ثوابها،و ربما نشیر إلی فضیلتها فی موضعها،و أما المروه،و نعنی بها صرف المال إلی الأغنیاء و الأشراف فی ضیافه أو هدیه أو إعانه و ما یجری مجراها مما یکتسب به الإخوان و الأصدقاء و یجلب به صفه الجود و السخاء، إذ لا یتصف بالجود إلا من یصطنع المعروف و یسلک سبیل الفتوه و المروه، فلا ریب فی کونه مما یعظم ثوابه.فقد وردت أخبار کثیره فی الهدایا و الضیافات و إطعام الطعام،من غیر اشتراط الفقر و الفاقه فی مصارفها.

و أما وقایه العرض،و نعنی بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء،و هجو الشعراء،و قطع ألسنه الفاحشین و المغتابین،و منع شر الظالمین و أمثال ذلک فهو أیضا من الفوائد الدینیه.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:

«ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه»، و أما أجره الاستخدام،فلا ریب فی إعانته علی أمور الدین،إذ الأعمال التی یحتاج إلیها الإنسان لتهیئه أسبابه کثیره،و لو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته،و تعذر علیه سلوک سبیل الآخره بالفکر و الذکر الذی هو أعلی مقامات السالکین،و من لا مال له یحتاج أن یتولی بنفسه جمیع الأعمال التی یحتاج إلیها فی الدنیا،حتی نسخ الکتاب الذی یفتقر إلیه،و کلما یتصور أن یقوم به الغیر فتضییع الوقت فیه خسران و ندامه.

و ثالثها-أن یصرفه إلی غیر معین یحصل به خیر عام،

و هی الخیرات الجاریه:من بناء المساجد،و المدارس،و القناطر،و الرباطات،و نصب الخشیات فی الطرق،و إجراء القنوات،و نسخ المصاحف و الکتب العلمیه و غیر ذلک من الأوقاف المرصده للخیرات المؤبده،الدائره بعد الموت، المستجلبه ببرکه أدعیه الصالحین إلی أوقات متمادیه.

فصل (الأمور المنجیه من غوائل المال)

من أراد النجاه من غوائل المال،فلیحافظ علی أمور:

الأول-أن یعرف مقصود المال و باعث خلقه و عله الاحتیاج إلیه حتی لا یکتسب و لا یحفظ إلا قدر حاجته.

الثانی-أن یراعی جهه دخله،فیجتنب الحرام و المشتبه،و الجهات

المکروهه القادحه فی المروه و الحریه،کالهدایا المشوبه بالرشوه،و السؤال الذی فیه الانکسار و الذله.

الثالث-أن یراعی جهه الخرج،و یقتصد فی الإنفاق،غیر مبذر و لا مقتر.قال اللّه تعالی:

وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً

(۱)

.

و قال النبی صلی اللّه علیه و آله-: «ما عال من اقتصد». ثم للاقتصاد فی المطعم و الملبس و المسکن درجات ثلاث:أدنی و أوسط و أعلی،و ربما کان المیل إلی الأول أحری و أولی،لیدخل فی زمره المخفین یوم القیامه.

الرابع-أن یضع ما اکتسبه من حله فی حقه،و لا یضعه فی غیر حقه،فإن الإثم فی الأخذ من غیر حله و الوضع فی غیر حقه سواء.

الخامس-أن یصلح نیته فی الأخذ و الترک و الإنفاق و الإمساک، فیأخذ ما یأخذ استعانه به علی ما خلق لأجله،و یترک ما یترک زهدا فیه و استحقارا له و اجتنابا عن وزره و ثقله،و إذا فعل ذلک لم یضره وجوده

قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «لو أن رجلا أخذ جمیع ما فی الأرض و أراد به وجه اللّه فهو زاهد،و لو ترک الجمیع و لم یرد به وجه اللّه فلیس بزاهد».

فینبغی لکل مؤمن أن یکون باعث جمیع أفعاله التقرب إلی اللّه لیصیر الجمیع عباده.فإن أبعد الأفعال عن العباده الأکل و الوقاع و قضاء الحاجه و یصیر بالقصد عباده.فمن أخذ من المال ما یحتاج إلیه فی طریق الدین،

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۶۷.

و بذل ما فضل منه على إخوانه المؤمنين،فهو الذى أخذ من حيه المال ترياقها،و اتقى سمها،فلا تضره كثره المال.إلا أنه لا يتأتى ذلك إلا لمن كثر علمه و استحكمت فى الدين قدمه.و العامى إذ يشتبه به فى الاستكثار من المال،فشأنه شأن الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحيه و يتصرف بها ليأخذ ترياقها،فيقتدى به و يأخذها مستحسنا صورتها و شكلها و مستلينا جلدها فتقتله فى الحال.إلا أن قتيل الحيه يدرى أنه قتيل،و قتيل المال قد لا يعرف ذلك.و كما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير فى التخطى قلل الجبال و أطراف البحار و الطرق المشوكه،فيمتنع أن يتشبه العامى الجاهل بالعالم الكامل فى الاستكثار من المال.

وصل (الزهد)

ضد حب الدنيا و الرغبه إليها هو(الزهد)،و هو ألا يريد الدنيا بقلبه،و يتركها بجوارحه،إلا بقدر ضروره بدنه.و بعباره أخرى:هو الإعراض من متاع الدنيا و طيباتها،من الأموال و المناصب و سائر ما يزول بالموت.و بتقرير آخر:هو الرغبه عن الدنيا عدولا إلى الآخره،أو عن غير اللّه،عدولا إلى اللّه،و هو الدرجه العليا.فمن رغب عن كل ما سوى اللّه حتى الفراديس،و لم يحب إلا اللّه،فهو الزاهد المطلق.و من رغب عن حظوظ الدنيا خوفا من النار أو طمعا فى نعيم الجنه،من الحور و القصور و الفواكه و الأنهار،فهو أيضا زاهد،و لكنه دون الأول.و من ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض،كالذى يترك المال دون الجاه،أو يترك التوسع فى الأكل دون التجمل فى الزينه،لا يستحق اسم الزاهد مطلقا.

و بما ذكر يظهر:أن الزهد إنما يتحقق إذا تمكن من نيل الدنيا و تركها،و كان باعث الترك هو حقاره المرغوب عنه و خساسته،أعنى الدنيا بالإضافه إلى المرغوب إليه و هو اللّه و الدار الآخره .فلو كان الترك لعدم قدرته عليها،أو لغرض غير اللّه تعالى غير الدار الآخره،من حسن الذكر،و استماله القلوب،أو الاشتهار بالفتوه و السخاء،أو الاستثقال لما فى حفظ الأموال من المشقه و العناء،أو أمثال ذلك،لم يكن من الزهد أصلا.

فصل (مدح الزهد)

الزهد أحد منازل الدين و أعلى مقامات السالكين.قال اللّه سبحانه:

فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ ... وَ قٰالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوٰابُ اللّٰهِ خَيْرٌ (١).

فنسب الزهد إلى العلماء،و وصف أهله بالعلم،و هو غايه المدح.

و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(٢)

.

۱- ۱) القصص،الآيه:۷۹-۸۰.

۲- ۲) طه،الآيه:۱۳.

و قال: وَ مَنْ كٰانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيٰا نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ (۱).

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح و همه الدنیا، شتت اللّه علیه أمره،و فرق علیه ضیعته،و جعل فقره بین عینیه،و لم یؤته من الدنیا إلا ما کتب له.و من أصبح و همه الآخره،جمع اللّه له همه،و حفظ علیه ضیعته،و جعل غناه فی قلبه،و أتته الدنیا و هی راغمه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إذا رأیتم العبد قد أعطی صمتا و زهدا فی الدنیا فاقتربوا منه،فإنه یلقی الحکمه».

و قال صلی اللّه علیه و آله:

«من أراد أن یؤتیه اللّه علما بغیر تعلم،و هدی بغیر هدایه،فلیزهد فی الدنیا».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «ازهد فی الدنیا یحبک اللّه.و ازهد فیما فی أیدی الناس یحبک الناس»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-لأمیر المؤمنین علیه السلام: «یا علی،من عرضت له دنیاه و آخرته فاختار الآخره و ترک الدنیا فله الجنه،و من اختار الدنیا استخفافا بآخرته فله النار»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «سیکون بعدی قوم لا یستقیم لهم الملک إلا بالقتل و التجبر،و لا الغنی إلا بالفخر و البخل،و لا المحبه إلا باتباع الهوی.ألا فمن أدرک ذلک الزمان منکم،فصبر علی الفقر و هو یقدر علی الغناء،و صبر للبغضاء و هو یقدر علی المحبه،و صبر علی الذل و هو یقدر علی العز،لا یرید بذلک إلا وجه اللّه،أعطاه اللّه ثواب خمسین صدیقا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: بعد ما سئل علی معنی شرح الصدر للإسلام-:«إن النور إذا دخل القلب انشرح له و انفسح

1- 1) الشوری،الآیه:20.

قیل:یا رسول اللّه،و هل لذلک من علامه؟قال:«نعم!التجافی عن دار الغرور،و الإنابه إلی دار الخلود،و الاستعداد للموت قبل نزوله»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «استحیوا من اللّه حق الحیاء»،قالوا إنا لنستحیی منه تعالی،قال:«فلیس کذلک،تبنون ما لا تسکنون، و تجمعون ما لا تأکلون».

و روی: «أنه قدم علیه بعض الوفود.و قالوا إنا مؤمنون.قال:و ما علامه إیمانکم؟فذکروا الصبر عند البلاء،و الشکر عند الرخاء،و الرضی بمواقع القضاء،و ترک الشماته بالمصیبه إذا نزلت بالأعداء.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:إن کنتم کذلک،فلا تجمعوا ما لا تأکلون،و لا تبنوا ما لا تسکنون،و لا تنافسوا فیما عنه ترحلون»، فجعل الزهد من مکملات إیمانهم.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من جاء بلا إله إلا اللّه،لا یخلط معها غیرها،وجبت له الجنه»، و فسر (غیرها)(بحب الدنیا و طلبها.

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من زهد فی الدنیا،أدخل اللّه الحکمه قلبه،فأنطق بها لسانه،و عرفه داء الدنیا و دواءها،و أخرجه منها سالما إلی دار السلام».

و روی: «أن بعض زوجاته بکت مما رأت به من الجوع،و قالت له:یا رسول اللّه،ألا تستطعم اللّه فیطعمک؟فقال:و الذی نفسی بیده!لو سألت ربی أن یجری معی جبال الدنیا ذهبا لأجراها حیث شئت من الأرض،و لکنی اخترت جوع الدنیا علی شبعها،و فقر الدنیا علی غنائها،و حزن الدنیا علی فرحها.إن الدنیا لا تنبغی لمحمد و لا لآل محمد.إن اللّه لم یرض لأولی العزم من الرسل إلا الصبر علی مکروه الدنیا و الصبر عن محبوبها،ثم لم یرض لی إلا أن یکلفنی مثل ما کلفهم،فقال:

فَاصْبِرْ کَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

(۱)

.

۱- ۱) الاحقاف،الآیه:۳۵.

و اللّه ما لی بد من طاعته!و إنی و اللّه لأصبرن کما صبروا بجهدی و لا قوه إلا باللّه!»..

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لا یستکمل العبد الإیمان حتی یکون ألا یعرف أحب إلیه من أن یعرف،و حتی یکون قله الشیء أحب إلیه من کثرته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «إذا أراد اللّه بعبد خیرا،زهده فی الدنیا،و رغبه فی الآخره،و بصره بعیوب نفسه»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اشتاق إلی الجنه سارع إلی الخیرات و من خاف من النار لهی عن الشهوات،و من ترقب الموت ترک اللذات، و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصیبات».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن ربی عز و جل عرض علی أن یجعل لی بطحاء مکه ذهبا،فقلت:

لا یا رب،و لکن أجوع یوما و أشبع یوما،فأما الیوم الذی أجوع فیه فأتضرع إلیک و أدعوک،و أما الیوم الذی أشبع فیه فأحمدک و أثنی علیک».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-:خرج ذات یوم یمشی و معه جبرئیل،فصعد علی الصفا،فقال له رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

یا جبرئیل،و الذی بعثک بالحق!ما أمسی لآل محمد کف سویق و لا سفه دقیق فلم یتم کلامه بأسرع من أن سمع هده من السماء أفزعته،فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:أمر اللّه القیامه أن تقوم؟قال:لا! و لکن هذا إسرافیل علیه السلام قد نزل إلیک حین سمع کلامک.فأتاه إسرافیل،فقال:إن اللّه-عز و جل-سمع ما ذکرت،فبعثنی بمفاتیح الأرض،و أمرنی أن أعرض علیک إن أحببت أن أسیر معک جبال تهامه زمردا و یاقوتا و ذهبا و فضه فعلت،و إن شئت نبیا ملکا،و إن شئت نبیا عبدا.فأومأ إلیه جبرئیل أن تواضع للّه.فقال:«نبیا عبدا،ثلاثا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه تعالی:إن من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب

ص :۶۱

و كان غامضا فى الناس،جعل رزقه كفافا فصبر عليه،عجلت منيته فقل تراثه و قل بواكيه»

(۱)

و عن على بن الحسين-صلوات اللّه عليهما- قال: «مر رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:براعى إبل،فبعث يستسقيه،فقال:أما ما فى ضروعها فصبوح الحى،و أما فى آنيتنا فغبوقهم فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: اللهم كثر ماله و ولده .ثم مر براعى غنم،فبعث إليه يستسقيه،فحلب له ما فى ضروعها و اكفأ ما فى إناءه فى إناء رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-،و بعث إليه بشاه،و قال:هذا ما عندنا،و إن أحببت أن نزيدك زدناك،قال:رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: اللهم ارزقه الكفاف .فقال له بعض أصحابه:يا رسول اللّه دعوت للذى ردك بدعاء عامتنا نحبه،و دعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله:إن ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى. اللهم ارزق محمدا و آل محمد الكفاف»

(۲)

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس ثلاثه:زاهد،و صابر،و راغب.

فأما الزاهد،فقد خرجت الأحزان و الأفراح من قلبه،فلا يفرح بشىء من الدنيا و لا يأسى على شىء منها فاته،فهو مستريح.و أما الصابر، فإنه يتمناها بقلبه،فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها و شناءتها و لو اطلعت على قلبه لعجبت من عفته و تواضعه و حزمه.و أما الراغب، فلا يبالى من أين جاءته،من حلها أو حرامها،و لا يبالى ما دنس فيها عرضه و أهلك نفسه و اذهب مروته،فهم فى غمرته يعمهون و يضطربون».

و قال عليه السلام: «إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد فى الدنيا»

---

۱ - ۱) صححنا الحديث على(الكافى):باب الكفاف.قال فى(الوافى): الحفيف-بالمهمله-:العيش السوء و قله المال.و الغامض:الخامل الذليل.

۲- ۲) صححنا الحديث على ما فى(أصول الكافى):باب الكفاف.

و قال علیه السلام: «من جمع ست خصال لم یدع للجنه مطلبا و لا عن النار مهربا:عرف اللّه فأطاعه،و عرف الشیطان فعصاه،و عرف الدنیا فترکها،و عرف الآخره فطلبها،و عرف الباطل فاتقاه،و عرف الحق فاتبعه».

و قال-علیه السلام-: «من اشتاق الجنه سارع إلی الخیرات و من خاف النار نهی عن الشهوات،و من ترقب الموت ترک اللذات، و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصیبات».

و قال علیه السلام: «إن علامه الراغب فی ثواب الآخره زهده فی عاجل زهره الدنیا،أما إن زهد الزاهد فی هذه الدنیا لا ینقصه مما قسم اللّه عز و جل له فیها و إن زهد و إن حرص الحریص علی عاجل زهره الدنیا لا یزیده فیها و إن حرص.فالمغبون من حرم حظه من الآخره (۱)

و قال علی بن الحسین-علیهما السلام-: «ما من عمل بعد معرفه اللّه عز و جل و معرفه رسوله صلی اللّه علیه و آله أفضل من بغض الدنیا...الحدیث»

(۲)

و قال الباقر علیه السلام: «أکثر ذکر الموت،فإنه لم یکثر إنسان ذکر الموت إلا زهد فی الدنیا».

و قال علیه السلام: «قال اللّه تعالی:و عزتی و جلالی و عظمتی و بهائی و علو ارتفاعی لا یؤثر عبد مؤمن هوای علی هواه فی شیء من أمر الدنیا،إلا جعلت غناه فی نفسه،و همته فی آخرته،و ضمنت السماوات و الأرض رزقه، و کنت له من وراء تجاره کل تاجر».

و قال علیه السلام: «أعظم الناس قدرا من لا یناول الدنیا فی ید من کانت،فمن کرمت علیه نفسه صغرت الدنیا فی عینیه،و من هانت علیه نفسه کبرت الدنیا فی عینیه».

و قال الصادق-علیه السلام-: «جعل الخیر کله فی بیت،و جعل

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):باب ذم الدنیا.

۲- ۲) الحدیث مروی فی(أصول الکافی):باب ذم الدنیا و قد مضی ذکره فی صفحه ۳۲.

مفتاحه الزهد فی الدنیا».

و قال-علیه السلام-: «ما کان شیء أحب إلی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من أن یظل خائفا جائعا فی اللّه تعالی».

و قال علیه السلام: «إذا أراد اللّه بعبد خیرا،زهده فی الدنیا و فقهه فی الدین،و بصره عیوبها.و من أوتیهن فقد أوتی خیر الدنیا و الآخره

و قال علیه السلام: «لم یطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد فی الدنیا و هو ضد لما طلب أعداء الحق،قلت:جعلت فداک،مما ذا؟قال:

من الرغبه فیها،و قال:ألا من صبار کریم؟فإنما هی أیام قلائل ألا إنه حرام علیکم أن تجدوا طعم الإیمان حتی تزهدوا فی الدنیا (۱)

و قال علیه السلام: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار،و هو ترکک کل شیء یشغلک عن اللّه من غیر تأسف علی فوتها،و لا إعجاب فی ترکها،و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده علیها،و لا عوض منها، بل یری فوتها راحه و کونها آفه و یکون أبدا هاربا من الآفه معتصما بالراحه و الزاهد الذی یختار الآخره علی الدنیا و الذل علی العز و الجهد علی الراحه و الجوع علی الشبع و عافیه الآجل علی محبه العاجل و الذکر علی الغفله، و تکون نفسه فی الدنیا و قلبه فی الآخره»،

و قال الرضا علیه السلام:

«من أصبح و أمسی معافی فی بدنه،آمنا فی سربه،عنده قوت یومه فکأنما خیرت له الدنیا».

و کفی للزهد فضیله و مدحا أنه أعرف صفات الأنبیاء و الأولیاء، و لم یبعث نبی إلا به،و لو لم یتوقف التقرب إلی اللّه و النجاه فی دار الآخره علیه،لما ضیق عظماء نوع الإنسان و أعرف الناس بحقیقه الحال علی أنفسهم فی فطامها عن شهوات الدنیا و لذاتها.

فانظر إلی کلیم اللّه موسی-علیه السلام-کیف کان غالب قوته نبت

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):باب ذم الدنیا.

الأرض و أوراق الأشجار،و كان ضعف بدنه من كثره رياضته،بحيث ترى الخضره من صفاق بطنه،كما أخبر به أمير المؤمنين- عليه السلام- فی نهج البلاغه.

ثم انظر إلى روح اللّه عليه السلام كيف يلبس الشعر و يأكل الشجر،و لم يكن له ولد يموت و لا بيت يخرب و لا يدخر لغد، أينما يدركه المساء نام،و قال له الحواريون يوما:يا نبی اللّه لو أمرتنا أن نبنی بيتا تعبد اللّه فيه»،قال«اذهبوا فابنوا بيتا على الماء»فقالوا:

كيف يستقيم بنيان على الماء؟قال:«فكيف تستقيم عباده على حب الدنيا»

و روى: «أنه اشتد به يوما المطر و الرعد و البرق،فجعل يطلب بيتا يلجأ إليه،فرفعت إليه خيمه من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأه فحاد عنها فإذا هو بكهف فی جبل فأتاه فإذا فيه أسد،فوضع يده عليه و قال:

«إلهی جعلت لكل شیء مأوى و لم تجعل لی مأوى»فأوحى اللّه إليه«مأواک فی مستقر من رحمتی،لأزوجنک يوم القيامه ألف حوراء خلقتها بيدی، و لأطعمنک فی عرسک أربعه آلاف عام،يوم منها كعمر الدنيا،و لآمرن مناديا ينادی أين الزهاد فی الدنيا،زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم».

ثم انظر إلى يحيى بن زكريا،حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس و استراحه حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكانها جبه من صوف ففعل،فأوحى اللّه إليه:«يا يحيى آثرت على الدنيا»، فبكى و نزع الصوف و عاد إلى ما كان عليه.

ثم افتح بصيرتک و تأمل فی سيره رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و زهده فی الدنيا،فإنه لبث فی النبوه ما لبث،و لم يشبع هو و أهل بيته غدوه إلا جاعوا عشيه،و لم يشبعوا عشيه إلا جاعوا غدوه،و لم يشبع من التمر هو و أهل بيته حتى فتح اللّه عليهم خيبر،

و قرب إليه يوما طعاما على مائده فيها ارتفاع،فشق ذلک عليه حتى تغير لونه،فأمر بالمائده

فرفعت و وضع الطعام على الأرض،و كان ينام على عباءه مثنيه فثنوها له ليله أربع طاقات فنام عليها،فلما استيقظ قال منعتمونى قيام الليله هذه بهذه العباءه اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها،و كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاه فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاه حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاه.

و روى: «أن امرأه من بنى ظفر صنعت له صلى اللّه عليه و آله كساءين إزارا و رداء و بعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاه و هو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك».

و شده زهد على عليه السلام و تركه الدنيا أشهر من أن يحتاج إلى بيان،و كذا من بعده من الأئمه الراشدين و الأصحاب و التابعين و غيرهم من أكابر الدين و السلف الصالحين،حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنه و ستين لم يطو له ثوب و لم ينصب له قدر و لم يجعل بينه و بين الأرض شيئا و لا أمر من فى بيته بصنعه طعام،فعلى أطرافهم يقومون و وجوهم على الأرض يفترشون تجرى دموعهم على خدودهم و يناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار.

و قد حكى أن بعض الخلفاء أرسل إلى بعضهم بعشره آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على أهله،فقال أ تدرون؟ما مثلى و مثلكم إلا كمثل قوم كانت لهم بقره يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها، فكذلك أنتم أردتم ذبحى على كبر سنى فموتوا جوعا خير لكم من أن تذبحونى.و قد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الأسحار خيفه من الاستراحه به.و كان لبعضهم حب مكسور،فيه ماؤه،لا يرفعه من الشمس و يشرب الماء الحار و يقول من وجد لذه الماء البارد يشق عليه مفارقه الدنيا.

فيا حبيبى أفق من سكر الهوى و اعرف المضاده التى بين الآخره و الدنيا،و اقتد بالواقفين على جليه الحال و المطلعين على حقيقه المآل فى المواظبه على الزهد و التقوى و فطام النفس عن لذائذ الدنيا،فإن ذلک و إن كان شاقا فمدته قريبه،و الاحتماء مده يسيره للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفه القاهرين أنفسهم بسياسه الشرع المبين المعتصمين بعروه اليقين بما وعد اللّه فى الآخره لعباده الزاهدين.

فصل (اعتبارات الزهد و درجاته)

اعلم أن للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات:

(الأول)اعتبار نفسه

أى من حيث نفس الترک للدنيا و بهذا الاعتبار له درجات ثلاث: (الأولى)أن يزهد فى الدنيا مع ميله إليها و حبه لها بأن يكف نفسه عنها بالمجاهده و المشقه،و هذا هو التزهد. (الثانيه) أن يترک الدنيا طوعا و سهوله من دون ميل إليها لاستحقاره إياها بالإضافه إلى ما يطمع فيه من لذات الآخره،و هذا كالذى يترک درهما لأجل درهمين معاوضه فإنه لا يشق عليه ذلک و إن كان يحتاج إلى قليل انتظار،و مثله ربما أعجب بنفسه و بزهده لاحتمال أن يظن بنفسه أنه ترک شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه. (الثالثه)و هى أعلى الدرجات أن يترک الدنيا طوعا و شوقا و لا يرى أنه ترک شيئا،إذ عرف أن الدنيا لا شى فيكون كمن ترک خنفساء و أخذ ياقوته صافيه حمراء،فلا يرى ذلک معاوضه و لا يرى نفسه تاركا شيئا و سبب هذا الترک كمال المعرفه،فان العارف على يقين بأن الدنيا بالإضافه إلى اللّه و نعيم الآخره أخس من خنفساء بالنظر

إلی یاقوته،هذا الزاهد فی أمن من خطر الالتفات إلی الدنیا،کما أن تارک الخنفساء بالیاقوته فی أمن من طلب الإقاله فی البیع.

و قد ذکر أرباب القلوب من أهل المعرفه أن مثل تارک الدنیا بالآخره مثل من منعه عن باب الملک کلب یکون فی بابه فألقی إلیه لقمه خبز نالها من موائد الملک فشغله بنفسه و دخل الباب و نال غایه القرب من الملک حتی نفذ أمره فی جمیع مملکته،أ فتری أنه یری لنفسه عوضا عند الملک بلقمه خبز ألقاها إلی کلب فی مقابله ما یناله مع کون هذه اللقمه أیضا من الملک.فالشیطان کلب علی باب اللّه یمنع الناس من الدخول،مع أن الباب مفتوح و الحجاب مرفوع و الدنیا کلقمه خبز إن أکلها فلذتها فی حال المضغ و تنقضی علی القرب بالابتلاع ثم یبقی ثقله فی المعده ثم ینتهی إلی النتن و القذر و یحتاج إلی إخراجه،فمن ترکها لینال عز الملک کیف یلتفت إلیها.و لا ریب فی نسبه الدنیا لکل شخص أعنی ما یسلم له منها و إن عمر ألف سنه بالإضافه إلی نعیم الآخره أقل من لقمه بالإضافه إلی ملک الدنیا،إذ لا نسبه للمتناهی إلی غیر المتناهی،و الدنیا متناهیه،و لو کانت تتمادی ألف ألف سنه صافیه عن کل کدوره لکان لا نسبه لها إلی الأبد فکیف و مده العمر قصیره و لذاتها مکدره غیر صافیه فأی نسبه لها أی نعیم الأبد.

(الثانی)اعتبار المرغوب عنه

أعنی ما یترک و بهذا الاعتبار له خمس درجات:

(الأولی)أن یترک المحرمات و هو الزهد فی الحرام،و یسمی زهد فرض.

(الثانیه)أن یترک المشتبهات أیضا و هو الزهد فی الشبهه،و یسمی زهد سلامه.

(الثالثه)أن یزهد فی الزائد عن قدر الحاجه من الحلال أیضا و لا یزهد فی التمتع بالقدر الضروری من المطعم و الملبس و المسکن و أثاثه و المنکح و ما هو وسیله إلیها من المال و الجاه،و إلی هذه الدرجات کلا أو بعضا

أشار مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله: «کونوا علی قبول العمل أشد عنایه منکم علی العمل،الزهد فی الدنیا قصر الأمل و شکر کل نعمه و الورع عن کل ما حرم اللّه عز و جل»

(۱)

و مولانا الصادق علیه السلام بقوله:

«الزهد فی الدنیا لیس بإضاعه المال و لا تحریم الحلال بل الزهد فی الدنیا ألا تکون بما فی یدک أوثق بما فی ید اللّه عز و جل»

(۲)

و هذا مع ما یأتی بعده هو الزهد فی الحلال،و یسمی زهد ثقل.

(الرابعه)أن یترک جمیع ما للنفس فیه تمتع و یزهد فیه و لو فی قدر الضروره،لا بمعنی ترک هذا القدر بالمره،إذ ذلک متعذر،بل ترکه من حیث التمتع به و إن ارتکبه اضطرارا من قبیل أکل المیته مع الإکراه له باطنا،و هذا یتناول ترک جمیع مقتضیات الطبع من الشهوه و الغضب و الکبر و الرئاسه و المال و الجاه و غیرها،و إلی هذه الدرجه

أشار الصادق علیه السلام بقوله: (الزاهد فی الدنیا الذی یترک حلالها مخافه حسابه و یترک حرامها مخافه عذابه) و إلیها یرجع

قول أمیر المؤمنین علیه السلام: (الزهد کله بین کلمتین من القرآن قال اللّه سبحانه:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی البحار الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر فی باب الزهد ص ۱۰۱.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی سفینه البحار ج ۱ ص ۵۶۸.

لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ

(۱)

.

فمن لم يأس على الماضى و لم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه (۲)

و قوله عليه السلام (الزهد فى الدنيا ثلاثه أحرف:زاء و هاء و دال أما الزاء فترك الزينه و أما الهاء فترك الهوى و أما الدال فترك الدنيا».

(الخامسه)أن يترك جميع ما سوى اللّه و يزهد فيه حتى فى بدنه و نفسه أيضا بحيث كان ما يصحبه و يرتكبه فى الدنيا إلجاء و إكراها من دون استلذاذ و تمتع به،و إلى هذه الدرجه

أشار مولانا الصادق-عليه السلام-فى كلامه المنقول سابقا(ص ۶۲)حيث قال: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار و هو تركك كل شىء يشغلك عن اللّه من غير تأسف على فوقها و لا إعجاب فى تركها و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده عليها و لا عوض منها بل يرى فوتها راحه و كونها آفه» إلى آخر الحديث (۳).

ثم الالتفات إلى بعض ما سوى اللّه و الاشتغال به ضرورى كضروره الأكل و اللبس و مخالطه الناس و مكالمتهم و أمثال ذلك،لا ينافى هذه المرتبه من الزهد، إذ معنى الانصراف من الدنيا إلى اللّه تعالى إنما هو الإقبال بكل القلب إليه

۱- ۱) الحديد الآيه ۲۳.

۲- ۲) هذا الحديث مروى فى البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ۱۰۳.

۳- ۳) صححنا الحديث هنا و هناك على ما فى البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ۱۰۰ و الحديث منقول فيه عن مصباح الشريعه الذى تقدم ذكره فى الجزء الأول ص ۱۲۱،۲۵۴.

تعالى ذكرا و فكرا،و هذا لا يتصور بدون البقاء و لا بقاء إلا بضرورات المعيشه،فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصدا لدفع المهلكات عن البدن و الاستعانه بالبدن على العباده و سائر ما يقربه إلى اللّه لم يكن مشتغلا بغير اللّه،إذ ما لا يتوصل إلى الشىء إلا به فهو منه،فالمشتغل بعلف دابته فى طريق الحج ليس معرضا عن الحج،و لكن ينبغى أن يكون البدن فى طريق اللّه مثل الدابه فى طريق الحج،فكما أن قصدك من تهيئه ما تحتاج إليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك دون تنعمها، فكذلك ينبغى أن يكون قصدك من الأكل و الشرب و اللباس و السكنى صيانه بدنك عما يهلكك من الجوع و العطش و الحر و البرد فتقتصر على قدر الضروره و تقصد به التقوى على طاعه اللّه دون التلذذ و التنعم،و ذلك لا ينافى الزهد بل هو شرطه، ثم ترتب التلذذ على ذلك لا يضرك إذا لم يكن مقصودا بالذات لك فإن الإنسان قد يستريح فى قيام الليل بنسيم الأسحار و صوت الطيور و هذا لا يضر بعبادته إذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحه على أنه لا لذه حقيقه فى الأكل و الشرب و اللباس و إنما تندفع بها آلام الجوع و العطش و الحر و البرد.

ثم لا يخفى أن الفضول من أمور الدنيا من المطعم و المشرب و الملبس و المسكن و أثاثه و المنكح و المال و الجاه ينبغى تركها و الزهد فيها إذ الأخذ بما لا يحتاج إليه ينافى الزهد.(و أما)غير الفضول مما يحتاج إليه الإنسان و يكون مهما له من الأمور الثمانيه،فينبغى ألا يترك الزهد فيها،إذ ما هو المهم الضرورى يتطرق إليه فضول فى مقداره و جنسه و أوقاته فينبغى ألا يترك الزهد فيه أيضا.

و مقتضى غايه الزهد فيه أن يقتصر من القوت على قوت يومه و ليلته فإن كان عنده أزيد من ذلك فليبذله على بعض المستحقين،فإن اقتصر من

جنسه على خبز الشعير فهو نهايه الزهد فى القوت،إلا أن أكل خبز الحنطه فى بعض الأحيان بل أكل أدام واحد فى بعض الأوقات إذا لم يكن من اللذائذ الشديده من أطعمه المتنعمين من أهل الدنيا لا ينافى الزهد،و ربما لم يكن أكل اللحم فى بعض الأحيان منافيا له.و يقتصر من(اللباس) بعد كونه من القطن أو الصوف على ما يستر الأعضاء و يحفظها من الحر و البرد و لا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل أحدهما.و من(المسكن) على ما يحفظ نفسه و أهله من الحر و البرد.و من(أثاثه)أعنى الفرش و الظرف و القدر و الكوز و أمثال ذلك،ما يدفع حاجته من غير تعد إلى ما يمكن زوال ضرورته بدونه.و من(المنكح)على ما تنكسر به سوره شبقه و يحفظه عن النظر و الوساوس الشهويه المانعه عن الحضور فى العبادات و من(المال)على ما يقتضى به حاجه يومه بليلته فإن كان كاسبا فإذا اكتسب حاجه يومه فليترك كسبه و يشتغل بأمر الدين،و إن كانت له ضيعه و لم يكن له مدخل آخر يمكن أن يصل إليه كل يوم قدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفى لسد رمقه بسنه واحده بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل من كفايه نفقته.و ربما قيل إن مثله من ضعفاء الزهاد،بمعنى أن ما وعد للزاهدين فى الدار الآخره من المقامات العاليه و الدرجات الرفيعه لا يناله،و إن صدق عليه كونه زاهدا،إذ مثله ليس له قوه اليقين،لأن صاحب اليقين الواقعى إذا كان له قوت يومه لا يدخر شيئا لغده و من شرط التوكل فى الزهد،فلا يكون هذا من الزهاد عنده.و هذا غايه الزهد فى الأمور المذكوره،و عليه جرت طوائف الأنبياء و زمره الأوصياء و من بعدهم من السلف الأتقياء. و الحق أن حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الأشخاص و الأوقات فإن أمر المتفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيل،و من قصر جميع همه على تحصيل العلم و العمل و لم

يقدر على كسب،حاله يخالف حال أهل الكسب،و كذا فى بعض الأوقات و فى بعض الأماكن يمكن تحصيل قدر الحاجه فى كل يوم و فى بعض آخر منها لا يمكن ذلك،فاللائق لكل أحد أن يلاحظ حاله و وقته و مكانه و يتأمل فى أن الأصلح بأمر آخرته و الأعون على تحصيل ما خلق لأجله إمساك أى قدر من المال و صرف أى قدر و جنس من القوت، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه إلى ربه فيأخذ به و يترك الزائد،فإن بعد صحه النيه و خلوص القصد فى ذلك لا يخرج به عن الزهد الواقعى و إن تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع إيجابه لفقد ما هو أهم فى تكميل النفس.

و أما(الجاه)فقد تقدم أن القدر الضرورى منه فى أمر المعيشه كتحصيل منزله فى قلب خادمه ليخدمه،و فى قلب السلطان ليدفع الأشرار عنه،لا بأس به،فالظاهر عدم منافاه هذا القدر للزهد،و قال بعض العلماء:(هذا القدر و إن لم يكن به بأس إلا أنه يتمادى إلى هاويه لا عمق لها و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)و إنما يحتاج إلى المحل فى القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضرر أو لخلاص من ظلم،أما النفع فيغنى عنه المال فإن من يخدم بأجره يخدم و إن لم يكن لمستأجره عنده قدر، و إنما يحتاج إلى الجاه فى قلب من يخدم بغير أجره،و معلوم أن من أراد أن يخدم بغير أجره فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين. و أما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه فى بلد لا يكمل العدل فيها و أن يكون بين جيران يظلمونه و لا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له فى القلوب أو محل له عند السلطان.و قدر الحاجه فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف و سوء الظن بالعواقب،و الخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك، بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل فى القلوب أصلا،فإن اشتغاله بالدين

و العباده يمهد له من المحل فى القلوب ما يدفع عنه الأذى و لو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين.و أما التوهمات و التقديرات التى تخرج إلى الزياده فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبه،إذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى فى بعض الأوقات فعلاج ذلك بالاحتمال و الصبر أولى من علاجه بطلب الجاه،فإذن طلب المحل فى القلوب لا رخصه فيه أصلا و اليسير منه داع إلى الكثير و ضراوته أشد من ضراوه الخمر فليحترز من قليله و كثيره،نعم ما أعطاه اللّه لبعض عبيده من دون سعيه فى طلبه لنشر دينه أو لاتصافه ببعض الكمالات المختصه لحصول منزله له فى القلوب فليس به بأس و لا ينافى الزهد،فإن جاه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس.

و الحق كما تقدم أن الجاه كالمال فى نفى البأس من قدر يضطر إليه الإنسان إذا وقع فى زمان أو بلد توقف أمر معيشته عليه،فالقدر الضرورى منهما غير محذور و غير مناف للزهد،و الزائد على الحاجه سم قاتل،فلا ينبغى أن ينسب المقتصر على الضروره إلى الدنيا،بل ذلك القدر من الدين لأنه من شرطه و الشرط من جمله المشروط،و يدل عليه

ما روى أن إبراهيم عليه السلام أصابته حاجه فذهب إلى صديق له يستقرض شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما،فأوحى اللّه تعالى إليه:(لو سألت خليلك لأعطاك)، فقال يا رب:(عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها)،فأوحى اللّه إليه:(ليس الحاجه من الدنيا) و يدل عليه أيضا كلام الصادق-عليه السلام-مع سفيان الثورى كما أورده بطوله شيخنا الأقدم رحمه اللّه فى جامعه الكافى.

فإذن قدر الحاجه من الدين و ما وراءه وبال فى الآخره،بل فى الدنيا أيضا،و يعرف ذلك بالتأمل فى أحوال الأغنياء و ما عليهم من المحنه

فی کسب المال و جمعه و حفظه و تحمل الذل فیه،و غایه سعادته أن یترکه لورثته،فیأکلونه و هم أعداؤه،أو یستعینون به علی المعصیه،فیکون معینا لهم علیها،و لذلک شبه جامع الدنیا و تابع الشهوات بدود القز،لا یزال ینسج علی نفسه حتی یقتلها،ثم یروم الخروج فلا یجد مخلصا فیموت و یهلک بسبب العمل الذی عمله بنفسه کما قیل فی ذلک:

أ لم تر أن المرء طول حیاته

معنی بأمر لا یزال یعالجه

کدود کدود القز ینسج دائما

و یهلک غما وسط ما هو ناسجه

فکل مکب علی الدنیا متبع للشهوات لا یزال یقید نفسه بسلاسل و أغلال لا یقدر علی قطعها،إلی أن یفرق ملک الموت بینه و بین شهواته دفعه، فتبقی السلاسل من قلبه معلقه بالدنیا التی فاتته و خلفها،و هی تجاذبه إلی الدنیا،و مخالب ملک الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه إلی الآخره فأهون أحواله عند الموت أن یکون مثل شخص ینشر بالمناشیر و یفصل أحد جانبه عن الآخر.فهذا أول عذاب یلقاه قبل ما یراه من حسرات نزوله فی أسفل السافلین و منعه عن أعلی علیین و جوار رب العالمین.فبالنزوع إلی الدنیا یحجب عن لقاء اللّه،و عند الحجاب تتسلط علیه نار جهنم،إذ النار لکل محجوب معده،کما قال اللّه تعالی:

کَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِیمِ

(۱)

.

و لما انکشف لأرباب القلوب أن العبد یهلک نفسه باتباع الهوی و الخوض فی الدنیا إهلاک دود القز نفسه،رفضوا الدنیا بالکلیه.فنسأل

۱- ۱) المطففین،الآیه:۱۵-۱۶.

اللّه تعالی أن یقرر فی قلوبنا ما نفث فی روع حبیبه صلی اللّه علیه و آله، حیث أوحی إلیه:«أحبب ما أحببت،فإنک مفارقه».

(الثالث)اعتبار المرغوب فیه:أعنی ما یترک لأجله.

و له بهذا الاعتبار ثلاث درجات. الأولی:أن یکون المرغوب فیه النجاه من النار و سائر عذاب الآخره،و هذا زهد الخائفین. الثانیه:أن یکون ثواب اللّه و نعیم الجنه،و هذا زهد الراجین. الثالثه:و هی الدرجه العلیا:ألا تکون له رغبه إلا فی اللّه و فی لقائه،فلا یلتفت إلی الآلام لیقصد منها الخلاص و لا إلی اللذات لیقصد نیلها،بل کان مستغرق الهم باللّه،و هذا زهد العارفین،لأنه لا یحب اللّه خاصه إلا من عرفه بصفاته الکمالیه.فکما أن من عرف الدینار و الدرهم،و علم أنه لا یقدر علی الجمع بینهما،لم یحب إلا الدینار.کذلک من عرف اللّه،و عرف لذه النظر إلی وجهه الکریم و عرف أن الجمع بین تلک اللذه و لذه التنعم بالحور العین و النظر إلی القصور و خضره الأشجار غیر ممکن،فلا یحب إلا لذه النظر و لا یؤثر غیره.

و قال بعض العرفاء:و لا تظنن أن أهل الجنه عند النظر إلی وجه اللّه تعالی یبقی للذه الحور و القصور متسع فی قلوبهم،بل تلک اللذه بالإضافه إلی لذه نعیم الجنه،کلذه ملک الدنیا و الاستیلاء علی أطراف الأرض و رقاب الخلق،بالإضافه إلی لذه الاستیلاء علی عصفور و اللعب به و الطالبون لنعیم الجنه،عند أهل المعرفه و أرباب القلوب،کالصبی الطالب للعب بالعصفور التارک للذه الملک،و ذلک لقصوره عن إدراک لذه الملک،لا لأن اللعب بالعصفور فی نفسه أعلی و ألذ من الاستیلاء بطریق الملک علی کافه الخلق.

تتميم الزهد الحقيقى

لا تظنن أن كل من يترك مال الـدنيا أنه زاهد،فإن ترك المال و إظهار التضـييق و الخشونه فى المأكل و الملبس سـهل على من أحب المدح بالزهد.

فكم من الرهبـان و المرائين تركوا مال الـدنيا و روضوا (۱)أنفسـهم كل يوم على قدر قليل من القوت،و اكتفوا من المسـكن بأى موضع اتفق لهم، و كان غرضـهم من ذلك أن يعرفهم الناس بالزهد و يمدحهم عليه،فهم تركوا المال لنيل الجاه.فالزهد الحقيقى ترك المال و الجاه،بل جميع حظوظ النفس من الـدنيا.و علامه ذلك اسـتواء الغنى و الفقر و الـذم و المـدح و الذل و العز لأجل غلبه الأنس باللّه،إذ ما لم يغلب على القلب الأنس باللّه و الحب له لم يخرج عنه حب الـدنيا بكليته.إذ محبه اللّه و محبه الـدنيا فى القلب كالماء و الهواء فى القـدح،فإذا دخل أحدهما خرج الآخر،فكلاهما لا يجتمعان و لا يرتفعان أيضا.فالقلب المملوء من حب الـدنيا يكون خاليا عن حب اللّه،كما أن القلب المشـغول بحب اللّه و أنسه فارغ عن حب الدنيا و بقدر ما يقدر ما يخرج أحدهما يدخل الآخر و بالعكس.

و منها: الغنى

اشاره

ص: ۷۷

۱- ۱) فى بعض النسخ(ردوا)،و فى بعض آخر(رودوا).و الظاهر أن الصحيح ما أثبتناه.

و هو وجود كل ما يحتاج إليه من الأموال،و هذا أقل مراتبه،و فوق ذلك مراتب لا تحصى،حتى ينتهى إلى جمع أكثر أموال الدنيا،كما اتفق لبعض الملوك.

ثم (الغنىّ)إما أن يكون بحيث يسعى فى طلب المال و جمعه و يتعب فى تحصيله و يكره خروجه عن يده و يتأذى به،و هذا غنى حريص.أو يكون بحيث لا يتعب و لا يسعى فى تحصيله،إلا أنه لما أتاه أخذه و فرح به، مع تأذيه بفقده و كراهته له،و هذا أيضا لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده أو يكون بحيث لا يتعب فى طلبه و لا يرغب فيه رغبه يفرح بحصوله و يتأذى بفقده،و لكن لما أتاه رضى به:إما مع تساوى وجوده و عدمه أو مع كون وجوده أحب إليه من عدمه،و مثله الغنى الراضى و القانع.

و أيضا الغنى إما أن يكون جميع ماله حلالا،أو يكون بعضه أو كله حراما.

و أيضا إما يمسكه غايه الإمساك،بحيث لا يؤدى شيئا من حقوقه الواجبه و المستحبه،أو ينفقه فى مصارفه اللائقه.و للإنفاق مراتب شتى:

أدناها أن يؤدى الحقوق الواجبه،و أعلاها أن يبذل كلما يزيد عن أقل مراتب الغنى،بحيث لو تعدى عنه يسيرا صار فقيرا.

فصل ذم الغنی

الغنی الحاصل من الحلال،مع بـذل ما یفضل عن أقل مرتبته فی المصارف اللائقه و مساواه وجوده و عـدمه عند صاحبه،سالم من الآفـات و الأخطـار.و غیر ذلـک من أقسـامه لاـ یخلو عن آفه أو خطر،و حبه بعض أفراد حب الـدنیا،بـل هو راجع إلی حب المال بعینه،فیدل علی ذمه ما ورد فی ذمهما.و قد ورد فی ذمه بخصوصه بعض الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَیَطْغیٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنیٰ

(۱)

.

و قیل لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:أیّ أمتک أشر؟قال:

«الأغنیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله لبلال:«ألق اللّه فقیرا، و لا تلقه غنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یدخل فقراء أمتی الجنه قبل أغنیائهم بخمسمائه عام».

و قـال صـلی اللّه علیه و آله: «اطلعت علی الجنه،فرأیت أکثر أهلهـا الفقراء.و اطلعت علی النـار،فرأیت أکثر أهلهـا الأغنیـاء».و فی طریق:«فقلت:أین الأغنیاء؟فقال:حسبهم الجد».

و أوحی اللّه تعالی إلی موسی«یا موسی،إذا رأیت الفقر مقبلا،فقل:

مرحبا بشعار الصالحین،و إذا رأیت الغنی مقبلا،فقل:ذنب عجلت عقوبته».

و روی: «أنه ما من یوم إلا و ملک ینادی من تحت العرش:

یا ابن آدم،قلیل یکفیک خیر من کثیر یطغیک».

و قال عیسی-علیه السلام-: «بشده یدخل الغنی الجنه».

۱- ۱) العلق،الآیه:۶-۷.

وصل الفقر

ضد الغنى(الفقر).و هو فقد ما يحتاج إليه.و لا يسمى فقد ما لا حاجه إليه فقرا.فإن عمم ما يحتاج إليه و لم يخص بالمال،لكان كل موجود ممكن محتاجا،لاحتياجه إلى دوام الوجود و غيره من الحاجات المستفاده من اللّه سبحانه،و انحصر الغنى بواحد واجب لذاته و مفيد لوجود غيره من الموجودات،أعنى اللّه سبحانه.فهو الغنى المطلق،و سائر الأشياء الموجوده فقراء محتاجون.و قد أشير إلى هذا الحصر فى الكتاب الآلهى بقوله تعالى:

وَ اللّٰهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ

(١)

.

و إن خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء،بل من فقد المال الذى هو محتاج إليه كان فقيرا بالإضافه إليه،و الفقر بهذا المعنى هو الذى نريد بيانه هنا.

فصل اختلاف أحوال الفقراء

(الفقير)إما أن يكون راغبا فى المال محبا له،بحيث لو وجد إليه سبيلا لطلبه،و لو بالتعب و المشقه،و إنما ترك طلبه لعجزه منه،و يسمى هذا فقيرا(حريصا).

ص: ٨٠

١- ١) محمد-صلى اللّه عليه و آله-،الآيه:٣٧.

أو يكون وجود المال أحب إليه من عدمه،و لكن لم يبلغ حبه له حدا يبعثه على طلبه،بل إن أتاه بلا طلب أخذه و فرح به،و إن افتقر إلى سعى فى طلبه لم يشتغل به،و يسمى هذا فقيرا(قانعا).

أو يكون بحيث لا يحبه و لا يرغب فيه،و يكره وجوده و يتأذى به، و لو أتاه هرب منه،مبغضا له و محترزا عن شره،و يسمى هذا فقيرا (زاهدا).فإعراضه عنه و عدم سعيه فى محافظته و ضبطه لو وجده، إن كان لخوف العقاب فهو(فقر الخائفين).و إن كان لشوق الثواب فهو(فقر الراجين).و إن كان لعدم التفاته اللازم لإقباله على اللّه تعالى بشراشره من دون غرض دنيوى أو أخروى فهو(فقر العارفين).

أو يكون بحيث لا يحبه حبا يفرح بحصوله و لا يكرهه كراهه يتأذى بها و يزهد فيه،بل يستوى عنده وجوده و عدمه،فلا يفرح بحصوله و لا يتأذى بفقده،بل كان راضيا بالحالتين على السواء،و غنيا عن دخوله و بقائه و خروجه من يده،من غير خوف من الاحتياج إذ فقد،كالحريص و القانع،و لا حذار من شره و إضراره إذا وجد كالزاهد.فمثله لو كانت أموال الدنيا بأسرها فى يده لم تضره،إذ هو يرى الأموال فى خزانه اللّه لا فى يد نفسه،فلا تفريق بين أن تكون فى يده أو فى يد غيره،فيكون بحيث يستوى عنده المال و الهواء المخلوق فى الجو،فكما أن كثره الهواء فى جواره لا يؤذيه،و لا يكون قلبه مشغولا بالفرار عنه و لا يبغضه،بل يستنشق منه بقدر الضروره،و لا يبخل به على أحد،فكذلك كثره المال لا يؤذيه و لا يشغل قلبه،و يرى نفسه و غيره فيه على السواء فى المالكيه.

و مثله ينبغى أن يسمى(مستغنيا راضيا)،لاستغنائه عنه وجودا و عدما،و رضائه بالحالتين من دون تفاوت،و مرتبته فوق الزاهد،إذ غايه درجه الزهد كمال الأبرار،و صاحب هذه المرتبه من المقربين،فالزهد

فى حقه نقصان،إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين.و السر فيه:أن الزاهد كاره للدنيا،فهو مشغول بالدنيا،كما أن الراغب فيها مشغول بها و الشغل بما سوى اللّه حجاب عن اللّه،سواء كان بالحب أو بالبغض.

فكل ما سوى اللّه،كالرقيب الحاضر فى مجلس جمع العاشق و المعشوق.

فكما أن التفات قلب العاشق إلى الرقيب و بغضه و كراهته حضوره نقص فى العشق،فكذلك التفات قلب العبد إلى غير اللّه تعالى و بغضه و كراهته نقصان فى الحب و الأنس،كما أن التفاته بالحب نقص فيهما.إذ كما لا يجتمع فى قلب واحد حبان فى حاله واحده،فكذلك لا يجتمع فيه حب و بغض فى حاله واحده،فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن اللّه كالمشغول بحبها،و إن كان الثانى أسوأ حالا من الآخر.إذ المشغول بحبها غافل فى غفلته،سالك فى طريق البعد،و المشغول ببغضها غافل،و هو فى غفلته سالك فى طريق القرب،فيحتمل زوال غفلته و تبدلها بالشهود،فالكمال مرتقب له،إذ بغض الدنيا مظنه توصل العبد إلى اللّه.

و هرب الأنبياء و الأولياء من المال،و فرارهم عنه،و ترجيحهم فقده على وجوده-كما أشير إليه فى بعض الأخبار و الآثار-:إما نزول منهم إلى درجه الضعفاء ليقتدوا بهم فى الترك،إذ الكمال فى حقهم حب الترك و بغض الوجود،لأن مع وجوده يتعذر فى حقهم استواء وجوده و فقده و كونه عندهم كماء البحر،فلو لم يظهر الأنبياء النفار و الكراهه من المال و يقتدى الضعفاء بهم فى الأخذ لهلكوا.فمثل النبى كمثل المعزم الحاذق، يفر بين يدى أولاده من الحيه،لا لضعفه عن أخذها،بل لعلمه بأنه لو أخذها لأخذها أولاده أيضا إذا رأوها،و هلكوا.فالسير بسيره الضعفاء صفه الأنبياء و الأوصياء.أو غير الهرب و النفار اللازمين للبغض و الكراهه و خوف الاشتغال به،بل كان نفارهم منه كنفارهم من الماء،على معنى

أنهم شربوا منه بقدر حاجتهم،و تركوا الباقى فى الشطوط و الأنهار للمحتاجين،من غير اشتغال قلوبهم بحبه و بغضه.أ لا ترى أنه قد حملت خزائن الأرض إلى رسول اللّه و خلفائه،فأخذوها و وضعوها فى مواضعها، من غير هرب منه و بغض له،و ذلك لاستواء المال و الماء و الحجر و الذهب عندهم.

ثم تسميه صاحب هذه المرتبه بالفقير و المستغنى لا يوجب التنافى، إذ إطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا إليه تعالى فى جميع أموره عامه و فى بقاء استغنائه عن المال خاصه،فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبوديه و أقر بها،فإنه أحق باسم العبد من الغافلين،و إن كان عاما للخلق،ثم كل مرتبه من المراتب المذكوره للفقر،ما عدا الأخيره،أعم من أن يكون بالغا حد الاضطرار،بأن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه،كالجائع الفاقد للخبز و العارى الفاقد للثوب،أم لا.

و أنت،بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعانى المذكوره،لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد فى مدح الفقر-كما يأتى-و بين ما ورد فى ذمه،

كقوله صلى اللّه عليه و آله: «كاد الفقر أن يكون كفرا»،

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «الفقر الموت الأكبر».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال:بالضعف فى يقينه،و النقصان فى عقله،و الرقه فى دينه،و قله الحياء فى وجهه.فنعوذ باللّه من الفقر!».

فصل مراتب الفقر و مدحه

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع إلى الزهد،و بعضها إلى

ما هو فوقه،أعنى الرضى و الاستغناء،و بعضها إلى القناعه،ففضيله هذه المراتب ظاهره،و الأخبار الوارده فى فضيله الزهد و الرضى و القناعه تدل على فضيله المراتب المذكوره من الفقر.و أما المرتبه الأولى المتضمنه للحرص،فهو أيضا لا يخلو عن فضيله بالنظر إلى الغنى المتضمن له و الأخبار الوارده فى مدح الفقر تتناول بعمومها جميع مراتبه،قال اللّه سبحانه:

لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ

(۱)

.

و قال: لِلْفُقَرٰاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ... الآيه (۲).

ساق اللّه سبحانه الكلام فى معرض المدح،و قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجره و الإحصار،و فيه دلاله جليه على مدح الفقر (۳).

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «خير هذه الأمه فقراؤها،و أسرعها تصعدا فى الجنه ضعفاؤها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله: «اللهم أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا،و احشرنى فى زمره المساكين).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن لى حرفتين اثنتين،فمن أحبهما فقد أحبنى،و من أبغضهما فقد أبغضنى:الفقر و الجهاد».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس».

و سئل عن الفقر،فقال:«خزانه من خزائن اللّه»،و سئل عنه ثانيا،فقال:

۱- ۱) الحشر،الآيه:۸.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۷۳.

۳- ۳) قال المحقق(الفيض)فى(إحياء الأحياء):«لا دلاله فى الآيتين على مدح الفقر،و إنما سيقتا لبيان أن مصرف المال إنما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات».

«كرامه من اللّه».و سئل عنه ثالثا،فقال:«شیء لا یعطیه إلا نبیا مرسلا أو مؤمنا کریما علی اللّه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن فی الجنه غرفه من یاقوته حمراء،ینظر إلیها أهل الجنه کما ینظر أهل الأرض إلی نجوم السماء،لا یدخل فیها إلا نبی فقیر أو مؤمن فقیر».

و قال:

«یوم فقراء أمتی یوم القیامه و ثیابهم خضر،و شعورهم منسوجه بالدر و الیاقوت،و بأیدیهم قضبان من نور یخطبون علی المنابر،فیمر علیهم الأنبیاء،فیقولون:هؤلاء من الملائکه،و تقول الملائکه:هؤلاء من الأنبیاء.فیقولون:نحن لا ملائکه و لا أنبیاء!بل من فقراء أمه محمد-صلی اللّه علیه و آله-،فیقولون:بم نلتم هذه الکرامه؟فیقولون:

لم تکن أعمالنا شدیده،و لم نصم الدهر،و لم نقم اللیل،و لکن أقمنا علی الصلوات الخمس،و إذا سمعنا ذکر محمد فاضت دموعنا علی خدودنا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کلمنی ربی فقال:یا محمد،إذا أحببت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه حزینا،و بدنه سقیما،و یده خالیه من حطام الدنیا.و إذا أبغضت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه مسرورا و بدله صحیحا،و یده مملوه من حطام الدنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «الناس کلهم مشتاقون إلی الجنه،و الجنه مشتاقه إلی الفقراء».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «الفقر فخری».

و قال صلی اللّه علیه و آله:

«تحفه المؤمن فی الدنیا الفقر»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یؤتی بالعبد یوم القیامه،فیعتذر اللّه تعالی إلیه کما یعتذر الأخ إلی أخیه فی الدنیا، فیقول:و عزتی و جلالی!ما زویت الدنیا عنک لهوانک علی،و لکن لما أعددت لک من الکرامه و الفضیله.اخرج یا عبدی إلی هذه الصفوف، فمن أطعمک فی أو کساک فی یرید بذلک وجهی،فخذ بیده فهو لک و الناس یومئذ قد ألجمهم العرق.فیتخلل الصفوف.و ینظر من فعل ذلک

به،و يدخله الجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أكثروا معرفه الفقراء و اتخذوا عندهم الأيادى،فإن لهم دوله»،قالوا:يا رسول اللّه، و ما دولتهم؟قال:«إذا كان يوم القيامه،قيل لهم:انظروا إلى من أطعمكم كسره أو سقاكم شربه أو كساكم ثوبا،فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أ لا أخبركم بملوك أهل الجنه؟ قالوا:بلى يا رسول اللّه!قال:كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على اللّه لأبره».

و دخل-صلى اللّه عليه و آله-على رجل فقير،و لم ير له شيئا،فقال:«لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا أبغض الناس فقراءهم،و أظهروا عماره الدنيا،و تكالبوا على جمع الدراهم و الدنانير،رماهم اللّه بأربع خصال:بالقحط من الزمان، و الجور من السلطان،و الجنايه من ولاه الحكام،و الشوكه من الأعداء» (1).

و ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام: «إن اللّه تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه،فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه.قيل:و ما اقتناه؟قال:

لم يترک له أهلا و لا مالا».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكل الرزق بالحمق،و وكل الحرمان بالعقل،و وكل البلاء بالصبر»

و قال الباقر عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه،أمر اللّه تعالى مناديا ينادى بين يديه:أين الفقراء؟فيقوم عنق من الناس كثير،فيقول:عبادى! فيقولون:لبيك ربنا!فيقول:إنى لم أفقركم لهون بكم على،و لكن إنما اخترتكم لمثل هذا اليوم.تصفحوا وجوه الناس،فمن صنع إليكم معروفا

1- 1) هذه الأخبار كلها عاميه،فصححناها على(إحياء العلوم)،و(إحياء الأحياء).

لم يصنعه إلا فی فکافوه عنی بالجنه».

و قال الصادق علیه السلام: «لو لا إلحاح المؤمنین علی اللّه فی طلب الرزق،لنقلهم من الحال التی هم فیها إلی حال أضیق منها».

و قال علیه السلام: «لیس لمصاص (۱)شیعتنا فی دوله الباطل إلا القوت،شرقوا إن شئتم أو غربوا،لن ترزقوا إلا القوت».

و قال علیه السلام: «ما کان من ولد آدم مؤمن إلا فقیرا و لا کافر إلا غنیا،حتی جاء إبراهیم علیه السلام،فقال:

رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا

(۲)

.

فصیر اللّه فی هؤلاء أموالا و حاجه».

و قال-علیه السلام-: «إن فقراء المؤمنین یتقلبون فی ریاض الجنه قبل أغنیائهم بأربعین خریفا»، ثم قال:«سأضرب لک مثل ذلک:إنما مثل ذلک مثل سفینتین مر بهما علی عاشر،فنظر فی أحداهما فلم یر فیها شیئا،فقال:اسربوها.و نظر فی الأخری،فإذا هی موقره،فقال:احبسوها». و فی بعض الأخبار فسر الخریف بألف عام،و العام بألف سنه.و علی هذا،فیکون المراد من أربعین خریفا أربعین ألف ألف عام.

و قال الصادق علیه السلام:

«المصائب منح من اللّه،و الفقر مخزون عند اللّه»: أی المصائب عطایا من اللّه یعطیها عباده،و الفقر من جملتها مخزون عنده عزیز لا یعطیه إلا من خصه بمزید العنایه.

و قال علیه السلام: «إن اللّه عزّ و جل یلتفت یوم القیامه إلی فقراء المؤمنین شبیها بالمعتذر إلیهم،فیقول:و عزتی و جلالی! ما أفقرتکم فی الدنیا من هوان بکم علی،و لترون ما أصنع بکم الیوم، فمن زود منکم فی دار الدنیا معروفا فخذوا بیده فأدخلوه الجنه»،قال

۱- ۱) المصاص:خالص کل شیء.قاله الجوهری.

۲- ۲) الممتحنه،الآیه:۵.

«فیقول رجل منهم:یا رب،إن أهل الدنیا تنافسوا فی دنیاهم،فنکحوا النساء،و لبسوا الثیاب اللینه،و أکلوا الطعام،و سکنوا الدور،و رکبوا المشهور من الدواب.فأعطنی مثل ما أعطیتهم.فیقول تبارک و تعالی:

لک و لکل عبد منکم مثل ما أعطیت أهل الدنیا منذ کانت الدنیا إلی أن انقضت الدنیا سبعون ضعفا».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه جل ثناؤه لیعتذر إلی عبده المؤمن المحوج فی الدنیا کما یعتذر الأخ إلی أخیه، فیقول:و عزتی و جلالی!ما أحوجتک فی الدنیا من هوان کان بک علی فارفع هذا السجف،فانظر إلی ما عوضتک من الدنیا.قال:فیرفع، فیقول:ما ضرنی ما منعتنی ما عوضتنی».

و قال علیه السلام: «إذا کان یوم القیامه قام عنق من الناس حتی یأتوا باب الجنه،فیضربوا باب الجنه فیقال لهم:من أنتم؟فیقولون:نحن الفقراء،فیقال لهم:أقبلوا الحساب فیقولون:ما أعطیتمونا شیئا تحاسبونا علیه،فیقول اللّه عز و جل:

صدقوا،ادخلوا الجنه».

و قال-لبعض أصحابه: «أ ما تدخل للسوق؟ أ ما تری الفاکهه تباع و الشیء مما تشتهیه؟فقلت:بلی!فقال:أما إن لک بکل ما تراه فلا تقدر علی شراه حسنه».

و قال الکاظم علیه السلام:

«إن اللّه عز و جل یقول:إنی لم أغن الغنی لکرامه به علی،و لم أفقر الفقیر لهوان به علی،و هو مما ابتلیت به الأغنیاء بالفقراء،و لو لا الفقراء لم یستوجب الأغنیاء الجنه» (۱).

و قال-علیه السلام-: «إن الأنبیاء و أولاد الأنبیاء و أتباع الأنبیاء خصوا بثلاث خصال:السقم فی الأبدان و خوف السلطان،و الفقر».

و قال الرضا-علیه السلام-: «من لقی

---

۱ – ۱) صححنا أغلب الأحادیث المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-فی هذا الفصل علی(الکافی):باب الفقر.و علی(سفینه البحار)۲-۳۷۷.و علی (إحیاء الأحیاء):کتاب الفقر.

فقيرا مسلما و سلم عليه خلاف سلامه على الغنى،لقى اللّه يوم القيامه و هو عليه غضبان».

و قال عليه السلام: «الفقر شين عند الناس و زين عند اللّه يوم القيامه»

و قال موسى-عليه السلام-فى بعض مناجاته: «إلهى من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟فقال:كل فقير»

و قال عيسى-عليه السلام-: «إن أحب الأسامى إلى أن يقال:يا مسكين» و قال بعض الصحابه:«ملعون من أكرم الغنى و أهان الفقير».

و قال لقمان لابنه:«لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه،فإن ربك و ربه واحد».

و مما يدل على فضيله الفقر،إذا كان مع الرضى أو القناعه أو الصبر أو الصدق أو الستر،

قوله صلى اللّه عليه و آله :«يا معشر الفقراء:

أعطوا اللّه الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم،فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «إن أحب العباد إلى اللّه الفقير القانع برزقه الراضى عن اللّه تعالى».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا»،

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «يقول اللّه تعالى يوم القيامه:أين صفوتى من خلقى؟ فتقول الملائكه:من هم يا ربنا؟فيقول:فقراء المسلمين القانعين بعطائى الراضين بقدرى،أدخلوهم الجنه.فيدخلونها،و يأكلون و يشربون،و الناس فى الحساب يترددون».

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «ما من أحد،غنى و لا فقير،إلا ود يوم القيامه أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا»

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «طوبى للمساكين بالصبر!و هم الذين يرون ملكوت السماوات و الأرض».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «من جاع أو احتاج،فكتمه عن الناس و أفشاه إلى اللّه تعالى،كان حقا على اللّه أن يرزقه رزق السنه من الحلال».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن لكل شىء مفتاحا،و مفتاح الجنه حب المساكين و الفقراء الصابرين

و هم جلساء اللّه يوم القيامه».

و ما روى: «أن اللّه أوحى إلى إسماعيل -عليه السلام-:اطلبنى عند المنكسره قلوبهم من أجلى.قال:و من هم؟قال:الفقراء الصادقون».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- لأمير المؤمنين عليه السلام:«يا على،إن اللّه جعل الفقر أمانه عند خلقه، فمن ستره أعطاه اللّه تعالى مثل أجر الصائم القائم،و من أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله أما إنه ما قتله بسيف و لا رمح و لكنه قتله بما نكأ من قلبه».

ثم لا ريب فى أن كل من لم يجد القوت من التعفف و ستر احتياجه هذا و صبر و رضى يكون داخلا تحت هذه الأخبار و تثبت له الفضيله التى وردت فيها،و لا ريب فى أن هذه صفه لا توجد فى ألف ألف واحد.

و أما الفقير الحريص الذى يظهر فقره و يجزع معه،فظاهر بعض الأخبار و إن تناوله،إلا أن الظاهر خروجه منها كما أومأت إليه بعض الأخبار المذكوره و إن كان أحسن حالا من الغنى الذى مثله فى الحرص.

فصل (الموازنه بين الفقر و الغنى)

لا ريب فى أن الفقر مع الصبر و القناعه و قصد الفراغ أفضل من الغنى مع الحرص و الإمساك،كما لا ريب فى أن الغنى مع الإنفاق و قصد الاستعانه على العباده أفضل من الفقر مع الحرص و الجزع،

و إنما وقع الشك فى الترجيح بين الفقر و الغنى فى مواضع:

(الأول)فى الترجيح بين الفقر مع الصبر و القناعه،و الغنى مع الإنفاق،و قصد الاستعانه على العباده،

فقال قوم إن الأول أفضل،

لما

روى: «أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال لأصحابه:أى الناس خير؟فقالوا:موسر من المال يعطى حق اللّه تعالى من نفسه و ماله،فقال نعم الرجل هذا و ليس به المراد،قالوا فمن خير الناس يا رسول اللّه؟ فقال:فقير يعطى جهده»،

و ما روى: «أن الفقراء بعثوا رسولا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال:إنى رسول الفقراء إليك،فقال:

مرحبا بك و بمن جئت من عندهم،جئت من عند قوم أحبهم،فقال:

قالوا إن الأغنياء ذهبوا بالجنه يحجون و لا نقدر عليه،و يعتمرون و لا نقدر عليه،و إذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيره لهم،فقال النبى صلى اللّه عليه و آله:بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر و احتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء:أما (الأولى)فإن فى الجنه غرفا ينظر إليها أهل الجنه كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء،لا يدخلها الا نبى فقير،أو شهيد فقير،أو مؤمن فقير، (و الثانيه)يدخل الفقراء الجنه قبل الأغنياء بنصف يوم و هو خمسمائه عام. (و الثالثه)إذا قال الغنى: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر ،و قال الفقير مثل ذلك،لم يلحق الغنى بالفقير و إن انفق فيها عشره آلاف درهم،و كذلك أعمال البر كلها،فرجع إليهم،فقالوا رضينا».

و قال آخرون:الثانى أفضل،لأن الغنى من صفات الربوبيه، و الفقر من لوازم العبوديه،و وصف الحق أفضل من وصف العبد.

(و أجيب عنه)بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالأسباب و الأغراض و غنى العبد بهما،إذ هو غنى بوجود المال و مفتقر إلى بقائه،فأنى يكون الغنى الذى يتصف العبد به من أوصاف الربوبيه،نعم الغنى الاستغناء من وجود المال و عدمه جميعا بأن يستوى كلاهما عنده يشبه أوصاف الحق،إلا أنك قد عرفت أنه نوع من الفقر،و بأن التكبر من أوصاف الربوبيه،

فينبغى أن يكون أفضل من التواضع،مع أن الأمر ليس كذلك،بل الحق أن الأفضل للعبد إنما هو صفات العبوديه كالخوف و الرجاء،إذ صفات الربوبيه لا ينبغى أن ينازع فيها،

و لذلك قال اللّه سبحانه: «و العظمه إزارى،و الكبرياء ردائى،فمن نازعنى فيهما قصمته». و على هذا فالفقر أفضل من الغنى.

و الحق أن ترجيح واحد من صفات الربوبيه و صفات العبوديه على الآخر للعبد على الإطلاق غير صحيح،إذ كما ينتقض ترجيح الأولى على الثانيه بالتكبير ينتقض العكس بالعلم و المعرفه و الجهل و الغفله،فإن العلم من صفات الربوبيه،و الجهل من صفات العبوديه،مع أن الأول أفضل من الثانى ضروره.

و الحق أن الأفضل من الفقر و الغنى ما لا يشغل العبد عن اللّه،فإن كان الفقر يشغله فالغنى أولى به،و إن كان الغنى يشغله عن اللّه فالفقر أولى به،و ذلك لأن الغنى ليس محذورا بعينه،بل لكونه عائقا عن الوصول إلى اللّه،و الفقر ليس مطلوبا لذاته،بل لعدم كونه عائقا عن اللّه،و ليس مانعيه الأول و عدم مانعيه الثانى كليا،إذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد و كم من غنى لا يصرفه الغنى عنه،إذ الشاغل ليس إلا حب الدنيا لمضادته حب اللّه تعالى،و المحب للشىء مشغول به،سواء كان فى وصاله أو فى فراقه. فإذن فضل الفقير و الغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال وجودا و عدما، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما.و إن تفاوتا فيه فأيهما أقل تعلقا درجته أعلى و أفضل،بل مع وجود تعلق لهما و تساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجه من المال أفضل من فقده،إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفه و الطاعه،و مع عدم تعلق قلبهما أصلا بحيث يستوى عندهما وجود المال و عدمه كان المال عندهما كهواء الجو و ماء البحر-و بالجمله حصلت

لهما المرتبه الأخيره من الفقر،أعنى الاستغناء و الرضا-كان الواجد أفضل من الفاقد،لاستوائهما فى عدم الالتفات إليه،و مزيه الواجد باستفاده أدعيه الفقراء و المساكين.

ثم الحكم بانقطاع القلب رأسا عن المال وجودا و عدما إنما يتصور فى الشاذ النادر الذى لا يسمح الدهر بمثله إلا بعد أزمنه متطاوله،و قلوب جل الناس غير خاليه عن حب المال و التعلق به.فتفصيل القول بأفضليه من هو أقل تعلقا بالمال،و استواء درجتهما مع استوائهما فى التعلق،و مزيه الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكليه عنه مزله الأقدام و موضع الغرور، إذ الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال و يكون حبه دفينا فى باطنه و هو لا يشعر به،و إنما يشعر به إذا فقده،فما عدا الأنبياء و الأولياء و شرذمه قليله من أكابر الأتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الدنيا إذا جربوا أنفسهم بإخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون و ليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا،و إذا كان ذلك محالا أو بعيدا فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافه الناس و أفضل،لأنه عن الخطر أبعد،إذ فتنه السراء من فتنه الضراء أشد،و علاقه الفقير و أنسه بالدنيا غالبا أضعف،و بقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره و عبادته،إذ حركات اللسان و الجوارح ليست مراده لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور و تأثيرها فى إثاره الأنس فى قلب فارغ عن غير المذكور أشد من تأثيرها فى قلب مشغول،و لهذا وردت الأخبار مطلقه فى فضل الفقر على الغنى،و فى فضل الفقراء على الأغنياء.

(الثانى)فى الترجيح بين الفقر مع الحرص و الجزع،و الغنى مع الحرص و الإمساك.

و التحقيق فيه أن مطلوب الفقير إن كان ما لا بد منه فى المعيشه و كان حرصه فى تحصيل هذا القدر دون الزائد منه و كان قصده

ص:٩٣

الاستعانه به على الدين،و كذا كان حرص الغنى و إمساكه فى هذا القدر بهذا القصد،فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لاضطراره فى طلب القوت،و هو أولى بالتفضيل إذا كان قصد الغنى ذلك و كان مطلوب الفقير فوق الحاجه،أو قدر الحاجه،أو قدر الحاجه بدون قصد الاستعانه به إلى أمر الدين.و إن كان مطلوب كل منها فوق الحاجه أو لم يكن قصدهما الاستعانه به على أمر الدين،فالفقد أصلح و أفضل، لأنهما استويا فى الحرص و حب المال،و فى عدم قصد الاستعانه به على الدين،لكنهما افترقا فى أن الواجد يتأكد حب الدنيا فى قلبه،و يطمئن إليها لأنسه بها،و الفاقد يتجافى قلبه عنها اضطرارا،أو تكون الدنيا عنده كالسجن الذى يطلب الخلاص منه.و هو أولى و أحرى بالتفضيل،إذا كان قصد الفقير ذلك و كان قصد الغنى فوق الحاجه،أو قدر الحاجه بدون الاستعانه به على أمر الدين.

(الثالث)فى الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه،و غنى هو دونه فى الحرص

على حفظ المال،و تفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده،و الظاهر حينئذ كون الفقير أسوأ حالا،إذ البعد عن اللّه بقدر قوه التفجع بفقد المال،و القرب بقدر ضعف التفجع به.

فصل ما ينبغى للفقير

ينبغى للفقير ألا-يكون كارها للفقر من حيث إنه فعل اللّه و من حيث إنه فقر،بل يكون راضيا به طالبا له فرحانا به لعلمه بغوائل الغنى،و أن

يكون متوكلا فى باطنه على اللّه،واثقا به فى إتيان قدر ضرورته،و يكون قانعا به،كارها للزياده عليه،منقطع الطمع عن الخلق،غير ملتفت إلى ما فى أيديهم،و غير حريص على اكتساب المال كيف كان،و أن يكون صابرا شاكرا على فقره،

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه عقوبات بالفقر،و مثوبات بالفقر،فمن علامات الفقر إذا كان مثوبه أن يحسن عليه خلقه،و يطيع به ربه،و لا يشكو حاله،و يشكر اللّه تعالى على فقره و من علاماته إذا كان عقوبه أن يسوء عليه خلقه،و يعصى ربه بترك طاعته و يكثر الشكايه،و يتسخط بالقضاء»، و هذا يدل على أن كل فقير ليس مثابا على فقره،بل من يرضى بفقره،و يفرح به،و يقنع بالكفاف، و يقصر الأمل،و إن لم يرض به و تشوف إلى الكثره و طول الأمل،و فاته عز القناعه،و تدنس بذل الحرص و الطمع،و جره الحرص و الطمع إلى مساوى الأخلاق،و ارتكاب المنكرات الخارقه للمروات حبط أجره و كان آثما قلبه.

و ينبغى أن يظهر التعفف و يستر الفقر و يستر،أنّه يستر و ألا يخالط الأغنياء، و لا يرغب فى مجالستهم،و لا يتواضع لهم لأجل غناهم بل يتكبر عليهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبه فى ثواب اللّه،و أحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقه باللّه» ،و ألا يسكت عن ذكر الحق مداهنه للأغنياء،و طمعا بما فى أيديهم،و لا يفتر بسبب فقره عن عباده اللّه،و يبذل قليل ما يفضل عنه،فإن ذلك جهد المقل، و فضله أكثر من أموال كثيره يبذلها الغنى،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «درهم من الصدقه أفضل عند اللّه من مائه ألف دينار،قيل و كيف ذلك يا رسول اللّه؟قال:أخرج رجل من عرض ماله مائه ألف دينار يتصدق بها،و أخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما

ص :٩٥

طيبه به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائه ألف دينار» و ينبغى ألا يدخر أزيد من قدر الحاجه،فإن لم يدخر أكثر من قوت يومه و ليلته فهو من الصديقين،و إن لم يدخر أكثر من قوت أربعين يوما كان من المتقين،و إن لم يدخر أكثر من قوت سنه-و هو الفضل المشترك بين الفقر و الغنى-كان من الصالحين،و لو زاد عليه خرج عن زمره الفقراء.

فصل وظيفه الفقراء

ما يعطى الفقير بغير سؤاله:إن كان(حراما أو شبهه)وجب عليه رده و الاجتناب عنه،و إن كان(حلالا)،فإن كان(هديه)استحب قبوله تأسيا برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إن لم تكن فيه منه،و لو كانت فيه منه فالأولى تركه.و كان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئا يقول له اتركه عندك،و انظر إن كنت أنا بعد قبوله فى قلبك أفضل منى قبل القبول فأخبرنى حتى آخذه و إلا فلا،و علامه ذلك أن يشق على المعطى رده، و يفرح بالقبول،و يرى المنه على نفسه فى قبوله،و إن كان(صدقه أو زكاه)أو غير ذلك مما يكون للثواب المحض،فينبغى أن ينظر فى استحقاقه لذلك،فإن كان من أهله قبله و إلا رده،و إن كان المعطى أعطاه لوصف يعلمه فيه كعلم أو ورع أو كونه علويا،و لو لم يكن له هذا الاختصاص لنفر طبعه،و لما تقرب إلى اللّه بإعطائه،و لم يكن هو باطنا كذلك فأخذه حرام،و إن لم يكن هديه و لا صدقه بل أعطاه للشهره و الرياء و السمعه فينبغى أن يرد عليه و لا يقبله،و إلا كان معينا له على غرضه الفاسد،و الإعانه على الإثم إثم.

فصل موارد قبول العطاء و ردها

ما يعطى الفقير إن كان محتاجا إليه و لم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ إذا سلم من الآفات المذكوره،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما المعطى من سعه بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا»،

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من أتاه شيء من هذا المال من غير مسأله و لا استشراف فإنما هو رزق ساقه اللّه إليه فلا يرده»، و إن كان زائدا على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالبا طريق الآخره، إذ الزياده على قدر الحاجه إنما يأتيك ابتلاء و فتنه لينظر اللّه إليك ما ذا تعمل فيه،و قدر الحاجه يأتيك رفقا بك،فأنت في أخذ قدر الحاجه مثاب،و فيما زاد عليه إما عاص أو متعرض للحساب،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث:طعام يقيم صلبه،و ثوب يوارى عورته،و بيت يسكنه،فما زاد فهو حساب»، فلا ينبغى لطالب السعاده أن يأخذ الأزيد من قدر الحاجه،إذ النفس إذا رخصت في نقض العزم و العهد ألفت به،و ردها بعد الألف و العاده مشكل.

و الحاصل أن أخذ قدر الحاجه راجع لكونه مما لا بد منه،و إيجابه ثواب المعطى،و لذلك

لما أمر موسى بن عمران عليه السلام بأن يفطر عند بنى إسرائيل قال:إلهى ما بالى فرقت رزقى على أيدى بنى إسرائيل يغدينى هذا يوما و يعشينى هذا ليله،فأوحى اللّه إليه:«هكذا أصنع بأوليائى أجرى أرزاقهم على أيدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم». فلا ينبغى أن يرى المعطى إلا من حيث إنه مسخر مأجور.

و أما أخذ الزياده على قدر الحاجه فليس مما ينبغى،من كان حاله التكفل بأمور الفقراء و الإنفاق عليهم،لما فى طبعه من البذل و السخاء، و الرفق و العطاء،فيجوز له أخذ الزياده ليبذلها على المستحقين،و لكن يلزم أن يبادر إلى الصرف إليهم و لا ينبغى أن يدخر،إذ فى إمساكه و لو فى يوم واحد أو ليله واحده فتنه و اختبار،فربما مالت النفس إلى الإمساك و يصير وبالا عليها،و قد نقل أن جماعه تصدوا لخدمه الفقراء و التكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأماره بإعانه الشيطان فاتخذوها وسيله إلى التوسع فى المال،و التنعم فى المطعم و المشرب،و انجر أمرهم إلى الهلاك.

فصل لا يجوز السؤال من غير حاجه

ينبغى للمؤمن ألا يسأل الناس من غير حاجه اضطر إليها،بل يستعف عن السؤال ما استطاع،لأنه فقر معجل،و حساب طويل يوم القيامه و الأصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من اللّه،و إذلال السائل نفسه عند غير اللّه،و إيذاء المسئول غالبا،إذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب،و بعد السؤال ألجأه الحياء أو الرياء إليه،و معلوم أن الإعطاء استحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه إلى البخل لا يكون له حليه شرعا.

و لتضمنه هذه المفاسد ورد فى الشريعه المنع منه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «مسأله الناس من الفواحش»،

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من سأل عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، و من سأل و له ما يغنيه جاء يوم القيامه و وجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم»

ص: ۹۸

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من سأل الناس و عنده قوت ثلاثه أيام لقى اللّه يوم يلقاه و ليس على وجهه لحم»

(۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ما من عبد فتح على نفسه بابا من المسأله إلا فتح اللّه عليه سبعين بابا من الفقر».

و قال: «إن المسأله لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفظع»

و قال: «السؤال عن ظهر غنى صداع فى الرأس،و داء فى البطن».

و قال: «من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما هى جمره فليستقل منه أو ليستكثر».

و روى: «أنه جاءت فخذ من الأنصار إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-فسلموا عليه فرد عليهم السلام،فقالوا يا رسول اللّه إن لنا إليك حاجه فقال:(هاتوا حاجتكم)فقالوا إنها حاجه عظيمه فقال:

(هاتوها ما هى)قالوا:تضمن لنا على ربك الجنه،فنكس رأسه،ثم نكت (۲)فى الأرض،ثم رفع رأسه فقال:(أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحدا شيئا)،فكان الرجل منهم يكون فى السفر فيسقط سوطه،فيكره أن يقول لإنسان ناولنيه فرارا من المسأله و ينزل فيأخذه،و يكون على المائده و يكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه فلا يقول ناولنى حتى يقوم فيشرب» (۳)

و بايع صلى اللّه عليه و آله قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع و الطاعه،ثم قال لهم خفيه:«لا تسألوا الناس شيئا»،فكان بعد ذلك تقع المحفره من يد أحدهم فينزل لها و لا يقول لأحد ناولنيها.و كان

۱- ۱) روى هذا الحديث عينه عن الصادق-عليه السلام-(الوسائل كتاب الزكاه أبواب الصدقه الباب ۳۲ الحديث ۵).

۲- ۲) نكت الأرض بقضيب أو بإصبعه:ضربها به حال التفكر فأكثر فيها.

۳- ۳) صححنا الحديث على الوسائل(كتاب الزكاه ابواب الصدقه الباب ۳۳ الحديث ۴)و هو يرويه عن الكافى.

صلى اللّه عليه و آله يأمر غالبا بالتعفف عن السؤال،و يقول:«من سألنا أعطيناه،و من استغنى أغناه اللّه،و من لم يسألنا فهو أحب إلينا»

و قال:

«و ما قل من السؤال فهو خير»قالوا:و منک يا رسول اللّه؟قال:

«و منی»:«لو أن أحدكم أخذ حبلا فيأتی بحزمه حطب على ظهره فيبيعها و يكف بها وجهه،خير من أن يسأل».

و قال سيد الساجدين عليه السلام: «ضمنت على ربی أنه لا يسأل أحد أحدا من غير حاجه إلا اضطرته المسأله يوما إلى أن يسأل من حاجه»

و نظر عليه السلام يوم عرفه إلى رجال و نساء يسألون،فقال«هؤلاء شرار خلق اللّه،الناس مقبلون على اللّه و هم مقبلون على الناس».

و قال الباقر عليه السلام: «أقسم باللّه و هو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسأله إلا فتح اللّه عليه باب فقر»،

و قال الصادق عليه السلام: «طلب الحوائج إلى الناس استلاب (۱)للعز و مذهبه للحياء،و اليأس مما فی أيدی الناس عز للمؤمن فی دينه،و الطمع هو الفقر الحاضر».

و قال الصادق عليه السلام: «لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحدا،و لو يعلم المسئول ما عليه إذا منع ما منع أحد أحدا».

و قال: «من سأل من غير حاجه فكأنما يأكل الجمر».

ثم المنع و التحريم إنما هو فی السؤال بدون الاضطرار،و أما مع الحاجه و الاضطرار فلا ريب فی جوازه،و قد وردت به الرخصه،قال اللّه سبحانه:

وَ أَمَّا السّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ

(۲)

.

۱- ۱) الاستلاب بمعنى السلب،و هو من باب الافتعال.

٢- ٢) الضحى،الآيه:١٠.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «لا تردوا السائل و لو بشق تمره»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لو لا أن السائل يكذب ما قدس من رده»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «للسائل حق و إن جاء على الفرس»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا تردوا السائل و لو بظلف محترق»

(۱)

.و لو كان السؤال مطلقا حراما لما أجاز اللّه و رسوله إعانه العاصى على معصيته.

ثم الحاجه المجوزه للسؤال:ما بلغت حد الاضطرار،كسؤال الجائع الخائف على نفسه بالموت أو المرض لو لم يصل إليه قوت،و سؤال العارى الذى بدنه مكشوف و يخاف من الحر و البرد-أو لم تبلغ إليه،و هى إما حاجه(مهمه)كالاحتياج إلى الجبه فى الشتاء بحيث لولاها لتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهى إلى حد الضروره،و الاحتياج إلى الكرى مع القدره على المشى مع المشقه،أو حاجه(خفيفه)كالاحتياج إلى الإدام مع وجود الخبز-فالظاهر جواز السؤال فى جميع ذلك(مع رجحانه فى الأول، و إباحته فى الثانى،و مرجوحيته فى الثالث)،بشرط إخلائه عن المحذورات المذكوره،أعنى الشكوى و الذل و الإيذاء،و تندفع هذه المحذورات بأن يظهر حاجته تعريضا بعد تقديم الشكر للّه،و إظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الأصدقاء أو الأسخياء،إذ السؤال من الصديق لا يوجب الإذلال و السخى لا يتأذى بالسؤال بل يفرح به.

ثم ما ذكر إنما هو فى السؤال للاحتياج إليه بعد النسبه لما يحتاج إليه فى الحال،و أما السؤال لما يحتاج إليه فى الاستقبال،فإن كان يحتاج إليه بعد السنه فهو حرام قطعا،و إن كان يحتاج إليه قبلها،سواء كان بعد

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث هنا على ما فى سفينه البحار الجزء الأول ص ۵۸۵ و كتاب الزكاه من الوسائل أبواب الصدقه باب ۳۳-۳۷ و إحياء الأحياء فى كتاب الفقر.

أربعين يوما من يومه أو خمسين أو أقل أو أكثر،فإن أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجه فلا يحل له السؤال،و إن علم بأنه لا يتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهه و المرجوحيه،و كلما كان تراخى الحاجه عن يومه أكثر كانت الكراهه أشد.ثم معرفه درجات الحاجه و ضعفها و شدتها و الوقت الذى يحتاج فيه موكول إلى العبد و منوط باجتهاده و نظره لنفسه بينه و بين اللّه،فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخره،و كلما كان يقينه أقوى،و ثقته بمجىء الرزق أتم،و قناعته بقوت الوقت أظهر،فدرجته عند اللّه أعلى.

فيا حبيبى،لا تهبط نفسك من أوج التوكل و الاعتماد على اللّه إلى حضيض الخوف و الاضطراب فى مجىء رزقك،و لا تصغ إلى تخويف الشيطان،فإنه يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء،و كن مطمئنا بوعد ربك إذ قال:

وَ اللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً

(۱)

.

و اسمع

قول نبيك-صلى اللّه عليه و آله-حيث قال: «لو توكلتم على اللّه حق توكله،لرزقتم كما ترزق الطيور،تغدوا خماصا و تروح بطانا».

و منها:

اشاره

الحرص

و هو معنى راتب فى النفس،باعث على جميع ما لا يحتاج إليه و لا يفيده من الأموال،من دون أن ينتهى إلى حد يكتفى به،و هو أقوى شعب

ص:۱۰۲

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۶۸.

حب الدنيا و أشهر أنواعه.و لا ريب فى كونه ملكه مهلكه و صفه مضله بل باديه مظلمه الأرجاء و الأطراف،و هاويه غير متناهيه الأعماق و الأكناف من وقع فيها ضل و باد،و من سقط فيها هلك و ما عاد.و التجربه و الاعتبار و الأخبار و الآثار متظاهره على أن الحريص لا ينتهى إلى حد يقف دونه، بل لا يزال يخوض فى غمرات الدنيا إلى أن يغرق،و تطرحه أرض إلى أرض حتى يهلك.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب،لابتغى وراءهما ثالثا،و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب،و يتوب اللّه على من تاب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«منهومان لا يشبعان:منهوم العلم،و منهوم المال».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان:الحرص،و طول الأمل»

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دوده القز،كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج،حتى تموت غما».

و قال الصادق عليه السلام: «إن فيما نزل به الوحى من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهبا و فضه لابتغى لهما ثالثا.يا ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور و وارد من الأوديه،لا يملأه شىء إلا التراب» و قال بعض الأكابر:«من عجيب أمر الإنسان،أنه لو نودى بدوام البقاء فى أيام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مده التمتع و توقع الزوال».ثم ما ورد من الأخبار فى ذمه أكثر من أن تحصى،و لا حاجه إلى إيرادها لاشتهارها.

و قال الباقر-عليه السلام-: «رب حريص على أمر قد شقى به حين أتاه، و رب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه». و أى خسران أشد من أن يسعى الإنسان فى طلب به هلاكه؟و أى تأمل فى أن كلما يحرص عليه الإنسان من أموال الدنيا يكون مهلكا له؟!

وصل القناعه

ضد الحرص(القناعه).و هی ملکه للنفس:توجب الاکتفاء بقدر الحاجه و الضروره من المال،من دون سعی و تعب فی طلب الزائد عنه،و هی صفه فاضله یتوقف علیها کسب سائر الفضائل،و عدمها یؤدی بالعبد إلی مساوئ الأخلاق و الرذائل،و هی المظنه للوصول إلی المقصد و أعظم الوسائل لتحصیل سعاده الأبد،إذ من قنع بقدر الضروره من المطعم و الملبس،و یقتصر علی أقله قدرا أو أخسه نوعا،و یرد أمله إلی یومه أو إلی شهره،و لا یشغل قلبه بالزائد عن ذلک،کان فارغ البال مجتمع الهم،فیتمکن من الاشتغال بأمر الدین و سلوک طریق الآخره، و من فاتته القناعه،و تدنس بالحرص و الطمع و طول الأمل،و خاض فی غمرات الدنیا،تفرق قلبه و تشتت أمره.فکیف یمکنه التشمر لتحصیل أمر الدین و الوصول إلی درجات المتقین؟و لذلک ورد فی مدح القناعه ما ورد من الأخبار،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «طوبی لمن هدی للإسلام،و کان عیشه کفافا به!»

. و قال: «ما من أحد،من غنی و لا فقیر،إلا ود یوم القیامه أنه کان أوتی قوتا فی الدنیا».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «أیها الناس،أجملوا فی الطلب،فإنه لیس للعبد إلا ما کتب له فی الدنیا،و لن یذهب عبد من الدنیا حتی یأتیه ما کتب له فی الدنیا و هی راغمه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «نفث روح القدس فی روعی:أنه لن تموت نفس حتی تستکمل رزقها.فاتقوا اللّه و أجملوا فی الطلب».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «کن ورعا تکن أعبد الناس

ص: ۱۰۴

و كن قانعا تكن أشكر الناس،و أحب للنّاس ما تحب لنفسک تکن مؤمنا»

و فی الخبر القدسی: «یا ابن آدم،لو کانت الدنیا کلها لک لم یکن لک منها إلا القوت،فإذا أنا أعطیتک منها القوت و جعلت حسابها علی غیرک فأنا إلیک محسن».

و روی: «أن موسی سأل ربه تعالی،و قال:أی عبادک أغنی؟قال:أقنعهم لما أعطیته».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام «ابن آدم،إن کنت ترید من الدنیا ما یکفیک،فإن أیسر ما فیها یکفیک و إن کنت إنما ترید ما لا یکفیک،فإن کل ما فیها لا یکفیک».

و قال أبو جعفر الباقر علیه السلام: «إیاک أن تطمح بصرک إلی من هو فوقک فکفی بما قال اللّه عز و جل لنبیه-صلی اللّه علیه و آله-:

فَلاٰ تُعْجِبْکَ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ

(۱)

.و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا

(۲)

.

فإن دخلک من ذلک شیء،فاذکر عیش رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فإنما کان قوته الشعیر-و حلواه التمر،و وقوده السعف إذا وجده» (۳)

و قال: «من قنع بما رزقه اللّه فهو من أغنی الناس.

و قال

۱- ۱) التوبه،الآیه.۵۶.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۳۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث و ما قبله علی ما فی(الکافی):باب القناعه،و کذا الحدیثین المذکورین بعده.إلا أن هذا الحدیث مروی

فی(الکافی)عن أبی جعفر -علیه السلام-و روی فی(الوسائل)عن کتاب الزهد،فی أبواب جهاد النفس من کتاب الجهاد:الباب ۶۱ الحدیث ۱۱،ما یقرب من عباره هذا الحدیث عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-.

الصادق عليه السلام: «من رضی من اللّه باليسير من المعاش رضی اللّه عنه باليسير من العمل».

و قال: «مكتوب فی التوراه:ابن آدم،كن كيف شئت كما تدين تدان،من رضی من اللّه بالقليل من الرزق قبل اللّه منه اليسير من العمل،و من رضی باليسير من الحلال خفت مؤنته و زكت مكسبته و خرج من حد الفجور».

و قال: «إن اللّه عز و جل يقول:

يحزن عبدی المؤمن إن قترت عليه،و ذلك أقرب له منی،و يفرح عبدی المؤمن إن وسعت عليه،و ذلك أبعد له منی».

و قال: «كلما ازداد العبد إيمانا ازداد ضيقا فی معيشته». و الأخبار الوارده فی فضيله القناعه أكثر من أن تحصی،و ما أوردناه كاف لأهل البصيره.

فصل علاج الحرص

طريق المعالجه فی إزاله الحرص و تحصيل القناعه:أن يتذكر أولا ـ ما فی القناعه من المدح و الشرافه،و عز النفس و فضيله الحريه،و ما فی الحرص من الذم و المهانه،و تحمل الذله و متابعه الشهوه.و يعرف أن من لا يؤثر عز النفس علی شهوه البطن،فهو قليل العقل ناقص الإيمان.ثم يتذكر ما فی جمع المال من الآفات الدنيويه و العقوبات الأخرويه،و يكثر التأمل فيما مضی عليه عظماء الخلق و أعز أصنافهم،أعنی الأنبياء و الأوصياء و من سار بسيرتهم من السلف الأتقياء،من صبرهم علی القليل،و قناعتهم باليسير،و فيما يجری عليه الكفار من الهند و و اليهود و النصاری و أراذل

النـاس و أغنيائهم و أمثالهم،من التنعم و جمع المال الكثير. و بعـد هـذا التأمل لا أظنه يشك فى أن الاقتـداء بأعز الخلائق أحسـن من الاقتـداء بـأراذلهم، بـل المتأمـل يعرف أن الحريص المتكالب على لـذات الـدنيا خارج عن أفق الإنسانيه،و داخل فى جريـده البهائم،إذ الحرص على شهوات البطن و الفرج من لوازم البهيميه،و أحرص الناس على الشهوات لا يبلغ رتبه البهائم فى ذلك.فما من حريص على التنعم فى البطن إلا ـ و الحمـار أكثر أكلا ـ منه،و مـا من حريص على الجماع إلا و الخنزير أشـد نزوا منه.فظهر أن الحريص فى مرتبه الخنزير و الحمير و اليهود و الهنـد،و القـانع لا يساهمه فى الرتبه إلا الأنبياء و الأولياء.و بعـد التأمل فى جميع ما ذكر،يتم العلاـج العلمى،و به تسـهل إزاله الحرص و اكتسـاب القنـاعه .فليبـادر إلى العلاـج العملى،و هو العمل بالاقتصاد فى أمر المعيشه،ليسـد أبواب الخرج مـا أمكن و رد النفس إلى مـا لا بـد منه.فإن من كثر خرجه و اتسع إنفاقه،لم تمكنه القناعه،فإن كان وحـده،اكتفى بثوب خشن،و يقنع بأى طعام كان و يقلل من الإدام ما أمكنه،و هكـذا الحال فى سائر ما يضـطر إليه و يوطن نفسـه عليه.و إن كان له عيال رد كل واحد منهم إلى هذا القدر.و إذا بنى أمره على الاقتصاد،لم يحتج إلى كثير جهد و إن كان معيلا.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما عال من اقتصد» (١).

و قـال-صـلى اللّه عليه و آله-: «ثلاـث منجيـات:خشـيه اللّه فى السر و العلاـنيه،و القصـد فى الغنـاء و الفقر،و العـدل فى الرضا و الغضب».

و قال: «التدبير نصف المعيشه».

و قال: «من اقتصد أغناه اللّه،و من بذر أفقره اللّه».

١- ١) روى فى(سـفينه البحـار):٢:۴٣١،عن أمير المؤمنين-عليه السلام- مثـل هـذا الحـديث هكـذا:«ما عال امرؤ اقتصـد»،و كـذا فى(بحار الأنوار): ٢ مج ١۵-١٩٩.

و قال «الاقتصاد،و حسن الصمت،و الهدی الصالح،جزء من بضع و عشرین جزءا من النبوه».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «القصد مثراه و السرف متواه» (۱).

و قال السجاد-علیه السلام-: «لینفق الرجل بالقصد و بلغه الکفاف،و یقدم منه الأفضل لآخرته،فإن ذلک أبقی للنعمه و أقرب إلی المزید من اللّه تعالی،و أنفع فی العافیه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «إن القصد أمر یحبه اللّه،و إن السرف أمر یبغضه اللّه،حتی طرحک النواه،فإنها تصلح لشیء،و حتی صبک فضل شرابک (۲)

و قال-علیه السلام-: «ضمنت لمن اقتصد ألا یفتقر»

و قال-علیه السلام-: «إن السرف یورث الفقر،و إن القصد یورث الغناء».

و الأخبار فی مدح الاقتصاد أکثر من أن تحصی.

ثم إذا تیسرت له المعیشه فی الحال،فلا ینبغی أن یکون مضطربا لأجل الاستقبال،و یعتمد علی فضل اللّه و وعده بأن الرزق الذی قدر له یأتیه و إن لم یکن حریصا و لا مضطربا لأجله و لا یعلم لنفسه مدخلا یأتی رزقه منه.و قال اللّه تعالی:

وَ مٰا مِنْ دَابَّهٍ فِی اَلْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَی اَللّٰهِ رِزْقُهٰا

(۳)

.

و قال: وَ مَنْ یَتَّقِ اَللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لاٰ یَحْتَسِبُ (۴).

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی(الوافی):۵-۲۹۵،و قال فیه:«کلاهما بکسر المیم:اسم آله من الثروه.و التوی-بالمثناه-بمعنی الهلاک و التلف»

۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی(الوافی):۵-۲۴۵.

۳- ۳) هود،الآیه:۶.

۴- ۴) الطلاق،الآیه:۲-۳.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «أبى اللّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب».

ثم ينبغى ألا ينظر إلى من هو فوقه،بل ينظر إلى من هو دونه فى التنعم و فى مال الدنيا،فإن الشيطان يصرف نظره فى أمر الدنيا إلى من هو فوقه،و يقول:لم تفتر عن طلب الدنيا و أرباب الأموال يتنعمون فى المطاعم و الملابس؟و يصرف نظره فى أمر الدين إلى من هو دونه،و يقول:

لم تضيق على نفسك و تخاف اللّه و فلان أعلم منك و لا يخاف اللّه؟

قال أبو ذر(ره): «أوصانى خليلى رسول اللّه أن أنظر إلى من هو دونى، لا إلى من هو فوقى فى الدنيا».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إذا نظر أحدكم إلى من فضله اللّه عليه فى المال و الخلق،فلينظر إلى من هو أسفل منه».

و منها:

اشاره

الطمع

و هو التوقع من الناس فى أموالهم،و هو أيضا من شعب حب الدنيا و من أنواعه،و من الرذائل المهلكه.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله «إياك و الطمع،فإنه الفقر الحاضر».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«استغن عمن شئت تكن نظيره،و أرغب إلى من شئت تكن أسيره، و أحسن إلى من شئت تكن أميره».

و قال الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد له طمع يقوده،و بئس العبد عبد له رغبه تذله»

و قيل للصادق عليه السلام:ما الذى يثبت الإيمان فى العبد؟قال:«الورع

و الذی یخرجه منه الطمع» (1)و الأخبار فی ذم الطمع کثیره،و کفی به ذما أن کل طامع یکون ذلیلا مهینا عند الناس،و أن وثوقه بالناس و اعتماده علیهم أکثر من وثوقه باللّه،إذ لو کان اعتماده علی اللّه أکثر من اعتماده علی الناس لم یکن نظره إلیهم،بل لم یطمع من أحد شیئا إلا من اللّه سبحانه.

وصل الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو(الاستغناء عن الناس)و هو من الفضائل الموجبه لتقرب العبد إلی اللّه سبحانه،إذ من استغنی باللّه عن غیر اللّه أحبه اللّه.

و الأخبار الآمره بالاتصاف به و المادحه له کثیره.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «لیس الغنی عن کثره العروض،إنما الغنی غنی النفس»

و قال لأعرابی طلب منه موعظه:«اذا صلیت فصل صلاه مودع،و لا تحدثن بحدیث تعتذر منه غدا،و اجمع الیأس عما فی أیدی الناس».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «علیک بالیأس عما فی أیدی الناس،فإنه الغنی الحاضر».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «لیجتمع فی قلبک الافتقار إلی الناس و الاستغناء عنهم،فیکون افتقارک إلیهم فی لین کلامک و حسن بشرک،و یکون استغناؤک عنهم فی نزاهه عرضک و بقاء عزک»

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی)فی باب الطمع کما اثبتناه،لکن فی(سفینه البحار):۲-۹۳،رواه عن الصادق-علیه السلام- هکذا:«قال:قلت: ما الذی یثبت الإیمان فی قلب العبد؟قال:الذی یثبته فیه الورع،و الذی یخرجه منه الطمع».

و قال سيد الساجدين-عليه السلام-: «رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عما فى أيدى الناس،و من لم يرج الناس فى شىء،و رد أمره إلى اللّه تعالى فى جميع أموره،استجاب اللّه تعالى له فى كل شىء».

و قال الباقر-عليه السلام-: «سخاء المرء عما فى أيدى الناس أكثر من سخاء النفس و البذل،و مروه الصبر فى حال الفاقه و الحاجه و التعفف و الغنى أكثر من مروه الإعطاء،و خير المال الثقه باللّه و اليأس مما فى أيدى الناس»

و قال-عليه السلام-: «اليأس مما فى أيدى الناس عز المؤمن فى دينه»

و قال الصادق عليه السلام: «شرف المؤمن قيام الليل،و عزه استغناؤه عن الناس».

و قال-عليه السلام-: «شيعتنا من لا يسأل الناس،و لو مات جوعا».

و قال-عليه السلام-: «ثلاث هنّ فخر المؤمن و زينته فى الدنيا و الآخره:الصلاه فى آخر الليل،و يأسه مما فى أيدى الناس، و ولايته للإمام من آل محمد-عليهم السلام-».

و قال عليه السلام:

«إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئا إلا أعطاه،فلييأس من الناس كلهم و لا يكون له رجاء إلا عند اللّه،فإذا علم اللّه ذلك من قلبه،لم يسأل اللّه شيئا إلا أعطاه (۱)ثم طريق العلاج فى قطع الطمع و كسب الاستغناء قريب مما ذكر فى علاج إزاله الحرص و تحصيل القناعه،فتذكر.

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث هنا-ابتداء من الحديث المروى عن على-عليه السلام- على(الكافى):باب الاستغناء عن الناس.و(الوسائل):كتاب الزكاه،أبواب الصدقه،الباب ۳۷.

و منها:

اشاره

البخل

و هو الإمساك حيث ينبغى البذل،كما أن الإسراف هو البذل حيث ينبغى الإمساك،و كلاهما مذمومان،و المحمود هو الوسط،و هو الجود و السخاء.إذ لم يؤمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلا بالسخاء،و قيل له:

وَ لاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ

(۱)

.و قال تعالى: وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً (۲).

فالجود وسط بين الإقتار و الإسراف،و بين البسط و القبض،و هو تقدير البذل و الإمساك بقدر الواجب اللائق.و لا يكفى فى تحقق الجود و السخاء أن يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن قلبه طيبا غير منازع له فيه.

فإن بذل فى محل وجوب البذل و نفسه تنازعه و هو يضايرها فهو متسخ و ليس بسخى،بل ينبغى ألا يكون لقبله علاقه مع المال إلا من حيث يراد المال له،و هو صرفه إلى ما يجب أو ينبغى صرفه إليه.

ص: ۱۱۲

۱- ۱) الإسراء،الآيه:۲۹.

۲- ۲) الفرقان،الآيه:۶۷.

فصل ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا و نتائجه،و هو من خبائث الصفات و رذائل الأخلاق.و لذا ورد فى ذمه ما ورد من الآيات و الأخبار.قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ...

(۱)

.و قال تعالى: وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ .(۲)

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «إياكم و الشح،فإنه أهلك من كان قبلكم،حملهم على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يدخل الجنه بخيل و لا خب و لا خائن و لا شيء الملكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «البخيل بعيد من اللّه،بعيد من الناس،بعيد من الجنه،قريب من النار.و جاهل

سخى أحب إلى اللّه من عابد بخيل،و أدوى الداء البخل» (۳)

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «الموبقات ثلاث:شح مطاع،و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه يبغض

ص: ۱۱۳

۱- ۱) النساء،الآيه:۳۶.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۸۰.

۳- ۳) الأحاديث كلها عاميه،صححناها على(إحياء العلوم)و(إحياء الأحياء).

الشیخ الزانی،و البخیل المنان،و المعیل المختال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إیاکم و الشح،فإنما هلک من کان قبلکم بالشح،أمرهم بالکذب فکذبوا،و أمرهم بالظلم فظلموا،و أمرهم بالقطیعه فقطعوا» (۱)

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «البخل شجره تنبت فی النار،فلا یلج النار إلا بخیل».

و قال: «خلق البخل من مقته،و جعل رأسه راسخا فی أصل شجره الزقوم،و دلی بعض أغصانها إلی الدنیا،فمن تعلق بغصن منها أدخله النار.ألا إن البخل من الکفر،و الکفر فی النار».

و قتل فی الجهاد رجل من أصحاب رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فبکته باکیه و قالت:وا شهیداه!فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«ما یدریک أنه شهید؟فلعله کان یتکلم بما لا یعنیه،أو یبخل بما لا ینقصه».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه یبغض البخیل فی حیاته،و السخی عند موته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «السخی الجهول أحب إلی اللّه عز و جل من العابد البخیل».

و قال: «الشح و الإیمان لا یجتمعان فی قلب واحد».

و قال أیضا: «خصلتان لا تجتمعان فی مؤمن:البخل و سوء الخلق».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لا ینبغی للمؤمن أن یکون بخیلا و لا جبانا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول قائلکم:الشحیح أعذر من الظالم.و أی ظلم أظلم عند اللّه من الشح؟حلف اللّه بعزته و عظمته و جلاله لا یدخل الجنه شحیح و لا بخیل».

و قال: «اللهم إنی أعوذ بک من البخل!».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-کان یطوف بالبیت،فإذا رجل متعلق بأستار الکعبه و هو یقول:بحرمه هذا البیت إلا غفرت لی ذنبی!قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

۱- ۱) صححنا الحدیث(علی البحار):ج ۳ من المجلد الخامس عشر ص ۱۴۳ و کذا الحدیث المتقدم.

و ما ذنبک؟صفه لی.قال:هو أعظم من أن أصفه لک.قال ویحک! ذنبک أعظم أم الأرضون؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال صلی اللّه علیه و آله ویحک!ذنبک أعظم أم الجبال؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال -صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم البحار؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه قال-صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم السماوات؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال:ذنبک أعظم أم اللّه؟قال:بل اللّه أعظم و أعلی و أجل.قال:ویحک اتصف لی ذنبک.قال:یا رسول اللّه،إنی رجل ذو ثروه من المال،و أن السائل لیأتینی لیسألنی فکأنما یستقبلنی بشعله من النار.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:إلیک عنی!لا تحرقنی بنارک!فو الذی بعثنی بالهدایه و الکرامه،لو قمت بین الرکن و المقام، ثم صلیت ألفی ألف عام،و بکیت حتی تجری من دموعک الأنهار و تسقی بها الأشجار،ثم مت و أنت لئیم،لأکبک اللّه فی النار!ویحک!أ ما علمت أن اللّه یقول:

وَ مَنْ یَبْخَلْ فَإِنَّما یَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ

(۱)

.

وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ؟! (۲).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «سیأتی علی الناس زمان عضوض،یعض المؤمن علی ما فی یدیه،و لم یؤمر بذلک.قال اللّه تعالی:

۱- ۱) محمد،الآیه:۳۸.

۲- ۲) الحشر،الآیه:۹.التغابن،الآیه:۱۶.

وَ لاٰ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

(۱)

.

و روى: «أنه ما من صباح إلا و قد وكل اللّه تعالى ملكين يناديان:

اللهم اجعل لكل ممسك تلفا،و لكل منفق خلفا!». و الأخبار فى ذم البخل أكثر من أن تحصى،مع أن تضمنه للمفاسد الدنيويه و الأخرويه مما يحكم به الوجدان و لا يحتاج إلى دليل و برهان،حتى أن النظر إلى البخيل يقسى القلب،و من كان له صفاء سريره،يكرب قلبه و يظلم من ملاقاته و قد قيل:«أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه).

وصل السخاء

ضد البخل(السخاء).و قد عرفت معناه،و هو من ثمره الزهد كما أن البخل من ثمره حب الدنيا.فينبغى لكل سالك لطريق الآخره أن يكون حاله القناعه إن لم يكن له مال،و السخاء و اصطناع المعروف إن كان له مال.و لا ريب فى كون الجود و السخاء من شرائف الصفات و معالى الأخلاق،و هو أصل من أصول النجاه،و أشهر أوصاف النبيين و أعرف أخلاق المرسلين.و ما ورد فى مدحه خارج عن حد الإحصاء،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «السخاء شجره من شجر الجنه أغصانها متدليه إلى الأرض،فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخاء من الإيمان فى الجنه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «السخاء شجره تنبت فى الجنه،فلا

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۳۷.

يلج الجنه إلا سخى».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «قال اللّه سبحانه إن هذا دين ارتضيته لنفسى،و لن يصلحه إلا السخاء و حسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ما جعل اللّه أولياءه إلا على السخاء و حسن الخلق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن من موجبات المغفره:بذل الطعام.و إفشاء السلام،و حسن الكلام».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخى قريب من اللّه،قريب من الناس،قريب من الجنه،بعيد من النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«تجافوا عن ذنب السخى،فإن اللّه آخذ بيده كلما عثر»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «طعام الجواد دواء،و طعام البخيل داء»

(۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أفضل الأعمال:الصبر و السماحه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «خلقان يحبهما اللّه،و هما:حسن الخلق،و السخاء»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه جواد يحب الجود،و يحب معالى الأخلاق،و يكره سفاسفها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروه البعير،و إن اللّه تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكه-عليهم السلام-:».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «إن للّه عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد،فمن بخل بتلك المنافع عن العباد،نقلها اللّه عنه و حولها إلى غيره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«الجنه دار الأسخياء».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «لشاب سخى مرهق فى الذنوب،أحب إلى اللّه من شيخ عابد بخيل (۲)

و قال صلی اللّه علیه و آله: «اصنع المعروف إلی من هو أهله و إلی من لیس بأهله،فإن

ص :117

1- 1) (البحار):2 مج 15-221،باب السخاء و السماحه.

2- 2) صححنا الحدیث علی(البحار)فی الموضع المتقدم:(الشحیح)بدل (البخیل).

أصبت أهله فقد أصبت أهله،و إن لم تصب أهله فأنت من أهله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنه بصلاه و لا صيام،و لكن دخلوها بسخاء الأنفس،و سلامه الصدور،و النصح للمسلمين».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن اللّه عز و جل جعل للمعروف وجوها من خلقه،حبب إليهم المعروف و حبب إليهم فعاله،و وجه طلاب المعروف إليهم و يسر عليهم إعطاءه،كما ييسر الغيث إلى البلده الجدبه فيحييها و يحيى بها أهلها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «السخى محبب فى السماوات و محبب فى الأرضين،خلق من طينه عذبه،و خلق ماء عينيه من ماء الكوثر،و البخيل مبغض فى السماوات مبغض فى الأرضين، خلق من طينه سبخه،و خلق ماء عينيه من ماء العوسج».-

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «إن أفضل الناس إيمانا أبسطهم كفا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «يؤتى يوم القيامه برجل،فيقال:احتج فيقول:يا رب،خلقتنى و هديتنى،و أوسعت على فلم أزل أوسع على خلقك،و أنشر عليهم لكى تنشر على هذا اليوم رحمتك و تيسره.فيقول الرب-تعالى ذكره-:صدق عبدى،أدخلوه الجنه».

و روى: «أنه أتى النبى-صلى اللّه عليه و آله-وفد من اليمن،و فيهم رجل كان أعظمهم كلاما و أشدهم استقصاء فى محاجه النبى صلى اللّه عليه و آله فغضب النبى حتى التوى عرق الغضب بين عينيه،و تربد وجهه و أطرق إلى الأرض فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال:ربك يقول لك:هذا رجل سخى يطعم الطعام.فسكن عن النبى-صلى اللّه عليه و آله-الغضب،و رفع رأسه و قال:لو لا أن جبرئيل أخبرنى عن اللّه عز و جل أنك سخى تطعم الطعام لشردت بك،و جعلتك حديثا لمن خلفك!فقال له الرجل:إن ربك يحب السخاء؟فقال:نعم!فقال:إنى أشهد ألا إله إلاّ اللّه،و أنك

رسول اللّه،و الذی بعثک بالحق،لا رددت عن مالی أحدا!» (۱)،

و قال صلی اللّه علیه و آله: «کل معروف صدقه،و کل ما أنفق الرجل علی نفسه و أهله کتب له صدقه،و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه،و ما أنفق الرجل من نفقه فعلی اللّه خلفها».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل معروف صدقه، و الدال علی الخیر کفاعله،و اللّه تعالی یحب إغاثه اللهفان».

و روی:

«أنه أوحی اللّه إلی موسی-علیه السلام-:لا تقتل السامری،فإنه سخی» (۲)

و قال عیسی علیه السلام: «استکثروا من شیء لا تأکله النار قیل:و ما هو؟قال:«المعروف».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام «و من یبسط یده بالمعروف إذا وجده،یخلف اللّه له ما أنفق فی دنیاه، و یضاعف له فی آخرته» (۳).

و قال الباقر-علیه السلام-: «إن الشمس لتطلع و معها أربعه أملاک:ملک ینادی:یا صاحب الخیر أتم و أبشر و ملک ینادی یا صاحب الشر انزع و اقصر،و ملک ینادی:أعط منفقا خلفا و آت ممسکا تلفا،و ملک ینضح الأرض بالماء،و لو لا ذلک اشتعلت الأرض».

و قال الصادق علیه السلام لبعض جلسائه: «أ لا أخبرک بشیء تقرب به من اللّه و تقرب من الجنه و تباعد من النار؟»،فقال:بلی.فقال:«علیک بالسخاء».

و قال: «خیارکم سمحاؤکم،و شرارکم بخلاؤکم.و من خالص الإیمان:البر بالإخوان و السعی فی حوائجهم،و أن البار بالإخوان

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(سفینه البحار):۱-۶۰۷،و علی(الوافی): ۵-۲۹۳،فی باب الجود و البخل.لکن بینهما اختلاف یسیر،فرجحنا تصحیح الحدیث علی ما فی(السفینه).

۲- ۲) الروایات کلها عامیه،صححناها علی احیاء العلوم:۳-۲۱۰.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۵-۲۹۴،باب الجود و البخل.

ليحبه الرحمن،و فى ذلك مرغمه للشيطان،و تزحزح عن النيران و دخول الجنان».

و قال الكاظم عليه السلام: «السخى الحسن الخلق فى كنف اللّه،لا يستخلى اللّه منه حتى يدخله الجنه.و ما بعث اللّه نبيا و لا وصيا إلا سخيا،و لا كان أحد من الصالحين إلا سخيا،و ما زال أبى يوصينى بالسخاء حتى مضى».

فصل معرفه ما يجب أن يبذل

لعلك تقول:إنك قلت:السخاء هو الوسط بين الاقتار و الإسراف و هو صرف المال إلى ما يجب أو ينبغى صرفه إليه،و هذا غير كاف لمعرفه حد السخاء،لتوقفه على معرفه ما يجب أو ينبغى،و هو عندنا مبهم.

قلنا:ما يجب أو ينبغى يتناول الواجب و اللائق بحسب الشرع و المروه و العاده.فالسخى هو الذى يؤدى واجب الشرع و واجب المروه و العاده جميعا،فإن منع واحدا منها فهو بخيل،و إن كان الذى يمنع واجب الشرع أبخل. ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين،من الزكاه و الخمس و غيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه،و الإنفاق على أهله و عياله على قدر احتياجهم.فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعى و يستحق اسم السخى شرعا،إذا كان الأداء بطيبه من قلبه،من دون أن يشق عليه،إذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع و متسخيا بالتكلف و أما ما يجب مروه و عاده،فهو ترك المضايقه فى بذل ما يستقبح المضايقه فيه عرفا و عاده،و هو يختلف فى الأحوال و الأشخاص،فتستقبح من الغنى المضايقه ما لا يستقبح من الفقير،و مع الأهل و الأقارب ما لا يستقبح

مع الأجانب،و مع الجار ما لا يستقبح من البعيد،و فى الضيافه ما لا يستقبح أقل منه فى المبايعه و المعامله،و يستقبح من المضايقه فى الأطعمه ما لا يستقبح فى غيرها . و بالجمله:يختلف ذلك بما فيه المضايقه من ضيافه أو معامله و بما فيه المضايقه من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك.و بمن معه المضايقه من صديق أو قريب أو جار أو أجنبى أو بعيد،و بمن منه المضايقه من غنى أو فقير أو أمير أو رعيه أو عالم أو جاهل أو صبى أو كامل.

فالسخى هو الذى لا يمنع حيث ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده، و البخيل من يمنع شيئا مما ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده.و لا يمكن التنصيص على مقدار ذلك،فلعل حد البخل هو إمساك المال لغرض و ذلك الغرض أهم من حفظ المال،و فى مقابله الجود و السخاء.

ثم من يؤدى الواجب و يحفظ العاده و المروه،و لكن له مال كثير قد جمعه،لا يصرفه إلى المحتاجين و لا ينفقه فى الصدقات المستحبه ليكون له عده على نوائب الزمان،و إن لم يكن بخيلا-عند عوام الخلق،و لكنه بخيل عند أهل الفطانه و الكياسه،إذ التبرى عن البخل و الاتصاف بصفه الجود و السخاء لا يتحقق عندهم ما لم يبذل زياده على قدر واجب الشرع و واجب المروه و العاده اللائقه به،لطلب الفضيله و الثواب،و نيل الدرجات فى الآخره.و تختلف هذه الزياده باختلاف مقدار ماله،و باختلاف حاجه المحتاجين و صلاحهم و ورعهم.فاتصافه بالجود،بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير،و تختلف درجات ذلك.فاصطناع المعروف أمر وراء ما توجبه العاده و المروه،و هو الجود بشرط أن يكون عن طيبه من النفس و لا يكون لأجل غرض،من خدمه أو مدح و ثناء.إذ من يبذل المال بعوض المدح و الثناء أو غيره فليس بجواد،بل هو بياع يشترى المدح بماله،لكون المدح ألذ عنده من المال.

فالجود هو بذل الشیء عن طیبه من القلب من غیر غرض،و هذا و إن کان حقیقته،إلا أنه لا یتصور فی غیر حق اللّه،إذ ما من إنسان یبذل الشیء إلا لغرض،لکن إذا لم یکن غرضه إلا الثواب فی الآخره و رفع الدرجات،و اکتساب فضیله الجود،و تطهیر النفس عن رذیله البخل،سمی جوادا،و إن کان غرضه شیئا من الأمور الدنیویه لم یسم جوادا.

تنبیه الإیثار

أرفع درجات الجود و السخاء(الإیثار)،و هو أن یجود بالمال مع الحاجه إلیه.قال اللّه سبحانه فی معرض الثناء علی أهل الإیثار:

وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: أیما امرؤ اشتهی شهوه، فرد شهوته و آثر علی نفسه،غفر له».

و کان الإیثار من شعار رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-،

و لقد قالت بعض زوجاته: «إنه-صلی اللّه علیه و آله-ما شبع ثلاثه أیام متوالیه حتی فارق الدنیا،و لو شئنا لشبعنا،و لکنا نؤثر علی أنفسنا»

و روی: «أن موسی بن عمران قال:یا رب،أرنی بعض درجات محمد و أمته.قال:یا موسی،إنک لن تطیق ذلک،لکنی أریک منزله من منازله،جلیله عظیمه،فضلته بها علیک و علی جمیع خلقی.قال (۲):

ص: ۱۲۲

۱- ۱) الحشر،الآیه:۹.

۲- ۲) أی الراوی.

فکشف له عن ملکوت السماوات،فنظر إلی منزله کادت أن تتلف نفسه من أنوارها و قربها من اللّه،فقال:یا رب،بما ذا بلغ إلی هذه الکرامه؟قال تعالی:بخلق اختصصته به من بینهم،و هو الإیثار یا موسی لا یأتینی أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحییت من محاسبته، و بوأته من جنتی حیث یشاء»

و سئل الصادق-علیه السلام-:«أی الصدقه أفضل؟قال علیه السلام:جهد المقل.أ ما سمعت قول اللّه عز و جل: وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ؟ و إیثار علی -علیه السلام-غیره فی جمیع أوقات عمره مشهور،و فی الکتب مسطور و لقد آثر حیاه رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-علی حیاته لیله المبیت فباهی اللّه به الملائکه،و أنزل فیه:

وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ

(۱)

.

و لقد کان الخواص من شیعته و المقتدون به فی سنته و سیرته، یجتهدون فی المحافظه علی هذه الفضیله مهما أمکن.

فصل علاج مرض البخل

علاج مرض البخل یتم بعلم و عمل.و العلم یرجع إلی معرفه آفه البخل و فائده الجود،و العمل یرجع إلی البذل علی سبیل التکلف إلی أن یصیر طبعا له.فکل طالب لإزاله البخل و کسب الجود ینبغی أن یکثر التأمل فی أخبار ذم البخل و مدح السخاء،و ما توعد اللّه به علی البخل من العذاب

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۰۷.

العظيم،و يكثر التأمل فى أحوال البخلاء و فى نفره الطبع عنهم،حتى يعرف بنور المعرفه أن البذل خير له من الإمساك فى الدنيا و الآخره.ثم يكلف نفسه على البذل و مفارقه المال،و لا يزال يفعل ذلك إلى أن يهيج رغبته فى البذل،و كلما تحركت الرغبه ينبغى أن يجتنب الخاطر الأول و لا يتوقف لأن الشيطان يعده الفقر و يخوفه و يوسوسه بأنواع الوساوس الصاده عن البذل.

و لو كان مرض البخل مزمنا غير مندفع بما مر،فمن معالجاته أن يخدع نفسه بحسن الاسم و الاشتهار بالجود،فيبذل على قصد الرياء،حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى الاشتهار بصفه الجود،فيكون قد زال عن نفسه رذيله البخل و اكتسب خبث الرياء،و لكن يتعطف بعد ذلك على الرياء و يزيله بعلاجه،و يكون طلب الشهره و الاسم كالتسليه للنفس عند فطامها عن المال،كما يسلى الصبى عند فطامه عن الثدى باللعب بالعصافير و غيرها لا لكون اللعب مطلوبا بذاته،بل لينتقل من الثدى إليه ثم ينتقل عنه إلى غيره.فكذلك هذه الصفات الخبيثه ينبغى أن يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع،فتسلط الشهوه على الغضب حتى تكسر سورته بها،و يسلط الغضب على الشهوه حتى تكسر رعونتها به.و قد جرت سنه اللّه بدفع المؤذيات و المهلكات بعضها ببعض،إلى أن يندفع الجميع،سواء كانت من الصفات المؤذيه أو من الأشخاص المؤذيه من الظلمه و الأشرار،أ لا ترى أنه يسلط الظالمين و الأشرار بعضهم على بعض إلى أن يهلك الجميع؟ و مثال ذلك-كما قيل-:إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا، ثم يأكل بعض الديدان بعضا،إلى أن يرجع إلى اثنين قويين،ثم لا يزالان يتقابلان و يتعارضان،إلى أن يغلب أحدهما الآخر فيأكله و يسمن به،ثم لا يزال يبقى وحده جائعا إلى أن يموت.فكذلك هذه الصفات الخبيثه

يمكن أن يسلط بعض على بعضها حتى يقمعها،فيجعل الأضعف قوتا للأقوى،إلى أن لا تبقى إلا واحده.ثم تقع العنايه بمحوها و إذابتها بالمجاهده،و هو منع القوت منها،أى عدم العمل بمقتضاها،فإنها تقتضى لا محاله آثارا،فإذا خولفت خمدت و ماتت.مثلا البخل يقتضى إمساك المال،فإذا منع مقتضاه و بذل المال مع الجهد و المشقه مره بعد أخرى، ماتت صفه البخل و صارت صفه البذل طبعا،و سقط التعب و المشقه فيه.

ثم العمده فى علاجه أن يقطع سببه،و سببه حب المال،و سبب حب المال إما حب الشهوات التى يتوقف الوصول إليها على المال مع طول الأمل،إذ لو لم يكن له طول أمل و علم أنه يموت بعد أيام قلائل ربما لم يبخل بماله،أو ادخاره و إبقاؤه لأولاده،فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه،فيمسك المال لأجلهم،أو حبه عين المال من حيث إنه مال فيحب فإن بعض الناس من المشايخ و المعمرين يكون له من المال ما يكفيه لغايه ما يتصور من بقيه عمره،و تزيد معه أموال كثيره،و لا ولد له ليحتاط لأجله،مع ذلك لا نسمح نفسه بإخراج مثل الزكاه و مداواه نفسه عند المرض،بل هو محب للدنانير،عاشق لها،يتلذذ بوجودها فى يده،مع علمه بأنه عن قريب يموت،فتضيع أو تأخذها أعداؤه،و مع ذلك لا تسمح نفسه بأن يأكل منها أو يتصدق ببعضها.و هذا مرض عسر العلاج، لا سيما فى كبر السن،إذ حينئذ يكون المرض مزمنا و الطبيعه المدافعه له قاصره و البدن ضعيفا.و مثله مثل من عشق شخصا فأحب رسوله،ثم نسى محبوبه و اشتغل برسوله.فإن الدنانير رسول مبلغ إلى الحاجات، و هى محبوبه من هذه الحيثيه،لا من حيث أنها دنانير،فمن نسى الحاجات و صارت الدنانير محبوبه عنده فى نفسها،فهو فى غايه الضلاله و الخسران بل من رأى بين الفاضل منها عن قدر الحاجه و بين الحجر فرقا،فهو

فى غايه الجهل.

ثم لما كان الطريق فى قطع سبب كل عله أن يواظب على ضد هذا السبب،فيعالج حب الشهوات بالقناعه باليسير و بالصبر،و يعالج طول الأمل بكثره ذكر الموت و النظر فى موت الأقران و طول تعبهم فى جمع المال و ضياعه بعدهم،و يعالج التفات القلب إلى الأولاد بأن الذى خلقهم خلق أرزاقهم،و كم من ولد لم يرث مالا من أبيه و حاله أحسن ممن ورث،و بأن يعلم أن ولده إن كان تقيا صالحا فيكفيه اللّه،و إن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصيه و ترجع مظلمته عليه،و يعالج حب المال من حيث إنه مال،بأن يتفكر فى مقاصد المال و إنه لما ذا خلق،فلا يحفظ منه إلا بقدر حاجته،و يبذل الباقى على المستحقين ليبقى له ثوابه فى الآخره.

تذنيب

اعلم أن بذل الأموال و إنفاقها المترتب على صفه الجود و السخاء يتناول أمورا:بعضها واجب،و بعضها مندوب.و قد ورد فى فضيله كل منها بخصوصه أخبار،فلا بد لنا أن نشير إلى ذلك تأكيدا لبيان فضل السخاء،و إلى بعض ما لها من الآداب و الدقائق الباطنه،و نحيل ما لها من الأحكام و الشروط الظاهره إلى كتب الفقه،فنقول:

أما الأمور الواجبه،

ص :۱۲۶

فأولها: الزكاه

و الآيات و الأخبار الوارده فی ذم تارکها و مدح فاعلها کثیره.

قال اللّه سبحانه:

فَأَقِیمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّکاهَ

(١)

.و قال تعالی:

وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ

(٢)

.

و معنی الإنفاق فی سبیل اللّه إخراج الزکاه،کما ورد عن أهل البیت -علیهم السلام-،و أجمع علیه المفسرون.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «إذا منعت الزکاه منعت الأرض برکاتها».

و قال الباقر -علیه السلام-: «إن اللّه عزّ و جل قرن الزکاه بالصلاه،قال:

فَأَقِیمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّکاهَ

(٣)

.

فمن أقام الصلاه و لم یؤت الزکاه،فلم یقم الصلاه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «ما من ذی مال ذهب أو فضه یمنع زکاه ماله،إلا حبسه اللّه یوم القیامه بقاع قرقر،و سلط علیه شجاعا أقرع یریده و هو یحید عنه،فإذا رأی أنه لا یتخلص منه،أمکنه من یده،فقضمها کما یقضم الفحل،ثم یصیر طوقا فی عنقه،و ذلک قول اللّه تعالی:

١- ١) و

۲- ۳) الحج،الآیه:۷۸.المجادله،الآیه:۱۳.

۳- ۲) التوبه،الآیه:۳۵.

سَيُطَوَّقُونَ مٰا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ

(١)

.

و ما من ذى مال إبل أو غنم أو بقر يمنع زكاه ماله،إلا حبسه اللّه يوم القيامه بقاع قرقر،تطأه كل ذات ظلف بظلفها،و تنهشه كل ذات ناب بنابها،و ما من ذى مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها، إلا طوقه اللّه تعالى ريعه أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامه» (٢).

و قال عليه السلام: «ما فرض اللّه على هذه الأمه شيئا أشد عليهم من الزكاه،و فيها تهلك عامتهم».

و قال: «من منع قيراطا من الزكاه، فليس بمؤمن و لا مسلم،و هو قوله تعالى:

قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ

(٣)

و قال عليه السلام: «إنما وضعت الزكاه اختبارا للأغنياء،و معونه للفقراء.و لو أن الناس أدوا زكاه أموالهم،ما بقى مسلم فقيرا محتاجا، و لاستغنى بما فرض اللّه له.و إن الناس ما افتقروا و لا احتاجوا و لا جاعوا و لا عروا إلا بذنوب الأغنياء،و حقيق على اللّه أن يمنع رحمته ممن منع حق اللّه فى ماله.و أقسم بالذى خلق الخلق و بسط الرزق:أنه ما ضاع

١- ١) آل عمران،الآيه:١٨٠.

٢ - ٢) قال فى(الوافى):٦-٢٤١،باب الزكاه:«بيان(القاع):الأرض السهله المطمئنه.و(القرقر):الأرض المستويه اللينه.و(الشجاع)- بالضم و الكسر-:الحيه،أو الذكر منها،أو ضرب منها.و(الفحل)-بالمهمله-: الذكر من كل حيوان،و من الإبل خاصه،و هو المراد هنا.(الريع)-بكسر الراء و فتحها-المرتفع من الأرض».

٣- ٣) المؤمنون،الآيه:٩٩-١٠٠.

مال فى بر و لا بحر إلا بترك الزكاه،و ما صيد صيد فى بر و لا بحر إلا بتركه التسبيح فى ذلك اليوم،و إن أحب الناس إلى اللّه تعالى أسخاهم كفا و أسخى الناس من أدى زكاه ماله،و لم يبخل على المؤمنين بما افترض اللّه لهم فى ماله».

و قال عليه السلام «إن الزكاه ليس يحمد بها صاحبها و إنما هو شيء ظاهر حقن بها دمه و سمى بها مسلما،و لو لم يؤدها لم تقبل له صلاه» (۱). و الأخبار فى فضل الزكاه و ذم تاركها أكثر من أن تحصى،و ما ذكرناه كاف لإيقاظ الطالبين.

فصل سر وجوب الزكاه،و فضيله سائر الإنفاقات

السر فى إيجاب الزكاه،بل فضيله مطلق إنفاق المال،ثلاثه أمور:

الأول-أن التوحيد العام ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد،

إذ المحبه لا تقبل الشركه،و التوحيد باللسان قليل الجدوى،و إنما تمتحن درجه الحب بمفارقه سائر المحاب،و الأموال محبوبه عند الناس،لأنها آله تمتعهم بالدنيا،و لأجلها يأنسون بهذا العالم،و يخافون من الموت و يتوحشون منه،مع أن فيه لقاء المحبوب،فامتحنوا فى صدق دعواهم الحب التام للّه تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم،أعنى المال،و لذلك قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(الوافى):۶-۲۴۱-۲۴۲،باب الزكاه

لَهُمُ الْجَنَّهَ

(۱)

.

و لفهم هـذا السـر فی بـذل الأموال،انقسم الناس بحسب درجاتهم فی التوحیـد و المحبه ثلاثه أقسام:(قسم)صدقوا التوحید و وفوا بعهـده، و لم یجعلوا قلوبهم إلا محلا لحب واحـد.فنزلوا عن جمیع أموالهم،و لم یـدخروا شیئا من الدرهم و الدینار و غیرهما من أنواع المـال،و لم یتعرضوا لوجوب الزکـاه علیهم،حتی قیـل لبعضـهم:کم یجب من الزکـاه فی مائتی درهم؟فقال:أما علی العوام-بحکم الشرع-فخمسه دراهم،و أما نحن،فیجب علینا بذل الجمیع.

و سئل الصـادق-علیه السـلام-«فی کم تجب الزکـاه من المـال؟فقـال:أمـا الزکـاه الظاهره،ففی کل ألف خمسه و عشـرون،و أما الباطنه،فلا تسـتأثر علی أخیک بما هو أحوج إلیه منک». و(قسم)درجتهم دون هذا،و هم الذین أمسـکوا أموالهم، و لکنهم راقبوا مواقیت الحاجـات و مراسم الخیرات،و یکون قصـدهم من الإمسـاک الإنفاق علی قـدر الحاجه،دون التنعم،و صـرف الفاضل عن قدر الحاجه إلی وجوه البر.و هؤلاء لا یقتصرون علی إعطاء مجرد ما یجب علیهم من الزکاه و الخمس،بل یؤدون جمیع أنواع البر و المعروف أو أکثرهـا و(قسـم)اقتصـروا علی أداء الـواجب،فلا یزیـدون علیـه و لا ینقصـون منـه.و هـو أدون الـدرجات و أقل المراتب،و هو درجه العوام الراغبین إلی المال،لجهلهم بحقیقته و فائدته،و ضعف حبهم للآخره.

الثانی-تطهیر النفس عن رذیله البخل،

فإنه من المهلکات-کما تقـدم-،و إنما تزول هذه الرذیله ببذل المال مره بعد أخری حتی یتعود إذ حب الشـیء لا ینقطع إلا بقهر النفس علی مفارقته،حتی یصیر ذلک

۱- ۱) التوبه.الآیه:۱۱۱.

اعتیادا.و علی هذا،فالإنفاق یطهر صاحبه من خبث البخل المهلک،و إنما طهارته بقدر بذله،و بقدر فرحه بإخراجه و استبشاره بصرفه إلی اللّه تعالی

الثالث-شکر النعمه،

فإن للّه سبحانه علی عبده نعمه فی نفسه و نعمه فی ماله.فالعبادات البدنیه شکر لنعمه البدن،و المالیه شکر لنعمه المال.و ما أقبح بالغنی المسلم أن ینظر إلی فقیر مسلم،و قد ضیق الرزق علیه و أحوج إلیه،ثم لا تسمح نفسه بأن یؤدی شکر اللّه تعالی علی إغنائه عن السؤال،و إحواج غیره إلیه،بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله.

فصل الحث علی التعجیل فی الإعطاء

ینبغی للمعطی المنفق،عند ظهور داعیه الخیر من باطنه،أن یغتنم الفرصه،و یسارع إلی الامتثال،تعجیلا لإدخال السرور فی قلوب الفقراء و حذرا عن عوائق الزمان المانعه عن الخیرات،و علما بأن فی التأخیر آفات و تنبها بأن انبعاث داعیه الخیر لمه الملک،و قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن،فما أسرع تقلبه،و الشیطان یعد الفقر و یأمر بالفحشاء و المنکر،و له لمه عقیب لمه الملک،و صونا للفقراء عن الاضطرار إلی السؤال،إذ

ورد: أن الإعطاء معه مکافاه لوجهه المبذول و ثمن لما أخذ منه،و لیس بمعروف.

و روی: «أن أمیر المؤمنین علیه السلام بعث إلی رجل بخمسه أوساق من تمر البغیبغه،و کان الرجل ممن ترجی نوافله، و یؤمل نائله و رفده،و کان لا یسأل علیا و لا غیره شیئا،فقال رجل لأمیر المؤمنین علیه السلام و اللّه ما سألک فلان شیئا!و لقد کان یجزیه من الخمسه أوساق وسق واحد.فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام:لا کثر

اللّه فی المؤمنین ضربک!أعطی أنا،و تبخل أنت!اللّه أنت!إذا أنا لم أعط الذی یرجونی إلا من بعد المسأله،ثم أعطیه بعد المسأله،فلم أعطه إلا ثمن ما أخذت منه،و ذلک لأنی عرضته أن یبذل لی وجهه الذی یعفره فی التراب لربی و ربه عز و جل عند تعبده له و طلب حوائجه إلیه.فمن فعل هذا بأخیه المسلم،و قد عرف أنه موضع لصلته و معروفه،فلم یصدق اللّه فی دعائه،حیث یتمنی له الجنه بلسانه،و یبخل علیه بالحطام من ماله»

(۱)

.ثم ینبغی أن یعین لأداء صدقته وقتا فاضلا،کیوم الغدیر و شهر ذی الحجه،(لا)سیما العشره الأولی،أو شهر رمضان،(لا) سیما العشره الأخیره،

و قد ورد أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- کان أجود الخلق،و کان فی رمضان کالریح المرسله،لا یمسک فیه شیئا.

فصل فضیله إعلان الصدقه الواجبه

الصدقه الواجبه،أعنی الزکاه،إعلانها أفضل من إسرارها-إن کان فی إظهارها ترغیب للناس فی الاقتداء،و أمن من تطرق الریاء،و لم یکن الفقیر بحیث یستحیی من أخذها علانیه.

قال الصادق علیه السلام: «کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه،و لو أن رجلا حمل زکاه ماله علی عاتقه علانیه کان ذلک حسنا جمیلا.و قال فی قوله تعالی:

وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ

(۲)

:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۶،باب آداب الإعطاء.قال (البغیبغه)ضیعه بالمدینه،و(النوافل):العطایا،و(للّه أنت!):أی کن للّه و أنصفنی فی القول.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۷۱.

هی ما سوی الزکاه علانیه غیر سرّ». فلو دخل فی نفسه الریاء مع الإظهار،أو کان الفقیر یستحیی من أخذها علانیه،کان الأسرار بها أفضل:أما الأول:فظاهر،و أما الثانی:

فلما روی: «أنه قیل لأبی جعفر الباقر علیه السلام:الرجل من أصحابنا یستحی من أن یأخذ من الزکاه،فأعطیه من الزکاه و لا أسمی له أنها من الزکاه.فقال:

أعطه و لا تسم له،و لا تذل المؤمن».

و بالجمله:الإعلان کما یتصور فیه فائده الترغیب،یتطرق إلیه محذور الریاء و المن و الأذی،و ذلک یختلف بالأحوال و الأشخاص.فبالنظر إلی بعض الأحوال و الأشخاص،یکون الإعلان أفضل،و بالنظر إلی بعض آخر،یکون الأسرار أفضل.فلا بد لکل منفق أن یلاحظ حاله و وقته و یقابل الفائده بالمحذور،و یختار ما هو الأفضل.و من عرف الفوائد و الغوائل و لم ینظر بعین الشهوه،اتضح له ما هو الأولی و الألیق،

فصل ذم المن و الأذی فی الصدقه

ینبغی للمتصدق أن یجتنب عن المن و الأذی.قال اللّه سبحانه:

لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذیٰ

(۱)

.و قال: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَیْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ یَتْبَعُهٰا أَذیً (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تبارک و تعالی کره لی ست خصال،و کرهتهن للأوصیاء من ولدی و أتباعهم من بعدی:

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۴.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۶۳.

العبث فی الصلاه،و الرفث فی الصوم،و المن بعد الصدقه،و إتیان المساجد جنبا،و التطلع فی الوفد،و الضحک بین القبور».

و(المن):أن یری نفسه محسنا.و من ثمراتها الظاهره:الإظهار بالإنفاق،و التحدث به،و طلب المکافاه منه،بالشکر و الخدمه و التعظیم و المتابعه فی الأمور.و(الأذی):التعبیر،و التوبیخ،و الاستخفاف و الاستخدام،و القول السیء،و تقطیب الوجه،و هتک الستر.ثم معرفه الأذی ظاهره،و کذا معرفه الثمرات الظاهره للمن.و أما المن الباطنی، أی رؤیه نفسه محسنا،فیعرف بأن یکون استبعاده من خیانه القابض بعد العطاء أکثر من استبعاده منه قبله.

و علاج المن:أن یعرف أن المحسن هو الفقیر القابض لإیصاله الثواب و الإنجاء من العذاب،و کونه نائبا عن اللّه تعالی،و کون ما یعطیه حقا من اللّه سبحانه،أحال علیه الفقیر انجازا لما وعده من الرزق. و علاج الأذی:أن یعرف أن سببه استکثار العطاء و کراهیه إنفاق المال و التکبر علی الفقیر القابض برؤیه نفسه خیرا منه،لغنائه و احتیاجه،و جمیع ذلک جهل و حماقه.أما استکثاره العطاء،فلأن ما أعطاه بالنظر إلی ما یطلبه لأجله من رضا اللّه و ثواب الآخره فی غایه القله و الخسه،و کیف یستعظم العاقل بذل خسیس فان إذا أخذ فی مقابله خطیرا باقیا.و أما استحقاره الفقیر،فلما تقدم من فضل الفقیر علی الغنی،فکیف یری نفسه خیرا منه؟و کفی للفقیر فضلا:أن اللّه سبحانه جعل الغنی مسخرا له،بأن یکتسب المال بالجهد و التعب،و یسعی فی حفظه،و یسلمه إلی الفقیر بقدر حاجته،و یکف عنه الفاضل الذی یضره لو سلمه إلیه.فالغنی یخدم الفقیر فی طلب المال،مع کون ما یحمد منه للفقیر،و کون ما یذم منه من تحمل المشاق و تقلد المظالم و حراسه الفضلات إلی أن یموت فتأکله

الأعداء،على الغنى.

و بالجمله:العاقل،بعد التأمل،يعلم أن ما يعطيه قليل فى مقابله ما يأخذه،و أن الفقير محسن إليه.

قال أمير المؤمنين(ع): «و من علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه،لم يستبطئ الناس فى شكرهم،و لم يستزدهم فى مودتهم،فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك و وقيت به عرضك،و أعلم أن الطالب إليك لحاجه لم يكرم وجهه عن وجهك،فأكرم وجهك عن رده»

(۱)

.و ينبغى للمحترز عن المن و الأذى أن يتواضع و يتخضع للفقير عند إعطائه،بأن يضع الصدقه لديه و يمثل قائما بين يديه،أو يبسط كفه ليأخذ الفقير،و تكون يد الفقير هى العليا.

فصل ما ينبغى للمعطى

و مما ينبغى للمعطى أن يستصغر العطيه ليعظم عند اللّه،و إن استعظمها صغرت عند اللّه،

قال الصادق-عليه السلام-: «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال:تصغيره،و تستيره،و تعجيله.فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه،و إذا سترته تممته،و إذا عجلته هنأته و إن كان غير ذلك محقته و نكدته» (۲). و استعظام العطاء غير المن و الأذى،إذ الصرف إلى عماره المسجد و مثله يتأتى فيه الاستعطاء،و لا يتأتى فيه المن و الأذى، و أن يعطى الأجود و الأحب و الأبعد عن الشبهه

۱- ۱) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

لأن اللّه طيب لا يقبل إلا طيبا،و إخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبه إلى اللّه،إذ إمساك الجيد لنفسه و أهله،و إنفاق الردیء فی سبيل اللّه يوجب إيثار غير اللّه و ترجيحه عليه،و لو فعل هذا لضيف و قدم إليه أردأ طعام فی البيت لانكسر قلبه و وغر به صدره.

هذا إذا كان نظره إلى اللّه بأن يتصدق لوجه اللّه،من غير ملاحظه عوض لنفسه فی دار الآخره،و إن كان نظره إلى نفسه و ثوابه فی الآخره فلا ريب فی أن العاقل لا يؤثر غيره على نفسه،و ليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى،و أكل فأفنى.و لعظم فائده إنفاق الأجود الأحب، و قبح إنفاق الردیء الأخس،قال اللّه تعالى:

أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا كَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لاٰ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّٰ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ

(۱)

:

أی لا تأخذونه إلا مع كراهيه و حياء،و هو معنى الإغماض،و ما هذا شأنه عندكم فلا تؤثروا به ربكم.و قال سبحانه:

لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ!

(۲)

.و قال:

وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مٰا يَكْرَهُونَ

(۳)

.

ص: ۱۳۶

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۶۷.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۹۲.

۳- ۳) النحل،الآيه:۶۲.

و فی الخبر: «سبق درهم مائه ألف درهم». و ذلک بأن یخرجه الإنسان و هو من أحل ماله و أجوده،فیصدر ذلک عن الرضا و الفرح بالبذل،و قد یخرج مائه ألف درهم مما یکره من ماله،فیدل علی أنه لیس یؤثر اللّه بشیء مما یحبه.

و مما ینبغی له أن یغنی الفقیر إذا قدر،

ففی الخبر إذا أعطیته فأغنه و أن یقبل یده بعد الإعطاء،لأنه یقع فی ید اللّه تعالی أولا.

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «إذا ناولتم السائل فلیرد الذی ناوله یده إلی فیه فیقبلها،فإن اللّه عز و جل یأخذ الصدقات».

و قال النبی(ص) «ما تقع صدقه المؤمن فی ید السائل حتی تقع فی ید اللّه،ثم تلا هذه الآیه.

أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ هُوَ یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبٰادِهِ وَ یَأْخُذُ الصَّدَقٰاتِ؟

(۱)

.

و قال الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی یقول:ما من شیء إلا و قد وکلت به من یقبضه غیری،إلا الصدقه،فإنی أتلقفها بیدی تلقفا،حتی أن الرجل لیتصدق بالتمر أو بشق تمره،فأربیها له کما یربی الرجل فلوه و فصیله،فتأتی یوم القیامه و هی مثل أحد و أعظم من أحد» (۲). و أن یلتمس الدعاء من الفقیر،لأن دعاءه یستجاب فیه

کما روی: «أن علی بن الحسین-علیه السلام-کان یقول للخادم:

أمسک قلیلا حتی یدعو،فإن دعوه السائل الفقیر لا ترد».

و أنه(ع)

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۶۲،باب فضل الصدقه.

كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل،أن يأمره أن يدعو بالخير.

و عن أحدهما -عليهما السلام-: «إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء،فإنه يستجاب لهم فيكم،و لا يستجاب لهم فى أنفسهم». و ما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض،لأنه شبيه المكافاه،و كانوا يقابلون الدعاء بمثله،و لو أرسلوا معروفا إلى فقير،قالوا للرسول أحفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله،خلاف طريقه أئمتنا الراشدين عليهم السلام فلا اعتبار به عندنا.

و مما ينبغى له أيضا أن يصرف الصدقات إلى من يكثر بإعطائه الأجر كأهل الورع و العلم،و أرباب التقوى و الصدق،و الكاملين فى الإيمان و التشيع.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: لا يأكل طعامك إلا تقى»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «اطعموا طعامكم الأتقياء»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أضف بطعامك من تحبه فى اللّه». و لكن يرفعهم من الزكاه الواجبه و الصدقات،لأنها أوساخ الأموال،و يوسع عليهم بالهدايا و الصلاه،

ففى الخبر: «مستحقوا الزكاه المستضعفون من شيعه محمد و آله:الذين لم تقو بصائرهم،و أما من قويت بصيرته و حسنت بالولايه لأوليائهم و البراءه من أعدائهم معرفته،فذاك أخوكم فى الدين، أمس بكم رحما من الآباء و الأمهات المخالفين،فلا تعطوه زكاه و لا صدقه فإن موالينا و شيعتنا منا كالجسد الواحد،تحرم على جماعتنا الزكاه و الصدقه و ليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر،و ارفعوهم عن الزكاه و الصدقات و نزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم.أ يحب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن؟إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم...»الحديث.

و لا ينبغى أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط،بل ينبغى الصرف

إلى من بلغ مقام التوحيد،و يرى النعمه من اللّه،و لا ينظر إلى الوسائط إذ من لم يصف باطنه عن رؤيه الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط، فغير خال من نوع من الشرك الخفى.

قال الصادق-عليه السلام- فى قول اللّه تعالى:

وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ

(۱)

.

«هو قول الرجل:لو لا فلان لهلكت أو لو لا فلان لما أصبت كذا و لو لا فلان لضاع عيالى!أ لا ترى أنه قد جعل اللّه شريكا فى ملكه، يرزقه أو يدفع عنه؟».فقال الراوى يجوز أن يقال:لو لا أن اللّه من على بفلان لهلكت؟قال«نعم!لا بأس بهذا». و من أهل المزيه و الاختصاص بالبذل إليه،من كان مستترا ساترا للحاجه،كائنا من أهل المروه،متغشيا فى جلباب التجمل،محصورا فى سبيل اللّه،محبوسا فى طريق الآخره بعيله أو مرض أو ضيق معيشه أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب،و الأولى من الكل الأقارب و أولو الأرحام من أهل الاحتياج،فإن الإنفاق عليهم صدقه و صله.و فى صله الرحم من الثواب ما لا يخفى،

قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم،أحب إلى من أتصدق بعشرين درهما،و لأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن أتصدق بمائه درهم،و لأن أصله بمائه درهم أحب إلى من أعتق رقبه».

و فى خبر آخر: «لا صدقه و ذو رحم محتاج،الصدقه بعشره و القرض بثمانيه عشر،و صله الإخوان بعشرين،و صله الرحم بأربعه و عشرين».

و فى الخبر: «إن أفضل الصدقات و الصلاه الإنفاق على ذى الرحم الكاشح»: يعنى المبغض،

۱- ۱) يوسف،الآيه:۱۰۶.

و كأنه لمخالفه الهوى و صدوره عن الخلوص و التقوى.

فصل ما ينبغى للفقراء فى أخذ الصدقه

ينبغى للفقير الآخذ أن يعلم أن اللّه تعالى أوجب صرف المال إليه ليكفى مهمته،فيتجرد للعباده و الاستعداد للموت،فينبغى أن يتأهب لذلك و لا يصرفه عنه فضول الدنيا، و يشكر اللّه على ذلك،و يشكر المعطى، فيدعو له و يثنى عليه مع رؤيه النعمه من اللّه سبحانه،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «لعن اللّه قاطعى سبيل المعروف قيل:و ما قاطعوا سبل المعروف؟قال:الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره» (۱)

و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافاه،و من ضعفه كان شكورا،و من شكر كان كريما».

و ينبغى له أيضا أن يستر عيوب صاحب العطاء،و لا يذمه و لا يحقره و لا يغيره بالمنع إذا منع،و يفخم عند نفسه و عند الناس إعطاءه،بحيث لا يخرجه عن كونه واسطه،لئلا يكون مشركا، و أن يتوقى مواقع الحرمه و الريبه و الشبهه فى أصله و مقداره،فلا يأخذ ممن لا يحل ماله أو يشتبه، كعمال السلاطين و الجنود و من أكثر كسبه من الحرام، و لا الزياده على قدر الحاجه، و لا يسأل على رءوس الملأ ممن يستحى الرد،و أن يتورع العالم

۱- ۱) صححنا الحديث على(الكافى):۴-۳۳،كتاب الزكاه،باب من كفر المعروف.ط طهران ۱۳۷۷ ه.

و المتقى من أخذ الزكاه و الصدقات ما لم يضطر إليها،تنزيها لنفسه عن الأوساخ،و أن يستر الأخذ بنيه أنه أبقى لستر المروه و التعفف،و أصون لنفسه عن الإهانه و الإذلال،و أعون للمعطى على الإخفاء و الإسرار،و أسلم لقلوب الناس من الحسد و سوء الظن،أو يظهره بنيه الإخلاص و الصدق و إظهار المسكنه و العبوديه،و التبرى عن الكبر،و تلبيس الحال و إقامه سيئه الشكر أو غير ذلك.فإنه يختلف باختلاف النيات و الأشخاص و الأحوال،و لكل امرئ ما نوى،و كل مراقب للأحوال عارف بالفوائد و المفاسد،يمكنه الأخذ بالأنفع الأرجح.

تتميم زكاه الأبدان

اعلم أنه كما فى المال زكاه فكذلك للبدن زكاه،و هو نقصه ليزيد الخير و البركه لصاحبه.و هذا النقص إما أن يكون اختيارا،بأن يصرف فى الطاعه و يمنع عن المعصيه،أو اضطرارا،بأن يصاب بمرض و آفه.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يوما لأصحابه: «ملعون كل مال لا يزكى،ملعون كل جسد لا يزكى،و لو فى كل أربعين يوما مره.قيل له:يا رسول اللّه،أما زكاه المال فقد عرفناها،فما زكاه الأجساد؟قال -صلى اللّه عليه و آله-:أن يصاب بآفه».فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك،فلما رآهم قد تغيرت ألوانهم،قال:«هل تدرون ما عنيت بقولى؟فقالوا:لا يا رسول اللّه!قال:إن الرجل يخدش الخدشه، و ينكب النكبه،و يعثر العثره،و يمرض المرضه،و يشاك الشوكه،و ما أشبه هذا...»،حتى ذكر فى حديثه اختلاج العين.

و قال-صلى اللّه عليه

ص:۱۴۱

و آله- «لكل شىء زكاه،و زكاه الأبدان الصيام».

و قال الصادق -عليه السلام-: «على كل جزء من أجزائك زكاه واجبه للّه عز و جل بل على كل منبت شعر من شعرك،بل على كل لحظه من لحاظك زكاه.

فزكاه العين:النظره بالعبره (۱)و الغض عن الشهوات و ما يضاهيها.

و زكاه الأذن:استماع العلم و الحكمه و القرآن،و فوائد الدين من الموعظه و النصيحه،و ما فيه نجاتك،و بالإعراض عما هو ضده من الكذب و الغيبه و أشباههما،و زكاه اللسان:النصح للمسلمين،و التيقظ للغافلين،و كثره التسبيح و الذكر و غيرها.و زكاه اليد:البذل و العطاء و السخاء بما أنعم اللّه عليك به،و تحريكها بكتابه العلم و منافع ينتفع بها المسلمون فى طاعه اللّه تعالى، و القبض عن الشر.و زكاه الرجل:السعى فى حقوق اللّه،من زياره الصالحين،و مجالس الذكر،و إصلاح الناس،و صله الأرحام،و الجهاد و ما فيه صلاح قلبك و سلامه دينك» (۲).

و ثانيها:

الخمس

و قد فرضه اللّه تعالى على عباده صونا لذريه نبيه-صلى اللّه عليه و آله- عن الافتقار،و تنزيها لهم عن الصدقات التى هى أوساخ الناس،فقال سبحانه:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ

ص: ۱۴۲

۱- ۱) فى نسخ(جامع السعادات):«النظر بالعبر»،و لعله الأولى.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۲۲،و فيه اختلاف كثير عن نسخ(جامع السعادات)بما لم يخرج عن المعنى.

وَ لِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتٰامیٰ وَ الْمَسٰاکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ،إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلیٰ عَبْدِنٰا یَوْمَ الْفُرْقٰانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعٰانِ،وَ اللّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ

(۱)

.

و المستفاد من الآیه:أن مانع الخمس لا إیمان له.

و قال أمیر المؤمنین -علیه السلام-: «هلک الناس فی بطونهم و فروجهم،لأنهم لا یؤدون إلینا حقنا». و لا ریب فی عظم الثواب و الأجر فی أدائه و إیصاله إلی أهله،و کیف لا و هو إعانه ذریه الرسول-صلی اللّه علیه و آله-و قضاء حوائجهم،

و قد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «حقت شفاعتی لمن أعان ذریتی بیده و لسانه و ماله» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «أربعه أنا لهم شفیع یوم القیامه:المکرم لذریتی،و القاضی لهم حوائجهم و الساعی لهم فی أمورهم عند ما اضطروا إلیه،و المحب لهم بقلبه و لسانه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من اصطنع إلی أحد من أهل بیتی یدا، کافیته یوم القیامه».

و عن الصادق-علیه السلام-قال: «إذا کان یوم القیامه،نادی مناد:أیها الخلائق،انصتوا،فإن محمدا یکلمکم.

فتنصت الخلائق،فیقوم النبی صلی اللّه علیه و آله فیقول:یا معشر الخلائق من کانت له عندی ید أو منه أو معروف فلیقم حتی أکافیه.فیقولون:

بآبائنا و أمهاتنا!و أی منه و أی معروف لنا؟!بل الید و المنه و المعروف للّه و لرسوله علی جمیع الخلائق.فیقول لهم:بلی!من آوی أحدا من أهل بیتی،أو برهم،أو کساهم من عری،أو أشبع جائعهم،فلیقم حتی أکافیه.فیقوم أناس قد فعلوا ذلک،فیأتی النداء من عند اللّه:

۱- ۱) الأنفال،الآیه:۴۱.

۲- ۲) صححنا هذا الحدیث علی(جامع الإخبار):الباب ۲،الفصل ۶.

یا محمد،یا حبیبی،قد جعلت مکافاتهم إلیک،فأسکنهم من الجنه حیث شئت.قال:فیسکنهم فی الوسیله حیث لا یحجبون عن محمد و أهل بیته -صلوات اللّه علیهم» (۱). و قد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار و الآداب و الشرائط الباطنه.

و ینبغی أن یکون معطیه فی غایه الحذر عن استعظامه و عن المن و الأذی و أن یکون فی غایه التخضع و التواضع للذریه العلویه عند إعطائه إیاهم، و یعلم أنه عبد من عباد اللّه،أعطاه مولاه نبذا من أمواله،ثم أمره بأن یوصل قلیلا منها إلی ذریه نبیه-صلی اللّه علیه و آله-،و جعل له أیضا فی مقابله هذا الإیصال زیاده المال فی الدنیا و عظیم الأجر و الثواب فی العقبی فما أقبح بالعاقل-مع ذلک-أن یستعظم ما یعطیه،و یمن علی أولاد نبیه -صلی اللّه علیه و آله-.

و ثالثها:

الإنفاق علی الأهل و العیال

و التوسع علیهم.و هو أیضا من الواجبات،علی النحو المقرر فی کتب الفقه.و ما ورد فی مدحه و عظم أجره أکثر من أن یحصی،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الکاد علی عیاله کالمجاهد فی سبیل اللّه» (۲)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «خیرکم خیرکم لأهله».

ص: ۱۴۴

۱- ۱) صححنا الأحادیث الثلاثه الأخیره علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف أبواب الأمر بالمعروف،الباب ۱۷.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب مقدماتها، الباب ۲۲.و روی الحدیث فی(المستدرک)عن(غوالی اللئالی).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «المؤمن يأكل بشهوه أهله،و المنافق يأكل أهله بشهوته» (١)

و قال: «أفضل الصدقه صدقه عن ظهر غنى،و ابدأ بمن تعول،و اليد العليا خير من اليد السفلى،و لا يلوم اللّه على الكفاف» (٢)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «دينار أنفقته على أهلك،و دينار أنفقته فى سبيل اللّه،و دينار أنفقته فى رقبه،و دينار تصدقت به على مسكين، و أعظمها أجرا الدينار الذى أنفقته على أهلك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقه،و أن الرجل ليؤجر فى رفع اللقمه إلى فم امرأته».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهّم بطلب المعيشه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من كانت له ثلاث بنات،فأنفق عليهن و أحسن إليهن حتى يغنيهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالى له الجنه،إلا أن يعمل عملا لا يغفر اللّه له».

و قال -صلى اللّه عليه و آله-يوما لأصحابه: «تصدقوا.فقال رجل:إن عندى دينارا.قال:أنفقه على نفسك،فقال:إن عندى آخر قال:

أنفقه على زوجتك.قال:إن عندى آخر.قال:أنفقه على ولدك.

قال:إن عندى آخر،قال:أنفقه على خادمك.قال:إن عندى آخر.قال-صلى اللّه عليه و آله-:أنت أبصر به» (٣)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «ملعون ملعون من ألقى كله على الناس!ملعون ملعون من ضيع من يعوله!»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأمير المؤمنين

١- ١) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب النكاح،أبواب النفقات، الباب ٢١.و كذا الحديث الآتى:«ملعون ملعون...».

٢- ٢) صححنا الحديث على(الوافى):۶-٢٨٩،و هو بمضمونه من المشهورات التى يرويها العامه و الخاصه.

٣- ٣) صححنا الحديث على(احياء العلوم):١-٢٠٣.

علیه السلام-بعد ما رآه فی البیت ینقی العدس،و فاطمه علیها السلام جالسه عند القدر:«اسمع منی یا أبا الحسن،و ما أقول إلا من أمر ربی:ما من رجل یعین امرأته فی بیتها،إلا کان له بکل شعره علی بدنه عباده سنه صیام نهارها و قیام لیلها،و أعطاه اللّه من الثواب مثل ما أعطاه الصابرین و داود النبی و یعقوب و عیسی-علیهم السلام-یا علی،من کان فی خدمه العیال فی البیت و لم یأنف،کتب اللّه اسمه فی دیوان الشهداء،و کتب له بکل یوم و لیله ثواب ألف شهید،و کتب له بکل قدم ثواب حجه و عمره و أعطاه اللّه بکل عرق فی جسده مدینه فی الجنه.یا علی،ساعه فی خدمه البیت خیر من عباده ألف سنه،و ألف حجه،و ألف عمره،و خیر من عتق ألف رقبه،و ألف غزوه،و ألف مریض عاده،و ألف جمعه،و ألف جنازه،و ألف جائع یشبعهم،و ألف عار یکسوهم،و ألف فرس یوجهه فی سبیل اللّه،و خیر له من ألف دینار یتصدق علی المساکین،و خیر له من أن یقرأ التوراه و الإنجیل و الزبور و الفرقان،و من ألف أسیره اشتراها فأعتقها،و خیر له من ألف بدنه یعطی للمساکین،و لا یخرج من الدنیا حتی یری مکانه فی الجنه.یا علی،من لم یأنف من خدمه العیال دخل الجنه بغیر حساب.یا علی،خدمه العیال کفاره للکبائر،و تطفئ غضب الرب،و مهور حور العین،و تزید فی الحسنات و الدرجات.یا علی، لا یخدم العیال إلا صدیق أو شهید،أو رجل یرید اللّه به خیر الدنیا و الآخره» (1).

و قال السجاد علیه السلام: «أرضاکم عند اللّه أسبغکم علی عیاله»

---

1 - 1) صححنا الحدیث علی(جامع الأخبار):الباب 8،الفصل 3،طبع بمبئی سنه 1338،و لم نعثر علی الحدیث فی الکتب المعتبره.إلا أنه فی(مستدرک الوسائل)نقله عن(جامع الأخبار)نفسه فی أبواب مقدمات التجاره:الباب 17.

و قال-علیه السلام-: «لئن ادخل السوق،و معی دراهم أبتاع لعیالی لحما،و قد قرموا (۱)إلیه،أحب إلی من أن أعتق نسمه».

و قال الصادق علیه السلام: «کفی بالمرء إثما أن یضیع من یعوله».

و قال علیه السلام: «من سعاده الرجل أن یکون القیم علی عیاله».

و قال الکاظم علیه السلام: «إن عیال الرجل أسراؤه،فمن أنعم اللّه علیه نعمه فلیوسع علی أسرائه،فإن لم یفعل أوشک أن تزول النعمه».

و قال أبو الحسن الرضا علیه السلام: «ینبغی للرجل أن یوسع علی عیاله لئلا یتمنوا موته».

و قال علیه السلام: «صاحب النعمه یجب علیه التوسعه علی عیاله» (۲). و الأخبار الوارده فی ثواب الإنفاق علی العیال و خدمتهم و التوسع علیهم مما لا تعد کثره.و ما ذکرناه کاف لإیقاظ أهل الاستبصار

فصل ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال

ینبغی لطالب الأجر و الثواب فی إنفاق العیال:أن یقصد فی کده و سعیه فی تحصیل النفقه و فی إنفاقه وجه اللّه و ثواب الآخره،إذ لا ثواب بدون القربه،و أن یجتنب عن تحصیل الحرام و الشبهه،و لا یدخل علی عیاله إلا الحلال،إذ أخذ الحرام،و إنفاقه أعظم الذنوب و أشد المعاصی، و أن یقصد فی التحصیل و الإنفاق،فلیحترز عن الإقتار لئلا یضیع عیاله

۱- ۱) قال فی(الوافی):۶-۲۸۸،باب التوسع علی العیال،فی شرح هذا الحدیث:«القرم:شده شهوه للحم».

۲- ۲) صححنا الأحادیث،ابتداء من الروایه عن السجاد،علی(الوسائل): کتاب النکاح،أبواب النفقات،الباب ۲۰ و ۲۱.

و عن الإسراف لئلا يضيع عمره فی طلب المال،فیکون من الخاسرين الهالكين.قال اللّه سبحانه:

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

.و قال: وَ لاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ (۲).

و قال: وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً (۳).

و عن الصادق-عليه السلام-: «أنه تلا هذه الآيه: (وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً) ،فأخذ قبضه من حصى و قبضها بيده،فقال:هذا الإقتار الذى ذكره اللّه فى كتابه.ثم أخذ قبضه أخرى،فأرخى كفه كلها،ثم قال:هذا الإسراف.ثم أخذ قبضه أخرى،فأرخى بعضها و أمسك بعضها،و قال:هذا القوام» (۴)و ينبغى ألا يستأثر نفسه أو بعض عياله بمأكول طيب،و لا يطعم سائرهم منه،فإن ذلك يوغر الصدر و يبعد عن المعاشره بالمعروف،إلا أن يضطر إليه،لمرض أو ضعف أو غير ذلك.و ينبغى ألا يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم إياه،و أن يقعد عياله كلهم على مائده عند الأكل

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۳۰.

۲- ۲) الإسراء،الآيه:۲۹.

۳- ۳) الفرقان،الآيه:۶۷.

۴- ۴) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۶.باب فضل القصد بين الإسراف و التقتير.

فقد روی: «أن اللّه و ملائکته یصلون علی أهل بیت یأکلون فی جماعه».

و أما الأمور المستحبه من الإنفاق،الداخله تحت السخاء،
فأولها:

صدقه التطوع

و فضلها عظیم،و فوائدها الدنیویه و الأخرویه کثیره.

قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-: «تصدقوا و لو بتمره،فإنها تسد من الجائع و تطفئ الخطیئه،کما یطفئ الماء النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اتقوا النار و لو بشق تمره،فإن لم تجدوا فبکلمه طیبه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «ما من عبد مسلم یتصدق بصدقه من کسب طیب،و لا یقبل اللّه إلا طیبا،إلا کان اللّه آخذها بیمینه،فیربیها له کما یربی أحدکم فصیله،حتی تبلغ التمره مثل أحد».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما أحسن عبد الصدقه إلا أحسن اللّه عز و جل الخلافه علی ترکته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل امرئ فی ظل صدقته،حتی یقضی بین الناس»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أرض القیامه نار،ما خلا ظل المؤمن،فإن صدقته تظله».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن اللّه لا إله إلاّ هو،لیدفع بالصدقه الداء و الدبیله،و الحرق و الغرق،و الهدم و الجنون ...» و عد سبعین بابا من الشر.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «صدقه السر تطفئ غضب الرب عز و جل» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إذا أطرقکم سائل ذکر باللیل فلا تردوه».

و فائده التخصیص بالذکر و اللیل:أن من یسألک لیلا فی صوره

۱- ۱) الأخبار النبويه المذكوره فى هذا الفصل أغلبها عاميه صححناها على (إحياء العلوم):ج ۱ بيان فضيله الصدقه.

الإنسان،یحتمل أن یکون ملکا أتاک للامتحان،

کما روی: «أنه سبحانه أوحی إلی موسی بن عمران علیه السلام،و قال:یا موسی،أکرم السائل ببذل یسیر أو برد جمیل،إنه یأتیک من لیس بإنس و لا جان،بل ملائکه من ملائکه الرحمن،یبلونک فیما خولتک،و یسألونک فیما نولتک،فانظر کیف أنت صانع یا ابن عمران». و لذلک حث رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-علی عدم رد السائل،

و قال: «أعط السائل و لو علی ظهر فرس».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لا تقطعوا علی السائل مسألته فلو لا أن المساکین یکذبون ما أفلح من ردهم»

و قال الباقر-علیه السلام- «البر و الصدقه ینفیان الفقر،و یزیدان فی العمر،و یدفعان عن صاحبهما سبعین میته سوء»

و قال الصادق-علیه السلام-: «داووا مرضاکم بالصدقه و ادفعوا البلاء بالدعاء،و استنزلوا الرزق بالصدقه،فإنها تفک من بین لحی سبعمائه شیطان،و لیس شیء أثقل علی الشیطان من الصدقه علی المؤمن و هی تقع فی ید الرب تعالی قبل أن تقع فی ید العبد»

و قال-علیه السلام- «الصدقه بالید تقی میته السوء،و تدفع سبعین نوعا من البلاء،و تفک عن لحی سبعین شیطانا کلهم یأمره ألا یفعل».

و قال-علیه السلام- «یستحب للمریض أن یعطی السائل بیده،و یأمره أن یدعو له».

و قال علیه السلام: «باکروا بالصدقه،فإن البلاء لا یتخطاها،و من تصدق بصدقه أول النهار دفع اللّه عنه شر ما ینزل من السماء فی ذلک الیوم،فإن تصدق أول اللیل دفع اللّه شر ما ینزل من السماء فی تلک اللیله».

و کان -علیه السلام-إذا أعتم-أی صلی العتمه-و ذهب من اللیل شطره، أخذ جرابا فیه خبز و لحم و دراهم،فحمله علی عنقه،ثم ذهب به إلی أهل الحاجه من أهل المدینه،فقسمه فیهم و لا یعرفونه،فلما مضی أبو عبد اللّه علیه السلام،فقدوا ذلک،فعلموا أنه کان أبا عبد اللّه-علیه

و سئل عليه السلام عن السائل يسأل و لا يدرى ما هو،فقال:«أعط من أوقع فى قلبك الرحمه».

و قال-عليه السلام- فى السؤال:«أطعموا ثلاثه، و إن شئتم أن تزدادوا فازدادوا،و إلا فقد أديتم حق يومكم»

و قال-عليه السلام -فى الرجل يعطى غيره الدراهم يقسمها،قال:«يجرى له من الأجر مثل ما يجرى للمعطى،و لا ينقص من أجره شيئا.و لو أن المعروف جرى على سبعين يد،لأوجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء». و قد وردت أخبار كثيره فى فضل تصدق الماء و ثوابه،

قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «أول ما يبدأ به فى الآخره صدقه الماء يعنى فى الأجر».

و قال أبو جعفر-عليه السلام-: «إن اللّه تعالى يحب إيراد الكبد الحراء،و من سقى الماء كبدا حراء،من بهيمه و غيرها أظله اللّه فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله».

و قال الصادق-عليه السلام- «من سقى الماء فى موضع لا يوجد فيه الماء،كان كمن أعتق رقبه،و من سقى الماء فى موضع لا يوجد فيه الماء،كان كمن أحيى نفسا،و من أحيى نفسا فكأنما أحيى الناس جميعا».

(تنبيه):

سئل رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أى الصدقه أفضل؟قال:أن تتصدق و أنت صحيح،تأمل البقاء و تخشى الفاقه، و لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت:لفلان كذا و لفلان كذا».

فصل فضيله الإسرار فى الصدقه المندوبه

لا كلام فى أن الإسرار فى الصدقه المندوبه أفضل من إظهارها للمعطى فى إعطائها،و يدل عليه

قول الصادق عليه السلام: «الصدقه فى السر

و اللّه أفضل من الصدقه فی العلانیه» (۱).

و قوله-علیه السلام-: کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا،فإسراره أفضل من إعلانه».

و إنما الکلام فی أن الأفضل للآخذ فی أخذها أن یأخذها سرا أو علانیه.فقیل الأفضل له أخذها سرا،لأنه أبقی للتعفف و ستر المروه،و أسلم لقلوب الناس و ألسنتهم من الحسد و سوء الظن و الغیبه.و عون للمعطی علی العمل،و قد علمت أفضلیه السر علی الجهر فی الإعطاء،و أصون لنفسه عن الإذلال و الإهانه،و أخلص من شوب شرکه الحضار،فإن المستفاد من الأخبار:

أن الحضار شرکاء من أهدی له فی الهدیه.و الظاهر أن الصدقه مثلها إذا کان الحضار من أهلها.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أهدی له هدیه و عنده قوم،فهم شرکاؤه فیها».

و قال الباقر علیه السلام «جلساء الرجل شرکاؤه فی الهدیه».

و قال-علیه السلام-: «إذا أهدی للرجل هدیه من طعام،و عنده قوم،فهم شرکاؤه فی الهدیه:الفاکهه أو غیرها». و قیل:الأفضل أخذها علانیه،و التحدث بها،لتنقیه الکبر و الریاء،و تلبیس الحال،و إیجابه الإخلاص و الصدق،و إقامه منه الشکر،و إسقاط الجاه و المنزله،و إظهار العبودیه و المسکنه،مع أن العارف ینبغی ألا ینظر إلا إلی اللّه،و السر و العلانیه فی حقه واحد،فاختلاف الحال شرک فی التوحید.

و الحق أن الحکم بأفضلیه أحدهما علی الإطلاق غیر صحیح،إذ تختلف فضیله کل منها باختلاف النیات،و تختلف النیات باختلاف الأحوال و الأشخاص

---

۱ - ۱) صححنا أغلب هذه الأخبار المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-فی هذا المقام علی(الوافی):۶-۲۸۲،۲۸۴ باب فضل الصدقه و باب فضل صدقه السر.

فینبغی لطالب السعاده أن یراقب نفسه،و یلاحظ حاله و وقته، و یری أن أی الحالتین من السر و الجهر بالنظر إلیه أقرب إلی الخلوص و القربه،و أبعد من الریاء و التلبیس و سائر الآفات،فیختار ذلک،و لا یتدلی بحبل الغرور،و لا ینخدع بتلبیس الطبع و مکر الشیطان.مثلا إذا کان طبعه مائلا إلی الإسرار و رأی أن باعث هذا المیل حفظ الجاه و المنزله و خوف سقوط القدر من أعین الناس،و نظر الخلق إلیه بعین الازدراء، و إلی المعطی کونه منعما محسنا إلیه،أو خوف ألا یعطیه الناس بعد ذلک لعلمهم بما أخذه،فلینتقل عن الإسرار و یأخذها علانیه،إذ لو أبقی نفسه علی ما استکن فیها من الداء الدفین،و عمل بمقتضاها،صار هالکا و إن کان طبعه مائلا إلی الإسرار،و أیقن بأن باعث المیل إلیه:إبقاء التعفف،و ستر المروه،و صیانه الناس عن الحسد،و سوء الظن و الغیبه، و لم یکن باعثه شیء من المفاسد المذکوره،فالأولی أن یأخذها سرا.

و یعرف ذلک بأن یکون تألمه بانکشاف أخذه للصدقه کتألمه بانکشاف صدقه أخذها بعض أقرانه و إخوانه المؤمنین،فإنه إن کان طالبا لبقاء السر و إعانه المعطی علی الاسرار،و صیانه العلم عن الابتذال،و حفظ الناس عن الحسد و الغیبه و سوء الظن،فینبغی أن یکون طالبا لها فی صدقه أخیه أیضا، إذ یحصل ما یحذر منه:من هتک الستر،و ابتذال العلم،و وقوع الناس فی الغیبه و الحسد بانکشاف صدقه أخیه أیضا.فإن کان انکشاف صدقته أثقل علیه من انکشاف صدقه غیره،فتقدیره الحذر من هذه المعانی تلبیس من النفس و مکر من الشیطان. و إذا کان طبعه مائلا إلی الإظهار،و وجد منه أن باعث هذا المیل هو التطیب لقلب المعطی،و الاستحثاث له علی مثله،و الإظهار للغیر بأنه من المبالغین فی الشکر،حتی یرغبوا فی الإحسان إلیه،فلیتنبه أن هذا الداء من الداء الدفین الذی یهلکه لو لم یعالجه،فلیترک

أخذها جهرا و التحدث بها،و ينتقل إلى الأخذ خفيه.و إن تيقن من نفسه بأن الباعث هو إقامه السنه فى الشكر،و التحدث بالنعمه،و إسقاط الجاه و المنزله،و إظهار العبوديه و المسكنه،أو غير ذلك من المقاصد الصحيحه من دون تطرق شىء من المفاسد المذكوره،فالإظهار الأفضل،و يعرف ذلك بأن تميل نفسه إلى الشكر،حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى و لا إلى من يرغب فى عطائه،و بين يدى جماعه يعلم أنهم يكرهون إظهار العطيه و يرغبون فى إخفائها،و عادتهم ألا يعطوها إلا من يخفيها و لا يتحدث بها و لا يشكر عليها.ثم إذا جزم بكون الباعث إقامه السنه فى الشكر،فينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى،فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر و النشر فيخفى الأخذ و لا يشكر،لأن قضاء حقه ألا ينصره على الإثم، و إن كان ممن لا يحب الشكر و لا يطلب النشر،فالأولى أن يشكره و يظهر صدقته.

و ينبغى لكل من يراعى قلبه أن يلاحظ هذه الدقائق و لا يهملها، إذ إعمال الجوارح مع إهمالها ضحكه للشيطان و شماته له،لكثره التعب فيها مع عدم تصور نفع لها،و العلم بهذه الدقائق و ملاحظتها هو العلم الذى ورد فيه أن تعلم مسأله واحده منه أفضل من عباده سنه،إذ بهذا العلم تحيى عباده العمر،و بالجهل به تموت عباده العمر.

و ثانيها:

الهديه

و هى ما يعطى و يرسل إلى أخيه المسلم،فقيرا كان أم غنيا،طلبا للاستيناس،و تأكيدا للصحبه و التودد.و هو مندوب إليه من الشرع، و مع سلامه القصد و النيه يكون عباده.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه

ص :۱۵۴

و آله-: «تحابوا تهادوا،فإنها تذهب بالضغائن.

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «لو أهدى الى ذراع لقبلت».

و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «لأن أهدى لأخى المسلم هديه أحب إلى من أن أتصدق بمثلها»

و قال-عليه السلام-: «من تكرمه الرجل لأخيه المسلم،أن يقبل تحفته و أن يتحفه بما عنده،و لا يتكلف له شيئا».

و ثالثها:

الضيافه

و ثوابها جزيل،و أجرها جميل،و فضلها عظيم،و ثمرها جسيم.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «لا خير فيمن لا يضيف».

و مر-صلى اللّه عليه و آله-برجل له إبل و بقر كثير،فلم يضفه،و مر بأمرأه لها شويهات،فذبحت له،فقال-صلى اللّه عليه و آله-«انظروا إليهما،فإنما هذه الأخلاق بيد اللّه عز و جل،فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الضيف إذا جاء فنزل بالقوم،جاء برزقه معه من السماء،فإذا أكل غفر اللّه لهم بنزوله».

و قال: «ما من ضيف حل بقوم إلا و رزقه فى حجره».

و قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم ضيفه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«لا تزال أمتى بخير:ما تحابوا،و أدوا،الأمانه،و اجتنبوا الحرام،و أقرءوا الضيف،و أقاموا الصلاه،و آتوا الزكاه،فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط و السنين».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا أراد اللّه بقوم خيرا أهدى لهم هديه.قالوا:و ما تلك الهديه؟قال:الضيف ينزل برزقه،و يرتحل بذنوب أهل البيت».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكه».

و قال-صلى اللّه

علیه و آله-: «الضیف دلیل الجنه».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«ما من مؤمن یحب الضیف إلا و یقوم من قبره و وجهه کالقمر لیله البدر فینظر أهل الجمع،فیقولون:ما هذا إلا نبی مرسل!فیقول ملک:هذا مؤمن یحب الضیف و یکرم الضیف،و لا سبیل له إلا أن یدخل الجنه»

و قال-علیه السلام-: «ما من مؤمن یسمع بهمس الضیف و فرح بذلک إلا غفرت له خطایاه،و إن کانت مطبقه بین السماء و الأرض».

و بکی -علیه السلام-یوما،فقیل له:ما یبکیک؟قال:«لم یأتنی ضیف منذ سبعه أیام،أخاف أن یکون اللّه قد أهاننی».

و عن محمد بن قیس عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-،قال: «ذکر أصحابنا قوما،فقلت:

و اللّه ما أتغدی و لا أتعشی إلا و معی منهم اثنان أو ثلاثه أو أقل أو أکثر فقال-علیه السلام-:فضلهم علیک أکثر من فضلک علیهم.قلت:

جعلت فداک!کیف ذا و أنا أطعمهم طعامی،و أنفق علیهم من مالی، و یخدمهم خادمی؟فقال:إذا دخلوا علیک دخلوا من اللّه بالرزق الکثیر، و إذا خرجوا خرجوا بالمغفره لک».

و کان إبراهیم الخلیل-علیه السلام- إذا أراد أن یأکل،خرج میلا أو میلین یلتمس من یتغدی معه،و کان یکنی(أبا الضیفان).

و جمیع الأخبار الوارده فی فضیله إطعام المؤمن و سعیه تدل علی فضیله الضیافه،

کقوله-صلی اللّه علیه و آله- بعد سؤاله عن الحج المبرور:

«هو إطعام الطعام و طیب الکلام».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من أطعم ثلاثه نفر من المسلمین أطعمه اللّه من ثلاث جنان فی ملکوت السماوات:الفردوس،و جنه عدن،و طوبی شجره تخرج فی جنه عدن غرسها ربنا بیده».

و قول الصادق-علیه السلام-: «من أشبع مؤمنا وجبت له الجنه».

و قوله-علیه السلام-: «من أطعم مؤمنا حتی یشبعه

لم یدر أحد من خلق اللّه ما له من الأجر فی الآخره،لا ملک مقرب و لا نبی مرسل،إلا اللّه رب العالمین».

و سئل-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما الإیمان؟فقال:إطعام الطعام».

و قال: «إن فی الجنه غرفا یری ظاهرها من باطنها،و باطنها من ظاهرها،یسکنها من أمتی من أطاب الکلام،و أطعم الطعام،و أفشی السلام،و صلی باللیل و الناس نیام».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أحب الأعمال إلی اللّه تعالی:

إشباع جوعه المؤمن،و تنفیس کربته،و قضاء دینه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه یحب الإطعام فی اللّه،و یحب الذی یطعم الطعام فی اللّه،و البرکه فی بیته أسرع من الشفره فی سنام البعیر».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «خیرکم من أطعم الطعام».

و قال(ص):

«من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتی یشبعه،و سقاه حتی یرویه،بعده اللّه من النار سبع خنادق،ما بین کل خندقین مسیره خمسمائه عام».

و فی الخبر: «أن اللّه تعالی یقول للعبد فی القیامه:یا ابن آدم،خفت فلم تطعمنی.فیقول:کیف أطعمک و أنت رب العالمین؟فیقول:جاع أخوک فلم تطعمه،و لو أطعمته کنت أطعمتنی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سقی مؤمنا من ظمإ،سقاه اللّه من الرحیق المختوم»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سقی مؤمنا شربه من ماء من حیث یقدر علی الماء،أعطاه اللّه بکل شربه سبعین ألف حسنه،و إن سقاه من حیث لا یقدر علی الماء،فکأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعیل» (1).

---

1 - 1) صححنا أحادیث هذا الفصل علی(البحار):4 مج 15-110،باب إطعام المؤمن و 242،244.باب آداب الضیف.و علی(الکافی):باب إطعام المؤمن.و علی(الوسائل):فی آداب المائده من کتاب الأطعمه و الأشربه.

فصل ما ينبغى أن يقصد بالضيافه

ينبغى أن يقصد فى ضيافته التقرب إلى اللّه،و التسنن بسنه رسول اللّه و استماله قلوب الإخوان،و إدخال السرور على قلوب المؤمنين،و لا يقصد به الرياء و المفاخره و المباهاه،و إلا ضاع عمله،و أن يدعو الفقراء و الأتقياء و إن كان فى ضيافه الأغنياء و مطلق الناس فضيله أيضا.و ينبغى ألا يهمل فى ضيافته الأقارب و الجيران،إذ إهمالهم قطع رحم و إيحاش،و ألا يدعو من يعلم أنه تشق عليه الإجابه.و ينبغى أن يعجل فى إحضار الطعام لأنه من إكرام الضيف،

و قد ورد: «أن العجله من الشيطان،إلا فى خمسه أشياء،فإنها من سنه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

إطعام الضيف،و تجهيز البيت،و تزويج البكر،و قضاء الدين،و التوبه من الذنوب». و أن يحضر من الطعام قدر الكفايه،إذ التقليل عنه نقص فى المروه،و الزياده عليه تضييع،و أن يسعى فى إكرام الضيف:من طلاقه الوجه،و طيب الكلام معه عند دخوله و خروجه و على المائده، و الخروج معه إلى باب الدار إذا خرج،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «إن من سنه الضيف أن يشيعه إلى باب الدار». و مما ينبغى له ألا يستخدم الضيف،

قال الباقر-عليه السلام-: «من الجفاء استخدام الضيف».

و كان عند الرضا-عليه السلام-ضيف،فكان يوما فى بعض الحوائج،فنهاه عن ذلك،و قام بنفسه إلى تلك الحاجه،و قال:

«نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن أن يستخدم الضيف».

فصل آداب الضیافه

ینبغی لکل مؤمن أن یجیب دعوه أخیه إلی الضیافه،من غیر أن یفرق بین الغنی و الفقیر،بل یکون أسرع إجابه إلی دعوه الفقیر،و ألا یمنعه بعد المسافه عن الإجابه إذا أمکن احتمالها عاده.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله «أوصی الشاهد من أمتی و الغائب،أن یجیب دعوه المسلم و لو علی خمسه أمیال،و لا یمنعه صوم التطوع عن الإجابه،بل یحضر،فإن علم سرور أخیه بالإفطار فلیفطر،و یحتسب فی إفطاره أفضل ما یحتسب فی صومه»

و قال الصادق-علیه السلام-: «من دخل علی أخیه و هو صائم، فأفطر عنده و لم یعلمه بصومه فیمن علیه،کتب اللّه له صوم سنه،و إن علم أنه متکلف و لا یسر بإفطاره فلیتعلل».

و ینبغی ألا یقصد بالإجابه قضاء شهوه البطن،لیدخل عمله فی أمور الدنیا،بل ینوی الاقتداء بسنه رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- و إکرام أخیه المؤمن،لیکون فی عمله مطیعا للّه مثابا فی الآخره،و أن یحترز عن الإجابه إذا کان الداعی من الظلمه أو الفساق،أو کانت ضیافته للفخر و المباهاه،و من کان طعامه حراما أو شبهه،أو لم یکن موضعه أو بساطه المفروش حلالا،أو کان فی الموضع شیء من المنکرات کاناء فضه،أو تصویر حیوان علی سقف أو حائط،أو أحد آلات اللهو من المزامیر و أمثالها،أو التشاغل بشیء من اللهو و اللعب و الهزل، فکل ذلک مما یمنع الإجابه،و یوجب تحریمها أو کراهیتها.

قال الصادق -علیه السلام-: «لا ینبغی للمؤمن أن یجلس مجلسا یعصی اللّه تعالی

فیه و لا یقدر علی تغییره.و من ابتلی بحضور طعام ظالم إکراها و تقیه، فلیقلل الأکل،و لا یأکل أطایب الأطعمه.

و ینبغی للضیف-أیضا-إذا دخل الدار ألا یصدر،و لا یقصد أحسن الأماکن،بل یتواضع و یرضی بالدون من المجلس،و إن أشار إلیه صاحب الدار بموضع فلا یخالفه و یجلس فیه،و إن أشار إلیه بعض الضیفان بالارتفاع أو الانحطاط،و ألا یجلس فی مقابله باب حجره النسوان،و لا یکثر النظر إلی الموضع الذی یخرج منه الطعام،فإنه دلیل الشره و خسه النفس،و أن یخص بالتحیه و السلام أولا من یقرب منه.

و ینبغی لمن دعی إلی الضیافه ألا یطول الانتظار علیهم،و لا یعجل بحیث یفاجئهم قبل تمام الاستعداد.

و رابعها:

الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ

و المراد من الأول:ما یعرضه الرجل و یقدره فی ماله،من قلیل أو کثیر،غیر الصدقات الواجبه،یعطیه محتاجا أو یصل به رحمه.و المراد بالثانی:ما یعطی به إلی الفقراء من الضغث بعد الضغث:أی القبضه بعد القبضه من الزرع یوم حصاده،و من الحفنه بعد الحفنه:أی ملء الکف من التمر أو الحنطه أو غیرهما من الثمار و الفواکه و الحبوبات عند قطعها و تصفیتها.و هذان النوعان من الإنفاق معدودان فی صدقه التطوع،و قد وردت بخصوصهما أخبار کثیره لشده استحبابهما.

قال الصادق علیه السلام:

«إن اللّه فرض للفقراء فی أموال الأغنیاء فریضه لا یحمدون إلا بأدائها و هی الزکاه،بها حقنوا دماءهم،و بها سموا مسلمین،و لکن اللّه تعالی فرض فی أموال الأغنیاء حقوقا غیر الزکاه،فقال اللّه تعالی:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ

(۱)

.

و الحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه فی ماله،یجب علیه أن یفرضه علی قدر طاقته و سعه ماله،فیؤدی الذی فرض علی نفسه إن شاء کل یوم جمعه،و إن شاء فی کل شهر» (۲).

و قال-علیه السلام-: «الحق المعلوم لیس من الزکاه،هو الشیء تخرجه من مالک،إن شئت کل جمعه،و إن شئت کل شهر،و لکل ذی فضل فضله،و قول اللّه تعالی: (وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ) ،فلیس من الزکاه،و الماعون لیس من الزکاه،و هو المعروف تصنعه و القرض تقرضه و متاع البیت تعیره،و صله قرابتک لیس من الزکاه و قال اللّه تعالی: وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ،فالحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه أنه فی ماله و نفسه،و یجب له أن یفرضه علی قدر طاقته و وسعه» (۳).

و قال-علیه السلام-:

«و إن علیکم فی أموالکم غیر الزکاه.فقلت:أصلحک اللّه،و ما علینا فی أموالنا غیر الزکاه؟فقال:سبحان اللّه!أ ما تسمع قول اللّه تعالی؟ یقول فی کتابه:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ

(۴)

۱- ۱) المعارج،الآیه:۲۴.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق.

۳- ۳) نفس المصدر:باب جمله ما یجب فیه الزکاه(الوسائل):۲-۷، باب الحقوق فی المال سوی الزکاه.

۴- ۴) المعارج،الآیه:۲۴،۲۵.

قال:قلت:فما ذا الحق المعلوم الذی علینا؟قال:هو و اللّه الشیء یعلمه الرجل فی ماله،یعطیه فی الیوم أو فی الجمعه أو الشهر،قل أو کثر غیر أنه یدوم علیه» (۱).

و قال-علیه السلام -فی قول اللّه تعالی:

فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ):«هو الرجل یؤتیه اللّه الثروه من المال،فیخرج منه الألف و الألفین و الثلاثه آلاف و الأقل و الأکثر،فیصل به رحمه،و یحمل به الکل عن قومه».

و قال(ع) «فی الزرع حقان:حق تؤخذ به،و حق تعطیه.قلت:و ما الذی أؤخذ به و ما الذی أعطیه؟قال:أما الذی تؤخذ به،فالعشر و نصف العشر،و أما الذی تعطیه،فقول اللّه:

وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ

(۲)

.

یعنی من حصدک الشیء ثم الشیء-و لا أعلمه إلا قال الضغث ثم الضغث-حتی تفرغ» (۳).

و قال-علیه السلام-: «لا تصرم باللیل و لا تحصد باللیل،و لا تضح باللیل،و لا تهذر باللیل.فإنک إن فعلت ذلک لم یأتک القانع و المعتر.فقلت:و ما القانع و المعتر؟فقال:القانع الذی یقنع بما أعطیته،و المعتر:الذی یمر بک فیسألک.و إن حصدت باللیل لم یأتک السؤال،و هو قول اللّه تعالی: وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ عند الحصاد،یعنی القبضه بعد القبضه إذا حصدته،فإذا خرج فالحفنه

ص: ۱۶۲

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق و علی(الوسائل):۲-۷،باب جمله ما یجب فیه الزکاه.

۲- ۲) الأنعام،الآیه:۱۴۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲.و علی(فروع الکافی): کتاب الزکاه،باب الحصاد و الجذاذ.و کذا ما بعده.

بعد الحفنه،و كذلك عند الصرام،و كذلك عند البذر.و لا تبذر باليل لأنك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد».

و قال الباقر-عليه السلام- فى قول اللّه تعالى وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصٰادِهِ :«هذا من الصدقه،يعطى المسكين القبضه بعد القبضه،و من الجذاذ الحفنه بعد الحفنه،حتى يفرغ» و فى مضمون هذه الأخبار أخبار كثيره أخر.

و خامسها:

القرض

و هو أيضا من ثمرات السخاء،لأن السخى تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله إلى حين استطاعته،كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله،و البخيل يشق عليه ذلك.و ثواب القرض عظيم،و فضله جسيم.

قال الباقر-عليه السلام-: «من أقرض رجلا قرضا إلى ميسره كان ماله فى زكاه،و كان هو فى الصلاه مع الملائكه حتى يقبضه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «مكتوب على باب الجنه:الصدقه بعشره، و القرض بثمانيه عشر».

و قال عليه السلام: «ما من مؤمن أقرض مؤمنا يلتمس به وجه اللّه،إلا حسب اللّه له أجره بحساب الصدقه،حتى يرجع ماله إليه،يعنى أعطاه اللّه فى كل آن أجر صدقه،ذلك لأن له قضاءه فى كل آن،فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانيا و ثالثا و هلم جرا،إلى أن يقبضه»

و قال عليه السلام: «لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز و اقتباس النار،فإنه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق».

و قال:

«لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز،فإن منعهما يورث الفقر» (۱)

ص: ۱۶۳

۱- ۱) صحمنا الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲، باب القرض.

و سادسها:

إنظار المعسر و التحليل

و هو أيضا من أفراد البذل المترتب على السخاء،و قد ورد فى فضله أخبار كثيره،

قال الصادق-عليه السلام-: «من أراد أن يظله اللّه يوم لا ظل إلا ظله،فلينظر معسرا،أو يدع له من حقه».

و قال عليه السلام: «إن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قال فى يوم حار -و حنا كفه-:من أحب أن يستظل من فور جهنم؟-قالها ثلاث مرات-فقال الناس فى كل مره:نحن يا رسول اللّه.فقال:من أنظر غريما أو ترك المعسر».

و قال عليه السلام-: «صعد رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-المنبر ذات يوم،فحمد اللّه و أثنى عليه،و صلى على أنبيائه ثم قال:أيها الناس،ليبلغ الشاهد الغائب منكم،ألا-و من أنظر معسرا كان له على اللّه فى كل يوم ثواب صدقه بمثل ماله،حتى يستوفيه».

و قيل له-عليه السلام-:«إن لعبد الرحمن بن سبابه دينا على رجل قد مات،و قد كلمناه أن يحلله فأبى،فقال:ويحه!أ ما يعلم أن له بكل درهم عشره إذا حلله،و إن لم يحلله فإنما هو درهم بدرهم؟» (1)و فى معناها أخبار كثيره آخر.

---

۱ - ۱) صححنا جميع الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲ باب إنظار المعسر و التحليل،و على(فروع الكافى):باب إنظار المعسر،كتاب الزكاه.

و سابعها:

بذل الکسوه و السکنی و نحوهما

غیر ما ذکر من وجوه الإعانه بالمسلم،کبذل الکسوه و السکنی، و حمله علی الدابه،و إعطائه الماعون،و إعارته المتاع و سائر ما یحتاج إلیه، و اطراق الفحل و غیر ذلک،فإن جمیع ذلک من ثمرات السخاء،و منعهما من نتایج البخل.و فی کل واحد منها فضیله و ثواب،و ورد فی فضیله کل منها أخبار.

و مما یدل علی مدح کسوه المؤمن،

قول الباقر-علیه السلام-:

«لأن أحج حجه أحب إلی من أعتق رقبه و رقبه و رقبه(حتی انتهی إلی عشره)،و مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین).و لأن أعول أهل بیت من المسلمین،أشبع جوعتهم،و أکسو عورتهم،و أکف وجوههم عن الناس،أحب إلی من أن أحج حجه و حجه(حتی انتهی إلی عشر) و عشر مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین)» (۱).

و قال الصادق علیه السلام: «من کسا أخاه کسوه شتاء أو صیف،کان حقا علی اللّه أن یکسوه من ثیاب الجنه،و أن یهون علیه من سکرات الموت،و أن یوسع علیه فی قبره،و أن یلقی الملائکه إذا خرج من قبره بالبشری،و هو قول اللّه عز و جل فی کتابه:

وَ تَتَلَقّاهُمُ الْمَلاٰئِکَهُ هٰذٰا یَوْمُکُمُ الَّذِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ

(۲)

و قال:«من کسا أحدا من فقراء المسلمین ثوبا من عری،أو أعانه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲،باب فضل الصدقه.

۲- ۲) الأنبیاء،الآیه:۱۰۳.

بشیء مما یقویه علی معیشته،وکل اللّه عز و جل به سبعه آلاف ملک من الملائکه،یستغفرون لکل ذنب عمله،إلی أن ینفخ فی الصور» (۱).

و ثامنها:

ما یبذل لوقایه العرض و النفس

ما یبذل لوقایه العرض،و حفظ الحرمه،و رفع شر الأشرار و ظلم الظلمه.فإن السخی لا یقصر فی شیء من ذلک،و البخیل ربما منع بخله عن ذلک،فیهتک عرضه و یذهب حرمته.و فی بعض الأخبار دلاله علی أن البذل لذلک صدقه.و تقدم أن ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و کذا بذل ما نقتضیه المروه و العاده من ثمرات الجود و السخاء،و من منعه کان بخیلا.

و تاسعها:

ما ینفق فی المنافع العامه

و الخیرات الجاریه،من بناء المساجد و المدارس و الربط و القناطیر، و إجراء القنوات،و أمثال ذلک مما یبقی أثره علی مر الدهور،و یصل نفعه و ثوابه إلی صاحبه فی کل وقت إلی یوم النشور.و لا یخفی ثواب ذلک.و الأخبار الوارده فی مدحه و فضیلته أکثر من أن تحصی،و لا حاجه إلی ذکرها لاشتهارها بین الناس.

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا المقام علی(الکافی):باب من کسا مؤمنا.

تنبیه الفرق بین الإنفاق و البر و المعروف

اعلم أن لفظ الإنفاق و المعروف و البر یتناول جمیع ما تقدم من الإنفاقات الواجبه و المستحبه.و الفرق بینها:أن الإنفاق خاص بالمال،و المعروف اسم جامع لکل ما عرف من طاعه اللّه و التقرب إلیه و الإحسان إلی الناس، و کل ما ندب إلیه الشرع من فعل و ترک،و هو من الصفات الغالبه،أی أمر معروف بین الناس إذا رأوه لا ینکرونه،و الغالب فی الأخبار إراده ما یتعلق بالمال من معانیه.و البر کالمعروف فی شموله لجمیع أعمال الخیر فی الأصل،و انصراف إطلاقه غالبا فی الأخبار إلی ما یتعلق بالمال من وجوه الإنفاقات المتقدمه بأسرها،و ربما خص بما سوی الصدقه منها،لما ورد أن البر و الصدقه ینفیان الفقر و یزیدان فی العمر.و الظاهر أن مبنی الخبر علی ذکر الخاص بعد العام،فلا وجه للتخصیص.ثم الصدقه تتناول جمیع ما تقدم من وجوه الإنفاق،سوی المروه.و علی أی تقدیر،لا ریب فی أن ما ورد من الآیات و الأخبار فی فضیله مطلق الإنفاق و المعروف و البر یدل علی فضیله کل واحد مما تقدم من وجوه الإنفاق،کقوله سبحانه:

أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا کَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَکُمْ

(۱)

.

و قوله: وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ

ص: ۱۶۷

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۷.

لّا تُظْلَمُونَ

(۱)

.و قوله: وَ آتَى الْمٰالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبىٰ وَ الْيَتامىٰ... الآيه (۲).و قوله: قُلْ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوٰالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ... (۳).و قوله: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّةٌ وَ لاٰ شَفٰاعَةٌ (۴).و قوله: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ... الآيه (۵).و قوله: اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ يُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاٰ أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۶).

و قول رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «أول من يدخل الجنه المعروف و أهله،و أول من يرد على الحوض».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «إن البركه أسرع إلى البيت الذى يمتار فيه المعروف من الشفره فى سنام الجزور،أو من السيل إلى منتهاه».

و قول الباقر-عليه السلام-:

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۷۲.

۲- ۲) البقره،الآيه:۱۷۶.

۳- ۳) البقره،الآيه:۲۱۵.

۴- ۴) البقره،الآيه:۲۵۴.

۵- ۵) البقره،الآيه:۲۶۱.

۶- ۶) البقره،الآيه:۲۶۲.

«إن من أحب عباد اللّه إلى اللّه،لمن حبب إليه المعروف و حبب إليه فعاله»

و قول الصادق عليه السلام: «إن من بقاء المسلمين و بقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق و يصنع المعروف،و إن من فناء الإسلام و فناء المسلمين أن تصير الأموال فى أيدى من لا يعرف فيها الحق و لا يصنع فيها المعروف»

و قوله-عليه السلام-: «رأيت المعروف كاسمه،و ليس شىء أفضل من المعروف إلا ثوابه».

و قوله عليه السلام مخاطبا لزراره «ثلاثه إن تعلمهن المؤمن كانت زياده فى عمره و بقاء لنعمه عليه.فقلت و ما هن؟فقال:تطويله فى ركوعه و سجوده فى صلاته،و تطويله لجلوسه على طعامه إذا أطعم على مائدته،و اصطناعه المعروف إلى أهله».

و قوله عليه السلام: «أقيلوا لأهل المعروف عثراتهم،و اغفروا لهم،فإن كف اللّه عليهم هكذا-و أومأ بيده كأنه يظلل بها شيئا».

و قوله-عليه السلام-:

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء».

و قال عليه السلام: «إن للجنه بابا يقال له المعروف،لا يدخله إلا أهل المعروف.و أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخره»: يعنى كما أنهم يصنعون المعروف فى الدنيا كذلك يصنعونه فى الآخره،يهبون حسناتكم لمن شاؤا،

كما قال الصادق عليه السلام فى خبر آخر: «يقال لهم فى الآخره:إن ذنوبكم قد غفرت لكم،فهبوا حسناتكم لمن شئتم و ادخلوا الجنه».

و قال عليه السلام: «قال أصحاب رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:يا رسول اللّه فداك آباؤنا و أمهاتنا!إن أصحاب المعروف فى الدنيا عرفوا بمعروفهم، فبم يعرفون فى الآخره؟فقال-صلى اللّه عليه و آله-:إن اللّه إذا أدخل أهل الجنه الجنه،أمر ريحا عبقه طيبه فلصقت بأهل المعروف،فلا يمر أحد منهم بملإ من أهل الجنه إلا وجدوا ريحه،فقالوا:هذا من أهل

المعروف» (۱).

و منها-أی من رذائل القوه الشهویه-:

اشاره

طلب الحرام

و عدم الاجتناب عنه.و لا ریب فی کونه مترتبا علی حب الدنیا و الحرص علیها،و هو أعظم المهلکات،به هلک أکثر من هلک،و جل الناس حرموا عن السعاده لأجله،و منعوا عن توفیق الوصول إلی اللّه بسببه.و من تأمل یعلم أن أکل الحرام أعظم الحجب للعبد من نیل درجه الأبرار،و أقوی الموانع له عن الوصول إلی عالم الأنوار،و هو موجب لظلمه القلب و کدرته،و هو الباعث لخبثه و غفلته،و هو العله العظمی لخسران النفس و هلاکها،و هو السبب الأقوی لضلالتها و خباثتها،هو الذی أنساها عهود الحمی،و هو الذی أ هواها فی مهاوی الضلاله و الردی و ما للقلب المتکون من الحرام و الاستعداد لفیوضات عالم القدس!و أنی للنطفه الحاصله منه و الوصول إلی مراتب الأنس!و کیف یدخل النور و الضیاء فی قلب أظلمته أدخنه المحرمات؟!و کیف تحصل الطهاره و الصفاء لنفس اخبثتها قذرات المشتبهات؟!و لأمر ما حذر عنه أصحاب الشرع و أمناء الوحی غایه التحذیر، و زجروا منه أشد الزجر،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن للّه ملکا علی بیت المقدس،ینادی کل لیله:من أکل حراما لم یقبل منه صرف و لا عدل»: أی لا نافله و لا فریضه.

و قال-صلی اللّه

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث الوارده هنا علی(الوافی):۶-۲۸۹-۲۹۰.و علی (الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،أبواب فعل المعروف،الباب ۱-۶.

علیه و آله-:«من لم یبال من أین اکتسب المال،لم یبال اللّه من أین أدخله النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل لحم نبت من حرام فالنار أولی به».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «من أصاب ما لا-من مأثم،فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فی سبیل اللّه،جمع اللّه ذلک جمعا،ثم أدخله فی النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن أخوف ما أخاف علی أمتی من بعدی هذه المکاسب الحرام،و الشهوه الخفیه، و الربا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اکتسب مالا من الحرام فإن تصدق به لم یقبل منه،و إن ترکه وراءه کان زاده إلی النار» (۱).

و قال الصادق-علیه السلام-: «إذا اکتسب الرجل مالا من غیر حله ثم حج فلبی،نودی:لا لبیک و لا سعدیک!و إن کان من حله، نودی لبیک و سعدیک!» (۲).

و قال-علیه السلام-: «کسب الحرام یبین فی الذریه».

و قال-علیه السلام- فی قوله تعالی:

وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً

(۳)

«إن کانت أعمالهم أشد بیاضا من القباطی،فیقول اللّه عز و جل

ص:۱۷۱

---

۱ - ۱) هذه النبویات-عدا الخامس-مذکوره فی(إحیاء العلوم):۲-۸۱،و صححناها علیه.أما الخامس،فقد رواه فی(الوسائل)عن(الکافی):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب منه،الباب ۱،الحدیث ۱.

۲ - ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به،باب عدم جواز الإنفاق من الکسب الحرام،الحدیث ۳.و فی نسخ(جامع السعادات):«إذا کسب».

۳- ۳) الفرقان،الآیه:۲۳.

لها:کونی هباء.و ذلک أنهم کانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه» (۱)

و قال الکاظم-علیه السلام-: «إن الحرام لا ینمی،و إن نمی لم یبارک فیه،و إن أنفقه لم یؤجر علیه،و ما خلفه کان زاده إلی النار».

و فی بعض الأخبار: «أن العبد لیوقف عند المیزان،و له من الحسنات أمثال الجبال،فیسأل عن رعایه عیاله و القیام بهم،و عن ماله من أین اکتسبه و فیم أنفقه،حتی تفنی تلک المطالبات کل أعماله،فلا تبقی له حسنه.

فتنادی الملائکه:هذا الذی أکل عیاله حسناته فی الدنیا،و ارتهن الیوم بأعماله»

و ورد: «أن أهل الرجل و أولاده یتعلقون به یوم القیامه، فیوقفونه بین یدی اللّه تعالی،و یقولون:یا ربنا،خذ لنا،بحقنا منه، فإنه ما علمنا ما نجهل،و کان یطعمنا من الحرام و نحن لا نعلم.فیقتص لهم منه» (۲).

فصل عزه تحصیل الحلال

ینبغی لطالب النجاه أن یفر من الحرام فراره من الأسد،و یحترز منه احترازه من الحیه السوداء،بل أشد.و أنی یمکنه ذلک فی أمثال زماننا الذی لم یبق فیه من الحلال إلا الماء الفرات و الحشیش النابت فی أرض الموات،و ما عداه قد أخبثته الأیدی العادیه،و أفسدته المعاملات الفاسده

ص:۱۷۲

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به الباب ۱،الحدیث ۶.و کذا ما قبله فی هذا الباب،الحدیث ۳.

۲ - ۲) هذان الخبران الأخیران لم نعثر لهما علی مستند.و قد ذکرهما فی(إحیاء العلوم):۳-۳۰،فقال عن الأول:«و فی الخبر»،و عن الثانی:«و یقال».

ما من درهم إلا و قد غصب من أهله مره بعد أولى،و ما من دينار إلا و قد خرج من أيدى من أخذه قهرا كره غب أولى،جل المياه و الأراضى من أهلها مغصوبه،و أنى يمكن القطع بحليه الأقوات و أكثر المواشى و الحيوانات من أهلها منهوبه،فأنى يتأتى الجزم بحليه اللحوم و الألبان و الدسوم.فهيهات ذلك هيهات!ما من تاجر إلا و معاملته مع الظالمين، و ما من ذى عمل إلا و هو مخالط للجائرين من عمال السلاطين.

و بالجمله:الحلال فى أمثال زماننا مفقود،و السبيل دون الوصول إليه مسدود.و لعمرى!أن فقده آفه عم فى الدين ضررها،و نار استطار فى الخلق شررها.و الظاهر أن أكثر الأعصار كان حالها كذلك،

و لذلك قال الإمام جعفر بن محمد الصادق-عليهما السلام-: «المؤمن يأكل فى الدنيا بمنزله المضطر».

و قال رجل للكاظم-عليه السلام-: «ادع اللّه جل و عز أن يرزقنى الحلال،فقال:أ تدرى ما الحلال؟قال:الكسب الطيب.فقال:كان على بن الحسين-عليهما السلام-يقول:الحلال قوت المصطفين.و لكن قل:أسألك من رزقك الواسع». و مع ذلك كله،لا ينبغى للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحلال،و يترك الفرق و الفصل بين الأموال،فإن اللّه سبحانه أجل و أعظم من أن يكلف عباده بأكل الحلال و يسد عنهم طريق تحصيله.

فصل أنواع الأموال

اعلم أن الأموال على أقسام ثلاثه:حلال بين،و حرام بين، و شبهات بينهما.و لكل منها درجات،فإن الحرام و إن كان كله خبيثا،

إلا أن بعضه أخبث من بعض،فإن ما يؤخذ بالمعامله الفاسده مع التراضى ليس فى الحرمه كمال اليتيم الذى يؤخذ قهرا.و كذا الحلال و إن كان كله طيبا،إلا أن بعضه أطيب من بعض.و الشبهه كلها مكروهه،و لكن بعضها أشد كراهه من بعض.و كما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحراره و لكن يقول بعضه حار فى الدرجه الأولى،و بعضه فى الثانيه،و بعضه فى الثالثه،و بعضه فى الرابعه،فكذلك الحرام بعضه خبيث فى الدرجه الأولى و بعضه فى الثانيه،و بعضه فى الثالثه،و بعضه فى الرابعه،و كذلك درجات الحلال فى الصفاء و الطيبه،و درجات الشبهه فى الكراهه.

ثم الحرام إما يحرم لعينه،كالكلب و الخنزير و التراب و غيرها من المحرمات العينيه،أو لصفه حادثه فيه،كالخمر لإسكاره،و الطعام المسموم لسميته،أو لخلل فى جهه إثبات اليد عليه.و له أقسام غير محصوره، كالمأخوذ بالظلم و القهر و الغصب و السرقه و الخيانه فى الأمانه و غيرها،و الغش و التلبيس و الرشوه،و بالبخس فى الوزن و الكيل،و بإحدى المعاملات الفاسده من الربا و الصرف و الاحتكار،و غير ذلك مما هو مذكور فى كتب الفقه و قد نهى اللّه سبحانه عن جميع ذلك فى آيات كثيره،كقوله تعالى:

وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ

(۱)

.و قوله:

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوٰالَ الْيَتٰامىٰ ظُلْماً...

(۲)

.و عن خصوص الربا بقوله: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ذَرُوا

ص:۱۷۴

۱- ۱) البقره،الآيه:۱۸۸.

۲- ۲) النساء،الآيه:۹.

مٰا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،ثم قال: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ ،ثم قال: وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوٰالِكَمْ (۱)،ثم قال: وَ مَنْ عٰادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ (۲).

جعل أكل الربا فى أول الأمر مؤديا إلى محاربه اللّه،و فى آخره متعرضا للنار.و قد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه فى أخبار كثيره،و هى فى كتب الأخبار و الفقه مذكوره،و تفصيل جميع المحرمات موكول إلى كتب الفقه،و ليس هنا موضع بيانه،فليرجع فيه إلى كتب الفقهاء.

الفرق بين الرشوه و الهديه

و ربما يتوهم الاشتباه فى بعض الموارد بين الرشوه و الهديه،فلنشر إلى جليه الحال فيهما،فنقول:ههنا صور:

الأولى-أن يسلم أو يرسل مالا إلى بعض الإخوان طلبا للاستئناس و تأكيدا للصحبه و التودد.و قد عرفت كونه هديه و حلالا،سواء قصد به الثواب فى الآخره و التقرب إلى اللّه تعالى أيضا،أ و لم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستئناس و التودد.

الثانيه-أن يقصد بالبذل عوض مالى معين فى العاجل،كأن يهدى

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۷۸-۲۷۹.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۷۵.

الفقیر إلی الغنی أو الغنی إلی الغنی شیئا طمعا فی عوض أکثر أو مساو من ماله.

و هذا أیضا نوع هدیه،و حقیقته ترجع إلی هبه بشرط العوض،و إذا و فی بما(یطمع فیه) (۱)من العوض فلا ریب فی حلیته.

قال الصادق علیه السلام: «الربا رباءان:ربا یؤکل،و ربا لا یؤکل فأما الذی یؤکل فهدیتک إلی الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها،فذلک الربا الذی یؤکل و هو قول اللّه تعالی:

وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ یَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ

(۲)

.

و أما الذی لا یؤکل،فهو الذی نهی اللّه عز و جل عنه،و أوعد علیه النار»

(۳)

و عنه-علیه السلام-:«قال:قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- الهدیه علی ثلاثه وجوه:هدیه مکافأه،و هدیه مصانعه، و هدیه للّه عز و جل»

(۴)

. و فی بعض الأخبار نوع إشعار بالحل،و إن لم یتحقق الوفاء بما(بطمع فیه) (۵)من العوض،

کخبر إسحاق بن عمار عن الصادق-علیه السلام-:«قال: قلت له علیه السلام:الرجل

۱- ۱) فی النسخ:«یطعمه»،فرجحنا ما أثبتناه.

۲- ۲) الروم،الآیه:۳۹.

۳- ۳) صححناه علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب الربا،الباب ۳، الحدیث ۱.

۴- ۴) صححناه علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به،الباب ۱۱۹،الحدیث ۲.

۵- ۵) فی النسخ:(یطعمه).

الفقير يهدی الی الهديه،يتعرض لما عندی،فآخذها و لا أعطيه شيئا أ يحل لی؟قال نعم!هی لک حلال،و لكن لا تدع أن تعطيه» (۱)و هل يحل مع إعطائه العوض المطموع فيه إذا لم يكن من ماله،بل كان من الأموال التی أعطته الناس ليصرف إلی الفقراء من الزكوات و الأخماس و سائر وجوه البر،و الظاهر الحل إذا كان المهدی من أهل الاستحقاق و المهدی له معطيا إياه،و إن لم يكن ليهدی له شيئا.و فيه تأمل،كما يظهر بعد ذلك.

الثالثه-أن يقصد به الإعانه بعمل معين،كالمحتاج إلی السلطان أو ذی شوكه يهدی إلی وكيلهما،أو من له مكانه عندهما،فينظر إلی ذلک العمل،فإن كان حراما،كالسعی فی تنجز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غير ذلک،أو واجبا،كدفع ظلم أو استخلاص حق ينحصر الدفع و الاستخلاص به،أو شهاده معينه،أو حكم شرعی يجب عليه،أو أمثال ذلک،فهو رشوه محرمه يحرم أخذها،و إن كان العمل مباحا لا-حراما و لا واجبا.فإن كان فيه تعب،بحيث جاز الاستئجار عليه،فما يأخذه حلال و جار مجری الجعاله،كأن يقول:أوصل هذه القضه إلی السلطان و لک دينار.أو اقترح علی فلان أن يعيننی علی كذا أو يعطينی كذا،و توقف تنجز غرضه علی تعب أو كلام طويل،فما يأخذه فی جميع ذلک مباح،إذا كان الغرض مشروعا مباحا،و هو مثل ما يأخذه وكيل القاضی للخصومه بين يديه،بشرط ألا يتعدی من الحق.و إن لم يكن العمل مما فيه تعب بل كان مثل كلمه أو فعله لا تعب فيها أصلا،و لكن كانت تلک الكلمه أو تلک الفعله من مثله مفيده،لكونه ذا منزله،كقوله للبواب لا-تغلق دونه باب السلطان،فقال بعض العلماء:الآخذ علی هذا حرام،إذ لم

۱- ۱) صححناه علی(الوسائل):كتاب التجاره،أبواب ما يكتسب به، الباب ۱۱۹،الحديث ۲.

يثبت فى الشرع جواز ذلك.و يقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمه واحده ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته.و فيه نظر،إذ الظاهر جواز هذا الأخذ مع مشروعيه الغرض و عدم كونه واجبا عليه.

الرابعه-أن يطلب به حصول التودد و المحبه،و لكن لا-من حيث إنه تودد فقط،بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض ينحصر جنسها و إن لم ينحصر عينها،و كان بحيث لو لا-جاهه لكان لا يهدى إليه،فإن كان جاهه لأجل علم أورع أو نسب فالأمر فيه أخف،و الظاهر كون الأخذ حينئذ مكروها،لأنه هديه فى الظاهر مع كونه مشابها للرشوه.و إن كان لأجل ولايه تولاها،من قضاء أو حكومه أو ولايه صدقه أو وقف أو جبايه مال أو غير ذلك من الإعمال السلطانيه،فالظاهر كون ما يأخذه حراما لو كان بحيث لا يهدى إليه لو لا تلك الولايه،لأنه رشوه عرضت فى معرض الهديه،إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب و المحبه،و لكن لأمر ينحصر فى جنسه،لظهور أن ما يمكن التوصل إليه بالولايات ما ذا،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهديه،و القتل بالموعظه،يقتل البرىء لتوعظ به العامه».

و روى:

«أنه صلى اللّه عليه و آله بعث واليا على صدقات الأزد،فلما جاء أمسك بعض ما معه،و قال:هذا لكم و هذا لى هديه.فقال-صلى اللّه عليه و آله-:ألا-جلست فى بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديه إن كنت صادقا!ثم قال:ما لى استعمل الرجل منكم،فيقول:هذه لكم و هذه هديه لى،ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له!و الذى نفسى بيده! لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى اللّه بحمله،و لا يأتين أحدكم يوم القيامه ببعير له رغاء،أو بقره لها خوار أو شاه تيعر...ثم رفع يديه

حتى رأوا بياض إبطيه،و قال:اللهم هل بلغت؟» (۱).

و على هذا،فينبغى لكل وال أو حاكم و قاض و غيرهم من عمال السلاطين،أن يقدر نفسه فى بيت أبيه و أمه معزولا بلا شغل،فما كان يعطى حينئذ يجوز له أن يأخذه فى ولايته أيضا،و ما لا يعطى مع عزله و يعطى لولايته يحرم أخذه،و ما أشكل عليه من عطايا أصدقائه فهو شبهه و طريق الاحتياط فيها واضح.

وصل الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه و الاحتياط عنه،و هو الورع بأحد إطلاقيه،فإن الورع قد يفسر بملكه التنزه و الاجتناب عن مال الحرام أكلا و طلبا و أخذا و استعمالا،و قد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصى و منعها عما لا ينبغى.فعلى الأول يكون ضدا لعدم الاجتناب عن المال الحرام،و يكون من رذائل قوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا للملكه الولوع على مطلق المعصيه،و يكون من رذائل القوه الغضبيه و الشهويه جميعا.

ثم الظاهر أن التقوى مرادفه للورع،فإن لها أيضا تفسيرين:أحدهما الاتقاء عن الأموال المحرمه،و قد أطلقت التقوى فى بعض الأخبار على هذا المعنى.و ثانيهما:ملكه الاتقاء عن مطلق المعاصى،خوفا من سخط اللّه و طلبا لرضاه.فعلى الأول يكون ضدا لعدم التنزه عن المال الحرام و رذيله

ص:۱۷۹

۱- ۱) صححنا هذين النبويين على ما فى(إحياء العلوم):۲-۱۳۷.

لقوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا لملكه ارتكاب المعاصى و رذيله للقوتين معا.

ثم اللازم على طريقتنا أن يذكر الورع و التقوى بالتفسير الأول هنا و بالتفسير الثانى فى المقام الرابع الذى نذكر فيه ما يتعلق بالقوتين أو بالثلاث من الرذائل و الفضائل.إلا أنا نذكر ما ورد فى فضيلتهما هنا،لدلاله ما ورد فى فضيلتهما بالتفسير الثانى على فضيلتهما بالتفسير الأول أيضا،و لعدم فائده فى استئناف عنوان على حده لمطلق المعصيه و ذكر ما ورد فى ذمها، ثم تذييلها بضدها الذى هو الورع و التقوى بتفسيريهما العام.إذ بعد ذكر جميع الأجناس و الأنواع و الأصناف من المعاصى و الطاعات،بأحكامها و لوازمها و ذمها و مدحها،لا فائده لاستئناف ذكر مطلق المعصيه أو الطاعه إذ لا يتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد فى ذم مطلق المعصيه،و ما ورد فى مدح مطلق الطاعه،و هذا أمر ظاهر لا حاجه إليه فى كتب الأخلاق.

نعم،نشير إلى مطلق العصيان و ضده،أعنى الورع و التقوى بالمعنى الأعم إجمالا،ضبطا للأنواع و الأقسام.

فصل مدح الورع

الورع و التقوى عن الحرام أعظم المنجيات،و عمده ما ينال به إلى السعادات و رفع الدرجات.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

«خير دينكم الورع».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من لقى اللّه سبحانه ورعا،أعطاه اللّه ثواب الإسلام كله».

و فى بعض الكتب السماويه «و أما الورعون،فإنى أستحيى أن أحاسبهم».

و قال الباقر-عليه السلام-:

«إن أشد العباده الورع».

و قال-عليه السلام-: «ما شيعتنا إلا من أتقى اللّه و أطاعه،فاتقوا اللّه و اعملوا لما عند اللّه،ليس بين اللّه و بين أحد قرابه.أحب العباد إلى اللّه تعالى و أكرمهم عليه أبقاهم و أعملهم بطاعته»

و قال الصادق-عليه السلام-: «أوصيك بتقوى اللّه و الورع و الاجتهاد و اعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه».

و قال: «اتقوا اللّه و صونوا دينكم بالورع».

و قال عليه السلام-: «عليكم بالورع،فإنه لا ينال ما عند اللّه إلا بالورع».

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه ضمن لمن اتقاه،أن يحوله عما يكره إلى ما يحب،و يرزقه من حيث لا يحتسب».

و قال-عليه السلام-: «إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى».

و قال عليه السلام: «ما نقل اللّه عبدا من ذل المعاصى إلى عز التقوى،إلا أغناه من غير مال،و أعزه من غير عشيره،و آنسه من غير بشر».

و قال -عليه السلام-: «إنما أصحابى من اشتد ورعه،و عمل لخالقه،و رجا ثوابه، هؤلاء أصحابى».

و قال عليه السلام-: «ألا و إن من اتباع أمرنا و إرادته الورع،فتزينوا به يرحمكم اللّه،و كيدوا أعداءنا ينعشكم اللّه».

و قال-عليه السلام-: «أعينونا بالورع،فإن من لقى اللّه تعالى منكم بالورع،كان له عند اللّه فرجا.إن اللّه عز و جل يقول:

وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً

(۱)

.

۱- ۱) النساء،الآیه:۶۸.

فمنا النبی،و منا الصدیق و الشهداء و الصالحون»

و قال أبو جعفر -علیه السلام-: «قال اللّه عز و جل.یا بن آدم،اجتنب ما حرم علیک تکن من أورع الناس».

و سئل الصادق-علیه السلام-عن الورع من الناس،فقال:«الذی یتورع عن محارم اللّه عز و جل» (۱).

و لکون طلب الحرام و عدم الاجتناب عنه باعثا للهلاک،و توقف النجاه و السعاده فی الآخره علی الورع عن المحرمات،مع افتقار الناس فی الدنیا إلی المطاعم و الملابس،ورد فی فضیله کسب الحلال و مدحه

ما ورد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «طلب الحلال فریضه علی کل مسلم و مسلمه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من بات کالا من طلب الحلال،بات مغفورا له».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: العباده عشره أجزائه فی طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،مر علی الصراط کالبرق الخاطف»،

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،نظر اللّه إلیه بالرحمه،ثم لا یعذبه أبدا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده حلالا،فتح اللّه له أبواب الجنه،یدخل من أیها شاء»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أکل من کد یده،کان یوم القیامه فی عداد الأنبیاء،و یأخذ ثواب الأنبیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من طلب الدنیا استعفافا عن الناس و سعیا علی أهله و تعطفا علی جاره

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا الفصل علی الکافی باب الطاعه و التقوی و باب الورع.و علی(البحار):۲ مج ۱۵-۹۶-۸۹ باب الطاعه و التقوی، و باب الورع و اجتناب الشبهات.

لقی اللّه عز و جل یوم القیامه و وجهه کالقمر لیله البدر» (۱)

و کان -صلی اللّه علیه و آله-إذا نظر إلی الرجل و أعجبه،قال:«هل له حرفه؟فان قال:لا،قال:سقط من عینی.قیل:و کیف ذاک یا رسول اللّه؟قال:لأن المؤمن إذا لم تکن له حرفه یعیش بدینه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سعی علی عیاله من حله،فهو کالمجاهد فی سبیل اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من طلب الدنیا حلالا فی عفاف،کان فی درجه الشهداء»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل الحلال أربعین یوما،نور اللّه قلبه،و أجری ینابیع الحکمه من قلبه علی لسانه».

و طلب منه-صلی اللّه علیه و آله-بعض الصحابه أن یجعله اللّه تعالی مستجاب الدعوه،فقال له:«أطب طعمتک تستجب دعوتک».

و قال الصادق علیه السلام-: «اقرؤا من لقیتم من أصحابکم السلام،و قولوا لهم:إن فلان بن فلان یقرؤکم السلام، و قولوا لهم:علیکم بتقوی اللّه عز و جل،و ما ینال به ما عند اللّه،إنی و اللّه ما آمرکم إلا بما نأمر به أنفسنا،فعلیکم بالجد و الاجتهاد،و إذا صلیتم الصبح و انصرفتم،فبکروا فی طلب الرزق،و اطلبوا الحلال،فإن اللّه عز و جل سیرزقکم و یعینکم علیه» (۲)

۱- ۱) صححنا أکثر الأحادیث المذکوره هنا علی الوسائل:کتاب التجاره، أبواب مقدماتها،الباب ۴.و علی فروع الکافی:کتاب المعیشه،باب الحث علی الطلب و التعرض للرزق.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب التجاره،فی الباب المتقدم،

فصل مداخل الحلال

اعلم أن مداخل الحلال خمسه:

الأول-ما لا يؤخذ من مالك،كنيل المعادن،و إحياء الموات، و الاصطياد،و الاحتطاب،و الاحتشاش،و الاستقاء من الشطوط و الأنهار و هذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصا بذى حرمه من الناس،و تفصيل ذلك موكول إلى كتاب إحياء الموات.

الثانى-ما يؤخذ قهرا ممن لا حرمه له،و هو الفىء،و الغنيمه،و سائر أموال الكفار المحاربين.و ذلك حلال للمسلمين بالشروط المقرره فى كتاب الغنائم و الجزيه.

الثالث-ما ينتقل إليه بالرضى من غير عوض،من حى أو ميت، كالهبه،و الميراث،و الوصيه،و الصدقات.و هذا حلال بشرط أن يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال،و يضمن سائر الشروط المقرره فى كتاب الهبات و الفرائض و الوصايا و الصدقات.

الرابع-ما يؤخذ تراضيا بمعاوضه،و ذلك حلال بالشرائط و الآداب المقرره فى فن المعاملات من الفقه،من البيع،و السلم،و الإجاره،و الصلح و الشركه،و المضاربه،و المزارعه،و المساقاه،و الحواله،و الضمان، و الكتابه،و الخلع،و الصداق،و غير ذلك من المعاوضات.

الخامس-ما يحصل من الزراعه و منافع الحيوانات.و هو حلال إذا كان الأرض و البذر و الماء و الحيوانات حلالا بأحد الوجوه المتقدمه.

فهذه مداخل الحلال،فينبغى لطالب النجاه أن يكون ما يكتسبه

من المال من أحد هذه المداخل،بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحليه.

فصل درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع و التقوى عن الحرام على أربع درجات:

الأولى-ورع العدول:و هو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه،و تسقط به العداله،و يثبت به العصيان و التعرض للنار،و هو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين.

الثانيه-ورع الصالحين:و هو الاجتناب من الشبهات أيضا.

الثالثه-الورع عما يخاف أداؤه إلى محرم أو شبهه أيضا،و إن لم يكن فى نفسه حراما و لا شبهه،فهو ترك ما لا بأس به مخافه ما به بأس.

الرابعه-ورع الصديقين:و هو الاجتناب عن كل ما ليس للّه، و يتناول لغير اللّه،و غير نيته التقوى على عبادته و إن كان حلالا صرفا لا يخاف أداؤه إلى حرام أو شبهه.و الصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ أنفسهم،المتفردون للّه تعالى بالقصد، الراؤن كل ما ليس للّه تعالى حراما،العاملون بقوله سبحانه:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

(۱)

.

۱- ۱) الإنعام،الآيه:۹۱.

تتميم

قال الصادق-عليه السلام-: «التقوى على ثلاثه أوجه:تقوى من خوف النار و العقاب،و هو ترك الحرام،و هو تقوى العام.و تقوى من اللّه،و هو ترك الشبهات فضلا عن الحرام،و هو تقوى الخاص.

و تقوى فى اللّه،و هو ترك الحلال فضلا عن الشبهه» (۱)و إلى هذه المراتب الثلاث أشير فى الكتاب الإلهى بقوله:

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا ما اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(۲)

.

الغدر و الخيانه

فى المال أو العرض أو الجاه.و يدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفيه،و حبسها من غير عسر،و بالبخس فى الوزن و الكيل،و بالغش بما يخفى،و غير ذلك من التدليسات المموهه و التلبيسات المحرمه.و جميع

۱- ۱) هذا مقتبس من(مصباح الشريعه):الباب ۸۳ و فيه تقديم و تأخير فى مراتب التقوى عما هنا و لم يتبين لنا وجه صحه التعبير:تقوى العام و تقوى الخاص فأثبتناه كما وجدناه.

۲- ۲) المائده،الآيه:۹۶.

ذلک من خباثه القوه الشهویه،و رذائلها،و من الرذائل المهلکه و خبائثها.

و قد وردت فی ذم الخیانه و بأقسامها أخبار کثیره،و جمیع ما یدل علی ذم الذهاب بحقوق الناس و أخذ أموالهم بدون رضاهم یدل علی ذمها.

و ضد الخیانه(الأمانه)،و قد وردت فی مدحها و عظم فوائدها أخبار کثیره،

کقول الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل لم یبعث نبیا إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه إلی البر و الفاجر»

و قوله-علیه السلام-: «لا تغتروا بصلاتهم و لا بصیامهم،فإن الرجل ربما لهج بالصلاه و الصوم حتی لو ترکه استوحش،و لکن اختبروهم بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۱)

و قوله-علیه السلام-: «انظر ما بلغ به علی علیه السلام عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فالزمه،فإن علیا-علیه السلام-إنما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۲)

و قوله-علیه السلام-: «ثلاث لا عذر فیها لأحد:أداء الأمانه إلی البر و الفاجر،و الوفاء بالعهد إلی البر و الفاجر،و بر الوالدین، برین کانا أو فاجرین» (۳).

۱- ۱) فی نسخ جامع السعادات و البحار و الوسائل:«عند صدق الحدیث...» و رجحنا نسخه الکافی.
۲- ۲) صححنا هذه الأحادیث الثلاثه علی البحار:۲ مج ۱۵-۱۲۳-۱۲۴ باب الصدق و لزوم أداء الأمانه،و علی الکافی:باب الصدق و أداء الأمانه،و علی الوسائل:کتاب الودیعه الباب ۱.
۳- ۳) روی فی الکافی باب بر الوالدین-:هذا الحدیث عن أبی جعفر-علیه السلام-و جاء فیه:«ثلاث لم یجعل اللّه عز و جل لأحد فیهن رخصه...» و لکن فی الوسائل-کتاب الودیعه الباب ۲ الطبعه الحجریه-رواه عن الکافی کما فی المتن.

و قوله-علیه السلام-:«کان أبی یقول أربع من کن فیه کمل إیمانه،و إن کان من قرنه إلی قدمه ذنوبا لم ینقصه ذلک،و هی:الصدق،و أداء الأمانه،و الحیاء،و حسن الخلق» (۱).

و قوله-علیه السلام-: «أهل الأرض مرحومون ما یخافون و أدوا الأمانه و عملوا بالحق».

و قیل له علیه السلام:«إن امرأه بالمدینه کان الناس یضعون عندها الجواری فیصلحن،و مع ذلک ما رأینا مثل ما صب علیها من الرزق.فقال:إنها صدقت الحدیث و أدت الأمانه،و ذلک یجلب الرزق» (۲) و الأخبار فی فضیله الأمانه کثیره.

و لقد قال لقمان:«ما بلغت إلی ما بلغت إلیه من الحکمه،إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه». فمن تأمل فی ذم الخیانه و إیجابها الفضیحه و العار فی الدنیا و العذاب و النار فی الآخره،و فی فضیله الأمانه و أدائها إلی خیر الدنیا و سعاده الآخره،سهل علیه ترک الخیانه و الاتصاف بالأمانه.

أنواع الفجور

من الزنا،و اللواط،و شرب الخمر،و الاشتغال بالملاهی،و استعمال آلاتها،من العود،و المزمار،و الرباب،و الدف،و أمثالها.فإن کل ذلک من رذائل القوه الشهویه.و کذا لبس الذهب و الحریر للرجال.و قد وردت فی ذم کل واحد منهما بخصوصه أخبار کثیره،و لا حاجه إلی ذکرها،لشیوعها و اشتهارها.

۱- ۱) روی فی الکافی باب حسن الخلق-هذا الحدیث عن الصادق-علیه السلام-،و لیس فیه:«کان أبی یقول».

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب الودیعه،الباب ۱ و هو یرویه عن الکافی.

و منها:

الخوض فی الباطل

و هو التکلم فی المعاصی و الفجور و حکایتها،کحکایات أحوال النساء و مجالس الخمر،و مقامات الفساق،و تنعم الأغنیاء،و تجبر الملوک و مراسمهم المذمومه و أحوالهم المکروهه،و أمثال ذلک.فکل ذلک من رداءه القوه الشهویه و خباثتها.

ثم لما کانت أنواع الباطل غیر محصوره لکثرتها،فالخوض فیه أیضا کذلک،و تکون له أنواع غیر متناهیه،و لا یفتح باب کلام إلا و ینتهی إلی واحد منها،فلا خلاص منه إلا باقتصار الکلام علی قدر الحاجه من مهمات الدین و الدنیا.و ربما وقعت من الرجل من أنواع الخوض فی الباطل کلمه تهلکه و هو مستحقر لها،فإن أکثر الخوض فی الباطل حرام،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «أعظم الناس خطایا یوم القیامه أکثرهم خوضا فی الباطل». و إلیه الإشاره بقوله تعالی.

وَ کُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِینَ

(۱)

.و قوله تعالی: فَلاٰ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن الرجل لیتکلم بالکلمه من

۱- ۱) المدثر،الآیه:۴۵.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۳۹.

رضوان اللّه،مـا يظن أن تبلغ ما بلغت،فيكتب اللّه له بها رضوانه إلى يوم القيامه.و إن الرجل ليتكلم بالكلمه من سـخط اللّه ما يظن أن تبلغ ما بلغت،فيكتب اللّه عليه بها سخطه إلى يوم القيامه» (۱)

و قـال سـلمان الفارسـی-رضـی اللّه عنه-: «أكثر الناس ذنوبا يوم القيامه،أكثرهم كلاما فی معصـيه اللّه». و كان رجل من الأنصار يمر على مجلس الخائضـين فی الباطل،فيقول لهم:«توضـئوا،فإن بعض ما تقولون شـر من الحدث» ثم الخوض فی الباطل هو ذكر محظورات سـبق وجودها بمجرد شـهوه النفس،من دون حاجه داعيه إليه،فلا مدخليه له بمثل الغيبه و النميمه و الفحش و المراء و الجـدال و أمثالها،و يـدخل فيه الخوض فی حكايات البدع و المذاهب الفاسده،فإن الحديث عنها خوض فی الباطل،و ورد النهی عنه

و منها:

اشاره

التكلم بما لا يعنی أو بالفضول

و المراد بالأول:التكلم بما لا فائده فيه أصلا،لا فی الدين و لا فی الدنيا،و الثانی-أعنی فضول الكلام-:أعم منه،إذ يتناول الخوض فی مـا لا ـ يعنی و الزيـاده فی مـا يعنی على قـدر الحاجه.فـإن من يعنيه أمر و يتمكن من تقريره و تـأديته و تـأديه مقصـوده بكلمه واحده،و مع ذلك ذكر كلمتين فالثانيه فضول،أی فضل على الحاجه،و لا ريب فی أن التكلم بما لا يعنی و بالفضول مذموم،و إن لم يكن فيه إثم،و هو ناش عن رداءه القوه الشهويه،إذ الباعث عليه ليس إلا مجرد تشهی النفس و هواها.

۱- ۱) صححناه على كنز العمال:۲-۱۱۲.

و السر فى ذمه:أنه يوجب تضييع الوقت،و المنع من الذكر و الفكر و ربما يبنى لأجل تهليله أو تسبيحه قصر فى الجنه،و ربما ينفح من نفحات رحمه اللّه عند الفكره ما يعظم جدواه،فمن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز،فأخذ بدله مدره لا ينتفع بها،كان خاسرا.فمن ترك ذكر اللّه و الفكر فى عجائب قدرته،و اشتغل بمباح لا يعنيه،و إن لم يأثم،إلا أنه قد خسر،حيث فاته الربح العظيم بذكر اللّه و فكره.فإن رأس مال العبد أوقاته،و مهما صرفها إلى ما لا يعنيه،و لم يدخر بها ثوابا فى الآخره، فقد ضيع رأس ماله.على أن الغالب تأديه الخوض فى ما لا يعنى و فى الفضول إلى الخوض فى الباطل،و ربما أدى إلى الكذب بالزياده و النقصان.و لذا ورد فى ذمه ما ورد،

و قد روى: «أنه استشهد يوم أحد غلام من أصحاب النبى-صلى اللّه عليه و آله-،و وجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه،و قالت:هنيئا لك الجنه يا بنى!فقال النبى-صلى اللّه عليه و آله-:و ما يدريك؟لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه و يمنع ما لا يضره؟».

و ورد أيضا: «أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قال لبعض أصحابه-و هو مريض-:ابشر.فقالت أمه:هنيئا لك الجنه!فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:و ما يدريك؟لعله قال ما لا يعنيه أو منع ما يعنيه؟»:يعنى إنما تتهنأ الجنه لمن لا يحاسب و من يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه،و إن كان كلامه مباحا،فلا تتهنأ له الجنه مع المناقشه فى الحساب،فإنه نوع من العذاب.

و روى: «أنه تكلم رجل عند النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:فأكثر،فقال له النبى كم دون لسانك من حجاب؟فقال:شفتاى و أسنانى.فقال:أ فما كان فى ذلك ما يرد كلامك؟».

و فى روايه أخرى: «أنه قال ذلك فى رجل أثنى عليه،فاستهتر فى الكلام،ثم قال:ما أوتى رجل شرا من

فضل فی لسانه».

و روی: «أنه قدم رهط من بنی عامر علی رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-فشرعوا بالمدح و الثناء علیه.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:قولوا قولکم،و لا یستهوینکم الشیطان! (۱). و مراده -صلی اللّه علیه و آله-:أن اللسان إذا أطلق الثناء،و لو بالصدق، فیخشی أن یستهویه الشیطان إلی الزیاده المستغنی عنها .و قال بعض الصحابه «إن الرجل لیکلمنی بالکلام و جوابه أشهی الی من الماء البارد علی الظمآن فاترکه خیفه أن یکون فضولا».و قال بعض الأکابر:«من کثر کلامه کثر کذبه».و قال بعضهم:«یهلک الناس فی خصلتین:فضول المال و فضول الکلام».

فصل حد التکلم بما لا یعنی

التکلم بما لا یعنی و بالفضول لا تنحصر أنواعه و أقسامه،لعدم تناهیها، و إنما حده أن تتکلم بما لو سکتّ عنه لم تأثم،و لم تتضرر فی شیء مما یتعلق بک،و لم یعطل شیء من أمورک.مثاله:أن تحکی مع قوم أسفارک و ما رأیت فیها من جبال و أنهار،و ما وقع لک من الوقایع،و ما استحسنته من الأطعمه و الثیاب،و ما تعجبت منه من مشایخ البلاد و وقائعهم.فهذه أمور لو سکت عنها لم تأثم و لم تتضرر،و لا یتصور فیها فائده دینیه و لا دنیویه لأحد،فإذا بالغت فی الاجتهاد حتی لا تمتزج بحکایتک زیاده و نقصان و لا تزکیه نفس من حیث التفاخر بمشاهده الأحوال العظیمه،و لا اغتیاب

۱- ۱) صححنا أحادیث الباب کلها علی(احیاء العلوم):۳-۹۳-۹۹، و علی(کنز العمال):۲-۱۸۴،۱۳۰.

شخص و لا مذمه شیء مما خلقه اللّه،فإنک مع ذلک کله مضیع وقتک.

ثم کما أن التکلم بما لا یعنیک مذموم،کذلک سؤالک غیرک عما لا یعنیک مذموم،بل هو أشد ذما،لأنک بالسؤال مضیع وقتک،و قد ألجأت أیضا صاحبک بالجواب إلی تضییع وقته.و هذا إذا کان الشیء مما لا یتطرق إلی السؤال عنه آفه،و لو کان فی جوابه آفه-کما هو الشأن فی أکثر الأسئله عما لا یعنیک-کنت آثما عاصیا.مثلا:لو سألت غیرک عن عبادته،فتقول:هل أنت صائم؟فان قال:نعم،کان مظهرا عبادته فیدخل علیه الریاء،و إن لم یدخل الریاء سقطت عبادته-علی الأقل- من دون عباده السر،و عباده السر تفضل عباده الجهر بدرجات،و إن قال:لا،کان کاذبا،و إن سکت،کان مستحقرا إیاک و تأذیت به، و إن احتال لمدافعه الجواب افتقر إلی تعب و جهد فیه.فقد عرضته بالسؤال إما للریاء و الکذب،أو للاستحقار،أو التعب فی حیله الدفع.

و کذلک سؤالک عن کل ما یخفی و یستحیی من إظهاره،أو عما یحتمل أن یکون فی إظهاره مانع،کان یحدث به أحد غیرک،فتسأله و تقول:

ما ذا تقول؟و فیم أنتم؟و کأن تری إنسانا فی الطریق فتقول:من أین إذ ربما یمنع مانع من إظهار مقصوده.و من هذا القبیل سؤالک غیرک:

لم أنت ضعیف؟أو ما هذا الضعف أو الهزال الذی حدث بک؟أو أی مرض فیک؟و أمثال ذلک.و أشد من ذلک أن تخوف مریضا بشده مرضه و تقول:ما أشد مرضک و ما أسوأ حالک!فإن جمیع ذلک و أمثالها،مع کونها من فضول الکلام و الخوض فی ما لا یعنی،یتضمن إثما و إیذاء.و لیس من مجرد التکلم بما لا یعنی و الفضول،و إنما مجرد ما لا یعنی ما لا یتصور فیه إیذاء و کسر خاطر و استحیاء من الجواب،

کما روی: «أن لقمان دخل علی داود علیه السلام و هو یسرد الدرع،و لم یکن یراها قبل ذلک

فجعل يتعجب مما يرى.فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمه،فأمسک نفسه و لم يسأله.فلما فرغ داود،قام و لبسها،و قال:نعم الدرع للحرب فقال لقمان:الصمت حکم و قليل فاعله». و هذا و أمثاله من الأسئله إذا لم يکن فيه ضرر و هتک ستر و إيقاع فی رياء أو کذب،فهو مما لا يعنی، و ترکه من حسن الإسلام.

فصل علاج الخوض فيما لا يعنی

سبب الخوض فی ما لا يعنی و فی فضول الکلام:إما الحرص علی معرفه ما لا حاجه إليه،أو المباسطه بالکلام علی سبيل التودد،أو ترجيه الوقت بحکايات أحوال لا فائده فيها،و کل ذلک من رداءه قوه الشهوه.

و علاج ذلک من حيث العلم:أن يتذکر ذمه کما مر،و مدح ضده،أعنی الصمت،و ترکه-کما يأتی-و يعلم أن الموت بين يديه،و أنه مسئول عن کل کلمه،و أن أنفاسه رأس ماله،و أن لسانه شبکه يقدر علی أن يقتنص بها الحور العين،فإهماله و تضييعه خسران،و من حيث العمل أن يعتزل عن الناس مهما أمکن،و يلزم نفسه السکوت عن بعض ما يعنيه ليتعود لسانه ترک ما لا يعنيه،و أن يقدم التأمل و التروی علی کل کلام يريد أن يتکلم به فإن کان فيه فائده دينيه أو دنيويه تکلم به و إلا ترکه.و کان بعضهم يضع فی فمه حجرا،خوفا من التکلم بالفضول و ما لا يعنيه.

ص:۱۹۴

وصل الصمت

ضد التكلم بما لا يعنيه و بالفضول تركها،إما بالصمت أو بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه أو دنياه.و فوائد الصمت و مدحه يأتى فى موضعه.

و قد وردت أخبار فى المدح على خصوص ترک ما لا يعنى و فضول الكلام

كقول النبى صلى اللّه عليه و آله-: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «طوبى لمن أمسک الفضل من لسانه، و أنفق الفضل من ماله!». و انظر كيف قلب الناس الأمر فى ذلک، فأمسكوا فضل المال و أطلقوا فضل اللسان.

و روى:«أنه-صلى اللّه عليه و آله-قال ذات يوم: إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنه.فلما دخل هذا الرجل،قالوا له:أخبرنا بأوثق عملک فى نفسک ترجو به.فقال:إنى رجل ضعيف العمل،و أوثق ما أرجو اللّه به سلامه الصدر و ترک ما لا يعنينى»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأبى ذر «ألا أعلمک بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان.قال:بلى يا رسول اللّه قال:هو الصمت،و حسن الخلق،و ترک ما لا يعنيک».

قال ابن عباس:

«خمس هن أحسن من الدراهم الموبقه:لا تتكلم فيما لا يعنيک،فإنه فضل و لا آمن عليک الوزر.و لا تتكلم فيما يعنيک حتى تجد له موضعا،فإنه رب متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت.و لا تمار حليما و لا سفيها،فإن الحليم يغلبک بصمته،و إن السفيه يؤذيک بمنطقه.و اذكر أخاک إذا تغيب عنک بما تحب أن يذكرک به،و اعفه مما تحب أن يعفيک

منه.و اعمل عمل رجل یری أنه مجازی بالإحسان مأخوذ بالاحترام» (۱)

و قیل للقمان:ما حکمتک؟قال:«لا أسأل عما کفیت،و لا أتکلف ما لا یعنینی» و ما ورد فی فضیله ترک الفضول و ما لا یعنی فی أخبار الحجج-علیهم السلام-و کلمات الأکابر من الحکماء و العرفاء أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لأهل الاستبصار.

۱- ۱) ذکر هذه الروایه عن ابن عباس فی(إحیاء العلماء):۳-۹۷.و فیه اختلاف کثیر عما هنا،و لم یحصل لنا تحققها علی مصدر آخر.و الأحادیث النبویه هنا رواها فی(إحیاء العلوم)أیضا فی الموقع المذکور.

المقام الرابع (فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقله و قوتى الغضب و الشهوه،أو باثنتين منها من الرذائل و الفضائل).

اشاره

الحسد و ذمه-الغبطه-بواعث الحسد-لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين-علاج الحسد-القدر الواجب فى نفى الحسد-النصيحه-الإيذاء و الإهانه-كف الأذى-ذم الظلم-العدل-إخافه المؤمن-إدخال السرور على المؤمن-ترك إعانه المسلمين-قضاء حوائج المسلمين-المداهنه فى الأمر بالمعروف-السعى فيه-وجوبه و شروطه-لا تشترط العداله فيه-مراتبه- ما ينبغى فى الآمر و الناهى-أنواع المنكرات-الهجران-التآلف-قطع الرحم-صله الرحم-المراد منه-عقوق الوالدين-برهما-حق الجوار- حدود الجوار و حقه-طلب العثرات-ستر العيوب-إفشاء السر-كتمان السر-النميمه-السعايه-الإفساد بين الناس-الإصلاح-الشماته-المراء علاجه-طيب الكلام-السخريه-المزاح-المذموم منه-الغيبه-لا تنحصر الغيبه باللسان-بواعثها-ذمها-مسوغاتها-كفارتها-البهتان-المدح الكذب-ذمه-مسوغاته-التوريه-المبالغه-شهاده الزور-علاج الكذب-الصدق و مدحه-أنواعه-اللسان أضر الجوارح-الصمت-حب الجاه-ذمه-الجاه أحب من المال-لا بد للإنسان من جاه-دفع إشكال- الكمال الحقيقى فى العلم و القدره و الجاه و المال-علاج حب الجاه-الخمول- مراتب حب المدح-أسبابه-علاجه-ضد حب المدح-الرياء-ذمه -أقسامه-تأثير الرياء على العباده السرور بالاطلاع على العباده-متعلقات الرياء- بواعثه-الرياء الجلى و الخفى-كيف يفسد الرياء العمل-شوائب الرياء المبطله للعمل-علاجه-الوسوسه بالرياء-الإخلاص-مدحه-آفاته-النفاق.

ص: ۱۹۷

فمنها:

اشاره

الحسد

و هو تمنی زوال نعم اللّه تعالی عن أخیک المسلم مما له فیه صلاح، فإن لم ترد زوالها عنه و لکن ترید لنفسک مثلها فهو(غبطه)و منافسه، فإن لم یکن له فیها صلاح و أردت زوالها عنه فهو(غیره).ثم إن کان باعث حسدک مجرد الحرص علی وصول النعمه إلی نفسک،فهو من رداءه القوه الشهویه،و إن کان باعثه محض وصول المکروه إلی المحسود فهو من رذائل القوه الغضبیه،و یکون من نتائج الحقد الذی هو من نتائج الغضب،و إن کان باعثه مرکبا منهما،فهو من رداءه القوتین.و ضده (النصیحه)،و هی إراده بقاء نعمه اللّه علی أخیک المسلم مما له فیه صلاح.

و لا ریب فی أنه لا یمکن الحکم علی القطع بکون هذه النعمه صلاحا أو فسادا.فربما کانت وبالا علی صاحبه و فسادا له،مع کونها نعمه و صلاحا فی بادی النظر.فالمناط فی ذلک غلبه الظن،فما ظن کونه صلاحا فإراده زواله حسد و إراده بقائه نصیحه،و ما ظن کونه فاسدا فإراده زواله غیره.ثم إن اشتبه علیک الصلاح و الفساد،فلا ترد زال نعمه أخیک و لا بقاءها إلا مقیدا بالتفویض و شرط الصلاح،لتخلص من حکم الحسد و یحصل لک حکم النصیحه.و المعیار فی کونک ناصحا:أن ترید لأخیک ما ترید لنفسک،و تکره له ما تکره لنفسک.و فی کونک حاسدا:

أن ترید له ما تکره لنفسک،و تکره له ما ترید لنفسک.

فصل ذم الحسد

الحسد أشد الأمراض و أصعبها،و أسوأ الرذائل و أخبثها،و يؤدى بصاحبه إلى عقوبه الدنيا و عذاب الآخره،لأنه فى الدنيا لا يخلو لحظه عن الحزن و الألم،إذ هو يتألم بكل نعمه يرى لغيره،و نعم اللّه تعالى غير متناهيه لا تنقطع عن عباده،فيدوم حزنه و تألمه.فوبال حسده يرجع إلى نفسه،و لا يضر المحسود أصلا،بل يوجب ازدياد حسناته و رفع درجاته من حيث إنه يعيبه،و يقول فيه ما لا يجوز فى الشريعه،فيكون ظالما عليه، فيحمل بعضا من أوزاره و عصيانه،و تنقل صالحات أعماله إلى ديوانه، فحسده لا يؤثر فيه إلا خيرا و نفعا،و مع ذلك يكون فى مقام التعاند و التضاد مع رب الأرباب و خالق العباد،إذ هو الذى أفاض النعم و الخيرات على البرايا كما شاء و أراد بمقتضى حكمته و مصلحته،فحكمته الحقه الكامله أوجبت بقاء هذه النعمه على هذا العبد،و الحاسد المسكين يريد زوالها،و هل هو إلا سخط قضاء اللّه فى تفضيل بعض عباده على بعض و تمنى انقطاع فيوضات اللّه التى صدرت عنه بحسب حكمته و إراده خلاف ما أراد اللّه على مقتضى مصلحته؟!بل هو يريد نقصه سبحانه،و عدم اتصافه بصفاته الكماليه.إذ إفاضه النعم منه سبحانه فى أوقاتها اللائقه على محالها المستعده من صفاته الكماليه التى عدمها نقص عليه تعالى،و إلا لم يصدر عنه،و هو يريد ثبوت هذا النقص،ثم لتمنيه زوال النعم الإلهيه التى هى الوجودات و رجوع الشرور إلى الأعدام يكون طالبا للشر و محبا له،و قد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر،و لو بوصوله إلى العدو،

فهو شرير فالحسد أشد الرذائل،و الحاسد شر الناس.و أی معصیه أشد من كراهه راحه مسلم من غیر أن یكون له فیها مضره؟و لذا ورد به الذم الشدید فی الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه فی معرض الإنكار:

أَمْ یَحْسُدُونَ النّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ

(۱)

.

و قال: وَدَّ كَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ یَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ (۲).و قال: إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَیِّئَهٌ یَفْرَحُوا بِها (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الحسد یأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه عز و جل لموسی بن عمران:یا بن عمران،لا تحسدن الناس علی ما آتیتهم من فضلی،و لا تمدن عینیك إلی ذلك،و لا تتبعه نفسك،فإن الحاسد ساخط لنعمی،صاد لقسمی الذی قسمت بین عبادی.و من یك كذلك فلست منه و لیس منی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «لا تحاسدوا و لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا،و كونوا عباد اللّه إخوانا».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «دب إلیكم داء الأمم من قبلكم:الحسد و البغضاء،و البغضه هی الحالقه،لا أقول حالقه الشعر،و لكن حالقه الدین.و الذی نفس محمد بیده!لا تدخلون الجنه حتی تؤمنوا،و لن

۱- ۱) النساء،الآیه:۵۳.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۰۹.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۳۰.

تؤمنوا حتى تحابوا.أ لا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟افشوا السلام بينكم!»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «كاد الفقر أن يكون كفرا،و كاد الحسد أن يغلب القدر».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «سيصيب أمتى داء الأمم.قالوا:و ما داء الأمم؟قال:الأشر،و البطر، و التكاثر،و التنافس فى الدنيا،و التباعد و التحاسد،حتى يكون البغى ثم الهرج».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون و يقتتلون».

و قال صلى اللّه عليه و آله «إن لنعم اللّه أعداء.فقيل:و من هم؟قال:الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله».

و ورد فى بعض الأحاديث القدسيه: «أن الحاسد عدو لنعمتى،متسخط لقضائى،غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى».

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-عليهما السلام-: «إن الرجل ليأتى بأدنى بادره فيكفر (۱)،و إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».

و قال أبو عبد اللّه عليه السلام: «آفه الدين:الحسد و العجب و الفخر».

و قال عليه السلام: «إن المؤمن يغبط و لا يحسد، و المنافق يحسد و لا يغبط» (۲).

و قال: «الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود،كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنه،و لآدم الاجتباء و الهدى و الرفع إلى محل حقائق العهد و الاصطفاء.فكن محسودا و لا تكن حاسدا

ص:۲۰۱

۱- ۱) فى بعض نسخ(الكافى):«ليتأذى»و فى نسخ(جامع السعادات): «ليأتى بأى»و رجحنا نسخه(الوسائل)و(البحار)كما فى المتن.

۲- ۲) صححنا أحاديث هذا الفصل على(البحار):۳ مج ۱۵-۱۳۱-۱۳۲ باب الحسد.و على(الكافى):باب الحسد.و على(سفينه البحار):۱-۲۵۰-۲۵۱ و على(احياء العلوم):۳-۱۶۲-۱۶۴ و على(الوسائل):أبواب جهاد النفس الباب ۵۴.

فإن ميزان الحاسد أبدا خفيف بثقل ميزان المحسود،و الرزق مقسوم،فما ذا ينفع الحسد الحاسد،و ما ذا يضر المحسود الحسد.و الحسد أصله من عمى القلب و الجحود بفضل اللّه تعالى،و هما جناحان للكفر،و بالحسد وقع ابن آدم فى حسره الأبد،و هلك مهلكا لا ينجو منه أبدا،و لا توبه للحاسد لأنه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه،يبدو بلا معارض به و لا سبب، و الطبع لا يتغير عن الأصل،و إن عولج» (۱). و قال بعض الحكماء:

«الحسد جرح لا يبرأ».و قال بعض العقلاء:«ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد،إنه يرى النعمه عليك نقمه عليه».و قال بعض الأكابر:

«الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمه و ذلا،و لا من الملائكه إلا لعنه و بغضا،و لا ينال من الخلق إلا جزعا و غما،و لا ينال عند النزع إلا شده و هولا،و لا ينال عند الموقف إلا فضيحه و نكالا».و الأخبار و الآثار فى ذم الحسد أكثر من أن تحصى،و ما ذكرناه يكفى لطالب الحق ثم ينبغى أن يعلم أنه إذا أصاب النعمه كافر أو فاجر و هو يستعين بها على تهيج الفتنه و إيذاء الخلق و إفساد ذات البين،فلا مانع من كراهتها عليه و حب زوالها منه،من حيث أنها آله للفساد،لا من حيث أنها نعمه.

فصل المنافسه و الغبطه

قد علمت أن المنافسه هى تمنى مثل ما للمغبوط،من غير أن يريد زواله عنه،و ليست مذمومه،بل هى فى الواجب واجبه،و فى المندوب

۱- ۱) هذا الخبر فى(مصباح الشريعه):الباب ۵۱،و صححناه عليه.

مندوبه و فی المباح مباحه.قال اللّه سبحانه:

وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ

(۱)

.

و علیها یحمل

قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-: «لا حسد إلا فی اثنین:رجل آتاه اللّه مالا،فسلطه علی ملکه فی الحق.و رجل آتاه اللّه علما،فهو یعمل به و یعلمه الناس»: أی لا غبطه إلا فی ذلک،سمیت الغبطه حسدا کما یسمی الحسد منافسه،اتساعا لمقارنتهما.و سبب الغبطه حب النعمه التی للمغبوط،فإن کانت أمرا دینیا فسببها حب اللّه و حب طاعته،و إن کانت دنیویه فسببها حب مباحات الدنیا و التنعم فیها.و الأول لا کراهه فیه بوجه،بل هو مندوب إلیه.و الثانی و إن لم یکن حراما، إلا أنه ینقص درجته فی الدین،و یحجب عن المقامات الرفیعه،لمنافاته الزهد و التوکل و الرضا.

ثم الغبطه لو کانت مقصوره علی مجرد حب الوصول إلی ما للمغبوط لکونه من مقاصد الدین و الدنیا،من دون حب مساواته له و کراهه نقصانه عنه،فلا حرج فیه بوجه،و إن کان معه حب المساواه و کراهه التخلف و النقصان،فهنا موضع خطر.إذ زوال النقصان إما بوصوله إلی نعمه المغبوط أو بزوالها عنه،فإذا انسدت إحدی الطریقتین تکاد النفس لا تنفک عن شهوه الطریقه الأخری.إذ یبعد أن یکون إنسان مریدا لمساواه غیره فی النعمه فیعجز عنها،ثم لا ینفک عن میل إلی زوالها،بل الأغلب میله إلیه،حتی إذا زالت النعمه عنه کان ذلک عنده أشهی من بقائها علیه، إذ بزوالها یزول نقصانه و تخلفه عنه.فإن کان بحیث لو ألقی الأمر إلیه ورد إلی اختیاره لسعی فی إزاله النعمه عنه،کان حاسدا حسدا مذموما

۱- ۱) المطففین،الآیه:۲۶.

و إن منعه مانع العقل من ذلک السعی،و لکنه وجد من طبعه الفرح و الارتیاح بزوال النعمه عن المغبوط،من غیر کراهه لذلک و مجاهده لدفعه فهو أیضا من مذموم الحسد،و إن لم یکن فی المرتبه الأولی،و إن کره ما یجد فی طبعه من السرور و الانبساط بزوال النعمه بقوه عقله و دینه، و کان فی مقام المجاهده لدفع ذلک عن نفسه،فمقتضی الرحمه الواسعه أن یعفی عنه،لأن دفع ذلک لیس فی وسعه و قدرته إلا بمشاق الریاضیات.

إذ ما من إنسان إلا و یری من هو فوقه من معارفه و أقاربه فی بعض النعم الإلهیه،فإذا لم یصل إلی مقام التسلیم و الرضا،کان طالبا لمساواته له فیه و کارها عن ظهور نقصانه عنه.فإذا لم یقدر أن یصل إلیه،مال طبعه بلا اختیار إلی زوال النعمه عنه،و اهتز و ارتاح به حتی ینزل هو إلی مساواته.و هذا و إن کان نقصا تنحط به النفس عن درجات المقربین، سواء کان من مقاصد الدنیا أو الدین،إلا أنه لکراهته له بقوه عقله و تقواه،و عدم العمل بمقتضاه،یعفی عنه إن شاء اللّه،و تکون کراهته لذلک من نفسه کفاره له.

و قد ظهر من تضاعیف ما ذکر:أن الحسد المذموم له مراتب أربع:

الأولی-أن یحب زوال النعمه عن المحسود و إن لم تنتقل إلیه،و هذا أخبث المراتب و أشدها ذما.

الثانیه-أن یحب زوالها لرغبته فی عینها،کرغبته فی دار حسنه معینه،أو امرأه جمیله بعینها،و یحب زوالها من حیث توقف و صوله إلیها علیه، لا من حیث تنعم غیره بها.و یدل علی تحریم هذه المرتبه و ذمها قوله تعالی:

وَ لاٰ تَتَمَنَّوْا مٰا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلیٰ بَعْضٍ

(۱)

.

الثالثه-ألا یشتهی عینها،بل یشتهی لنفسه مثلها،إلا أنه إن

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۱.

عجز عن مثلها أحب زوالها عنه،کیلا یظهر التفاوت بینهما،و مع ذلک لو خلی و طبعه،اجتهد و سعی فی زوالها.

الرابعه-کالثالثه،إلا أنه إن اقتدر علی إزالتها منعه قاهر العقل أو غیره من السعی فیه،و لکنه یهتز و یرتاح به من غیر کراهه من نفسه لذلک الارتیاح.

و الغبطه لها مرتبتان:

الأولی-أن یشتهی الوصول إلی مثل ما للمغبوط،من غیر میل إلی المساواه و کراهه للنقصان،فلا یحب زوالها عنه.

الثانیه-أن یشتهی الوصول إلیه مع میله إلی المساواه و کراهته للنقصان،بحیث لو عجز عن نیله،وجد من طبعه حبا خفیا لزوالها عنه و ارتاح من ذلک إدراکا للمساواه و دفعا للنقصان،إلا أنه کان کارها من هذا الحب،و مغضبا علی نفسه لذلک الارتیاح،و ربما سمیت هذه المرتبه ب(الحسد المعفو عنه)و کأنه المقصود

من قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«ثلاث لا ینفک المؤمن عنهن:الحسد،و الظن،و الطیره...ثم قال:و له منهن مخرج،إذا حسدت فلا تبغ-أی إن وجدت فی قلبک شیئا فلا تعمل به،و کن کارها له-و إذا ظننت فلا تحقق،و إذا تطیرت فامض».

فصل بواعث الحسد

اشاره

بواعث الحسد سبعه:

الأول-خبث النفس و شحها بالخیر لعباد اللّه.

فإنک تجد فی زوایا العالم من یسر و یرتاح بابتلاء العباد بالبلایا و المحن،و یحزن من حسن حالهم

و سعه عیشهم.فمثله إذا وصف له اضطراب أمور الناس و إدبارهم، و فوات مقاصدهم و تنغص عیشهم،یجد من طبعه الخبیث فرحا و انبساطا و إن لم یکن بینه و بینهم عداوه و لا رابطه،و لم یوجب ذلک تفاوتا فی حاله من وصوله إلی جاه أو مال أو غیر ذلک.و إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد اللّه و انتظام أموره،شق ذلک علیه،و إن لم یوجب ذلک نقصا فی شیء مما له.فهو یبخل بنعمه اللّه علی عباده من دون قصد و غرض،و لا تصور انتقال النعمه إلیه،فیکون ناشئا عن خبث نفسه و رذاله طبعه.و لذا یعسر علاجه،لکونه مقتضی خباثه الجبله،و ما یقتضیه الطبع و الجبله تعسر إزالته،بخلاف ما یحدث من الأسباب العارضه.

الثانی-العداوه و البغضاء.

و هی أشد أسبابه،إذ کل أحد-إلا أوحدی من المجاهدین-إذا أصابت عدوه بلیه فرح بذلک،إما لظنها مکافأه من اللّه لأجله،أو لحبه طبعا ضعفه و هلاکه.و مهما أصابته نعمه ساءه ذلک،لأنه ضد مراده،و ربما تصور لأجله أنه لا منزله له عند اللّه حیث لم ینتقم من عدوه و أنعم علیه،فیحزن لذلک.

الثالث-حب الرئاسه و طلب المال و الجاه.

فإن من غلب علیه حب التفرد و الثناء،و استقره الفرح بما یمدح به من أنه وحید الدهر و فرید العصر فی فنه،من شجاعه أو علم أو عباده أو صناعه أو جمال أو غیر ذلک،لو سمع بنظیر له فی أقصی العالم ساءه ذلک،و ارتاح بموته أو زوال النعمه التی یشارکه فیها،لیکون فائقا علی الکل فی فنه،و متفردا بالمدح و الثناء فی صفته.

الرابع-الخوف من فوت المقاصد.

و ذلک یختص بمتزاحمین علی مقصود واحد،فإن کل واحد،منهما یحسد صاحبه فی وصوله هذا المقصود طلبا للتفرد به،کتحاسد الضرات فی مقاصد الزوجیه.و الإخوه فی نیل

المنزله فی قلب الأبوین توصلا إلی مالهما،و التلامذه لأستاذ واحد فی نیل المنزله فی قلبه،و ندماء الملک و خواصه فی نیل المنزله و الکرامه عنده،و الوعاظ و الفقهاء المتزاحمین علی أهل بلده واحده فی نیل القبول و المال عندهم،إذا کان غرضهم ذلک.

الخامس-التعزز:

و هو أن یثقل علیه أن یترفع علیه بعض أقرانه و یعلم أنه لو أصاب بعض النعم یستکبر علیه و یستصغره،و هو لا یطیق ذلک لعزه نفسه،فیحسده لو أصاب تلک النعمه تعززا لنفسه.فلیس غرضه أن یتکبر،لأنه قد رضی بمساواته،بل غرضه أن یدفع کبره.

السادس-التکبر:

و هو أن یکون فی طبعه الترفع علی بعض الناس و یتوقع منه الانقیاد و المتابعه فی مقاصده،فإذا نال بعض النعم خاف ألا یحتمل تکبره و یترفع عن خدمته،و ربما أراد مساواته أو التفوق علیه، فیعود مخدوما بعد إن کان خادما،فیحسده فی وصول النعمه لأجل ذلک و قد کان حسد أکثر الکفار لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من هذا القبیل،حیث قالوا:کیف یتقدم علینا غلام فقیر یتیم؟ لَوْ لاٰ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلیٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ (۱).

السابع-التعجب:

و هو أن یکون المحسود فی نظر الحاسد حقیرا و النعمه عظیمه،فیعجب من فوز مثله بمثلها،فیحسده و یحب زوالها عنه و من هذا القبیل حسد الأمم لأنبیائهم،حیث قالوا:

۱- ۱) الزخرف،الآیه:۳۱.

مٰا أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا

(۱)

. فَقٰالُوا:أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا (۲). وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ (۳).

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبه الوحی و الرساله،و حسدوه بمجرد ذلک،من دون قصد تکبر أو رئاسه أو عداوه أو غیرها من أسباب الحسد.

و قد تجتمع هذه الأسباب أو أکثرها فی شخص واحد،فیعظم لذلک حسده،و تقوی قوه لا یقدر معها علی المجامله،فتظهر العداوه بالمکاشفه.

و ربما قوی الحسد بحیث یتمنی صاحبه أن یزول عن کل أحد ما یراه له من النعمه،و ینتقل إلیه.و مثله لا ینفک عن الجهل و الحرص،إذ هو یتمنی استجماع جمیع النعم و الخیرات الحاصله لجمیع الناس له،و لا ریب فی استحاله ذلک،و لو قدر إمکانه لا یمکنه الاستمتاع بها،فلو لم یکن حریصا لم یتمن ذلک أصلا،و لو کان عالما لدفع هذا التمنی بقوته العاقله.

(تنبیه)

بعض الأسباب المذکوره،کما یقتضی أن یتمنی زوال النعمه و السرور به کذلک یقتضی تمنی حدوث البلیه و الارتیاح منه.إلا أن المعدود من الحسد هو الأول،و الثانی معدود من العداوه.فالعداوه أعم منه،إذ هی تمنی وقوع مطلق الضرر بالعدو،سواء کان زوال نعمه أو حدوث بلیه.و الحسد تمنی زوال مجرد النعمه.

۱- ۱) یس،الآیه:۱۵.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه:۴۸.

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۳۴.

فصل لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين

الأسباب المذكوره إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها فى مجالس المخاطبات و يتواردون على الأغراض،فإذا خالف بعضهم بعضا فى غرض من أغراضه،أبغضه و ثبت فيه الحقد،فعند ذلك يريد استحقاره و التكبر عليه،و يكون فى صدد مكافاته على المخالفه لغرضه، و يكره تمكنه من النعمه التى توصله إلى أغراضه،فيتحقق الحسد.و لذا ترى أنه لا تحاسد بين شخصين فى بلدتين متباعدتين،لعدم رابطه بينهما، إلا إذا تجاورا فى محل واحد،و توارادا على مقاصد تظهر فيها مخالفه بينهما فيحدث منهما التباغض،و تثور منه بقيه أسباب الحسد.و ترى كل صنف يحسد مثله دون غيره،لتواردهما على المقاصد،و تزاحمهما على صنعه واحده فالعالم يحسد العالم دون العابد،و التاجر يحسد التاجر دون غيره،إلا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفه،و هكذا يغم من اشتد حرصه على حب الجاه و أحب الصيت و الاشتهار فى جميع أطراف العالم و شاق التفرد بما هو فيه،فإنه يحسد كل من فى العالم ممن يشاركه فى الفن الذى يتفاخر به.

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا،إذ منافعها لضيقها و انحصارها تصير محل التزاحم و التعارك،بحيث لا يمكن وصول منفعه منها،كمنصب أو مال إلى أحد إلا بزوالها عن الآخر.و أما الآخره،فلا ضيق فيها،فلا تنازع بين أهلها.و مثالها فى الدنيا العلم،فإنه منزه عن المزاحمه،فمن يحب العلم بالله و صفاته و أفعاله و معرفه النظام الجملى من البدو إلى النهايه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا.إذ العلم لا يضيق عن كثره العالمين،

ص :۲۰۹

و المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم،و يفرح كل واحد منهم بمعرفته و يلتذ به،و لا ينقص ما لديه بمعرفه غيره،بل يحصل بكثره العارفين زياده الأنس و ثمره الإفاده و الاستفاده.إذ معرفه اللّه بحر واسع لا ضيق فيه، و كل علم يزيد بالإنفاق و تشريك غيره من أبناء النوع،يصير منشأ لزياده اللذه و البهجه،و قس على العلم التقرب و المنزله عند اللّه و غيرهما من النعم الأخرويه.فإن أجل ما عند اللّه من النعم و أعلى مراتب المنزله و القرب عنده تعالى لذه لقائه،و ليس فيها ممانعه و مزاحمه،و لا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض،بل يزيد الأنس بكثرتهم.

و قد ظهر مما ذكر:أنه لا تحاسد بين علماء الآخره،لأنهم يلتذون و يبتهجون بكثره المشاركين فى معرفه اللّه و حبه و أنسه،و إنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا،و هم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال و الجاه.إذ المال أعيان و أجسام،إذا وقعت فى يد واحد خلت عنها أيدى الآخرين.و الجاه ملك القلوب،و إذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم،انصرف عن تعظيم الآخر،أو نقص عنه لا محاله،فيكون ذلك سببا للتحاسد.و أما إذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفه اللّه،لم يمنع ذلك من أن يمتلئ غيره به.

فلو ملك إنسان جميع ما فى الأرض،لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه و انحصاره.و أما العلم فلا نهايه له،و مع ذلك لو ملك إنسان بعض العلوم لم يمنع ذلك من تملك غيره له.

فظهر أن الحسد إنما هو فى التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل،فلا حسد بين العارفين و لا بين أهل العليين،لعدم ضيق و مزاحمه فى المعرفه و نعيم الجنه،و لذا قال اللّه سبحانه فيهم:

وَ نَزَعْنٰا مٰا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوٰاناً عَلىٰ سُرُرٍ

مُتَقٰابِلِينَ

(۱)

.

بل الحسد من صفات المسجونين فی سجن السجین.

فیا حبیبی،إن کنت مشفقا علی نفسک،طالبا لعماره رمسک،فاطلب نعمه لا مزاحمه فیها،و لذه لا مکدر لها.و ما هی إلا لذه معرفه اللّه و حبه و أنسه،و الانقطاع إلی جناب قدسه،و إن کنت لا تلتذ بذلک،و لا تشتاق إلیه،و تنحصر لذاتک بالأمور الحسیه و الوهمیه،فاعلم أن جوهر ذاتک معیوب،و عن عالم الأنوار محجوب،و عن قریب تحشر مع البهائم و الشیاطین،و تکون مغلولا معهم فی أسفل السافلین.و مثلک فی عدم درک هذه اللذه،مثل الصبی و العنین فی عدم درک لذه الوقاع.فکما أن هذه اللذه یختص بإدراکها رجال أصحاء،فکذلک لذه المعرفه یختص بإدراکها:

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ

(۲)

.

و لا یشتاق غیرهم إلیها،إذ الشوق بعد الذوق،فمن لم یذق لم یعرف،و من لم یعرف لم یشتق،و من لم یشتق لم یطلب،و من لم یطلب لم یدرک،و من لم یدرک کان مطرودا عن العلیین،ممنوعا عن مجاوره المقربین،محبوسا مع المحرومین فی أضیق درکات السجین.

وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ

(۳)

.

۱- ۱) الحجر،الآیه:۴۷.

۲- ۲) النور،الآیه:۳۷.

۳- ۳) الزخرف،الآیه:۳۶.

فصل علاج الحسد

اشاره

لما علم أن الحسد من الأمراض المهلكه للنفوس،فاعلم أن أمراض النفوس لا تداوى إلا بالعلم و العمل.و العلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرک فی الدين و الدنيا،و لا يضر محسودک فيهما،بل ينتفع به فيهما.

و مهما عرفت ذلک عن بصيره و تحقيق،و لم تکن عدو نفسک لا صديق عدوک،فارقت الحسد.

و أما أنه يضر بدينک و يؤدی بک إلی عذاب الأبد و عقاب السرمد فلما علمت من الآيات و الأخبار الوارده فی ذمه و عقوبه صاحبه،و لما عرفت من کون الحاسد ساخطا لقضاء اللّه تعالی،و کارها لنعمه التی قسمها لعباده،و منکرا لعدله الذی أجراه فی ملکه.و مثل هذا السخط و الإنکار لإيجابه الضديه و العناد لخالق العباد،کاد أن يزيل أصل التوحيد و الإيمان فضلا عن الإضرار بهما.علی أن الحسد يوجب الغش و العداوه بالمؤمن، و ترک نصيحته و موالاته و تعظيمه و مراعاته و مفارقه أنبياء اللّه و أوليائه فی حبهم الخير و النعمه له،و مشارکه الشيطان و أحزابه فی فرحهم بوقوع المصائب و البلايا عليه،و زوال النعم عنه.و هذه خبائث فی النفس، تأکل الحسنات کما تأکل النار الحطب.

و أما أنه يضرک فی الدنيا،لأنک تتألم و تتعذب به،و لا تزال فی تعب و غم و کد و هم،إذ نعم اللّه لا تنقطع عن عباده و لا عن أعدائک، فأنت تتعذب بکل نعمه تراها لهم،و تتألم بکل بليه تنصرف عنهم، فتبقی دائما مغموما محزونا،ضيق النفس منشعب القلب،فأنت باختيارک

تجر إلی نفسک ما ترید لأعدائک و یرید أعداؤک لک.و ما أعجب من العاقل أن یتعرض لسخط اللّه و مقته فی الآجل،و دوام الضرر و الألم فی العاجل فیهلک دینه و دنیاه من غیر جدوی و فائده.

و أما أنه لا یضر المحسود فی دینه و دنیاه فظاهر،لأن النعمه لا تزول عنه بحسدک.إذ ما قدره اللّه من النعم علی عباده لا بد أن یستمر إلی وقته و لا ینفع التدبیر و الحیله فی دفعه،لا مانع لما أعطاه و لا راد لما قضاه:

لِکُلِّ أَجَلٍ کِتٰابٌ . وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ (۱).

و لو کانت النعم تزول بالحسد،لم تبق علیک و علی کافه الخلق نعمه،لعدم خلوک و خلوهم عن الحسد،بل لم تبق نعمه الإیمان علی المؤمنین،إذ الکفار یحسدونهم،کما قال اللّه سبحانه:

وَدَّتْ طٰائِفَهٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ لَوْ یُضِلُّونَکُمْ وَ مٰا یُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا یَشْعُرُونَ

(۲)

.

و لو تصورت زوال النعمه عن محسودک بحسدک،و عدم زوالها عنک بحسد حاسدک،لکنت أجهل الناس و أشدهم غباوه.نعم،ربما صار حسدک منشأ لانتشار فضل المحسود،کما قیل:

و إذا أراد اللّه نشر فضیله

طویت،أتاح لها لسان حسود

فإذا لم تزل نعمته بحسدک،لم یضره فی الدنیا،و لا یکون علیه إثم فی الآخره.

و أما أنه ینفعه فی الدین،فلذلک ظاهر من حیث کونه مظلوما من

۱- ۱) الرعد،الآیه:۹،۴۰.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۶۹.

جهتک،(لا)سیما إذا أخرجک الحسد إلی ما لا ینبغی من القول و الفعل کالغیبه،و البهتان،و هتک ستره،و إفشاء سره،و القدح فیه،و ذکر مساویه.فتحتمل بهذه الهدایا التی تهدیها إلیه بعضا من أوزاره و عصیانه و تنقل شطرا من حسناتک إلی دیوانه،فیلقاک یوم القیامه مفلسا محروما عن الرحمه،کما کنت تلقاه فی الدنیا محروما عن النعمه.فأضفت له نعمه إلی نعمه،و لنفسک نقمه إلی نقمه.

و أما أنه ینفعه فی الدنیا،فهو أن أهم أغراض الناس مساءه الأعداء و سوء حالهم،و کونهم متألمین معذبین.و لا عذاب أشد مما أنت فیه من ألم الحسد.فقد فعلت بنفسک ما هو غایه مراد حسادک فی الدنیا.و إذا تأملت هذا،عرفت أن کل حاسد عدو نفسه،و صدیق عدوه.فمن تأمل فی ذلک،و تذکر ما یأتی من فوائد النصیحه و حب الخیر و النعمه للمسلمین،و لم یکن عدو نفسه،فارق الحسد البته.

و أما العمل النافع فیه،فهو أن یواظب علی آثار النصیحه التی هی ضده،بأن یصمم علی أن یکلف نفسه بنقیض ما یقتضیه الحسد من قول و فعل،فإن بعثه الحسد علی التکبر علیه،ألزم نفسه التواضع له،و إن بعثه علی غیبته و القدح فیه،کلف لسانه المدح و الثناء علیه،و إن بعثه علی الغش و الخرق بالنسبه إلیه،کلف نفسه بحسن البشر و اللین معه،و إن بعثه علی کف الإنعام عنه،ألزم نفسه زیادته.و مهما فعل ذلک عن تکلف و کره و داوم علیه،انقطعت عنه ماده الحسد علی التدریج.علی أن المحسود إذا عرف منه ذلک طاب قلبه و أحبه،و إذا ظهر حبه للحاسد زال حسده و أحبه أیضا،فتتولد بینهما الموافقه،و ترتفع عنهما ماده المحاسده و هذا هو المعالجه الکلیه لمطلق مرض الحسد.و العلاج النافع لکل نوع منه،أن یقمع سببه،من خبث النفس و حب الرئاسه و الکبر و عزه النفس

و شده الحرص و غير ذلك مما ذكر،و علاج كل واحد من هذه الأسباب يأتى فى محله.

تنبيه القدر الواجب فى نفى الحسد

اعلم أن مساواه حسن حال العدو و سوء حاله،و عدم وجدان التفرقه بينهما فى النفس،ليست مما تدخل تحت الاختيار.فالتكليف به تكليف بالمحال.فالواجب فى نفى الحسد و إزالته هو القدر الذى يمكن دفعه،و بيان ذلك-كما أشير إليه-أن الحسد:

(أولا)إما يبعث صاحبه على إظهاره بقول أو فعل،بحيث يعرف حسده من آثاره الاختياريه،و لا ريب فى كونه مذموما محرما،و كون صاحبه عاصيا آثما،لا لمجرد آثاره الظاهره التى هى الغيبه و البهتان مثلا، إذ هى أفعال صادره عن الحسد،محلها الجوارح،و ليست عين الحسد، إذ هو صفه للقلب لا صفه للفعل،و محله القلب دون الجوارح،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا أُوتُوا

(۱)

.و قال:

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمٰا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوٰاءً

(۲)

.و قال:

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ

(۳)

.

۱- ۱) الحشر،الآيه:۹.

۲- ۲) النساء،الآيه:۸۸.

۳- ۳) آل عمران،الآيه:۱۲۰.

فلو كان الإثم على مجرد أفعال الجوارح،لم يكن أصل الحسد الذى هو صفه القلب معصيه،و الأمر ليس كذلك،فيكون عاصيا لنفس الحسد الذى فى قلبه أيضا،أعنى ارتياحه بزوال النعمه مع عدم كراهه ذلك من نفسه.و الإثم حقيقه على عدم كراهته و عدم مقته و قهره على نفسه لهذا الارتياح الذى يجده منها،لكونه اختياريا ممكن الزوال،لا على نفس الارتياح و الاهتزاز،لما أشير إليه من أنه طبيعى غير ممكن الدفع لكل أحد فهذا القسم من الحسد أشد أنواعه،لترتب معصيته على أصله،و أخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومه.

(ثانيا)أولا-يبعثه على إظهاره بالآثار القوليه و الفعليه،بل يكف ظاهره عنها،إلا أنه بباطنه يحب زوال النعمه من دون كراهه فى نفسه لهذه الحاله.و لا-ريب فى كونه مذموما محرما أيضا،لأنه كسابقه بعينه و لا فرق إلا فى أنه لا تصدر منه الآثار الفعليه و القوليه الظاهره،فهو ليس بمظلمه بحسب الاستحلال منها،بل معصيه بينه و بين اللّه،لأن الاستحلال إنما هو من الأفعال الظاهره الصادره من الجوارح.

(ثالثا)أولا يبعثه على الآثار الذميمه الظاهره،و مع ذلك يلزم قلبه كراهه ما يترشح منه طبعا من حب زوال النعمه،حتى أنه يمقت نفسه و يقهرها على هذه الحاله التى رسخت فيها.و الظاهر عدم ترتب الإثم عليه إذ تكون كراهته التى من جهه العقل فى مقابله الميل من جهه الطبع،فقد أدى الواجب عليه.و أصل الميل الطبيعى لا-يدخل تحت الاختيار غالبا، إذ تغير الطبع بحيث يستوى عنده المحسن و المسىء،و عدم التفرقه بين ما يصل منهما إليه من النعمه و البليه،ليس شريعه لكل وارد.نعم من تنور قلبه بمعرفه ربه،و أشرقت نفسه باضواء حبه و أنسه،و صار مستغرقا بحب اللّه تعالى مثل الشكران الواله،و استشعر بالارتباط الخاص الذى

بین العله و المعلول،و الاتحاد الذی بین الخالق و المخلوق،و علم أنه أقوی النسب و الروابط،ثم تیقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده، و الکائنات برمتها صادره عن فیضه وجوده،و أن الأعیان الممکنه متساویه فی ارتضاع لبان الوجود من ثدی واحده،و الحقائق الکونیه غیر متفاوته فی شرب ماء الرحمه و الجود من مشرع الوحده الحقیقیه-فقد ینتهی أمره إلی ألا تلتفت نفسه إلی تفاصیل أحوال العباد،بل ینظر إلی الکل بعین واحده،و هی عین الرحمه،و یری الکل عبادا للّه و أفعاله،و یراهم مسخرین له،فلا ینظر إلی شیء بعین السخط و المساءه،و إن ورد منه ما ورد من السوء و البلیه،لأنه ینظر إلیه من حیث هو حتی یظهر التفاوت بل من حیث انتسابه إلیه سبحانه،و الکل فی الانتساب إلیه سواء.

ثم من الناس من ذهب إلی أنه لا إثم علی الحسد ما لم تظهر آثاره علی الجوارح،و علی هذا ینحصر الحسد المحرم فی القسم الأول.و احتج علی ما ذهب إلیه بما ذکرناه

من قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «ثلاث لا ینفک المؤمن عنهن:الحسد...»،

و بقوله-صلی اللّه علیه و آله-:

ثلاث فی المؤمن له منهن مخرج،و مخرجه من الحسد ألا یبغی» و الصحیح أن تحمل أمثال هذه الأخبار علی القسم الثالث،و هو ما یکون فیه ارتیاح النفس بزوال النعمه طبعا مع کراهه له من جهه العقل و الدین،حتی تکون هذه الکراهه فی مقابله حب الطبع.إذ أخبار ذم الحسد تدل بظاهرها علی أن کل حاسد آثم،و الحسد عباره عن صفه القلب لا عن الأفعال الظاهره.و علی هذا المذهب،لا یکون إثم علی صفه القلب،بل إنما یکون علی مجرد الأفعال الظاهره علی الجوارح.

فقد اتضح بما ذکر،أن الأحوال المتصوره لکل أحد بالنسبه إلی أعدائه ثلاثه:الأولی:أن یحب مساءتهم،و یظهر الفرح بمساءتهم بلسانه

و جوارحه،أو يظهر ما يؤذيهم قولا أو فعلا،و هـذا محظور محرم قطعا، و صاحبه عاص آثم جزما.الثانيه:أن يحب مساءتهم طبعا،و لكن يكره حبه لـذلك بعقله،و يمقت نفسه عليه،و لو كانت له حيله فى إزاله ذلك الميل لأزاله.و هذا معفو عنه وفاقا،و فاعله غير آثم إجماعا.الثـالثه:و هى مـا بين الأولـيين:أن يحسـد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسـده،و من غير إنكار منه على قلبه،و لكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها،و هذا محل الخلاف.و قد عرفت ما هو الحق فيه.

وصل النصيحه

قـد عرفت أن ضـد الحقـد و الحسـد(النصـيحه)،و هى إراده بقـاء نعمه اللّه للمسـلمين،و كراهه وصول الشـر إليهم.و قـد تطلق فى الأخبار على إرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم و غبطتهم،و هو لازم للمعنى الأول.

فينبغى أن نشير إلى فوائدها و ما ورد فى مدحها،تحريكا للطالبين على المواظبه عليها ليرتفع بها ضدها.

اعلـم أن من أحب الخير و النعمه للمسـلمين كـان شـريكا فى الخير، بمعنى أنه فى الثـواب كـالمنعم و فاعـل الخير.و قـد ثبت من الأخبار،أن من لم يدرك درجه الأخيار بصالحات الأعمال،و لكنه أحبهم،يكون يوم القيامه محشورا معهم،

كما ورد: «إن المرء يحشر مع من أحب».

و قال أعرابى لرسول اللّه:«الرجل يحب القوم و لما يلحق بهم.فقال صلى اللّه عليه و آله:المرء مع من أحب»

و قال رجل بحضره النبى-بعد ما ذكرت الساعه-:«ما أعددت لها من كثير صلاه و لا صيام،إلا أنى أحب اللّه

و رسوله.فقال-صلى اللّه عليه و آله-أنت مع من أحببت»، قال الراوى:فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ،إذ أكثر ثقتهم كانت بحب اللّه و بحب رسوله.

و روى: «أنه قيل له صلى اللّه عليه و آله:الرجل يحب المصلين و لا يصلى،و يحب الصوام و لا يصوم -حتى عد أشياء-فقال:هو مع من أحب». و بهذا المضمون وردت أخبار كثيره.

و الأخبار الوارده فى مدح خصوص النصيحه و ذم تركها،و فى ثواب ترك الحسد و عظم فوائده،أكثر من أن تحصى.

عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: إن أعظم الناس منزله عند اللّه يوم القيامه أمشاهم فى أرضه بالنصيحه لخلقه».

و عن أبى جعفر عليه السلام قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه».

و قال الباقر-عليه السلام-: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه».

و قال الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه له فى المشهد و المغيب».

و قال عليه السلام: «عليك بالنصح للّه فى خلقه،فلن تلقاه بعمل أفضل منه» ،و بمضمونها أخبار.

و عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: من سعى فى حاجه لأخيه فلم ينصحه،فقد خان اللّه و رسوله»

و قال الصادق-عليه السلام-: «من مشى فى حاجه أخيه،ثم لم يناصحه فيها،كان كمن خان اللّه و رسوله،و كان اللّه خصمه» (۱).

و الأخبار الأخر بهذا المضمون أيضا كثيره.

و روى: «أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-شهد لرجل من

۱- ۱) صححنا الأحاديث فى النصيحه كلها على(الكافى):باب نصيحه المؤمن و باب من لم يناصح أخاه المؤمن.

من الأنصار بأنه من أهل الجنه»، و كان باعثه-بعد التفتيش-خلوه عن الغش و الحسد على خير أعطى أحدا من المسلمين.

و روى: «أن موسى-عليه السلام-لما تعجل إلى ربه،رأى فى ظل العرش رجلا، فغبطه بمكانه،و قال:إن هذا لكريم على ربه.فسأل ربه أن يخبر باسمه فلم يخبره باسمه،و قال:أحدثك عن عمله:كان لا يحسد الناس على ما آتاهم اللّه من فضله،و كان لا يعق والديه،و لا يمشى بالنميمه».

و غايه النصيحه،أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن أحدكم مرآه أخيه،فإذا رأى به شيئا فليمط عنه هذا».

و منها:

اشاره

الإيذاء و الإهانه و الاحتقار

و لا ريب فى كون ذلك فى الغالب مترتبا على العداوه و الحسد، و إن ترتب بعض أفرادها فى بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص ليكون من رداءه القوه الشهويه،أو على مجرد الغضب و سوء الخلق و الكبر،و إن لم يكن حقد و حسد.و على أى تقدير،لا شبهه فى أن الإيذاء للمؤمن و احتقاره محرم فى الشريعه،موجب للهلاك الأبدى

ص: ۲۲۰

قال اللّه سبحانه:

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من آذى مؤمنا فقد آذانى،و من آذانى فقد آذى اللّه،و من آذى اللّه فهو ملعون فى التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان».

و فى خبر آخر: «فعليه لعنه اللّه و الملائكه و الناس أجمعين» (۲).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يحل للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظره تؤذيه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «أ لا أنبئكم بالمؤمن!من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم و أموالهم.أ لا أنبئكم بالمسلم! من سلم المسلمون من لسانه و يده.و المؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعه».

و قال الصادق عليه السلام: «قال اللّه عز و جل:«ليأذن بحرب منى من آذى عبدى المؤمن».

و قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين المؤذون لأوليائى؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم،فيقال:هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عنفوهم فى دينهم.ثم يؤمر بهم إلى جهنم».

و قال-عليه السلام-:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: قال اللّه تبارك و تعالى.من أهان لى وليا فقد ارصد لمحاربتى»

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه تبارك و تعالى يقول:من أهان لى وليا فقد أرصد

۱- ۱) الأحزاب،الآيه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الحديثين على(جامع الأخبار):الباب ۷،الفصل ۴.

لمحاربتی،و أنا أسرع شیء إلی نصره أولیائی».

و قال علیه السلام:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: قال اللّه عز و جل:قد نابذنی من أذل عبدی المؤمن».

و قال علیه السلام: «من حقر مؤمنا مسکینا أو غیر مسکین،لم یزل اللّه عز و جل حاقرا له ماقتا،حتی یرجع عن محقرته إیاه» (۱). و فی معناها أخبار کثیره آخر.

و من عرف النسبه التی بین العله و المعلول،و الربط الخاص الذی بین الخالق و المخلوق،یعلم أن إیذاء العباد و إهانتهم یرجع فی الحقیقه إلی إیذاء اللّه و إهانته،و کفاه بذلک ذما.فیجب علی کل عاقل أن یکون دائما متذکرا لذم إیذاء المسلمین و احتقارهم،و لمدح ضدهما،من رفع الأذیه عنهم و إکرامهم-کما یأتی-،و یحافظ نفسه عن ارتکابهما،لئلا یفتضح فی الدنیا و یعذب فی الآخره.

وصل کفّ الأذی عن المسلمین

اشاره

لا ریب فی فضیله أضداد ما ذکر و فوائدها،من کفّ الأذی عن المؤمنین و المسلمین و إکرامهم و تعظیمهم.و الظواهر الوارده فی مدح دفع الضرر و کف الأذی عن الناس کثیره،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:

«من رد عن قوم من المسلمین عادیه ماء أو نار وجبت له الجنه» (۲)

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من آذی المسلمین و احتقرهم و علی.(إحیاء العلوم):۲-۱۷۲،۱۷۱.

۲- ۲) صححناه علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،فی ملحق باب فضل الشهاده.و علی(أصوله):فی باب الاهتمام بأمور المسلمین.

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه و يده».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-فى حديث طويل أمر فيه بالفضائل: «...فإن لم تقدر فدع الناس من الشر،فإنها صدقه تصدقت بها على نفسك».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله- «رأيت رجلا يتقلب فى الجنه فى شجره قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من زحزح من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم، كتب اللّه له به حسنه أوجب له بها الجنه» (۱).

و كذا الأخبار التى وردت فى مدح إكرام المؤمن و تعظيمه كثيره.

قال الصادق-عليه السلام-: «قال اللّه سبحانه:ليأمن غضبى من أكرم عبدى المؤمن».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من أكرم أخاه المسلم بكلمه يلطفه بها،و فرج عنه كربته،لم يزل فى ظل اللّه الممدود،و عليه الرحمه ما كان فى ذلك».

و قال صلى اللّه عليه و آله «ما فى أمتى عبد ألطف أخاه فى اللّه بشىء من لطف،إلا أخدمه اللّه من خدم الجنه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أيما مسلم خدم قوما من المسلمين إلا أعطاه اللّه مثل عددهم خداما فى الجنه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاه،كتب اللّه عز و جل له عشره حسنات،و من تبسم فى وجه أخيه كانت له حسنه»

و قال-عليه السلام-: «من قال لأخيه:مرحبا،كتب اللّه له مرحبا إلى يوم القيامه».

و قال عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه، فإنما أكرم اللّه عز و جل».

و قال عليه السلام لإسحاق بن عمار:«أحسن يا إسحاق إلى أوليائى ما استطعت،فما أحسن مؤمن إلى مؤمن و لا أعانه

۱- ۱) صححنا هذه الأحاديث الأربعه الأخيره على(إحياء العلوم):۲-۱۷۱ ۱۷۲.

إلا خمش وجه إبليس و قرح قلبه» (۱).

ثم ينبغى تخصيص بعض طبقات الناس بزياده التعظيم و الإكرام، كأهل العلم و الورع،لما ورد من الحث الأكيد فى الأخبار على إكرامهم و الإحسان إليهم،و كذا ينبغى تخصيص ذى الشيبه المسلم بزياده التوقير و التكريم،و قد ورد ذلك فى الأخبار الكثيره،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من عرف فضل كبير لسنه فوقره،آمنه اللّه من فزع يوم القيامه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «إن من إجلال اللّه عز و جل إجلال الشيخ الكبير».

و قال عليه السلام-: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا و يرحم صغيرنا». و الأخبار فى هذا المضمون كثيره.

و كذا ينبغى تخصيص كريم القوم بزياده الإكرام،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله- «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» (۲).

و كذا تخصيص الذريه العلويه بزياده الإكرام و التعظيم.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «حقت شفاعتى لمن أعان ذريتى بيده و لسانه و ماله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أربعه أنالهم شفيع يوم القيامه:

المكرم لذريتى،و القاضى لهم حوائجهم،و الساعى لهم فى أمورهم عند ما اضطروا إليه،و المحب لهم بقلبه و لسانه» (۳).

و قال صلى اللّه عليه و آله «أكرموا أولادى،و حسنوا آدابى».

و قال صلى اللّه عليه و آله «أكرموا

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب إلطاف المؤمن و إكرامه،و باب من آذى المسلمين و احتقرهم.

۲- ۲) صححنا هذه الأحاديث على(أصول الكافى):باب أجلال الكبير، و باب وجوب أجلال ذى الشيبه،و باب إكرام الكريم و على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب أحكام العشره،الباب ۶۷.

۳- ۳) تقدم هذان الحديثان فى ص ۱۳۹ من هذا الجزء.

أولادى،الصالحون للّه و الصالحون لى». و الأخبار فى فضل السادات و ثواب من يكرمهم و يعينهم أكثر من أن تحصى.

و إضرار المسلم قريب من معنى إيذائه،و ربما كان الإضرار أخص منه،فما يدل على ذمه يدل على ذمه،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله- «خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر:الشرك باللّه تعالى،و الضر بعباد اللّه». و كذا ضده،أعنى إيصال النفع إليه،قريب من معنى ضده و أخص منه.فما يدل على مدحه يدل على مدحه.و لا ريب فى أن إيصال النفع إلى المؤمنين من شرائف الصفات و الأفعال.و الأخبار الوارده فى فضيلته كثيره،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «الخلق عيال اللّه،فأحب الخلق إلى اللّه من نفع عيال اللّه و أدخل على أهل بيته سرورا».

و سئل صلى اللّه عليه و آله:«من أحب الناس إلى اللّه؟قال:أنفع الناس للناس» (۱)

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «خصلتان من الخير ليس فوقهما شىء من البر:الإيمان باللّه،و النفع لعباد اللّه».

تنبيه ذم الظلم بالمعنى الأخص

اعلم أن الظلم قد يراد به ما هو ضد العداله،و هو التعدى عن الوسط فى أى شىء كان،و هو جامع للرذائل بأسرها-كما أشير إليه- و هذا هو الظلم بالمعنى الأعم،و قد يطلق عليه الجور أيضا،و قد يراد به ما يرادف الإضرار و الإيذاء بالغير،و هو يتناول قتله و ضربه و شتمه و قذفه و غيبته

۱- ۱) هذان الحديثان صححناهما على(أصول الكافى):باب الاهتمام بأمور المسلمين.

و أخذ ماله قهرا و نهبا و غصبا و سرقه و غیر ذلک من الأقوال و الأفعال المؤذیه.و هذا هو الظلم بالمعنی الأخص،و هو المراد إذا أطلق فی الآیات و الأخبار و فی عرف الناس.و باعثه إن کانت العداوه و الحسد،یکون من رذائل قوه الغضب،و إن کان الحرص و الطمع فی المال،یکون من رذائل قوه الشهوه.و هو أعظم المعاصی و أشدها عذابا باتفاق جمیع الطوائف و یدل علی ذمه-بعد ما ورد فی ذم کل واحد من الأمور المندرجه تحته کما یأتی بعضها-ما تکرر فی القرآن من اللعن علی الظالمین،و کفاه ذما أنه تعالی قال فی مقام ذم الشرک:

إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ

(۱)

و قال: إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النّاسَ وَ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۲).و قال: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا یَعْمَلُ الظّٰالِمُونَ (۳).و قال: وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ (۴).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إن أهون الخلق علی اللّه،من ولی أمر المسلمین فلم یعدل لهم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-

۱- ۱) لقمان،الآیه:۱۳.

۲- ۲) الشوری،الآیه:۴۲.

۳- ۳) إبراهیم،الآیه:۴۲.

۴- ۴) الشعراء،الآیه:۲۲۷.

«جور ساعه فی حکم،أشد و أعظم عند اللّه من معاصی تسعین سنه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «اتقوا الظلم،فإنه ظلمات یوم القیامه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من خاف القصاص،کف عن ظلم الناس»

و روی: «أنه تعالی أوحی إلی داود:قل للظالمین لا تذکرونی،فإن حقا علی أن أذکر من ذکرنی،و إن ذکری إیاهم أن ألعنهم».

و قال علی ابن الحسین-علیهما السلام لابنه أبی جعفر-علیه السلام-حین حضرته الوفاه :«یا بنی،إیاک و ظلم من لا یجد علیک ناصرا إلا اللّه».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «ما من أحد یظلم بمظلمه إلا أخذه اللّه تعالی بها فی نفسه أو ماله».

و قال رجل له-علیه السلام-:«إنی کنت من الولاه،فهل لی من توبه؟فقال:لا!حتی تؤدی إلی کل ذی حق حقه».

و قال-علیه السلام-: «الظلم ثلاثه:ظلم یغفره اللّه تعالی، و ظلم لا یغفره اللّه تعالی،و ظلم لا یدعه اللّه.فأما الظلم الذی لا یغفره اللّه عز و جل فالشرک،و أما الظلم الذی یغفره اللّه عز و جل فظلم الرجل نفسه فیما بینه و بین اللّه عز و جل،و أما الظلم الذی لا یدعه فالمداینه بین العباد»

و قال الصادق-علیه السلام -فی قوله تعالی:

إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ

(۱)

.

«قنطره علی الصراط،لا یجوزها عبد بمظلمه».

و قال علیه السلام «ما من مظلمه أشد من مظلمه لا یجد صاحبها علیها عونا إلا اللّه تعالی»

و قال: «من أکل مال أخیه ظلما،و لم یرده إلیه،أکل جذوه من النار یوم القیامه».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل أوحی إلی نبی من أنبیائه فی مملکه جبار من الجبارین:أن ائت هذا الجبار،فقل

۱- ۱) الفجر،الآیه ۱۴.

له:إنی لم استعملک علی سفک الدماء و اتخاذ الأموال،و إنما استعملتک لتکف عنی أصوات المظلومین،فإنی لن أدع ظلامتهم و إن کانوا کفارا»

و قال علیه السلام: «أما إن المظلوم یأخذ من دین الظالم أکثر مما یأخذ الظالم من مال المظلوم...ثم قال:من یفعل الشر بالناس فلا ینکر الشر إذا فعل به.أما إنه یحصد ابن آدم ما یزرع.و لیس یحصد أحد من المر حلوا،و لا من الحلو مرا».

و قال علیه السلام: «من ظلم،سلط اللّه علیه من یظلمه،أو علی عقبه أو علی عقب عقبه»قال الراوی:«قلت هو یظلم،فیسلط اللّه علی عقبه أو علی عقب عقبه؟!قال:فإن اللّه تعالی یقول:

وَ لْیَخْشَ الَّذِینَ لَوْ تَرَکُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّیَّهً ضِعٰافاً خٰافُوا عَلَیْهِمْ فَلْیَتَّقُوا اللّٰهَ وَ لْیَقُولُوا قَوْلاً سَدِیداً

(۱)

.

و الظاهر أن مؤاخذه الأولاد بظلم آبائهم إنما هو فی الأولاد الذین کانوا راضین بفعل آبائهم،أو وصل إلیهم أثر ظلمهم،أی انتقل إلیهم منهم بعض أموال المظلومین. و قال بعض العلماء:الوجه فی ذلک:أن الدنیا دار مکافاه و انتقام،و إن کان بعض ذلک مما یؤخر إلی الآخره.

و فائده ذلک أما بالنسبه إلی الظالم فإنه یردعه عن الظلم إذا سمع،و أما بالنسبه إلی المظلوم فإنه یستبشر بنیل الانتقام فی الدنیا مع نیله ثواب الظلم الواقع علیه فی الآخره،فإنه ما ظفر أحد بخیر مما ظفر به المظلوم،لأنه یأخذ من دین الظالم أکثر مما أخذ الظالم من ماله،کما تقدم،و هذا مما

۱- ۱) صححنا أحادیث الباب علی(أصول الکافی):باب الظلم.و الآیه من الحدیث الأخیر:سوره النساء،الآیه:۸.

يصحح الانتقام من عقب الظلم أو عقب عقبه،فإنه و إن كان فى صوره الظلم،لأنه انتقام من غير أهله،مع أنه لا تزر وازره وزر أخرى،إلا أنه نعمه من اللّه عليه فى المعنى من جهه ثوابه فى الدارين،فإن ثواب المظلوم فى الآخره أكثر مما جرى عليه من الظلم فى الدنيا.

ثم إن معين الظالم،و الراضى بفعله،و الساعى له فى قضاء حوائجه و حصول مقاصده،كالظالم بعينه فى الإثم و العقوبه.

قال الصادق عليه السلام: «العالم بالظلم،و المعين له،و الراضى به،شركاء ثلاثتهم».

و قال عليه السلام: «من عذر ظالما بظلمه،سلط اللّه عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له،و لم يأجره اللّه على ظلامته».

و قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «شر الناس المثلث؟»،قيل:و ما المثلث قال:«الذى يسعى بأخيه إلى السلطان،فيهلك نفسه،و يهلك أخاه، و يهلك السلطان».

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «من مشى مع ظالم فقد أجرم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين الظلمه و أعوان الظلمه و من لاق لهم دواه أو ربط لهم كيسا أو مدهم بمده قلم؟فاحشروهم معهم».

وصل العدل بالمعنى الأخص

ضد الظلم بالمعنى الأخص هو العدل بالمعنى الأخص،و هو الكف عنه،و رفعه،و الاستقامه،و إقامه كل أحد على حقه.و العدل بهذا المعنى هو المراد عند إطلاقه فى الآيات و الأخبار،و فضيلته أكثر من أن

تحصی.قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسٰانِ...

(١)

.و قال:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا وَ إِذٰا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّٰاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

(٢)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «عدل ساعه خیر من عباده سبعین سنه قیام لیلها و صیام نهارها»

و قال الصادق علیه السلام:

«من أصبح و لا یهم بظلم أحد،غفر له ما اجترم».

و قال علیه السلام «من أصبح لا ینوی ظلم أحد،غفر اللّه تعالی له ذنب ذلک الیوم،ما لم یسفک دما أو یأکل مال یتیم حراما»

و قال-علیه السلام-: «العدل أحلی من الماء یصیبه الظمآن.ما أوسع العدل إذا عدل فیه،و إن قل».

و قال علیه السلام: «العدل أحلی من الشهد،و ألین من الزبد،و أطیب ریحا من المسک».

و قال-علیه السلام-: «اتقوا اللّه و اعدلوا،فإنکم تعیبون علی قوم لا یعدلون» (٣).

و مما یدل علی فضیله العدل بهذا المعنی ما ورد فی ثواب رد المظالم.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «درهم یرده العبد إلی الخصماء خیر له من عباده ألف سنه،و خیر له من عتق ألف رقبه،و خیر له من

١- ١) النحل،الآیه:٩٠.

٢- ٢) النساء،الآیه:٥٧.

٣- ٣) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب الظلم و باب الإنصاف و العدل.

ألف حجه و عمره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من رد درهما إلى الخصماء،أعتق اللّه رقبته من النار،و أعطاه بكل دانق ثواب نبى، و بكل درهم ثواب مدينه فى الجنه من دره حمراء».

و قال صلى اللّه عليه و آله «من رد أدنى شىء إلى الخصماء،جعل اللّه بينه و بين النار سترا كما بين السماء و الأرض،و يكون فى عداد الشهداء».

و قال صلى اللّه عليه و آله:

«من أرضى الخصماء من نفسه،وجبت له الجنه بغير حساب،و يكون فى الجنه رفيق إسماعيل بن إبراهيم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن فى الجنه مدائن من نور،و على المدائن أبواب من ذهب مكلله بالدر و الياقوت،و فى جوف المدائن قباب من مسك و زعفران،من نظر إلى تلك المدائن يتمنى أن تكون له مدينه منها».قالوا:يا نبى اللّه،لمن هذه المدائن؟قال:«للتائبين النادمين،المرضين الخصماء من أنفسهم.

فإن العبد إذا رد درهما إلى الخصماء،أكرمه اللّه كرامه سبعين شهيدا.

فإن درهما يرده العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار و قيام الليل.

و من رد درهما ناداه ملك من تحت العرش:استأنف العمل،فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من مات غير تائب،زفرت جهنم فى وجهه ثلاث زفرات،فأولاها لا تبقى دمعه إلا جرت من عينيه،و الزفره الثانيه لا يبقى دم إلا خرج من منخريه، و الزفره الثالثه لا يبقى قيح إلا خرج من فمه.فرحم اللّه من تاب،ثم أرضى الخصماء،فمن فعل فأنا كفيله بالجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «لرد دانق من حرام يعدل عند اللّه سبعين ألف حجه مبروره» (۱).

۱- ۱) صححنا الأحاديث النبويه هذه كلها على(جامع الأخبار):الباب ۷ الفصل ۷ و لم نعثر لها على أثر فى الكتب المعتبره.

و منها:

اشاره

إخافه المؤمن

و إدخال الكرب فی قلبه.و هما شعبتان من الإیذاء و الإضرار، فیترتبان غالبا علی العداوه و الحسد،و قد یترتبان علی مجرد الغضب أو سوء الخلق أو الطمع،و هما من رذائل الأفعال،و الأخبار الوارده فی ذمهما کثیره،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-: «من نظر إلی مؤمن نظره لیخیفه بها،أخافه اللّه تعالی یوم لا ظل إلا ظله».

و قول الصادق علیه السلام: «من روع مؤمنا بسلطان لیصیبه منه مکروه فأصابه فهو مع فرعون و آل فرعون فی النار».

و قوله-علیه السلام-: «من أدخل السرور علی مؤمن فقد أدخله علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و من أدخله علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فقد وصل ذلک إلی اللّه، و کذلک من أدخل علیه کربا» (۱). و الأخبار الوارده فی هذا المعنی کثیره

وصل إدخال السرور فی قلب المؤمن

و ضد ذلک إزاله الخوف عنه،و تفریج کربه.و إدخال السرور فی

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی)باب إدخال السرور علی للمؤمن،و باب من أخاف مؤمنا.

قلبه.و هی من أعظم شعب النصیحه،و لا حد للثواب المترتب علیها، کما نطقت به الأخبار.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من حمی مؤمنا من ظالم،بعث اللّه له ملکا یوم القیامه یحمی لحمه من نار جهنم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما، غفر اللّه له ثلاثا و سبعین مغفره».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «انصر أخاک ظالما أو مظلوما»،فقیل:کیف ینصره ظالما؟قال:«تمنعه من الظلم».

و قال الإمام أبو عبد اللّه الصادق-علیه السلام-: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده،فنفس کربته و أعانه علی نجاح حاجته،کتب اللّه تعالی له بذلک اثنتین و سبعین رحمه من اللّه،یعجل له منها واحده یصلح بها أمر معیشته،و یدخر له إحدی و سبعین رحمه لأفزاع یوم القیامه و أ هواله».

و قال-علیه السلام-: «من نفس عن مؤمن کربه،نفس اللّه عنه کرب الآخره،و خرج من قبره و هو ثلج الفؤاد»

و قال الرضا علیه السلام: «من فرج عن مؤمن،فرج اللّه قلبه یوم القیامه».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من سر مؤمنا فقد سرنی،و من سرنی فقد سر اللّه».

و عن أبی عبد اللّه علیه السلام-قال:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: إن أحب الأعمال إلی اللّه عز و جل إدخال السرور علی المؤمنین».

و قال الباقر-علیه السلام-:

«تبسم الرجل فی وجه أخیه حسنه،و صرفه القذی عنه حسنه،و ما عبد اللّه بشیء أحب إلی اللّه من إدخال السرور علی المؤمن».

و قال-علیه السلام- «إن فیما ناجی اللّه عز و جل به عبده موسی علیه السلام:قال:إن لی عبادا أبیحهم جنتی و أحکمهم فیها،قال:یا رب،و من هؤلاء الذین تبیحهم جنتک و تحکمهم فیها؟قال:من أدخل علی مؤمن سرورا...

ثم قال:إن مؤمنا کان فی مملکه جبار،فولع به،فهرب منه إلی دار

الشرک،فنزل برجل من أهل الشرک فأظله و أرفقه و أضافه،فلما حضره الموت،أوحی اللّه إلیه:و عزتی و جلالی!لو کان لک فی جنتی مسکن لأسکنتک فیها،و لکنها محرمه علی من مات مشرکا بی،و لکن یا نار هیدیه و لا تؤذیه،و یؤتی برزقه طرفی النهار»،قلت (1):من الجنه؟ قال:«من حیثما شاء اللّه».و قال علیه:«لا یری أحدکم إذا أدخل علی مؤمن سرورا أنه علیه أدخله فقط،بل و اللّه علینا،بل و اللّه علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله!-.

عن أبان بن تغلب،قال: «سألت أبا عبد اللّه علیه السلام عن حق المؤمن علی المؤمن.فقال:حق المؤمن علی المؤمن أعظم من ذلک،لو حدثتکم لکفرتم.إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره یقول له:ابشر بالکرامه من اللّه و السرور فیقول له:بشرک اللّه بخیر.قال:ثم یمضی معه یبشره بمثل ما قال،و إذا مر بهول قال:لیس هذا لک،و إذا مر بخیر قال:هذا لک.فلا یزال معه،یؤمنه مما یخاف و یبشره بما یحب،حتی یقف معه بین یدی اللّه عز و جل.فإذا أمر به إلی الجنه،قال له المثال:ابشر فإن اللّه عز و جل قد أمر بک إلی الجنه.قال:فیقول:من أنت رحمک اللّه؟تبشرنی من حین خرجت من قبری،و آنستنی فی طریقی،و خبرتنی عن ربی!قال فیقول:أنا السرور الذی کنت تدخله علی إخوانک فی الدنیا،خلقت منه لأبشرک و أونس وحشتک».

و روی ابن سنان،قال: «کان رجل عند أبی عبد اللّه علیه السلام،فقرأ هذه الآیه:

وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا

ص:234

1- 1) القائل الراوی،و المجیب أبو جعفر-علیه السلام-.

فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

فقال أبو عبد اللّه-علیه السلام-:فما ثواب من أدخل علیه السرور فقلت:جعلت فداک!عشر حسنات.قال:أی و اللّه و ألف ألف حسنه!» (۲).

و منها:

اشاره

ترک إعانه المسلمین

و عدم الاهتمام بأمورهم.فإن من یعادی غیره أو یحاسده یترک إعانته و لا یهتم بأموره،و ربما کان ذلک من نتائج الکساله بها،أو ضعف النفس أو البخل.و بالجمله:لا ریب فی کونه من رذائل الصفات،و دلیلا علی ضعف الإیمان.و ما ورد فی ذمه من الأخبار کثیر،

قال الباقر علیه السلام:

«من بخل بمعونه أخیه المسلم و القیام له فی حاجه،إلا ابتلی بالقیام بمعونه من یأثم علیه و لا یؤجر».

و قال الصادق-علیه السلام-: «أیما رجل من شیعتنا أتاه رجل من إخوانه،فاستعان به فی حاجه فلم یعنه،و هو یقدر،إلا ابتلاه اللّه تعالی بأن یقضی حوائج عده من أعدائنا،یعذبه اللّه علیها یوم القیامه».

و قال-علیه السلام-: «أیما مؤمن منع مؤمنا شیئا مما یحتاج إلیه و هو یقدر علیه من عنده أو من عند غیره،أقامه اللّه عز و جل یوم القیامه مسودا وجهه،مزرقه عیناه،مغلوله یداه إلی عنقه فیقال:هذا الخائن الذی خان اللّه و رسوله،ثم یؤمر به إلی النار»

و قال

۱- ۱) الأحزاب،الآیه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الأحادیث کلها هنا علی(أصول الکافی):باب إدخال السرور علی المؤمن،باب تفریج کرب المؤمن.

-علیه السلام-: «من کانت له دار،فاحتاج مؤمن إلی سکناها، فمنعه إیاها،قال اللّه تعالی:یا ملائکتی،أبخل عبدی علی عبدی بسکنی الدنیا؟و عزتی و جلالی!لا یسکن جناتی أبدا».

و قال-علیه السلام-لنفر عنده: «ما لکم تستخفون بنا؟»،فقام إلیه رجل من أهل خراسان، فقال:معاذ لوجه اللّه أن نستخف بک أو بشیء من أمرک!فقال:

«إنک أحد من استخف بی»،فقال:معاذ لوجه اللّه أن استخف بک فقال له:«ویحک!أ لم تسمع فلانا،و نحن بقرب الجحفه،و هو یقول لک:احملنی قدر میل،فقد و اللّه أعبیت.و اللّه ما رفعت به رأسا،لقد استخففت به.و من استخف بمؤمن فبنا استخف،و ضیع حرمه اللّه عز و جل (۱).

و قال علیه السلام: «من أتاه أخوه فی حاجه یقدر علی قضائها فلم یقضها له،سلط اللّه علیه شجاعا ینهش إبهامه فی قبره إلی یوم القیامه مغفورا له أو معذبا».

و قال أبو الحسن علیه السلام:

«من قصد إلیه رجل من إخوانه مستجیرا به فی بعض أحواله،فلم یجره بعد أن یقدر علیه،فقد قطع ولایه اللّه عز و جل».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس بمسلم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس منهم و من سمع رجلا ینادی یا للمسلمین فلم یجبه فلیس بمسلم» (۲).

۱- ۱) صححنا هذا الحدیث بالخصوص علی(الوسائل):کتاب الحج،باب تحریم الاستخفاف و هو یرویه عن(الکافی).

۲- ۲) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من استعان أخوه به فلم یعنه،و باب قضاء حاجه المؤمن،و باب من منع مؤمنا شیئا من عنده،و باب الاهتمام بامور المسلمین.

وصل قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيله:قضاء حوائج المسلمين و السعی فی إنجاح مقاصدهم و هو من أعظم أفراد النصیحه،و لا حد لمثوبته عند اللّه

قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-: «من قضی لأخیه المؤمن حاجه،فکأنما عبد اللّه دهره» (۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من مشی فی حاجه أخیه ساعه من لیل أو نهار،قضاها أو لم یقضها،کان خیرا له من اعتکاف شهرین».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «أوحی اللّه عز و جل إلی موسی علیه السلام:إن من عبادی من یتقرب إلی بالحسنه فأحکمه فی الجنه فقال موسی:یا رب،و ما تلک الحسنه؟قال یمشی مع أخیه المؤمن فی قضاء حاجته،قضیت أم لم تقض».

و قال-علیه السلام-: «من مشی فی حاجه أخیه المسلم،أظله اللّه بخمسه و سبعین ألف ملک،و لم یرفع قدما إلا کتب اللّه له حسنه،و حط عنه بها سیئه،و یرفع له بها درجه،فإذا فرغ من حاجته کتب اللّه عز و جل له بها أجر حاج و معتمر»

و قال-علیه السلام-: «إن المؤمن لترد علیه الحاجه لأخیه فلا تکون عنده فیهتم بها قلبه،فیدخله اللّه تبارک و تعالی بهمه الجنه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «من قضی لأخیه المؤمن حاجه،قضی اللّه تعالی له یوم القیامه مائه ألف حاجه،من ذلک أولها الجنه،و من ذلک أن یدخل قرابته و معارفه و إخوانه الجنه،بعد أن لا یکونوا نصابا».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی خلق خلقا من خلقه،انتجبهم لقضاء حوائج

۱- ۱) صححناه علی(الوسائل).کتاب الأمر بالمعروف،باب استحباب قضاء حاجه المؤمن،رواه عن(مجالس الطوسی).و لم نعثر علی مصدر للنبوی الثانی.

فقراء شیعتنا،لیثیبهم علی ذلک الجنه.فإن استطعت أن تکون منهم فکن»

و قال-علیه السلام-: «قضاء حاجه المؤمن خیر من عتق ألف رقبه، و خیر من حملان ألف فرس فی سبیل اللّه».

و قال-علیه السلام-:

«لقضاء حاجه امرئ مؤمن أحب إلی اللّه تعالی من عشرین حجه،کل حجه ینفق فیها صاحبها مائه ألف».

و قال-علیه السلام-: «من طاف بالبیت طوافا واحدا کتب اللّه له سته آلاف حسنه،و محی عنه سته آلاف سیئه، و رفع له سته آلاف درجه- و فی روایه:و قضی له سته آلاف حاجه-حتی إذا کان عند الملتزم،فتح له سبعه أبواب من الجنه»،قلت له:جعلت فداک!هذا الفضل کله فی الطواف؟قال:«نعم!و أخبرک بأفضل من ذلک:

قضاء حاجه المؤمن المسلم أفضل من طواف و طواف و طواف...حتی بلغ عشرا».

و قال-علیه السّلام-: «تنافسوا فی المعروف لإخوانکم و کونوا من أهله،فإن للجنه بابا یقال له المعروف،لا یدخله إلا من اصطنع المعروف فی الحیاه الدنیا،فإن العبد لیمشی فی حاجه أخیه المؤمن فیوکل اللّه عز و جل به ملکین،واحدا عن یمینه و آخر عن شماله، یستغفران له ربه،و یدعوان بقضاء حاجته»...ثم قال:«و اللّه لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أسر بقضاء حاجه المؤمن إذا وصلت إلیه من صاحب الحاجه».

و قال-علیه السلام-: «ما قضی مسلم لمسلم حاجه إلا ناداه اللّه تعالی:علی ثوابک،و لا أرضی لک بدون الجنه».

و قال-علیه السلام-: «أیما مؤمن أتی أخاه فی حاجه فإنما ذلک رحمه من اللّه ساقها إلیه و سببها له،فإن قضی حاجته کان قد قبل الرحمه بقبولها و إن رده عن حاجته و هو یقدر علی قضائها فإنها رد عن نفسه رحمه من اللّه عز و جل،ساقها إلیه و سببها له،و ذخر اللّه تلک الرحمه إلی یوم القیامه،حتی یکون المردود عن حاجته هو الحاکم فیها،إن شاء صرفها

إلی نفسه،و إن شاء صرفها إلی غیره»...ثم قال علیه السلام للراوی:

«فإذا کان یوم القیامه،و هو الحاکم فی رحمه من اللّه تعالی قد شرعت له،فإلی من تری یصرفها؟»،لا أظن یصرفها عن نفسه،قال:

لا تظن!و لکن استیقن،فإنه لن یردها عن نفسه»

و قال-علیه السلام-:

«من مشی فی حاجه أخیه المؤمن یطلب بذلک ما عند اللّه حتی تقضی له، کتب اللّه عز و جل له بذلک مثل أجر حجه و عمره مبرورتین،و صوم شهرین من أشهر الحرم و اعتکافهما فی المسجد الحرام،و من مشی فیها بنیه و لم تقض،کتب اللّه له بذلک مثل حجه مبروره،فارغبوا فی الخیر».

و قال علیه السلام: «لئن أمشی فی حاجه أخ لی مسلم،أحب إلی من أن أعتق ألف نسمه،و أحمل فی سبیل اللّه علی ألف فرس مسرجه ملجمه»

و قال-علیه السلام-: «من سعی فی حاجه أخیه المسلم،و طلب وجه اللّه،کتب اللّه عز و جل له ألف ألف حسنه،یغفر فیها لأقاربه و جیرانه و إخوانه و معارفه،و من صنع إلیه معروفا فی الدنیا،فإذا کان یوم القیامه قیل له:ادخل النار،فمن وجدته فیها صنع إلیک معروفا فی الدنیا فأخرجه بإذن اللّه عز و جل،إلا أن یکون ناصبیا».

و قال أبو الحسن -علیه السلام-: «إن للّه عبادا فی الأرض یسعون فی حوائج الناس، هم الآمنون یوم القیامه.و من أدخل علی مؤمن سرورا،فرح اللّه قلبه یوم القیامه» (۱). و الأخبار الوارده بهذه المضامین کثیره،و ما ذکرناه کاف لتحریک الطالبین علی قضاء حوائج المؤمنین.و مما یدل علی مدحه و شرافته،ما ورد فی ثواب إطعام المؤمن و سقیه و کسوته،کما یأتی.

۱- ۱) صححنا الأحادیث-ابتداء من الحدیث عن أبی جعفر علیه السلام- علی(أصول الکافی):باب قضاء حاجه المؤمن،و باب السعی فی حاجه المؤمن.

و منها:

اشاره

التهاون و المداهنه

فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و هو ناش إما من ضعف النفس و صغرها،أو من الطمع المالی ممن یسامحه،فیکون من رذائل القوه الغضبیه من جانب التفریط،أو من رذائل القوه الشهویه من جانب الإفراط و هو من المهلکات التی یعم فسادها و ضرها،و یسری إلی معظم الناس أثرها و شرها.کیف و لو طوی بساط الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر اضمحلت الدیانه،و تعطلت النبوه،و عمت الفتره،و فشت الضلاله، و شاعت الجهاله،و ضاعت أحکام الدین،و اندرست آثار شریعه رب العالمین،و هلک العباد،و خرجت البلاد.و لذا تری و تسمع أن فی کل عصر نهض بإقامه هذه السنه بعض المؤیدین،من غیر أن تأخذهم فی اللّه لومه لائمین،من أقویاء العلماء المتکفلین لعلمها و إلقائها،و من سعداء الأمراء الساعین فی إجرائها و إمضائها،رغب الناس إلی ضروب الطاعات و الخیرات،و فتحت علیهم برکات الأرض و السماوات،و فی کل قرن لم یقم بإحیائها عالم عامل و لا سلطان عادل،استشری الفساد،و اتسع الخرق و خرجت البلاد،و استرسل الناس فی اتباع الشهوات و الهوی،و انمحت أعلام الهدایه و التقوی.

و لذا تری فی عصرنا-لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله و علمه و انمحت بالکلیه حقیقته و اسمه،و عز علی بسیط الأرض دین یحرس الشریعه و استولت علی القلوب مداهنه الخلیقه-أن الناس فی بیداء الضلاله حیاری

و فی أیدی جنود الأبالسه أساری،و لم یبق من الإسلام إلا اسمه و من الشرع إلا رسمه.

و لأجل ذلک ورد الذم الشدید فی الآیات و الأخبار علی ترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و المداهنه فیهما،قال اللّه سبحانه:

لَوْ لاٰ یَنْهٰاهُمُ الرَّبّٰانِیُّونَ وَ الْأَحْبٰارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَکْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا کٰانُوا یَصْنَعُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «ما من قوم عملوا بالمعاصی،و فیهم من یقدر أن ینکر علیهم فلم یفعل،إلا یوشک أن یعمهم اللّه بعذاب من عنده».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تعالی لیبغض المؤمن الضعیف الذی لا دین له»،فقیل له:و ما المؤمن الذی لا دین له؟قال:«الذی لا ینهی عن المنکر».و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«أ تهلک القریه و فیها الصالحون؟قال:نعم!قیل:بم یا رسول اللّه؟قال:بتهاونهم و سکوتهم عن معاصی اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لتأمرن بالمعروف و لتنهن عن المنکر،أو لیستعملن علیکم شرارکم،فیدعو خیارکم فلا یستجاب لهم» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تعالی لیسأل العبد:ما منعک إذ رأیت المنکر أن تنکر؟».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «ان اللّه لا یعذب الخاصه

۱- ۱) المائده،الآیه:۶۶.

۲- ۲) روی فی(فروع الکافی)-باب الأمر بالمعروف-هذا الحدیث عن أبی الحسن الرضا-علیه السلام-.و صححنا الحدیث الذی قبل الأخیر علی(فروع الکافی)فی الموضع المذکور أیضا.

بذنوب العامه،حتی یظهر المنکر بین أظهرهم،و هم قادرون علی أن ینکروه فلا ینکرونه».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-فی بعض خطبه: «إنما هلک من کان قبلکم،حیث عملوا بالمعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک،و أنهم لما تمادوا فی المعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک نزلت بهم العقوبات،فأمروا بالمعروف و نهوا عن المنکر...».

و قال علیه السلام: «من ترک إنکار المنکر بقلبه و یده و لسانه،فهو میت بین الأحیاء».

و قال-علیه السلام- «أمرنا رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أن نلقی أهل المعاصی بوجوه مکفهره».

و قال-علیه السلام- «إن أول ما تغلبون علیه من الجهاد الجهاد بأیدیکم ثم بألسنتکم،ثم بقلوبکم فمن لم یعرف بقلبه معروفا و لم ینکر منکرا قلب فجعل أعلاه أسفله»

و قال الباقر-علیه السلام-: «أوحی اللّه عز و جل إلی شعیب النبی -علیه السلام-:إنی معذب من قومک مائه ألف:أربعین ألفا من شرارهم،و ستین ألفا من خیارهم.فقال-علیه السلام-:یا رب، هؤلاء الأشرار فما بال الأخیار؟فأوحی اللّه عز و جل إلیه:داهنوا أهل المعاصی،و لم یغضبوا لغضبی».

و قال الصادق-علیه السلام-: «ما قدست أمه لم یؤخذ لضعیفها من قویها بحقه غیر متعتع».

و قال-علیه السلام-: «ویل لقوم لا یدینون اللّه بالأمر بالمعروف و النهی عن المنکر»

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی بعث ملکین إلی أهل مدینه لیقلبها علی أهلها،فلما انتهیا إلی المدینه وجدا رجلا یدعو اللّه و یتضرع إلیه، فقال أحد الملکین لصاحبه:أ ما تری هذا الداعی؟فقال:قد رأیته، و لکن أمضی ما أمر به ربی.فقال:لا،و لکن لا أحدث شیئا حتی أراجع ربی.فعاد إلی اللّه تبارک و تعالی،فقال:یا رب إنی انتهیت إلی

المدينه،فوجدت عبدك فلانا يدعوك و يتضرع إليك.فقال:امض ما أمرتك به،فإن ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظا لى قط».

و قال -عليه السلام-لقوم من أصحابه: حق لى أن آخذ البرىء منكم بالسقيم و كيف لا يحق لى ذلك و أنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه و لا تهجرونه و لا تؤذونه حتى يتركه».

و قال-عليه السلام-: «لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم...إلى أن قال:ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون و ما يدخل علينا به الأذى،أن تأنوه فتؤنبوه و تعذلوه، و تقولوا له قولا بليغا!»،قيل له:إذن لا يقبلون منا،قال:«اهجروهم و اجتنبوا مجالستهم».

و فى بعض الأخبار النبويه: «إن أمتى إذا تهاونوا فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فليأذنوا بحرب من اللّه». و قد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر إذا لم يمكنه دفعه و النهى عنه،و لو حضر نزلت عليه اللعنه.و على هذا لا يجوز دخول بيت الظلمه و الفسقه،و لا حضور المشاهد التى يشاهد فيها المنكر و لا يقدر على تغييره،إذ لا يجوز مشاهده المنكر من غير حاجه،اعتذارا بأنه عاجز.و لهذا اختار جماعه من السلف العزله،حذرا من مشاهده المنكر فى الأسواق و المجامع و الأعياد،مع عجزهم عن التغيير.

ثم إذا كان الأمر فى المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بهذه المثابه،فيعلم أن الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف كيف حاله.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم و فسق شبابكم و لم تأمروا بالمعروف و لم تنهوا عن المنكر؟»فقيل له-صلى اللّه عليه و آله-:و يكون ذلك يا رسول اللّه؟!قال:«نعم! كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر و نهيتم عن المعروف؟!»،فقيل له:

يا رسول اللّه،و يكون ذلك؟!قال:«نعم!و شر من ذلك!كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا و المنكر معروفا؟!»،و فى روايه:

«و عند ذلك يبتلى الناس بفتنه،يصير الحليم فيها حيران» (۱).

و من تأمل فى الأخبار و الآثار،و اطلع على التواريخ و السير و قصص الأمم السالفه و القرون الماضيه،و ما حدثت لهم من العقوبات،و ضم ذلك إلى التجربه و المشاهده فى عصره،من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماويه و الأرضيه،يعلم أن كل عقوبه سماويه و أرضيه،من الطاعون و الوباء، و القحط و الغلاء،و حبس المياه و الأمطار،و تسلط الظالمين و الأشرار، و وقوع القتل و الغارات،و حدوث الصواعق و الزلازل،و أمثال ذلك، تكون مسبوقه بترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بين الناس.

وصل السعى فى الأمر بالمعروف

اشاره

ضد المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،هى السعى فيهما و التشمير لهما.و هو أعظم مراسم الدين،و المهم الذى بعث اللّه لأجله النبيين،و نصب من بعدهم الخلفاء و الأوصياء،و جعل نوابهم أولى النفوس القدسيه من العلماء.بل هو القطب الذى تدور عليه أرحيه الملل و الأديان و تطرق الاختلال فيه يؤدى إلى سقوطها عن الدوران.و لهذا ورد فى

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث هنا على(فروع الكافى):باب الأمر بالمعروف و على (الوسائل):كتاب الأمر بالمعروف و على(المستدرك):۲-۳۶۰-۳۶۱ كتاب الأمر بالمعروف.

مدحه و الترغیب علیه مما لا یمکن إحصاؤه من الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّهٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

و قال: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ،تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ (۱).و قال: فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا الَّذِینَ یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِینَ ظَلَمُوا بِعَذٰابٍ بَئِیسٍ بِمٰا کٰانُوا یَفْسُقُونَ (۲).و قال: لاٰ خَیْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ،إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَهٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَیْنَ النّٰاسِ،وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً .و قال: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوّٰامِینَ بِالْقِسْطِ (۳).

و القیام بالقسط هو:الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «ما أعمال البر عند

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۱۰،۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۶۴.

۳- ۳) النساء،الآیه:۱۳۵،۱۱۳.

الجهاد فی سبیل اللّه إلا کنفثه فی بحر لجی،و ما جمیع أعمال البر و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إیاکم و الجلوس علی الطرقات!»قالوا ما لنا بد،إنما هی مجالسنا نتحدث فیها،قال:«فإذا أبیتم إلا ذلک، فاعطوا الطریق حقه»،قالوا:و ما حق الطریق؟قال:«غض البصر و کف الأذی،و رد السلام،و الأمر بالمعروف،و النهی عن المنکر».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «ما بعث اللّه نبیا إلا-و له حواری، فیمکث النبی بین أظهرهم ما شاء اللّه،یعمل فیهم بکتاب اللّه و بأمره، حتی إذا قبض اللّه نبیه،مکث الحواریون یعملون بکتاب اللّه و بأمره و سنه نبیهم،فإذا انقرضوا،کان من بعدهم قوم یرکبون رءوس المنابر یقولون ما یعرفون و یعملون ما ینکرون.فإذا رأیتم ذلک،فحق علی کل مؤمن جهادهم بیده،فإن لم یستطع فبلسانه،فإن لم یستطع فبقلبه.و لیس وراء ذلک إسلام» (1).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «إن من رأی عدوانا یعمل به و منکرا یدعی إلیه فأنکره بقلبه،فقد سلم و بریء و من أنکره بلسانه فقد أجر،و هو أفضل من صاحبه،و من أنکره بالسیف لتکون کلمه اللّه العلیا و کلمه الظالمین السفلی،فذلک الذی أصاب سبیل الهدی و قام علی الطریق،و نور فی قلبه الیقین» (2).

و قال-علیه السلام- «فمنهم المنکر للمنکر بقلبه و لسانه و یده،فذلک المستکمل لخصال الخیر و منهم المنکر بلسانه و قلبه،التارک بیده،فذلک متمسک بخصلتین من

1- 1) صححنا هذه النبویات الثلاثه علی(إحیاء العلوم):2-272،271.

2- 2) صححنا الحدیث علی(المستدرک):کتاب الأمر بالمعروف،الباب 3 و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،الباب 3.و کذا الحدیث بعده، صححناه علی(الوسائل)فی الموضع المذکور.

خصال الخير و مضيع خصله.و منهم المنكر بقلبه،و التارك بيده و لسانه، فذلک الذی ضیع أشرف الخصلتین من الثلاث و تمسک بواحده.و منهم تارک لإنکار المنکر بلسانه و قلبه و یده،فذلک میت الأحیاء.و ما أعمال البر کلها و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی،و إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر لا یقربان من أجل و لا ینقصان من رزق،و أفضل من ذلک کلمه عدل عند إمام جائر»

و فی خبر جابر عن الباقر-علیه السلام-: «إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر سبیل الأنبیاء و منهاج الصلحاء،فریضه عظیمه،بها تقام الفرائض و تأمن المذاهب،و تحل المکاسب،و ترد المظالم،و تعمر الأرض و ینتصف من الأعداء،و یستقیم الأمر.فأنکروا بقلوبکم،و ألفظوا بألسنتکم،و صکوا بها جباههم،و لا تخافوا فی اللّه لومه لائم.فإن اتعظوا و إلی الحق رجعوا فلا سبیل علیهم:

إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النّاسَ وَ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ

(۱)

.

هنالک فجاهدوهم بأبدانکم،و أبغضوهم بقلوبکم،غیر طالبین سلطانا و لا باغین مالا،و لا مریدین لظلم ظفرا،حتی یفیئوا إلی أمر اللّه و یمضوا علی طاعته» (۲).

۱- ۱) الشوری،الآیه:۴۲.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،باب الأمر بالمعروف.

فصل وجوب الأمر بالمعروف و شروطه

مقتضی الآیات و الأخبار المذکوره،وجوب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و لا خلاف فیه أیضا،إنما الخلاف فی کون وجوبهما کفائیا أو عینیا.و الحق الأول،کما یأتی.

ثم الواجب إنما هو الأمر بالواجب و النهی عن الحرام.و أما الأمر بالمندوب و النهی عن المکروه فمندوب،و إنما یجب بشروط أربعه:

الأول-العلم بکونهما معروفا و منکرا،لیأمن من الغلط،فلا یجبان فی المتشابه،فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمه،و عدم جواز الاختلاف فیه من ضروره الدین أو المذهب أو الإجماع القطعی النظری أو الکتاب و السنه أو من قول العلماء،فله أن یأمر و ینهی و یحتسب به علی کل أحد و من لم یعلمها بالقطع،بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد أو التقلید و جوز الاختلاف فیه،فلیس له الأمر و النهی و الحسبه،إلا علی من کان علی هذا الاعتقاد من مجتهد أو مقلد،أو لزم علیه أن یکون هذا الاعتقاد و إن لم یکن علیه بالفعل للجهل،کالمقلد المطلق لمجتهد إذا لم یعلم بعض العقائد الاجتهادیه لمجتهده،فیتأتی لغیره إن یحتسب به علیه.و حاصل ما ذکر:أن القطعیات الوفاقیه تأتی لکل أحد أن یحتسب بها علی کل أحد بعد علمها و غیر القطعیات الجائز فیها الاختلاف و المرجح أحد طرفیها لاجتهاد لا یتأتی لمجتهدها و مقلده فیها الاحتساب،أی الأمر و النهی،إلا علی من کان موافقا فی الاعتقاد أو یلزم أن یکون موافقا.

الثانی-تجویز التأثیر.فلو علم أو غلب علی ظنه أنه لا یؤثر فیه، لم یجب،لعدم الفائده.

الثالث-القدره و التمکن منه،و عدم تضمنه مفسده.فلو ظن توجه الضرر إلیه أو إلی أحد من المسلمین بسببه سقط،إذ لا ضرر و لا ضرار فی الدین.

الرابع-أن یکون المأمور أو المنهی مصرا علی الاستمرار.فلو ظهر منهما أماره الإقلاع سقط،للزوم العبث.

ثم هذه الشروط یختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،کما یأتی.و یدل علی اشتراط الثلاثه الأول

ما روی: «أنه سئل مولانا الصادق-علیه السلام-:أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر أ واجب علی الأمه جمیعا؟فقال:لا.فقیل له:و لم؟ قال:إنما هو علی القوی المطاع،العالم بالمعروف من المنکر،لا علی الضعیف الذی لا یهتدی سبیلا إلی أی من أی یقول من الحق إلی الباطل.

و الدلیل علی ذلک من کتاب اللّه عز و جل،قوله:

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّهٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ

(۱)

.

فهذا خاص غیر عام،کما قال اللّه عز و جل:

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسیٰ أُمَّهٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ

(۲)

.

و لم یقل علی أمه موسی،و لا علی کل قوم،و هم یومئذ أمم مختلفه و الأمه واحد فصاعدا،کما قال اللّه عز و جل: إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ کٰانَ أُمَّهً قٰانِتاً لِلّٰهِ یقول مطیعا للّه عز و جل.و لیس علی من یعلم ذلک فی هذه

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۵۸.

الهدنه من حرج،إذا كان لا قوه له و لا عذر و لا طاقه».

قال مسعده «سمعت أبا عبد اللّه-عليه السلام- و سئل عن الحديث الذى جاء عن النبى صلى اللّه عليه و آله:(إن أفضل الجهاد كلمه عدل عند إمام جائر) ما معناه-قال:هذا على أن يأمره بعد معرفته،و هو مع ذلک يقبل منه و إلا فلا».و فى خبر آخر:«إنما يؤمر بالمعروف و ينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم.فأما صاحب سوط أو سيف فلا».

و فى خبر آخر: «من تعرض لسلطان جائر و أصابته بليه،لم يؤجر عليها و لم يرزق الصبر عليها» (۱). و من الشرائط أن يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسس،فلا يجب،بل لا يجوز التجسس،كفتح الباب المغلق، و وضع الأذن و الأنف لاحتباس الصوت و الريح،و طلب إرائه ما تحت الثوب و أمثال ذلک،لنص الكتاب و السنه.

فصل عدم اشتراط العداله فيه

لا تشترط فيه العداله و ائتمار الآمر بما يأمر به و انتهاء الناهى عما ينهى عنه،لإطلاق الأدله،و لأن الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره أمران:تركه و إنكاره،و لا يسقط بترک أحدهما وجوب الآخر، كيف و لو شرط ذلک لاقتضى عدم وجوب ذلک إلا على المعصوم،فينسد باب الحسبه بالكليه.

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(فروع الكافى):باب الأمر بالمعروف،و باب إنكار المنكر بالقلب.اسقط المؤلف من الحديث الأول قسما فأكملناه.

و أما الإنكار فی قوله تعالی:

أَ تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.و قوله تعالی: لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ؟ کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ (۲).

و ما فی حدیث الأسری من قرض مقاریضهم بالنار،فانما هو علی عدم العمل بما یأمر به و یقوله،لا علی الأمر و القول.و کذلک ما روی:

«أن اللّه تعالی أوحی إلی عیسی:عظ نفسک،فان اتعظت فعظ الناس و إلا فاستحی منی» (۳).و قس علی ذلک جمیع ما ورد من هذا القبیل.

و ما قیل إن هدایه الغیر فرع الاهتداء،و تقویم الغیر فرع الاستقامه ففیه أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر تاره یکون بالوعظ و تاره بالقهر و من لم یکن مهتدیا مستقیما،تسقط عنه الحسبه بالوعظ،لعلم الناس بفسقه فلا یتضمن وعظه و کلامه فائده،و لا یؤثر فی العالم بفسقه،و لا یخرج ذلک وعظه و قوله عن الجواز،کما لا تخرج حسبته القهریه عن التأثیر و الفائده أیضا.إذ الفاسق إذا منع غیره قهرا عن الزنا و اللواط و شرب الخمر، و اراق الخمور،و کسر آلات الملاهی،حصل التأثیر و الفائده بلا شبهه

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

۳- ۳) صححنا الأحادیث کلها علی(فروع الکافی):باب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف.و علی(المستدرک) ۲-۳۶۰،کتاب الامر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و الحاصل:أن أحد نوعی الاحتساب-اعنی الوعظی-یتوقف تأثیره علی العداله،و أما نوعه الآخر-أعنی القهری-فلا یتوقف علیه مطلقا.

فان قیل:اذا أتی رجل امرأه إکراها،و هی مستوره الوجه، فکشف وجهها باختیارها،فما اشنع و أقبح أن ینهاها الرجل فی أثناء الزنا عن کشف وجهها،و یقول لها:أنت مکرهه فی الزنا و مختاره فی کشف الوجه لغیر المحرم،و ما أنا بمحرم لک،فاستری وجهک.

قلنا:القبح و الاستنکار إنما هو لأجل أنه ترک الاهم و اشتغل بما هو الاهون،کما إذا ترک المشتبه و أکل الحرام،أو ترک الغیبه و شهد بالزور لا لأن هذا النهی هو حرام فی نفسه،أو خرج عن الوجوب إلی الاباحه أو الکراهه.و لأن نهیه هذا خرج بفسقه عن التأثیر و الفائده،فالاستنکار علیه و تقبیح نهیه عن هذا من حیث إنه نزل نفسه مقام من یؤثر قوله، مع أنه لا یؤثر،کما تقدم آنفا.

ثم ما ذکرناه من عدم اشتراط العداله فی العمل بما یأمر به و ینهی عنه إنما هو فی آحاد الحسبه الصادره من أفراد الرعیه المطلعین علی المنکر.و أما من نصب نفسه لا صلاح الناس و نصحهم،و بیان الاحکام الإلهیه نیابه عن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و الأئمه المعصومین-علیهم السلام- فلا بد فیه من العداله و التقوی و العلم بالکتاب و السنه،و غیر ذلک من شرائط الاجتهاد.و علی هذا یحصل جواب آخر عن الآیات و الاخبار الوارده فی الإنکار علی الواعظ غیر المتعظ بتخصیصها به دون افراد الرعیه.و علیه یحمل قول الصادق-علیه السلام-فی(مصباح الشریعه) (1):«من لم ینسلخ عن هواجسه،و لم یتخلص من آفات نفسه و شهواتها،و لم یهزم

1- 1) الباب 64 و قد صححنا الحدیث علیه و علی(بحار الأنوار):21-114 باب الأمر المعروف.و علی(مستدرک الوسائل):2-363-365.

الشیطان،و لم یدخل فی کنف اللّه و أمان عصمته،لا یصلح له الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،لأنه إذا لم یکن بهذه الصفه،فکلما أظهر أمرا کان حجه علیه،و لا ینتفع الناس به.قال اللّه عز و جل:

أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.

و یقال له:یا خائن!أ تطالب خلقی بما خنت به نفسک و أرخیت عنه عنانک!». و کذا یحمل علیه قول الصادق-علیه السلام- (۲):

«صاحب الامر بالمعروف یحتاج إلی أن یکون عالما بالحلال و الحرام، فارغا من خاصه نفسه مما یأمرهم به و ینهاهم عنه،ناصحا للخلق،رحیما لهم،رفیقا بهم،داعیا لهم باللطف و حسن البیان،عارفا بتفاوت اخلاقهم لینزل کلا منزلته،بصیرا بمکر النفس و مکائد الشیطان،صابرا علی ما یلحقه لا یکافیهم بها و لا یشکو منهم،و لا یستعمل الحمیه و لا یغتاظ لنفسه، مجردا نیته للّه،مستعینا به و مبتغیا لوجهه،فان خالفوه و جفوه صبر،و إن وافقوه و قبلوا منه شکر،مفوضا أمره إلی اللّه،ناظرا إلی عیبه».

(تنبیه)اعلم أن المحتسب علیه-أعنی من یؤمر به أو ینهی عنه- و ان اشترط کونه عاقلا بالغا،إلا أن هذا الشرط إنما هو فی غالب الأوامر و النواهی،و بعضها لا یشترط فیه ذلک.إذ من رأی صبیا أو مجنونا یشرب الخمر،وجب علیه أن یمنعه و یریق خمره.و کذا إن رأی مجنونا یزنی بمجنونه أو بهیمه،فعلیه أن یمنعه منه،و لا یلزم منه أن یکون منع بهیمه عن افساد زرع انسان حسبه و نهیا عن منکر،إذ لا یصدق اسم المحتسب علیه و المنهی إلا علی من کان الفعل الممنوع عنه فی حقه منکرا و هو لا یکون الا الإنسان دون سائر الحیوانات.

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) (مصباح الشریعه):الباب المتقدم.

فصل مراتب الأمر بالمعروف

اعلم أن للامر بالمعروف و النهى عن المنكر مراتب:

الأولى-الإنكار بالقلب:بأن يبغضه على ارتكاب المعصيه.و هذا مشروط بعلم الناهى و اصرار المنهى،و لا يشترط بالشرطين الأخيرين.

الثانيه-التعريف:بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصيه،فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصى لجهلهم بأنه معصيه،و لو عرف كونه معصيه تركه.

الثالثه-إظهار الكراهه و الإعراض و المهاجره.

الرابعه-الإنكار باللسان:بالوعظ،و النصح،و التخويف، و الزجر،مرتبا الأيسر فالأيسر،الى أن يصل إلى التعنيف بالقول و التغليظ فى الكلام،كقوله:يا جاهل!يا أحمق!لا تخالف ربك!و ههنا شبكه عظيمه للشيطان،ربما يصطاد بها أكثر الوعاظ.فينبغى لكل عالم ناصح أن يراها بنور البصيره،و هى أن يحضره عند الوعظ و الإرشاد،و يلقى فى قلبه تعززه و شرافته بالعلم،و ذله من يعظه بالجهل و الخسه.فربما يقصد بالتعريف و الوعظ الاذلال و التجهيل،و إظهار شرف نفسه بالعلم،و هذه آفه عظيمه تتضمن كبرا و رياء.و ينبغى لكل واعظ دين ألا يغفل عن ذلك،و يعرف بنور بصيرته عيوب نفسه و قبح سريرته.و علامه براءه نفسه من هذه الآفه،أن يكون اتعاظ ذلك العاصى بوعظ غيره أو امتناعه من المعصيه بنفسه أحب إليه من اتعاظه بوعظه.

الخامسه-المنع بالقهر مباشره،ككسر آلات اللهو،و اراقه الخمر و استلاب الثوب المغصوب منه و رده إلى صاحبه،و أمثال ذلك.

السادسه-التهديد و التخويف:کقوله:دع عنک هذا،و إلا ضربتک أو کسرت رأسک!أو غیر ذلک مما یجوز له أن یفعل لو لم ینته عن معصیته.و لا یجوز أن یهدده بما لا یجوز فعله،کقوله:دع هذا و إلا أضرب عنقک!أو أضرب ولدک،أو استبین زوجتک،و أمثال ذلک.

السابعه-مباشره الضرب بالید و الرجل و غیر ذلک،من دون ان ینتهی إلی شهر سلاح و جراح.

الثامنه-الجرح بشهر بعض الأسلحه.و جوزه سیدنا المرتضی -رضی اللّه عنه-من أصحابنا و جماعه،و الباقون اشترطوا إذن الامام فی ذلک،إذ ربما لا یقدر علیه بنفسه،و یحتاج فیه إلی اعوان و أنصار یشهرون السلاح،و ربما یستمد الفاسق أیضا باعوانه،فیؤدی إلی المقاتله و المحاربه و حدوث فتنه عظیمه.

فصل معنی وجوبهما کفائیا

اذا اجتمعت الشرائط،و کان المطلع منفردا،تعین علیه.و إن کان ثمه غیره،و شرع أحدهما فی الأمر و النهی،فان ظن الآخر ان لمشارکته اثرا فی تعجیل ترتب الأثر و رسوخ الانزجار،وجب علیه أیضا،و إلا فلا.لأن الغرض وقوع المعروف و ارتفاع المنکر،فمتی حصلا بفعل واحد،کان السعی من الآخر عبثا.و هذا معنی کون وجوبهما کفائیا.

فصل ما ينبغى فى الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر

ينبغى لكل من الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر أن يكون حسن الخلق،صابرا حليما قويا فى نفسه،لئلا ينزعج،و لا يضطرب إذا قيل فى حقه ما لا يليق به.فان أكثر الناس اتباع الهوى،فإذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم،فربما اطلقوا ألسنتهم فى حق الناهى،و يقولون فيه ما لا يليق بشأنه،و ربما تجاوزوا إلى سوء الأدب قولا و فعلا بالمشافهه.

و أن يكون رفيقا بالناس،فان الوعظ بالرفق و الملاءمه أوقع و أشد تأثيرا فى قلوب أكثر الناس.

و أن يكون قاطعا للطمع عن الناس،فان الطامع من الناس فى أموالهم أو إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبه،و لذا نقل:«أن بعض المشايخ كان له سنور،و كان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيئا من القد لسنوره،فرأى على القصاب منكرا،فدخل الدار أولا،و اخرج السنور،ثم جاء و وعظ القصاب و شدد عليه القول،فقال القصاب لا يأكل سنورك شيئا بعد ذلك،فقال:ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور و قطع الطمع عنك!».

تتميم أنواع المنكرات

اعلم أن المنكرات إما محظوره أو مكروهه،و المألوفه منها فى العادات أكثر من أن تحصى.

فمنهـا-ما يكون غالبا فى المساجـد:كاساءه الصـلاه،و الاخلال ببعض أفعالها،و التأخير عن اوقاتها،و إدخال النجاسه فيها،و التكلم فيهـا بـامور الـدنيا و البيع و الشـراء،و دخول الصبيـان و المجـانين فيهـا مع اشـتغالهم باللهو و اللعب،و قراءه القرآن فيها باللحن أو الغنـاء،و دخول النسوان فيهـا مع ظن تطرق الريبه،و نظر الأجـانب إليهن أو نظرهن إليهم،و دخول الجنب أو الحـائض فيها،و تغنى المؤذنين بالأذان أو غيره مما يقرؤن، و تقديمهم الأذان على الوقت،و وعظ من لا ينبغى أن يتمكن من الموعظه كمن يكذب فى حـديثه أو يفتى بالمسائـل و ليس أهلاـ لهـا،أو يظهر من وعظه كونه مرائيا طالبا للجاه،و أمثال ذلک.فان كل ذلک من المنكرات بعضها محظوره و بعضها مكروهه،ينبغى لكل مطلع ان ينهى عنها.

و منها-ما يكون غالبا فى الأسواق:من الكذب فى المحاولات و المعاملات و إخفاء العيب،و الايمان الكاذبه،و المنازعه بالضـرب و الشـتم و الطعـن و اللعـن و أمثـال ذلـک،و التبخس فى الكيـل و الميزان،و المعاملاـت الفاسـده باقسامهـا على مـا هـو مقرر فى الفقهيات.

و منها-ما يكون فى الشوارع:كوضع الاساطين،و بناء الدكات متصـله بالابنيه المملوكه،و تضـيق الطرق على الماره بوضع الأطعمه و الاحطاب و ربط الـدواب فيها،و سوق الدواب فيها و عليها الاشواک و النجاسات- اذا تأذى الناس منها و امكن العدول بها إلى موضع واسع،و إن لم يمكن فلاـ منع،اذ حـاجه أهل البلـد ربما تمس إلى ذلک-و تحميل الـدواب ما لا يطيقها من الحمل،و ذبح القصـاب على الطريق أو على بـاب دكـانه بحيث تلوث الطريق بالـدم،و طرح الكنـاسه على جواد الطريق،و رش الماء على الطرق بحيث يخشـى منه الزلق و السـقوط،و إرسال الماء من الميازيب المخرجه من الحائط إلى الطرق الضـيقه،و غير ذلک.و قس على ذلک

منكرات الحمات،و الخانات،و الأسواق،و مجالس العامه،و مجامع القضاه و مدارس الفقهاء،و رباطات الصوفيه،و دواوين السلاطين،و غيرها.

فان أمثال ما ذكر من المنكرات يجب أن ينهى عنها،فلو قام بالاحتساب و النهى عنها أحد سقط الحرج على البواقى،و إلا عم الحرج أهل البلد جميعا.و أمثال ما ذكر إنما هو من المنكرات اليسيره الجزئيه.

و أما المنكرات العظيمه:من البدعه فى الدين،و القتل،و الظلم، و الزنا،و اللواط،و شرب الخمر،و أنواع الغناء،و النظر إلى غير المحارم و أكل الحرام،و الصلاه فى الاماكن المغصوبه،و الوضوء و الغسل من المياه المحرمه،و التصرف فى أموال الأوقاف و غصبها،و المعامله مع الظالمين و الجهل فى الأصول الاعتقاديه و الفروع الواجبه،و آفات اللسان،فلا يمكن حصرها لكثرتها،لا سيما فى أمثال زماننا.فلو امكن لمؤمن دين أن يغير هذه المنكرات كلا أو بعضا بالاحتساب،فليس له أن يقعد فى بيته، بل يجب عليه الخروج للنهى و التعليم.بل ينبغى لكل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبه على الطاعات و ترك المحرمات،ثم يعلم ذلك أهله و أقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه،ثم إلى أهل محلته،ثم أهل بلده، ثم أهل السواد المكتنف بلده،ثم إلى غيرهم،و هكذا الاقرب فالأقرب الى اقصى العالم.فان قام به الادنى سقط عن الابعد،و إلا لزم الحرج على كل قادر عليه،قريبا كان أو بعيدا.و لا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه و هو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فريضه.و هذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن سائر المشاغل.إلا أن إعراض الناس عن أمور دينهم فى عصرنا لم يبلغ حدا يقبل الإصلاح،الى ان تتعلق به مشيئه اللّه،فينهض بعض عباده السعداء الأقوياء،فيدفع هذه الوصمه،و يسد هذه الثلمه،و يتلافى هذه الفتره.

و منها:

اشاره

الهجره و التباعد

و لا ـ ريب فى كونه من نتائج العداوه و الحقد،أو الحسد أو البخل فيكون من رذائل قوه الغضب أو الشهوه.و هو من ذمائم الأفعال.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أيما مسلمين تهاجرا،فمكثا ثلاثا لا يصطلحان،إلا كانا خارجين من الإسلام،و لم يكن بينهما ولايه.فأيهما سبق الكلام لأخيه،كان السابق إلى الجنه يوم الحساب».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث..»و قال الصادق-عليه السلام-:«لا يفترق رجلان على الهجران،إلا استوجب أحدهما البراءه و اللعنه،و ربما استحق ذلك كلاهما»،فقال له معتب:

جعلنى اللّه فداك!هذا للظالم،فما بال المظلوم؟!قال:«لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته،و لا يتعامس له عن كلامه.سمعت أبى-عليه السلام- يقول:اذا تنازع اثنان،فعاد أحدهما الآخر،فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه:أى أخى،انا الظالم،حتى يقطع الهجران بينه و بين صاحبه،فان اللّه تبارك و تعالى حكم عدل،يأخذ للمظلوم من الظالم».

و قال عليه السلام:«لا يزال ابليس فرحا ما اهتجر المسلمان،فإذا التقيا اصطكت ركبتاه و تخلعت أوصاله،و نادى:يا ويله!ما لقى من الثبور» و قال الباقر عليه السلام:«إن الشيطان يغرى بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه،فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه و تمدد،ثم قال:

فزت.فرحم اللّه امرأ الف بين ولیین لنا.يا معشر المؤمنين،تآلفوا

ص :۲۵۹

و تعاطفوا» (۱).و الأخبار الوارده فی ذم الهجره و التباعد کثیره.

فیجب علی کل طالب لنجاه الآخره أن یتأمل فی أمثال هـذه الأخبار ثم یتـذکر ثواب ضـد ذلک و فوائـده،أعنی التآلف و التزاور بین الاخوان بنفسه،فیحافظ نفسه من حصول الانقطاع و التباعد مع أحد اخوانه، و لو حصل ذلک کلف نفسه المبادره إلی زیارته و تألفه،حتی یغلب علی الشیطان و نفسه الاماره،و یفوز بما یرجوه المتقون من عظیم الأجر و جزیل الثواب.

فصل التزاور و التآلف

قد أشیر إلی أن ضد التباعد و الهجران هو التزاور و التآلف،و هو من ثمرات النصیحه و المحبه،و ثوابه أکثر من أن یحصی.عن أبی جعفر -علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:حدثنی جبرئیل-علیه السلام-:أن اللّه عز و جل أهبط إلی الأرض ملکا،فاقبل ذلک الملک یمشی حتی وقع إلی باب علیه رجل یستأذن علی رب الدار، فقال له الملک:ما حاجتک إلی رب هذه الدار؟قال:أخ لی مسلم زرته فی اللّه تبارک و تعالی.فقال له الملک:ما جاء بک إلا ذاک؟فقال:ما جاء بی إلا ذاک.قال:فانی رسول اللّه إلیک،و هو یقرئک السلام،و یقول وجبت لک الجنه.و قال الملک:إن اللّه عز و جل یقول:أیما مسلم زار مسلما فلیس إیاه زار،بل إیای زار،و ثوابه علی الجنه» .و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«لقاء الاخوان مغنم جسیم،و إن قلوا».

۱- ۱) صححنا الاخبار کلها علی(الکافی):باب الهجران.

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام:«إن للّه عز و جل جنه لا يدخلها إلا ثلاثه:رجل حكم على نفسه بالحق،و رجل زار أخاه المؤمن فى اللّه و رجل آثر أخاه المؤمن فى اللّه».و قال-عليه السلام-:«إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره،فيوكل اللّه عز و جل به ملكا،فيضع جناحا فى الأرض و جناحا فى السماء يظله،فإذا دخل إلى منزله،ناداه الجبار تبارک و تعالى:أيها العبد المعظم لحقى،المتبع لآثار نبيى،حق على إعظامك،سلنى اعطك،ادعنى اجبک،اسكت ابتدئك.فإذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله،ثم يناديه تبارک و تعالى:

أيها العبد المعظم لحقى،حق على إكرامك،قد أوجبت لك جنتى، و شفعتك فى عبادى». و قال-عليه السلام-:«أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفا بحقه و كتب اللّه له بكل خطوه حسنه،و محيت عنه سيئه،و رفعت له درجه،فإذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء، فإذا التقيا و تصافحا و تعانقا،أقبل اللّه عليهما بوجهه،ثم باهى بهما الملائكه فيقول:انظروا إلى عبدى تزاورا و تحابا فى،حق على ألا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف.فإذا انصرف شيعه ملائكه عدد نفسه و خطاه و كلامه، يحفظونه عن بلاء الدنيا و بوائق الآخره إلى مثل تلك الليله من قابل،فان مات فيما بينهما اعفى من الحساب،و ان كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره».

و قال الصادق-عليه السلام-:«من زار أخاه للّه لا لغيره، التماس موعد اللّه و تنجز ما عند اللّه،و كل اللّه به سبعين الف ملك ينادونه ألا طبت و طابت لك الجنه!».و قال-عليه السلام-:«من زار أخاه فى اللّه،قال اللّه عز و جل:إياى زرت،و ثوابک على،و لست أرضى لك ثوابا دون الجنه،و قال-عليه السلام-:«من زار أخاه

فی اللّه فی مرض أو صحه،لا-یأتیه خداعا و لا استبدالا،و کل اللّه به سبعین الف ملک،ینادون فی قفاه:أن طبت و طابت لک الجنه!فانتم زوار اللّه،و أنتم وفد الرحمن،حتی یأتی منزله»،فقال له بشیر:جعلت فداک!فان کان المکان بعیدا؟قال:«نعم یا بشیر!و إن کان المکان مسیره سنه،فان اللّه جواد،و الملائکه کثیر،یشیعونه حتی یرجع إلی منزله».و قال-علیه السلام-:«من زار أخاه فی اللّه تعالی و للّه، جاء یوم القیامه یخطر بین قباطی من نور (۱)،لا یمر بشیء الا أضاء له حتی یقف بین یدی اللّه عز و جل،فیقول اللّه له:مرحبا!و إذا قال مرحبا،اجزل اللّه عز و جل له العطیه».و قال-علیه السلام-:«لزیاره مؤمن فی اللّه خیر من عتق عشر رقاب مؤمنات،و من أعتق رقبه مؤمنه وقی بکل عضو عضوا من النار،حتی أن الفرج بقی الفرج».و قال -علیه السلام-لأبی خدیجه:«کم بینک و بین البصره؟»قال:فی الماء خمس إذا طابت الریح،و علی الظهر ثمان و نحو ذلک،فقال:

«ما أقرب هذا،تزاوروا و تعاهدوا بعضکم بعضا،فانه لا بد یوم القیامه یأتی کل انسان بشاهد شهد له علی دینه».و قال:«إن المسلم إذا رأی أخاه،کان حیاه لدینه إذا ذکر اللّه»و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«مثل الأخوین إذا التقیا مثل الیدین تغسل إحداهما الأخری، ما لقی المؤمنان قط إلا أفاد اللّه أحدهما من صاحبه خیرا».

و الأخبار الوارده بهذه المضامین کثیره.و السر فی هذا الترغیب الشدید علی تزاور المؤمنین و ملاقاتهم،کونه دافعا للحسد و العداوه،جالبا للتألیف و المحبه.و هو أعظم ما یصلح به أمر دنیاهم و عقباهم.و لذا ورد

۱- ۱) القبط-بالکسر-:أهل مصر الاصلیون و إلیهم تنسب الثیاب البیض القبطیه. و الجمع(قباطی).

الثناء و المدح فی الآیات و الأخبار علی نفس الألفه و انقطاع الوحشه،لا سیما اذا کانت الرابطه هی التقوی و الدین.و ورد الذم فی التفرقه و التوحش، قال اللّه سبحانه فی مقام الامتنان علی المؤمنین بنعمه الألفه:

لَوْ أَنْفَقْتَ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مٰا أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ

(۱)

.و قال: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوٰاناً :أی بنعمه الألفه.و قال سبحانه: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِیعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«المؤمن إلف مألوف و لا خیر فی من لا یألف و لا یؤلف».و هذا هو السر فی الترغیب علی التسلیم و المصافحه و المعانقه.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

«أولی الناس باللّه و برسوله من بدأ بالسلام».و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«لا تغضبوا و لا تقبضوا،افشوا السلام،و اطیبوا الکلام، و صلوا باللیل و الناس نیام،تدخلوا الجنه بسلام». و قال الباقر-علیه السلام-:«إن اللّه یحب إفشاء السلام».و قال-علیه السلام-:

«من التواضع أن تسلم علی من لقیت». و قال الصادق-علیه السلام- «تصافحوا،فانها تذهب بالسخیمه».و قال:«مصافحه المؤمن أفضل من مصافحه الملائکه».و قال الباقر علیه السلام:«إن المؤمنین إذا

ص :۲۶۳

۱- ۱) الانفال،الآیه:۶۳.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۰۳.

التقيا فتصافحا.ادخل اللّه تعالى يده بين أيديهما،و أقبل بوجهه على أشدهما حبا لصاحبه.فإذا أقبل اللّه تعالى بوجهه عليهما،تحاتت عنهما الذنوب كما تتحاتت الورق من الشجر».و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم و ليصافحه،فان اللّه تعالى أكرم بذلك الملائكه فاصنعوا صنع الملائكه».و قال الصادق-عليه السلام-:«إن المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمه،فإذا التزما لا يريد ان بذلك إلا وجه اللّه و لا يريد ان غرضا من اغراض الدنيا،قيل لهما:مغفورا لكما فاستأنفا، فإذا اقبلا على الماء،قالت الملائكه بعضها لبعض:تنحوا عنهما،فان لهما سرا و قد ستر اللّه عليهما» (۱)

و منها:

اشاره

قطع الرحم

و هو إيذاء ذوى اللحمه و القرابه،أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهيه و الثروه و الخيرات الدنيويه،مع احتياجهم إليه.و باعثه إما العداوه أو البخل و الخسه،فهو من رذائل القوه الغضبيه أو الشهويه،و لا ريب فى كونه من أعم المهلكات المفسده للدنيا و الدين،قال اللّه سبحانه.

وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثٰاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(الكافى):باب زياره الإخوان،و باب المصافحه،و باب المعانقه و على(سفينه البحار):۱-۵۶۷.

لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أبغض الأعمال إلى اللّه الشرك باللّه،ثم قطيعه الرحم،ثم الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا تقطع رحمك و إن قطعتك».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«لا تقطع رحمك و إن قطعتك».و قال تعالى:

«أنا الرحمن،و هذه الرحم شققت لها اسما من اسمى،فمن وصلها وصلته و من قطعها قطعته».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«حافتا الصراط يوم القيامه الرحم و الأمانه،فإذا مر الوصول للرحم المؤدى للامانه نفذ الى الجنه،و إذا مر الخائن للامانه القطوع للرحم لم ينفعهما معه عمل (۲)و تكفأ به الصراط فى النار».و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-فى خطبه «أعوذ باللّه من الذنوب التى تعجل الفناء»،فقام إليه عبد اللّه بن الكوى اليشكرى،فقال:يا أمير المؤمنين،أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟فقال «نعم،ويلك !قطيعه الرحم.إن أهل البيت ليجتمعون و يتواسون و هم فجره فيرزقهم اللّه،و إن أهل البيت ليتفرقون و يقطع بعضهم بعضا فيحرمهم اللّه و هم اتقياء». و قال-عليه السلام-:«إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فى أيدى الأشرار».و قال الباقر عليه السلام-:«فى كتاب على-صلوات اللّه عليه-:ثلاث خصال لا يموت صاحبهن ابدا حتى يرى و بالهن:البغى،و قطيعه الرحم،و اليمين الكاذبه يبارز اللّه بها.و إن اعجل الطاعات ثوابا لصله الرحم.و ان القوم ليكونون فجارا فيتواصلون

ص: ۲۶۵

۱- ۱) الرعد الآيه ۲۷.

۲- ۲) قال فى(الوافى):لم ينفعهما معه عمل،أى لم ينفع الخائن و لا القطوع مع الخيانه أو القطع عمل و فى نسخه من(الكافى):لم ينفعه معهما.

فتنمى أموالهم و يثرون.و إن اليمين الكاذبه و قطيعه الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها.و تنقل الرحم،و إن نقل الرحم انقطاع النسل».و قال -عليه السلام-:«اتقوا الحالقه (۱)،فانها تميت الرجال»،قيل:

و ما الحالقه؟قال:«قطيعه الرحم».و جاء رجل إليه،فشكى أقاربه فقال له:«اكظم و افعل»،فقال:انهم يفعلون و يفعلون،فقال:

«أ تريد أن تكون مثلهم فلا ينظر اللّه إليكم؟» (۲). و كتب أمير المؤمنين -عليه السلام-الى بعض عماله:«مروا الأقارب أن يتزاوروا و لا يتجاوروا» (۳)،و ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق،و ذلك ربما يورث التحاسد و التباغض و قطيعه الرحم،كما هو مشاهد فى أكثر أبناء عصرنا،و ليس الخبر كالمعاينه،و إذا لم يتجاوروا و تزاحمت (۴)ديارهم كان أقرب إلى التحابب،كما قيل بالفارسيه:«دورى و دوستى» (۵).

وصل ضد قطيعه الرحم:صله الرحم

اشاره

و هو تشريك ذوى اللحمه و القرابات بما ناله من المال و الجاه و سائر

ص:۲۶۶

۱- ۱) قال فى(مجمع البحرين)-ماده حلق-:«و فى الحديث:اتقوا الحالقه قال بعض الشارحين:الحالقه هى الخصله التى من شأنها ان تحلق،أى تهلك و تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر».

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب قطيعه الرحم،و باب صله الرحم.

۳- ۳) لم نعثر على مصدر لهذا الحديث.

۴- ۴) كذا فى النسخ،و الظاهر ان الصحيح«و تباعدت».

۵- ۵) يعنى:التباعد معه التحابب.

خیرات الدنیا،و هو أعظم القربات و أفضل الطاعات،قال اللّه سبحانه:

وَ اعْبُدُوا اللّهَ وَ لاٰ تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً وَ بِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتٰامیٰ...

(۱)

.و قال: وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِی تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحٰامَ إِنَّ اللّهَ کٰانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً (۲).و قال:

اَلَّذِینَ یَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ یَخٰافُونَ سُوءَ الْحِسٰابِ -الی قوله- أُولٰئِکَ لَهُمْ عُقْبَی الدّٰارِ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«اوصی الشاهد من أمتی و الغائب،و من فی أصلاب الرجال و ارحام النساء،الی یوم القیامه:أن یصل الرحم و إن کانت منه علی مسیره سنه،فان ذلک من الدین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن اعجل الخیر ثوابا صله الرحم».

و قال:«من سره النساء فی الأجل،و الزیاده فی الرزق،فلیصل رحمه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن القوم لیکونون فجره و لا یکونون برره،فیصلون أرحامهم،فتنمی أعمالهم و تطول أعمارهم،فکیف إذا کانوا أبرارا برره».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«الصدقه بعشره» و القرض بثمانیه عشر،و صله الاخوان بعشرین،و صله الرحم بأربعه و عشرین»

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۶.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱.

۳- ۳) الرعد الآیه ۲۲،۲۱.

و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«أی الناس أفضل؟فقال:اتقاهم للّه،و أوصلهم للرحم،و آمرهم بالمعروف،و انهاهم عن المنکر».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أهل البیت لیکونون فجارا،تنمی أموالهم و یکثر عددهم إذا وصلوا ارحامهم»و قال-صلی اللّه علیه و آله- «أفضل الفضائل:أن تصل من قطعک،و تعطی من حرمک،و تعفو عمن ظلمک». و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من سره أن یمد اللّه فی عمره،و أن یبسط فی رزقه،فلیصل رحمه،فان الرحم لها لسان یوم القیامه ذلق،تقول:یا رب،صل من وصلنی،و اقطع من قطعنی.

فالرجل لیری بسبیل خیر حتی إذا أتته الرحم التی قطعها،فتهوی به إلی أسفل قعر فی النار».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«صلوا أرحامکم و لو بالتسلیم یقول اللّه تعالی: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحٰامَ،إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً ». و قال الباقر-علیه السلام-:«إن الرحم متعلقه یوم القیامه بالعرش،تقول:اللهم صل من وصلنی و اقطع من قطعنی».

هذا تمثیل للمعقول بالمحسوس،و إثبات لحق الرحم علی أبلغ وجه،و تعلقها بالعرش کنایه عن مطالبه حقها بمشهد من اللّه.و قال علیه السلام:«صله الأرحام تحسن الخلق،و تسمح الکف،و تطیب النفس،و تزید فی الرزق و تنسئ فی الأجل».و قال:«صله الأرحام تزکی الأعمال،و تنمی الأموال،و تدفع البلوی،و تیسر الحساب،و تنسئ فی الأجل». و قال الصادق علیه السلام:«صله الرحم و البر لیهونان الحساب و یعصمان من الذنوب،فصلوا ارحامکم و بروا باخوانکم،و لو بحسن السلام و رد الجواب» و قال-علیه السلام-:«صله الرحم تهون الحساب یوم القیامه،و هی منسأه فی العمر،و تقی مصارع السوء».و قال-علیه السلام-:«صله

الرحم و حسن الجوار يعمران الديار و يزيدان فی الأعمار».و قال-علیه السلام-:«ما نعلم شیئا یزید فی العمر إلا صله الرحم،حتی أن الرجل یکون أجله ثلاث سنین،فیکون وصولا للرحم،فیزید اللّه فی عمره ثلاثین سنه،فیجعلها ثلاثا و ثلاثین سنه.و یکون أجله ثلاثا و ثلاثین سنه فیکون قاطعا للرحم،فینقصه اللّه تعالی ثلاثین سنه،و یجعل أجله ثلاث سنین» (۱).و الأخبار الوارده فی فضیله صله الرحم و عظم مثوباته أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لتنبیه الغافل.

تنبیه المراد بالرحم

المراد بالرحم الذی یحرم قطعه و تجب صلته،و لو وهب له شیء لا یجوز الرجوع عنه،هو مطلق القریب المعروف بالنسب،و إن بعدت النسبه و جاز النکاح.و المراد بقطعه أن یؤذیه بالقول أو الفعل،أو کان له شده احتیاج إلی ما یقدر علیه زیاده علی قدر حاجته،من سکنی و ملبوس و مأکول فیمنعه،أو أمکنه أن یدفع عنه ظلم ظالم و لم یفعله،أو هاجره غیظا و حقدا من دون أن یعوده إذا مرض،أو یزوره إذا قدم من سفر و أمثال ذلک.فان جمیع ذلک و أمثالها قطع للرحم.و اضدادها من دفع الأذیه،و مواساته بماله،و زیارته،و اعانته باللسان و الید و الرجل و الجاه و غیر ذلک:صله.

ص: ۲۶۹

۱- ۱) صححنا الأخبار هنا کلها علی(أصول الکافی):باب صله الرحم. و علی(سفینه البحار):۱-۵۱۴.

ثم الظاهر تحقق الواسطه بين القطع و الصله،إذ كل إحسان،و لو كان مما لا يحتاج إليه قريبه و هو محتاج إليه،يسمى صله،و عدمه لا يسمى قطعا.

و منها:

اشاره

عقوق الوالدين

و هو أشد أنواع قطيعه الرحم،إذ أخص الأرحام و أمسها ما كان بالولاده،فيتضاعف تأكد الحق فيهما،فهو كقطيعه الرحم،إما يكون ناشئا من الحقد و الغيظ،أو من البخل و حب الدنيا،فيكون من رذائل إحدى قوتی الغضب و الشهوه.ثم جميع ما يدل على ذم قطيعه الرحم يدل على ذم العقوق،و لكونه أشد أنواع القطيعه و أفظعها،وردت فی خصوص ذمه آيات و أخبار أخر كثيره،كقوله تعالى:

وَ قَضىٰ رَبُّكَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً، إِمّٰا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمٰا أَوْ كِلاٰهُمٰا فَلاٰ تَقُلْ لَهُمٰا أُفٍّ وَ لاٰ تَنْهَرْهُمٰا وَ قُلْ لَهُمٰا قَوْلاً كَرِيماً

(۱)

.

و قول رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«كن بارا و اقصر على الجنه،و إن كنت عاقا فاقصر على النار». و عن أبی جعفر-عليه السلام- قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فی كلام له:إياكم و عقوق

۱- ۱) الاسراء،الآيه:۲۳.

الوالـدين،فـان ريـح الجنه توجـد من مسـيره الف عام،و لا يجـدها عاق، و لا قاطع رحـم،و لا شـيخ زان،و لا جار إزاره خيلاء.إنما الكبريـاء للّه رب العـالمين».و قوله صـلى اللّه عليه و آله:«من أصـبح مسـخطا لابويه،أصـبح له بابان مفتوحان إلى النار».و عن أبى جعفر-عليه السـلام- قال:«إن أبى-عليه السـلام-نظر إلى رجل و معه ابنه يمشى و الابن متكئ على ذراع الأب،فما كلمه أبى مقتا له حتى فـارق الـدنيا».و قـال الصـادق عليه السـلام:«من نظر إلى أبويه نظر مـاقت،و همـا ظالمـان له لم يقبـل اللّه له صـلاه».و قال الصـادق-عليه السـلام-:«إذا كـان يوم القيامه،كشف غطاء من أغطيه الجنه،فوجـد ريحها من كانت له روح من مسـيره خمسـمائه عام،إلا صنفا واحدا»،فقيل له:من هم؟قال:

«العاق لوالديه».و قال-عليه السـلام-:«لو علم اللّه شـيئا هو أدنى من اف لنهى عنه،و هو أدنى العقوق.و من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما» (۱)و سـئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لبعض ولده:بأبى أنت و أمى!أو بأبوى أنت!أ ترى بذلك بأسا؟ فقال:«إن كان أبواه حيين فأرى ذلك عقوقا،و ان كانا قد ماتا فلا بأس».

و الأخبار فى ذم العقوق أكثر من تحصـى،و ورد فى بعض الأخبار القدسـيه:«بعزتى و جلالى و ارتفاع مكانى!لو أن العاق لوالديه يعمـل باعمـال الأنبيـاء جميعـا لم أقبلهـا منه».و روى أيضـا:«أن أول مـا كتب اللّه فى اللوح المحفوظ:إنى أنا اللّه لا إله إلا أنا،من رضى عنه والده فانا منه راض،و من سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط».و قد ورد

---

۱ - ۱) صـحـحنا الأحـاديث كلهـا على(أصـول الكـافى):بـاب العقـوق،و على (مسـتدرك الوسائـل):۲-۶۳۱ كتـاب النكـاح.و على(الوسائل):كتاب النكاح.

عن رسول اللّه انه قال:«كل المسلمين يرونى يوم القيامه،إلا عاق الوالدين،و شارب الخمر،و من سمع اسمى و لم يصل على».و قد ثبت من الأخبار و التجربه،أن دعاء الوالد على ولده لا يرد و يستجاب البته.

و دلت الأخبار على أن من لا ترضى عنه أمه تشتد عليه سكرات الموت و عذاب القبر.و كفى للعقوق ذما أنه ورد فى الإسرائيليات:«أنه تعالى أوحى إلى موسى:أن من بر والديه و عقنى كتبته برا،و من برنى و عق والديه كتبته عاقا».

وصل بر الوالدين

ضد العقوق(بر الوالدين)و الإحسان إليهما،و هو أفضل القربات و أشرف السعادات.و لذلك ورد ما ورد من الحث عليه،و الترغيب إليه قال اللّه سبحانه:

وَ اخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمٰا كَمٰا رَبَّيٰانِى صَغِيراً

(۱)

و قال: وَ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً (۲).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:بر الوالدين أفضل

ص:۲۷۲

۱- ۱) بنى أسرائيل،الآيه:۲۴.

۲- ۲) النساء،الآيه:۳۶.

من الصلاه و الصوم و الحج و العمره و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال صلی علیه و آله:«من أصبح مرضیا لابویه،أصبح له بابان مفتوحان إلی الجنه».و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«إن رجلا أتی إلی النبی -صلی اللّه علیه و آله-فقال:یا رسول اللّه أوصنی.فقال:لا تشرک باللّه شیئا و إن حرقت بالنار و عذبت إلا و قلبک مطمئن بالایمان،و والدیک فأطعهما و برهما حیین کانا أو میتین و إن أمراک،أن تخرج من أهلک فافعل فان ذلک من الایمان». و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«جاء رجل و سأل النبی صلی اللّه علیه و آله عن الوالدین.فقال:ابرر أمک، ابرر أمک ابرر أمک ابرر أباک ابرر أباک ابرر أباک و بدأ بالام قبل الأب».و عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:«جاء رجل إلی النبی صلی اللّه علیه و آله فقال:یا رسول اللّه،من أبر؟قال:امک.قال ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟ قال:أباک»و أتاه رجل آخر و قال:«إنی رجل شاب نشیط،و أحب الجهاد،ولی والده تکره ذلک.فقال له النبی-صلی اللّه علیه و آله- ارجع فکن مع والدتک،فو الذی بعثنی بالحق!لأنسها بک لیله خیر من جهاد فی سبیل اللّه سنه». و قال أبو عبد اللّه علیه السلام:«ان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أتته اخت له من الرضاعه،فلما نظر الیها سربها،و بسط ملحفته لها،فاجلسها علیها،ثم أقبل یحدثها و یضحک فی وجهها،ثم قامت فذهبت و جاء أخوها،فلم یصنع به ما صنع بها، فقیل له:یا رسول اللّه،صنعت باخته ما لم تصنع به و هو رجل،فقال:

لأنها کانت أبر بوالدیها منه».

و قیل للصادق-علیه السلام-:«أی الأعمال أفضل؟قال:الصلاه لوقتها،و بر الوالدین،و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال له علیه السلام

رجل:«إن أبی قد کبر جدا و ضعف،فنحن نحمله إذا أراد الحاجه فقال:إن استطعت أن تلی ذلک منه فافعل،و لقمه بیدک،فانه جنه لک غدا».و قال له علیه السلام رجل:«إن لی أبوین مخالفین.فقال برهما کما تبر المسلمین ممن یتولانا».و قال رجل للرضا-علیه السلام- «أدعو لوالدی إذا کانا لا یعرفان الحق؟قال:ادع لهما و تصدق عنهما، و ان کانا حیین لا یعرفان الحق فدارهما،فان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-قال:إن اللّه بعثنی بالرحمه لا بالعقوق».و قد وردت أخبار أخر فی الأمر بالبر و الإحسان إلی الوالدین،و إن کانا علی خلاف الحق و قال-علیه السلام-:«ما یمنع الرجل منکم أن یبر والدیه حیین و میتین و یصلی عنهما،و یتصدق عنهما،و یحج عنهما،و یصوم عنهما،فیکون الذی صنع لهما و له مثل ذلک،فیزیده اللّه عز و جل ببره و صلاته خیرا کثیرا» (۱).

و الأخبار فی ثواب بر الوالدین غیر محصوره.فینبغی لکل مؤمن أن یکون شدید الاهتمام فی تکریمهما و تعظیمهما و احترامهما،و لا یقصر فی خدمتهما،و یحسن صحبتهما،و ألا یترکهما حتی یسألاه شیئا مما یحتاجان إلیه بل یبادر إلی الإعطاء قبل أن یفتقرا إلی السؤال،کما ورد فی الأخبار، و إن أضجراه فلا یقل لهما أف،و ان ضرباه لا یعبس وجهه،و قال:غفر اللّه لکما،و لا یملأ عینیه من النظر إلیهما إلا برحمه ورقه،و لا یرفع صوته فوق صوتهما،و لا یده فوق ایدیهما،و لا یتقدم قدامهما،بل مهما أمکن

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):باب بر الوالدین و علی (الوسائل):کتاب النکاح ابواب احکام العشره،باب وجوب بر الوالدین، و باب وجوب بر الوالدین برین کانا او فاجرین،و باب جمله من حقوق الوالدین و علی(المستدرک)۲-۶۲۸ کتاب النکاح.

له لا يجلس عندهما،و كلما بالغ فى التذلل و التخضع كان أجره أزيد و ثوابه أعظم.

و بالجمله:اطاعتهما واجبه و طلب رضاهما حتم،فليس للولد أن يرتكب شيئا من المباحات و المستحبات بدون إذنهما،و لذا أفتى العلماء بأنه لا تجوز المسافره فى طلب العلم إلا باذنهما،إلا إذا كان فى طلب علم الفرائض من الصلاه و الصوم و أصول العقائد،و لم يكن فى بلده من يعلمه،و لو كان فى بلده من يعلمه لم تجز المسافره.و قد روى:«أن رجلا هاجر من اليمن إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و أراد الجهاد،فقال له ارجع إلى أبويك فاستأذنهما،فان إذنا فجاهد،و إلا فبرهما ما استطعت، فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد»و جاء آخر إليه للجهاد،فقال «أ لك والده؟»قال:نعم!قال:«فالزمها،فان الجنه تحت قدمها» و جاء آخر،و طلب البيعه على الهجره إلى الجهاد،و قال:ما جئتك حتى أبكيت والدىّ.قال:«ارجع إليهما،فأضحكهما كما أبكيتهما».و لو وقعت بين الوالدين مخالفه،بحيث توقف رضى أحدهما على سخط الآخر فينبغى أن يجتهد فى الإصلاح بينهما بأى طريق امكن،و لو بالعرض إلى فقيه البلد حتى يطلبهما و يعظهما و يقيمهما على الوفاق،لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه.

و اعلم أن حق كبير الأخوه على صغيرهم عظيم،فينبغى محافظته.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حق كبير الأخوه على صغيرهم كحق الوالد على ولده».

تذنیب حق الجوار

اشاره

حق الجوار قریب من حق الرحم،إذ الجوار یقتضی حقا وراء ما تقتضیه اخوه الإسلام،فیستحق الجار المسلم ما یستحقه کل مسلم و زیاده فمن قصر فی حقه عداوه أو بخلا-فهو آثم.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«الجیران ثلاثه:فمنهم من له ثلاثه حقوق:حق الجوار و حق الإسلام،و حق القرابه.و منهم من له حقان:حق الإسلام، و حق الجوار.و منهم من له حق واحد:الکافر له حق الجوار».فانظر کیف اثبت للکافر حق الجوار.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«أحسن مجاوره من جاورک تکن مؤمنا».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و الیوم الآخر،فلا یؤذ جاره».و قال صلی اللّه علیه و آله:«لا إیمان لمن لم یأمن جاره بوائقه».و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«فلانه تصوم النهار و تقوم اللیل و تتصدق،و تؤذی جارها بلسانها.فقال صلی اللّه علیه و آله:لا خیر فیها،هی من أهل النار».

و عن علی علیه السلام:«إن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-کتب بین المهاجرین و الأنصار و من لحق بهم من أهل یثرب:أن الجار کالنفس غیر مضار و لا آثم،و حرمه الجار علی الجار کحرمه أمه»و قال الصادق علیه السلام-:«حسن الجوار زیاده فی الأعمار و عماره فی الدیار».و قال -علیه السلام-:«لیس منا من لم یحسن مجاوره من جاوره».و قال -علیه السلام-:«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:ما آمن بی من بات شبعانا و جاره جائع».و قال:«إن یعقوب علیه السلام

لما ذهب عنه بنيامين،نادى:يا رب أ ما ترحمنى،اذهبت عينى و أذهبت ابنى؟فأوحى اللّه تبارك و تعالى إليه:لو كنت امتهما لأحييتهما لك،اجمع بينك و بينهما،و لكن تذكر الشاه التى ذبحتها و شويتها و أكلت،و فلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئا».و فى روايه أخرى:«فكان بعد ذلك يعقوب ينادى مناديه كل غداه و مساء من منزله على فرسخ:ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت إلى يعقوب!» (۱).و فى بعض الأخبار (۲):«أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامه،و يقول:سل يا رب هذا لم منعنى معروفه و سد بابه دونى؟».

تتميم حدود الجوار و حقه

معرفه الجوار موكوله إلى العرف،فأى دار يطلق عليها الجار عرفا يلزم مراعاه حقوق أهلها.و المستفاد من بعض الأخبار:أن كل أربعين دارا من كل واحد من الجوانب الأربعه جيران.ثم لا ـ ينحصر حق الجار فى مجرد كف الأذى،اذ ذلك يستحقه كل أحد،بل لا بد من الرفق و إهداء الخير و المعروف،و تشريكه فيما يملكه و يحتاج إليه من المطاعم،كما ظهر من بعض الأخبار المتقدمه.و ينبغى أن يبدأه بالسلام،و لا يطيل

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب حسن الجوار و على (المستدرك):۲-۷۸ و ۷۹ و على(الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۸۵-۸۸.

۲- ۲) هذا كلام ذكره فى(احياء العلوم):۲-۱۸۹ بعد قوله:«إذ يقال».

معه الكلام،و لا يكثر عن حاله السؤال،و يعوده فى المرض،و يعزيه فى المصيبه،و يقوم معه فى العزاء،و يهنئه فى الفرح،و يصفح عن زلاته، و يستر ما اطلع عليه من عوراته،و لا يضايقه فى وضع الجذع على جداره و لا فى صب الماء فى ميزابه،و لا فى مطرح التراب فى فنائه،و لا فى المرور عن طريقه،و لا يمنعه ما يحتاج إليه من الماعون،و يغض بصره عن حرمه،و لا يغفل عن ملاحظه داره عند غيبته،و يتلطف لأولاده فى كلمته،و يرشده إلى ما يصلحه من أمر دينه و دنياه،و إن استعان به فى أمر أعانه،و إن استقرضه أقرضه،و لا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح إلا باذنه،و إذا اشترى شيئا من لذائذ المطاعم و ظرفها فليهد له،و إن لم يفعل فليدخلها بيته سرا،و لا يخرج بها أولاده حتى يطلع عليها بعض أولاد جاره،فيشتهيه و ينكسر لذلك خاطره.

و منها:

اشاره

طلب العثرات

و تجسس العيوب و العورات و إظهارها.و لا ريب فى كونه من نتائج العداوه و الحسد،و ربما حدث فى القوه الشهويه رداءه توجب الاهتزاز و الانبساط،من ظهور عيب بعض المسلمين،و إن لم يكن عداوه و حقدا كما قيل:

و عين الرضا عن كل عيب كليله

و لكن عين السخط تبدى المساويا

و من تصفح الآيات و الأخبار،يعلم أن من يتبع عيوب المسلمين

ص :٢٧٨

و یظهرهما بین الناس اسوأ الناس و اخبثهم،قال اللّه تعالی:

وَ لاٰ تَجَسَّسُوا

(۱)

.و قال: إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفٰاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من أذاع فاحشه کان کمبتدئها،و من عیر مؤمنا بشیء،لم یمت حتی یرتکبه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«کل أمتی معافی،إلا المجاهرین»،و المجاهره أن یعمل الرجل سوأ فیخبر به.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من استمع خبر قوم و هم له کارهون،صبت فی أذنیه الآنک یوم القیامه».و عن أبی جعفر-علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یا معشر من أسلم بلسانه و لم یسلم بقلبه!لا تتبعوا عثرات المسلمین،فانه من یتبع عثرات المسلمین یتبع اللّه عثراته،و من تتبع اللّه عثراته یفضحه».

و قال الباقر علیه السلام-:«من أقرب ما یکون العبد إلی الکفر ان یؤاخی الرجل الرجل علی الدین،فیحصی علیه زلاته لیعیره بها یوما ما».و قال الصادق-علیه السلام-:«من أنب مؤمنا أنبه اللّه عز و جل فی الدنیا و الآخره». و قیل للصادق-علیه السلام-:«شیء یقوله الناس،عوره المؤمن علی المؤمن حرام؟فقال:لیس حیث تذهب،إنما عوره المؤمن أن یراه یتکلم بکلام یعاب علیه فیحفظه علیه لیعیره به یوما إذا غضب» و قال الباقر-علیه السلام-:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إن أسرع الخیر ثوابا البر،و أسرع الشر عقوبه البغی،و کفی بالمرء عیبا

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) النور،الآیه:۱۹.

أن يبصر من الناس ما يعمى عنه،و أن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، و أن يؤذى جليسه بما لا يعينه» (۱).و الأخبار الوارده بأمثال هذه المضامين كثيره.

وصل ستر العيوب

ضد كشف العيوب:سترها و اخفاؤها،و هو من أعظم شعب النصيحه و لا حد لثوابه،كما يستفاد من الأخبار الكثيره.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«من ستر على مسلم ستره اللّه فى الدنيا و الآخره».و قال صلى اللّه عليه و آله:«لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره اللّه يوم القيامه» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يرى امرؤ من أخيه عوره فيسترها عليه،إلا دخل الجنه». و كفى بستر العيوب فضلا أنه من أوصاف اللّه سبحانه،و من شده اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا-و هو افحشها- بما لا يمكن اتفاقه إلا نادرا،و هو مشاهده أربعه عدول كالميل فى المكحله فانظر إلى أنه تعالى كيف أسبل الستر على العصاه من خلقه فى الدنيا، بتضييق الطرق المؤديه إلى كشفه.و لا تظنن أنك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر،فقد ورد فى الحديث:«أن اللّه تعالى إذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو أكرم من يكشفها فى الآخره،و إن كشفها فى الدنيا فهو

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب من طلب عثرات المؤمنين و عوراتهم و على(الوسائل):ابواب احكام العشره،الباب ۱۵۰.و على (المستدرك):۲-۱۰۴.و على(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۵،باب تتبع عيوب الناس و افشائها.

أكرم من أن يكشفها أخرى».و ورد أيضا:«أنه يؤتى يوم القيامه بعبد يبكى،فيقول اللّه سبحانه له:لم تبكى؟فيقول:أبكى على ما سينكشف عنى من عوراتى و عيوبى عند الناس و الملائكه.فيقول اللّه:عبدى ما افتضحتك فى الدنيا بكشف عيوبك و فواحشك،و أنت تعصينى و تضحك!فكيف أفضحك اليوم بكشفها و أنت تعصينى و تبكى!». و فى خبر آخر:«أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يطلب يوم القيامه من اللّه سبحانه ألا يحاسب أمته بحضره من الملائكه و الرسل و سائر الأمم،لئلا تظهر عيوبهم عندهم،بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه،و سواه -صلى اللّه عليه و آله-،فيقول اللّه سبحانه:يا حبيبى،أنا أرأف بعبادى منك،فإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك،فأنا أكره كشفها عندك أيضا،فاحاسبهم وحدى بحيث لا يطلع على عثراتهم غيرى».

فإذا كانت عنايه اللّه سبحانه فى ستر عيوب العباد بهذه المثابه،فأنى لك أيها المسكين المبتلى بأنواع العيوب و المعاصى،تسعى فى كشف عيوب عباد اللّه،مع أنك مثلهم فى الاتصاف بأنواع العيوب و العثرات!و تأمل أنه لو أظهر أحد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك،فقس عليه حال غيرك ممن تكشف أنت بعض فواحشه.و قد ثبت و وضح من الأخبار و التجربه:أن من يفضح يفتضح،فيا حبيبى،ترحم على نفسك و تأس بربك،فاسبل الستر على عيوب غيرك.

و منها:

اشاره

إفشاء السر

و إذاعته.و هو أعم من كشف العيب.إذ السر قد يكون عيبا و قد لا يكون بعيب،و لكن فى افشائه إيذاء و إهانه بحق الأصدقاء أو غيرهم

من المسلمين،و هو من رذائل قوه الغضب إن كان منشأه العداوه،و من رذائل قوه الشهوه إن كان منشأه تصور نفع مالى،أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها،و هو مذموم منهى عنه. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله-:«إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت،فهى أمانه».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«الحديث بينكم أمانه».و ورد:«أن من الخيانه أن تحدث بسر أخيك».و قال عبد اللّه بن سنان للصادق-عليه السلام-:«عوره المؤمن على المؤمن حرام؟فقال:نعم!قلت:

يعنى سفلته؟قال:ليس حيث تذهب،إنما هو إذاعه سره» (۱).

فصل كتمان السر

اشاره

ضد إفشاء السر:كتمانه،و هو من الأفعال المحموده،و قد أمر به فى الأخبار.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«طوبى لعبد نومه، عرفه اللّه و لم يعرفه الناس،أولئك مصابيح الهدى و ينابيع العلم،تتجلى عنهم كل فتنه مظلمه،ليسوا بالمذاييع البذر،و لا الجفاه المرائين».و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-:«طوبى لعبد نومه،لا يؤبه له، يعرف الناس و لا يعرفه الناس،يعرفه اللّه منه برضوان،أولئك مصابيح الهدى،تنجلى عنهم كل فتنه،و يفتح لهم باب كل رحمه،ليسوا بالبذر المذاييع،و لا الجفاه المرائين».و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام- «قولوا الخير تعرفوا به،و اعملوا الخير تكونوا من أهله،و لا تكونوا عجلا مذاييع.فان خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر اللّه،و شراركم المشاؤن

ص: ۲۸۲

۱- ۱) صحجنا الأحاديث على البحار:۴-۱۷۵ مج ۱۵،باب تتبع عيوب الناس.

بالنميمه،المفرقون بين الأحبه،المبتغون للبراء المعايب» (۱).

تنبيه النميمه

النميمه تطلق فى الأكثر على أن ينم قول الغير إلى المقول فيه،كأن يقال:فلان تكلم فيك بكذا و كذا،أو فعل فيك كذا و كذا.و على هذا تكون نوعا خاصا من إفشاء السر و هتك الستر،و هو الذى يتضمن فسادا أو سعايه.و قد تطلق على ما لا يختص بالمقول فيه،بل على كشف ما يكره كشفه،سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، و سواء كان الكشف بالقول أو الكتابه أو بالرمز و الايماء،و سواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال،و سواء كان ذلك عيبا و نقصانا على المنقول عنه أو لم يكن.و على هذا يكون مساويه الافشاء السر و هتك الستر و حينئذ فكل ما يرى من أحوال الناس و لم يرضوا بافشائه،فإذاعته نميمه فاللازم على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من أحوال غيره،إلا إذا كان فى حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصيه.كما إذا رأى أحدا يتناول مال غيره،فعليه أن يشهد به مراعاه لحق المشهود له،و أما إذا رآه يخفى ما لا لنفسه،فحكايته نميمه و إفشاء للسر.

ثم الباعث على النيمه يكون غالبا إراده السوء بالمحكى عنه،فيكون داخلا تحت الإيذاء،و ربما كان باعثه إظهار المحبه للمحكى له،أو التفريح بالحديث،أو الخوض فى الفضول.و على أى تقدير،لا ريب فى أن

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(البحار):ج ۴ مج ۱۵:باب فضل كتمان السر و على(أصول الكافى):باب كتمان السر،و باب الروايه على المؤمن.

النميمه أرذل الافعال القبيحه و اشنعها.و ما ورد فی ذمها من الآيات و الأخبار لا يحصى كثره،قال اللّه سبحانه:

هَمّٰازٍ مَشّٰاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنّٰاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ

(۱)

.

و الزنيم:هو ولد الزنا.فيستفاد من الآيه:أن كل من يمشى بالنميمه فهو ولد الزنا.و قال سبحانه:

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ

(۲)

.أى النمام المغتاب.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يدخل الجنه نمام» و فى خبر آخر:«لا يدخل الجنه قتات»:أى النمام.و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«احبكم إلى اللّه أحسنكم أخلاقا،الموطئون اكنافا،الذين يألفون و يؤلفون،و إن أبغضكم إلى اللّه المشاؤن بالنميمه،المفرقون بين الأحبه،الملتمسون للبراء العثرات» (۳).و قال-صلى اللّه عليه و آله- «ألا انبئكم بشراركم؟قالوا:بلى يا رسول اللّه،قال:المشاؤن بالنميمه، المفرقون بين الأحبه،الباغون للبراء المعايب» (۴).و قال صلى اللّه عليه

ص:۲۸۴

۱- ۱) القلم،الآيه:۱۱-۱۳.

۲- ۲) الهمزه،الآيه:۱.

۳- ۳) صححنا الحديث على(المستدرك):۱۱۱ كتاب الحج.

۴- ۴) صححنا الحديث على الوسائل:كتاب الحج،ابواب احكام العشره، الباب ۱۶۴.و على(المستدرك):۱۱۰ كتاب الحج.و على(أصول الكافى): باب النميمه.

و آله: «من أشار على مسلم كلمه ليشينه بها فى الدنيا بغير حق،شانه اللّه فى النار يوم القيامه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«أيما رجل أشاع على رجل كلمه و هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا،كان حقا على اللّه أن يدينه بها يوم القيامه فى النار».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن اللّه لما خلق الجنه قال لها:تكلمى،قالت:سعد من دخلنى.

قال الجبار جل جلاله:و عزتى و جلالى!لا يسكن فيك ثمانيه نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر،و لا مصر على الزنا،و لا قتات-و هو النمام-، و لا ديوث،و لا شرطى،و لا مخنث،و لا قاطع رحم،و لا الذى يقول على عهد اللّه أن أفعل كذا و كذا ثم لم يف به». و قال الباقر-عليه السلام-:«الجنه محرمه على المغتابين المشائين بالنميمه».و قال-عليه السلام-:«يحشر العبد يوم القيامه و ما ندا دما (1)،فيدفع إليه شبه المحجمه أو فوق ذلك،فيقال له:هذا سهمك من دم فلان،فيقول:

يا رب،انك لتعلم أنك قبضتنى و ما سفكت دما،فيقول:بلى،سمعت من فلان روايه كذا و كذا فرويتها عليه،فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها،و هذا سهمك من دمه».و قال الصادق-عليه السلام-:

«من روى على مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروته ليسقط من أعين

١- ١) قال فى مجمع البحرين-ماده(ندا)-:«فلان ماندا دما و لا قتل قتلا:أى ما سفك دما».و قد كتبت كلمه(ندا)فى جميع ما وجدناه من الكتب بالالف،و عسى أن تكون بالياء هكذا(ندى)كرضى.و احتمل فى الوافى أن تكون(ندى)بتشديد الدال،و ذكر احتمالات كثيره،فراجعه و قد روى فى (الوسائل)-كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ١٦٣-مثل هذا الحديث عن(الشيخ الطوسى)،و قد جاء فيه:«و ما ادمى دما».أما الحديث المذكور هنا،فقد صححناه على(أصول الكافى)باب الاذاعه.

الناس،أخرجه اللّه تعالى من ولايته إلى ولايه الشيطان،و لا يقبله الشيطان» (۱). و روى:«انه أصاب بنى أسرائيل قحط،فاستسقى موسى مرات،فما أجيب.فأوحى اللّه تعالى إليه:إنى لا استجيب لك و لمن معك و فيكم نمام قد أصر على النميمه.فقال موسى:يا رب،من هو حتى نخرجه من بيننا؟فقال:يا موسى،انهاكم عن النميمه و أكون نماما؟!فتابوا باجمعهم،فسقوا»و روى:«أن ثلث عذاب القبر من النميمه».

و من عرف حقيقه النميمه،يعلم أن النمام شر الناس و اخبثهم،كيف و هو لا ينفك من الكذب،و الغيبه،و الغدر،و الخيانه،و الغل،و الحسد و النفاق،و الإفساد بين الناس،و الخديعه.و قد قال اللّه سبحانه:

وَ يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(۲)

.

و النمام يسعى فى قطع ما أمر اللّه به أن يوصل و يفسد فى الأرض.

و قال اللّه:

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّٰاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

(۳)

.و النمام منهم.

۱- ۱) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب احكام العشره الباب ۱۵۷.و على(أصول الكافى):باب الروايه على المؤمن.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۷.

۳- ۳) الشورى،الآيه:۴۰.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یدخل الجنه قاطع»:

أی قاطع بین الناس،و النمام قاطع بینهم.و قال صلی اللّه علیه و آله:

«شر الناس من اتقاه الناس لشره».و النمام منهم،و النمام أعظم شرا من کل أحد.

نقل:أن رجلا باع عبدا،فقال للمشتری:ما فیه عیب إلا النمیمه قال رضیت.فاشتراه،فمکث الغلام أیاما،ثم قال لزوجه مولاه:إن زوجک لا یحبک،و هو یرید أن یتسری علیک،و انا اسحره لک فی شعره فقالت:کیف اقدر علی أخذ شعره؟فقال:اذا نام فخذی الموسی و احلقی من قفاه عند نومه شعرات.ثم قال للزوج:إن امرأتک اتخذت خلیلا و ترید أن تقتلک،فتناوم لها حتی تعرف.فتناوم فجاءته المرأه بالموسی،فظن أنها تقتله،فقام و قتلها،فجاء أهلها و قتلوا الزوج، فوقع القتال بین القبیلتین،و طال الأمر بینهم.

ثم یلزم علی من تحمل إلیه النمیمه ألا یصدق النمام،لأنه فاسق، و الفاسق مردود الشهاده بقوله تعالی:

إِنْ جٰاءَکُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا

(۱)

.

و ان ینهاه عن ذلک،و ینصحه و یقبح له فعله،لقوله تعالی:

وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ

(۲)

.

و ان یبغضه فی اللّه،لکونه مبغوضا عنده تعالی،و ألا یظن بأخیه سوأ بمجرد قوله،لقوله تعالی:

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۶.

۲- ۲) لقمان،الآیه:۱۷.

اِجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ

(۱)

.

و ألا يحمل عمله على التجسس و البحث لتحقيق ما حكى له،لقوله تعالى:«و لا تجسسوا».و ألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام،فلا يحكى نميمته،فيقول:فلان قد حكى كذا و كذا،فيكون به نماما و مغتابا.

و روى محمد بن فضيل عن الكاظم-عليه السلام-:«أنه قال له -عليه السلام-:جعلت فداك!الرجل من اخوانى يبلغنى عنه الشيء الذى اكرهه،فاسأله عنه فينكر ذلك،و قد أخبرنى عنه قوم ثقات.فقال لى:يا محمد،كذب سمعك و بصرك عن أخيك،فان شهد عندك خمسون قسامه،فقال لك قولا،فصدقه و كذبهم،و لا تذيعن عليه شيئا تشينه به و تهدم مروته،فتكون من الذين قال اللّه:

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيْدٌ (۲).

و قد روى عن أمير المؤمنين-عليه السلام-:«أن رجلا أتاه يسعى إليه برجل،فقال:يا هذا،نحن نسأل عمن قلت،فان كنت صادقا مقتناك،و إن كنت كاذبا عاقبناك،و إن شئت أن نقيلك أقلناك قال:اقلنى يا أمير المؤمنين».و نقل:«أن رجلا زار بعض الحكماء و أخبره بخبر عن غيره،فقال:قد أبطأت عنى الزياره،و بغضت إلى أخى،و شغلت قلبى الفارغ،و اتهمت نفسك الأمينه».

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۲.

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره الباب ۱۵۷.و الآيه من سوره النور:۱۹.

تتمه السعایه

السعایه هی النمیمه،بشرط کون المحکی له من یخاف جانبه،کالسلاطین و الأمراء و الحکماء و الرؤساء و أمثالهم،فهی أشد أنواع النمیمه إثما و معصیه و هی أیضا تکون من العداوه و من حب المال و طمعه،فتکون من رداءه القوتین و خباثتهما.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«الساعی بالناس إلی الناس لغیر رشده».یعنی لیس ولد حلال.و ذکرت السعاه عند بعض الأکابر،فقال:ما ظنک بقوم یحمد الصدق من کل طبقه إلا منهم!

و منها:

اشاره

الافساد بین الناس

و هو فی الأکثر یحصل بالنمیمه،و إن لم یوجب کل نمیمه افسادا.

و لا ریب فی کونه من المهلکات المؤدیه إلی النار،قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولٰئِکَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن فساد ذات البین هی الحالقه».

ص: ۲۸۹

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۷.

وصل الإصلاح

و ضده:الإصلاح بين الناس،و هو أعظم أفراد النصيحه،و لا غايه لمثوبته عند اللّه.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أفضل الصدقه إصلاح ذات البين».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:اتقوا اللّه و اصلحوا ذات بينكم،فان اللّه تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«كل الكذب مكتوب،إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما»...و قال الصادق-عليه السلام-:«صدقه يحبها اللّه تعالى:إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا،و تقارب بينهم إذا تباعدوا».

و قال-عليه السلام-للمفضل:«إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعه فافتدها من مالى».و قال-عليه السلام-لابن عمار:«ابلغ عنى كذا و كذا فى أشياء أمر بها.فقال له ابن عمار:فابلغهم عنک،و أقول عنى ما قلت لى و غير الذى قلت؟قال:نعم!إن المصلح ليس بكذاب».

و قال-عليه السلام-:«المصلح ليس بكاذب» (1):يعنى إذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الإصلاح لم يعد كلامه كذبا.و هذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس،لأن ترک الكذب واجب،و لا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه.

ص: ۲۹۰

۱- ۱) صحححنا الأحاديث عن الصادق-عليه السلام-على(أصول الكافى): باب الإصلاح بين الناس و صححنا النبويات على(كنز العمال):۲-۱۲۸،۱۴.

و منها:

الشماته

و هو إظهار أن ما حدث بغيره من البليه و المصيبه إنما هو من سوء فعله و اساءته،و الغالب صدوره عن العداوه أو الحسد.و علامته أن يكون مع فرح و مسره،و ربما صدر عن رداءه القوه الشهويه،بأن يهتز به و يميل إليه،مع جهله بمواقع القضاء و القدر،و إن لم يكن معه حقد و حسد.و التجربه و الأخبار شاهدان على أن كل من شمت بمسلم فى مصيبه لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها و يشمت به غيره فيها. قال الصادق -عليه السلام-:«لا تبدى الشماته لأخيك،فيرحمه اللّه و يحلها بك».

و قال-عليه السلام-:«من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن» (۱)على أن كل بليه و مصيبه ترد على مسلم يمكن أن تكون كفاره لذنوبه باعثار لرفع درجاته و اعلاء مرتبته فى دار الآخره.

و الدليل على ذلك:أن أعظم البلايا و المصائب موكله بالأنبياء،ثم بالأولياء،ثم بالأمثل فالأمثل فى درجات الاعتلاء.و لا ريب فى أن ورود المصائب و المحن عليهم ليس من سوء فعلهم و إساءتهم. فينبغى لكل عاقل أن يتأمل(أولا)أن الشماته بمسلم بمصيبه لا ينفك فى الدنيا من ابتلائه بمثلها،(و ثانيا)أنها إيذاء لأخيه المسلم،فلا ينفك عن العذاب فى الآخره (و ثالثا)ان نزول هذه المصيبه به لا يدل على سوء حاله عند اللّه،بل الأرجح دلالته على حسن حاله و تقربه عند اللّه سبحانه.فليحافظ على نفسه عن إبداء الشمانه لأحد من المسلمين،و يخوف من يراه من الشامتين عن عقوبه العاجل و عذاب الآجل.

۱- ۱) صححنا الحديثين على(أصول الكافى):باب الشماته.

و منها:

اشاره

المراء و الجدال و الخصومه

اعلم ان المراء طعن فی کلام الغیر لإظهار خلل فیه،من غیر غرض سوی تحقیره و اهانته،و إظهار تفوقه و کیاسته.و الجدال:مراء یتعلق بإظهار المسائل الاعتقادیه و تقریرها.و الخصومه:لجاج فی الکلام لاستیفاء مال أو حق و مقصود،و هذه تکون تاره ابتداء و تاره اعتراضا،و المراء لا یکون إلا اعتراضا علی کلام سبق،فالمراء داخل تحت الإیذاء،و یکون ناشئا من العداوه أو الحسد.و أما الجدال و الخصومه،فربما صدرا من من أحدهما أیضا،و ربما لم یصدرا منه.

و حینئذ،فالجدال إن کان بالحق-أی تعلق باثبات إحدی العقائد الحقه-و کان الغرض منه الإرشاد و الهدایه،و لم یکن الخصم لدودا عنودا فهو الجدال بالأحسن،و لیس مذموما،بل ممدوح معدود من الثبات فی الایمان الذی هو من نتائج قوه المعرفه و کبر النفس،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ الْکِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ

(۱)

.

و إن لم یکن بالحق،فهو مذموم اقتضته العصبیه أو حب الغلبه أو الطمع،فیکون من رذائل القوه الغضبیه أو الشهویه،و ربما أورث شکوکا و شبهات تضعف العقیده الحقه،و لذا نهی اللّه سبحانه عنه و ذم علیه،فقال:

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یُجٰادِلُ فِی اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لاٰ هُدیً وَ لاٰ

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۴۶.

كِتٰابٍ مُنِيرٍ

(۱)

.و قال: وَ إِذٰا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيٰاتِنٰا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ (۲).

و الخصومه أيضا إن كانت بحق،أى كانت مما يتوقف عليه استيفاء مال أو حق ثابت،فهى ممدوحه معدوده من فضائل القوه الشهويه،و إن كانت بباطل،أى تعلقت بما يدعيه كذبا أو بلا علم و يقين،فهى مذمومه معدوده من رذائلها.فالخصومه المذمومه تتناول المخاصمه فيما يعلم قطعا عدم استحقاقه،و فيما لا علم له بالاستحقاق،كخصومه وكيل القاضى، فانه قبل أن يعرف الحق فى أى جانب،يتوكل فى الخصومه من أى جانب كان،و يخاصم من غير علم و ايقان،فمثله خبّاط العثرات و ركاب الشبهات،يضر بالمسلمين بلا غرض،و يتحمل أوزار الغير بلا عوض، فهو أخسر الناس اعمالا و اعظمهم فى الآخره أوزارا و نكالا،و تتناول أيضا مخاصمه من يطلب حقه و لكنه لا يقتصر على قدر الحاجه،بل يظهر اللدد و العناد فى الخصومه قصدا للتسلط و الإيذاء،و من يمزج بخصومته كلمه مؤذيه لا يحتاج إليها فى إظهار الحق و بيان الحجه،و من يحمله على الخصومه محض العناد بقهر الخصم و كسره مع استحقاره لذلك القدر من المال،و ربما صرح بأن قصدى العناد و الغلبه عليه و كسر عرضه،و إذا أخذت منه هذا المال رميته،و لا أبالى،فمثله غرضه اللدد و اللجاج.

فتنحصر الخصومه الجائزه بمخاصمه المظلوم الذى يطلب حقه و ينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد و إيذاء،مع الاقتصار على قدر

ص: ۲۹۳

۱- ۱) الحج،الآيه:۸.

۲- ۲) الانعام،الآيه:۶۸.

الحاجه فى الخصومه من دون أن يتكلم بالزائد و لا بكلمات مؤذيه،ففعله ليس بحرام و إن كان الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا،إذ ضبط اللسان فى الخصومه على حد الاعتدال متعذر أو متعسر،لأنها توغر الصدر،و تهيج الغضب،و إذا هاج الغضب ذهب المتنازع فيه من البين،و اشتد الحقد بين المتخاصمين حتى يحزن كل واحد بمسره صاحبه و يفرح بمساءته.

فالخصومه مبدأ كل شر،فينبغى ألا يفتح بابها إلا عند الضروره على قدر الضروره،و لا يتعدى عن الواجب،إذ أقل درجاتها تشوش الخاطر، حتى أنه فى الصلاه ليشتغل بمخاصمه الخصم،و يتضمن الطعن و الاعتراض أى التجهل و التكذيب،إذ من يخاصم غيره إما يجهله أو يكذبه،فيكون آتيا بسوء الكلام،و يفوت به ضده،اعنى طيب الكلام،مع ما ورد فيه من الثواب.و كذا الحال فى المراء و الجدال.

و بالجمله:المراء و الجدال و الخصومه،سوى ما استثنى،من ذمائم الأفعال و مبادئ أكثر الشرور و الفتن،و لذا ورد بها الذم الشديد فى الأخبار قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«من جادل فى خصومه بغير علم،لم يزل فى سخط حتى ينزع».و قال-صلى اللّه عليه و آله- «إن أبغض الرجال إلى اللّه الأبد الخصم».و قال-صلى اللّه عليه و آله- «ما أتانى جبرئيل قط إلا وعظنى،فآخر قوله لى:إياك و مشاده الناس فانها تكشف العوره و تذهب بالعز».و قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إياكم و المراء و الخصومه،فانهما يمرضان القلوب على الاخوان،و ينبت عليهما النفاق».و قال على بن الحسين-عليهما السلام-:«ويل أمه فاسقا من لا يزال مماريا!ويل أمه فاجرا من لا يزال مخاصما!ويل أمه آثما من كثر كلامه فى غير ذات اللّه!».و قال الصادق-عليه السلام- «لا تمارين حليما و لا سفيها،فان الحليم يغلبك و السفيه يؤذيك».و قال

«إياك و المشاده،فانها تورث المعرّه و تظهر العوره».و قال عليه السلام «إياكم و الخصومه،فانها تشغل القلب،و تورث النفاق،و تكسب الضغائن» (۱)فمن تأمل فى ما يدل على ذمها و سوء عاقبتها عقلا و نقلا -فمع عدم ترتب فائده عليها،و تذكر ما ورد فى مدح تركها و فوائد ضدها،اعنى طيب الكلام-يسهل عليه ان يتركها و لا يحوم حولها.

تذنيب علاج المراء

طريق المعالجه فى إزاله المراء و الجدال و الخصومه:أن يعلم انها توجب التباغض و المباينه،و تزيل الألفه و المحبه،و تقطع الالتيام و الوحده و لا ريب فى أن قوام النظام الأصلح بالالتيام و الوحده،كما اقتضته العنايه الإلهيه و الحكمه الازليه،و المباينه الراجعه إلى الكثره ينافيهما،و لا ينبغى للعاقل أن يرتكب ما يضاد فعل اللّه و حكمته.و هذا هو العلاج العلمى، و أما العملى،فليواظب على ضده هذه الثلاثه،أعنى طيب الكلام،و يكلف نفسه عليه،حتى يصير ملكه له و ترتفع اضدادها عنه بالمره.

ص: ۲۹۵

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(الكافى):باب المراء و الخصومه.و على (الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۱۳۵ و ۱۳۶.و على (احياء العلوم):۲-۱۰۲.

وصل طيب الكلام

قد أشير إلى أن ضد الرذائل الثلاث:طيب الكلام،و ما ورد فى مدحه و فى ثواب تركها أكثر من أن يحصى.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«ثلاث من لقى اللّه تعالى بهن دخل الجنه من أى باب شاء:

من حسن خلقه،و خشى اللّه فى المغيب و المحضر،و ترك المراء و إن كان محقا».و قال صلى اللّه عليه و آله:«يمكنكم من الجنه طيب الكلام و إطعام الطعام».و قال صلى اللّه عليه و آله:«إن فى الجنه لغرفا يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها،أعدها اللّه لمن اطعم الطعام و أطاب الكلام».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الكلمه الطيبه صدقه».و روى «أن عيسى-عليه السلام-مر به خنزير.فقال:مر بسلامه.فقيل له:يا روح اللّه،تقول هذا للخنزير!فقال:اكره أن اعود لسانى الشر» و قال بعض الحكماء:«الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنّه فى الجوارح»

و منها:

السخريه و الاستهزاء

و هو محاكاه أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم و خلقهم،قولا و فعلا،أو ايماء و إشاره،على وجه يضحك منه.و هو لا ينفك عن الإيذاء و التحقير و التنبيه على العيوب و النقائص.و إن لم يكن ذلك بحضره المستهزأ به،فيتضمن الغيبه أيضا.و باعثه إما العداوه أو التكبر و استصغار المستهزأ به،فيكون من رذائل القوه الغضبيه،أو قصد ضحك الأغنياء

و تنشيط قلوبهم،طمعا فى بعض أوساخهم الملوثه،و أخذ النبذ من حطامهم المحرمه،و لا ريب فى انه صفه من لا حظّ له فى الدين،و شيمه اراذل احزاب الشياطين،لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال و يرتكبون أعاجيب الأفعال،يخلعون قلائد الحريه عن الرقاب،و يهتكون استار الحياء بمرأى من أولى الألباب،يبتغون عيوب المؤمنين و عوراتهم،و يظهرون نقائص المسلمين و عثراتهم،يقلدون أفعال الأخيار على وجه يضحك الاشرار، و يحاكون صفات الأبرار على أفضح الوجوه فى الانظار.و لا ريب فى أن المرتكب لهذه الأفعال بعيد عن الإنسانيه بمراحل،و مستوجب لعقوبه العاجل و عذاب الآجل،و لا يخلو ساعه عن الصغار و الهوان،و لا وقع له فى قلوب أهل الايمان،و كفاه ذما انه جعل تلك المعاصى الخبيثه وسيله لتحصيل المال أو الواقع فى قلوب أبناء الدنيا،و يلزمه عدم اعتقاده بأن اللّه سبحانه هو المتكفل لأرزاق العباد.

و الطريق فى دفعه-بعد التأمل فى سوء عاقبته،و وخامه خاتمته، و فيما يلزمه من الذله و الهوان فى الدنيا-أن يبادر إلى إزاله العداوه و التكبر إن كان باعثه ذلك،و إن كان باعثه تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعا فى مالهم،فليعلم أن لكل نفس ما قدر لها من الأموال و الأرزاق،و يصل إليها من اللّه سبحانه البته،فان من يتق اللّه و يتوكل عليه يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب،و يكون فى الآخره سعيدا،و ان أغواه الشيطان و حثه على تحصيلها من المداخل الخبيثه،لم يصل إليه أكثر مما قدر له،و كان فى الآخره شقيا.

و ليعلم أيضا أن المتوكل على اللّه و المتصف بالحريه،لا يبدل التوكل و الحريه بهذه الأفعال لأجل الوصول إلى بعض خبائث الأموال،فليعاتب نفسه و يزجرها بالمواعظ و النصائح،و يتذكر ما ورد فى الشريعه من ذم

المستهزئين و تعذيبهم يوم القيامه بصوره الاستهزاء،قال اللّه جل شأنه:

لاٰ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ

(۱)

.

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنه،فيقال:هلم هلم!فيجيء بكربه و غمه،فإذا أتى اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر،فيقال:هلم هلم!فيجيء بكربه و غمه،فإذا أتى أغلق دونه.فما يزال كذلك،حتى يفتح له الباب،فيقال له:هلم هلم فما يأتيه».و قال ابن عباس فى قوله تعالى:

يٰا وَيْلَتَنٰا مٰا لِهٰذَا الْكِتٰابِ لاٰ يُغٰادِرُ صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا

(۲)

.

«الصغيره:التبسم بالاستهزاء بالمؤمن،و الكبيره:القهقهه بذلک» و فيه إشاره إلى أن الضحک على الناس من الجرائم العظيمه.

ثم جميع ما ذكر إنما هو فى حق من يؤذى الناس و يهينهم باستهزائه و سخريته،و أما من جعل نفسه سسخره و يسر بأن يهزل و يسخر به،و إن كان هو ظالما لنفسه خارجا عن شعار المؤمنين،حيث أهان نفسه و أذلها، إلا أن سخريه الغير به من جمله المزاح،و يأتى ما يذم منه و ما يحمد،و إنما المحرم منه ما يؤدى إلى ايذائه و تحقيره:بأن يضحک على كلامه إذا يخبط

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۱.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۵۰.

و لـم ينتظـم،أو على أفعـاله إذا كـانت مشـوشه،أو على صـورته و خلقتـه إذا كـان قصـيرا أو طويلاـ أو ناقصـا بعيـب من العيوب.فالضحك على جمله ذلك داخل فى السخريه المنهى عنها.

و طريق علاجه-بعد تـذكر ما تقـدم-أن اسـتهزاءه يوجب خزى نفسه يوم القيامه عنـد اللّه و عنـد الملائكه و النبيين و عند الناس أجمعين،فلو تفكر فى حسرته و حيائه و خجله و خزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به و يساق إلى النار،لأدهشه ذلك عن إخزاء غيره،و لو عرف حقيقه حـاله يوم القيـامه،لكان الأولى له أن يضـحك على نفسه تاره و يبكى عليها أخرى، لأنه باسـتهزائه به عند بعض أراذل النـاس عرض نفسه لأـن يأخـذ بيـده ذلـك الغير يوم القيـامه على ملأـ من النـاس و يسوقه تحت السـياط،كمـا يساق الحمـار، الى النـار مستهزئا بـه،مسـرورا بخزيـه و تمكين اللّه تعـالى إيـاه على الانتقـام منه.فمن تأمـل فى ذلـك،و لم يكن عـدوا لنفسه،اجتنب عن السخريه و الاستهزاء كل الاجتناب.

و منها:

اشاره

المزاح

و أصله مذموم منهى عنه،و سببه إما خفه فى النفس،فيكون من رذائل القوه الغضبيه،أو ميل النفس و شهوتها إليه،أو تطييب خاطر بعض أهـل الـدنيا طمعـا فى مـالهم،فيكون من رذائل القوه الشـهويه.و سـبب الـذم فيه.أنه يسـقط المهابه و الوقار،و ربما أدى إلى التبـاغض و الوحشه و الضـغينه، و ربمـا انجر إلى الهزل و الاسـتهزاء،و أدخـل صـاحبه فى جمله المسـتهزأ بهم، و ربمـا صار باعثا لظهور العداوه-كما قيل-و ربما جرّ إلى اللعب،

ص :۲۹۹

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«لا تمار أخاك و لا تمازحه»،و قال بعض الأكابر لابنه:«يا بنى،لا تمازح الشريف فيحقد عليك،و لا الدنىء فيجترئ عليك»،و قال آخر:«إياكم و الممازحه،فانها تورث الضغينه و تجر إلى القطيعه». و قال آخر:«المزاح مسلبه للبهاء،و مقطعه للاصدقاء» و قيل:«لكل شىء بذر،و بذر العداوه المزاح».و من مفاسد المزاح:

أنه سبب للضحك،و هو منهى عنه.قال اللّه تعالى:

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«إن الرجل ليتكلم بالكلمه فيضحك بها جلساءه،يهوى بها أبعد من الثريا»،و قال:«لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا و لضحكتم قليلا»،و هو يدل على أن الضحك علامه الغفله عن الآخره،و قال بعض:«من كثر ضحكه قلت هيبته،و من مزح استخف به،و من أكثر من شىء عرف به،و من كثر كلامه كثر سقطه،و من كثر سقطه قلّ حياؤه،و من قل حياؤه قل ورعه،و من قل ورعه مات قلبه». و خاطب عارف نفسه و قال:«أ تضحك و لعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟!»و قال رجل لأخيه:يا أخى، هل أتاك أنك وارد النار؟قال:نعم!قال:و هل أتاك أنك خارج منها؟فقال:لا،قال:ففيم الضحك؟فما رئى بعد ذلك ضاحكا حتى مات».و نظر بعضهم إلى قوم يضحكون فى يوم الفطر،فقال:«إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين،و إن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين».

ثم المذموم من الضحك هو القهقهه،و التبسم الذى ينكشف فيه

۱- ۱) التوبه،الآيه:۸۳.

السن و لا يسمع الصوت ليس مذموما،بل محمود لفعل النبى صلى اللّه عليه و آله (۱).

تذنيب المذموم من المزاح

الحق أن المذموم من المزاح هو الإفراط فيه و المداومه عليه،أو ما يؤدى إلى الكذب و الغيبه و أمثالهما،و يخرج صاحبه عن الحق.و أما القليل الذى يوجب انبساط خاطر و طيبه قلب،و لا يتضمن إيذاء و لا كذبا و لا باطلا،فليس مذموما،لقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«إنى لأمزح و لا أقول إلا حقا».و لما روى:«أنهم قالوا له صلى اللّه عليه و آله:يا رسول اللّه،انك تداعبنا!فقال:إنى و إن داعبتكم،فلا أقول إلا حقا».و لما روت العامه:«أنه صلى اللّه عليه و آله كان كثير التبسم، و كان أفكه الناس»و ورد:«أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كسا ذات يوم واحده من نسائه ثوبا واسعا،و قال لها:البسيه و أحمدى،و جرى منه ذيلا كذيل العروس».و قال صلى اللّه عليه و آله:«لا تدخل الجنه عجوز.فبكت العجوز.فقال:إنك لست يومئذ بعجوز»و جاءت امرأه اليه،و قالت:«إن زوجى يدعوك.فقال صلى اللّه عليه و آله:زوجك هو الذى بعينه بياض؟قالت:و اللّه ما بعينه بياض؟فقال:بلى،إن بعينه بياضا.فقالت:لا و اللّه؟فقال:ما من أحد إلا بعينه بياض».

۱- ۱) راجع أخبار المزاح و الضحك و التبسم:كتاب(الوسائل):الباب ۸۰-۸۴ من أبواب أحكام العشره،و الظاهر ان المؤلف لم يرجع إلى أخبارنا التى فيها غنى عن النقل عن أناس مجهولين.

و أراد به البياض المحيط بالحدقه.و جاءته امرأه أخرى،و قالت:«احملنى يا رسول اللّه على بعير،فقال:بل نحملك على ابن البعير.فقالت:

ما أصنع به،انه لا يحملنى،فقال صلى اللّه عليه و آله:هل من بعير إلا و هو ابن بعير؟».و كان صلى اللّه عليه و آله يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش له،و قال لصهيب-و به رمد و هو يأكل التمر-:

«أتأكل التمر و أنت أرمد؟فقال:إنما آكل بالشق الآخر.فتبسم رسول اللّه حتى بدت نواجذه».و روى:«أن خوات ابن جبير كان جالسا إلى نسوه من بنى كعب بطريق مكه،و كان ذلك قبل اسلامه.فطلع عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله-فقال له:مالك مع النسوه؟قال:يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود.فمضى رسول اللّه لحاجته ثم عاد،فقال:يا أبا عبد اللّه أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قال:فسكت و استحييت،و كنت بعد ذلك استخفى منه حياء،حتى أسلمت و قدمت المدينه،فاطلع على يوما و أنا أصلى فى المسجد،فجلس إلى،فطولت الصلاه،فقال:لا تطول فانى انتظرك،فلما فرغت قال:يا أبا عبد اللّه،أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قلت:و الذى بعثك بالحق نبيا؟ما شرد منذ أسلمت!فقال:اللّه أكبر اللّه أكبر،اللهم اهد أبا عبد اللّه.فحسن اسلامه».و كان نعيمان الأنصارى،رجلا مزّاحا،فإذا دخل المدينه شىء نفيس من اللباس أو المطاعم اشترى منه،و جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و يقول:

هذا أهديته لك.فإذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه،جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله،و قال:يا رسول اللّه،أعطه ثمن متاعه،فيقول له النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«أ و لم تهده لنا؟»فيقول:لم يكن عندى و اللّه ثمنه،و أحببت أن تأكل منه،فيتبسم رسول اللّه و يأمر لصاحبه بثمنه و أمثال هذه المطايبات مرويه عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و عن الأئمه

-علیهم السلام-و أکثرها منقوله مع النسوان و الصبیان،و کان ذلک معالجه لضعف قلوبهم،من غیر میل إلی هزل و لا کذب و لا باطل،و کان صدور ذلک عنهم أحیانا و علی الندره،و مثلهم کانوا یقدرون علی المزاح مع عدم خروجهم عن الحق و الاعتدال،و أما غیرهم فإذا فتح باب المزاح فربما وقع فی الإفراط و الباطل.فالأولی لأمثالنا ترکه مطلقا.

و منها:

اشاره

الغیبه

و هی أن یذکر الغیر بما یکرهه لو بلغه.سواء کان ذلک ینقص فی بدنه أو فی أخلاقه أو فی أقواله،أو فی أفعاله المتعلقه بدینه أو دنیاه،بل و إن کان بنقص فی ثوبه أو داره أو دابته.

و الدلیل علی هذا التعمیم-بعد إجماع الأمه علی أن من ذکر غیره بما یکره إذا سمعه فهو مغتاب-ما روی عن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- أنه قال:«هل تدری ما الغیبه؟»قالوا:اللّه و رسوله أعلم.قال:

«ذکرک أخاک بما یکره»،قیل له:أ رأیت ان کان فی أخی ما أقول؟ قال:«إن کان فیه ما تقول فقد اغتبته،و إن لم یکن فیه فقد بهته».

و ما روی:«انه ذکر رجل عنده،فقالوا:ما أعجزه!فقال-صلی اللّه علیه و آله-:اغتبتم أخاکم،قالوا:یا رسول اللّه،قلنا ما فیه.قال:إن قلتم ما لیس فیه فقد بهتموه».و ما روی عن عائشه قالت:«دخلت علینا امرأه،فلما ولت،أومأت بیدی انها قصیره،فقال صلی اللّه علیه و آله:

اغتبتیها».و ما روی انها قالت:«إنی قلت لامرأه مره و أنا عند النبی -صلی اللّه علیه و آله-:إن هذه لطویله الذیل.فقال لی:الفظی الفظی! فلفظت مضغه لحم».و قد روی:«ان أحد الشیخین قال للاخر:إن

فلانا لنؤم،ثم طلبا أدما من رسول اللّه ليأكلا به الخبز.فقال:صلى اللّه عليه و آله-:قد ائتدمتما.فقالا:ما نعلمه،فقال:بلى!إنكما أكلتما من لحم صاحبكما».

و أما ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال:«صفه الغيبه أن تذكر أحدا بما ليس هو عند اللّه بعيب و يذم ما يحمده أهل العلم فيه.و أما الخوض فى ذكر الغائب بما هو عند اللّه مذموم و صاحبه فيه ملوم،فليس بغيبه،و إن كره صاحبه إذا سمع به و كنت أنت معافى عنه و خاليا منه.

و تكون فى ذلك مبينا للحق من الباطل ببيان اللّه و رسوله،و لكن على شرط ألا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق و الباطل فى دين اللّه عز و جل، و أما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى،فهو مأخوذ بفساد مراده و ان كان صوابا» (۱)فهو مخصوص بما إذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه، أو كان ساترا على نفسه كارها لظهوره.و يدل على ذلك ما روى عنه عليه السلام أيضا،أنه سئل عن الغيبه،فقال:«هو أن تقول لأخيك فى دينه ما لم يفعل،و ثبت عليه أمرا قد ستره اللّه عليه لم يقم فيه حد».

و قال عليه السلام:«الغيبه أن تقول فى أخيك ما ستره اللّه عليه،و أما الأمر الظاهر فيه،مثل الحده و العجله،فلا».و قال الكاظم عليه السلام «من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس،لم يغتبه،و من ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس،اغتابه،و من ذكره بما ليس فيه فقد بهته» (۲).و يأتى ان المجاهر بمعصيته غير ساتر لها،لا غيبه له فيها.

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۹.و قد تقدم الشك فى صحه(مصباح الشريعه)فى الجزء الأول.

۲- ۲) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب احكام العشره،الباب ۱۵۴،و على(أصول الكافى):باب الغيبه و البهت.و على(البحار)۴ مج ۱۵-۱۸۴ باب الغيبه،و قال فى الموضع المذكور عن الحديث الأول:«الغيبه هو أن تقول»:الضمير للغيبه،و تذكيره بتأويل الاغتياب أو باعتبار الخبر.

و الحاصل:ان الإجماع و الأخبار متطابقان على أن حقيقه الغيبه هو أن يذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه،سواء كان ذلك بنقص فى نفسه أو بدنه.

أو فى دينه أو دنياه،أو فيما يتعلق به من الأشياء،و ربما قيل إنه لا غيبه فيما يتعلق بالدين،لأنه ذم من ذمه اللّه و رسوله،فذكره بالمعاصى و ذمه جائز.و أيد ذلك بما روى:«أنه ذكر عند رسول اللّه امرأه و كثره صومها و صلاتها و لكنها تؤذى جيرانها.فقال:هى فى النار». و ذكرت امرأه أخرى بأنها بخيله،فقال:«فما خيرها إذن؟».و لا ريب فى بطلان هذا القول:لما عرفت من عموم الأدله.و ما ورد من ذم الأشخاص المعينه فى كلام اللّه و كلام حججه إنما هو لتعريف الأحكام و تبيينها،و سؤال الأصحاب عنهم و ذكرهم بالمعاصى،إنما كان لحاجتهم إلى معرفه الأحكام لا للذم و إظهار العيب،و لذا لم يكن ذلك إلا فى مجلس الرسول-صلى اللّه عليه و آله.أو الأئمه-عليهم السلام-.

فصل لا تنحصر الغيبه باللسان

اعلم أن الغيبه لا تنحصر باللسان،بل كل ما يفهم نقصان الغير،و يعرف ما يكرهه فهو غيبه،سواء كان بالقول أو الفعل،أو التصريح أو التعريض أو بالاشاره و الإيماء،أو بالغمز و الرمز،أو بالكتابه و الحركه،و لا ريب فى أن الذكر باللسان غيبه محرمه.لتفهيمه الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه،لا لكون المفهم و المعرف لسانا،فكل ما كان مفهما و معرفا فهو مثله.

فالغيبه تتحقق بإظهار النقص بالفعل و المحاكاه،كمشيه الأعرج،بل هو أشد من الغيبه باللسان،لأنه أعظم فى التصوير و التفهيم منه،و بالإيماء و الإشاره،و قد روى:«أنه دخلت امرأه على عائشه،فلما ولت،أومأت بيدها أنها قصيره.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قد اغتبتها».

و بالكتابه،إذ القلم أحد اللسانين،و بالتعريض،كأن يقول:الحمد للّه الذى لم يبتلنا بالدخول على الظلمه،و التبذل فى طلب الجاه و المال، أو يقول:«نعوذ باللّه من قله الحياء،و نسأله أن يعصمنا منه،معرضا فى كل ذلك بمن ارتكب ذلك،فيذكره بصيغه الدعاء،و ربما قدم مدح من يريد غيبته،ثم اتبعه بإظهار عيبه،كأن يقول:لقد كان فلان حسن الحال،و لكنه ابتلى بما ابتلى به كلنا من سوء الحال،و هو جمع بين الرياء و الغيبه،و مدح نفسه بالتشبه بالصلحاء فى ذم أنفسهم.

و من المغتابين المنافقين من يظهر فى مقام غيبه مسلم الاغتمام و الحزن من سوء حاله،كأن يقول:لقد ساءنى ما جرى على صديقنا فلان من الاهانه و الاستخفاف،أو ارتكابه معصيه كذا،فنسأل اللّه أن يجعله مكرما أو يصلح حاله،أو يقول:قد ابتلى ذلك المسكين بآفه عظيمه،تاب اللّه علينا و عليه.و هو كاذب فى ادعائه الحزن و الكآبه،و فى إظهار الدعاء،إذ لو اغتم لأغتم بإظهار ما يكرهه أيضا،و لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلواته، فاظهار الحزن و الدعاء ناش عن خبث سريرته،و هو يظن أنه ناش عن صفاء طويته،هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوه البصيره بمكائد اللعين و تلبيساته،فيسخر بهم و يضحك عليهم،و يحبط أعمالهم بمكائده،و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا.و ربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم و لم يتنبه له بعض الحاضرين،فيقول اسماعا له و اعلاما لما يقوله:«سبحان اللّه ما أعجب هذه!»حتى يتوجه إليه و يعلم ما يريد،فيستعمل اسم اللّه آله لتحقيق خبثه.

ص :٣٠٦

ثم المستمع للغيبه أحد المغتابين،كما ورد به الخبر (۱).و قد دل ذلک أيضا ما تقدم من حديث الشيخين،و ما روى:«أنه صلى اللّه عليه و آله لما رجم ما عزا فى الزنا،قال رجل لآخر:هذا أقعص كما يقعص الكلب.

فمر النبى صلى اللّه عليه و آله معهما بجيفه،فقال:انهشا من هذه الجيفه، فقالا:يا رسول اللّه ننهش جيفه!فقال:ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه».فجمع بينهما،مع ان أحدهما كان قائلا و الآخر مستمعا.

و هو إما لا يسر باستماعها،إلا أنه لا ينكرها باللسان و لا يكرهها بالقلب،أو يسر و يفرح باستماعها،إلا أن النفاق و التزهد حملاه على عدم التصديق،و ربما منع منها رياء و تزهدا،مع كونه مشتهيا لها بقلبه،و ربما توصل بالحيل المرغبه للمغتاب فى زياده الغيبه.مع التباس الأمر عليه بأنه يشتهيها،مثل أن يظهر التعجب و يقول:عجبت منه ما علمت أنه كذلک و ما عرفته إلى الآن إلا بالخير،و كنت أحسب فيه غير هذا عافانا اللّه من بلائه.فان ذلک تصديق للمغتاب،و باعث لزياده نشاطه فى الغيبه،فكأنه يستخرج منه الغيبه بهذا الطريق.

و الحاصل أن المستمع لا يخرج عن اثم الغيبه إلا بأن ينكر بلسانه، أو يقطع الكلام بكلام آخر،أو يقوم من المجلس،و إن لم يقدر على شىء من ذلک،فلينكر بقلبه،و إن قال بلسانه:اسکت،و هو يشتهيه بقلبه فذلک نفاق،و لا يخرجه من الإثم ما لم يكرهه بقلبه.و مع عدم الخوف لا يكفى أن يشير باليد أو حاجبه أو جبينه،أى اسکت،إذ ذلک استحقار للمذكور،مع أنه ينبغى أن يعظمه فيذب عنه صريحا.قال

---

۱ - ۱) إشاره إلى ما رواه الشيخ أبو الفتوح الرازى فى تفسيره،عن رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-أنه قال:«المستمع أحد المغتابين».و إلى قول أمير المؤمنين -عليه السلام-«السامع للغيبه أحد المغتابين».(بحار الأنوار):۴ مج ۱۵-۱۷۹.

النبی صلی اللّه علیه و آله:«من أذل عنده مؤمن و هو یقدر علی أن ینتصر له فلم ینصره،أذله اللّه یوم القیامه علی رءوس الخلائق».و قال «من رد عن عرض أخیه بالغیب،کان حقا علی اللّه ان یرد عن عرضه یوم القیامه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«من ذب عن عرض أخیه بالغیب،کان حقا علی اللّه أن یعتقه من النار».و قال صلی اللّه علیه و آله-:«من رد عن عرض أخیه،کان له حجابا من النار».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«ما من رجل ذکر عنده اخوه المسلم،و هو یستطیع نصره و لم بکلمه و لم ینصره،إلا أذله اللّه عز و جل فی الدنیا و الآخره.و من ذکر عنده اخوه المسلم فنصره،نصره اللّه فی الدنیا و الآخره».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من حمی عرض أخیه المسلم فی الدنیا،بعث اللّه له ملکا یحمیه یوم القیامه من النار».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«من تطول علی أخیه فی غیبته،سمعها عنه فی مجلس فردها،رد اللّه عنه الف الف باب من الشر فی الدنیا و الآخره و ان لم یردها و هو قادر علی ردها،کان علیه کوزر من اغتابه سبعین مره» و قال الباقر علیه السلام«من اغتیب عنده اخوه المؤمن فنصره و اعانه، نصره اللّه فی الدنیا و الآخره،و من لم ینصره و لم یدفع عنه و هو یقدر علی نصرته و عونه،إلا خفضه اللّه فی الدنیا و الآخره».و بهذه المضامین أخبار کثیره اخر.

فصل بواعث الغیبه

اعلم ان باعث الغیبه-غالبا-إما الغضب أو الحقد أو الحسد،

فيكون من نتائجها،و من رذائل قوه الغضب،و له بواعث أخر:

الأول-السخريه و الاستهزاء:فان ذلك كما يجرى فى الحضور يجرى فى الغيبه أيضا،و قد عرفت ان منشأهما ما ذا؟.

الثانى-اللعب و الهزل و المطايبه:فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب و المحاكاه.و يأتى ان باعث الهزل و المزاح ما ذا،و انه متعلق بالقوه الشهويه.

الثالث-إرادته الافتخار و المباهاه:بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول:فلان لا يعلم شيئا.و غرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه و أنه أفضل منه.و ظاهر أن منشأ ذلك التكبر أو الحسد،فيكون أيضا من رذائل القوه الغضبيه.

الرابع-أن ينسب إلى شىء من القبائح،فيريد أن يتبرأ منه بذكر الذى فعله،و كان اللازم عليه أن يبرئ نفسه منه،و لا يتعرض للغير الذى فعله،و قد يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل،ليتمهد بذلك عذر نفسه فى فعله،و ربما كان منشأ ذلك صغر النفس و خبثها.

الخامس-مرافقه الاقران و مساعدتهم على الكلام،حذرا عن تنفرهم و استثقالهم إياه لولاه،فيساعدهم على إظهار عيوب المسلمين و ذكر مساويهم،ظنا منه أنه مجامله فى الصحبه،فيهلك معهم.و باعث ذلك أيضا صغر النفس و ضعفها.

السادس-أن يستشعر من رجل أنه سيذكر مساويه،أو يقبح حاله عند محتشم،أو يشهد عليه بشهاده،فيبادره قبل ذلك بإظهار عداوته، أو تقبيح حاله،ليسقط أثر كلامه و شهادته.و ربما ذكره بما هو فيه قطعا،بحيث ثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده،فيروج كذبه بالصدق الأول و يستشهد به و يقول:ليس الكذب من عادتى،فانى أخبرتكم قبل ذلك

من أحواله كذا و كذا،فكان كما قلت،فهذا أيضا صدق كسابقه.

و هذا أيضا منشأه الجبن و ضعف النفس.

السابع-الرحمه،و هو أن يحزن و يغتم بسبب ما ابتلى به غيره، فيقول:المسكين فلان قد غمنى ما ارتكبه من القبح،أو ما حدث به من الاهانه و الاستخفاف!فيكون صادقا فى اغتمامه،إلا انه لما ذكر اسمه و اظهر عيبه صار مغتابا،و قد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه و عيبه ممكنا فاوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه و رحمته.

الثامن-التعجب من صدور المنكر و الغضب للّه عليه،بأن يرى منكرا من انسان أو سمعه،فيقول عند جماعه:ما اعجب من فلان أن يتعارف مثل هذا المنكر!أو يغضب منه،فيظهر غضبه و اسمه و منكره، فانه وإن كان صادقا فى تعجبه من المنكر و غضبه عليه،لكن كان اللازم ان يتعجب منه و يغضب عليه،و لكنه لا يظهر اسمه عند من لم يطلع على ما صدر منه المنكر،بل يظهر غضبه عليه بالنهى عن المنكر و الأمر بالمعروف من غير أن يظهره لغيره،فلما أوقعه الشيطان فى ذكره بالسوء صار مغتابا و بطل ثواب تعجبه و غضبه،و صار آثما من حيث لا يدرى.

و هذه الثلاثه الأخيره مما يغمض دركها،لأن أكثر الناس يظنون أن الرحمه و التعجب و الغضب إذا كان للّه كان عذرا فى ذكر الاسم، و هو خطأ محض،إذ المرخص فى الغيبه حاجات مخصوصه لا مندوحه فيها عن ذكر الاسم دون غيرها، و قد روى:«أن رجلا مر على قوم فى عصر النبى-صلى اللّه عليه و آله-فلما جاوزهم،قال رجل منهم:إنى أبغض هذا الرجل للّه،فقال القوم:و اللّه لبئس ما قلت!و إنا نخبره بذلك،فاخبروه به،فاتى الرجل رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و حكى له ما قال،و سأله أن يدعوه.فدعاه،و سأله عما قال فى حقه

فقال:نعم!قد قلت ذلك.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

و لم تبغضه؟فقال:أنا جاره و أنا به خبير،و اللّه ما رأيته يصلى صلاه قط إلا هذه المكتوبه!فقال:يا رسول اللّه،فاسأله هل رآنى أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها و الركوع و السجود؟فسأله،فقال:لا فقال:و اللّه ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذى يصومه كل بر و فاجر!قال:فاسأله يا رسول اللّه هل رآنى افطرت فيه أو نقصت من حقه شيئا؟فسأله،فقال:لا!فقال:و اللّه ما رأيته يعطى سائلا قط و لا مسكينا،و لا رأيته ينفق من ماله شيئا فى سبيل الخير إلا هذه الزكاه التى يؤديها البر و الفاجر!قال:فاسأله هل رآنى نقصت منها شيئا أو ما كست فيها طالبها الذى يسألها؟فسأله فقال:لا!فقال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-للرجل:قم،فلعله خير منك».و لا ريب فى أن إنكار القوم عليه بعد قوله أبغضه للّه يفيد عدم جواز إظهار المنكر الصادر من شخص لغيره،و إن كان فى مقام الغضب و البغض للّه.

فصل ذم الغيبه

لما علمت حقيقه الغيبه و بواعثها،فأعلم أنها أعظم المهلكات و أشد المعاصى،و قد نص اللّه سبحانه على ذمها فى كتابه،و شبه صاحبها بآكل لحم الميته،فقال: وَ لاٰ تَجَسَّسُوا وَ لاٰ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً،أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ

أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ

(۱)

.و قال: لاٰ يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّٰ مَنْ ظُلِمَ وَ كٰانَ اللّٰهُ سَمِيعاً عَلِيماً (۲).و قال: مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (۳).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«المسلم على المسلم حرام دمه و ماله و عرضه».و الغيبه تتناول العرض.و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إياكم و الغيبه،فان الغيبه أشد من الزنا،فان الرجل قد يزنى و يتوب فيتوب اللّه عليه،و إن صاحب الغيبه لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«مررت ليله أسرى بى على قوم يخمشون وجوهم باظافيرهم،فقلت:يا جبرئيل،من هؤلاء؟قال الذين يغتابون الناس،و يقعون فى اعراضهم». و خطب-صلى اللّه عليه و آله يوما حتى أسمع العواتق فى بيوتها،فقال:«يا معشر من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه!لا تغتابوا المسلمين،و لا تتبعوا عوراتهم،فان من تتبع عوره أخيه يتتبع اللّه عورته حتى يفضحه فى جوف بيته».و خطب صلى اللّه عليه و آله يوما فذكر الربا و عظم شأنه،فقال:«إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند اللّه فى الخطيئه من ست و ثلاثين زنيه يزنيها الرجل،و إن أربى الربا عرض الرجل المسلم».و مر-صلى اللّه عليه و آله-على قبرين يعذب صاحباهما،فقال:«إنهما ليعذبان فى كبيره،

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۲.

۲- ۲) النساء،الآيه:۱۴۷.

۳- ۳) ق،الآيه:۱۸.

أما أحدهما فكان يغتاب الناس،و اما الآخر فكان لا يستبری من بوله» و دعا بجريده رطبه أو جريدتين فكسرهما،ثم أمر بكل كسره فغرست على قبره،و قال:«أما إنه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين»و روی «أنه-صلى اللّه عليه و آله-أمر الناس بصوم يوم،و قال:لا يفطرن أحد حتى آذن له.فصام الناس،حتى إذا أمسوا،جعل الرجل يجیء فيقول:يا رسول اللّه،ظلت صائما فاذن لی لأفطر،فيأذن له،و الرجل و الرجل،حتى جاء رجل،فقال:يا رسول اللّه،فتاتان من أهلی ظلتا صائمتين،و انهما تستحيان أن تأتياك،فأذن لهما لتفطرا.فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه.ثم عاوده،فقال:انهما لم تصوما،و كيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس،أذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا.فرجع إليهما،فاخبرهما،فاستقاءتا،فقاءت كل واحده منهما حلقه من دم.فرجع إلى النبی صلى اللّه عليه و آله فاخبره،فقال:و الذی نفس محمد بيده!لو بقيتا فی بطنيهما لاكلتهما النار».و أوحى اللّه تعالى الى موسى عليه السلام:«من مات تائبا من الغيبه فهو آخر من يدخل الجنه،و من مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار».و قال صلى اللّه عليه و آله:«من مشى فی غيبه أخيه و كشف عورته كانت أول خطوه خطاها و ضعها فی جهنم،فكشف اللّه عورته على رءوس الخلائق.

و من اغتاب مسلما،بطل صومه و نقض وضوءه،فان مات و هو كذلك مات و هو مستحل لما حرم اللّه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الغيبه أسرع فی دين الرجل المسلم من الاكله فی جوفه» (۱).و قال-صلى اللّه

۱- ۱) الروايه مذكوره فی(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.قال فی الموضع المذكور:«بيان:الاكله-كفرحه-داء فی العضو يأتكل منه،و قد يقرأ بمد الهمزه على وزن فاعله،أی العله التی تأكل اللحم.و الأول أوفق باللغه.و قيل الاكله-بالضم-اللقمه،و كلاهما محتملان إلى أن ذكر الجوف يؤيد الأول و إراده الإضافه و الاذهاب يؤيد الثانی و الأول أقرب و أصوب،و تشبيه الغيبه بأكل اللقمه أنسب،لأن اللّه سبحانه شبهها بأكل اللحم».

علیه و آله-:«الجلوس فی المسجد انتظارا للصلاه عباده،ما لم یحدث»، فقیل:یا رسول اللّه،و ما الحدث؟قال:«الاغتیاب».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مسلما أو مسلمه لم یقبل اللّه صلاته و لا صیامه أربعین یوما و لیله،إلا أن یغفر له صاحبه».و قال-صلی اللّه علیه و آله:«من اغتاب مسلما فی شهر رمضان لم یؤجر علی صیامه»و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مؤمنا بما فیه،لم یجمع اللّه بینهما فی الجنه أبدا،و من اغتاب مؤمنا بما لیس فیه،انقطعت العصمه بینهما، و کان المغتاب فی النار خالدا فیها و بئس المصیر».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«کذب من زعم أنه ولد من حلال و هو یأکل لحوم الناس بالغیبه.فاجتنب الغیبه فانها إدام کلاب النار».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ما عمر مجلس بالغیبه إلا خرب بالدین،فنزهوا أسماعکم من من استماع الغیبه،فان القائل و المستمع لها شریکان فی الإثم».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«ما النار فی التبن بأسرع من الغیبه فی حسنه العبد» (۱) و قال الصادق علیه السلام:«من قال فی مؤمن ما رأته عیناه و سمعته أذناه،فهو من الذین قال اللّه عز و جل: إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ ».و قال علیه السلام:

«من روی علی مؤمن روایه یرید بها شینه و هدم مروته لیسقط من أعین

ص: ۳۱۴

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(الوسائل):کتاب الحج،ابواب احکام العشره،الباب ۱۵۲.و علی(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.و علی(المستدرک): ۲-۱۰۶ و علی(احیاء العلوم):۳-۱۲۳.

الناس،اخرجه اللّه من ولايته إلى ولايه الشيطان،فلا يقبله الشيطان».

و قال عليه السلام:«من اغتاب أخاه المؤمن من غير تره بينهما فهو شرك شيطان» (۱).و قال عليه السلام:«الغيبه حرام على كل مسلم،و انها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

و الأخبار الوارده فى ذم الغيبه مما لا يكاد يمكن حصرها،و ما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين.و العقل أيضا حاكم بأنها أخبث الرذائل،و قد كان السلف لا يرون العباده فى الصوم و الصلاه،بل فى الكف عن اعراض الناس،لأنه كان عندهم أفضل الأعمال،و يرون خلافه صفه المنافقين، و يعتقدون أن الوصول إلى المراتب العاليه فى الجنه يتوقف على ترك الغيبه، لما ورد عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-أنه قال:«من حسنت صلاته و كثرت عياله،و قل ماله،و لم يغتب المسلمين،كان معى فى الجنه كهاتين» و ما أقبح بالرجل المسلم أن يغفل عن عيوب نفسه،و يتجسس على عيوب اخوانه،و يظهرها بين الناس،فما باله يبصر القذى فى عين أخيه،و لا يبصر الجذع فى عين نفسه.

فيا حبيبى،اذا أردت أن تذكر عيوب غيرك،فاذكر عيوبك،و تيقن بأنك لن تصيب حقيقه الايمان،حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك،و حتى تبدأ باصلاح ذلك العيب.و إذا كان شغلك إصلاح عيوب نفسك،كان شغلك فى خاصه نفسك،و لم تكن لك فرصه للاشتغال بغيرك،و حينئذ كنت من أحب العباد إلى اللّه،لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس!».و اعلم أن عجز غيرك فى الاجتناب عن ذلك العيب و صعوبه ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه إن كان ذلك

۱ - ۱) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل)فى الموضع المتقدم.و على (أصول الكافى)باب الغيبه و البهت.و على(المستدرك).

العیب فعلا اختیاریا،و إن کان أمرا خلقیا،فالذم له ذم للخالق تعالی.

فإن من ذم صنعه فقد ذم صانعها.قیل لبعض الحکماء:یا قبیح الوجه! فقال:«ما کان خلق وجهی إلی فاحسنه».و لو فرض براءتک عن جمیع العیوب،فلتشکر اللّه،و لا تلوث نفسک بأعظم العیوب.إذا أکل لحوم المیتات أشد العیوب و أقبحها،مع انک لو ظننت خلوّک عن جمیع العیوب لکنت أجهل الناس،و لا عیب أعظم من مثل هذا الجهل.

ثم ینبغی أن یعلم المغتاب ان الغیبه تحبط حسناته و تزید فی سیئاته.لما ثبت من الأخبار الکثیره:ان الغیبه تنقل حسنات المغتاب یوم القیامه إلی من اغتابه،و ان لم تکن له حسنه نقل إلیه من سیئاته.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«یؤتی أحدکم یوم القیامه،فیوقف بین یدی اللّه تعالی و یدفع إلیه کتابه،فلا یری حسناته،فیقول:إلهی لیس هذا کتابی، فإنی لا أری فیه طاعتی،فیقول له:إن ربک لا یضل و لا ینسی،ذهب عملک باغتیاب الناس.ثم یؤتی بآخر و یدفع إلیه کتابه،فیری فیه طاعات کثیره،فیقول:إلهی ما هذا کتابی،فإنی ما عملت هذه الطاعات،فیقول له:إن فلانا اغتابک فدفعت حسناته إلیک».و فی معناه أخبار اخر.

و لا ریب فی أن العبد یدخل النار بأن تترجح کفه سیئاته،و ربما تنقل إلیه سیئه واحده مما اغتاب به مسلما،فیحصل به الرجحان و یدخل لأجله النار.

و أقل ما فی الباب أن ینقص من ثواب صالحات أعماله،و ذلک بعد المخاصمه و المطالبه و السؤال و الجواب و المناقشه فی الحساب.و روی عن بعضهم:

«أن رجلا-قیل له:ان فلانا قد اغتابک،فبعث إلیه طبقا من الرطب، و قال:بلغنی أنک قد أهدیت الی من حسناتک،فأردت أن أکافیک علیها فاعذرنی،فانی لا أقدر أن أکافیک علی التمام».

و الحاصل:أن العاقل ینبغی أن یتأمل فی أن من یغتابه ان کان

صدیقا و محبا له،فاظهار عیوبه و عثراته بعید عن المروه و الإنصاف،و ان کان عدوا له،فتحمل خطایاه و معاصیه و نقل حسناته إلی دیوانه غایه الحماقه و الجهل.

فصل علاج الغیبه

الطریق فی علاج الغیبه و ترکها،أن یتذکر أولا ما تقدم من مفاسدها الأخرویه،ثم یتذکر مفاسدها فی الدنیا،فإنه قد تصل الغیبه إلی من اغتیب،فتصیر منشأ لعداوته أو لزیاده عداوته،فیتعرض لایذاء المغتاب و اهانته،و ربما انجر الأمر بینهما إلی ما لا یمکن تدارکه من الضرب و القتل و أمثال ذلک.ثم یتذکر فوائد أضدادها-کما نشیر إلیها-و بعد ذلک فلیراقب لسانه،و یقدم التروی فی کل کلام یرید أن یتکلم به،فان تضمن غیبه سکت عنه،و کلف نفسه ذلک علی الاستمرار،حتی یرتفع عن نفسه المیل الجلی و الخفی إلی الغیبه.

و العمده فی العلاج أن یقطع أسبابها المذکوره،و قد تقدم علاج الغضب و الحقد و الحسد و الاستهزاء و السخریه،و یأتی طریق العلاج فی الهزل و المطایبه و الافتخار و المباهاه.و أما تنزیه النفس بنسبه ما نسب إلیه من الجنایه إلی الغیر،فمعالجته أن یعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق،و من اغتاب تعرض لمقت اللّه و سخطه قطعا،و لا یدری أنه یتخلص من سخط الناس أم لا،فیحصل بعمله ذم اللّه و سخطه تقدیرا،و ینتظر دفع ذم الناس نسیئه،و هذا غایه الجهل و الخذلان.

و أما تعرضه لمشارکه الغیر فی الفعل تمهیدا لعذر نفسه،کأن یقول إنی أکلت الحرام،لأن فلانا أیضا أکل،و قبلت مال السلطان،لأن فلانا

أيضا قبل،مع أنه أعلم منى،فلا ريب فى أنه جهل و سفه،لأنه اعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به.فان من خالف اللّه لا يقتدى به كائنا من كان،فلو دخل غيره النار و هو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدى به فى الدخول،و لو دخل عد سفيا أحمق،ففعله معصيه،و عذره غيبه و غباوه،فجمع بين المعصيتين و الحماقه،و مثله كمثل الشاه،اذا نظرت الى العنز تردى نفسها من الجبل فهى أيضا تردى نفسها،و لو كان لها لسان ناطق و اعتذرت عن فعلها بأن العنز اكيس منى و قد اهلكت نفسها فكذلك فعلت أنا،لكان هذا المغتاب المعتذر يضحك عليها،مع أن حاله مثل حالها و لا يضحك على نفسه.

و العجب أن بعض الأشقياء من العوام،لما صارت قلوبهم عش الشيطان و صرفوا أعمارهم فى المعاصى،و اشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحيث لا يرجى لهم الخلاص،مالت نفوسهم الخبيثه إلى ألا يكون معاد و حساب و حشر و عقاب،و لما وجد ذلك الميل منهم اللعين،خرج من الكمين، و وسوس فى صدورهم بأنواع الشكوك و الشبهات،حتى ضعف بها عقائدهم أو افسدها،و دعاهم فى مقام الاعتذار عن أعمالهم الخبيثه ألا يصرحوا بما ارتكز فى قلوبهم و يشتهونه،خوفا من القتل و أجراء أحكام الكفار عليهم و لم يدعهم أيضا تلبيسهم و تزويرهم و غلبه الشيطنه عليهم أن يعترفوا بالنقص و سوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على أن يعتذروا من سوء فعالهم بأن بعض العلماء يفعلون ما نفعل و لا يجتنبون عن مثل أعمالنا،من طلب الرئاسه و أخذ الأموال المحرمه،و لم يدروا أن هذا القول ناش من جهلهم و خباثتهم.

إذ تقول لهم:إن فعل هذا البعض إن صار منشأ لزوال ايمانكم بالمعاد و الحساب،فأنتم كافرون،و باعث أعمالكم الخبيثه هو الكفر و عدم الاذعان بأحوال النشأه الآخره.و إن لم يصر منشأ له،بل ايمانكم ثابت،

فاللازم علیکم العمل بمقتضاه،من غیر تزلزل بعمل الغیر کائنا من کان.

فما الحجه فی عمل هذا البعض،مع اعتقادکم بأنه علی باطل؟!.

و أیضا لو کان باعث أعمالکم الخبیثه فعل العلماء،فلم اقتدیتم بهذا البعض مع عدم کونه من علماء الآخره و عدم اطلاعه علی حقیقه العلم؟ و لو کنتم صادقین فیما تنسبون إلیه،فهو المتأکل بعلمه،و انما حصل نبذا من علوم الدنیا لیتوسل بها إلی حطامها،و لا یعد مثله عند أولی الألباب عالما،بل هو متشبه بالعلماء.و لم ما اقتدیتم بعلماء الآخره المتخلفین بشراشرهم عن الدنیا و حطامها؟و إنکار وجود مثلهم،و القدح فی الکل مع کثرتهم فی أقطار الأرض غایه اللجاج و العناد.و لو سلمنا منکم ذلک،فلم ما اقتدیتم بطوائف الأنبیاء و الأوصیاء،مع أنهم أعلم الناس باتفاق الکل،و حقیقه العلم لیس إلا عندهم؟فان أنکروا أعلمیتهم و عصمتهم من المعاصی، و احتملوا کونهم أمثالا لهم،ظهر ما فی بواطنهم من الکفر الخفی.

و أما موافقه الاقران،فعلاجه أن یتذکر ان اللّه یسخط علیه و یبغضه اذا اختار رضا المخلوقین علی رضاه،و کیف یرضی المؤمن ان یترک رضا ربه لرضا بعض أراذل الناس؟و هل هذا إلا کونه تعالی أهون عنده منهم؟ و هو ینافی الایمان.

و أما استشعاره من رجل انه یقبح عند محتشم حاله أو یشهد علیه بشهاده فیبادره بالغیبه اسقاطا لأثر کلامه،فعلاجه أن یعلم: (أولا)ان مجرد الاستشعار لا یستلزم الوقوع،فلعله لا یقبح حاله و لا یشهد علیه،فالمواخذه بمحض التوهم تنافی الدیانه و الایمان. و(ثانیا)ان اقتضاء قوله سقوط أثر کلام من اغتابه فی حقه مجرد توهم،و التعرض لمقت اللّه یقینا بمجرد توهم ترتب فائده دنیویه علیه محض الجهل و الحماقه، و(ثالثا)أن تأدی فعل الغیر-أعنی تقبیح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه-الی اضراره فی حیز

الشک،إذ ربما لم یقبله المحتشم،و ربما لم تقبل شهادته شرعا،فتقبیح حاله و تحمل معاصیه بدون الجزم بصیرورته سببا لایذائه محض الجهل و الخذلان.

و أما الرحمه له علی اثمه و التعجب منه و الغضب للّه علیه،و إن کان کل منها حسنا،الا أنه إذا لم تکن معه غیبه،و أما إذا کانت معه غیبه أحبط أجره و بقی اثمها،فالعلاج ان یتأمل باعث الرحمه و التعجب و الغضب هو الایمان و حمایه الدین،و إذا کان معها غیبه أضرت بالدین و الایمان، و لیس شیء من الأمور الثلاث ملزوما للغیبه لإمکان تحققه بدونها،فمقتضی الایمان و حمایه الدین أن یترحم و یتعجب و یغضب للّه،مع ترک الغیبه و إظهار الإثم و العیب،لیکون مأجورا غیر آثم.

فصل مسوغات الغیبه

لما عرفت ان الغیبه ذکر الغیر بما یکرهه لو سمعه،فاعلم ان ذلک انما یحرم إذا قصد به هتک عرضه،و التفکه به،أو اضحاک الناس منه.و اما اذا کان ذلک لغرض صحیح لا یمکن التوصل إلیه إلا به.فلا یحرم، و الأغراض الصحیحه المرخصه له أمور.

الأول-النظلم عند من له رتبه الحکم و احقاق الحقوق،کالقضاه و المفتین و السلاطین،فان نسبه الظلم و السوء إلی الغیر عندهم لاستیفاء الحق جائز،لقول النبی صلی اللّه علیه و آله:«لصاحب الحق مقال»،و قوله صلی اللّه علیه و آله«لیّ الواجد یحل عرضه و عقوبته»و عدم إنکاره صلی اللّه علیه و آله علی قول هند بحضرته:إن أبا سفیان رجل شحیح لا یعطینی ما یکفینی إیای و ولدی،أ فآخذ من غیر علمه؟و قوله-صلی اللّه علیه و آله-

لها:«خذی ما یکفیک و ولدک بالمعروف».

الثانی-الاستعانه علی رفع المنکر و رد المعاصی إلی الصلاح،و انما یستباح بها ذکر مساءته بالقصد الصحیح لا بدونه.

الثالث-نصح المستشیر فی التزویج،و ایداع الأمانه،و امثالهما.

کذلک جرح الشاهد و المفتی و القاضی إذا سئل عنهم،فله ان یذکر ما یعرفه من عدم العداله و الأهلیه للافتاء و القضاء،بشرط صحه القصد و إراده الهدایه و عدم باعث حسد أو تلبیس من الشیطان،و کذلک توقی المسلمین من الشر و الضرر أو سرایه الفسق و البدعه،فإن من رأی عالما أو غیره من المؤمنین یتردد إلی ذی شر أو فاسق أو مبتدع،و خاف أن یتضرر و یتعدی إلیه الفسق و البدعه بمصاحبته.یجوز له أن یکشف له ما یعرفه من شره و فسقه و بدعته.بشرط کون الباعث مجرد خوف وصول الشر و الفساد أو سرایه الفسق و البدعه إلیه. قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أ ترعوون عن ذکر الفاجر حتی لا یعرفه الناس؟اذکروه بما فیه یحذره الناس».

و من جمله ما یدخل فی تحذیر المسلمین و توقیهم من الشر و الضرر،إظهار عیب یعلمه فی مبیع،و إن کرهه البایع،حفظا للمشتری من الضرر.مثل أن یشتری عبدا،و قد عرفه بالسرقه أو الفسق أو عیب آخر،أو فرسا،و قد عرفه بکونه مال الغیر،فله أن یظهر ذلک،لاستلزام سکوته ضررا علی المشتری.

الرابع-رد من ادعی نسبا لیس له.

الخامس-القدح فی مقاله أو دعوی باطله فی الدین.

السابع-ضروره التعریف،فانه إذا کان أحد معروفا بلقب یعرب عن عیب،و توقف تعریفه علیه،و لم یکن اثم فی ذکره،بشرط عدم إمکان التعریف بعباره أخری،لفعل الرواه و العلماء فی الاعصار و الامصار

فانهم یقولون:روی الأعمش و الأعرج و غیر ذلک،لأن الغالب صیرورته بحیث لا یکرهه صاحبه.

الثامن-کون المقول فیه مستحقا للاستخفاف،لتظاهره و تجاهره بفسق،کالظلم و الزنا و شرب الخمر و غیر ذلک،بشرط عدم التعدی عما یتظاهر به،اذ لو ذکره بغیر ما یتظاهر به لکان اثما،و أما إذا ذکر منه مجرد ما یتجاهر به فلا اثم علیه،اذ صاحبه لا یستنکف من ذکره،و ربما یتفاخر به و یقصد إظهاره.و مع قطع النظر عن ذلک،فالأخبار داله علیه، کما تقدم جمله منها. و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من القی جلباب الحیاء من وجهه فلا غیبه له».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«لیس لفاسق غیبه».

و الظاهر أن ذکر ما یتجاهر به من العیوب لیس غیبه،لا شرعا و لا لغه،لا انه غیبه استثنی جوازها شرعا،قال الجوهری:«الغیبه أن یتکلم خلف انسان مستور بما یغمه لو سمعه،فان کان صدقا سمی غیبه و إن کان کذبا سمی بهتانا».

هذا و قد صرح جماعه بجواز الغیبه فی موضعین آخرین:أحدهما:

أن یکون اثنان أو أکثر مطلعین علی عیب رجل،فیقع تحاکیه بینهم من غیر أن یظهروه لغیرهم ممن لم یطلع علیه،و فی بعض الأخبار المتقدمه دلاله علی جوازه،کما لا یخفی.و ثانیهما:أن یکون متعلقها-اعنی المقول فیه-غیر محصور،کأن یقال:«قال قوم کذا،أو أهل البلد الفلانی کذا».و مثله إذا قال:«بعض الناس یقول أو یفعل کذا،أو من مر بنا الیوم شأنه کذا»،اذا لم یتعین البعض و المار عند المخاطب،و لو انتقل إلی شخص معین لقیام بعض القرائن،کانت غیبه محرمه،و کذا لو قال:«بعض من قدم من السفر،أو بعض من یدعی العلم»،إن

كان معه قرينه يفهم عين الشخص فهو غيبه و إلا فلا.و كذا ذكر مصنف فى كتابه فاضلا معينا،و تهجين كلامه بلا اقتران شىء من الاعذار المحوجه الى ذكره غيبه،و أما لو ذكره بدون تعيينه،كأن يقول:«و من الفضلاء من صدر عنه فى المقام هفوه أو عثره»،فليس غيبه. ثم السر فى اشتراط الغيبه بكونه تعريضا لشخص معين،و عدم كون التعرض بالمبهم و غير المحصور غيبه،عدم حصول الكراهه مع الإبهام و عدم الانحصار،كما لا يخفى.و ربما كان فى بعض الأخبار أيضا اشعار به،و قد كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-اذا كره من انسان شيئا يقول:«ما بال أقوام يفعلون كذا و كذا»من دون تعيين للفاعل.

تذنيب كفاره الغيبه

كفاره الغيبه-بعد التوبه و الندم للخروج عن حق اللّه-أن يخرج من حق من اغتابه.و طريق الخروج من حقه،إن كان ميتا أو غائبا لم يمكن الوصول إليه،أن يكثر له من الاستغفار و الدعاء،ليحسب ذلك يوم القيامه من حسناته و يقابل بها سيئه الغيبه،و إن حيا يمكن الوصول اليه و لم تبلغ إليه الغيبه،و كان فى بلوغها إليه مظنه العداوه و الفتنه،فليكثر له أيضا من الدعاء و الاستغفار،من دون ان يخبره بها،و إن بلغت إليه أو لم تبلغه،و لم يكن فى بلوغها ظن الفتنه و العداوه،فليستحله متعذرا متأسفا مبالغا فى الثناء عليه و التودد إليه،و ليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه و يحله فان لم يطب قلبه من ذلك و لم يحله،كان اعتذاره و تودده حسنه يقابل بها سيئه الغيبه فى القيامه.

ص:٣٢٣

و الدليل على هذا التفصيل قول الصادق عليه السلام:«و إن اغتبت فبلغ المغتاب،فاستحل منه،فان لم تبلغه لم تلحقه،فاستغفر اللّه» (۱)و ذلك لأن فى الاستحلال مع عدم البلوغ إليه إثاره للفتنه و جلب الضغائن و فى حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه بموت أو غيبه،و على هذا فقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«كفاره من اغتبته أن تستغفر له»،محمول على صوره عدم إمكان الوصول إليه،أو إمكانه مع إيجاب الاعلام و الاستحلال لإثاره الفتنه و العداوه.و قوله-صلى اللّه عليه و آله-:

«من كانت لأخيه عنده مظلمه فى عرض أو مال،فليتحللها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار و لا درهم،إنما يؤخذ من حسناته، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته»، محمول على صوره البلوغ،مع عدم إيجاب الاعلام و الاستحلال فتنه و عداوه.

تتميم البهتان

قد ظهر مما تقدم أن البهتان أن تقول فى مسلم ما يكرهه و لم يكن فيه،فان كان ذلك فى غيبته كان كذبا و غيبه،و إن كان بحضوره كان أشد أنواع الكذب.و على اى تقدير،فهو أشد إثما من الغيبه و الكذب قال اللّه سبحانه:

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ

۱- ۱) هذا جزء من الحديث المتقدم عن مصباح(الشريعه):۲۸۹،الباب ۴۹ فصححناه عليه.

اِحْتَمَلَ بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه،أو قال فيه ما ليس فيه،أقامه اللّه على تل من نار،حتى يخرج مما قاله فيه».و قال الصادق عليه السلام:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه بما ليس فيه،بعثه اللّه عز و جل فى طينه خبال،حتى يخرج مما قال» قلت:و ما طينه خبال؟قال:«صديد يخرج من فروج المومسات» (۲) ثم ما ورد فى ذم اللسان و كونه شر الأعضاء و منبع أكثر المعاصى-كما يأتى فى موضعه-يدل على ذم الغيبه و البهتان،كما يدل على ذم جميع آفات اللسان مما تقدم:من الفحش،و اللعن،و الطعن،و السخريه،و غير ذلك،و ما يأتى:من الكذب،و المزاح،و الخوض فى الباطل.و فضول الكلام،و غير ذلك.

وصل المدح و مواضع حسنه و قبحه

الغيبه لما كانت راجعه إلى الذم،فضدها المدح و دفع الذم،و البهتان لما كان كذبا،فضده الصدق.و كما أن لكل واحده من آفات اللسان مما مر و مما يأتى ضدا خاصا،فكذلك لجميعها ضد واحد عام هو الصمت -كما أشير إليه فيما سبق أيضا و ضد البهتان-أعنى الصدق-يأتى فى

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۱۱.

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب الغيبه و البهتان. و على(الوسائل):كتاب الحج،باب تحريم البهتان فى المؤمن.و على(المستدرك): ۱۰۷،كتاب الحج،باب تحريم البهتان للمؤمن.

مقام بیان الکذب.و أما الضد العام لکل،فقد یأتی فی موضعه مع ما یدل بعمومه علی ذم جمیع آفات اللسان،فهنا نشیر إلی بیان المدح و ما یحمد منه،حتی یکون ضدا لها و فضیله للقوه الغضبیه أو الشهویه،و ما یذم منه حتی یکون رذیله لاحدهما،فنقول:

لا ریب فی أن مدح المؤمن فی غیبته و حضوره ممدوح مندوب إلیه لکونه ادخالا للسرور علیه،و قد علم مدحه و ثوابه،و لما ورد من أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أثنی علی أصحابه،و أنه قال لجماعه -لما اثنوا علی بعض الموتی-:«وجبت لکم الجنه،و أنتم شهداء اللّه فی الأرض» و لما ورد من«أن لبنی آدم جلساء من الملائکه،فإذا ذکر أحد أخاه المسلم بخیر،قالت الملائکه:و لک مثله،و إذا ذکره بسوء،قالت الملائکه:

یا ابن آدم المستور عورته،اربع علی نفسک!و أحمد اللّه إذ ستر عورتک» و لکنه لیس راجحا مندوبا علی الإطلاق،بل إذا سلم من آفاته،و هی أن یکون صدقا لا یفرط المادح فیه،بحیث ینتهی إلی الکذب،و ألا یکون المادح فیه مرائیا منافقا،بأن یکون غرضه إظهار الحب مع عدم کونه محبا فی الواقع سواء کان صادقا فیما ینسبه إلیه من المدح أم لا،و ألا یمدح الظالم و الفاسق و إن کان صادقا فیما یقول فی حقه،لأنه یفرح بمدحه و إدخال الفرح علی الظالم أو الفاسق غیر جائز،قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن اللّه لیغضب إذا مدح الفاسق».فالظالم الفاسق ینبغی أن یذم لیغتم،و لا یمدح لیفرح،و ألا یقول ما لا یتحققه و لا سبیل له الی الاطلاع علیه.

و هذه الآفه إنما تتطرق فی المدح بالأوصاف المطلقه و الخفیه،کقولک إنه تقی ورع زاهد خیر،أو قولک:إنه عدل رضی،و أمثال ذلک،

لتوقف الصدق فی ذلک علی قیام الأدله و الخبره الباطنه،و تحققهما فی غایه الندره.فالغالب أن المدح بامثال ذلک یکون من غیر تحقق و تثبت، و ألا یحدث فی الممدوح کبرا أو اعجابا یوجبان هلاکه،و لا رضی عن نفسه یوجب فتوره عن العمل،إذ من أطلقت الألسنه بالثناء علیه یرضی عن نفسه،و یظن أنه قد أدرک،و هذا یوجب فتوره عن العمل،إذ المتشمر له إنما هو من یری نفسه مقصرا،و لذلک قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:لرجل مدح بحضرته رجلا آخر:«ویحک!قطعت عنق صاحبک،لو سمعها ما أفلح»و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اذا مدحت أخاک فی وجهه،فکأنما أمررت علی حلقه الموسی»و قال أیضا لمن مدح رجلا:«عقرت الرجل عقرک اللّه!».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لو مشی رجل إلی رجل بسکین مرهف،کان خیرا له من أن یثنی علیه فی وجهه».

و السر فی هذه الأخبار:أن المدح یوجب الفتور عن العمل،أو الکبر أو العجب،و هو مهلک،کقطع العنق و العقر و إمرار الموسی أو السکین علی الحلق،فان سلم المدح عن الآفات المذکوره المتعلقه بالمادح و الممدوح کان ممدوحا،و إلا کان مذموما.و بذلک یحصل الجمع بین ما ورد فی مدحه-کما تقدم-و ما ورد فی ذمه.

فاللازم علی المادح أن یحترز عما تقدم من الآفات المتعلقه به،و علی الممدوح أن یحترز من آفه الکبر و العجب و الفتور و الریاء،بأن یعرف نفسه و یتذکر خطر الخاتمه،و لا یغفل عن دقائق الریاء،و یظهر کراهه المدح،و إلیه الإشاره بقوله-صلی اللّه علیه و آله-:«احثوا التراب فی وجوه المداحین». و بالجمله:اللازم علی الممدوح ألا یتفاوت حاله بالمدح،و هذا فرع معرفه نفسه،و تذکر ما لا یعرفه المادح من عثراته

و ينبغى أن يظهر أنه ليس كما عرفوه،قال بعض الصالحين لما اثنى عليه «اللهم إن هؤلاء لا يعرفونى و أنت تعرفنى».و قال أمير المؤمنين عليه السلام لما أثنى عليه:«اللهم اغفر لى ما لا يعلمون،و لا تؤاخذنى بما يقولون،و اجعلنى خيرا مما يظنون».

ثم الظاهر عدم المؤاخذه و الإثم بالانبساط و الارتياح بالمدح،لكون النفوس مجبوله على الفرح و السرور بنسبه الكمال إليها،و لكن بشرط أن يكره من نفسه ذلك الارتياح،و يقهر نفسه و يعاتبها على ذلك،و يجتهد فى إزاله ذلك عنها،إذ مقتضى العقل الفرح بوجود الكمال فيه لا بنسبته اليه،فما ينسب إليه منه إن كان موجودا فيه،فينبغى أن يكون فرحه به لا بنسبته إليه،إذ الانبساط بتصريح رجل بأنك صاحب هذا الكمال حمق و سفه.و إن لم يكن موجودا فيه،فاللازم أن يحزن و يغضب،لكونه استهزاء لا مدحا. و الحاصل:أن العاقل ينبغى ألا يسر بمدح الغير و لا يحزن بذمه،إذ من ملك ياقوته شريفه حمراء أى ضرر عليه إذا قال رجل إنها خرزه،و إذا ملك خرزه أى فائده له إذا قال انها ياقوته.

و منها:

اشاره

الكذب

و هو إما فى القول،أى الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هى عليه و صدوره إما عن العداوه أو الحسد أو الغضب،فيكون من رذائل قوه الغضب،أو من حب المال و الطمع،أو الاعتياد الحاصل من مخالطه أهل الكذب،فيكون من رذائل قوه الشهوه.

أو فى النيه و الاراده،و هو عدم تمحيضها باللّه،بألا يكون اللّه

ص :٣٢٨

سبحانه بانفراده باعث طاعاته و حركاته،بل يمازجه شىء من حظوظ النفس.و هذا يرجع إلى الرياء،و يأتى كونه من رذائل أىّ قوه.

و إما فى العزم،أى الجزم على الخير،و ذلك بأن يعزم على شىء من الخيرات و القربات،و يكون فى عزمه نوع ميل و ضعف و تردد يضاد الصدق فى العزيمه،و هذا أيضا من رداءه قوه الشهوه.

و إما فى الوفاء بالعزم،فان النفس قد تسخو بالعزم فى الحال، لعدم مشقه فى الوعد،فإذا حقت الحقائق،و حصل التمكن،و هاجت الشهوات،انحلت العزيمه،و لم يتفق الوفاء بالعزم،و هذا أيضا من رذائل قوه الشهوه و من أنواع الشره.

و إما فى الأعمال،و هو ان تدل أعماله الظاهره على أمر فى باطنه لا يتصف هو به،أى لا يكون باطنه مثل ظاهره و لا خيرا منه.و هذا غير الرياء،لأن المرائى هو الذى يقصد غير اللّه تعالى فى أعماله،و رب واقف على هيئه الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهده غيره سبحانه و لكن قلبه غافل عن اللّه و عن الصلاه،فمن نظر إلى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع و الاستكانه،يظن انه بشراشره منقطع إلى جناب ربه،و حذف ما سواه عن صحيفه قلبه،و هو بكليته عنه تعالى غافل،و إلى أمره من أمور الدنيا متوجه.و كذلك قد يمشى الرجل على هيئه الطمأنينه و الوقار،بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينه و الوقار،مع ان باطنه ليس موصوفا بذلك.فمثل ذلك كاذب فى عمله،و ان لم يكن مرائيا ملتفتا إلى الخلق، و لا نجاه من هذا الكذب إلا باستواء السريره و العلانيه،أو كون الباطن أحسن من الظاهر.و هذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوه الشهوه،و ربما كان من رذائل قوه الغضب،و ربما كان من رداءه القوه المدركه،بأن كان باعثه مجرد الوساوس.

و أما فی مقامات الـدین،کالکذب فی الخوف و الرجاء،و الزهد و التقوی،و الحب و التعظیم،و التوکل و التسلیم،و غیر ذلک من الفضائل الخلقیه،فان لها مبادئ یطلق الاسم بظهورها،ثم لها حقائق و لوازم و غایات و الصادق المحقق من نال حقائقها و لوازمها و غایاتهـا،فمن لم یبلغهـا کـان کاذبـا فیها.مثلاـ الخوف من اللّه تعـالی له مبـدأ هو الایمـان به سبحانه و حقیقه هو تـألم الباطن و احتراقه،و لوازم و آثار هی اصفرار اللون و ارتعاد الفرائض و تکدر العیش و تقسم الفکر و غیر ذلک،و غایات هی الاجتناب عن المعاصـی و السیئات و المـواظبه علی الطاعـات و العبـادات،فمن آمن بـاللّه تعـالی صـدق علیه کـونه خائفـا منه خوفـا یطلق علیه الاـسم،إلاـ أنه إن لم تکن معه حرقه القلب و تکـدر العیش و التشـمر للعمـل کـان خوفـا کاذبـا، و إن کـان معه ذلک کان خوفا صادقـا،أی بالغـا درجه الحقیقه ،قـال أمیر المؤمنین-صـلوات اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکـذب،فان کل راج طالب،و کل خائف هارب» (۱):أی لاـ تکـذبوا فی ادعـائکم الرجـاء و الخوف من اللّه،و ذلک لأن کل راجع طالب لما یرجو،ساع فی أسبابه،و أنتم لسـتم کذلک،و کل خائف هارب مما یخاف منه،مجتنب مما یقربه منه،و أنتم لستم کذلک،و هذا مثل قوله علیه السلام فی نهج البلاغه:«کـذب و اللّه العظیم ما باله لا یتبین رجاءه فی عمله!و کل من رجا عرف رجاؤه إلا رجاء اللّه، فانه مـدخول،و کل خوف محقق إلا خوف اللّه فانه معلول...» (۲).

۱- ۱) صححنا الروایه علی(أصول الکافی):باب الکذب،و علی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۹،باب الکذب.

۲- ۲) هذا الکلام مروی فی(الوافی):۳-۴۰۹ باب الکذب.و فی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۵.و هو مروی عن(نهج البلاغه)کما صرح به العلامه المجلسی. -قدس سره-فی الموضع المذکور.

ثم الکـذب فی کـل مقـام لمـا کان راجعا إلی عـدمه،فیکون رذیله متعلقه بالقوه التی فی هـذا المقام فضـیله متعلقه بها.و بما ذکر یظهر:أن من له مبـدأ الایمـان،اعنی الإقـرار بالشـهادتین،و کـان فاقـدا لحقیقته، اعنی الیقین القطعی بالمبـدإ و المعاد،أو للوازمه و غایـاته،اعنی الخوف الصـادق منه تعـالی و التعظیم الحقیقی له سـبحانه و الاهتمـام البالغ فی امتثال أوامره و نواهیه،کان کاذبا فی دعوی الایمان.

فصل ذم الکذب

الکذب أقبح الذنوب و أفحشها،و أخبث العیوب و أشنعها،قال اللّه سبحانه:

إِنَّمٰا یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ

(۱)

.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفٰاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلیٰ یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ بِمٰا أَخْلَفُوا اللّٰهَ مٰا وَعَدُوهُ وَ بِمٰا کٰانُوا یَکْذِبُونَ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکذب،فان الکذب یهدی إلی الفجور،و الفجور یهدی إلی النار».و قال صـلی اللّـه علیـه و آلـه:«المـؤمن إذا کـذب مـن غیر عـذر لعنه سـبعون الـف ملـک، و خرج من قلبه نتن حـتی یبلـغ العرش،فیلعنه حمله العرش،و کتب اللّه

ص: ۳۳۱

۱- ۱) النحل،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) التوبه،الآیه:۷۸.

عليه بتلك الكذبه سبعين زنيه،أ هونها كمن زنى مع أمه» (۱).و سئل صلى اللّه عليه و آله-:«يكون المؤمن جبانا؟قال:نعم!قيل:و يكون بخيلا؟قال:نعم!قيل و يكون كذابا؟قال:لا!»و قال صلى اللّه عليه و آله:«كبرت خيانه أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق و أنت له به كاذب».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الكذب ينقص الرزق».و قال صلى اللّه عليه و آله:«ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم!ويل له ويل له!».و قال صلى اللّه عليه و آله:

«رأيت كأن رجلا جاءنى،فقال لى:قم،فقمت معه،فإذا أنا برجلين أحدهما قائم و الآخر جالس،و بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله،ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان،فقلت للذى أقامنى:ما هذا؟فقال:

هذا رجل كذاب،يعذب فى قبره إلى يوم القيامه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«ألا أخبركم باكبر الكبائر:الإشراك باللّه،و عقوق الوالدين، و قول الزور»:أى الكذب.و قال صلى اللّه عليه و آله-:«إن العبد ليكذب الكذبه فيتباعد الملك منه مسيره ميل من نتن ما جاء به». و قال صلى اللّه عليه و آله:«إن للشيطان كحلا و لعوقا و نشوقا.فاما لعوقه فالكذب،و أما نشوقه فالغضب،و أما كحله فالنوم» (۲).و قال روح اللّه لأصحابه:«من كثر كذبه ذهب بهاؤه»،و قال أمير المؤمنين عليه

۱- ۱) صححنا هذين الحديثين على(جامع الأخبار):الباب ۱۲ الفصل ۷.

۲- ۲) مثل مضمون هذه الروايه ورد فى(الوسائل)فى الموضع الآتى الباب ۱۳۸ و فى(المستدرك)فى الموضع الآتى و فى(سفينه البحار):۲:۴۷۳،و فيه اختلاف عما فى نسخ(جامع السعادات)،فان الموجود بهذه الكتب بهذا النص:«ان لا بليس كحلا و لعوقا و سعوطا،فكحله النعاس،و لعوقه الكذب،و سعوطه الكبر».

السلام: «لا يجد العبد طعم الايمان حتى يترک الكذب،هزله وجده».

و قال عليه السلام:«أعظم الخطايا عند اللّه اللسان و الكذب،و شر الندامه ندامه يوم القيامه».و قال على بن الحسين-عليهما السلام-:«اتقوا الكذب الصغير منه و الكبير فى كل جد و هزل،فان الرجل إذا كذب فى الصغير اجترأ على الكبير».و قال أبو جعفر عليه السلام:«إن اللّه عز و جل جعل للشر أقفالا،و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب،و الكذب شر من الشراب».و قال عليه السلام:«الكذب هو خراب الايمان» و قال عليه السلام:«إن أول من يكذب الكذاب اللّه عز و جل،ثم الملكان اللذان معه،ثم هو يعلم أنه كاذب».و قال الامام الزكى العسكرى عليه السلام:«جعلت الخبائث كلها فى بيت،و جعل مفتاحها الكذب» و الأخبار الوارده فى ذم الكذب أكثر من أن تحصى.و أشد أنواع الكذب إثما و معصيه الكذب على اللّه و على رسوله و على الأئمه،و كفاه ذما أنه يبطل الصوم،و يوجب القضاء و الكفاره على الاقوى.قال الصادق عليه السلام:«إن الكذبه لتفطر الصائم»،قال الراوى:و أينا لا يكون ذلك منه،قال:«ليس حيث ذهبت،إنما الكذب على اللّه تعالى و على رسوله و على الأئمه-عليهم السلام-».و قال عليه السلام:«الكذب على اللّه و على رسوله و على الأوصياء-عليهم السلام-من الكبائر».و ذكر عنده عليه السلام الحائك،و كونه ملعونا،فقال:«إنما ذلك الذى يحوك الكذب على اللّه و على رسوله».و قال الباقر عليه السلام:«لا تكذب علينا كذبه،فتسلب الحنيفيه» (۱).

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث هنا على(الوسائل):الباب ۱۳۸-۱۴۰ من ابواب أحكام العشره،و على(المستدرک):۲-۱۰۰-۱۰۲ و على(أصول الكافى) باب الكذب،و على(البحار):۳ مج ۱۵-۳۵،باب الكذب.

فصل مسوغات الكذب

الكذب حرام،لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره،أو لايجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع،فيصير سببا لجهله.و هذا القسم مع كونه أهون الدرجات و أقلها إثما،محرم أيضا،إذ إلقاء خلاف الواقع على الغير و سببيه جهله غير جائز،إلا أنه إذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحه مهمه،و لم يمكن التوصل إليها بالصدق،زالت حرمته و ارتفع اثمه فان كانت المصلحه مما يجب تحصيلها،كانقاذ مسلم من القتل و الاسر او حفظ عرضه او ماله المحترم،كان الكذب فيه واجبا.و ان كانت راجحه غير بالغه حد الوجوب،فالكذب لتحصيلها مباح أو راجح مثلها كالاصلاح بين الناس و الغلبه على العدو فى الحرب،و تطييب خاطر امرأته و استرضائها و قد وردت الأخبار المتكثره بجواز الكذب إذا توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثه،كما روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-لم يرخص فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث:الرجل يقول القول يريد به الإصلاح،و الرجل يقول القول فى الحرب،و الرجل يحدث امرأته و المرأه تحدث زوجها»،و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل الكذب يكتب على ابن آدم،إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:كل الكذب مكتوب كذبا لا محاله إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما،أو يحدث امرأته يرضيها».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا كذب على المصلح».و قال الصادق-عليه السلام-

ص:٣٣۴

«كل كذب مسئول عنه صاحبه يوما،إلا كذبا فى ثلاثه:رجل كايد فى حروبه،فهو موضوع عنه.أو رجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا،يريد بذلك الإصلاح ما بينهما.أو رجل وعد أهله شيئا و هو لا يريد أن يتم لهم».و قال-عليه السلام-:«الكلام ثلاثه:

صدق و كذب،و إصلاح بين الناس»،قيل له:ما الإصلاح بين الناس قال:«تسمع فى الرجل كلاما يبلغه فيخبث نفسه،فتلقاه و تقول:قد سمعت من فلان فيك من الخير كذا و كذا،خلاف ما سمعت منه» (۱)و قد تقدمت اخبار اخر فى هذا المعنى.

و هذه الأخبار و إن اختصت بالمقاصد الثلاثه،إلا أن غيرها من المقاصد الضروريه التى فوقها أو مثلها فى المصلحه يلحقها من باب الأولويه أو اتحاد الطريق.و الأخبار التى وردت فى ذم هتك السر و كشف العيوب و الفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع،و إن كان مطلعا مع كونه كذبا،فلا اثم على أحد بصدور الكذب عنه إذا كان وسيله إلى شىء من المقاصد الصحيحه الضروريه له أو لغيره من المسلمين،فان أخذه ظالم و سأله عن ماله فله أن ينكر،و إن أخذه سلطان و سأله عن فاحشه ارتكبها بينه و بين اللّه فله أن ينكر،و إن سئل عما يعلمه عن عيب أخيه أو سره فله أن ينكره،و لو وقع بين اثنين فساد فله أن يكذب،توسلا إلى الإصلاح بينهما و كذا يجوز له للاصلاح بين الضرات من نسائه أن يظهر لكل واحده أنها أحب إليه،و إن كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد ما لا يقدر عليه،يجوز أن يعدها فى الحال تطييبا لقلبها،و إن لم يكن صادقا

---

۱ - ۱) صححنا هذه الأخبار على(أصول الكافى):باب الكذب.و(الوسائل): كتاب الحج،الباب ۱۴۱ من ابواب العشره،و(كنز العمال):۲-۱۲۸.و (احياء العلوم):۳-۱۱۹.

فی وعده.و یلحق بالنساء الصبیان،فان الصبی إذا لم یرغب فیما یؤمر به من الکتابه و غیرها إلا بوعد أو وعید و تخویف،کان ذلک جائزا، و إن لم یکن فی نیته الوفاء به.و کذا لو تکدر منه انسان،و کان لا یطیب قلبه إلا بالاعتذار إلیه،بانکار ذنب و إظهار زیاده تودد،کان ذلک جائزا و إن لم یکن صدقا.

و الحاصل:أن الکذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز،بشرط صحه القصد.و قد ورد:ان الکذب المباح یکتب و یحاسب علیه لتصحیح قصده،فان کان قصده صحیحا یعفی،و إلا یؤاخذ به.فینبغی ان یجهد فی تصحیح قصده،و ان یحترز عنه ما لم یضطر إلیه،و یقتصر فیه علی حد الواجب،و لا یتعدی إلی ما یستغنی عنه.

و لا ریب فی أن ما یجب و یضطر إلیه هو الکذب لأمور فی فواتها محذور و اضرار،و لیس کل الکذب لزیاده المال و الجاه و غیره ذلک مما یستغنی عنه،فانه محرم قطعا،إذ فواته لا یوجب ضررا و فسادا و اعداما للموجود بل إنما یوجب فوت حظ من حظوظ النفس.و کذلک فتوی العالم بما لا یحققه و فتوی من لیس له اهلیه الافتاء،إظهارا للفضل أو طلبا للجاه و المال،بل هو أشد أنواع الکذب إثما و حرمه،لأنه مع کونه کذبا لا یستغنی عنه،کذب علی اللّه و علی رسوله.

فالکذب إذا کان وسیله إلی ما یستغنی عنه حرام مطلقا،و إذا کان وسیله إلی ما لا یستغنی عنه ینبغی أن یوازن (1)محذور الکذب مع محذور

ص:336

1- 1) لم یثبت لهذه الموازنه علی عمومها دلیل من الشرع،و کل ما ثبت منه تلک المواضع المذکوره آنفا،التی جاز فیها الکذب،و هی:الإصلاح و الحرب و الزوجه،و فی الحصر بالمواضع الثلاثه فی الروایات المتقدمه دلیل علی عدم جواز الکذب فی غیرها،لا سیما مثل قوله-علیه السلام-:«کل کذب مسئول عنه صاحبه یوما،إلا کذبا فی ثلاثه...»و لکن ثبت استثناء بعض المواضع،کدفع الظلم، فلا یتعداها.

الصدق،فیترک أشدهما وقعا فی نظر الشرع.و بیان ذلک:أن الکذب فی نفسه محذور،و الصدق فی المواضع المذکوره یوجب محذورا،فینبغی أن یقابل أحد المحذورین بالآخر،و یوازنا بالمیزان القسط،فان کان محذور الکذب أهون من محذور الصدق فله الکذب،و ان کان محذور الصدق أهون وجب الصدق،و قد یتقابل المحذوران بحیث یتردد فیهما،و حینئذ فالمیل إلی الصدق أولی،إذ الکذب أصله الحرمه،و إنما یباح بضروره أو حاجه مهمه،و إذا شک فی کون الحاجه مهمه،لزم الرجوع إلی أصل التحریم.

تنبیه التوریه و المبالغه

کل موضع یجوز فیه الکذب،إن أمکن عدم التصریح به و العدول الی التعریض و التوریه،کان الأولی ذلک.و ما قیل:إن فی المعاریض لمندوحه عن الکذب،و إن فیها ما یغنی الرجل عن الکذب،لیس المراد به أنه یجوز التعریض بدون حاجه و اضطرار،إذ التعریض بالکذب یقوم مقام التصریح به،لأن المحذور من الکذب تفهیم الشیء علی خلاف ما هو علیه فی نفسه،و هذا موجود فی الکذب بالمعاریض.فالمراد أن التعریض یجوز إذا اضطر الإنسان إلی الکذب،و مست الحاجه إلیه،و اقتضته المصلحه فی بعض الأحوال فی تأدیب النساء و الصبیان و من یجری مجراهم

و فی الحذر عن الظلمه و الاشرار فی قتال الأعداء.فمن اضطر إلی الکذب فی شیء من ذلک فهو جائز له،لأن نطقه فیه إنما هو علی مقتضی الحق و الدین،فهو فی الحقیقه صادق،و إن کان کلامه مفهما غیر ما هو علیه لصدق نیته و صحه قصده و إرادته الخیر و الصلاح،فمثل هذا النطق لا یکون خارجا عن حقیقه الصدق،إذ الصدق لیس مقصودا لذاته،بل للدلاله علی الحق،فلا ینظر إلی قالبه و صورته،بل إلی معناه و حقیقته.نعم، ینبغی له فی هذه المواضع أن یعدل إلی المعاریض ما وجد إلیه سبیلا یصدق اللفظ حینئذ أیضا و إن کان متشارکا مع التصریح فی تفهیم الشیء علی خلاف ما هو علیه فی الواقع.و قد کان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- اذا توجه إلی سفر و راه بغیره،لئلا ینتهی الخبر إلی الأعداء فیقصدونه.

و مما یدل علی جواز التعریض مع صحه النیه،ما روی فی الاحتجاج «أنه سئل الصادق-علیه السلام-عن قول اللّه تعالی فی قصه إبراهیم -علیه السلام-:

قٰالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذٰا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كٰانُوا يَنْطِقُونَ

(۱)

.

قال:ما فعله کبیرهم و ما کذب إبراهیم.قیل:و کیف ذلک؟ فقال:إنما قال إبراهیم فاسألوهم إن کانوا ینطقون،أی إن نطقوا فکبیرهم فعل،و إن لم ینطقوا فلم یفعل کبیرهم شیئا،فما نطقوا و ما کذب إبراهیم-علیه السلام-و سئل عن قوله تعالی:

أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسٰارِقُونَ (۲).

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۶۳.

۲- ۲) یوسف،الآیه:۷۰.

قال:انهم سرقوا يوسف من أبيه،ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا:ما ذا تفقدون؟قالوا:نفقد صواع الملک،و لم يقولوا:سرقتم صواع الملک،انما سرقوا يوسف من أبيه».«و سئل عن قول إبراهيم:

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِی النُّجُومِ. فَقٰالَ إِنِّی سَقِيمٌ

(۱)

.

قال:ما کان إبراهيم سقيما،و ما کذب،انما عنی سقيما فی دينه، ای مرتادا».

و طريق التعريض و التوريه:أن يخبر المتکلم المخاطب بلفظ ذی احتمالين أحدهما غير مطابق للواقع و اظهر فی المقام،فيحمله المخاطب عليه،و ثانيهما مطابق له يريده المتکلم،کما ظهر من خبر الاحتجاج.و من أمثلته:أنه اذا طلبک ظالم و أنت فی دارک و لا تريد الخروج إليه،أن تقول لأحد أن يضع اصبعه فی موضع و يقول:ليس ههنا.و إذا بلغ عنک شیء إلی رجل،و أردت تطييب قلبه من غير أن تکذب،تقول له:ان اللّه ليعلم ما قلت من ذلک من شیء،علی أن يکون لفظه(ما)عندک للابهام، و عند المستمع للنفی.و قد ظهر مما ذکر:أن کل تعريض لغرض باطل کالتصريح فی عدم الجواز،لأن فيه تقريرا للغير علی ظن کاذب.نعم قد تباح المعاريض لغرض خفيف،کتطييب قلب الغير بالمزاح،کقول النبی-صلی اللّه عليه و آله-:«لا تدخل الجنه عجوز»و«فی عين زوجک بياض»و«نحملک علی ولد بعير»...و قس عليه أمثال ذلک و من الکذب الذی يجوز و لا يوجب الفسق،ما جرت به العاده فی المبالغه،کقولک:قلت لک کذا مائه مره،و طلبتک مائه مره.و أمثال ذلک لأنه لا يراد بذلک تفهيم المرات بعددها،بل تفهيم المبالغه.فان لم

۱- ۱) الصافات،الآيه:۸۸،۸۹.

يكن طلبه إلا مره واحده كان كاذبا،و ان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثره فلا يأثم،و ان لم تبلغ مائه.

و من الكذب الذى لا اثم عليه ما يكون فى أنواع المجاز و الاستعارات و التشبيهات،إذ الغرض تفهيم نوع من المناسبه و المبالغه،لا دعوى الحقيقه و المساواه من جميع الجهات.

و من الكذب الذى جرت العاده به،و يتساهل فيه،قول الرجل اذا قيل له:كل الطعام:(لا اشتهيه)،مع كونه مشتهيا له.و هذا منهى عنه كما تدل عليه بعض الاخبار،إلا إذا كان فيه غرض صحيح، و ما جرت العاده به قول الرجل:(اللّه يعلم)فيما لا يعلمه،و هو أشد أنواع الكذب،قال عيسى-عليه السلام-:«إن من أعظم الذنوب عند اللّه ان يقول العبد:ان اللّه يعلم لما لا يعلم».و من الكذب الذى عظم ذنبه و يتساهل فيه،الكذب فى حكايه المنام،قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-«إن من أعظم الفريه ان يدعى الرجل إلى غير أبيه، أو يرى عينيه فى المنام ما لم ير،أو يقول على ما لم أقل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من كذب فى حلم،كلف يوم القيامه أن يعقد بين شعرتين».

تذنيب شهاده الزور،اليمين الكاذب،خلف الوعد

من أنواع الكذب و افحشها:شهاده الزور،و اليمين الكاذب، و خلف الوعد.

و یدل علی ذم الأول قوله تعالی فی صفه المؤمنین:

وَ الَّذِینَ لاٰ یَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِرٰاماً

(۱)

.

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«شاهد الزور کعابد الوثن» و علی ذم الثانی قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«التجار هم الفجار!»فقیل:یا رسول اللّه،أ لیس اللّه قد أحل البیع؟فقال:

«نعم!و لکنهم یحلفون فیأثمون،و یحدثون فیکذبون»و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث نفر لا یکلمهم اللّه یوم القیامه و لا ینظر إلیهم و لا یزکیهم:المنان بعطیته،و المنفق سلعته بالحلف الفاجر،و المسبل إزاره» و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ما حلف حالف باللّه فادخل فیها جناح بعوضه،إلا کانت نکته فی قلبه إلی یوم القیامه»، و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث یشنأهم اللّه:التاجر او البایع الحلاف،و الفقیر المختال،و البخیل المنان».

و علی ذم الثالث قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و بالیوم الآخر فلیف إذا وعد».و قول الصادق-علیه السلام- «عده المؤمن أخاه نذر لا کفاره له،فمن اخلف فبخلف اللّه تعالی بدأ و لمقته تعرض،و ذلک قوله تعالی:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ. کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ

(۲)

.

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۷۲.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أربع من كن فيه كان منافقا و من كانت فيه خله منهن كانت فيه خله من النفاق،حتى يدعها:اذا حدث كذب،و إذا وعد اخلف،و إذا خاصم فجر».

فمن وعد و كان عند الوعد عازما على ألا يفى،أو كان عازما على الوفاء و تركه بدون عذر،فهو منافق.و أما إن عن له عذر من الوفاء،لم يكن منافقا و آثما.و ان جرى عليه ما هو صوره النفاق،فالأولى أن يحترز عن صوره النفاق أيضا كما يحترز عن حقيقته،و ذلك بألا يجزم فى الوعد، بل يعلقه على المشيه و مثلها.

ايقاظ علاج الكذب

طريق معالجه الكذب:أولا-أن يتأمل فى ما ورد فى ذمه من الآيات و الاخبار،ليعلم أنه لو لم يتركه لادركه الهلاك الابدى.ثم يتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب فى الدنيا و لا يعتنى أحد بقوله،و كثيرا ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه.و من أسباب افتضاحه أن اللّه سبحانه يسلط عليه النسيان،حتى أنه لو قال شيئا ينسى أنه قاله،فيقول خلاف ما قاله،فيفتضح،و إلى ذلك أشار الصادق-عليه السلام-بقوله:«إن مما أعان اللّه به على الكذابين النسيان».ثم يتأمل فى الآيات و الاخبار الوارده فى مدح ضده،أعنى الصدق كما يأتى،و بعد ذلك ان لم يكن عدوا لنفسه،فليقدم التروى فى كل كلام يريد أن يتكلم به،فان كان كذبا يتركه و ليجتنب مجالسه الفساق و أهل الكذب،و يجالس الصلحاء و أهل الصدق.

وصل الصدق و مدحه

ضد الكذب الصدق.و هو أشرف الصفات المرضيه،و رئيس الفضائل النفسيه،و ما ورد فى مدحه و عظم فائدته من الآيات و الأخبار مما لا يمكن احصاؤه،قال اللّه سبحانه:

رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ

(۱)

.و قال:

اِتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ

(۲)

.و قال: اَلصّابِرِينَ وَ الصّادِقِينَ وَ الْقانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ (۳)و قال سبحانه: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا -الى قوله- أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ (۴).و قال عز و جل: وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ .

ثم قال: وَ الصّابِرِينَ فِى الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا (۵).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«تقبلوا الى بست أتقبل

ص :۳۴۳

۱- ۱) الأحزاب،الآيه ۲۳.

۲- ۲) التوبه،الآيه ۱۲۰.

۳- ۳) آل عمران ۱۷.

۴- ۴) الحجرات،الآيه ۱۵.

۵- ۵) البقره الآيه ۱۷۷.

لکم بالجنه:اذا حدث أحدکم فلا یکذب،و إذا وعد فلا یخلف،و إذا ائتمن فلا یخن و غضوا أبصارکم،و کفوا أیدیکم،و احفظوا فروجکم» و عن الصادقین-علیهما السلام-:«ان الرجل لیصدق حتی یکتبه اللّه صدیقا». و عن الصادق علیه السلام قال:«کونوا دعاه الناس بالخیر بغیر ألسنتکم،لیروا منکم الاجتهاد و الصدق و الورع».و عنه علیه السلام «من صدق لسانه زکی عمله،و من حسنت نیته زید فی رزقه،و من حسن بره بأهل بیته مد له فی عمره».و عنه علیه السلام قال:«لا تنظروا الی طول رکوع الرجل و سجوده،فان ذلک شیء اعتاده،و لو ترکه لاستوحش لذلک،و لکن انظروا إلی صدق حدیثه و أداء أمانته».و قال علیه السلام لبعض أصحابه:«انظر إلی ما بلغ به علی-علیه السلام-عند رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فالزمه،فان علیا-علیه السلام-انما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه بصدق الحدیث و أداء الأمانه».و عنه-علیه السلام-قال:«إن اللّه لم یبعث نبیا إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه الی البر و الفاجر» (۱) و قال-علیه السلام-:«أربع من کن فیه کمل ایمانه و لو کان ما بین قرنه إلی قدمه ذنوب لم ینقصه ذلک-قال-هی الصدق،و أداء الأمانه،و الحیاء،و حسن الخلق».و قد وردت بهذه المضامین اخبار کثیره اخر. و من أنواع الصدق فی الشهاده،و هو ضد شهاده الزور و الصدق فی الیمین،و هو ضد الکذب فیه،و الوفاء بالعهد و هو ضد خلف الوعد،و هذا القسم من الصدق،اعنی الوفاء بالعهد،

---

۱ - ۱) صححنا اغلب الأحادیث علی(أصول الکافی):باب الصدق و أداء الأمانه.و علی(الوسائل):کتاب الحج،باب وجوب الصدق و علی(المستدرک) ۲-۸۴-۸۹.

أفضل أنواع الصدق القولی و أحبها،و لذا اثنی اللّه تعالی علی نبیه إسماعیل به،و قال:

إِنَّهُ کٰانَ صٰادِقَ الْوَعْدِ وَ کٰانَ رَسُولاً نَبِیًّا

(۱)

.

قیل:انه واعد إنسانا فی موضع فلم یرجع إلیه،فبقی اثنین و عشرین یوما فی انتظاره.و روی:«أنه بایع رجل رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و وعده أن یأتیه فی مکانه ذلک،فنسی وعده فی یومه و غده، و أتاه فی الیوم الثالث و هو فی مکانه»و قال رسول اللّه:«العده دین» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«الوأی-أی الوعد-مثل الدین أو أفضل».

تکمیل أقسام الصدق

اشاره

الصدق کالکذب له أنواع سته:

الأول-الصدق فی القول،

و هو الاخبار عن الأشیاء علی ما هی علیه،و کمال هذا النوع بترک المعاریض من دون ضروره،حذرا من تفهیم الخلاف و کسب القلب صوره کاذبه،و رعایه معناه فی الفاظه التی یناجی بها اللّه سبحانه،فمن قال:«وجهت وجهی للذی فطر السماوات و الأرض»و فی قلبه سواه،أو قال:«إیاک نعبد»و هو یعبد الدنیا بتقید قلبه بها،إذ کل من تقید قلبه بشیء فهو عبد له،کما دلت علیه الاخبار،فهو کاذب.

الثانی-الصدق فی النیه و الاراده،

و یرجع ذلک إلی الإخلاص،

۱- ۱) مریم،الآیه ۵۴.

و هو تمحیض النیه و تخلیصها للّه،بألا یکون له باعث فی طاعاته،بل فی جمیع حرکاته و سکناته،إلا اللّه.فالشوب یبطله و یکذب صاحبه.

الثالث-الصدق فی العزم،

أی الجزم علی الخیر:فان الإنسان قد یقدم العزم علی العمل،و یقول فی نفسه:إن رزقنی اللّه کذا تصدقت منه کذا،و إن خلصنی اللّه من تلک البلیه فعلت کذا.فان کان فی باطنه جازما علی هذا العزم،مصمما علی العمل بمقتضاه،فعزمه صادق،و إن کان فی عزمه نوع میل و ضعف و تردد،کان عزمه کاذبا،إذ التردد فی العزیمه یضاد الصدق فیها،و کان الصدق هنا بمعنی القوه و التمامیه، کما یقال:لفلان شهوه صادقه،أی قوه تامه،أو شهوه کاذبه،أی ناقصه ضعیفه.

الرابع-الصدق فی الوفاء بالعزم:

فان النفس قد تسخو بالعزم فی الحال،إذ لا مشقه فی الوعد،فإذا حان حین العمل بمقتضاه،هاجت الشهوات و تعارضت مع باعث الدین،و ربما غلبته بحیث انحلت العزیمه و لم یتفق الوفاء بمتعلق الوعد،و هذا یضاد الصدق فیه،و لذلک قال اللّه سبحانه:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَیْهِ

(۱)

.

الخامس-الصدق فی الاعمال:

و هو تطابق الباطن و الظاهر و استواء السریره و العلانیه،أو کون الباطن خیرا من الظاهر،بألا تدل أعماله الظاهره علی أمر فی باطنه لا یتصف هو به،لا بأن یترک الاعمال،بل بأن یستجر الباطن إلی تصدیق الظاهر.و هذا أعلی مراتب الإخلاص، لإمکان تحقق نوع من الإخلاص بما دون ذلک،و هو أن یخالف الباطن

۱- ۱) الأحزاب،الآیه ۲۳.

الظاهر من دون قصد،فان ذلک لیس ریاء فلا یمتنع صدق اسم الإخلاص علیه.

توضیح ذلک:أن الریاء هو أن تقصد غیر اللّه سبحانه فی الاعمال و قد تصدر عن انسان اعمال ظاهره تدل علی أنه صاحب فضیله باطنه، من التوجه إلی اللّه و الانس به،أو السکینه و الوقار،أو التسلیم و الرضا و غیر ذلک،مع أنه فاقد لها،لحصول الغلبه المانعه عن تحققها،أو اتفاق صدور الاعمال الظاهره بهذه الهیئه من دون أن یقصد بها مشاهده غیره سبحانه،فهذا غیر صادق فی عمله،کاذب فی دلاله الظاهر علی الباطن و إن لم یکن مرائیا و لا ملتفتا إلی الخلق،فاذن مخالفه الظاهر للباطن ان کانت من قصد سمیت ریاء،و یفوت بها الإخلاص،و ان کانت من غیر قصد سمیت کذبا و یفوت بها الصدق،و ربما لم یفت بها بعض مراتب الإخلاص.و هذا النوع من الصدق-اعنی مساواه السر و العلانیه أو کونه خیرا منها-أعز من الانواع السابقه علیه،و لذلک کرر طلبه من اللّه سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله-فی دعواته بقوله:«اللهم اجعل سریرتی خیرا من علانیتی،و اجعل علانیتی صالحه» و ورد:«أنه إذا ساوت سریره المؤمن علانیته،باهی اللّه به الملائکه،یقول:هذا عبدی حقا!».و کان بعض الأکابر یقول:«من یدلنی علی بکاء باللیل بسام بالنهار؟».و لنعم ما قیل:

اذا السر و الاعلان فی المؤمن استوی

فقد عز فی الدارین و استوجب الثنا

و ان خالف الاعلان سرا فما له علی سعیه فضل سوی الکد و العنا

کما خالص الدینار فی السوق نافق و مغشوشه المردود لا یقتضی المنی

و من جمله هذا الصدق:موافقه القول و الفعل،فلا یقول ما لا یفعل و لا یأمر بما لا یعمل.فمن وعظ و لم یتعظ فی نفسه کان کاذبا.و من

هنا قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«انى و اللّه ما احثكم على طاعه إلا و اسبقكم إليها،و لا انهاكم عن معصيه إلا و أتناهى قبلكم عنها».

السادس-الصدق فى مقامات الدين:

من الصبر،و الشكر،و التوكل و الحب،و الرجاء،و الخوف،و الزهد،و التعظيم،و الرضا،و التسليم، و غير ذلك.و هو أعلى درجات الصدق و أعزها،فمن اتصف بحقائق هذه المقامات و لوازمها و آثارها و غاياتها فهو الصديق الحق،و من كان له فيها مجرد ما يطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها و آثارها و غاياتها فهو كاذب فيها.أما ترى أن من خاف سلطانا أو غيره كيف يصفر لونه و يتعذر عليه أكله و نومه و يتنغص عليه عيشه و يتفرق عليه فكره و ترتعد فرائصه و تتزلزل اركانه و جوانبه؟و قد ينزح عن وطنه و يفترق عن أهله و ولده،فيستبدل بالأنس الوحشه،و بالراحه التعب و المشقه،فيعترض للاخطار و يختار مشقه الاسفار،كل ذلك من درك المحذور.فمثل هذا الخوف هو الخوف الصادق المحقق.ثم إن من يدعى الخوف من اللّه أو من النار و لا يظهر عليه شىء من ذلك عند إراده المعصيه و صدورها عنه،فخوفه خوف كاذب،قال النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«لم أر مثل النار نام هاربها،و لم ار مثل الجنه نام طالبها».

ثم لا غايه لهذه المقدمات حتى يمكن لأحد أن ينال غايتها،بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله و مرتبته،فمعرفه اللّه و تعظيمه و الخوف منه غير متناهيه،فلذلك لما رأى النبى-صلى اللّه عليه و آله-جبرئيل على صورته الاصليه،خر مغشيا عليه،و قال-بعد عودته إلى صورته الأولى و افاقته- «ما ظننت أحدا من خلق اللّه هكذا!قال له:فكيف لو رأيت أسرافيل إن العرش على كاهله،و ان رجليه قد مرقتا تخوم الأرضين السفلى،و أنه ليتصاغر من عظمه اللّه حتى يصير كالوصع!»:أى كالعصفور الصغير

و قـال-صـلى اللّه عليه و آله-:«مررت ليله أسـرى بى-أنـا و جبرئيـل- بالملإ الأعلى كالحلس البالى من خشـيه اللّه»:اى كالكساء الذى يلقى على ظهر البعير.

فـانظر إلى اعـاظم الملائكه و النـبين،كيـف تصـير حـالهم من شـده الخشـيه و التعظيم،و هـذا انمـا هو لقوه معرفتهم بعظمه اللّه و جلاله،و فوق ما لم يدركوه من عظمته و قدرته مراتب غير متناهيه.فاختلاف الناس فى مراتب الخوف و التعظيم و الحب و الانس إنما هو بحسب اختلافهم فى معرفه اللّه، و ليس يمكن أن يوجد من بلغ غايتها،فاختلاف الناس إنما هو فى القدر الذى يمكن أن يبلغ إليه،و البلوغ إليه فى الجميع أيضا نادر،فالصادق فى جميع المقامات عزيز جدا.

و من علامـات هـذا الصـدق:كتمان المصائب و الطاعات جميعا،و كراهه اطلاع الخلق عليها.و قـد روى:«ان اللّه تعالى أوحى إلى موسـى-عليه السـلام-:إنى إذا أحببت عبـدا ابتليته ببلايا لا تقوى لها الجبال،لأنظر كيف صـدقه،فان وجـدته صابرا اتخـذته وليا و حبيبا،و ان وجدته جزوعا يشكونى إلى خلقى خذلته و لم أبال».و قال الصادق-عليه السلام-:

«اذا أردت أن تعلم أ صادق أنت أم كاذب،فانظر فى صدق معناك و عقد دعواك،و عيرهما بقسطاس من اللّه عز و جل كأنك فى القيامه،قال عز و جل:

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

(۱)

.

فإذا اعتـدل معنـاك بغور دعواك ثبت لـك الصـدق.و أدنى حـد الصـدق ألا يخـالف اللسـان القلب و لا القلب اللسان،و مثل الصادق الموصوف بما

ص :۳۴۹

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۷.

ذکرنا کمثل النازع لروحه،إن لم ینزع فما ذا یصنع» (۱).

تنبیه اللسان أضر الجوارح

اعلم أن أکثر ما تقدم من الرذائل المذکوره فی هذا المقام:من الکذب و الغیبه،و البهتان،و الشماته،و السخریه،و المزاح و غیرها،و فی المقام الثالث-اعنی التکلم بما لا یعنی و الفضول و الخوض فی الباطل-من آفات اللسان و هو اضر الجوارح بالإنسان،و أعظمها إهلاکا له،و آفاته أکثر من آفات سائر الأعضاء،و هی و ان کانت من المعاصی الظاهره، إلا أنها تؤدی إلی مساوئ الأخلاق و الملکات.إذ الأخلاق انما ترسخ فی النفس بتکریر الأعمال،و الاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح،و کل جارحه تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحسنه الجالبه للأخلاق الجمیله، و أن تصدر منها الاعمال القبیحه المورثه للأخلاق السیئه،فلا بد من مراعاه القلب و الجوارح معا بصرفهما إلی الخیرات و منعهما من الشرور.و عمده ما تصدر منه الذمائم الظاهره المؤدیه إلی الرذائل الباطنیه هو اللسان،و هو أعظم آفه للشیطان فی استغواء نوع الإنسان،فمراقبته أهم،و محافظته أوجب و ألزم.و السر فیه-کما قیل-:أنه من نعم اللّه العظیمه،و لطائف صنعه الغریبه،فانه و إن کان صغیرا جرمه،عظیم طاعته و جرمه،إذ لا یتبین الایمان و الکفر إلا بشهادته،و لا یهتدی إلی شیء من أمور النشأتین إلا بدلالته،و ما من موجود او معدوم إلا و هو یتناوله و یتعرض له باثبات

۱- ۱) هذا الحدیث فی(مصباح الشریعه):الباب ۷۵ فصححناه علیه.

أو نفی،اذ کل ما یتناوله العلم یعبر عنه اللسان اما بحق أو باطل،و لا شیء إلا و العلم یتناوله.

و هذه خاصیه لا توجد فی سائر الأعضاء،اذ العین لا تصل إلی غیر الالوان و الصور،و الاذن لا تصل إلی غیر الأصوات،و الید لا تصل إلی غیر الأجسام،و کذا سائر الأعضاء،و اللسان رحب المیدان وسیع الجولان لیس له مرد،و لا لمجاله منتهی و لا حد،فله فی الخیر مجال رحب،و فی الشر ذیل سحب،فمن أطلق عذبه اللسان و اهمله مرخی العنان سلک به الشیطان فی کل میدان،و أوقعه فی أودیه الضلاله و الخذلان،و ساقه اللّه شفا جرف هار،الی أن یضطره إلی الهلاک و البوار،و لذلک قال سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله-:«هل یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟» (۱).فلا ینجی من شر اللسان الا أن یقید بلجام الشرع،و لا یطلق الا فیما ینفع فی الدنیا و الآخره،و یکف عن کل ما یخشی غائلته فی العاجله و الآجله،و علم ما یحمد إطلاق اللسان فیه او یذم غامض عزیز،و العمل بمقتضاه علی من عرفه ثقیل عسیر،و هو اعصی الأعضاء علی الإنسان،اذ لا تعب فی تحریکه و لا مؤنه فی إطلاقه فلا یجوز التساهل فی الاحتراز عن آفاته و غوائله،و فی الحذر عن مصائده و حبائله.

و الآیات و الأخبار الوارده فی ذمه و فی کثره آفاته و فی الأمر بمحافظته و التحذیر عنه کثیره،و هی بعمومها تدل علی ذم جمیع آفاته مما مر و مما یأتی.قال اللّه سبحانه:

مٰا یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ

(۲)

.

۱- ۱) رواه فی«أصول الکافی»:باب الصمت و حفظ اللسان،فصححناه علیه.

۲- ۲) ق،الآیه:۱۸.

و قال: لاّ خَيْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ،إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَهٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَیْنَ النّٰاسِ (۱).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من یتکفل لی بما بین لحییه و رجلیه،اتکفل له بالجنه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من وقی شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه،فقد وقی» (۲):و القبقب:البطن و الذبذب الفرج،و اللقلق:اللسان.و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما النجاه؟قال:املک علیک لسانک».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«أکبر ما یدخل الناس النار الاجوفان:الفم،و الفرج»،و المراد بالفم اللسان.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«و هل یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟».و قال له رجل:«ما أخوف ما یخاف علی؟فاخذ بلسانه،و قال:هذا».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «لا یستقیم ایمان عبد حتی یستقیم قلبه،و لا یستقیم قلبه حتی یستقیم لسانه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«اذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء کلها تکفر اللسان،فتقول:اتق اللّه فینا،فانما نحن بک،فان استقمت استقمنا،و إن اعوججت اعوججنا» (۳).«و قال له رجل:اوصنی! فقال-صلی اللّه علیه و آله-:أعبد اللّه کأنک تراه وعد نفسک فی الموتی و ان شئت أنبأتک بما هو أملک لک من هذا کله-و أشار بیده إلی لسانه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ان اللّه عند لسان کل قائل،فلیتق

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۱۳.

۲- ۲) تقدم هذا الحدیث فی ۲-۴.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(کنز العمال):۲-۱۱۱.

اللّه امرؤ على ما يقول».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من لم يحسب كلامه من عمله،كثرت خطاياه و حضر عذابه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«يعذب اللّه اللسان بعذاب لا يعذبه به شيئا من الجوارح.فيقول أى رب!اعذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح.فيقال له:

خرجت منك كلمه بلغت مشارق الأرض و مغاربها،فسفك بها الدم الحرام،و انتهب بها المال الحرام،و انتهك بها الفرج الحرام.و عزتى و جلالى!لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئا من جوارحك!».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:ان كان فى شيء شوم ففى اللسان». و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-لرجل يتكلم بفضول الكلام:«يا هذا! إنك نملى على حافظيك كتابا إلى ربك،فتكلم بما يعنيك،و دع ما لا يعنيك» (۱)و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك،و اعرضه على العقل و المعرفه،فان كان للّه و فى اللّه فتكلم و ان كان غير ذلك فالسكوت خير منه،و ليس على الجوارح عباده اخف مؤنه و أفضل منزله و أعظم قدرا عند اللّه كلام فيه رضى اللّه عز و جل و لوجهه و نشر آلائه و نعمائه فى عباده،ألا أن اللّه لم يجعل فيما بينه و بين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه و مخزونات وحيه غير الكلام،و كذلك بين الرسل و الأمم،فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (و الكلف و العباده) (۲).و كذلك لا معصيه أثقل على العبد و أسرع عقوبه عند اللّه و أشدها ملامه و اعجلها سآمه عند الخلق منه،و اللسان

۱- ۱) صححنا الأحاديث الأربعه على(أصول الكافى):باب الصمت و حفظ اللسان.و على(الوافى):۲-۳۴۰ و على(البحار)۳ مج ۱۵-۱۸۹،۱۸۸، باب السكوت و الصمت.

۲- ۲) و فى نسخ(جامع السعادات):«و الطف العباده».

ترجمان الضمير و صاحب خبر القلب،و به ينكشف ما فى سر الباطن،و عليه يحاسب الخلق يوم القيامه،و الكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير اللّه و ليس شىء أحق بطول السجن من اللسان» (۱)و قال السجاد-عليه السلام-:«إن لسان ابن آدم يشرف فى كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول:كيف اصبحتم؟فيقولون بخير ان تركتنا!و يقولون:اللّه اللّه فينا!و يناشدونه و يقولون:انما نثاب و نعاقب بك».و قال الصادق عليه السلام:«ما من يوم إلا-و كل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان يقول:نشدتك اللّه أن نعذب فيك!» (۲).

تتميم الصمت

لما علمت كون اللسان شر الأعضاء و كثره آفاته و ذمه،فاعلم أنه لا نجاه من خطره إلا بالصمت،و قد أشير فيما سبق:أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان،و بالمواظبه عليه تزول كلها،و هو من فضائل قوه الغضب أو الشهوه،و فضيلته عظيمه و فوائده جسيمه،فان فيه جمع الهم و دوام الوقار،و الفراغ للعباده و الفكر و الذكر،و للسلامه من تبعات القول فى الدنيا و من حسناته فى الآخره.و لذا مدحه الشرع و حث عليه،قال

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۶.

۲- ۲) الحديثان الأخيران مرويان فى(الكافى):باب الصمت.قال فى(الوافى) ۲-۳۴۰:«يكفر اللسان:أى يذل و يخضع.و التكفير:هو ان ينحنى الإنسان و يطأطئ رأسه قريبا من الركوع».

رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«من صمت نجا».و قال:

«الصمت حكم،و قليل فاعله».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من كف لسانه ستر اللّه عورته».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:ألا أخبركم بأيسر العباده و أ هونها على البدن:الصمت و حسن الخلق».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«رحم اللّه عبدا تكلم خيرا فغنم،أو سكت عن سوء فسلم».و جاء إليه-صلى اللّه عليه و آله-أعرابى و قال:«دلنى على عمل يدخلنى الجنه.قال:اطعم الجائع واسق الظمان،و أمر بالمعروف،و انه عن المنكر،فان لم تطق، فكف لسانك إلا من خير».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«اخزن لسانك إلا من خير،فانك بذلك تغلب الشيطان»و قال-صلى اللّه عليه و آله- «اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه،فانه يلقن الحكمه».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«الناس ثلاثه:غانم،و سالم،و شاحب، فالغانم:الذى يذكر اللّه،و السالم:الساكت،و الشاحب:الذى يخوض فى الباطل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن لسان المؤمن وراء قلبه،فإذا أراد أن يتكلم بشىء تدبره بقلبه،ثم أمضاه بلسانه.و ان لسان المنافق امام قلبه،فإذا هم بشىء امضاه بلسانه و لم يتدبره بقلبه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«أمسك لسانك،فانها صدقه تصدق بها على نفسك».ثم قال:«و لا يعرف عبد حقيقه الايمان حتى يخزن من لسانه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-لرجل أتاه:«ألا أدلك على امر يدخلك اللّه به الجنه؟قال:بلى يا رسول اللّه!قال:أنل مما أنالك اللّه!قال:فان كنت احوج ممن انيله؟قال:فانصر المظلوم.

قال:فان كنت أضعف ممن أنصره،قال:فاصنع للاخرق-يعنى

أشر عليه-.قال:فان كنت اخرق ممن أصنع له.قال:فاصمت لسانك إلا من خير،أما يسرك أن تكون فيك خصله من هذه الخصال تجرك إلى الجنه؟».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«نجاه المؤمن حفظ لسانه».و جاء رجل إليه-صلى اللّه عليه و آله-فقال:«يا رسول اللّه أوصنى!قال:احفظ لسانك.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال احفظ لسانك.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال:احفظ لسانك.ويحك و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟».

و قيل لعيسى بن مريم-عليه السلام-:«دلنا على عمل ندخل به الجنه.قال:لا تنطقوا أبدا.قالوا:لا نستطيع ذلك.قال:فلا تنطقوا إلا بخير».و قال-عليه السّلام-أيضا:«العباده عشره اجزاء،تسعه منها فى الصمت،و جزء فى الفرار عن الناس».و قال:«لا تكثروا الكلام فى غير ذكر اللّه،فان الذين يكثرون الكلام فى غير ذكر اللّه قاسيه قلوبهم و لكن لا يعلمون».و قال لقمان لابنه:«يا بنى،إن كنت زعمت أن الكلام من فضه،فان السكوت من ذهب».

و قال أبو جعفر الباقر-عليه السلام:«كان أبو ذر يقول:

يا مبتغى العلم،إن هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر،فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك و ورقك».و قال-عليه السلام-:«إنما شيعتنا الخرس».و قال الصادق-عليه السلام-لمولى له يقال له(سالم)-بعد أن وضع يده على شفتيه-:«يا سالم،احفظ لسانك تسلم،و لا تحمل الناس على رقابنا».و قال-عليه السلام-:«فى حكمه آل داود:

على العاقل أن يكون عارفا بزمانه،مقبلا على شأنه،حافظا للسانه».

و قال-عليه السلام-:«لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا».و قال-عليه السلام-:«النوم راحه

للجسد،و النطق راحه للروح،و السكوت راحه للعقل».و قال-عليه السّلام- «الصمت كنز وافر،و زين الحليم،و ستر الجاهل».و قال أبو الحسن الرضا-عليه السلام-:«احفظ لسانك تعز،و لا تمكن الناس من قيادک فتذل رقبتک».و قال-عليه السلام-:«من علامات الفقه:

الحلم،و العلم،و الصمت،ان الصمت باب من أبواب الحكمه،إن الصمت يكسب المحبه،انه دليل على كل خير».و قال-عليه السّلام-:«كان الرجل من بنى أسرائيل إذا أراد العباده صمت قبل ذلک بعشر سنين» (۱)و فى(مصباح الشريعه)عن مولانا الصادق-عليه السلام-قال:

«الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق و جف القلم به،و هو مفتاح كل راحه من الدنيا و الآخره،و فيه رضا الرب،و تخفيف الحساب و الصون من الخطايا و الزلل و قد جعله اللّه سترا على الجاهل و زينا للعالم،و معه عزل الهوى،و رياضه النفس،و حلاوه العباده،و زوال قسوه القلب،و العفاف و المروه و الظرف.فاغلق باب لسانک عما لک منه بد،لا سيما إذا لم تجد أهلا للكلام و المساعد فى المذاكره للّه و فى اللّه،و كان ربيع بن خيثم يضع قرطاسا بين يديه،فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه عشيه،ماله و ما عليه،و يقول:آه آه!نجا الصامتون و بقينا.و كان بعض أصحاب رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يضع الحصاه فى فمه،فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه للّه و فى اللّه و لوجه اللّه أخرجها.و ان كثيرا من الصحابه

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب الصمت،و على (الوسائل)كتاب الحج،الباب ۱۱۷ من احكام العشره.و على(المستدرک)۲ - ۸۸،۸۹.و على(سفينه البحار):۲-۵۱،۵۰.و على(البحار)۲ مج ۱۵ - ۱۸۹ باب السكوت و الصمت.و على(احياء العلوم):۳-۹۳-۹۵.و على (كنز العمال):۲-۷۲ و ۱۱۱.

-رضوان اللّٰه علیهم-کانوا یتنفسون تنفس الغرقی،و یتکلمون شبه المرضی و انما سبب هلاک الخلق و نجاتهم الکلام و الصمت.فطوبی لمن رزق معرفه عیب الکلام و هوائه،و علم الصمت و فوئده!فان ذلک من أخلاق الأنبیاء و شعار الاصفیاء.و من علم قدر الکلام أحسن صحبه الصمت و من أشرف علی ما فی لطائف الصمت و اؤتمن علی خزائنه کان کلامه و صمته کله عباده و لا یطلع علی عبادته هذه إلا الملک الجبار» (۱).

و قد ظهر من هذه الاخبار:أن الصمت مع سهولته أنفع للانسان من کل عمل،و کیف لا یکون کذلک،و خطر اللسان الذی هو أعظم الاخطار و آفاته التی هی أشد المهلکات لا ینسد إلا به؟و الکلام و ان کان فی بعضه فوائد و عوائد،إلا أن الامتیاز بین الممدوح و المذموم منه مشکل و مع الامتیاز فالاقتصار علی مجرد الممدوح عند إطلاق اللسان أشکل، و حینئذ فالصمت عما لا جزم بتضمنه للخیر و الثواب من الکلام أولی و انفع و قد نقل:«أن أربعه من أذکیاء الملوک-ملک الهند،و ملک الصین،و کسری،و قیصر-تلاقوا فی وقت،فاجتمعوا علی ذم الکلام و مدح الصمت فقال أحدهم:أنا أندم علی ما قلت و لا أندم علی ما لم أقل و قال الآخر:إنی إذا تکلمت بالکلمه ملکتنی و لم أملکها،و إذا لم أتکلم بها ملکتها و لم تملکنی.و قال الثالث:عجبت للمتکلم،ان رجعت علیه کلمته ضرته،و ان لم ترجع لم تنفعه.و قال الرابع:أنا علی رد ما لم أقل أقدر منی علی رد ما قلت».

۱- ۱) مصباح الشریعه:الباب ۲۷.

و منها:

اشاره

حب الجاه و الشهره

و المراد بالشهره:انتشار الصيت،و معنى الجاه:ملك القلوب و تسخيرها بالتعظيم و الاطاعه و الانقياد له.و بعباره أخرى:قيام المنزله فى قلوب الناس،و انما تصير القلوب مملوكه مسخره للشخص،باشتمالها على اعتقاد اتصافه بكمال حقيقى،او بما يظنه كمالا،من علم و عباده، أو ورع و زهاده،أو قوه و شجاعه،أو بذل و سخاوه،أو سلطنه و ولايه أو منصب و رياسه،أو غنى و مال،او حسن و جمال،أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا-و تسخير القلوب و انقيادها على قدر اعتقادها،و بحسب درجه ذلك الكمال عندها،فبقدر ما يعتقد أرباب القلوب تذعن له قلوبهم و بقدر إذعانها تكون قدرته عليهم،و بقدر قدرته يكون فرحه و حبه للجاه.ثم تلك القلوب تعبث أربابها على المدح و الثناء،فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه،و على الخدمه و الإعانه، فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده،و على الإيثار و ترك المنازعه و التعظيم و التوقير و الابتداء بالسلام و تسليم الصدر فى المحافل و التقديم فى جميع المقاصد.

(تنبيه):حب الجاه و الشهره إن كان من حيث ايجابهما الغلبه و الاستيلاء حتى ترجع حقيقه إلى حبهما و كان طالبهما طالبا لهما،فهو من رذائل قوه الغضب،و ان كان من حيث التوصل بهما إلى قضاء الشهوات و حظوظ النفس البهيميه،فهو من رذائل قوه الشهوه،و ان كان من الحيثيتين فهو من رذائلهما بالاشتراك،بمعنى مدخليه كل منهما فى حدوث خصوص هذه الصفه.و الأصل اشتراك القوتين فى حدوث حب الجاه

ص :۳۵۹

و الشهره-كما ذكرناه فى جمله ما يتعلق بهما معا-بخلاف حب المال،فان الغالب أن حبه من حيث التوصل به إلى قضاء حظوظ القوه الشهويه، و كونه لمجرد الاستيلاء عليه بالمالكيه و التمكن على التصرف فيه نادر،و لذا ذكرناه فيما يتعلق بقوه الشهوه.

فصل ذم حب الجاه و الشهره

اعلم أن حب الجاه و الشهره من المهلكات العظيمه،و طالبهما طالب الآفات الدنيويه و الأخرويه،و من اشتهر اسمه و انتشر صيته لا يكاد أن تسلم دنياه و عقباه،إلا من شهره اللّه لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهره منه.و لذا ورد فى ذمهما ما لا يمكن احصاؤه من الآيات و الاخبار:قال اللّه سبحانه:

تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً

(۱)

و قال: مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۲).

ص: ۳۶۰

۱- ۱) القصص،الآيه:۸۳.

۲- ۲) هود،الآيه:۱۵-۱۶.

و هذا بعمومه متناول لحب الجاه،لأنه أعظم لذه من لذات الحياه الدنيا و أكبر زينه من زينتها.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حب الجاه و المال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبه غنم باكثر فسادا من حب الجاه و المال فى دين الرجل المسلم».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«حسب امرئ من الشر إلا من عصمه اللّه أن يشير الناس إليه بالاصابع». و قال أمير المؤمنين -عليه السلام-:«تبذل و لا تشتهر،و لا ترفع شخصك لتذكر،و تعلم و اكتم،و اصمت تسلم،تسر الأبرار و تغيظ الفجار».و قال الباقر-عليه السلام-.«لا تطلبن الرياسه و لا تكن ذنبا،و لا تأكل الناس بنا فيفقرك اللّه».و قال الصادق-عليه السلام-:«إياكم و هؤلاء الرؤساء الذين يترأسون،فو اللّه ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك و أهلك!».

و قال-عليه السلام-:«ملعون من ترأس،ملعون من هم بها،ملعون من حدث بها نفسه!»و قال-عليه السلام-:«من أراد الرياسه هلك».و قال-عليه السلام-:«أ ترى لا اعرف خياركم من شراركم بلى و اللّه!إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه،أنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأى» (۱).

و الأخبار بهذه المضامين كثيره،و لكثره آفاتها لا يزال أكابر العلماء و أعاظم الاتقياء يفرون منهما فرار الرجل من الحيه السوداء،حتى أن بعضهم اذا جلس إليه أكثر من ثلاثه قام من مجلسه،و بعضهم يبكى لأجل أن اسمه بلغ المسجد الجامع،و بعضهم إذا تبعه أناس من عقبه التفت إليهم

۱- ۱) الأحاديث الخمسه الأخيره صححناها على(أصول الكافى):باب طلب الرياسه.و(الوسائل):كتاب الجهاد،الباب ۴۹ من ابواب جهاد النفس.

و قـال:«على م تتبعونى،فو اللّه لو تعلمون مـا اغلق عليه بـابى مـا تبعنى منكم رجلاـن».و بعضـهم يقول:«لاـ اعرف رجلاـ أحب أن يعرف إلا ذهب دينه و افتضح».و آخر يقول:«لا يجد حلاوه الآخره رجل يحب أن يعرفه الناس».و آخر يقول:«و اللّه ما صدق اللّه عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه».

و من فسـاد حب الجـاه:أن من غلب على قلبه حب الجـاه،صـار مقصـور الهم على مراعـاه الخلق،مشـغوفا بـالتودد إليهم و المراءاه لأـجلهم، و لاـ يزال فى أقواله و أفعـاله متلفتـا إلى ما يعظم منزلته عنـدهم،و ذلک بـذر النفاق و أصل الفساد،و يجر لا محاله إلى التساهل فى العبـادات و المراآه بهـا و إلى اقتحـام المحظورات للتوصـل بهـا إلى اقتناص القلوب،و لـذلک شـبه رسول اللّه حب الشرف و المال و افسادهما للدين بذئبين ضاربين،و قال:

«إنه ينبت النفـاق كمـا ينبت المـاء البقـل»،إذ النفـاق هو مخـالفه الظـاهر للبـاطن بالقول و الفعل،و كل من طلب المنزله فى قلوب الناس يضطر إلى النفاق معهم،و إلى التظاهر بخصال حميده هو خال عنها،و ذلک عين النفاق.

فصل الجاه أحب من المال

إن الملک القلوب ترجيح على ملک المال بوجوه:

الأـول-أن المال معرض التلف و الزوال،لأنه يغصب و يسـرق و تطمع فيه الملوک و الظلمه،و يحتاج فيه إلى الحفظ و الحراسه،و تتطرق اليه أخطار كثيره.و أما القلوب إذا ملکت،فهى من هذه الآفات محفوظه

نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقى أو الوهمى.

الثانى-ان التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب،لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهوله،لأن أموال أرباب القلوب مسخره للقلوب،و مبذوله لمن أذعنت له بالانقياد و اعتقدت فيه أوصاف الكمال،و أما الخسيس العارى عن الكمال إذا ظفر بكثره من المال و لم يكن له جاه يحفظ به ماله و أراد أن يتوصل به إلى الجاه،لم يتيسر له.

الثالث-أن ملك القلوب يسرى و ينمو و يتزايد من غير حاجه إلى تعب و مشقه،اذ القلوب إذا أذعنت بشخص و اعتقدت انصافه بعلم أو عمل أو غيره،أفصحت الالسنه بما فيها لا-محاله،فيصف ما يعتقده لغيره و هو أيضا يذعن به و يصفه لآخر،فلا يزال يستطار فى الاقطار،و يسرى من واحد إلى واحد،الى أن يجتمع معظم القلوب على التعظيم و القبول.و أما المال،فمن ملك شيئا منه فلا-يقدر على استنمائه إلا-بتعب و مقاساه.و لهذه الوجوه تستحقر الأموال فى مقابله عظم الجاه و انتشار الصيت و انطلاق الالسنه بالمدح و الثناء.

فصل لا بد للانسان من جاه

كما أنه لا بد من أدنى مال لضروره المطعم و الملبس و المسكن و مثله ليس بمذموم،فكذلك لا بد من أدنى جاه لضروره المعيشه مع الخلق، إذ الإنسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام و المال

الذی یباع به الطعام فکذلک لا یستغنی عن خادم بخدمه و رفیق یعینه و سلطان یحرسه و یدفع عنه ظلم الأشرار،فحبه لأن یکون له فی قلب خادمه من المنزله ما یدعوه إلی الخدمه و فی قلب رفیقه من المحل ما یحسن به مرافقته، و فی قلب السلطان من المحل ما یدفع به الشر عنه،لیس بمذموم.إذ الجاه کالمال وسیله إلی الأغراض،فلا فرق بینهما،إلا أن هذا یقضی إلی ألا یکون المال و الجاه محبوبین باعیانهما بل من حیث التوصل بهما إلی غیرهما و لا ریب فی أن کل ما یراد به التوصل إلی محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل إلیه دون الوسیله.

و مثل هذا الحب مثل حب الإنسان أن یکون فی داره بیت الخلاء لقضاء حاجته،و لو استغنی عن قضاء الحاجه و لم یضطر إلیه،کره اشتمال داره علی بیت الخلاء،و مثل أن یحب زوجته لیدفع بها فضله الشهوه، و لو کفی مؤنه الشهوه لأحب مهاجرتها،و إذا کان حبهما لضروره البدن و المعیشه لا لذاتهما،لم یکن مذموما،و المذموم أن یحبهما لذاتهما.و فیما یجاوز ضروره البدن کحب زوجته لذاتها حب العشاق حتی لو کفی مؤنه الشهوه لبقی مستصحبا لحبها.

ثم حبهما باعیانهما و ان کان مذموما مرجوحا،لکنه لا یوصف صاحبه بالفسق و العصیان ما لم یحمله الحب علی مباشره معصیه،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بکذب و خداع و تلبیس،کأن یظهر للناس قولا أو فعلا اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف لیس فیه،مثل العلم و الورع أو علو النسب،و بذلک یطلب قیام المنزله فی قلوبهم،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بعباده،إذ التوصل إلی المال و الجاه بالعباده جنایه علی الدین و هو حرام،و إلیه یرجع معنی الریاء المحظور،کما یأتی.

و أما طلبهما بصفه هو متصف بها،فهو مباح غیر مذموم،و ذلک

كقول يوسف-عليه السلام-:

اِجْعَلْنِى عَلىٰ خَزائِنِ اَلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ

(۱)

.

حيث طلب المنزله فى قلب الملك بكونه حفظا عليما،و كان صادقا فى قوله.و كذا طلبهما باخفاء عيب من عيوبه و معصيه من معاصيه،حتى لا يعلمه فلا تزول به منزلته فى قلبه،مباح غير مذموم،إذ حفظ الستر على القبائح جائز،بل لا يجوز هتك الستر و إظهار القبيح،و هذا ليس فيه كذب و تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائده للعلم به،كالذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر و لا يلقى إليه أنه ورع،فان قوله إنه ورع تلبيس،و عدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع،بل يمنع العلم بالشرب،و هو جائز شرعا و عقلا.

فصل دفع اشكال فى حب المال و الجاه

إن قيل:الوجه فى حبهما بالعرض و فى حب قدر ما يضطر إليهما فى المعيشه و ضروره البدن ظاهر،فما الوجه فى حبهما باعيانهما و فى حب الزائد عن قدر الضروره منهما؟كحب جمع المال،و كنز الكنوز،و ادخار الذخائر،و استكثار الخزائن وراء جميع الحاجات،و حب اتساع الجاه و انتشار الصيت إلى اقاصى البلاد التى يعلم قطعا أنه قط لا يطؤها و لا يشاهد أهلها ليعظموه و يعينوه على غرض من اغراضه،فانه مع ذلك يلتذ به غايه الالتذاذ و يسر به غايه السرور،حتى لا يجد فى نفسه لذه أقوى منه، و يراه فوق جميع لذاته و ابتهاجاته.

۱- ۱) يوسف،الآيه:۵۵.

قلنا:الوجه فی ذلک أمران:

الأول-دفع ألم الخوف الناشیء من سوء الظن و طول الأمل.

فان الإنسان و إن کان له من المال ما یکفیه فی الحال،إلا أنه لطول أمله قد یخطر بباله أن المال الذی فیه کفایته ربما یتلف فیحتاج إلی غیره،فإذا خطر ذلک بباله،هاج الخوف فی قلبه،و لا یزول ألم الخوف إلا بالأمن الحاصل من وجود مال آخر یفزع إلیه إن أصابت هذا المال آفه،فهو أبدا لحبه للحیاه و شفقته علی نفسه یقدر طول الحیاه و هجوم الحاجات، و یقدر إمکان تطرق الآفات إلی الأموال و یستشعر الخوف من ذلک،فیطلب ما یدفع خوفه،و هو کثره المال،حتی ان أصیب بطائفه من ماله یفزع الی الأخری.و هذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال، و لذلک لم یکن لمیله موقف إلی أن یملک جمیع ما فی الدنیا،و لذلک قال -صلی اللّه علیه و آله-:«منهومان لا یشبعان:منهوم العلم،و منهوم المال»و مثل هذه العله تطرد فی حب قیام المنزله و الجاه فی قلوب الاباعد عن وطنه و بلده،فانه لا یخلو عن تقدیر سبب یزعجه عن الوطن،أو یزعج أولئک عن أوطانهم إلی وطنهم إلی وطنه،و یحتاج إلی الاستعانه بهم و مهما کان ذلک ممکنا،کان للنفس لذه و سرور بقیام المنزله فی قلوبهم،لما فیه من الأمن من هذا الخوف.

الثانی-أن الإنسان مرکب من أصول مختلفه:هی القوه الشهویه، و القوه السبعیه،و القوه الشیطانیه،و الروح الذی هو أمر ربانی،و لذلک له میل إلی صفات بهیمیه،کالأکل و الوقاع،و إلی صفات سبعیه،کالقتل و الإیذاء،و إلی صفات شیطانیه،کالمکر و الخدیعه و الاغواء،و إلی صفات ربوبیه،کالعلم و القدره و الکبر و العز و الفخر و الاستعلاء.فهو لما فیه من الأمر الربانی یحب الربوبیه بالطبع،و معنی الربوبیه التوحد بالکمال،و التفرد

بالوجود على سبيل الاستقلال،و الاستيلاء على جميع الاشباء بالغلبه،و استناد الكل إليه بالصدور منه و المعلوليه.

و بالجمله:مقتضى الربوبيه التفرد بالوجود و الكمال و رجوع كل وجود و كمال إليه،إذ هو التام فوق التمام،و لا يتحقق ذلك إلا بالتفرد بالوجود و الكمال و القدره و الاستيلاء على جميع ما عداه.إذ المشاركه فى الوجود نقص لا محاله،فكمال الشمس فى أنها موجوده وحدها.فلو كانت معها شمس أخرى كان ذلك نقصانا فى حقها،إذ لم تكن متفرده بكمال معنى الشمسيه فإذا كان معنى الربوبيه هو التفرد بالوجود و الكمال،و كل انسان كان فيه أمر ربانى،فالتفرد بالوجود و الكمال محبوب له بالطبع،و ضده - اعنى العبوديه-قهر على نفسه،لأنه علم أن المتفرد بالوجود و الكمال هو اللّه تعالى،اذ ليس معه موجود سواه،فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته،بل هو قائم به،و ليس له معيه بالوجود بالنسبه اليه تعالى،إذ المعيه توجب المساواه فى الرتبه،و هى نقصان فى الكمال إذ الكامل الحقيقى من لا نظير له فى الوجود،و الكمال بوجه من الوجوه و ان كان لغيره وجود و كمال بعد كونه صادرا منه معلولا له،إذ تحقق الموجودات و ذوات الممكنات لا يوجب نقصانا فى ذاته سبحانه بعد استنادها جميعها إليه،و كونها أضعف منه بمراتب غير متناهيه فى الوجود و الكمال شده و قوه،فكما ان اشراق نور الشمس فى أقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس،بل هو من جمله كمالها،و انما نقصانها بوجود شمس أخرى مساويه لها فى الرتبه مستغنيه عنها،فكذلك وجود كل ما فى العالم إذا كان من اشراق نور القدره الإلهيه تابعا لها،لم يكن ذلك نقصانا فى الواجب سبحانه،بل كان كمالا له.

و لما علم ذلك،و تيقن بأن التفرد بالوجود و الكمال و الاستيلاء التام

على جميع الأشياء لا- يليق به،لأنه عبد مملوك مقهور تحت القدره الإلهيه، عرف أنه عاجز عن درك منتهى الكمال الذى هو التفرد بالوجود و الاستيلاء أى كون وجود غيره منه.إلا أنه لم تسقط شهوته للكمال،بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال،و طالب لتحصيل ما يتمكن منه.فمطلق الكمال محبوب عنده،إلا أن طلبه إنما يتعلق بالكمال الممكن فى حقه و من الكمال الممكن فى حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات،فكان ذلك محبوبا عنده و مطلوبا له.و لما كانت الموجودات منقسمه إلى ما لا تحصى و لكن لا تستولى عليه قدره الخلق بالتصرف،كالأفلاك و الكواكب و ملكوت السماوات و نفوس الملائكه و الجن و الشياطين و الجبال و البحار و غير ذلك،و إلى ما يقبل التغير و تستولى عليه قدره العباد،كالأرض و أجزائها و ما عليها من المعادن و النبات و الحيوان،و من جملتها قلوب الآدميين و نفوسهم لكونها قابله للتغيير و التأثير مثل أجسادهم و اجساد سائر الحيوانات-فلم يكن للانسان أن يتصور إمكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه،فلم يتعرض لطلب ذلك،بل أحب فى كل منها نوع الاستيلاء الذى يمكن فى حقه و الاستيلاء الذى يمكنه فى حقه بالنظر إلى القسمين الأولين هو الإحاطه عليه بالعلم و الاطلاع على أسراره،لأن ذلك نوع استيلاء.

اذ المحاط به تحت القدره،و العالم كالمستولى عليه.و لذلك أحب الإنسان ان يعرف الواجب تعالى و الملائكه و الأفلاك و الكواكب و عائب الملك و الملكوت،لأن ذلك نوع استيلاء،و الاستيلاء نوع كمال.

و أما القسم الثالث،فيمكنه أن يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الأراضى و الاملاك بأن يتصرف فيها بالحيازه و الضبط و الزرع و الغرس،و على الأجساد الأرضيه الحيوانيه و النباتيه و الجماديه بالركوب و الضبط و الحمل و الرفع و الوضع و التسليم و المنع،و على نفوس الآدميين

و قلوبهم بأن تكون مسخره متصرفه تحت اشارته و إرادته و صيرورتها محبه له باعتقاد الكمال فيه.و لكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال،أحب الإنسان هذا الاستيلاء على الأموال و القلوب،و إن كان لا يحتاج إليهما فى ملبسه و مطعمه و فى شهوات نفسه،و لذلك طلب استرقاق العبيد و استعباد الأحرار و لو بالقهر و الغلبه.و قد ظهر مما ذكر:أن محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم و القدره،و المال و الجاه محبوب لكونه من أسباب القدره و لما كانت المعلومات و المقدورات غير متناهيه،فلا يكاد أن تقف النفس الى حد من العلم و القدره،و لهما درجات غير متناهيه،فسرور كل نفس و لذتها بقدر الدرجه التى تدركها.

فصل الكمال الحقيقى فى العلم و القدره لا المال و الجاه

لما عرفت أن المحبوب عند الإنسان هو العلم و القدره و المال و الجاه لكونها كمالا-فاعلم أنه اشتبه الأمر عليه باغواء الشيطان،حيث التبس عليه الكمال الحقيقى بالوهمى،و تيقن بكون جميع ذلك كمالا و أحبه.إذ التحقيق أن بعضها كمال حقيقى و بعضها كمال وهمى لا أصل له،و السعى فى طلبه جهل و خسران و تضييع وقت و خذلان.

بيان ذلك:أنه لا ريب فى عدم كون المال و الجاه كمالا-لأن القدره و الاستيلاء على أعيان الأموال بوجوه التصرف و على القلوب و الأبدان بالتسخير و الانقياد ينقطع بالموت،فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل.فالخلق كلهم فى غمره هذا الجهل،فانهم يظنون أن القدره على الأجساد بقهر الحشمه،و على أعيان الأموال بسعه الغنى،و على تعظيم القلوب بسعه الجاه

کمال،و لما اعتقدوا کون ذلک کمالا أحبوه،و لما احبوه طلبوه،و لما طلبوه شغلوا به و تهالکوا علیه،فنسوا الکمال الحقیقی الذی یوجب القرب من اللّه،اعنی العلم و الحریه کما یأتی.فهؤلاء هم الذین اشتروا الحیاه الدنیا بالآخره،فلا یخفف عنهم العذاب و لا هم ینصرون،و هم الذین لم یفهموا قوله تعالی:

اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا،وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً

(۱)

.

فالعلم و الحریه و فضائل الأخلاق هی الباقیات الصالحات التی تبقی کمالا للنفس بعد خراب البدن،و المال و الجاه هو الذی ینقضی علی القرب و هو کما مثله اللّه تعالی،حیث قال:

إِنَّمٰا مَثَلُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا کَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ...

(۲)

.

و کل ما تذروه ریاح الموت فهو زهره الحیاه الدنیا،و کل ما لا یقطعه الموت فهو من الباقیات الصالحات.

فقد ظهر أن کمال القدره بالمال و الجاه کمال وهمی لا أصل له، و أن من قصر الوقت علی طلبه و ظنه مقصودا فهو جاهل،إلا قدر البلغه منها إلی الکمال الحقیقی.

و أما العلم،فلا ریب فی کون ما هو حقیقه العلم کمالا حقیقیا،إذ

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

۲- ۲) یونس،الآیه:۲۴.

الکمال الحقیقی هو الـذی یقرب من یتصف به من اللّه و یبقی کمالا للنفس بعد الموت.و لا شک فی أن العلم باللّه و بصـفاته و أفعاله و حکمته فی ملکوت السماوات و الأرض و ترتیب الدنیا و الآخره و ما یتعلق به هو المقرب للعبد الی اللّه،إذ هو علم ثابت لا یقبل التغییر و الانقلاب،اذ معلوماته أزلیه أبدیه و لیس لها تغییر و انقلاب،حتی یتغیر العلم بتغیرها مثل التغیرات التی یتغیر العلم بها بتغیرها و انقلابها،کالعلم بکون زید فی الدار.

فهو علم ثـابت أزلاـ و أبـدا من دون تغیر و اختلاـف،کـالعلم بجواز الجـائزات و وجوب الواجبات و اسـتحاله المسـتحیلات.فهذا العلم-اعنی معرفه اللّه و معرفه صـفاته و أفعـاله-هـو الکمـال الحقیقی الـذی یبقی بعـد الموت و ینطوی فیه العلم بالنظـام الجملی الأصـلح و جمیع المعـارف المحیطه بـالموجودات و حقائق الأشـیاء،اذ الموجودات کلها من أفعاله،فمن عرفها من حیث هی فعل اللّه و مـن حیـث ارتباطهـا بالقـدره و الاـراده و الحکمه، کـانت هـذه المعرفه من تکمله معرفه اللّه الـتی تبقی کمالاـ للنفس بعد الموت، و تکون نورا للعـارفین بعـد الموت یسـعی بین أیـدیهم و أیمـانهم:«یقولون ربنا أتمم لنا نورنا»،و هی رأس ما یوصل إلی کشف مـا لم ینکشف فی الـدنیا،کمـا أن من معه سـراج خفی،فـانه یجوز أن یصـیر ذلـک سـببا لزیاده النور بسـراج آخر یقتبس منه،فیکمل النور بذلک النور الخفی علی سبیل الاسـتتمام،و من لیس معه أصل السـراج لا مطمع له فی ذلک.فمن لیس له أصـل معرفه اللّه لم یکن له مطمع فی هـذا النور،بـل هو فی«ظلمـات فی بحر لجی،یغشـاه موج من فوقه موج من فوقه سـحاب،ظلمـات بعضها فوق بعض».

و ما عدا هذه المعرفه من المعارف،إما لا فائده فیه أصـلا،کمعرفه الشعر و أنساب العرب و مثلها،أوله منفعه فی معرفه اللّه،کمعرفه لغه

العرب و التفسير و الفقه و الاخبار،و معرفه طريق تزكيه النفس التى تفيد استعدادا لقبول الهدايه إلى معرفه اللّه،كما قال تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها

(۱)

.و قال: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا (۲).

فهو من حيث إنه وسيله إلى معرفه اللّه و إلى تحصيل الحريه مما لا بد منه بالعرض.

ثم إن المعرفه التى هى كمال حقيقى للانسان ليس كمال العلم و غايته، إذ لا يتصور كمال العلم و نهايته إلا للواجب تعالى،إذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلاثه:

الأول-أن يحيط بكل المعلومات،و لا يتحقق ذلك فى علم البشر.

إذ ما أوتى من العلم إلا قليلا،بل العلم الذى يحيط بجميع المعلومات هو علم اللّه تعالى،و علم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات،و كلما كانت معلوماته أكثر كان علمه أقرب إلى علم اللّه تعالى.

الثانى-ان يتعلق بالمعلوم على ما هو به،و يكون المعلوم منكشفا واضحا فى غايه الانكشاف و الوضوح،بحيث لا يقبل انكشافا أتم منه.

و هذا أيضا غير ممكن التحقيق فى حق الإنسان،إذ علمه لا يخلو عن كدره و إبهام،بل الكشف التام الذى هو غايه الظهور و الانجلاء مختص بعلم اللّه تعالى،إذ معلوماته مكشوفه بأتم أنواع الكشف على ما هى عليها،و علم العبد له ببعض مراتب الانكشاف،فكلما كان اجلى و أوضح و أتقن و اوفق للمعلوم فى تفاصيل صفاته،كان أقرب إلى علم اللّه.

۱- ۱) الشمس،الآیه:۹.

۲- ۲) العنكبوت،الآيه:۶۹.

الثالث-أن یکون باقیا أبد الآباد،بحیث لا یتغیر و لا یزول.

و هذا أیضا مختص بعلم اللّه تعالی،اذ علمه تعالی باق لا یتصور أن یختلف و یتغیر و یزول،و علم الإنسان یتغیر و یزول،فکلما کان علمه بمعلومات لا تقبل التغیر و الانقلاب،کان أقرب إلی علم اللّه تعالی.

هذا،و من الکمالات للانسان:التحلی بفضائل الأخلاق و الصفات لا-یجابها صفاء النفس المؤدی إلی البهجه الدائمیه و الحریه،أعنی الخلاص من أسر الشهوات و غموم الدنیا و الاستیلاء علیها بالقهر،تشبها بالملائکه الذین لا تستغرقهم الشهوه و لا یستهویهم الغضب،إذ رفع آثار الشهوه و الغضب من النفس کمال حقیقی،لأنه من صفات الملائکه.و من صفات الکمال للّه سبحانه عدم تطرق التغییر و التأثیر علی حریم کبریائه،فمن کان عن التغیر و التأثر بالعوارض أبعد کان إلی اللّه أقرب.

و أما القدره،فقد قال بعض العلماء:«أما القدره فلیس فیها کمال حقیقی للعبد،إذ القدره الحقیقیه للّه،و ما یحدث من الأشیاء عقیب إراده العبد و قدرته و حرکته،فهی حادثه باحداث اللّه تعالی.نعم،له کمال من جهه القدره بالإضافه إلی الحال،و هی وسیله إلی کمال العلم،کسلامه أطرافه و قوه یده للبطش،و رجله للمشی،و حواسه للادراک،فان هذه القوی آله للوصول به إلی حقیقه کمال العلم،و قد یحتاج فی استیفاء هذه القوی إلی القدره بالمال و الجاه للتوصل به إلی المطعم و الملبس،و ذلک إلی قدر معلوم،فان لم یستعمله للوصول به إلی معرفه اللّه فلا-خیر فیه البته إلا من حیث اللذه الحالیه التی تنقضی علی القرب،و لا طریق للعبد إلی اکتساب کمال القدره الباقیه بعد موته،إذ قدرته علی کل شیء من الأرضیات کالمال و الأبدان و النفوس،تنقطع بالموت».

و أنت خبیر بأن تحقق نوع قدره للعباد مما لا ریب فیه،و إن کانت

أسبابها و أصلها من اللّه سبحانه،إلا أن القدره على الأمور الدنيويه الفانيه كالمال و الأشخاص و غير ذلك،ليست كمالا حقيقيا،لزوالها بالموت.نعم الحق ثبوت القدره النفسيه للعبد-اعنى تأثير نفسه فى الغير من الكائنات تأثيرا روحانيا معنويا،كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس فى الإنسان و الحيوان و النبات و الجماد بأنواع التأثيرات،و مثل هذه القدره تبقى للنفوس بعد الموت و لذا ترى أن من يستغيث ببعض النفوس الكامله من الأموات يرى منها عجائب التأثيرات و الاستفاضات،فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدره للنفوس بعد الموت محل النظر.

و قد ظهر بما ذكر:أن الكمال الحقيقى للانسان هو العلم الحقيقى و فضائل الأخلاق و الحريه و القدره.

فصل علاج حب الجاه

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم و عمل.و علاجه العلمى:

أن يعلم أن السبب الذى لأجله أحب الجاه-و هو كمال القدره على اشخاص الناس و على قلوبهم ان صفا و سلم-فآخره الموت،فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض إلى خمسين سنه او أكثر لا بد بالأخره من موت الساجد و المسجود له،و يكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له.و لا ينبغى للعاقل أن يترك بمثل ذلك الدين الذى هو الحياه الأبديه التى لا انقطاع لها.و من فهم الكمال الحقيقى و الكمال الوهمى-كما سبق-صغر الجاه فى عينه،إلا أن ذلك انما يصغر فى عين من ينظر إلى الآخره كأنه يشاهدها و يستحقر

العاجله و يكون الموت كالحاصل عنده،و أبصار أكثر الخلق ضعيفه مقصوره على العاجله لا يمتد نورها إلى مشاهده العواقب،كما قال اللّه تعالى:

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاهَ الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(۱)

.

و قال: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَهَ (۲).

فمن هذه مرتبته،فينبغى ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفه الآفات العاجله،و هو يتفكر فى الأخطار التى يستهدف لها أرباب الجاه فى الدنيا فان كل ذى جاه محسود مقصود بالإيذاء،و خائف على الدوام على جاهه و لا يزال فى الاضطراب و الخوف من أن يتغير منزلته فى القلوب.مع أن قلوب الناس أشد تغيرا و انقلابا من القدر فى غليانه،و هى مردده بين الإقبال و الاعراض،فكلما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له.و الاشتغال بمراعاه القلوب و حفظ الجاه و دفع كيد الحساد و منع أذى الأعداء اشتغال عن اللّه و تعرض لمقته فى العاجل و الآجل كل ذلك غموم عاجله مكدره للذه الجاه،فلا يبقى فى الدنيا أيضا مرجوها بمخوفها،فضلا عما يفوت فى الآخره.فبهذا ينبغى أن تعالج البصيره الضعيفه و أما من نفذت بصيرته و قوى ايمانه فلا التفات له إلى الدنيا.

فهذا هو العلاج العلمى.

و أما العلاج العملى فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالأنس بضد الجاه الذى هو الخمول و يقنع بالقبول من الخالق،و أقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس و الهجره إلى مواضع الخمول،لا مجرد الاعتزال فى بيته فى البلده التى هو فيها مشهور،لأن المعتزل فى بيته فى البلده التى هو فيها

۱- ۱) الأعلى،الآيه:۱۶-۱۷.

۲- ۲) القيامه،الآيه:۲۰-۲۱.

مشهور عند أهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزله التی تترسخ له فی القلوب،فربما یظن أنه لیس محبا لذلک الجاه و هو مغرور،و انما سکنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها،و لو تغیر الناس عما اعتقدوا فیه و دموه أو نسبوه إلی امر غیر لائق،ربما جزعت نفسه و تألمت و توصلت إلی الاعتذار من ذلک و اماطه ذلک الغبار عن قلوبهم،و ربما یحتاج فی إزاله ذلک عن قلوبهم إلی کذب و تلبیس و لا یبالی به،و به یتبین انه بعد محب للجاه و المنزله،و لا یمکنه ألا یحب المنزله فی قلوب الناس ما دام یطمع فی الناس و لا یقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعه.فمن قنع استغنی عن الناس، و إذا استغنی لم یشتغل قلبه بالناس و لم یکن لقیام منزلته فی القلوب وزن عنده،بل من لم یطمع فی الناس و کان من أهل المعرفه،کان الناس عنده کالبهائم،فکیف یکون طالبا لقیام منزلته فی قلوبهم؟.

و الحاصل:أن الغالب و الباعث علی قیام المنزله فی قلوب الناس هو الطمع منهم،و لذا تری انک لا تطلب قیام منزلتک فی قلوب من فی أقصی لمشرق أو المغرب،لعدم طمع لک فیهم،ثم ینبغی أن یستعین علی المعالجه بالأخبار الوارده فی ذم الجاه-کما مر- و فی مدح الخمول،کما یأتی.

فصل حب الخمول

ضد حب الجاه و الشهره حب الخمول،و هو شعبه من الزهد،کما أن حب الجاه شعبه من حب الدنیا.فحب الدنیا و الزهد ضدان.

ثم الخمول من صفات المؤمنین و خصال الموقنین،و قد کانت طوائف العرفاء المتوحدین و من یماثلهم من سلفنا الصالحین محبین له طالبین إیاه، و کل من عرف الله و أحبه و انس به،کان محبا للخمول متوحشا من الجاه

و انتشار الصیت،کما تنادی به کتب السیر و التواریخ.و قد وردت بمدحه أخبار کثیره،کقول رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إن الیسیر من الریاء شرک،و ان اللّه یحب الاتقیاء الأخفیاء،الذین إذا غابوا لم یفقدوا و إذا حضروا لم یعرفوا،قلوبهم مصابیح الهدی،یتحول من کل غبراء مظلمه».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«رب ذی طمرین لا یؤبه له لو أقسم علی اللّه لأبره،لو قال:اللهم أسألک الجنه!لأعطاه الجنه و لم یعطه من الدنیا شیئا».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ألا أدلکم علی أهل الجنه؟کل ضعیف مستضعف،لو اقسم علی اللّه لأبره».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أهل الجنه کل اشعث أغبر ذی طمرین لا یؤبه له،الذین إذا استأذنوا علی الأمراء لم یؤذن لهم،و إذا خطبوا النساء لم ینکحوا،و إذا قالوا لم ینصت لهم.حوائج أحدهم تتخلخل فی صدره،لو قسم نوره یوم القیامه علی الناس لوسعهم».و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«إن من أمتی من لو أتی أحدکم یسأله دینارا لم یعطه إیاه،أو یسأله درهما لم یعطه إیاه و لو سأل اللّه تعالی الجنه لأعطاها إیاه،و لو سأله الدنیا لم یعطها إیاه،و ما منعها إیاه لهوانه علیه»و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«قال اللّه عز و جل:ان من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال،ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب و کان غامضا فی الناس،جعل رزقه کفافا فصبر علیه،عجلت منیته فقل تراثه و قل بواکیه» (1).و ورد:«أن اللّه تعالی یقول فی مقام الامتنان علی بعض عبیده:ألم أنعم علیک؟ألم استرک؟ألم أحمل ذکرک».

و قال بعض خیار الصحابه:«کونوا ینابیع العلم،مصابیح الهدی،احلاس البیوت،سرج اللیل،جدد القلوب،خلقان الثیاب.تعرفون فی أهل

1- 1) تقدم الحدیث فی 2-59،و ذکرنا فی التعلیقه تفسیر معنی(حفیف).

السماء،و تخفون فی أهل الأرض».و من اطلع علی أحوال أکابر الدین و السلف الصالحین من ایثارهم الخمول و الذل علی الجاه و الشهوه و الغلبه، ثم فی ما ورد فی مدحهما من الأخبار،تیقن بأنهما من أوصاف المؤمنین، و لا بد للمؤمن من الاتصاف بهما،و لذا ورد:«أن المؤمن لا یخلو عن ذله او عله أو قله».

و منها:

اشاره

حب المدح

و کراهه الذم.و هما من نتائج حب الجاه،و من المهلکات العظیمه إذ کل محب للمدح و الثناء خائف من الذم،یجعل أفعاله و حرکاته علی ما یوافق رضا الناس،رجاء للمدح و خوفا من الذم.فیختار رضا المخلوق علی رضا الخالق،فیرتکب المحظورات و یترک الواجبات،و یتهاون فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و یتعدی عن الإنصاف و الحق،و کل ذلک من المهلکات،و لیس للمؤمن أن یحوم حولها،بل المؤمن من لم یؤثر قط رضا المخلوق علی رضا الخالق،و لا تأخذه فی اللّه لومه لائم.و لعظم فساد حب المدح و بغض الذم ورد فی ذمهما ما ورد فی الأخبار،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إنما هلک الناس باتباع الهوی و حب الثناء».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«رأس التواضع أن تکره أن تذکر بالبر و التقوی».و قال-صلی اللّه علیه و آله-لرجل اثنی علی آخر بحضرته:«لو کان صاحبک حاضرا فرضی بالذی قلت فمات علی ذلک،دخل النار».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:لما مدح آخر:

«ویحک!قطعت ظهره!و لو سمعک ما أفلح إلی یوم القیامه».و قال

ص:۳۷۸

-صلى اللّه عليه و آله-:«ألا-لا-تمادحوا!و إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ويل للصائم! و ويل للقائم!و ويل لصاحب التصوف!إلا من...فقيل:يا رسول اللّه إلا من؟فقال:إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا،و أبغض المدحه و استحب المذمه».

فصل مراتب حب المدح و كراهه الذم

اعلم أن لحب المدح و كراهه الذم مرتبتين:أولاهما:أن يفرح بالمدح و يشكر المادح،و يغضب من الذم و يحقد على الذام،و يكافيه او يحب مكافاته.و هذا حال أكثر الخلق،و لا حد لاتمها.و اخراهما:أن يفرح باطنه و يرتاح للمادح،و لكن يحفظ ظاهره من إظهار السرور،و يتبغض فى الباطن على الذام،و لكن يمسك لسانه و جوارحه عن مكافاته و هذه و ان كانت نقصانا،إلا أنها بالنظر إلى الأولى كمال.

و باعتبار آخر،لحب المدح درجات:

الأولى-أن يتمنى المدح و انتشار الصيت بحيث يتوصل إلى نيلهما بكل ممكن،حتى يرائى بالعبادات و لا-يبالى بمفارقه المحظورات،لاستماله قلوب الناس و استنطاق ألسنتهم بالمدح.و هذا من الهالكين.

الثانيه-أن يريد ذلك و بطلبه بالمباحات لا بالعبادات و ارتكاب المحظورات،و هذا على شفا جرف الهلاك.اذ حدود الكلام و الأعمال التى يستميل بها القلوب لا يمكنه أن يضبطها،فيوشك أن يقع فيما لا يحل له ليتوصل به إلى نيل المدح.فهو قريب من الهالكين.

ص:٣٧٩

الثالثه-ألا يريد المدح و لا يسعى لطلبه،و لكن إذا مدح سر و ارتاح،من غير وجدان كراهه فى نفسه لهذا السرور و الارتياح،و هذا أيضا نقصان،و إن كان أقل اثما بالإضافه إلى ما قبله.

الرابعه-أن يسر و يرتاح،و لكن كره هذا السرور و الارتياح، و كلف قلبه كراهه المدح و بغضه،و هو فى مقام المجاهده،و لعل اللّه يسامحه اذا بذل جهده.و مع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهه المدح دائما.

فصل أسباب حب المدح

حب المدح و الثناء له أسباب:

الأول-شعور النفس بكمالها،فان الكمال لما كان محبوبا فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت و اهتزت و تلذذت،و المدح يشعر نفس الممدوح بكمالها،فان كان ما به المدح و صفا مشكوكا فيه صادر عن خبير بصير لا يجازف فى القول،كالوصف بكمال العلم و الورع و بالحسن المطلق، فاللذه فيه عظيمه لأن الإنسان ربما كان شاكا فى كمال علمه و كمال حسنه و يكون شائقا لزوال هذا الشك،فإذا ذكره غيره،(لا)سيما إذا كان من أهل البصيره،أورث ذلك طمأنينه و ثقه بوجود ذلك الكمال،فعظمت لذته،و لو كان صادرا ممن لا بصيره له،كانت لذته أقل لقله الاطمئنان بقوله.و إن كان ما به المدح وصفا جليا،كاعتدال القامه و بياض اللون كانت لذته فى غايه القله،لأن ثناءه لا يورث ما ليس له من الطمأنينه و الثقه إلا أنه لا يخلو عن لذه ما،إذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذه ما.و لضد هذه العله ببغض الذم أيضا،

لأنه يشعر بنقصان فى نفسه،و النقصان ضد الكمال.

الثانى-ان المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح،و انه مريد له معتقد فيه و مسخر تحت مشيته،و ملك القلوب محبوب،و الشعور بحصوله لذيذ،و لذلك تعظم اللذه مهما صدرت ممن تتسع قدرته و ينتفع باقتناص قلبه كالملوك و الأكابر،و لضد هذه العله يكره الذم و يتألم القلب به.

الثالث-أن المدح سبب اصطياد قلب كل من يسمعه،لا سيما إذا كان المادح ممن يعتنى بقوله،و هذا يختص بمدح يقع على الملأ.

الرابع-أن المدح يدل على حشمه الممدوح و اضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه طوعا أو قهرا،و الحشمه محبوبه لما فيها من الغلبه و القدره،فشعور النفس بها يورث لذه،و هذه اللذه تحصل و ان علم الممدوح ان المادح لا يعتقد بما يقوله،اذ ما يطلبه يحصل منه،و لضد هذه العله يبغض الذم أيضا.

و هذه الأسباب قد تجتمع فى مدح واحد فيعظم به الالتذاذ،و قد تفترق فينتقص و يندفع استشعار الكمال،بأن يعلم الممدوح أن المادح غير صادق فى مدحه،فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذه الثانيه أيضا،و هو استيلاءه على قلبه،و بقيت لذه الاستيلاء بالحشمه على اضطرار لسانه إلى النطق بالمدح.

فصل علاج المدح و كراهه الذم

اذا علم أن حب المدح و كراهه الذم من المهلكات،فيجب أن يبادر الى العلاج.

و علاج الأول:أن يلاحظ أسبابه،و يعلم أن شيئا منها لا يصلح حقيقه لأن يكون سببا له.أما استشعار الكمال بالمدح،فلأن المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل اللّه حيث أعطاه هذه الصفات،و إن كذب فينبغى أن يغمه ذلک و لا يفرح به لأنه استهزاء به،مع أن الفرح مطلقا فى صوره الصدق من السفاهه،اذ الوصف الذى مدح به إن كان مما لا يستحق الفرح به،كالثروه و الجاه و غيرهما من المطالب الدنيويه،فالفرح به من قله العقل،لأنها كمالات و هميه لا أصل لها،و ان كان مما يستحق الفرح به كالعلم و الورع،فالفرح إنما هو لكونه مقربا إلى اللّه،و هذا فرع حسن الخاتمه و هو غير معلوم.ففى الخوف من خطر الخاتمه شغل شاغل من الفرح بكل شىء.و أما دلاله المدح على تسخير قلب المادح و كونه سببا لتسخير قلب من يسمعه،فحب ذلک يرجع إلى حب الجاه و المنزله فى القلوب،و قد سبق طريق معالجته.و أما دلالته على الحشمه، فانها ليست إلا قدره عارضه ناقصه لإثبات لها،و العاقل لا يفرح بمثلها.

و أما علاج الثانى:-اعنى كراهه الذم-فيعلم بالمقايسه على علاج حب المدح.و القول الوجيز فيه:ان من يذمک إن كان صادقا و قصده النصح و الإرشاد،فلا ينبغى أن تبغضه و تغضب عليه،بل ينبغى أن تفرح و تجتهد فى إزاله الصفه المذمومه عن نفسک،و ما أقبح بالمؤمن أن يغضب على من يحسن إليه و يريد هدايته.و ان كان قصده الإيذاء و التعنت،فلا ينبغى لک أيضا أن تبغضه و تكره ذلک،لأنه أرشدک إلى عيبک إن كنت جاهلا به،و ذكرک إياه إن كنت غافلا عنه،و قبحه فى عينک إن كنت متذكرا له،و على التقادير قد استفدت منه ما تنتفع به،و ينبغى لک أن تغتنمه و تبادر إلى إزاله عيبک.و إن كان كاذبا مفتريا عليک بما أنت منه برىء،فينبغى لک أيضا ألا تكره ذلک و لا تشتغل بذمه،لأنک و إن

خلوت من ذلـک العیب،إلاـ أنـک لاـ تخلو من عیوب اخر مساویه له و افحش منهـا،فاشـکر اللّه تعالی علی أنه سترها و لم یطلع أحدا علیها،و دفعها بذکر ما أنت منه بریء،مع أنه کفاره لبقیه مساویک.و من ذمک أهدی إلیک حسناته و جنی علی دینه،حتی سقط من عین اللّه و أهلک نفسه بافترائه علیک،فما بالک تحزن بحط ذنوبک و إهداء الحسـنات إلیک؟و لم تغضب علیه،مع أن اللّه سبحانه غضب علیه و أبعده من رحمته؟فان ذلک کاف لانتقامک منه.

وصل ضد حب المدح

ضـد حب المـدح و کراهه الـذم:إما کراهه المدح و حب الذم، أو مساواتهما عنده بحیث لا تسـره المدحه و لا تغمه المذمه.و قد تقـدم بعض الأخبـار الـداله علی ذم من لم یتصف بالحاله الأولی.و هی و إن کانت نادره الوجود،إذ ما أقل علی بسـیط الأرض-(لا)سـیما فی هذه الاعصار- من تسـتوی عنده المدحه و المذمه،فضـلا عمن یکره المدح و یسر بالذم، إلا أن تحصیلها ممکن إذ کل من عرف أن المـدح مضـر بدینه و قاصم لظهره فلا بد أن یکرهه و یبغض المادح،لو کان عاقلا مشـفقا علی نفسه.و کذا من عرف أن الذام له یرشده إلی عیوبه و یهدی إلیه بعض حسناته،لا بد أن یحبه و یسر بذمه.

و أما الحاله الثانیه،فهی أولی درجات الکمال،و من لم یتصف بها فهو ناقص.فالاتصاف بها لازم علی کل مؤمن.و ربما ظن بعض النّاس اتصافه بها،مع کونه فاقدا لها.فمن ظن ذلک من نفسه،فلا بد أن

یمتحن نفسه بعلاماتها،حتی یظهر له صدق ظنه و کذبه،و علاماته:ألا یکون سعیه و نشاطه فی قضاء حوائج المادح أکثر منهما فی قضاء حوائج الذام،و ألا یتفاوت همه و حزنه لأجل موتهما و ابتلائهما بمصیبه،و ألا تکون ذله المادح أخف فی قلبه و عینه من ذله الذام،و ألا یکون جلوس الذام عنده اثقل و لا قیامه أهون من جلوس المادح و قیامه.و بالجمله:أن یستویا عنده من کل وجه.فمن وجد نفسه استواءهما فی جمیع الجهات، فهو ممن یتساوی عنده المدح و الذم.

و منها:

اشاره

الریاء

و هو طلب المنزله فی قلوب الناس بخصال الخیر أو ما یدل علیها من الآثار.فهو من أصناف الجاه،إذ هو طلب المنزله فی القلوب بأی عمل اتفق،و الریاء طلب المنزله باداثه خصال الخیر أو ما یدل علی الخیر ثم خصال الخیر یشمل أعمال البر بأسرها،و هی أعم من العادات إن خصت العباده بمثل الصلاه و الصوم و الحج و الصدقه و أمثال ذلک و مساوقه لها إن أرید بالعباده کل فعل یقصد به التقرب و یترتب علیه الثواب إذ علی هذا کل عمل من أعمال الخیر،سواء کان من الواجبات أو المندوبات او المباحات فی الأصل إذا قصد به القربه کان طاعه و عباده، و ان لم یقصد به ذلک لم یکن عباده و لا عمل خیر،و لو کان مثل الصلاه.و ربما خص الریاء عاده بطلب المنزله فی القلوب بالعباده بالمعنی الأخص.

و المراد بالآثار الداله علی الخیریه هی کل فعل لیس فی ذاته برا

و خیرا،و إنما یستدل به علی الخیریه.

و هی إما متعلقه بالبدن،کاظهار النحول و الصفار لیستدل بهما علی قله الأکل أو الصوم و سهر اللیل،و یوهم بذلک شده الاجتهاد و عظم الحزن علی امر الدین و غلبه الخوف من اللّه و من أهوال الآخره،و کخفض الصوت لیستدل به علی ان وقار الشرع قد خفض صوته...و قس علیها غیرها من الأمور المتعلقه بالبدن،الداله علی الخیریه قصدا إلی تحصیل المنزله فی قلوب الناس،و کل ذلک یضر بالدین و ینافی الورع و الیقین،و لذا قال عیسی-علیه السلام-:«اذا صام أحدکم،فلیدهن رأسه،و یرجل شعره،و یکحل عینیه»،خوفا من نزع الشیطان بالریاء.ثم هذه مراءاه أهل الدین بالبدن،و أما أهل الدنیا فیراؤن فی البدن بإظهار السمن و صفاء اللون و نظافه البدن و حسن الوجه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالزی و الهیئه کحلق الشارب و إطراق الرأس فی المشی، و الهدوء فی الحرکه،و إبقاء أثر السجود فی الجبهه،و لبس الصوف أو الثوب الخشن أو الابیض و تعظیم العمامه و لبس الطیلسان و الدراعه،و أمثال ذلک مما یدل علی العلم و التقوی او الانخلاع عن الدنیا.

و المراءون من أهل الدین بالزی و اللباس علی طبقات:منهم من یری طلب المنزله بالثیاب الخشه،و منهم من یری بالثیاب الفاخره،و منهم من یری بالوسخه،و منهم من یراه بالنظیفه،و للناس فیما یعشقون مذاهب و أما أهل الدنیا فلا ریب فی أنهم یراؤن فی اللباس بلبس الثیاب النفیسه و رکوب المراکب الرفیعه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالقول و الحرکات کاظهار الغضب و الاسف علی المنکرات و مقارفه الناس للمعاصی،لیستدل بها علی حمایته للدین و شده اهتمامه علی الامر بالمعروف و النهی عن المنکر،مع ان قلبه لم یکن متأثرا عن ذلک،

ص:۳۸۵

و کارخاء الجفون و تنکیس الرأس عنـد الکلام و إظهار الهدوء و السـکون فی المشـی،لیسـتدل بذلک علی وقاره،و ربما أسـرع المرائی فی المشـی إلی حاجه فإذا اطلع علیه واحـد رجع إلی الوقار خوفا من أن ینسب إلی عـدم الوقار فإذا غاب الرجل عاد إلی عجلته.

أو متعلقه بغیر ذلک کمن یتکلف ان یکثر الزائرون له و الواردون علیه(لا)سـیما من العلماء و العباد و الأمراء لیقال إن أهل الدین و العظماء یتبرکون بزیارته.

فصل ذم الریاء

الریاء من الکبائر الموبقه و المعاصی المهلکه و قد تعاضدت الآیات و الأخبار علی ذمه،قال سبحانه:

فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ اَلَّذِینَ هُمْ یُرٰاؤُنَ وَ یَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ

(۱)

.و قـال سـبحانه: فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً (۲).و قال سـبحانه: یُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ یَذْکُرُونَ اللّٰهَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۳).و قال: کَالَّذِی یُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ (۴).

۱- ۱) الماعون،الآیه:۴-۷.

۲- ۲) الکهف،الآیه:۱۱۰.

۳- ۳) النساء الآیه:۱۴۲.

۴- ۴) البقره،الآیه:۲۶۴.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»قالوا:و ما الشرک الأصغر؟قال:«الرياء،يقول اللّه عز و جل يوم القيامه للمرائين إذا جازى العباد باعمالهم:اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«استعيذوا باللّه من جب الحزن»قيل:و ما هو يا رسول اللّه؟قال:«واد فى جهنم أعد للقراء المرائين».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«يقول اللّه تعالى:من عمل لى عملا أشرک فيه غيرى فهو له كله،و أنا منه برىء،و أنا أغنى الأغنياء عن الشرک» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يقبل اللّه تعالى عملا فيه مثقال ذره من رياء».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن أدنى الرياء الشرک» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن المرائى ينادى عليه يوم القيامه يا فاجر يا غادر يا مرائى ضل عملک و حبط أجرک اذهب فخذ أجرک ممن كنت تعمل له».و كان-صلى اللّه عليه و آله-يبكى،فقيل له:ما يبكيک؟قال «إنى تخوفت على أمتى الشرک أما انهم لا يعبدون صنما و لا شمسا و لا قمرا و لا حجرا و لكنهم يراؤن باعمالهم».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم و تحسن فيه علانيتهم طمعا فى الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم،يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم اللّه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم»و قال:«إن الملک ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فإذا صعد بحسناته يقول اللّه عز و جل:

اجعلوها فى سجين إنه ليس إياى أراد به» (۱) و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ان الحفظه تصعد بعمل العبد إلى السماء السابعه من صوم و صلاه.

۱- ۱) صححنا الحديث و كذا ما قبله على(أصول الكافى).باب الرياء و باقى الأحاديث النبويه على(احياء العلوم)ج ٣ ص ٢٥٤.

و تفقه و اجتهاد و ورع،لها دوی کدوی الرعد و ضوء کضوء الشمس معه ثلاثه آلاف ملک،فیجاوزون به إلی السماء السابعه،فیقول لهم الملک الموکل بها قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه، اقفلوا به علی قلبه،إنی أحجب عن ربی کل عمل لم یرد به وجه ربی، إنه أراد بعمله غیر اللّه،إنه أراد رفعه عند الفقهاء و ذکرا عند العلماء و صیتا فی المدائن،أمرنی أن لا أدع عمله یجاوزنی إلی غیری،و کل عمل لم یکن للّه خالصا فهو ریاء،و لا یقبل اللّه عمل المرائی،قال-صلی اللّه علیه و آله-:و تصعد الحفظه بعمل العبد من صلاه و زکاه و صیام و حج و عمره و خلق حسن و صمت و ذکر اللّه تعالی و تشیعه ملائکه السماوات حتی یقطع الحجب کلها إلی اللّه فیقفون به بین یدیه و یشهدون له بالعمل الصالح المخلص للّه،قال:فیقول اللّه تعالی لهم أنتم الحفظه علی عمل عبدی و أنا الرقیب علی نفسه،انه لم یردنی بهذا العمل و أراد به غیری فعلیه لعنتی فتقول الملائکه کلهم علیه لعنتک و لعنتنا،و تقول السماوات کلها علیه لعنه اللّه و لعنتنا،و تلعنه السماوات السبع و من فیهن».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«اخشوا اللّه خشیه لیست بتعذیر (۱)و اعملوا بغیر ریاء و لا سمعه فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی عمله یوم القیامه»و قال الباقر-علیه السلام-:«الابقاء علی العمل أشد من العمل»قیل:و ما الا بقاء علی العمل؟قال:«یصل الرجل بصله و ینفق نفقه للّه وحده لا شریک له فکتب له سرا ثم یذکرها فتمحی فتکتب له علانیه ثم یذکرها فتمحی فتکتب له ریاء».و قال الصادق-علیه السلام-:

«قال اللّه تعالی انا خیر شریک فمن عمل لی و لغیری فهو لمن عمل له

ص:۳۸۸

---

۱ - ۱) قال فی الوافی فی باب الریاء ۳-۴۰۰:بیان(بتعذیر)-بحذف المضاف- ای ذات تعذیر،و هو بالعین المهمله و الذال المعجمه بمعنی التقصیر.

غیری».و قال-علیه السلام-:«قال اللّه تعالی:أنا أغنی الأغنیاء عن الشریک فمن أشرک معی غیری فی عمل لم أقبله إلا ما کان لی خالصا» و قال-علیه السلام-:«کل ریاء شرک،إنه من عمل للناس کان ثوابه علی الناس،و من عمل للّه کان ثوابه علی اللّه».و عن أبی عبد اللّه -علیه السلام-فی قول اللّه عز و جل:

فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً .

قال:«الرجل یعمل شیئا من الثواب لا یطلب به وجه اللّه إنما یطلب تزکیه الناس،یشتهی أن یسمع به الناس فهذا الذی أشرک بعباده ربه» ثم قال:«ما من عبد أسر خیرا فذهبت الأیام أبدا حتی یظهر اللّه له خیرا،و ما من عبد یسر شرا فذهبت الأیام حتی یظهر اللّه له شرا».

و قال-علیه السلام-:ما یصنع أحدکم أن یظهر حسنا و یسر سیئا أ لیس یرجع إلی نفسه فیعلم أن ذلک لیس کذلک و اللّه عز و جل یقول:«بل الإنسان علی نفسه بصیره».ان السریره إذا صحت قویت العلانیه.و قال -علیه السلام-:«من أراد اللّه بالقلیل من عمله اظهر اللّه له أکثر مما أراده به و من أراده الناس بالکثیر من عمله فی تعب من بدنه و سهر من لیله أبی اللّه إلا أن یقلله فی عین من سمعه».و قال-علیه السلام-لعباد البصری:«ویلک یا عباد!إیاک و الریاء فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی من عمل له».و قال-علیه السلام-:«اجعلوا أمرکم هذا للّه و لا تجعلوه للناس فانه ما کان للّه فهو للّه و ما کان للناس فهو لا یصعد الی اللّه». و قال الرضا-علیه السلام-لمحمد بن عرفه:«ویحک یا بن

عرفه اعملوا لغیر ریاء و لا سمعه فانه من عمل لغیر اللّه وکلّه اللّه إلی ما عمل ویحک ما عمل أحد عملا إلا أراده اللّه به إن خیرا فخیرا و إن شرا فشرا» (۱).

و کفی للریاء ذما انه یوجب الاستحقار للّه و جعله أهون من عباده الضعفاء الذین لا یقدرون نفعا و لا ضرا،اذ من قصد بعباده اللّه عبدا من عبیده فلا ریب فی أن ذلک لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر علی تحصیل أغراضه من اللّه و أنه أولی بالتقرب إلیه منه تعالی و أی استحقار بمالک الملوک أشد من ذلک.

فصل أقسام الریاء

الریاء إما فی العبادات أو فی غیرها(و الأول)حرام مطلقا و صاحبه ممقوت عند اللّه و هو یبطل أصل العباده و لأن الأعمال بالنیات،و المرائی بالعباده لم یقصد امتثال أمر اللّه بل قصد ادراک مال أو جاه أو غرض آخر من الأغراض فلا یکون ممتثلا لأمر اللّه خارجا عن عهده التکلیف، ثم مع بطلان عبادته و عدم خروجه عن عهده التکلیف یکون له اثم علی حده لأجل الریاء،کما دلت علیه الآیات و الأخبار،فیکون أسوأ حالا-ممن ترک العباده رأسا،کیف لا-و المرائی بالعباده جمع بین الاستهزاء باللّه و التلبیس و المکر لأنه خیل إلی الناس أنه مطیع للّه من أهل الدین و لیس کذلک.

و أما الریاء بغیر العبادات،فقد یکون مذموما،و قد یکون مباحا،

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث عن آل البیت علیهم السلام(علی أصول الکافی)باب الریاء و علی(البحار)مج ۳:۱۵-۴۳.و علی(الوسائل)-ج ۱،الباب ۱۲،۱۱ ۱۴ من أبواب مقدمه العبادات-.

و قد يكون مستحبا،و قد يكون واجبا،إذ يجب على المؤمن صيانه عرضه و ألا يفعل ما يعاب عليه،فلا يليق بذوى المروات أن يرتكبوا الأمور الخسيسه بانفسهم عند مشاهده الناس و ان جاز لهم ذلك فى الخلوه،و من زين نفسه باللباس او غيره فى أعين الناس حذرا من لومهم و استثقالهم أو استقذارهم إياه كان ذلك مباحا له،إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم إلا أن ذلك يختلف باختلاف الازمنه و البلاد و الأشخاص من العباد،فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموما بالنظر إلى وقت او شخص أو بلد غير مذموم بالنظر إلى آخر.روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أراد يوما أن يخرج على أصحابه،فكان ينظر فى حب من الماء و يسوى عمامته و شعره،فقيل له:أو تفعل ذلك يا رسول اللّه؟ فقال:نعم،إن اللّه تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج اليهم».و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذى يحب أن يراه فى أحسن الهيئه»،و قال الصادق -عليه السلام-:«الثوب النقى يكبت العدو».و روى:«أنه -عليه السلام-نظر إلى رجل من أهل المدينه قد اشترى لعياله شيئا و هو يحمله،فلما رآه الرجل استحى منه،فقال-عليه السلام-:اشتريته لعيالك و حملته إليهم،أما و اللّه لو لا أهل المدينه لا حببت أن اشترى لعيالى الشىء ثم احمله إليهم» (۱)أراد-عليه السلام-لو لا مخافه ان يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله،إلا أنه لما كان فى زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه،و لما لم يكن ذلك مما يعاب عليه فى زمن أمير المؤمنين -عليه السلام-كان يرتكبه و كان ذلك منقبه له و تعليما.فظهر أن ارتكاب

---

۱ - ۱) تقدم هذا الحديث فى ۱-۳۵۸،و الأحاديث الثلاثه الأخيره صححناها على(الوسائل)-كتاب الصلاه،ابواب احكام الملابس،الباب ۴-۶.

بعض الأمور و عدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياء محبوبا و قد يكون رياء مذموما.

فصل تأثير الرياء على العباده

اشاره

الرياء إما أن يكون مجردا عن قصد القربه و الثواب بحيث لو لاه و الفرد صاحبه لترك العمل و هو أشد درجات الرياء و اعظمها اثما،أو يكون مع قصدهما فان كان قصدا ضعيفا مرجوحا بحيث لو كان خاليا عن قصد الرياء لم يبعثاه على العمل،و لو كان قصد الرياء خاليا عنهما بعثه عليه،كان قريبا من سابقه و ان كان مساويا لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل،فالحق كونه مفسدا للعمل أيضا لظواهر الاخبار.و ان كان راجحا على قصد الرياء غالبا عليه بأن يكون قصد الرياء و اطلاع الناس مرجحا و مقويا لنشاطه بحيث لو لم يكن لم يترك العمل،و لو كان قصد الرياء وحده لما أقدم على العمل،(فبعض العلماء)على أنه لا يحبط أصل العمل و الثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء،و يثاب على مقدار قصد الثواب و(فيه نظر)إذ ظواهر الأخبار تفيد إبطاله أصل العمل و الثواب لصدق الرياء عليه و صدق المرائى على صاحبه،لقول أمير المؤمنين-عليه السلام- «ثلاث علامات للمرائى:ينشط إذا رأى الناس،و يكسل إذا كان وحده و يحب أن يحمد فى كل أموره»و ما تقدم من الأخبار الداله على أن كل عمل أشرك مع اللّه تعالى غيره كان اللّه منه بريئا و لم يقبله،صريح فى المطلوب.و حملها على ما إذا تساوى القصد أو كان قصد الرياء أرجح خلاف الظاهر.ثم الظاهر ان البطلان فى هذه الصوره إنما هو إذا رجع قصده إلى حبه اطلاع الناس عليه لتقع منزله له فى قلوبهم،ليتوسل بها

إلی نیل غرض من الأغراض الدنیویه،و أما إذا کان سروره و قصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحیحه الآتیه فلا بأس به و لا یبطل العمل.

تنبیه السرور بالاطلاع علی العباده

من کان قصده إخفاء الطاعه و الإخلاص للّه،فإذا اتفق اطلاع الناس علی طاعته فلا بأس بالسرور به،من حیث علمه بأن اللّه اطلعهم علیه و اظهر الجمیل من حاله،فیستدل به علی حسن صنع اللّه به من حیث إنه ستر الطاعه و المعصیه،و اللّه تعالی أبقی معصیته علی الستر و أظهر طاعته،فیکون فرحه بجمیل نظر اللّه و فضله له لا بمدح الناس و قیام المنزله فی قلوبهم،و قد قال اللّه تعالی:

قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِکَ فَلْیَفْرَحُوا

(۱)

.

و کأنه ظهر له بظهور طاعته أنه عند اللّه مقبول ففرح به أو من حیث استدلاله بإظهار اللّه الجمیل و ستره القبیح فی الدنیا أنه کذلک یفعل به فی الآخره،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«ما ستر اللّه علی عبد فی الدنیا إلا ستر اللّه علیه فی الآخره».فالأول فرح بالقبول فی الحال من غیر ملاحظه المستقبل،و هذا التفات إلی المستقبل.أو من حیث ظنه رغبه المطلعین فی الاقتداء فی الطاعه،فیتضاعف بذلک أجره.

إذ یکون له أجره السر بما قصده أولا،و أجر العلانیه بما اظهره آخرا و من اقتدی الناس به فی طاعه فله أجر اعمال المقتدین به من غیر أن ینقص

۱- ۱) یونس،الآیه:۵۸.

من أجورهم شیء.أو من حيث فرحه بطاعه المطلعين للّه فی مدحهم و حبهم للمطيع،و ميل قلوبهم إلى الطاعه،اذ من الناس من يمقت أهل الطاعه و يحسدهم أو يستهزئ بهم و ينسبهم إلى الرياء،فهذا فرح بحسن ايمان عباد اللّه،و علامه الإخلاص فيه:أن يكون سروره بمدحهم غيره مثل سروره بمدحهم إياه.

و يدل على عدم البأس بالسرور فيما ذكر ما روى:«أن رجلا قال لرسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:انی أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه فيسرنی!قال:لک أجران:أجر السر و أجر العلانيه» و ما روى:«أنه سئل الباقر-عليه السلام-عن الرجل يعمل الشیء من الخير فيراه انسان فيسره ذلک،قال:لا بأس،ما من أحد إلا و هو يحب أن يظهر اللّه له فی الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلک».و هذان الخبران باطلاقهما يدلان على نفی البأس بالسرور لأجل المقاصد المذكوره و يخصص منهما ما هو المذوم من الفرح الحاصل من اطلاع الناس،و ان كان قصده الاخفاء أولا،و هو أن يكون فرحه لقيام منزلته فی قلوب الناس حتى يمدحوه و يعظموه و يقوموا بحوائجه،و انما يخصص ذلک منهما مع شمول اطلاقهما له أيضا لمعارض أقوى.

هذا و قد تقدم أن قصده أولا-ای فی حال عقد الطاعه-اطلاع الناس عليه و ارتياحه به لأحد المقاصد المذكوره لا بأس به أيضا،فعدم البأس لا يختص بطرو القصد و الارتياح بعد العقد او بعد تمام العمل.

ثم كما لا بأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذكوره،فكذلک لا بأس بكتمان المعاصی و اغتمامه باطلاع الناس عليها لاسباب نذكرها،بل الحق رجحان الكتمان و مزيته بعد ارتكابها،و ان كان الأصل فی الإخلاص استواء السريره و العلانيه.و لذا قال بعض الأكابر:«عليک بعمل العلانيه

و هو ما إذا ظهر لم تستح منه».و قال بعضهم:«ما عملت عملا أبالى ان يطلع الناس عليه إلا اتيانى أهلى و البول و الغائط».إلا ان ذلک درجه عظيمه ليست شرعه لکل وارد،و لا يصل إليها إلا واحد بعد واحد.إذ کل انسان-إلا من عصمه اللّه-لا يخلو من ذنوب باطنه،(لا)سيما ما يختلج بباله من الامانى الباطله و الأمور الشهويه،و اللّه مطلع عليها و هى مخفيه عن الناس،و السعى فى اخفائها و کراهه ظهورها جائز بل راجح، بشرط ألا يکون باعث اخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع و الصلاح، بل کان الباعث:

۱-إما کون السر مأمورا به.

۲-أو کون الهتک و إظهار المعاصى منهيا عنه.قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-:«من ارتکب شيئا من هذه القاذورات فليستره بستر اللّه تعالى».و يعرف صدق ذلک بکراهه ظهورها عن الغير،أو کون ستر اللّه عليه فى الدنيا دليلا على ستره فى الآخره،لما ورد فى الخبر:

«أن من ستر اللّه عليه فى الدنيا ستر اللّه عليه فى الآخره».

۳-أو کون ظهور المعاصى موجبا لذم الناس،و الذم يؤلم القلب و يشغله عن طاعه اللّه،و يصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لأجله، و لکون التألم بالذم جبليا غير ممکن الدفع بسهوله يکون إخفاء ما ظهوره يؤدى إلى حدوثه جائزا.نعم،کمال الصدق استواء المدح و الذم،إلا أن ذلک قليل جدا،و أکثر الطباع تألم بالذم،لما فيه من الشعور بالنقصان و ربما کان التألم بالذم ممدوحا إذا کان الذام من أهل البصيره فى الدين، فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه،فينبغى أن يتألم منه و يتشمر لدفعه ۴-أو کون الناس شهداءه يوم القيامه،کما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامه.

۵-أو خوف أن يقصد بشر او سوء إذا عرف ذنبه.

۶-أو خوف صيروره الذام عاصيا بذمه،و هذا من كمال الايمان و يعرف بتسويه ذمه و ذم غيره.

۷-أو خوف سقوط وقع المعاصى من نفسه او اقتداء الغير به فيها و هذه العله هى المبيحه لإظهار الطاعه،و يختص ذلك بمن يقتدى به من الأئمه و امثالهم،و لهذه العله ينبغى أن يخفى العاصى معصيته من أهله و ولده أيضا،لئلا يقتدوا به فيها.

۸-أو حبه محبه الناس له لا-للتوسل بها إلى الأغراض الدنيويه، بل ليستدل بها على محبه اللّه تعالى له،لأن من أحبه اللّه تعالى جعله محبوبا فى قلوب الناس.

۹-أو مجرد الحياء من ظهور قبائحه،و هو غير خوف الذم و القصد بالشر،إذ هو من فضائل الأخلاق و من كريم الطبع،قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-:«الحياء خير كله».و قال الصادق-عليه السلام-:«الحياء شعبه من الايمان».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ان اللّه تعالى يحب الحيى الحليم».و من صدر عنه فسق و لم يبال بظهوره للناس،فقد جمع إلى الفسق الهتك و عدم الحياء-أعنى الوقاحه-،فهو أسوأ حالا ممن يفسق و يستحى فيستره.

ثم كثيرا ما يشتبه الحياء بالرياء،فيدعى من يرائى بأنه يستحى،و أن تركه السيئات أو إخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس دون الرياء،و ذلك كذب،و بيان ذلك:أن الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم،و يمكن أن يهيج عقيبه داعيه الرياء فيرائى معه و يمكن أن يهيج داعيه الإخلاص فيجمعه إليه.مثلا من طلب صديقه قرضا،فان رده صريحا من غير مبالاه و من دون أن يتعلل ارتكب الوقاحه و عدم الحياء.

و ان أعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهه من دون رغبه فى الثواب و لا خوف من ذمه أو حب إلى مدحه حتى لو طلبه مراسله أو بتوسط غيره من الأجانب لرده،فإعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب رياء أو اخلاص عليه.و ان تعسر عليه الرد للحياء و كان ما فى نفسه من البخل مانعا من الإعطاء فحدث خاطر الرياء،و يخاطب نفسه بأنه ينبغى أن تعطيه حتى يمدحك بالسخاء و لا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء،و المحرك للرياء هو هيجان الحياء.و ان تعسر عليه الرد للحياء و الإعطاء للبخل،فهيج باعث الإخلاص،و يقول له:ان الصدقه بواحده و القرض بثمانيه،ففيه أجر عظيم،و إدخال السرور على قلب مسلم صديق من أقرب القربات،فسخت نفسه بالاعطاء،فهو جمع بين الحياء و الإخلاص ثم الحياء لا يكون إلا فى القبائح الشرعيه أو العقليه أو العرفيه،كالبخل و مقارفه الذنوب و الظلم و صدور بعض الحركات القبيحه عرفا فى المحافل،و الرياء يكون فى المباحات أيضا،حتى انه لو عاد الضاحك إلى الانقباض و المستعجل فى المشى إلى الهدوء بعد اطلاع الناس كان مرائيا،و ربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء و هو الجهل،إذ باعثه مجرد الرياء.و ما قيل:إن بعض الحياء ضعف،فالمراد أن الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس،كالحياء من وعظ الناس و اقامه الصلاه و من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،الا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه،كأن يشاهد معصيه من شيخ فيستحى من شيبته أن ينكر عليه،لأن من إجلال اللّه إجلال ذى الشيبه المسلم،و لو استحيى من اللّه و لا يضيع الأمر بالمعروف لكان أحسن.و أقوياء النفوس من أهل الايمان يؤثرون الحياء من اللّه على الحياء من الخلق،و أما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرون على ذلك.

فصل متعلقات الرياء

الرياء إما باصل الايمان،و هو إظهار الشهادتين مع التكذيب باطنا و هذا هو كفر النفاق،و قد كان فى صدر الإسلام كثيرا،و قل ما يوجد فى أمثال زماننا،و ان كثر فيه إنكار بعض ضروريات الدين،كالجنه و النار و الثواب و العقاب و اعتقاد طى بساط احكام الشرع باطنا،ميلا الى قول الملاحده و أهل الاباحه،مع إظهار الخلاف ظاهرا،و هذا أيضا معدود من كفر النفاق،و صاحبه ينسل عن الدين مخلد بالنار.و صاحب كفر النفاق مطلقا أسوأ حالا من الكافر المحارب،لأنه جمع بين الكفر الباطن و النفاق الظاهر.أو بأصول العبادات مع التصديق باصل الدين، كأن يصلى فى الملأ دون الخلوه،و يصوم مع اطلاع الناس عليه و يفطر بدونه،و مثله و إن لم ينسل من أصل الدين،إلا أنه شر المسلمين، لترجيحه الخلق على الخالق،و كون التقرب إليهم أحب من التقرب لديه و كون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه.أو بالنوافل و السنن،و هذا أيضا مذموم مهلك،و لكنه دون ما قبله،لأن صاحبه و ان قدم مدح الخلق على مدح الخالق،إلا أنه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه،لعدم ترتب عقاب على ترك النافله.أو بأوصاف العباده الواجبه أو المستحبه،كفعل ما فى تركه نقصان أو كراهه أو ترك ما فى فعله أحدهما أو بزيادات خارجه عن نفس النوافل،كحضوره الجماعه قبل القوم و قصده الصف الأول،و أمثال ذلك.و كل ذلك مذموم،إلا أن بعضه أشد من بعض.

ص :۳۹۸

فصل بواعث الرياء

اشاره

باعث الرياء إما التمكن من المعصيه،كاظهار الورع و التقوى لتفوض اليه الحكومه و القضاء،لينال الجاه و الاستيلاء،و يحكم بالجور،و يأخذ الرشا،أو تسلم إليه الودائع و الصدقات و أموال اليتامى و أمثال ذلك فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها،و كحضوره مجالس العلم و الوعظ و التعزيه لملاحظه النسوان و الصبيان،و هذا أشد درجات الرياء اثما،و يقرب منه إظهار الديانه و التقوى ليدفع عن نفسه تهمه ما اقترفه من الجرائم،أو نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا،كالاشتغال بالوعظ و التذكير و الإمامه و التدريس و إظهار الصلاح و الورع،لتستبذل له الأموال و ترغب فى تزويجه النسوان أو خوف أن ينظر إليه بعين النقص و الحقاره،أو ينسب إلى الكساله و البطاله كترك العجله و الضحك بعد اطلاع الناس عليه،خوفا من أن يعرف باللهو و الهزل فيستحقر،و كالقيام للتهجد و أداء النوافل إذا وقع بين المتهجدين و المتنفلين لئلا ينسب إلى الكساله،و لو خلى بنفسه لم يتنفل مطلقا،و كذا الامتناع من الأكل و الشرب فى اليوم الذى يصام فيه تطوعا و تصريحه بأنى صائم،خوفا من أن ينسب إلى البطاله،و ربما لم يصرح بكونه صائما،بل يقول:لى عذر،و حينئذ قد جمع بين رياءين بكونه صائما،و الرياء بكونه مخلصا غير مراء.ثم إن ألجأته الكساله و الشهوه إلى عدم القيام إلى النوافل و عدم الصبر عن الأكل و الشرب،ذكر لنفسه عذرا تصريحا أو تعريضا،كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف أو شده العطش أو تطييب خاطر فلان،و قس عليها غيرها من الكلمات و الاعذار،فانها لا تسبق إلى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء فى النفس،و المخلص لا يريد

غير اللّه و التقرب إليه،و لا يعتنى بالخلق و حصول المنزله فى قلوبهم،فان لم يصم لم يحب أن يعتقد غيره فيه ما يخالف علم اللّه ليكون ملبسا،و ان صام قنع بعلم اللّه و لم يشرك فيه غيره.ثم هذه البواعث لما كان بعضها صادرا من رداءه قوه الغضب و بعضها من رداءه قوه الشهوه،فيكون بعض أنواع الرياء من رذائل الأولى و بعضها من رذائل الثانيه.

تنبيه الرياء الجلى و الخفى

الرياء جلى و خفى،و الجلى:ما يبعث على العمل لو لا قصد الثواب و الخفى:ما لا يبعثه بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذى أريد به التقرب فى الخلوه،و يعرف بالسرور إذا اطلع عليه الناس،لا-للمقاصد المتقدمه، بل لطلب نوع منزله فى قلوب الناس،و يتوقع التعظيم و التوقير و قضاء الحوائج منهم و وجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر فى احترامه،كأن نفسه تتقاضى الإكرام و الاحترام على الطاعه التى اخفاها مع أنه لم يطلع عليه أحد.و لا شك أن هذا التقاضى لا ينفك عن شوب خفى من الرياء أخفى من دبيب النمل،و لو كان عنده وجود الطاعه كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق و قنع بعلم اللّه فيها لم يكن لهذا التوقع وجه.فعلامه خلوص العمل من الرياء ألا يجد تفرقه بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمه،و مهما وجد تفرقه فى ذلك فلا يكون منفكا عن توقع ما(عن) (۱)الناس فى طاعته،و ذلک مما يحبط العمل.قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:

«إن اللّه تعالى يقول للقراء يوم القيامه:ألم يكن يرخص عليكم السعر؟

۱- ۱) كذا فى النسخ،و لعل(عند)مكان(عن).

أ لم تكونوا تبدءون بالسلام؟أ لم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟فلا أجر لكم،قد استوفيتم اجوركم!».

فصل كيف يفسد الرياء العمل

لو عقد العمل على الإخلاص و استمر إلى الفراغ،لم يحبطه السرور بظهوره بعده،لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفه.و لا-يعصى به أيضا إن كان لأجل أحد المقاصد السالفه،و يكتب له معصيه إن كان لظنه حصول منزله له فى القلوب.و لو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبه و السرور بذلك،فربما قيل باحباطه العمل،إذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العباده لم يخل عن عقد خفى من الرياء.و قد أيد ذلك بما روى:«أن رجلا قال للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

إنى صمت الدهر.فقال صلى اللّه عليه و آله و سلم:لا-صمت و لا افطرت!» و ما روى:«أن ابن مسعود سمع رجلا يقول:قرأت البارحه سوره البقره.فقال:ذلك حظه منها».

و الظاهر أنه لا يحبط عمله،بل يثاب عليه،و ان عواقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الرياء.و التعليل لو تم لا يفيد البطلان،إذ العقد الذى لم يشعر به صاحبه لا يؤاخذ به،و إلا لزم التكليف بالمحال.و الخبر لو صح فانكاره صلى اللّه عليه و آله و سلم لأجل كراهيه صوم الدهر لا لإظهاره.و قول ابن مسعود لو ثبت لا حجيه فيه.

و لو عقد العمل على الإخلاص،و ورد فى اثنائه وارد السرور باطلاع بعض الناس عليه،فان لم يكن باعثا على العمل و مؤثرا فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الإخلاص من غير فتور،و كان أيضا لأحد المقاصد

الصحيحه المتقدمه،فلا بطلان و لا اثم،لما تقدم من الأخبار.و إن لم يكن باعثا و لكن لم يكن لشىء من المقاصد المذكوره،بل كان لظنه نيل الجاه أو المال بالظهور،فالحق بطلان العمل و كونه آثما للعمومات السالفه و ان كان باعثا و مؤثرا فهو الرياء المحرم،سواء كان غالبا على قصد التقرب أو مساويا له او مغلوبا عنه،فيحبط العمل و عليه الإعاده لو كان فريضه،لما تقدم من العمومات،و لقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:

«العمل كالوعاء،اذا طاب آخره طاب أوله».و قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:«من راءى بعلمه ساعه،حبط عمله الذى كان قبله».ثم هذا فى العمل المركب الذى له اجزاء،و يتوقف صحته على صحه كل واحد منها،كالصوم و الصلاه و الحج.و أما العمل الذى كل جزء منه منفرد، كالصدقه و القراءه،فما يطرأ من الرياء فى اثنائه إنما يفسد الباقى دون الماضى فطروؤه فيه فى الاثناء بالنسبه إلى الماضى كطروئه بعد الفراغ فى الأول.و هذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد الطاعه على الإخلاص أو قبله سواء لم يرجع عنه حتى يتمها،أو ندم بعده فى الاثناء أيضا و رجع و استغفر و أما المقارن حال العقد،بأن يبتدى بالصلاه مثلا على قصد الرياء،فان اتمها عليه فلا خلاف فى كونه إثما و عدم الاعتداد بها.و ان ندم عليه فى الاثناء و رجع و استغفر،فان مجرد القصد إلى الغير الباعث إلى اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمه و ارتياحه به فلا بأس به و لا يحبط العمل، و ان كان غير ذلك أفسده،سواء فى ذلك جميع شقوقه المتقدمه،كما علم وجهه.

فائده شوائب الرياء مبطله للعمل

لما كان المناط فی الاعمال،صحه و فسادا،هو القصد و النيه،إذ الاعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى،فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد،سواء وقع سرا او علانيه،و كل عمل كان خالصا للّه و أمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس باسراره و لا بإظهاره.ثم لو تعلق قصد صحيح بإظهار نفس العمل أو التحدث به بعد الفراغ عنه،كترغيب الناس فی الخير و تنبيههم على الاقتداء به فيه،كان إظهاره أفضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على رياء أو فساد آخر،كاهانه الفقير فی التصدق،و لو اشتمل على شیء من ذلک،كان أسراره أفضل من اعلانه و بذلک يجمع بين الأقوال و الأخبار.

و الحاصل:أنه متى انفک القلب عن شوائب الرياء،بحيث يتم الإخلاص على وجه واحد فی الحالتين،فما فيه القدوه و هو العلانيه أفضل و مهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره،لكونه مهلكا له، فالسر أفضل منه.فعلى من يظهر العمل أن يعلم أو يظن انه يقتدى به و ان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفی،فربما اظهر العمل لعذر الاقتداء و كان فی نفسه قصد التجمل بالعمل و كونه مقتدى به، و هذا حال كل من يظهر العمل،إلا من أيده اللّه بقوه النفس و خلوص النيه،فلا ينبغی لضعيف النفس أن يخدع نفسه فيضل و يضل و يهلک من حيث لا يشعر.فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذی يعلم سباحه ضعيفه فينظر إلى جماعه من الغرقى فيرحمهم،و أقبل عليهم لينجيهم فتشبثوا به،

و هلـک و هلکـوا.و هـذه المواضـع مزال أقـدام العلمـاء و العبـاد،فـانهم یتشـبهون بالاقویـاء فی الإظهـار و لاـ تقـوی قلـوبهم علی الإخلاـص،فتحبـط أجورهم بالریاء.و درک ذلک غامض جـدا لا یبلغه الا الخائضون فی غمرات علم الأخلاق.و یعرف الخلوص فی ذلـک بألاـ یتفاوت حاله باقتـداء الناس به و بغیره من اقرانه و أمثاله،فان کان قلبه أمیل إلی أن یکون هو المقتـدی به،فاظهاره العمل غیر خال عن شوائب الریاء.

ایقاظ

لمـا عرفت أن المنـاط فی صـحه الأعمال و فسادها هو القصـد و النیه،تعلم أن کل عمل لم یکن خالصا لوجه اللّه و أریـد به غیره سبحانه ینبغی أن یترک و یعرض عنه،و إن کان خالصا له تعالی مقصودا علی قصد صحیح لا ینبغی ترکه لمجرد بعض الوساوس و الخواطر الشیطانیه.فان الشیطان یدعو أولا إلی ترک العمل فان لم یجب یدعو إلی الریاء،فإذا أیس منه یقول:

هذا العمل لیس خالصا،بل هو ریاء،فأی فائده منه؟!.

ثم الاعمال إما من الطاعات اللازمه التی لا تعلق لها بالغیر،کالصـلاه و الصوم و الحـج و أمثالها،أو من الطاعات المتعـدیه التی لها تعلق بالخلق، کالامامه و القضاء و الحکومه و الافتاء و الوعظ و التذکیر و التعلیم و التدریس و إنفاق المال و غیر ذلک.

و القسم الأول:إن دخله الریاء قبل الفعل،بأن یکون باعثه الریاء دون الخلوص و القربه،فینبغی أن یترک و لا یشـرع فیه،و إن دخله بعـد العقـد أو معه،فلاـ ینبغی أن یترک،لأـنه وجـد له بـاعث دینی،و إنمـا طرأه بـاعث الریـاء،فلیجاهـد فی دفع الریـاء و تحصـیل الإخلاص،و یرد نفسه إلیه قهرا بالمعالجات التی نذکرها.و مهما کان فی المجاهده مع نفسه

معاتبا لها قاهرا عليها فى ميلها إلى الرياء،و وجد من طبعه كراهيه هذا الميل،فالنجاه فى حقه مرجوه،و لعل اللّه يسامحه بعظيم رحمته.و أما إذا لم يكن فى مقام المجاهده،و لم يكن كارها مما يجد فى نفسه من الميل إلى الرياء بل أعطى زمام الاختيار إلى النفس الاماره،و هى تراءى فى الاعمال،و هو يتبعها فى ذلك من غير قهر عليها و كراهيه لفعلها،فلا ريب فى فساد أعماله و أولويه تركها،و ان كان باعثها ابتداء محض القربه و دخلها الرياء مع العقد أو بعده.

و أما القسم الثانى:المتعلق بالخلق-اعنى امامه الصلاه و القضاء و التدريس و الافتاء و الوعظ و الإرشاد و أمثال ذلك-فاخطارها عظيمه، و مثوبتها جسيمه.فمن له أهليه ذلك من حيث العلم-ان كان ذا نفس قويه لا يعتنى بالناس و لا تزعجها وساوس الخناس و له معرفه تامه بعظمه ربه و قدرته و سائر صفاته الكماليه،بحيث شغله ذلك عن الالتفات إلى الخلق و ما فى أيديهم حتى يرائى لأجلهم او يختار رضاهم على رضا ربه-فالأولى لمثله ألا يترك هذه المناصب ليفوز بمثوبتها العظيمه.و ان كان ذا نفس ضعيفه،كخيط مرسل فى الهواء تفيئها (۱)الريح مره هكذا و مره هكذا فهو لا يأمن الرياء و سائر اخطارها.فاللازم لمثله تركها.و لذلك كان أهل اليقين من السلف يتدافعون هذه المناصب ما وجدوا إليه سبيلا.و ورد ما ورد من الأخبار فى عظم خطرها و كثره آفاتها و لزوم التثبت و الاحتياط لمن يزاولها و ما ورد من الوعيد الشديد فى حق العلماء السوء يكفى للزوم الحذر عن فتن العلم و غوائله.و مما يقصم ظهور أمثالنا من الذين يقولون ما لا يعلمون و يأمرون بما لا يفعلون،قول عيسى بن مريم-عليهما السلام-:

«يا علماء السوء!تصومون و تصلون و تتصدقون و لا تفعلون ما تؤمرون!

ص:۴۰۵

۱- ۱) و فى نسختنا الخطيه(تعليها).

و تـدرسون مـا لاـ تعلمون فيـا سوء مـا تحكمون!تتوبون بالقول و الامانى، و تعلمون بالهوى،و ما يغنى عنكم أن تتقوا جلودكم و قلوبكم دنسه!بحق أقول لكم:لاـ تكونوا كالمنخـل يخرج منه الـدقيق الطيب و تبقى فيه النخاله كـذلك أنتم!تخرجون الحكم من أفواهكم و يبقى الغل فى صدوركم!يا عبيد الدنيا!كيف يدرك الآخره من لا تنقضى من الدنيا شهوته و لا تنقطع منها رغبته!بحق أقول لكم:إن قلوبكم تبكى من أعمالكم،جعلتم الـدنيا تحت ألسـنتكم و العمل تحت أقـدامكم بحق أقول لكم:أفسدتم آخرتكم بصـلاح دنياكم،فصـلاح الدنيا أحب إليكم من صـلاح الآخره!فاى ناس أخس منكم لو تعلمون!و بلكم!حتى متى تصفون الطريق للمـدلجين و تقيمون فى محله المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم!مهلا مهلا! ويلكم!ما ذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فـوق ظهره و جوفه وحش مظلم!كـذلك لاـ يغنى عنكم أن يكون نور العلم بـافواهكم و اجوافكم منه وحشـه معطله.يا عبيـد الـدنيا!توشك الدنيا أن تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم،ثم تكبكم على مناخركم،ثم تأخذ خطاياكم بنواصـيكم!يدفعكم العلم من خلفكم،ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاه عراه فرادى!فيوقفكم على سوآتكم،ثم يخزيكم بسوء أعمالكم!!» (۱)هـذا و يعرف الصادق المخلص من أهل هـذه المناصب بأنه إذا ظهر من هو أعدل و أحسن وعظا و أكثر علما منه و أشـد قبولا للناس فرح به و لم يحسـده و إذا حضـر الأكابر و الأعاظم مجلسه أو اقتـدوا به لم يتغير كلامه و لم يتفاوت حاله،بل يبقى على ما كان عليه،و ينظر إلى عباد اللّه بعين واحده.

۱- ۱) روى هذا الحديث فى(احياء العلوم):۳-۲۸۱،فصححناه عليه و هو يرويه عن(الحارث المحاسبى).

تنبیه

لما عرفت حقیقه الریاء،تعلم أنه إذا صار عمل بعض الصالحین أو قولهم محرکا لغیرهم علی الاشتغال بالطاعه لم تکن هذه الطاعه ریاء إذا عقدت علی الخلوص،و ان لم یکن هذا الغیر لیفعل هذه الطاعه إذا لم یشاهدها من بعض الصالحین أو لم یسمعها منه.فمن لم تکن عادته التهجد و بات مع قوم متهجدین فی موضع،فإذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقه و وافقهم فی التهجد،و لم یکن ذلک ریاء بعد أن یکون قصده منه الثواب و التقرب إلی اللّه،إذ کل مؤمن راغب فی عباده اللّه و فی قیام اللیل،و لکن قد تعوقه العوائق و تمنعه الغفله،فإذا شاهد قوما یتهجدون ربما صارت مشاهده طاعتهم سببا لزوال غفلته،کما یصیر قولهم و وعظهم سببا لذلک،فیتحرک باعث الدین دون الریاء و یدعوه إلی موافقتهم.و ربما کان الموضع مما لیس فیه عائق،فیغتنم الفرصه و یبعثه ما فیه من الایمان الی الطاعه.و قس علی التهجد غیره:من الصوم،و التصدق،و القراءه و الذکر،و غیرها من أعمال البر.

فصل علاج الریاء

لما کانت الأسباب الباعثه علی الریاء هی حب لذه المدح و الفرار من ألم الذم و الطمع بما فی أیدی الناس،فالطریق فی علاجه أن یقطع هذه الأسباب و قد تقدم طریق العلاج فی قطع الأولین،و یأتی طریق إزاله الثالث.و ما نذکره هنا من العلاج العلمی للریاء،هو أن یعلم أن الشیء إنما یرغب فیه لکونه نافعا،و إذا علم أنه ضار لیعرض عنه البته،و حینئذ

فینبغی لکل مؤمن أن یتذکر مضره الریاء و ما یفوته من صلاح قلبه و ما یحرم عنه فی الحال من التوفیق و فی الآخره من المنزله عند اللّه و ما یعترض له من المقت و العذاب و متی تذکر ذلک و قابل ما یحصل له فی الدنیا من الناس الذین راءی لأجلهم بما یفوته فی الآخره من ثواب الاعمال،لترک الریاء لا محاله،مع ان العمل الواحد ربما تترجح به کفه حسناته لو خلص فإذا فسد بالریاء حول إلی کفه السیئات،فتترجح به و یهوی إلی النار.

هذا مع أن المرائی فی الدنیا متشتت الهم متفرق الباب بسبب ملاحظه قلوب الناس،فان رضاهم غایه لا تدرک،و کلما یرضی به فریق یسخط به فریق و من طلب رضاهم فی سخط اللّه سخط اللّه علیه و أسخطهم أیضا.ثم ای غرض له فی مدحهم و ایثار ذم اللّه لأجل مدحهم و لا یزیده مدحهم رزقا و لا اجلالا و لا ینفعه یوم فقره و فاقته و هو یوم القیامه؟!و من کان ریاؤه لأجل الطمع بما فی أیدی الناس،ینبغی أن یعلم ان اللّه هو المسخر للقلوب بالمنع و الإعطاء،و ان الخلق مضطرون فیه،و لا رازق إلا اللّه، و من طمع فی الخلق لم یخل عن الذل و الخسه،و ان وصل إلی المراد لم یخل عن المنه و المهانه،و إذا قرر ذلک فی نفسه و لم یکن منکرا لأمسه، زالت غفلته و فترت عن الریاء رغبته و أقبل علی اللّه بقلبه،و انقطع بشراشره الی جناب ربه.و یکفیه أن یعلم أن الناس لو علموا ما فی باطنه من قصد الریاء و إظهار الإخلاص لمقتوه،و سیکشف اللّه عن سره حتی یبغضه إلیهم و لو أخلص للّه لکشف اللّه لهم اخلاصه و حببه إلیهم و سخرهم له،و أطلق ألسنتهم بمدحه و ثنائه،مع أنه لا یحصل له کمال بمدحهم و لا نقصان بذمهم ثم من تنور قلبه بنور الایمان و انشرح صدره بالیقین و العرفان، و عرف معنی الواجب و حقیقه الممکن،و تیقن بأن الواجب-أی الحقیقه التی تقتضی بنفس ذاته التحقق و البقاء،و هو صرف الوجود-یجب أن

یکون تاما فوق التمام،و لا یتصور حقیقه أتم کمالا منه،و الحقیقه التی هذا شأنها یجب أن یکون ما سواها باسره مستندا إلیها و صادرا عنها علی أشرف أنحاء الصدور و أقواها.و هذا النحو الأشرف الأقوی الذی لا یتصور نحوه أقوی منه فی الاختراع و أدل منه علی کمال عظمه الموجد و قدرته، و هو کون ما سواه سبحانه من الموجودات،إما اعتبارات و شؤنات لدرجات ذاته و اشراقات لتجلیات صفاته،کما ذهب إلیه قوم،أو کونها ماهیات امکانیه اختراعیه علما و عینا،صادره عن سبحانه بوجودات خاصه متعدده ارتباطیه بمحض إرادته و مشیته،کما ذهب إلیه آخرون (۱)و لو لم یکن غیره من الموجودات مستندا إلیه علی أقوی أنحاء الاستناد،لم یکن تاما فوق التمام،اذ تکون الذات التی یستند الکل إلیها باحد النحوین اکمل منه و أشرف.و إذا عرف أنه سبحانه کذلک،یعرف أنه لیس فی الوجود حقیقه أحد سواه و غیره حقیقته العدم و ما له من الوجود و الظهور منه سبحانه،و بعد هذه المعرفه لا یختار غیره تعالی علیه،و یعلم أن العباد کلهم

۱- ۱) القول الأول مبنی علی اصاله الوجود،و الثانی علی اصاله الماهیه.و هذا البحث الذی ذکره المؤلف من دقائق الفلسفه الآلهیه و اعلاها و لقد أحسن فیه البیان جدا. فانه مبنی علی فهم معنی واجب الوجود لذاته،و هو الذی یکون ذاته بذاته،مع قطع النظر عن کل ما عداه،و من حیث هو هو منشأ لانتزاع انه موجود،فلذلک یجب ان یکون صرف الوجود انه لا شیء له الوجود إلا لکان ممکنا،و یجب أن یکون متصفا بجمیع الکمالات بل اکمل الکمالات و من جملتها ان تکون الموجودات مستنده إلیه علی أقوی أنحاء الاستناد.و إذا لم یتصف بجمیع الکمالات لا یتصف باعدامها،فیدخل فی حقیقته العدم،فلم یکن صرف الوجود،فلم یکن واجب الوجود لذاته،و هذا خلاف الفرض،أو بهذه الطریقه یستدل علی اتصافه بجمیع صفات الجمال و الجلال.

عجزه لا یملکون لأنفسهم نفعا و لا ضررا،و لا یملکون موتا و لا حیاه، فلا یتغیر قلبه بمشاهده الخلق،و لا یلتفت إلیهم إلا بخطرات ضعیفه لا یشق علیه ازالتها،فیعمل عمل من لو کان علی وجه الأرض وحده لکان یعمله و أما العلاج العملی،فهو أن یعود نفسه علی إخفاء العبادات و اغلاق الابواب دونها،کما تغلق الابواب دون الفواحش،حتی یقنع قلبه بعلم اللّه و اطلاعه علی عبادته،و لا تنازعه النفس إلی طلب علم غیر اللّه به.و ذلک و إن شق فی بدایه المجاهده،لکن إذا صبر علیه مده بالتکلف سقط عنه ثقله و هان علیه بتواصل الطاف اللّه و ما یمده به عباده من حسن التوفیق و التأیید:

إِنَّ اللّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ

(۱)

.

فمن العبد المجاهده و من اللّه الهدایه:

إِنَّ اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ

(۲)

.

تتمیم

القالع مغارس الریاء من قلبه بقطع الطمع و استحقار مدح الناس و ذمهم ربما لا یترکه الشیطان،(لا)سیما فی اثناء العباده،فعارضه بخطرات الریاء و نزغاته،حتی أحدث فی قلبه میلا خفیا إلی الریاء و حبا له.و الحق أن ذلک لیس من الریاء المحرم،و لا تفسد به العباده،مع کونه کارها

ص: ۴۱۰

۱- ۱) الرعد،الآیه:۱۱.

۲- ۲) التوبه،الآیه:۱۲۰.

لهذا المیل و الحب و قاهرا علی نفسه ماقتا لها فی تأثرها و تغیرها عن نزغات الشیطان و منازعا للشیطان و مجاهدا إیاه لدفع خطراته،لأن اللّه لم یکلف عباده الا ما یطیقون،و لیس فی وسعهم منع الشیطان عن نزغاته و لا قمع الطبع حتی لا یمیل إلی شهواته،و غایه ما یقدرون علیه أن یقابلوا نزعاته و میل الطبع بالکراهه و القهر علی النفس فی هذا المیل،مع المجاهده فی دفع ذلک بتذکر المعالجات المقرره لدفع الریاء و الوساوس،و إذا فعلوا ذلک أدوا ما یجب علیهم.و یدل علی ذلک أیضا ما تقدم من الأخبار الداله علی عدم المؤاخذه بمجرد الوسوسه،و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«الحمد للّه الذی رد کید الشیطان إلی الوسوسه».فوسوسه الشیطان و میل النفس لا یضران مع ردهما بالکراهه و الاباء،اذ الوساوس و الخواطر و التذکرات و التخیلات المهیجه للریاء من الشیطان،و المیل و الرغبه بعد تلک الخواطر من النفس،و الإباء و الکراهه من الایمان و من آثار العقل فلا یضر ما من النفس و الشیطان إذا قوبل بما من العقل و الایمان،و لذا قال بعض الأکابر «ما کان من نفسک فکرهته نفسک لنفسک،فلا یضرک ما هو من عدوک و ما کان من نفسک فرضیته نفسک لنفسک فعاتبها علیه».

ثم الطرق المتصوره فی دفع خطرات الریاء فی اثناء العباده مع کراهتها أربع:

الأولی-أن یشتغل بمجادله الشیطان فی رد نزغاته،و یطیل معه الجدال.

الثانیه-أن یقتصر علی تکذیب الشیطان و دفعه من غیر اشتغال بمجادلته.

الثالثه-ألا یشتغل بتکذیبه أیضا،بل یکتفی بما قرر فی عقد ضمیره من کراهه الریاء و کذب الشیطان،فیستمر علی ما کان علیه مستصحبا له

غير مشتغل بالمخاصمه و التكذيب.

الرابعه-أن يزيد فيما هو فيه من الإخلاص و الاشتغال باللّه،أو ما يؤدى إليهما،كاخفاء العباده و الصدقه غيظا للشيطان،لأن ذلك يغيظ الشيطان و يوجب يأسه،و مهما عرف من العبد هذه العاده،كف عنه خوفا من أن يزيد فى حسناته.

و لا ريب فى أن الاشتغال بالمجادله و التكذيب و اطالتهما يمنع الحضور و يصد عن التوجه إلى اللّه،و هو نقصان لأهل السلوك،فالصواب لكل مؤمن أن يقرر دائما فى عقد ضميره كراهيه الرياء و تكذيب الشيطان و يعزم أبدا على أنه إذا تهجم عليه الشيطان و عارضه بنزغات الرياء زاد ما هو فيه مما يغيظ الشيطان و يوجب يأسه،فإذا حدثت خطرات الشيطان فى الاثناء اكتفى بما عقد عليه أولا مستصحبا له،و زاد فى الإخلاص و ما يؤدى إليه فان ذلك يوجب قنوط الشيطان.و إذا عرف العبد بهذه الصفه لا يتعرض له لئلا يزيد فيما يغيظه.و ينبغى لكل مؤمن أن يكون هذا ديدنه فى جميع الصفات و الملكات،مثلا إذا حصل اليقين و العقيده الجازمه بالمبدإ و صفاته الكماليه،و قرر ذلك فى نفسه،و أثبت فى قلبه كراهيه الشك و خطور الوساوس،فإذا حدث بعض الوساوس فى اثناء عباده أو غيرها،ينبغى ألا يشتغل بطول المجاهده مع الشيطان،و يكفى بما تقرر فى قلبه من اليقين و كراهيه الشك و الوسوسه،معتقدا بأن هذه الوساوس لا أصل لها و لا عبره بها.و كذا إذا قرر فى نفسه النصيحه للمسلمين و كراهيه الحسد،فإذا أوقع الشيطان نزغات الحسد فى قلبه،ينبغى ألا يلتفت إليها،و يستصعب ما كان عليه من النصيحه و الكراهه،و قس عليها سائر الصفات و الأخلاق.

ثم مثل من يشتغل بطول المجاهده مع الشيطان مثل من قصد مجلسا من مجالس العلم و الوعظ لينال فائده و هدايه فعارضه ضال فاسق و دعاه إلى

مجلس فسق فابى و أنكر عليه،فإذا عرف الضال إياه،اشتغل بالمجادله معه،و هو أيضا يساعده على ذلك ليرد ضلاله،ظانا أن ذلك مصلحته مع أنه غرض الضال إذ قصده من المجادله أن يؤخره عن نيل مقصوده.

و مثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لا يشتغل بالقتال مع الضال بعد دعوته الى مجلس الضلال،بل وقف بقدر أن يدفع فى منحره،و ذهب مستعجلا ففرح الضال بقدر توقفه للدفع.و مثل من يكتفى بعقد الضمير مثل من لم يلتفت إلى الضال بعد دعوته أصلا،و استمر على ما كان عليه من المشى و مثل من يزيد فيما كان له من الإخلاص أو ما يؤدى إليه مثل من يزيد فى عجلته بعد دعوته ليغيظه.و لا ريب فى أن الضال يمكن أن يعاود الجميع فى الدعوه إلى الضلاله إذا مروا عليه مره أخرى إلا الأخير،مخافه أن يزداد فائده باستعجاله.

وصل الإخلاص و حقيقته

ضد الرياء:الإخلاص،و هو تجريد القصد عن الشوائب كلها.فمن عمل طاعه رياء فهو مراء مطلق،و من عملها و انضم إلى قصد القربه قصد غرض دنيوى انضماما غير مستقل فعمله مشوب غير خالص،كقصد الانتفاع بالحميه من الصوم،و قصد التخلص من مؤنه العبد أو سوء خلقه من عتقه،و قصد صحه المزاج أو التخلص من بعض الشرور و الاحزان من الحج،و قصد العزه بين الناس أو سهوله طلب المال من تعلم العلم، و قصد النظافه و التبرد و طيب الرائحه من الوضوء و الغسل،و التخلص عن إبرام السائل من التصدق عليه،و هكذا.فمتى كان باعث الطاعه هو التقرب و لكن انضافت إليه خطره من هذه الخطرات،خرج عمله من الإخلاص

فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها،كثيرها و قليلها و المخلص من يكون عمله لمحض التقرب إلى اللّه سبحانه،من دون قصد شيء آخر أصلا.

ثم أعلى مراتب الإخلاص-و هو الإخلاص المطلق و اخلاص الصديقين- إرادته محض وجه اللّه سبحانه من العمل،دون توقع غرض فى الدارين و لا يتحقق إلا لمحب للّه تعالى مستهترا به،مستغرق الهم بعظمته و جلاله بحيث لم يكن ملتفتا إلى الدنيا مطلقا. و أدناها-و هو الإخلاص الاضافى- قصد الثواب و الاستخلاص من العذاب،و قد أشار سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله- الى حقيقه الإخلاص بقوله-:«هو أن تقول ربى اللّه ثم تستقيم كما أمرت (١)تعمل اللّه،لا تحب أن تحمد عليه!اى لا تعبد هواك و نفسك،و لا تعبد إلا ربك،و تستقيم فى عبادتك كما أمرت».

و هذا إشاره إلى قطع ما سوى اللّه سبحانه عن مجرى النظر،و هو الإخلاص حقا.و يتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس و قطع الطمع عن الدنيا و التجرد فى الآخره،بحيث ما يغلب ذلك على القلب و التفكر فى صفات اللّه تعالى و افعاله و الاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله و عظمته و يستولى عليه حبه و أنسه،و كم من اعمال يتعب الإنسان فيها و يظن انها خالصه لوجه اللّه تعالى،و يكون فيها مغرورا لعدم عثوره على وجه الآفه فيها،كما حكى عن بعضهم أنه قال:«قضيت صلاه ثلاثين سنه كنت صليتها فى المسجد جماعه فى الصف الأول،لأنى تأخرت يوما لعذر و صليت فى الصف الثانى،فاعترتنى خجله من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى فعرفت أن نظر الناس إلى فى الصف الأول كان يسرنى،و كان سبب

١- ١) إشاره إلى قوله تعالى،مخاطبا لنبيه-صلى اللّه عليه و آله-:«فاستقم كما أمرت».

استراحه قلبی من ذلک من حیث لا اشعر».و هذا دقیق غامض،و قلما تسلم الأعمال من أمثاله،و قل من یتنبه له،و الغافلون عنه یرون حسناتهم فی الآخره کلها سیئات،و هم المرادون بقوله تعالی:

وَ بَدا لَهُمْ سَیِّئاتُ ما عَمِلُوا

(۱)

. وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللّهِ ما لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ (۲).و بقوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً؟ اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً (۳).

فصل مدح الإخلاص

الإخلاص منزل من منازل الدین،و مقام من مقامات الموقنین.و هو الکبریت الأحمر،و توفیق الوصول إلیه من اللّه الاکبر،و لذا ورد فی فضیلته ما ورد من الآیات و الأخبار،قال اللّه تعالی:

وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِیَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ

(۴)

.

و قال: أَلا لِلّهِ الدِّینُ الْخالِصُ (۵).و قال: إِلاَّ الَّذِینَ

۱- ۱) الجاثیه،الآیه:۳۳.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۴۷.

۳- ۳) الکهف،الآیه:۱۰۴،۱۰۳.

۴- ۴) البینه،الآیه:۵.

۵- ۵) الزمر،الآیه:۳.

تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّهِ

(۱)

و قال:

فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

نزل فيمن يعمل للّه و يحب أن يحمد عليه.

و فى الخبر القدسى:«الإخلاص سر من أسرارى،استودعته قلب من أحببت من عبادى».و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-«أخلص العمل يجزك منه القليل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ما من عبد يخلص العمل للّه تعالى أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمه من قلبه على لسانه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ثلاث لا يغل عليهن».

وعد منها قلب رجل مسلم أخلص العمل للّه عز و جل.و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«لا تهتموا لقله العمل،و اهتموا للقبول».و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«طوبى لمن أخلص للّه العباده و الدعاء،و لم يشغل قلبه بما ترى عيناه،و لم ينس ذكر اللّه بما تسمع أذناه،و لم يحزن صدره بما أعطى غيره!».و قال الباقر-عليه السلام-:«ما أخلص عبد الايمان باللّه أربعين يوما-أو قال:ما أجمل عبد ذكر اللّه أربعين يوما-الا زهده اللّه تعالى فى الدنيا و بصره داءها و دواءها،و أثبت الحكمه فى قلبه و انطق بها لسانه». و قال الصادق عليه السلام فى قول اللّه عز و جل.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً :

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۴۶.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۱۰.

«ليس يعنى أكثركم عملا،و لكن اصوبكم عملا،و انما الإصابه خشيه اللّه و النيه الصادقه»..ثم قال:«الايفاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل،و العمل الخالص الذى لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا اللّه عز و جل،و النيه أفضل من العمل،ألا و ان النيه هى العمل».

ثم تلا قوله عز و جل«قل كل يعمل على شاكلته»:يعنى على نيته».

و قال الصادق-عليه السلام-:«الإخلاص (۱)يجمع فواضل الاعمال و هو معنى مفتاحه القبول و توفيقه الرضا،فمن تقبل اللّه منه و رضى عنه فهو المخلص و ان قل عمله،و من لا يتقبل اللّه منه فليس بمخلص و ان كثر عمله،اعتبارا بآدم-عليه السلام-و ابليس.و علامه القبول وجود الاستقامه ببذل كل المحاب مع اصابه علم كل حركه و سكون،و المخلص ذائب روحه باذل مهجته فى تقويم ما به العلم و الأعمال و العامل و المعمول بالعمل،لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك ذلك الكل،و إذا فاته ذلك فاته الكل،و هو تصفيه معانى التنزيه فى التوحيد كما قال الأول:هلك العاملون إلا العابدون،و هلك العابدون إلا العالمون و هلك العالمون إلا الصادقون،و هلك الصادقون إلا المخلصون،و هلك المخلصون إلا المتقون و هلك المتقون إلا الموقنون،و أن الموقنين لعلى خطر عظيم!قال اللّه لنبيه -صلى اللّه عليه و آله-:و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.و أدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته،ثم لا يجعل لعمله عند اللّه قدرا فيوجب به على ربه مكافاه بعمله،لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبوديه لعجز، و أدنى مقام المخلص فى الدنيا السلامه فى جميع الآثام،و فى الآخره النجاه

---

۱ - ۱) صححنا الاخبار المرويه عن أهل البيت-عليهم السلام-على(الكافى) باب الإخلاص.و على(الوافى):۳-۳۲۸،۳۲۹ باب الإخلاص.

من النار و الفوز بالجنه» (۱).

و من تأمل فی هذه الاخبار و فی غیرها مما لم یذکر،یعلم أن الإخلاص رأس الفضائل و رئیسها،و هو المناط فی قبول الأعمال و صحتها،و لا عبره بعمل لا الإخلاص معه،و لا خلاص من الشیطان إلا بالإخلاص،لقوله:

إِلاّ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ

(۲)

.

و ما ورد فی الإسرائیلیات من حکایه العابد و الشیطان و الشجره المشهور و فی الکتب مسطور (۳).

فصل آفات الإخلاص

الآفات التی تکدر الإخلاص و تشوشه لها درجات فی الظهور و الخفاء اجلاها الریاء الظاهر،و هو ظاهر.ثم تحسین العباده و السعی فی الخشوع فیها فی الملإ دون الخلوه لیتأسی به الناس،و لو کان عمله هذا خالصا للّه لم یترکه فی الخلوه،إذ من یری الخشوع و حسن العباده خیرا لا یرتضی لغیره ترکه،فکیف یرتضی ذلک لنفسه فی الخلوه،ثم تحسینها فی الخلوه أیضا بقصد التسویه بین الخلوه و الملإ،و هذا من الریاء الغامض،لأنه حسن عبادته فی الخلوه لیحسنها فی الملإ،فلا یکون فرق بینهما فی التفاته فیهما إلی الخلق،اذ الإخلاص الواقعی أن تکون مشاهده الخلق لعبادته

۱- ۱) صححنا الروایه علی(مصباح الشریعه):الباب ۷۷ و علی(البحار): مج ۲:۱۵-۸۶ باب الإخلاص عن(مصباح الشریعه).

۲- ۲) الحجر،الآیه ۴۰.

۳- ۳) راجع(احیاء العلوم)۴-۳۲۲.

كمشاهده البهائم لها،من دون تفاوت أصلا،فكأن نفسه لا تسمح باساءه العباده بين اظهر الناس،ثم يستحى من نفسه أن يكون فى صوره المرائين و يظن أن ذلك يزول باستواء عبادته فى الخلوه و الملأ،و ليس كما ظنه،اذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته إلى الخلق فى الملأ و الخلوه كما لا يلتفت الى الجمادات فيهما مع أنه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعا.و اخفاها أن يقول له الشيطان-و هو فى العباده فى الملأ بعد يأسه عن المكائد السابقه-:

«أنت واقف بين يدى اللّه سبحانه،فتفكر فى جلاله و عظمته،و استحى من أن ينظر إلى قلبك و هو غافل عنه!فيحضر بذلك قلبه و تخشع جوارحه» و هذا أخفى مكائد الشيطان و خداعه،و لو كانت هذه الخطره ناشئه عن الإخلاص لما انفكت عنه فى الخلوه و لم يخص خطورها بحاله حضور غيره و علامه الأمن من هذه الآفه:أن يكون هذا الخاطر مما يألفه فى الخلوه كما يألفه فى الملأ،و لا يكون حضور الغير سببا لحضوره كما لا يكون حضور بهيمه سببا له،فما دام العبد يفرق فى أحواله و أعماله بين مشاهده انسان و مشاهده بهيمه،فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء،و هذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النمله السوداء فى الليله الظلماء على الصخره الصماء،كما ورد به الخبر و لا يسلم منه إلا من عصمه اللّه بخفى لطفه،اذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعباده اللّه،لا يغفل عنهم لحظه ليحملهم على الرياء فى كل واحد من أفعالهم و أعمالهم.

تتميم

الحق-كما أشير إليه-أن الشوب الممزوج بالإخلاص إن كان من المقاصد الصحيحه الراجحه شرعا،لم يبطل العمل و الإخلاص و لم ينقص

الأجر و الثواب.اذ نيه الخيرات المتعدده توجب تضاعف الثواب بحسبها و إن كان من الأغراض الدنيويه الراجعه إلى حب جاه أو طمع مال فهو مبطل للعمل و الثواب،سواء كان الباعث الدينى أضعف من الباعث النفسى أو مساويا له أو أقوى منه،لظواهر الاخبار المتقدمه.و مع إبطاله العمل يترتب عليه عقاب على حده أيضا،إذ الرياء فى العباده فى نفسه منهى عنه محرم،سواء كان هو الباعث وحده او انضم إلى نيه التقرب انضماما مستقلا أو غير مستقل،فمن ارتكبه كان آثما لأجل الرياء فى نفسه و تاركا للعباده من حيث دخول الرياء فيها،فان كانت واجبه ترتب اثم آخر على تركها إلا أن يسقطه بقضائها،و ان كانت مستحبه لم يلزم قضاؤها و لم يترتب اثم على تركها،بل كان اثمها منحصرا بما يترتب على الرياء فى نفسه.ثم الإثم المترتب على الرياء المحض أشد و اغلط من المترتب على الرياء الممزوج بالقربه،و يتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوه باعث الرياء بالنظر إلى باعث الإخلاص،و ينقص بحسب نقصان ذلك.

و على ما ذكرناه،فما العقد عليه إجماع الأمه من أن من خرج حاجا و معه تجاره صح حجه و أثيب عليه،مع أن سفره ليس خالصا للحج، فالوجه فيه أن التجاره تعرض للرزق،و هو أيضا عباده.و قد تقدم أن نيه الخيرات المتعدده موجبه لتضاعف الثواب بحسبها،فلا حاجه إلى ما قيل «إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكه و تجارته غير موقوفه عليه فهو خالص،و إنما المشترك طول المسافه،و لا ثواب فيه مهما قصد تجاره»،و لا إلى ما قيل:«مهما كان الحج هو المحرك الأصلى و كان غرض التجاره كالمعين و التابع،فلا ينفك نفس السفر عن الثواب» نعم،إذا كانت التجاره للجمع و الادخار من غير حاجه،فلا يبعد أن يقال ذلك،و كذا إذا انضم إلى قصد الحج قصد التفرج و دفع التوحش عن الأهل

انضماما غير مستقل،و مثله إذا انضم إلى نيه الوضوء التبرد،و إلى نيه الصوم قصد الحميه،و إلى نيه العتق الخلاص من المؤنه و سوء الخلق،الى غير ذلك،اذا لم تكن المنضمات مستقله.

و من العلماء من قال:«إن الباعثين إن تساويا تساقطا،و صار العمل لا له و لا عليه،و ان كان باعث الرياء أقوى لم يكن العمل نافعا،بل كان مضرا و موجبا للعقاب،و إن كان عقابه أخف من عقاب الذى تجرد للرياء و ان كان باعث التقرب أقوى فله ثواب بقدر ما فضل من قوته، لقوله تعالى:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ. وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ

(۱)

و قوله تعالى: إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّهٍ (۲).

فلا ينبغى أن يضيع قصد الخير،بل إن كان قصد التقرب غالبا على الرياء حبط منه القدر الذى يساويه و بقيت زياده،و إن كان مغلوبا سقط بسببه شىء من عقوبه القصد الفاسد.و السر:أن الأعمال تأثيرها فى القلوب بتأكيد صفاتها،فداعيه الرياء من المهلكات،و قوه هذا المهلك بالعمل على وفقه،و داعيه الخير من المنجيات،و قوته بالعمل على وفقه،فإذا اجتمعت الصفات فى القلب فهما متضادتان،فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء قويت تلك الصفه،و ان عمل على وفق داعيه الخير قويت أيضا تلك الصفه،و أحدهما مهلك و الآخر منج.فان كانت تقويته لهذا بقدر

۱- ۱) الزلزال،الآيه:۷،۸.

۲- ۲) النساء،الآيه:۴۰.

تقویته للاخر فقد تقاوما،و ان کان أحدهما غالبا زاد تأثیره بقدر الفاضل من قوته،کما فی تأثیر الأدویه و الأغذیه المتضاده»انتهی (۱).

و فیه:أن إطلاق الظواهر یفید کون شوب الریاء محبطا للعمل و الثواب و قدم تقدم بعضها.و منها ما روی:«أن رجلا سأل النبی-صلی اللّه علیه و آله-:عمن یصطنع المعروف-أو قال-یتصدق-فیحب أن یحمد و یؤجر،فلم یدر ما یقول له،حتی نزل قوله تعالی:

فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

و لا ریب فی أنه قصد الحمد و الأجر جمیعا،و مع ذلک نزلت فی حقه هذه الآیه.

و منها ما روی:«أن اعرابیا أتاه-صلی اللّه علیه و آله-و قال:

یا رسول اللّه،الرجل یقاتل حمیه،و الرجل یقاتل شجاعه،و الرجل یقاتل لیری مکانه فی سبیل اللّه!فقال-صلی اللّه علیه و آله-:من قاتل لتکون کلمه اللّه هی العلیا فهو فی سبیل اللّه».و حملها علی صوره تساوی القصدین

۱- ۱) ابو حامد الغزالی:(احیاء العلوم):۴-۳۲۸.و نقله المؤلف باختصار و تصرف قلیلین.

۲- ۲) هذه مرویه فی(البحار):مج ۳:۱۵-۵۹،باب ذم السمعه و الاغترار بمدح الناس،عن عده الداعی بمضمون یقارب ماهنا و نصه عن سعید بن جبیر قال:«جاء رجل إلی النبی-صلی اللّه علیه و آله-فقال:انی اتصدق و أصل الرحم و لا اصنع ذلک إلا للّه فیذکر عنی و أحمد علیه،فأسر فی ذلک و اعجب به.فسکت رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و لم یقل شیئا،فنزل قوله تعالی:إنما أنا بشر. الآیه».

أو غلبه قصد الرياء خلاف الظاهر.و ما ذكره من أن لكل قصد و فعل تأثيرا خاصا على حده،ففيه أن ذلك إذا لم يبطله ضده.و نحن نقول:

إن مقتضى الاخبار كصريح العقل يدل على أن قصد الرياء يبطل قصد القربه إذا تواردا على فعل واحد،فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزياده على تأثير قصد الرياء.

و منها:

النفاق

و هو مخالفه السر و العلن،سواء كان فى الايمان أو فى الطاعات أو فى المعاشرات مع الناس،و سواء قصد به طلب الجاه و المال أم لا-و على هذا فهو أعم من الرياء مطلقا،و ان خص بمخالفه القلب و اللسان أو بمخالفه الظاهر و الباطن فى معامله الناس و مصاحبتهم،فبينهما عموم و خصوص من وجه.و على التقادير،إن كان باعثه الجبن فهو من رذائل قوه الغضب من جانب التفريط،و ان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط و إن كان منشأه تحصيل مال أو منكح فهو من رداءه قوه الشهوه و لا ريب فى أنه من المهلكات العظيمه،و قد تعاضدت الآيات و الأخبار على ذمه.و أشد أنواع النفاق-بعد كفر النفاق-كون الرجل ذا وجهين و لسانين،بأن يمدح أخاه المسلم فى حضوره و يظهر له المحبه و النصيحه، و يذمه فى غيبته و يؤذيه بالسب و السعايه إلى الظالمين و هتك عرضه و اتلاف ماله و غير ذلك،و بأن يتردد بين متعاديين و يتكلم لكل واحد بكلام يوافقه و يحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداه مع صاحبه و يمدحه (۱)على

۱- ۱) و فى النسخ(اثناه)بدل(يمدحه)،و لم نر لها وجها.

ذلـک،أو یعـد کـل واحـد منهمـا أنه ینصـره،أو ینقـل کلاـم کل واحـد الی الآخر.و هـذا شـر من النمیمه التی هی النقل من أحد الجـانبین.و بـالجمله هو بجمیع أقسامه مـذموم محرم،قال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله- «من کان له وجهان فی الـدنیا،کان له لسانان من نار یوم القیامه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«تجدون من شر عباد اللّه یوم القیامه ذا الوجهین:الذی یأتی هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«یجیء یوم القیامه ذو الوجهین دالعا لسانه فی قفاه و آخر من قـدامه یلتهبان نارا حتی یلتهبان خـده،ثم یقال:هـذا الذی کان فی الدنیا ذا وجهین و ذا لسانین،یعرف بذلک یوم القیامه». و ورد فی التوراه «بطلت الأمانه و الرجل مع صاحبه بشفتین مختلفتین،یهلک اللّه یوم القیامه کل شـفتین مختلفتین».و عن علی بن اسباط،عن عبد الرحمن بن حماد، رفعه قال:قال اللّه تبارک و تعالی لعیسـی:«یا عیسی،لیکن لسانک فی السر و العلانیه لسانا واحد،و کذلک قلبک،إنی احذرک نفسک،و کفی بی خبیرا!لا یصلح لسانان فی فم واحد،و لا سیفان فی غمد واحد،و لا قلبان فی صدر واحد،و کذلک الاذهان!».و قال الباقر علیه السلام:

«لبئس العبد عبد یکون ذا وجهین و ذا لسانین،یطری أخاه شاهدا و یأکله غائبا،إن أعطی حسده و ان ابتلی خذله».

ثم لاـ یخفی أن الـدخول علی المعتـادیین و المجـامله مع کـل منهمـا قولاـ و فعلاـ لاـ یوجب کونه منافقـا و لا ذا لسانین إذا کان صادقا،إذ الواحـد قـد یصادق متعادیین،و لکن صـداقه ضـعیفه،إذ الصداقه التامه تقتضـی معاداه الأعداء و کذا من ابتلی بذی شـر یخاف شـره،یجوز أن یجامله و یتقیه و یظهر له فی حضوره من المـدح و المحبه ما لم یعتقـد به قلبه،و هو معنی المداراه، و هو و ان کان نفاقا إلا أنه جائز شرعا للعذر،قال اللّه سبحانه:

اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ

(۱)

.

و روی:«أنه استأذن رجل علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- فقال:ائذنوا له فبئس رجل العشیره.فلما دخل ألان له القول،حتی ظن أن له عنده منزله.فلما خرج،قیل له:لما دخل قلت الذی قلت ثم ألنت له القول؟!فقال:إن شر الناس منزله عند اللّه یوم القیامه من اکرمه الناس اتقاء لشره».و یدل علی جواز ذلک جمیع أخبار التقیه و اخبار المداراه.و فی خبر:«ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه».

و قال بعض الصحابه:«کنا نبشر فی وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا».ثم جواز ذلک انما إذا اضطر إلی الدخول علی ذی الشر و مدحه مظنه الضرر أما لو کان مستغنیا عن الدخول و الثناء أو عن أحدهما،و مع ذلک أبدی بلسانه ما لیس فی قلبه من المدح،فهو نفاق محرم.

ثم ضد النفاق استواء السر و العلانیه،أو کون الباطن خیرا من الظاهر،و هو من شرائف الصفات،و کان الاتصاف به و الاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنین من الصدر الأول.و من تأمل فی ما ورد فی ذم النفاق و فی مدح موافقه الباطن مع الظاهر،و تقدم الرویه فی کل قول و فعل لم یصعب علیه أن یحافظ نفسه من رذیله النفاق.

انتهی الجزء الثانی و یلیه الجزء الثالث،و أوله(و منها:الغرور)

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۹۶.

المجلد ۳

اشاره

ص: ۱

تتمه الباب الثالث

اشاره

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

و منها

اشاره

و منها (۱):

الغرور

معنى الغرور-ذمه-طوائف المغرورين:المغرورون من الكفار و العصاه و الفساق من المؤمنين-المغترون من أهل العلم و فرقهم-المغترون من الوعاظ كثيرون-المغرورون من أهل العباده فرق كثيره-المغترون من المتصوفه أكثر-المغترون من الأغنياء أكثر من سائر الطوائف-ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد.

و هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى،و يميل إليه الطبع عن شبهه و خدعه من الشيطان.فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الآجل عن شبهه فاسده،فهو مغرور.و لما كان أكثر الناس ظانين بانفسهم خيرا، و معتقدين بصحه ما هم عليه من الاعمال و الافعال و خيريته،مع انهم مخطئون فيه،فهم مغرورون.مثلا من يأخذ المال الحرام و ينفقها فى مصارف

ص: ۳۰

۱- ۱) أى من الرذائل المتعلقه باثنتين من القوى الثلاث او بجميعها، و هى القوه العاقله و الغضبيه و الشهويه.و هذه الرذيله هى الرذيله«الواحده و العشرون»منها.

الخیر،کبناء المساجد و المدارس و القناطر و الرباطات و غیرها،یظن ان هذا خیر له و سعاده،مع انه محض الغرور،حیث خدعه الشیطان و أراه ما هو شر له خیرا،و کذا الواعظ الذی غرضه الجاه و القبول من موعظته،یظن انه فی طاعه اللّه،مع انه فی المعصیه بغرور الشیطان و خدعته.

ثم لا ـ ریب فی ان سکون النفس إلی ما یوافق الهوی،و یمیل الطبع الیه عن شبهه و مخیله،مرکب من امرین:(أحدهما)اعتقاد النفس بأن هذا خیر له مع کونه خلاف الواقع،(و ثانیهما)حبها و طلبها باطنا لمقتضیات الشهوه او الغضب.فان الواعظ إذا قصد بوعظه طلب الجاه و المنزله معتقدا انه یجلب به الثواب،تکون له رغبه إلی الجاه و اعتقاد بکونه خیرا له،اذ الغنی إذا أمسک ماله و لم ینفقه فی مصارفه اللازمه،و واظب علی العباده معتقدا ان مواظبته علی العباده تکفی لنجاته و ان کان بخیلا،یکون له حب للمال و اعتقاد بأنه علی الخیر.ثم الاعتقاد المذکور راجع إلی نوع معین من الجهل المرکب،و هو الجهل الذی یکون المجهول المعتقد فیه شیئا یوافق الهوی،فیکون من رذائل القوه العاقله،و الحب و الطلب للجاه و المال من رذائل قوتی الغضب و الشهوه.فالغرور یکون من رذائل القوی الثلاث، او من رذائل العاقله مع أحداهما.

فصل (ذم الغرور)

الغرور و الغفله منبع کل هلکه وام کل شقاوه،و لذا ورد فیه الذم الشدید فی الآیات و الاخبار،قال اللّه-سبحانه-:

فَلاٰ تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیٰاهُ الدُّنْیٰا وَ لاٰ یَغُرَّنَّکُمْ بِاللّٰهِ

ص: ۴۰

الْغَرُورُ

(۱)

.و قال عز و جل وَ لٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمٰانِيُّ حَتّٰى جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ (۲).

و قال رسول اللّه(ص):«حبذا نوم الاكياس و فطرهم،كيف يغبنون سهر الحمقى و اجتهادهم،و المثقال ذره من صاحب تقوى و يقين أفضل من ملء الأرض من المغترين». و قال الصادق(ع):«المغرور فى الدنيا مسكين، و فى الآخره مغبون،لانه باع الأفضل بالادنى،و لا تعجب من نفسك، فربما اغتررت بمالك و صحه جسدك ان لعلك تبقى.و ربما اغتررت بطول عمرك و أولادك و اصحابك لعلك تنجو بهم.و ربما اغتررت بجمالك و منيتك و اصابتك مامولك و هواك،فظننت انك صادق و مصيب.

و ربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك فى العباده،و لعل اللّه يعلم من قلبك بخلاف ذلك.و ربما اقمت نفسك على العباده متكلفا و اللّه يريد الإخلاص.و ربما افتخرت بعلمك و نسبك،و أنت غافل عن مضمرات ما فى غيب اللّه تعالى.و ربما توهمت انك تدعو اللّه و أنت تدعو سواه.و ربما حسبت انك ناصح للخلق و أنت تريدهم لنفسك ان يميلوا إليك.و ربما ذممت نفسك و أنت تمدحها على الحقيقه» (۳).

فصل (طوائف المغرورين)

اشاره

اعلم ان فرق المغترين كثيره،و جهات غرورهم و درجاته مختلفه،و ما

ص: ۵

۱- ۱) لقمان،الآيه:۳۳.فاطر،الآيه:۵.

۲- ۲) الحديد،الآيه:۱۴.

۳- ۳) صححناه على مصباح الشريعه:الباب ۳۶.

من طائفه فی العالم مشترکین فی وصف مجتمعین علی امر،الا و یوجد فیهم فرق من المغترین.الا ان بعض الطوائف کلهم مغترون،کالکفار و العصاه و الفساق،و بعضهم یوجد فیهم المغرور و غیر المغرور،و ان کان معظم کل طائفه أرباب الغرور.و نحن نشیر إلی مجاری الغرور،و إلی غرور کل طائفه لیتمکن طالب السعاده من الاحتراز عنه،اذ من عرف مداخل الآفات و الفساد و مجاریهما یمکنه ان یأخذ منها حذره،و یبنی علی الجزم و البصیره امره.فنقول:

الطائفه الأولی (الکفار)

و هم مغرورون بأسرهم،و هم ما بین من غرته الحیاه الدنیا،و بین من غره الشیطان باللّه.و اما الذین غرتهم الحیاه الدنیا،فباعث غرورهم قیاسان نظمهما الشیطان فی قلوبهم:(اولهما)ان الدنیا نقد و الآخره نسیئه، و النقد خیر من النسیئه.(و ثانیهما)ان لذات الدنیا یقینیه و لذات الآخره مشکوکه فیها،و الیقینی خیر من المشکوک،فلا یترک به.و هذه اقیسه فاسده تشبه قیاس ابلیس،حیث قال:

أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

و علاج هذا الغرور-بعد تحصیل الیقین بوجود الواجب تعالی و بحقیقه النبی(ص)،و هو فی غایه السهوله لوضوح الطرق و الادله-اما ان یتبع مقتضی ایمانه و یصدق اللّه تعالی فی قوله:

ص: ۶

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۱،ص،الآیه:۷۶.

مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ

(۱)

.و فی قوله تعالی: وَ الْآخِرَهُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (۲).و قوله: وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (۳).و قوله: وَ مَا الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ (۴).و قوله تعالی: فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ (۵).

و اما ان يعرف بالبرهان فساد القياسين،حتی يزول عن نفسه ما تأديا اليه من الغرور.و طريق معرفه الفساد فی(القياس الأول):ان يتأمل فی ان كون الدنيا نقدا و الآخره نسيئه صحيح،الا ان كون كل نقد خيرا من النسيئه غير صحيح،بل هو محل التلبيس،اذ المسلّم خيريه النقد علی النسيئه ان كان مثلها فی المقدار و المنفعه و المقصود و البقاء،و اما ان كان أقل منها فی ذلک و ادون،فالنسيئه خير،الا ـ تری ان هذا المغرور إذا حذره الطبيب من لذائذ الأطعمه يتركها فی الحال خوفا من الم المرض فی الاستقبال و يبذل درهما فی الحال ليأخذ درهمين نسيئه،و يتعب فی الاسفار و يركب البحار فی الحال لأجل الراحه و الربح نسيئه.و قس عليه جميع اعمال الناس و صنائعهم فی الدنيا:من الزراعه و التجاره و المعاملات،فانهم يبذلون فيها المال نقدا ليصلوا إلی أكثر منه نسيئه،فان كان عشره فی ثانی الحال خيرا

۱- ۱) النحل،الآيه:۹۶.

۲- ۲) الأعلی،الآيه:۱۷.

۳- ۳) القصص الآيه: ۶۰.الشوری،الآيه:۳۶.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:۱۸۵.الحديد،الآيه: ۲۰.

۵- ۵) لقمان،الآيه:۳۳.فاطر،الآيه:۵.

من واحد فى الحال،فأنسب لذه الدنيا من حيث الشده و المده و العده إلى لذه الآخره من هذه الحيثيات،فان من عرف حقيقه الدنيا و الآخره،يعلم انه ليس للدنيا قدر محسوس بالنسبه إلى الآخره،على ان لذه الدنيا مكدره مشوبه بأنواع المنغصات،و لذات الآخره صافيه غير ممتزجه بشىء من المكدرات.

و اما طريق معرفه فساد(القياس الثانى)بأصليه:هو ان يعرف ان كون لذات الآخره مشكوكا فيها خطأ،و ان كل يقينى خير من المشكوك غلط:

(اما الأول)فلأنّ الآخره يقينيه قطعيه عند أهل البصيره.و ليقينهم مدركان:

-أحدهما-ما يدركه عموم الخلق،و هو اتفاق عظماء الناس من الأنبياء و الأولياء و الحكماء و العلماء،فان ذلك يورث اليقين و الطمأنينه بعد التأمل،كما ان المريض الذى لا يعرف دواء علته إذا اتفق جميع أرباب الصناعه على ان دواءه كذا،فانه تطمئن نفسه إلى تصديقهم و لا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين،بل يثق بقولهم و يعمل به،و ان كذبهم صبى او معتوه او سوادى.و لا ريب فى ان المنكرين للآخره المغترين بالحياه الدنيا من الكفار و البطالين بالنظر إلى المخبرين عن أحوال الآخره و المشاهدين لها من الأنبياء و الأولياء ادون حالا و أقل رتبه من صبى او معتوه او سوادى بالنظر إلى اطباء بلد او مملكه.

- و ثانيهما-ما لا يدركه الا الأنبياء و الأولياء،و هو الوحى و الإلهام، فالوحى للأنبياء و الإلهام و الكشف للاولياء فانه قد كشفت لهم حقائق الأشياء كما هى عليها،و شاهدوها بالبصيره الباطنه كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر،فيخبرون عن مشاهده لا عن سماع و تقليد، و لا تظنن ان معرفه النبى(ص)لأمر الآخره و لأمور الدين مجرد تقليد

لجبرئیل بالسماع منه،کما ان معرفتک لها تقلید للنبی،هیهات!فان الأنبیاء یشاهدون حقائق الملک و الملکوت،و ینظرون إلیها بعین البصیره و الیقین، و ان اکد ذلک بالقاء الملک و السماع منه.

و اما المغرورون باللّه،و هم الذین یقدرون فی أنفسهم و یقولون بألسنتهم، ان کان للّه معاد فنحن فیه اوفر حظا و أسعد حالا من غیرنا،کما أخبر اللّه -سبحانه-عن قول الرجلین المتحاورین،اذ قال:

وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَهَ قٰائِمَهً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلیٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً

(۱)

.

و باعث ذلک:ما القی الشیطان فی روعهم من نظرهم مره إلی نعم اللّه علیهم فی الدنیا فیقیسون علیها نعمه الآخره،و ینظرون إلی تأخیر اللّه العذاب عنهم فیقیسون علیه عذاب الآخره،کما قال اللّه-تعالی-:

وَ یَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ لَوْ لاٰ یُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ یَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِیرُ

(۲)

.

و مره ینظرون إلی المؤمنین و هم فقراء محتاجون،فیقولون:لو احبهم اللّه لاحسن إلیهم فی الدنیا و لو لم یحبنا لما أحسن إلینا فیها،فلما لم یحسن الیهم فی الدنیا و أحسن إلینا فیها فیکون محبا لنا و لا یکون محبا لهم،فیکون الامر فی الآخره کذلک،کما قال الشاعر:

کما أحسن اللّه فیما مضی

کذلک یحسن فیما بقی

و لا ریب فی أن کل ذلک خیالات فاسده و قیاسات باطله،فان من ظن ان النعم الدنیویه دلیل الحب و الإکرام فقد اغتر باللّه،إذ ظن انه کریم

ص:۹۰

۱- ۱) الکهف،الآیه:۳۷.

۲- ۲) المجادله،الآیه:۸.

عند اللّه،بدليل لا يدل على الكرامه بل يدل عند أولى البصائر على الهوان و الخذلان،لان نعيم الدنيا و لذاتها مهلكات و مبعدات من اللّه،و ان اللّه يحمى احباءه الدنيا كما يحمى الوالد الشفيق ولده المريض لذائذ الأطعمه.

و مثل معامله اللّه-سبحانه-مع المؤمن الخالص و الكافر و الفاسق،حيث يزوى الدنيا عن الأول و يصب نعمها و لذاتها على الثانى،مثل من كان له عبدان صغيران يحب أحدهما و يبغض الآخر،فيمنع الأول من اللعب و يلزمه المكتب و يحبسه فيه،ليعلمه الادب و يمنعه من لذائذ الأطعمه و الفواكه التى تضره و يسقيه الادويه البشعه التى تنفعه،و يهمل الثانى ليعيش كيف يريد و يلعب و يأكل كل ما يشتهى،فلو ظن هذا العبد المهمل انه محبوب كريم عند سيده لتمكنه من شهواته و لذاته،و ان الآخر مبغوض عنده لمنعه عن مشتهياته،كان مغرورا احمق،و قد كان الخائفون من ذوى البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا و قالوا:ذنب عجلت عقوبته،و إذا أقبل عليهم الفقر قالوا:مرحبا بشعار الصالحين!و اما المغرورون فعلى خلاف ذلك، لظنهم ان إقبال الدنيا عليهم كرامه من اللّه و ان ادبارها عنهم هو ان لهم، كما أخبر اللّه-تعالى-عنه بقوله:

فَأَمَّا الْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ، وَ أَمّٰا إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهٰانَنِ

(۱)

و علاج هذا الغرور:أن يعرف أن إقبال الدنيا دليل الهوان و الخذلان دون الكرامه و الإحسان،و التجرد منها سبب الكرامه و القرب إلى اللّه-سبحانه- و الطريق إلى هذه المعرفه:اما ملاحظه أحوال الأنبياء و الأولياء و غيرهما من طوائف العرفاء و فرق الاتقياء،او التدبر فى الآيات و الاخبار.قال اللّه-سبحانه-

۱- ۱) الفجر،الآيه:۱۵-۱۶.

أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمٰا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مٰالٍ وَ بَنِينَ، نُسٰارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرٰاتِ بَلْ لاٰ يَشْعُرُونَ

(۱)

.و قال-سبحانه-:

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ

(۲)

و قال-تعالى-:

فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ أَبْوٰابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّٰى إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا أُوتُوا أَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ

(۳)

.و قال تعالى: إِنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدٰادُوا إِثْماً (۴).

الى غير ذلك من الآيات و الاخبار.

و منشأ هـذا الغرور:الجهل باللّه و بصفاته،فان من عرفه لا يأمن مكره و لا يغتر به بأمثال هذه الخيالات الفاسده،و ينظر إلى قارون و فرعون و غيرهما من الملوك و الجبابره،كيف أحسن اللّه إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا،و قد حذر اللّه عباده عن مكره و استدراجه فقال:

فَلاٰ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ

(۵)

.و قال:

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّٰهُ وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ

(۶)

.

الطائفه الثانيه (العصاه و الفساق من المؤمنين)

و سبب غرورهم و غفلتهم اما بعض بواعث غرور الكافرين-كما

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۵۶-۵۷.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۸۱.

۳- ۳) الانعام،الآیه:۴۴.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۷۸.

۵- ۵) الأعراف،الآیه:۹۹.

۶- ۶) آل عمران،الآیه:۵۴.

تقدم-أو ظنهم ان اللّه-تعالی-کریم و رحمته واسعه و نعمته شامله،و این معاصی العباد فی جنب بحار رحمته،و یقولون:انا موحدون و مؤمنون، فکیف یعذبنا مع التوحید و الایمان،و یقررون ظنهم بما ورد فی فضیله الرجاء-کما تقدم-.و ربما اغتر بعضهم بصلاح آبائهم و علو رتبتهم، کاغترار بعض العلویین بنسبهم مع مخالفتهم سیره آبائهم الطاهرین فی الخوف و الورع. و علاج هذا الغرور.أن یعرف الفرق بین الرجاء الممدوح و التمنی المذموم،و یعلم أن غروره لیس رجاء ممدوحا،بل هو تمن مذموم،کما قال رسول اللّه(ص):«الکیس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت،و الاحمق من اتبع نفسه هواها و تمنی علی اللّه». فان الرجاء لا ینفک عن العمل،اذ من رجا شیئا طلبه و من خاف شیئا هرب منه،و کما ان الذی یرجو فی الدنیا ولدا و هو لم ینکح،أو نکح و لم یجامع،او جامع و لم ینزل،فهو مغرور احمق،کذلک من رجا رحمه اللّه و هو لم یؤمن،او آمن و لم یترک المعاصی، او ترکها و لم یعمل صالحا،فهو مغرور جاهل،کیف و قد قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أُولٰئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ

(۱)

.

یعنی ان الرجاء یلیق بهم دون غیرهم،و ذلک لأن ثواب الآخره أجر و جزاء علی الاعمال،کما قال-تعالی-:

جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ

(۲)

.و قال: وَ إِنَّمٰا تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ (۳).و قال: وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسٰانِ

ص: ۱۲

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۱۸.

۲- ۲) السجده،الآیه:۱۷.الاحقاف،الآیه:۱۴.الواقعه،الآیه:۲۴.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۸۵.

إِلاّٰ مٰا سَعیٰ وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُریٰ

(۱)

.و قال: کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ رَهِینَهٌ (۲).

أ فتری أن من استؤجر علی إصلاح أوان و شرط له أجره علیها،و کان الشارط کریما یفی بوعده و شرطه،بل کان بحیث یزید علی ما وعده و شرطه، فجاء الاجیر و کسر الاوانی و افسدها جمیعا،ثم جلس ینتظر الاجر زعما منه أن المستأجر کریم،أ فیراه العقلاء فی انتظاره راجیا أو مغرورا متمنیا؟ و بالجمله:سبب هذا الغرور الجهل بین الرجاء و العزه،فلیعالجه بما ذکر هنا و فیما سبق.

ثم إن المغرور بعلو رتبه آبائه،ظانا ان اللّه تعالی یحب آباءه،و من أحب إنسانا أحب أولاده،أشد حمقا من المغرور باللّه،لأن اللّه-سبحانه- یحب المطیع و یبغض العاصی من غیر ملاحظه لآبائهما،فکما أنه لا یبغض الاب المطیع ببغضه للولد العاصی فکذلک لا یحب الولد العاصی بحبه للأب المطیع،و لیس یمکن أن یسری من الاب إلی الابن شیء من الحب و البغض و المعصیه و التقوی،اذ لا تزر وازره وزر أخری،فمن زعم انه ینجو بتقوی أبیه کان کمن زعم انه یشبع بأکل أبیه،او یصیر عالما بتعلم أبیه،او یصل الی الکعبه بمشی أبیه،فهیهات هیهات!ان التقوی فرض عین علی کل أحد، فلا یجزی والد عن ولده شیئا،و عند الجزاء یفر المرء من أخیه،و أمه و أبیه،و صاحبته و بنیه،و لا ینفع أحد أحدا الا علی سبیل الشفاعه،بعد تحقق شرائطها.

ثم العصاه المغرورون،اما لیست لهم طاعات،فتمنیهم المغفره غایه

۱- ۱) النجم،الآیه:۳۹-۴۰.

۲- ۲) المدثر الآیه:۳۸.

الجهل-کما مر-،او لهم طاعات و لکن معاصیهم أکثر،و هم عالمون بأکثریه المعاصی،و مع ذلک یتوقعون المغفره و ترجح حسناتهم علی سیئاتهم و هو أیضا غایه الجهل،إذ مثله مثل من وضع عشره دراهم فی کفه میزان و فی الکفه الأخری ألفا او ألفین،و توقع أن تمیل الکفه الثقیله بالخفیفه، و من الذین معاصیهم أکثر من یظن ان طاعاته أکثر من معاصیه،لأنه لا یحاسب نفسه و لا یتفقد معاصیه،و إذا عمل طاعه حفظها و أعتدّ بها، کالذی یحج طول عمره حجه و یبنی مسجدا،ثم لا یکون شیء من عباداته علی النحو المطلوب،و لا یجتنب من أخذ أموال المسلمین،فینسی ذلک کله و یکون حجه و ما بناه من المسجد فی ذکره،و یقول:کیف یعذبنی اللّه و قد حججت و بنیت مسجدا؟و کالذی یسبح اللّه کل یوم مائه مره ثم یغتاب المسلمین و یمزق اعراضهم و یتکلم بما لا یرضاه اللّه طول نهاره من غیر حصر و عدد،و یکون نظره إلی عدد سبحته مع غفلته عن هذیانه طول نهاره الذی لو کتبه لکان مثل تسبیحه مائه مره،و قد کتبه الکرام الکاتبون، فهو یتأمل دائما فی فضیله التسبیحات،و لا یلتفت إلی ما ورد فی عقوبه الکذابین و المغتابین و النمامین و الفحاشین،و لو کان کتبه أعماله یطلبون منه اجره الزاید من هذیانه علی تسبیحاته،لکان عند ذلک یسعی فی کف لسانه عن آفاته و موازتها بتسبیحاته،حتی لا یکون لها زیاده علیها لیؤخذ منه اجره نسخ الزائد.فیا عجبا لمن یحاسب نفسه و یحتاط خوفا ان یفوته مقدار قیراط و لا یحتاط خوفا من فوت العلیین و مجاوره رب العالمین

الطائفه الثالثه أهل العلم

و المغترون منهم فرق:

(فمنهم)من اقتصر من العلم على علم الكلام و المجادله و معرفه آداب المناظره،ليتفاخر فى انديه الرجال و يتفوق على الاقران و الأمثال،من غير ان يكون له فى العقائد قدم راسخ او مذهب واحد،بل يختار تاره ذاك و تاره هذا،و تكون عقيدته كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الريح مره هكذا و مره هكذا،و مع ذلك يظن بغروره أنه اعرف الناس و اعلمهم باللّه و بصفاته.

و(منهم)من أقتصر من العلم على علم النحو و اللغه،او الشعر او المنطق، و اغتر به و افنى عمره فيها،و زعم ان علم الشريعه و الحكمه موقوف عليها، و لم يعلم أن ما ليس مطلوبا لذاته و يكون وسيله إلى ما هو مقصود لذاته يجب ان يقتصر عليه بقدر الضروره،و التعمق فيه إلى درجات لا تتناهى فضول مستغنى عنها،و موجب للحرمان عما هو مقصود لذاته.

و(منهم)من اقتصر على فن المعاملات من الفقه،المتضمن لكيفيه الحكم و القضاء بين الناس،و اشتغل باجراء الاحكام،و أعرض عن علم العقائد و الأخلاق،بل عن فمن العبادات من الفقه،و أهمل تفقد قلبه ليتخلى عن رذائل الأخلاق و يتحلى بفضائل الملكات و تفقد جوارحه و حفظها عن المعاصى و الزامها الطاعات.

و(منهم)من حصل فن العبادات أيضا،بل احكم العلوم الشرعيه بأسرها و تعمق فيها و اشتغل،و لكن ترك العلم الإلهى و علم الأخلاق و لم يحفظ الباطن و الظاهر عن المعاصى و لم يعمرها بالطاعات.

ص :۱۵

و(منهم)من أحكم جميع العلوم من العقليه و الشرعيه و تعمق فيها و اشتغل بها إلا أنه أهمل العمل رأسا،أو واظب على الطاعات الظاهره:

و أهمل صفات القلب،و ربما تفقد صفات القلب و أخلاق النفس أيضا و جاهد نفسه فى التبرّى عنها،و قلع من قلبه منابتها الجليه القويه،و لكن بقيت فى زوايا قلبه خفايا من مكائد الشيطان و خبايا و تلبيات النفس ما دق و غمض مدركه فلا يتفطن بها.

و جميع هؤلاء غافلون مغرورون،اذا كان اعتقادهم انهم على خير و سعاده،و إن كان بينهم تفاوت من حيث الضعف و الشده،إذ سعاده النفس و خلاصها عن العذاب لا تحصل إلا بمعرفه اللّه-تعالى-و معرفه صفاته و افعاله و أحوال النشأه الآخره،و العلم برذائل الأخلاق و شرائفها،ثم تهذيب الباطن بفضائل الأخلاق و عماره الظاهر بصوالح الطاعات و الاعمال، فكل من يعلم بعض العلوم و ترک ما هو المهم من العلم-أعنى معرفه سلوک الطريق و قطع عقبات النفس التى هى الصفات المذمومه المانعه عن الوصول إلى اللّه-و ظن انه على خير كان مغرورا،و إذا مات ملوثا بتلک الصفات كان محجوبا على اللّه،فمن ترک العلم المهم و اشتغل بغيره،فهو كمن له مرض خاص مهلک فاحتاج إلى تعلم الدواء و استعماله،فاشتغل بتعلم مرض آخر يضاد مرضه فى المعالجه،كما ان من احكم العلوم بأسرها و ترک العمل،مثل المريض الذى تعلم دواء مرضه و كتبه،و هو يقرأه و يعلمه المرضى و لا يستعمله قط لنفسه،فانه لا ريب فى ان مجرد تعلم الدواء لا يشفيه،بل لو كتبت منه الف نسخه و علمه الف مريض حتى شفى جميعهم و كرره كل ليله الف مره لم ينفعه ذلک من مرضه شيئا،حتى يشترى هذا الدواء و يشربه كما تعلم فى وقته، و مع شربه و استعاله يكون على خطر من شفائه،فكيف إذا لم يشربه أصلا،

فلو ظن أن مجرد تعلم الدواء یکفیه و یشفیه فهو مغرور،فکذلک من احکم علم الطاعات و لم یعملها،و احکم علم المعاصی و لم یجتنبها،و احکم علم الأخلاق و لم یزک نفسه عن رذائلها و لم یتصف بفضائلها،فهو فی غایه الغرور.

إذ قال اللّه تعالی:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاٰها

(۱)

و لم یقل:قد أفلح من علم طریق تزکیتها.

ثم من هذه الطائفه فرقه متصفه برذائل الأخلاق و الغرور،أدی بهم الی حیث ظنوا أنهم منفکون عنها،و أنهم ارفع عند اللّه من أن یبتلیهم بها، و إنما یبتلی بها العوام دون من بلغ مبلغهم فی العلم.ثم إذا ظهرت علیه مخایل الکبر و الرئاسه و طلب العلو و الشرف قال:ما هذا تکبرا،و طنما هو طلب اعزاز الدین،و إظهار شرف العلم،و ارغام انف المخالفین.و مهما ظهرت منه آثار الحسد،و أطلق لسانه بالغیبه فی أقرانه و من رد علیه شیئا من کلامه، لم یظن بنفسه أن ذلک حسد،بل یقول:إن هذا غضب للحق ورد علی المبطل فی عداوته و ظلمه،مع أنه لو طعن فی غیره من أهل العلم،ورد علیه قوله، و منع من منصبه،لم یکن غضبه مثل غضبه الآن،بل ربما یفرح به،و لو کان غضبه للحق لا للحد علی اقرانه و خبث باطنه،لاستوی غضبه فی الحالین.

و إذا خطر له خاطر الریاء قال:غرضی من إظهار العلم و العمل اقتداء الخلق بی،لیهتدوا إلی دین اللّه و یتخلصوا من عقاب اللّه.و لا یتأمل المغرور انه لیس یفرح باقتداء الناس بغیره کما یفرح باقتدائهم به،و لو کان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم علی ید من کان،و ربما یتذکر هذا و مع ذلک لا یخلیه الشیطان،بل یقول:إنما ذلک لأنهم إذا اهتدوا بی کان الأجر و الثواب لی،

۱- ۱) الشمس،الآیه:۹.

ففرحی إنما هو بثواب اللّه لا بقبول الخلق،هذا ما یظن بنفسه،و اللّه مطلع علی سریرته،إذ ربما کان باطنه فی الخباثه بحیث لو علم قطعا بأن ثوابه فی الخمول و إخفاء العلم و العمل أکثر من ثوابه فی الإظهار،لاحتمال مع ذلک فی إظهار رئاسه،من تدریس أو وعظ أو امامه أو غیر ذلک. و إذا کان بحیث یدخل علی السلاطین و الأمراء الظلمه و یثنی علیهم و یتواضع لهم،و خطر له أن مدحهم و التواضع لهم حرام،قال له الشیطان:ان ذلک عند الطمع فی مالهم،و غرضک من الدخول علیهم دفع الضرر عن المسلمین دون الطمع، و اللّه یعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلک السلطان،و کان بحیث یقبل شفاعته فی کل أحد،و هو لا یزال یستشفع و یدفع الضرر عن المسلمین،یثقل ذلک علیه،بحیث لو قدر أن یقبح حاله عند السلطان لفعل.

و ربما انتهی الغرور فی بعضهم إلی أن یأخذ من أموالهم المحرمه،و إذا خطر له أنها حرام،قال له الشیطان:هذا مال مجهول المالک یجب أن یتصدق به إمام المسلمین،و أنت إمامهم و عالمهم،و بک قوام دین اللّه،فیحل لک أن تأخذ منها قدر حاجتک و تصرف الباقی علی مصالح المسلمین،فیغتر بهذا التلبیس و لا یزال یأخذها من غیر أن یبذل شیئا منها فی مصرف غیره. و ربما انتهی الغرور فی بعضهم إلی حیث إنه إذا حضرت مائدتهم و أکل طعامهم و قیل له:

ان هذا لا یلیق بمثلک،قال:الأکل جائز بل واجب،اذ هذا مال لا یعلم مالکه،فیجب التصدق به علی الفقراء،و یجب علی مثلی بقدر القوه و الاستطاعه أن یجتهد فی استخلاصه من ید الظالم و ایصاله إلی أهله-أعنی الفقراء-و اکلی منها نوع قدره علی استخلاصه،فآکل منه و أتصدق بقیمته علی الفقراء،و اللّه یعلم من باطنه أنه لا یتصدق بقیمته و لا یعتقد بحقیقه ما یقوله،و انما هو تلبیس ألقاه الشیطان فی روعه،لئلا یضعف اعتقاد العامه فی

حقه، و ربما كان بحيث لا يبالى من أخذ مالهم و أكل طعامهم خفيه،و لو علم انه يطلع عليه واحد من صويلح العامه المعتقدين به،امتنع منه غايه الامتناع. و ربما كان بعضهم فى الباطن مائلا إلى الدخول على السلاطين و الأمراء و تاركا له فى الظاهر،و كان الباعث فى ذلک طلب المنزله فى قلوب العامه.و مع ذلک يظن أن الاجتناب عنهم عين ورعه و تقواه. و ربما كان بعضهم إمام قوم يظن أنه على خير و باعث لترويج الدين و اعلاء الكلمه و مقيم بشعار الإسلام، و مع ذلک لو أم غيره ممن هو أعلم و اورع منه فى مسجده،أو يتخلف بعض من يقتدى به عن الاقتداء به،قامت عليه القيامه،و ربما لم يكن باعثه على الحركه إلى المسجد للامامه مجرد التقرب و الامتثال لأمر اللّه،بل كان الباعث محض حب الجاه و الرياسه و اعتقاد العامه،أو مركبا منه و من نيه الثواب و ربما اتخذ بعضهم الإمامه شغلا و وسيله لأمر المعاش،و مع ذلک يظن انه مشتغل بامر الخير، و الظاهر فى أمثال زماننا ندور الامام الذى كان قصده من الإمامه مجرد التقرب إلى اللّه.من دون وجود شىء من حب طلب المنزله فى القلوب،أو تحصيل المال،أو دفع بعض الشرور عن نفسه فى زوايا قلبه، و لو وجد مثله فهو القدوه الذى يجب ان تشد الرحال من المواضع البعيده اليه ليقتدى به،و مثله كلما وجد فى نفسه قصد التقرب و الثواب فى الذهاب إلى المسجد للامامه ذهب،و لو لم يجد ذلک من نفسه تخلف،و صلى منفردا،و هو الذى يستوى عنده اقتداء الناس به و عدمه،و يستوى عنده كثره المقتدين و قلتهم،بل يكون حاله عند صلاته و هو إمام لجم غفير كحاله عند صلاته منفردا،من دون أن يجد فى نفسه تفاوتا فى الحالين.

و بالجمله:اصناف غرور أهل العلم-(لا)سيما فى هذه الاعصار-كثيره، و المتأمل يعلم أن الغرور أو التلبيس أو غيرهما من ذمائم الأفعال انتهى فى

ص :١٩

بعضهم إلى أن وجودهم مضر بالإسلام و المسلمين و موتهم انفع للايمان و المؤمنين،لأنهم دجالو الدين و قواموا مذهب الشياطين،و مثلهم كما قال ابن مريم-عليه السّلام-:«العالم السوء كصخره وقعت فى فم الوادى، فلا هى تشرب الماء و لا هى تترك الماء يتخلص إلى الزرع».

الطائفه الرابعه (الوعاظ)

و المغترون منهم كثيرون:

(فمنهم)من يتكلم فى وعظه فى أخلاق النفس و صفات القلب،من الخوف،و الرجاء،و التوكل،و الرضا،و الصبر،و الشكر،و نظائرها، و يظن انه إذا تكلم بهذه الصفات و دعا الخلق إليها صار موصوفا بها،و هو منفك عنها فى الواقع،إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين،و يزعم ان غرضه إصلاح الخلق دون أمر آخر،و مع ذلك لو أقبل الخلق على أحد من اقرانه و صلحوا على يديه،و كان أقوى منه فى الإرشاد و الإصلاح،لمات غما و حسدا،و لو اثنى أحد المترددين عليه على بعض اقرانه،لصار ابغض خلق اللّه إليه.

و(منهم)من اشتغل بالشطح و الطامات،و تلفيق كلمات خارجه عن قانون الشرع و العقل،و ربما كلف نفسه بالفصاحه و البلاغه،و تصنع التشبيهات و المقدمات،و شغف بطيارات النكت و تسجيع الألفاظ و تلفيقها، طلبا للاعوان و الأنصار،و شوقا إلى تكثر البكاء و الرقه و التواجد و الرغبات فى مجلسه،و التذاذا بتحريك الرءوس على كلامه و البكاء عليه،و فرحا بكثره الأصحاب و المستفيدين و المعتقدين به،و سرورا بالتخصيص بهذه الخاصه

ص:٢٠

من بين سائر الاقران،و ربما لم يبال بالكذب فى نقل الأخبار و الآثار، ظنا منه أنه أوقع فى النفوس و أشد تأثيرا فى رقه العوام و تواجدهم.

و لا ريب فى أنّ هؤلاء شر الناس،بل شياطين الانس،ضلوا و اضلوا عن سواء السبيل،إذ الأولون إن لم يصلحوا أنفسهم،فقد أصلحوا غيرهم و صححوا كلامهم و وعظهم،و أما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل اللّه،و يجرون الخلق إلى الغرور باللّه،لان سعيهم فى ذكر ما يسر به العامه،ليصلوا به منهم الى اغراضهم الفاسده،فلا يزالون يذكرون ما يقوى الرجاء،و يزيدهم جرأه على المعاصى و رغبه فى الدنيا،(لا)سيما إذا كان هذا الواعظ أيضا ممن يرغب إلى الدنيا،و يسر بوصول المال إليه،و يتزين بالثياب الفاخره و المراكب الفارهه،و غيرهما من زينه الدنيا.فمثله ممن يضل و يكون افساده أكثر من اصلاحه،و مع ذلك يظن انه مروج الشرع و الدين و مرشد الضالين،فهو أشد المغرورين و الغافلين.

و(منهم)من هذب اخلاقه،و راقب قلبه،و صفاه عن جميع الكدورات،و صغرت الدنيا فى عينه،و انقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم،و دعته الرحمه و الشفقه على عباد اللّه إلى نصحهم و استخلاصهم عن أمراض المعاصى بالوعظ،فلما استقل به وجد الشيطان مجال الفتنه فدعاه إلى الرئاسه دعاء خفيا-أخفى من دبيب النمله-لا يشعر به،و لم يزل ذلك فى قلبه يربو و ينمو حتى دعاه إلى التصنع و التزين للخلق،بتحسين الألفاظ و النغمات و الحركات و التصنع فى الزى و الهيئه و الشمائل،و أقبل الناس إليه يعظمونه و يوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك،اذ رأوه شافيا لامراضهم بمحض الرحمه و الشفقه من غير طمع،فآثروه بأبدانهم و أموالهم،و صاروا له كالخدم و العبيد،فعند ذلك انتشر طبعه و ارتاحت نفسه،و ذاق لذه يا لها من لذه،

و أصاب من الدنيا شهوه يستحقر معها كل شهوه،فوقع فى أعظم لذات الدنيا بعد قطعه بأنه تارك للدنيا،فقد غره الشيطان على ما لا يشعر به.و علامه ثوران حب الرئاسه فى باطنه:أنه لو ظهر من اقرانه من مالت القلوب إلى قبوله،و زاد أثر كلامه فى القبول على كلامه،شق ذلك عليه،إذ لو لا أن النفس قد استبشرت و استلذت بالرئاسه لكان يغتنم ذلك.

و على هذا فينبغى ألا يشتغل أحد بالنصح و الوعظ إلا إذا وجد من نفسه أنه ليس له قصد سوى هدايتهم إلى اللّه-تعالى-،و كان يسره غايه السرور ظهور من يعينه على إرشادهم أو اهتدائهم من عند أنفسهم،و انقطع طمعه بالكليه عن ثنائهم و أموالهم،و استوى عنده حمدهم و ذمهم،و لم يبال بذمهم إذا كان الله يمدحه،و لم يفرح بمدحهم إذا لم يقترن به مدح اللّه، و نظر إليهم كما ينظر إلى من هو أعلم منه و أورع،حيث لا ـ ينكر عليه و يراه خيرا من نفسه،لدلاله الظاهر على ذلك و جهله بالخاتمه،و إلى البهائم من حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزله فى قلوبهم،فانه لا ـ يبالى كيف يراه البهائم،فلا يتزين لها،إذ راعى الماشيه إنما غرضه رعايتها و دفع الذئب عنها،دون نظر الماشيه إليه بعين المدح و الثناء.

ثم لو ترقى الواعظ،و علم بهذه المكيده من الشيطان،و اشتغل بنفسه و ترك النصح،أو نصح مع رعايه شرط الصدق و الإخلاص،لخيف عليه الاعجاب بنفسه فى فراره عن الغرور،فيكون اعجابه بنفسه فى الفرار عن الغرور غايه الغرور،و هو المهلك الأعظم من كل ذنب،و لذلك قال الشيطان:

«يا ابن آدم!اذا ظننت أنك بعملك تخلص منى فبجهلك قد وقعت فى حبائلى».ثم لو دفع عن نفسه العجب،و علم أن ذلك من اللّه-تعالى-لا منه، و أن مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه إلا بتوفيق اللّه،و انه ضعيف عاجز

لا يقدر على شىء أصلا،فضلا عن دفع الشيطان،لخيف عليه الغرور بفضل اللّه و الثقه بكرمه و الأمن من مكره،حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيره فى المستقبل.و لا ريب أن الآمن من مكر اللّه خاسر مغرور،فسبيل النجاه بعد تهذيب النفس و خلوص القصد و الانقطاع عن الدنيا و لذاتها،ان يرى ذلك كله من فضل اللّه،و كان خائفا على نفسه من سلب حاله فى كل لحظه، و غير آمن من مكر اللّه،و غير غافل عن خطر الخاتمه.و هذا خطر لا محيص عنه و خوف لا نجاه منه،إلا بمجاوزه الصراط و الدخول فى الجنه،و لذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء فى وقت النزع-و كان قد بقى له نفس-قال:

(أفلت منى يا فلان!؟)،فقال:(لا!بعد).

وصل (أهل العباده و العمل)

و المغرورون منهم فرق كثيره:

(فمنهم)من غلبت عليه الوسوسه فى إزاله النجاسه و فى الوضوء، فيبالغ فيه و لا يرتضى الماء المحكوم بالطهاره فى فتوى الشرع،و يقدر الاحتمالات البعيده الموجبه للنجاسه،و إذا آل الأمر إلى الأكل و أخذ المال قدر الاحتمالات الموجبه للحل،بل ربما أكل الحرام المحض و قدر له محملا بعيدا لحله،و لو انقلب هذا الاحتمال من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيره أكابر الأولياء. ثم من هؤلاء من يخرج إلى الإسراف فى صبه الماء و ربما بالغ عند الوضوء فى التخليل و ضرب إحدى يديه على وجهه أو يده الأخرى، و لا يدرى هذا المغرور أن هذا العمل ان كان مع اليقين بحصول ما يلزم شرعا فهو تضييع للعمر الذى هو أعز الأشياء فيما له مندوحه عنه،و ان كان بدونه بل يحتاط فى التخليل ليحصل الجزم بوصول الماء إلى البشره،فما باله يتيقن

بوصول الماء إلى البشره فى الغسل بدون هذه المبالغه و الاحتياط مع أن حصول القطع بايصال الماء إلى البشره فى الغسل ألزم و أوجب.ثم ربما لم يكن له مبالغه و احتياط فى الصلاه و سائر العبادات،و انحصر احتياطه و مبالغته بالوضوء،زاعما أن هذا يكفى لنجاته،فهو مغرور فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بالصلاه فغلبت عليه الوسوسه فى نيتها،فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نيه صحيحه،بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعه أو فضيله الوقت،و قد يوسوس فى التكبير حتى يغير صيغتها لشده الاحتياط فيه، يفعل ذلك فى أول صلاته ثم يغفل فى جميع صلاته،و لا يحضر قلبه،و يغتر بذلك،و يظن أنه إذا أتعب نفسه فى تصحيح النيه فهو على خير.و ربما غلبت على بعضهم الوسوسه فى دقائق القراءه،و اخرج حروف الفاتحه و سائر الاذكار عن مخارجها،فلا يزال يحتاط فى التشديدات و تصحيح المخارج و التميز بين مخارج الحروف المتقاربه،من غير اهتمام فيما عدا ذلك،من حضور القلب و التفكير فى معانى الاذكار،ظنا منه أنه إذا صحت القراءه فالصلاه مقهوله،و هذا اقبح أنواع الغرور.

و(منهم)من اغتر بالصوم،و ربما صام الأيام الشريفه،بل صام الدهر،و لم يحفظ لسانه عن الغيبه،و لا بطنه عن الحرام عند الإفطار،ثم يظن بنفسه الخير،و ذلك فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بالحج،فيخرج إلى الحج من غير خروج عن المظالم و قضاء الديون و طلب الزاد الحلال،و يضيع فى الطريق الصلاه، و يعجز عن طهاره الثوب و البدن،ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق و ذمائم الصفات،و مع ذلك يظن انه على خير،فهو فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بقراءه القرآن،فيهذ هذا،و ربما يختم فى اليوم

و الليله مره،فيجرى به لسانه،و قلبه مردد فى أوديه الأمانى،و ربما أسرع فى القراءه غايه السرعه،و يظن ان سرعه اللسان من الكمالات،و يتفاخر على الأمثال و الأقران.

و(منهم)من اغتر ببعض النوافل،كصلاه الليل،أو مجرد غسل الجمعه،أو أمثال ذلك،من غير اعتداد بالفرائض،زاعما أن المواظبه على مجرد هذه النافله ينجيه فى الآخره،فهو أيضا من المغرورين.

و(منهم)من تزهد و قنع بالدون من المطعم و الملبس و المسكن،ظانا أنه أدرك رتبه الزهاد،و مع ذلك راغب فى الرئاسه باشتهاره بالزهد،فهو ترك أهون المهلكين باعظمها،إذ حب الجاه أشد فسادا من حب المال،و لو ترك الجاه و أخذ المال لكان أقرب إلى السلامه،فهو مغرور،إذ ظن أنه من الزهاد،و لم يعرف أن منتهى لذات الدنيا الرئاسه،و هو يحبها،فكيف يكون زاهدا؟

الطائفه السادسه (المتصوفه)

و المغترون فيهم أكثر من ان يحصى:

(فمنهم)أرباب البوقات،و هم القلندريه الذين لا يعرفون معنى التصوف و لا شيئا من مراسيم الدين،و صرفوا اوقاتهم فى التكدى و السؤال من الناس،و يظنون أنهم تاركون للدنيا مقبلون على الآخره،مع انهم لو ظفروا بشىء من أمور الدنيا لأخذوه بجميع جوارحهم،فهؤلاء ارذل الناس بوجوه كثيره لا تخفى.

و(منهم)من اغتر بالزى،و المنطق،و لبس الصوف،و اطراق الرأس و ادخاله فى الجيب،و خفض الصوت،و تنفس الصعداء،و تحريك البدن

فی الطول و العرض،و السقوط إلی الأرض،(لا)سیما إذا سمعوا کلاما فی الوحده و العشق،مع عدم اطلاعهم علی حقیقه شیء منهما.و ربما تجاوز بعضهم من ذلک إلی الرقص و التصفیق،و إبداء الشهیق و النهیق،و اختراع الاذکار،و التغنی بالاشعار...و غیر ذلک من الحرکات القبیحه و الهیئات الشنیعه،و یظن أن العبد بهذه الحرکات و الأفعال یصل إلی الدرجات العالیه، و لم یعلم المغرور أنها تقرب العبد إلی سخط اللّه و عذابه.

و(منهم)من وقع فی الاباحه،و طوی بساط الشرع و الاحکام، و ترک الفصل بین الحلال و الحرام،یتکالب علی الحرام و الشبهات،و لا یحترز عن أموال الظلمه و السلاطین،و ربما قال:المال مال اللّه و الخلق عیال اللّه، فهم فیه سواء.و ربما قال:ان اللّه مستغن عن عملی،فأی حاجه إلی أن أتعب نفسی فیه؟و ربما قال:لا وزن لأعمال الجوارح،و إنما النظر إلی القلوب، و قلوبنا و الهه إلی حب اللّه و اصله إلی معرفه اللّه.و ربما خاضوا فی الشهوات الدنیویه،و قالوا:إنها لا تصدنا عن طریق اللّه،لقوه نفوسنا و قوه اقدامنا فیها،و إنما یحتاج العوام إلی تهذیب النفس بالأعمال البدنیه،و نحن مستغنون عنه.فهؤلاء یرفعون درجتهم عن درجه الأنبیاء-علیهم السلام-إذ کانوا یصرحون بأن ارتکاب الأمور المباحه فضلا عن الخطایا و المعاصی یصدهم عن طریق اللّه،حتی یبکون سنین متوالیه علی ترک الراجح و فعل المرجوح،فهم أشد الناس غرورا،و أعظم الخلق حماقه و جهلا.

و(منهم)من یدعی غایه المعرفه و الیقین،و الوصول إلی درجات المقربین،و مشاهده المعبود،و مجاوره المقام المحمود،و الملازمه فی عین الشهود،و تلقف من الطامات کلمات یرددها،و یظن أنه یتکلم عن الوحی و یخبر عن السماء.و ینظر إلی العباد و الفقهاء و المحدثین و سائر أصناف العلماء

بعين الحقاره و الازدراء،یقول فی العباد:إنهم أجراء مبعوثون،و فی العلماء:

أنهم بالحدیث عن اللّه لمحجوبون،و یدعی لنفسه من الکرامات ما لا یدعیه نبی و لا ولی،و یدعی کونه و أصلا إلی الحق فارغا عن أعباء التکلیف، لا علما أحکم و لا عملا هذب،لم یعرف من المعارف إلا أسماء یتفوه بها عند الأغنیاء للوصول إلی بعض حطامهم الخبیثه،فهو عند اللّه من الفجار المنافقین،و عند أرباب القلوب من الحمقی الجاهلین،مع ظنه أنه من المقربین،فهو أشد الغافلین المغرورین.

و(منهم)ملامیه یرتکبون قبائح الاعمال و شنائع الافعال الموجبه للبعد عن طریق المروه،ظنا منهم أن هذا موجب لکسر النفس و إزاله ذمائم الأخلاق،و لم یعلموا ان هذه الافعال من الذمائم،و قد نهی صاحب الشرع عنه.

و(منهم)من اشتغل بالریاضه و المجاهده،و قطع بعض المنازل، و وصل إلی بعض المقامات علی قدر سعیه و مجاهدته،إلا أنه لم یتم سلوکه و انقطع عن سائر المقامات،اما لاعتراض مفسد فی اثناء السلوک،أو لوقوعه فی الاثناء ظنا منه انه وصل إلی اللّه و لم یصل بعد،فان للّه سبعین حجابا من نور،و لا یصل السالک إلی حجاب من تلک الحجب فی الطریق الا و یظن انه قد وصل،و إلیه الإشاره فی حکایه الخلیل،حیث رأی أولا کوکبا،فقال:

«هذا ربی»،ثم انتقل إلی القمر،ثم عنه إلی الشمس،فانه لیس المراد بالکوکب و القمر و الشمس هذه الاجسام المضیئه،فان شأن مثل الخلیل أعظم من أن یظن کونها آلهه،بل هذا ینافی شأنه و رتبته،فالمراد بها الأنوار التی هی من حجب اللّه،و یراها السالک فی الطریق،و لا یتصور الوصول إلی اللّه الا بالوصول إلی هذه الحجب،و هی حجب من النور بعضها أعظم من

بعض،فاستعير لفظ الکواکب لصغره لاقل مراتبها،و القمر لاوسطها، و الشمس لاعظم مراتبها،و الخلیل(ع)لم یزل عند سیره فی الملکوت یصل الی نور بعد نور،و یتخیل إلیه فی أول ما یلقاه أنه قد وصل،ثم انکشف له أن وراءه امر،فیترقی إلیه حتی وصل إلی الحجاب الاقرب،فقال:هذا أکبر،فلما ظهر أنه مع عظمته غیر خال عن الهوی فی حضیض النقص و الانحطاط عن ذروه الکمال،قال:

لا أُحِبُّ الْآفِلِینَ . إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ... (۱).

فسالک هذا الطریق قد یغتر فی الوقوف علی بعض هذه الحجب،و ربما یغتر بالحجاب الأول،و أول الحجاب بین اللّه و بین العبد هو قلبه،فانه -أیضا-أمر ربانی و نور من أنوار اللّه،تتجلی فیه حقیقه الحق کله،حتی یتسع لجمله العالم و یحیط به و تنجلی فیه صوره الکل،و عند ذلک یشرق نوره اشراقا عظیما،اذ یظهر فیه الوجود کله علی ما هو علیه،و هو فی أول الامر کان محجوبا،فإذا تجلی نوره و انکشف فیه جماله بعد اشراق نور اللّه تعالی ربما التفت صاحب القلب إلی القلب،فیری من جماله الفائق ما یدهشه، فربما یسبق لسانه فی هذه الدهشه،فیقول:انا الحق!فان لم یتضح له ما وراء ذلک،اغتر به،و وقف علیه و هلک،و کان قد اغتر بکوکب صغیر من أنوار الحضره الآلهیه،و لم یصل بعد إلی القمر،فضلا عن الشمس،فهو مغرور.و هذا محل الالتباس،اذ المتجلی یلتبس بالمتجلی فیه،کما یلتبس لون ما یتراءی فی المرآه فیظن أنه لون المرآه،و کما یلتبس ما فی الزجاج بالزجاج فیظن أنه لون الزجاج،کما قیل:

رق الزجاج و رقت الخمر

فتشابها و تشاکل الامر

۱- ۱) الانعام،الآیه:۷۶ و ۷۹.

فكأنما خمر و لا قدح

و كأنما قدح و لا خمر

و بهذه العين نظر النصارى إلى المسيح،فرأوا اشراق نور اللّه قد تلألأ فيه،فغلطوا فيه،كمن يرى كوكبا فى مرآه أو فى ماء،فيظن أن الكوكب فى المرآه أو فى الماء،فيمد اليد إليه،فهو مغرور.و أنواع الغرور فى طريق السلوك إلى اللّه كثيره لا تخفى على أرباب البصيره.

ثم أكثر المتلبسين بلباس العارفين-مع كذبهم فيما يدعونه،و نقصانهم فى طريق السلوك،و جهلهم بحقيقه الأمر،و عدم قطعهم جل المقامات- يتشبهون بالصادقين من العرفاء فى زيهم و هيئتهم و آدابهم و مراسمهم و الفاظهم، ظانين أنهم بهذا التشبه يصلون إلى مراتبهم،فهيهات هيهات!إن الوصول الى درجه كل أحد إنما تحصل بالاتصاف بأوصافه الباطنه و التخلق باخلاقه النفسيه،دون التشبه به فى حالاته الظاهره،و قد شبههم بعض الأكابر بامرأه عجوز سمعت أن الشجعان من المقاتلين تثبت أسماؤهم فى الديوان و يقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكه،فتاقت نفسها إلى أن تكون مثلهم،فلبست درعا،و وضعت على رأسها مغفرا،و تعلمت من رجز الأبطال أبياتا، و تعلمت كيفيه جولانهم فى الميدان،و تلقفت جميع شمائلهم فى الزى و المنطق و الحركات و السكنات،و توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان، فلما وصلت إليه،أنفذت إلى ديوان العرض،و أمرت بأن تجرد عن المغفر و الدرع،و ينظر إلى حقيقتها،و تمتحن بالمبارزه مع بعض الشجعان ليعرف قدر شجاعتها،فلما جردت فإذا هى عجوز ذات منه ضعيفه لا تقدر على شىء، فقيل لها:أ جئت للاستهزاء بالملك و أهل حضرته؟خذوها و القوها قدام الفيل،فداسها و نحتها.فهكذا يكون حال المدعين للتصوف و العرفان فى القيامه،اذا كشف عنهم الغطاء و عرضوا إلى القاضى الحق الذى لا ينظر الى الزى و اللباس بل إلى سر القلب و صفاته.

الطائفه السابعه (الأغنياء و أرباب الأموال)

و المغترون فيهم أكثر من سائر الطوائف:

(فمنهم)من يحرص على بناء المساجد و المدارس و الرباطات و القناطر و سائر ما يظهر للناس بالأموال المحرمه،و ربما غصب أرض المساجد و المدارس،و ربما صير لها موقوفات أخذها من غير حلها،و لا باعث له على ذلك سوى الرياء و الشهوه،و لذا يسعى فى كتابه اسمه على احجارها ليتخلد ذكره و يبقى بعد الموت أثره،و يظن المسكين أنه قد استحق المغفره بذلك، و أنه مخلص فيه،و لم يدر أنه تعرض لسخط اللّه فى كسب هذه الأموال و فى انفاقها،و كان الواجب عليه الامتناع عن أخذها من أهله،و إذا عصى اللّه و أخذها،كان الواجب عليه التوبه و ردها إلى أهلها،فان لم يبق من أخذها منه و لا ورثته،كان الواجب ان يتصدق بها على المساكين،مع انه ربما كان فى بلده أو فى جواره مسكين يكون فى غايه الفقر و المسكنه و لا يعطيه درهما.

و(منهم)من ينفق الأموال فى الصدقات،الا أنه يطلب الفقراء الذين عادتهم الشكر و الافشاء للمعروف،و يكره التصدق فى السر،بل يطلب المحافل الجامعه و يتصدق فيها،و ربما يكره التصدق على فقراء بلده و يرغب ان يعطى أهل البلاد الآخر مع أكثريه استحقاق فقراء بلده،طلبا لاشتهاره بالبذل و العطاء فى البلاد الخارجه البعيده،و ربما يصرف كثيرا منه الى رجل معروف فى البلاد و ان لم يكن مستحقا،ليشتهر ذلك فى البلاد، و لا يعطى قليلا منه إلى فقير له غايه الاستحقاق إذا كان خامل الذكر،يفعل هذا و يظن أنه يجلب بذلك الأجر و الثواب،و لم يدر المغرور أن هذا القصد

احبط عمله و اضاع ثوابه.

و(منهم)من يجمع مالا ـ من غير حله،و لا ـ يبالى باخذ المال من أى طريق كان،ثم يمسكه غايه الإمساك،إلا انه لا يبالى بصرف بعضه فى طريق الحج،إما لنفسه فقط،أو لأولاده و ازواجه أيضا،اما للاشتهار،او لما وصل إليه:ان تارك الحج يبتلى بالفقر.

و(منهم)من غلب عليه البخل،فلا تسمح نفسه بانفاق شىء من ماله فيشتغل بالعباده البدنيه من الصوم و الصلاه،ظنا منه ان ذلک يكفى لنجاته، و لم يدر ان البخل صفه مهلكه لا بد من ازالتها،و علاجه!بذل المال دون العبادات البدنيه.و مثله مثل من دخلت فى ثوبه حيه،و قد أشرف على الهلاک،و هو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن الصفراء،و غافل بأن الحيه تقتله الآن،و من قتلته الحيه فأى حاجه له إلى السكجبين؟

وصل (ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد)

اشاره

قد عرفت ان الغرور مركب من الجهل و حب مقتضيات الشهوه و الغضب،فضده الفطانه و العلم و الزهد،فمن كان فطنا كيسا عارفا بربه و نفسه و بالاخره و الدنيا،و عالما بكيفيه سلوک الطريق إلى اللّه و بما يقربه إليه و بما يبعده عنه،و عالما بآفات الطريق و عقباته و غوائله،لاجتنب عن الغرور و لم يغره الشيطان فى شىء من الأمور،إذ من عرف نفسه بالذل و العبوديه و بكونه غريبا فى هذا العالم اجنبيا من هذه الشهوات البهيميه،عرف كون هذه الشهوات مضره له و ان الموافق له طبعا هو معرفه اللّه و النظر إلى وجهه فلا يسكن نفسه إلى شهوات الدنيا،و من عرف ربه و عرف الدنيا و الآخره و لذاتهما و عدم النسبه بينهما ثار فى قلبه حب اللّه و الرغبه إلى دار الآخره

و الانزجار عن الدنيا و لذاتها،و إذا غلبت هذه الاراده على قلبه صحت نيته فى الأمور كلها،فان أكل-مثلا-او اشتغل بقضاء الحاجه كان قصده منه الاستعانه على سلوك طريق الآخره،و اندفع عنه كل غرور منشأه تجاذب الأغراض و النزوع إلى الدنيا و إلى الجاه و المال،و ما دامت الدنيا أحب اليه من الآخره و هوى نفسه أحب إليه من رضاء اللّه،لم يمكنه الخلاص من الغرور. فالاصل فى علاج الغرور:ان يفرغ القلب من حب الدنيا، و يغلب عليه حب اللّه،حتى تتقوى به الاراده و تصح به النيه و يندفع عنه الغرور.قال الصادق(ع):«و اعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور و التمنى الا بصدق الإنابه إلى اللّه،و الاخبات له،و معرفه عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل و العلم،و لا يحتمله الدين و الشريعه و سنن القدوه و أئمه الهدى،و ان كنت راضيا بما أنت فيه فما أحد اشقى بعملك منك و اضيع عمرا،فاورثت حسره يوم القيامه» (۱).

و منها:

اشاره

طول الأمل

معنى طول الأمل و مرجعه-علاجه-ضده قصر الأمل-اختلاف الناس فى طول الأمل-ذكر الموت مقصر للامل-التعجب ممن ينسى الموت- الموت أعظم الدواهى-مراتب الناس فى ذكر الموت.

و هو أن يقدر و يعتقد بقاءه إلى مده متماديه،مع رغبته فى جميع توابع البقاء:من المال و الأهل و الدار و غير ذلک،و هو من رذائل قوتى العاقله و الشهوه،إذ الاعتقاد المذكور راجع إلى الجهل المتعلق بالعاقله،و حبه

۱- ۱) صححناه على مصباح الشريعه-الباب ۳۶.

لجميع توابع البقاء و ميله إليه من شعب حب الدنيا.و جهله راجع إلى تعويله!إما على شبابه،فيستبعد قرب الموت مع الشباب،و لا يتفكر المسكين فى ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر عشير أهل البلد،و انما قلوا لأن الموت فى الشباب أكثر،و إلى أن يموت شيخ يموت الف صبى و شاب، أو على صحته و قوته،و يستبعد مجىء الموت فجأه،و لا يتأمل فى أن ذلك غير بعيد،و لو سلم بعده فالمرض فجأه غير بعيد،إذ كل مرض انما يقع فجأه، و إذا مرض لم يكن الموت بعيدا.و لو تفكر هذا الغافل،و علم أن الموت ليس له وقت مخصوص،من شباب و شيب و كهوله،و من شتاء و خريف و صيف و ربيع،و ليل و نهار،و حضر و سفر،لكان دائما مستشعرا غير غافل عنه،و عظم اشتغاله بالاستعداد له،لكن الجهل بهذه الأمور و حب الدنيا بعثاه على الغفله و طول الأمل،فهو ابدا يظن أن الموت بين يديه،و لا يقدر نزوله و وقوعه فيه.و يشيع الجنائز و لا يقدر ان تشيع جنازته،لأن هذا قد تكرر عليه،و الفه بتكرر مشاهده موت غيره.و أما موت نفسه،فلم يألفه و لا يتصور ان يألفه،لأنه لم يقع،و إذا وقع لا يقع دفعه أخرى بعده،فهو الأول و هو الآخر! و اما حبه لتوابع البقاء!من المال و الدار و المراكب و الضياع و العقار، فراجع إلى الانس بها و الالتذاذ بها فى مده مديده،فيثقل على قلبه مفارقتها، فيمنع قلبه عن التفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها،اذ كل من كره شيئا يدفعه عن نفسه.و الإنسان لما كان مشغوفا بالامانى الباطله،و بالدنيا و شهواتها و لذاتها و علائقها،فتتمنى نفسه أبدا ما يوافق مراده،و مراده البقاء فى الدنيا،فلا يزال يتوهمه و يقرره فى نفسه،و يقدر توابع البقاء من أسباب الدنيا،فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه،فيلهو عن ذكر الموت و لا يقدر قربه،فان خطر له فى بعض الاحيان امر الموت و الحاجه

إلى الاستعداد له،سوّف و وعد نفسه إلى ان يكبر فيتوب.و إذا كبر اخر التوبه إلى ان يصير شيخا،و إذا صار شيخا يؤخرها إلى أن يفرغ من عماره هذه الضيعه او يرجع من سفر كذا او يفرغ من تدبير هذا الولد و جهازه و تدبير مسكن له،و لا يزال يسوف و يؤخر إلى ان يخطفه الموت فى وقت لا يحتسبه، فتعظم عند ذلك بليته و تطول حسرته،و قد ورد ان أكثر أهل النار صياحهم من سوف،يقولون و احزناه من سوف!و المسوف المسكين لا يدرى ان الذى يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا،و انما يزداد بطول المده قوه و رسوخا،إذ الخائض فى الدنيا لا يتصور له الفراغ منها قط،اذ ما قضى من أخذ منها لبانته،و انما فرغ منها من اطرحها.

فصل (علاج طول الأمل)

اشاره

لما عرفت ان طول الأمل منشأه الجهل و حب الدنيا،فينبغى أن يدفع الجهل بالفكر الصافى من شوائب العمى،و بسماع الوعظ من النفوس الطاهره، فان من تفكر يعلم ان الموت أقرب إليه من كل شىء،و انه لا بد ان تحمل جنازته و يدفن فى قبره،و لعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب و فرغ منه،و لعل اكفانه قد خرجت من عند القصار و هو لا يدرى به. و اما حب الدنيا فينبغى ان يدفع من القلب بالتأمل فى حقاره الدنيا و نفاسه الآخره،و ما ورد فى الأخبار من الذم و العقاب فى حب الدنيا و الرغبه إليها، و من المدح و الثواب على تركها و الزهد عنها،و قد تقدم ما يكفى لهذا البيان.

و ينبغى-أيضا-ان يتذكر ما ورد فى مدح ضد طول الأمل-اعنى قصر الأمل كما يأتى-و ما ورد فى ذم طول الأمل،كقوله-صلّى اللّه عليه و آله-:

«ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان!اتباع الهوى،و طول الأمل.فأما اتباع

الهوی فانه یصد عن الحق،و اما طول الأمل فانه الحب للدنیا-ثم قال-:

ان اللّه یعطی الدنیا من یحب و یبغض و إذا أحب عبدا أعطاه الایمان،الا ان للدین أبناء و الدنیا أبناء،فکونوا من أبناء الدین و لا تکونوا من أبناء الدنیا.الا ان الدنیا قد ارتحلت مولیه،الا ان الآخره قد أنت مقبله،الا و انکم فی یوم عمل لیس فیه حساب،الا و انکم یوشک أن تکونوا فی یوم حساب لیس فیه عمل» (۱).و قوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«نجا أول هذه الأمه بالیقین و الزهد،و یهلک آخر هذه الأمه بالبخل و الأمل».و قول أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«ما أطال عبد الأمل الا أساء الأمل

وصل (قصر الأمل)

ضد طول الأمل قصره،و هو من شعار المؤمنین و دثار الموقنین،و لذا ورد فی الأمر به و النهی عن ضده ما ورد،قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«إذا أصبحت فلا تحدث نفسک بالمساء،و إذا أمسیت فلا تحدث نفسک بالصباح،و خذ من دنیاک لآخرتک،و من حیاتک لموتک،و من صحتک لسقمک،فانک لا تدری ما سمک غدا».و قال-صلّی اللّه علیه و آله- بعد ما سمع أن أسامه اشتری ولیده بمائه دینار إلی شهر:«ان أسامه لطویل الأمل.و الذی نفسی بیده!ما طرفت عیناى الا ظننت أن شفری لا یلتقیان

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی احیاء العلوم:۴-۳۸۴،و هو یرویه عن علی(ع) عن النبی(ص)،و لکن فی کنز العمال:۲-۱۶۹،یرویه:انه من کلام علی (ع)نفسه،مع اختلاف یسیر عن عباره الاحیاء،و عباره الکنز أبلغ و أرصن، و فیه کلمه(الآخره)بدل(الدین)،و نفس الکلام مع اختلاف یسیر أیضا(و هو أبلغ و أعلی من العبارتین)،مروی فی نهج البلاغه:رقم ۴۱ من باب الخطب،فراجع.

حق يقبض اللّه روحى،و لا رفعت طرفى فظنت أنى واضعه حتى اقبض، و لا لقمت لقمه إلا ظننت انى لا اسيغها حتى اغص بها من الموت»،ثم قال:

«يا بنى آدم!إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى،و الذى نفسى بيده! أن ما توعدون لآت و ما أنتم بمعجزين».و روى:«انه-صلّى اللّه عليه و آله- قد اطلع ذات عشيه إلى الناس،فقال:ايها الناس!اما تستحيون من اللّه تعالى؟قالوا:و ما ذاك يا رسول اللّه!قال:تجمعون ما لا تأكلون، و تأملون ما لا تدركون،و تبنون ما لا تسكنون».«و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:أ كلكم يحب أن يدخل الجنه؟قالوا:نعم يا رسول اللّه!قال:

قصروا من الأمل،و اجعلوا آجالكم بين أبصاركم،و استحيوا من اللّه حق الحياء».و كان-صلّى اللّه عليه و آله-يقول فى دعائه:«اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخره،و أعوذ بك من حياه تمنع خير الممات،و أعوذ بك من امل يمنع خير العمل»و كان-صلّى اللّه عليه و آله-يتيمم مع القدره على الماء قبل مضى ساعه،و يقول لعلى لا أبلغه. و قال عيسى-عليه السّلام-:

«لا تهتموا برزق غد،فان لم يكن غدا من آجالكم فتأتى ارزاقكم مع آجالكم،و ان لم يكن غدا من آجالكم فلا تهتموا لأرزاق غيركم».

فصل (اختلاف الناس فى طول الأمل)

الناس فى طول الأمل و قصره مختلفون:(فمنهم)من يأمل البقاء و يشتهيه أبدا،كما قال اللّه-سبحانه-:

يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَهٍ

(۱)

۱- ۱) البقره،الآیه:۹۶.

و هو الـذى انغمر فى الـدنيا و خاض فى لـذاتها،و ليس له من الآخره نصـيب.(و منهم)من يأمل البقاء إلى اقصـى مده العمر الذى يتصور لأهل عصـره،و هو الـذى يحب الـدنيا حبا شديدا،و يشـتغل بجمع ما يمكنه فى هذه المده،و ربما يجتهد بجمع الازيد منه. (و منهم)من يأمل أقل من ذلك إلى ان ينتهى إلى من لا يأمل أزيد من سـنه،فلا يشـتغل بتدبير ما وراءها،و لا يقدر لنفسه وجوده فى عام قابل،فان بلغه حمد اللّه على ذلك،و مثله يستعد فى الصيف للشتاء و فى الشتاء للصيف،و إذا جمع ما يكفيه السنه اشتغل بالعبـاده. (و منهم)من يأمـل أقـل من السـنه إلى ان ينتهى إلى من لا يأمل أزيـد من يوم و ليله،فلا يسـتعد الا لنهاره دون غـده. (و منهم)من يكون الموت نصب عينيه،كـأنه واقع به و هو ينتظره،و مثله يصـلى دائمـا صـلاه المودعين. و روى:«أن النبى-صلّى اللّه عليه و آله-سأل بعض الصحابه عن حقيقه ايمانه،قال:ما خطوت خطوه الا ظننت انى لا اتبعها أخرى».

و كان بعضهم إذا يصلى يلتفت يمينا و شمالا،و لما قيل له:ما هذا الالتفات؟ قال:«انتظر ملك الموت من انى جهه يأتينى».

ثم أكثر الخلق-(لا-)سيما فى أمثـال زماننـا-قـد غلبهم طول الأمل، بحيث لا يأمل أقل من اقصـى مـده السن،و قلّ فيهم من قصـر امله،و العجب انه كلمـا يزداد السن يزداد طـول الأمـل،و فى عصـرنا أكـثر المشايخ و المعمرين حرصـهم و طول املهم أكـثر من الشبان،و من هنا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان:الحرص،و طول الأمل».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«حب الشيخ شاب فى طلب الدنيا،و ان التقت ترقوتاه من الكبر،إلا الذين اتقوا،و قليل ما هم».

ثم يعرف طول الأمل و قصره بالأعمال:فمن اعتنى بجمع أسباب

لا- يحتاج إليها فى سنه فهو طويل الأمل،و كذلك من انتشرت أموره،بأن يكون له مع الناس معاملات و محاسبات إلى مده معينه،كالسنه و أزيد منها، و كان عليه ديون من الناس كذلك،و مع ذلك لم يكن مضطربا و لا خائفا فهو طويل الأمل.فعلامه قصر الأمل:أن يجمع امره بحيث لا يكون عليه من الناس شيء،و لا يسعى لطلب قوت الزائد على أربعين يوما،و يصرف اوقاته فى الطاعه و العباده،و يرى نفسه كمسافر يجتهد فى تحصيل الزاد.

فصل (ذكر الموت مقصر للامل)

ذكر الموت يقصر الأمل و يدفع طوله،و يوجب التجافى عن دار الغرور و الاستعداد لدار الخلود،و لذا ورد فى فضيلته و الترغيب فيه اخبار كثيره،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«أكثروا ذكر هادم اللذات»،قيل:و ما هو يا رسول اللّه؟!قال:«الموت،فما ذكره عبد على الحقيقه فى منعه الا ضاقت عليه الدنيا،و لا فى شده الا اتسعت عليه».و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«تحفه المؤمن الموت».و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:

«الموت كفاره لكل مسلم».و قيل له-صلّى اللّه عليه و آله-أهل يحشر مع الشهداء أحد؟قال:«نعم!من يذكر الموت فى اليوم و الليله عشرين مره».و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«أكثروا من ذكر الموت،فانه يمحص الذنوب،و يزهد فى الدنيا».و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«كفى بالموت واعظا». و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«الموت الموت،الا و لا بد من الموت،جاء الموت بما فيه،جاء بالروح و الراحه و الكره المباركه إلى جنه عاليه لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم و فيها رغبتهم».و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«اذا استحقت ولايه اللّه و السعاده،جاء الأجل بين العينين و ذهب

ص: ۳۸

الأمل وراء الظهر،و إذا استحقت ولايه الشيطان و الشقاوه،جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر».و ذكر عنده-صلّى اللّه عليه و آله-رجل، فاحسنوا الثناء عليه،فقال-صلّى اللّه عليه و آله-:«كيف ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا:ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت،قال:«فان صاحبكم ليس هنا لك».و سئل:

أى المؤمنين أكيس و أكرم؟فقال:«أكثرهم ذكرا للموت،و أشدهم استعدادا له،أولئك هم الاكياس،ذهبوا بشرف الدنيا و كرامه الآخره» .و قال الباقر-عليه السلام-:«أكثروا ذكر الموت،فانه لم يكثر ذكره انسان الازهد فى الدنيا».و قال الصادق-عليه السّلام-:«اذا أنت حملت جنازه فكن كأنك أنت المحمول و كأنك سألت ربك الرجوع إلى الدنيا ففعل،فانظر ما ذا تستأنف».ثم قال-عليه السلام-:«عجبا لقوم حبس أولهم عن آخرهم،ثم نودى فيهم بالرحيل و هم يلعبون».و قال-عليه السلام-لأبى بصير-بعد ما شكى إليه الوسواس-:«اذكر يا ابا محمد تقطع أوصالك فى قبرك،و رجوع احبائك عنك إذا دفنوك فى حفرتك،و خروج بنات الماء من منخريك،و أكل الدود لحمك،فان ذلك يسلى عليك ما أنت فيه»،قال ابو بصير:فو اللّه!ما ذكرته إلا سلى عنى ما أنا فيه من هم الدنيا.و قال -عليه السّلام-:«من كان كفنه معه فى بيته لم يكتب من الغافلين،و كان ماجورا كلما نظر إليه» (۱). و قال-عليه السّلام-:«ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس،و يقلع منابت الغفله،و يقوى القلب بمواعد اللّه،و يرق الطبع،و يكسر اعلام الهوى،و يطفى نار الحرص،و يحقر الدنيا،و هو معنى ما قال النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:(فكر ساعه خير من عباده سنه).

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث على الوسائل-ج ۱:الباب ۲۳ من ابواب الاستحضار فى كتاب الطهاره-،و على احياء العلوم:۴-۲۸۳.

و ذلک عند ما یحل أطناب خیام الدنیا و یشدها فی الآخره،و لا ینکر نزول الرحمه عند ذکر الموت بهذه الصفه،و من لا یعتبر بالموت،و قله حیلته، و کثره عجزه،و طول مقامه فی القبر،و تحیره فی القیامه،فلا خیر فیه. و قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله-:(أکثروا ذکر هادم اللذات...)،ثم ذکر تمام الحدیث کما مر...ثم قال-علیه السّلام-:و الموت أول منزل من منازل الآخره و آخر منزل من منازل الدنیا،فطوبی لمن أکرم عند النزول بأولها،و طوبی لمن حسن مشایعته فی آخرها،و الموت أقرب الأشیاء من بنی آدم،و هو بعده أبعد،فما أجرأ الإنسان علی نفسه،و ما اضعفه من خلق،و فی الموت نجاه المخلصین و هلاک المجرمین،و لذلک اشتاق من اشتاق إلی الموت و کره من کره،قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله-:(من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه،و من کره لقاء اللّه کره اللّه لقاءه)» (۱).

فصل (العجب ممن ینسی الموت)

عجبا لقوم نسوا الموت و غفلوا عنه،و هو اظهر الیقینیات و القطعیات فی العالم،و أسرع الأشیاء إلی بنی آدم،قال اللّه-سبحانه و تعالی-:

أَیْنَمٰا تَکُونُوا یُدْرِکْکُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَیَّدَهٍ

(۲)

و قال-سبحانه-: کُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ الْمَوْتِ وَ إِنَّمٰا تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّٰارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فٰازَ وَ مَا الْحَیٰاهُ

۱- ۱) صححنا الحدیث علی مصباح الشریعه:الباب ۸۴.

۲- ۲) النساء،الآیه:۷۷.

اَلدُّنْيٰا إِلاّ مَتٰاعُ الْغُرُورِ

(۱)

.

و قال الصادق-عليه السّلام-:«ما خلق اللّه يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت». و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-:«ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله».و قال-عليه السّلام-:«لو رأى العبد أجله و سرعته إليه،لأبغض العمل من الدنيا». و قال الصادق(ع):

«ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و ملك الموت يتصفحه كل يوم خمس مرات».و قد تقدمت اخبار اخر فى هذا المعنى.

فصل (الموت أعظم الدواهى)

اعلم أن الموت داهيه من الدواهى العظمى،و من كل داهيه أشد و ادهى، و هو من الأخطار العظيمه،و الأهوال الجسيمه،فمن علم أن الموت مصرعه و التراب مضجعه،و القبر مقره و بطن الأرض مستقره،و الدود أنيسه و العقارب و الحيات جليسه،فجدير أن تطول حسرته و تدوم عبرته،و تنحصر فيه فكرته و تعظم بليته،و تشتد لأجله رزيته،و يرى نفسه فى أصحاب القبور و يعدها من الأموات،إذ كل ما هو آت قريب،و البعيد ما ليس بآت، و حقيق ألا يكون ذكره و فكره و غمه و همه و قوله و فعله و سعيه وجده إلا فيه و له،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«لو أن البهائم يعلمون ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا».أو قال-صلّى اللّه عليه و آله-لقوم يتحدثون و يضحكون:

«اذكروا الموت،أما و الذى نفسى بيده!لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا».و مر-صلّى اللّه عليه و آله-بمجلس قد استعلاه الضحك،

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۸۵.

فقال:«شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات».قالوا:و ما مكدر اللذات؟ قال:«الموت».

ثم غفله الناس عن الموت لقله فكرهم فيه و ذكرهم له،و من يذكره ليس يذكره بقلب فارغ،بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا و علائقها،فلا ينفع ذكره فی قلبه،فالطريق فيه:أن يفرغ القلب عن كل شیء إلا عن ذكر الموت الذی بين يديه،كالذی يريد ان يسافر إلى بلد بعيد ما بينهما مفازه مخطره،أو بحر عظيم لا بد أن يركبه،فانه لا يتفكر إلا فيه،و من تفكر فی الموت بهذا الطريق و تكرر منه ذلک،لأثر ذكره فی قلبه،و عند ذلک يقل فرحه و سروره بالدنيا،و تنزجر نفسه عنها،و ينكسر قلبه، و يستعد لأجله. و أوقع طريق فيه:أن يكثر ذكر أقرانه الذين مضوا قبله، و نقلوا من انس العشره إلى وحشه الوحده.و من ضياء المهود إلى ظلمه اللحود، و من ملاعبه الجوارى و الغلمان إلى مصاحبه الهوام و الديدان،و يتذكر مصرعهم تحت التراب،و يتذكر صورهم فی مناصبهم و أحوالهم،ثم يتفكر كيف محى التراب الآن حسن صورتهم،و كيف تبددت أجزاؤهم فی قبورهم،و كيف أرملوا نساءهم و أيتموا أولادهم و ضيعوا أموالهم و خلت منهم مساكنهم و مجالسهم و انقطعت آثارهم و اوحشت ديارهم،فمهما تذكر رجلا رجلا و فصل فی قلبه حاله و كيفيه حياته،و توهم صورته،و تذكر نشاطه و أمله فی العيش و البقاء،و نسيانه للموت،و انخداعه بمؤثثات الأسباب،و ركونه إلى القوه و الشباب،و ميله إلى الضحک و اللهو،و غفلته عما بين يديه من الموت الذريع و الهلاک السريع،و انه كيف كان يتردد و الآن قد تهدمت رجلاه و مفاصله،و كيف كان ينطق و قد أكل الدود لسانه،و كيف كان يضحک و قد أكل التراب أسنانه،و كيف دبر لنفسه الأمور و جمع من حطام الدنيا مالا يتفق احتياجه إليه على مر الاعوام و الشهور و كر الازمنه و الدهور. ثم يتأمل

أنه مثلهم،و غفلته كغفلتهم،و سيصير حاله فى القبر كحالهم،فملازمه هذه الأفكار و أمثالها،مع دخول المقابر و تشييع الجنائز و مشاهده المرضى، تجدد ذكر الموت فى قلبه،حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه، و عند ذلك ربما يستعد له و يتجافى عن دار الغرور،و اما الذكر بظاهر القلب و عذبه اللسان فقليل الجدوى فى التنبيه و الايقاظ.و مهما طاب قلبه بشىء من أسباب الدنيا،فينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لا بد من مفارقته.كما نقل:أن بعض الأكابر نظر إلى داره فاعجبه حسنها،فبكى و قال:و اللّه لو لا الموت لكنت بها مسرورا.

فصل (مراتب الناس فى ذكر الموت)

الناس بين منهمك فى الدنيا خائض فى لذاتها و شهواتها،و بين تائب مبتدئ،و عارف منتهى.

(فالأول):لا يذكر الموت،و إن ذكره فيذكره ليذمه لصده عما يحبه من الدنيا،و هو الذى يفر منه،و قال اللّه-تعالى-فيه:

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ... الآيه (1)و هذا يزيده ذكر الموت بعدا من اللّه،الا إذا استفاد منه التجافى عن الدنيا،و يتنغص عليه نعيمه،و يتكدر صفو لذته،و حينئذ ينفعه،لأن كل ما يكدر على الإنسان اللذات فهو من أسباب نجاته.

(و الثانى):يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف و الخشيه،فيفى

۱- ۱) الجمعه،الآيه:۸.

بتمام التوبه،و ربما يكرهه خيفه من أن يختطفه قبل الاستعداد و تهيئه الزاد و تمام التوبه،و هو معذور فی كراهه الموت،و لا يدخل تحت قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«من كره لقاء اللّه كره اللّه لقاءه»،لان هذا ليس يكره الموت و لقاء اللّه،و إنما يخاف فوت لقاء اللّه لقصوره و تقصيره،و هو الذی يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه،فلا يعد كارها للقائه.و علامه هذا:أن يكون دائم الاستعداد للموت لا شغل له سواه،و إن لم يكن مستعدا له عاملا بما ينفعه فی الآخره التحقيق بالاول.

(و اما الثالث):فانه يذكر الموت دائما،لانه موعد للقاء حبيبه، و المحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب،و هذا فی غالب الامر يستبطئ مجیء الموت و يحب مجيئه،ليتخلص من دار العاصين و ينتقل إلى جوار رب العالمين، كما روی:«أن حذيفه لما حضرته الوفاه قال:حبيب جاء على فاقه لا أفلح من رده،اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلی من الغنی،و السقم أحب إلی من الصحه،و الموت أحب الی من الحياه،فهل على الموت حتى ألقاك».

و أعلى رتبه منه:من يفوض امره إلى اللّه،و لا يختار لنفسه شيئا:من الموت أو الحياه،و الفقر و الغنى،و المرض و الصحه،بل يكون أحب الأشياء إليه احبها إلى مولاه،و هذا قد انتهى بفرط الحب و الولاء إلى درجه التسليم و الرضا،و هو الغايه و الانتهاء.

تتميم (المبادره إلى الحسنات)

اشاره

من علامات قصر الأمل و ذكر الموت:المبادره إلى الحسنات و اشتياق الخيرات،و لذا ورد فيه الترغيب و الحذر عن آفه التأخير،قال رسول اللّه

ص: ۴۴

-صلّى اللّه عليه و آله-:«اغتنم خمسا قبل خمس:شبابک قبل هرمک، و صحتک قبل سقمک،و غناک قبل فقرک،و فراغک قبل شغلک،و حیاتک قبل موتک»و قال-صلّى اللّه علیه و آله-:«من خاف أدلج و من أدلج بلغ المنزل.

ألا إن سلعه اللّه غالیه،ألا إن سلعه اللّه الجنه» (۱).و کان-صلّى اللّه علیه و آله-اذا احس من أصحابه غفله و غره،نادى فیهم بصوت عال:«أتتکم المنیه،إما بشقاوه أو بسعاده»،و روى:أنه ما من صباح و لا ماء إلا و مناد ینادى:أیها الناس!الرحیل الرحیل!و قال بعض الأکابر:التؤده فی کل شیء خیر،إلا فی أعمال الآخره.

و منها:

اشاره

العصیان

و لا ریب فی کونه من رذائل قوتى الغضب و الشهوه معا،لأن بعض انواعه من رذائل أحداهما من جانب الإفراط أو التفریط،أو من باب رداءتها،و بعض آخر من انواعه من رذائل الأخرى.و ضده(التقوى و الورع)،و بالمعنى الأعم:اعنى الاجتناب عن مطلق المعصیه خوفا من سخط اللّه،و قد تقدم ما ورد فی فضیلتهما،فتذکر.

و منها:

اشاره

الوقاحه

و هو عدم مبالاه النفس،و عدم انفعالها من ارتکاب المحرمات الشرعیه و العقلیه أو العرفیه،و کون من رداءه قوتى الغضب و الشهوه ظاهر.

۱- ۱) صححنا الحدیث على احیاء العلوم:۴-۳۹۰.و فى نسخ الکتاب(أولج و من اولج).

و ضـدهـا(الحياء)،و هو انحصار النفس و انفعالها من ارتكاب المحرمات الشـرعيه و العقليه و العاديه حـذرا من الـذم و اللوم،و هو أعم من التقوى،إذ التقوى اجتناب المعاصى الشرعيه،و الحياء يعم ذلک و اجتناب ما يقبحه العقل و العرف أيضا،فهو من شرائف الصـفات النفسـيه،و لـذا ورد فى فضـله مـا ورد،قـال الصـادق-عليه السّـلام-:«الحيـاء من الايمان،و الايمان فى الجنه». و قال-عليه السّـلام-:«الحياء و العفاف و العى-أعنى عىّ اللسان لا عى القلب-من الايمان».و قال-عليه السّلام-:«الحياء و الايمان مقرونان فى قرن،فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه». و قال-عليه السّلام-:

«لا ايمان لمن لا حياء له».ثم حقيقه الحياء-كما عرفت-هو الانفعال عن ارتكاب ما يـذم شـرعا أو عقلا أو عرفا،فالانفعال عن غير ذلک حمق، فان الانفعال عن تحقيق احكام الدين أو الخمود عما ينبغى شرعا و عقلا لا يعد حياء بل حمقا.و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الحياء حياء ان:

حياء عقل و حياء حمق،فحياء العقل هو العلم و حياء الحمق هو الجهل» (۱).

و منها:

اشاره

الإصرار على المعصيه

رجوع رذيله الإصرار إلى أى القوى و ذمهـا-ضـد الإصـرار التوبه و تعريفها-هل يشترط فى التوبه القـدره على الـذنب السابق؟-وجوب التوبه-تحقيق فى وجوبهـا-عموم وجوبهـا-لاـ بـد من العمـل بعـدها-فضـيلتها- قبولهـا-طريقه التوبه من المعاصـى-تكفير الصغائر و معنى الكبائر-الصغائر قد تكون كبائر-شروط كمال التوبه-هل يصح التبعيض فيها؟-أقسام

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على أصول الكافى(باب الحياء).

التائبین-مراتب التوبه-عدم الثقه بالاستقامه لا یمنع من التوبه-علاج الإصرار علی الذنوب-الإنابه-المحاسبه و المراقبه-المعنی الظاهر لهما- حاسبوا أنفسکم قبل ان تحاسبوا-مقامات مرابطه الفعل للنفس.

و هو إما ناشئ من رداءه إحدی القوتین و خروجها عن إطاعه العاقله، أو عن رداءتهما معا،فیکون من رذائل القوتین،و کل ما یدل علی ذم مطلق المعصیه أو علی ذم خصوص افرادها المعینه یدل علی ذم الإصرار علی المعصیه بطریق أولی و أوکد.و الاخبار الوارده فی ذم خصوص افراد المعاصی ربما یظفر بجمله منها فی هذا الکتاب عند ذکر کل معصیه،و أما الاخبار الوارده فی ذم مطلق الذنب و المعصیه فکثیره جدا،کقول النبی-صلّی اللّه علیه و آله-:«ما من یوم طلع فجره و لا لیله غاب شفقها إلا و ملکان ینادیان باربعه اصوات،یقول أحدهما:یا لیت هذا الخلق لم یخلقوا،و یقول الآخر:

یا لیتهم إذ خلقوا علموا لما ذا خلقوا،فیقول الآخر:فیا لیتهم إذ لم یعلموا لما ذا خلقوا عملوا بما علموا،فیقول الآخر:و یا لیتهم إذ لم یعملوا بما علموا تابوا مما عملوا.و اعلموا أن العبد لیحبس علی ذنب من ذنوبه مائه عام،و أنه لینظر إلی ازواجه فی الجنه یتنعمن» .و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام-:

«لا تبدین عن واضحه و قد عمتک الاعمال الفاضحه،و لا تأمن البیات و قد عملت السیئات»أو قال الباقر-علیه السّلام-:«إن اللّه قضی قضاء حتما ألا ینعم علی العبد بنعمه فیسلبها إیاه حتی یحدث العبد ذنبا یستحق بذلک النقمه».

و قال-علیه السّلام-:«ما من شیء أفسد للقلب من خطیئته،إن القلب لیواقع الخطیئه،فما یزال به حتی یغلب علیه،فیصیر أعلاه أسفله».و قال -علیه السّلام-:«إن العبد لیذنب الذنب فیزوی عنه الرزق». و قال

الصادق-علیه السّلام-:«یقول اللّه-تعالی-:إن أدنی ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته علی طاعتی أن احرمه لذیذ مناجاتی».و قال-علیه السّلام-:

«من همّ بسیئه فلا یعملها،فانه ربما عمل العبد السیئه فیراه الرب-تعالی- فیقول:و عزتی و جلالی!لا أغفر لک بعد ذلک ابدا».و قال(ع):«أما إنه لیس من عرق یضرب،و لا نکبه و لا صداع و لا مرض،إلا بذنب، و ذلک قول اللّه-عز و جل-فی کتابه:

وَ مٰا أَصٰابَکُمْ مِنْ مُصِیبَهٍ فَبِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ

(۱)

.

قال-علیه السّلام-:و ما یعفو اللّه أکثر مما یؤاخذ به».و قال(ع):

«إن الرجل یذنب الذنب فیحرم صلاه اللیل،و ان العمل السیء أسرع فی صاحبه من السکین فی اللحم».و قال الکاظم-علیه السّلام-:«حق علی اللّه ألا یعصی فی دار إلا اضحاها للشمس حتی یطهرها» (۲).

و الأخبار فی هذا المعنی أکثر من أن تحصی،و لا یتوهم أحد أنه یمکن ألا یصل إلیه أثر الذنب و وباله،فان هذا محال.فانه لم یتجاوز عن الأنبیاء فی ترکهم الأولی،فکیف یتجاوز عن غیرهم فی کبائر المعاصی.نعم،کانت سعادتهم فی أن عوجلوا بالعقوبه و لم یؤخروا إلی الآخره،و الأشقیاء یمهلون لیزدادوا إثما،و یعذبوا فی الآخره عذابا أکبر و أشد،أما سمعت أن أباک آدم قد اخرج من الجنه بترکه الأولی؟حتی روی:«أنه لما أکل الشجره تطایرت الحلل عن جسده و بدت عورته،و جاء جبرئیل-علیه السّلام-و أخذ التاج من رأسه و خلی الاکلیل عن جنبیه،و نودی من فوق العرش:اهبطا من

۱- ۱) الشوری،الآیه:۳۰.

۲- ۲) صححنا الأحادیث هنا علی أصول الکافی(باب الذنوب).

جوارى،فانه لا يجاورنى من عصانى،فالتفت ادم إلى حواء باكيا،و قال:

هذا أول شؤم المعصيه،أخرجنا من جوار الحبيب».و روى:«انه-تعالى- قال:يا آدم!اى جار كنت لك؟قال:نعم الجار يا رب!قال:يا آدم!اخرج من جوارى وضع عن رأسك تاج كرامتى،فانه لا يجاورنى من عصانى».و قد روى:«ان آدم بكى على ذنبه مائتى سنه،حتى قبل اللّه توبته و تجاوز عما ارتكبه من ترك الأولى».فان كانت مؤاخذته فى نهى تنزيه مع حبيبه و صفيه هكذا،فكيف معاملته مع الغير فى ذنوب لا تحصى.

وصل (التوبه و تعريفها)

اشاره

ضد الإصرار(التوبه)،و هى الرجوع من الذنب القولى و الفعلى و الفكرى،و بعباره أخرى:هى تنزيه القلب عن الذنب و الرجوع من البعد الى القرب،و بعباره أخرى:ترك المعاصى فى الحال و العزم على تركها فى الاستقبال و تدارك ما سبق من التقصير.و كما ان الإصرار على العصيان من رذائل قوتى الغضب و الشهوه،فالرجوع عنه و تركه من فضائلهما،بمعنى أن العزم على ترك كل معصيه يكون من عمل كليهما او أحداهما،و من فعل النفس باعانتهما و انقيادهما للعاقله،و ان كان الباعث على الرجوع و تهيج النفس و القوتين على مباشره الرجوع و الترك هو معرفه عظم ضرر الذنوب،و كونها حجابا بين العبد و بين المحبوب،و يمكن ان يقال:إن التوبه هو الرجوع عن الذنب،و هو من ثمرات الخوف و الحب.فان مقتضى الحب أن يمتثل مراد المحبوب و لا يعصى فى شىء مما يريده و يطلب من المحب،فتكون من فضائل القوتين أيضا.و يمكن أن يقال:إن التوبه عباره عن مجموع العلم بضرر الذنوب،و كونها حجابا بينه و بين اللّه،و الندم الحاصل منه،و القصد المتعلق

بالترک حالا و استقبالا،و التلافی للماضی و الندم،و القصد بالترک و التلافی من فعل القوتین أو فعل النفس بوساطه القوتین و انقیادهما للعاقله،و العلم المذکور من العاقله،فتکون التوبه من فضائل القوی الثلاث.

و توضیح حقیقه التوبه:أنه إذا علم العبد علما یقینیا أن ما صدر عنه من الذنوب حائله بینه و بین محابه.ثار من هذا العلم تألم القلب بسبب فوات المحبوب،و صار متأسفا علی ما صدر عنه من الذنوب،سواء کانت افعالا أو تروکا للطاعات،و یسمی تألمه-بسبب فعله أو ترکه المفوت لمحبوبه-ندما.

و إذا غلب هذا الندم علی القلب،انبعثت منه حاله أخری تسمی إراده و قصدا إلی فعل له تعلق بالحال بترک الذنب الذی کان ملابسا له،و بالاستقبال بعزمه علی ترک الذنب المفوّت لمحبوبه إلی آخر عمره،و بالماضی بتلافیه ما فات بالجبر و القضاء. فالعلم-أعنی الیقین بکون الذنوب سموما مهلکه-هو الأول، و هو مطلع البواقی،إذ مهما اشرق نور هذا الیقین علی القلب أثمر نار الندم علی الذنب،فیتألم به القلب،حیث ینظر باشراق نور الایمان و الیقین أنه صار محجوبا عن محبوبه،کمن یشرق علیه نور الشمس و قد کان فی ظلمه،فیسطع النور علیه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب،فیری محبوبه قد أشرف علی الهلاک،فتشتعل نیران الحب فی قلبه،و تنبعث بتلک النیران إرادته للانتهاض للتدارک.فالعلم،و الندم،و القصد المتعلق بالترک فی الحال و الاستقبال و التلافی للماضی:ثلاثه معان مترتبه فی الحصول،یطلق اسم(التوبه)علی مجموعها. و ربما أطلقت التوبه علی مجرد الندم،و جعل العلم کالسابق و المقدمه، و الترک کالثمره و التابع للمتأخر،و إلی هذا الاعتبار یشیر قوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«الندم توبه».إذ لا یخلو الندم عن علم أوجبه و اثمره،أو عن عزم یتبعه و یتلوه،فیکون الندم محفوفا بطرفیه،اعنی ثمرته و مثمره.و بهذا الاعتبار

قيل فى حدها:إنها ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ،أو نار فى القلب تلتهب و صدع فى الكبد لا ينشعب،و ربما أطلقت على مجرد ترك الذنوب حالا ـ و العزم على تركها استقبالا،و بهذا الاعتبار قيل فى حدها:إنها خلع لباس الجفاء و نشر بساط الوفاء،و إنها تبديل الحركات المذمومه بالحركات المحموده، أو إنها ترك اختيار الذنب حالا و توطين القلب و تجريد العزم على عدم العود استقبالا.و على هذا لا يكون الندم داخلا فى حقيقه التوبه،و قد صرح بعض الاعاظم بخروجه عنها،محتجا بأن الندم-و هو تألم القلب و حزنه على الذنب-غير مقدور،و لذا ترى تقع الندامه على أمور فى قلبه و هو يريد ألا ـ يكون ذلك فلا ـ يكون الندم مقدورا،و انما المقدور تحصيل أسبابه،أعنى الايمان و العلم بفوات المحبوب و تحقيقهما فى قلبه.و على هذا فلا يكون الندم من التوبه،إذ التوبه مقدوره للعبد و مأمور بها،فاللازم فيها التندم دون الندم.و غير خفى بأن الندم كغيره من صفات النفس،فان أمكن إزاله الصفات النفسيه و كسبها فالندم كذلك،و الا لزم بطلان علم الأخلاق بالكليه، و أيضا إذا امكن تحصيل سبب الندامه-اعنى العلم بفوات المحبوب-لزم ترتب المسبب-أعنى الندامه عليه-فما معنى عدم كونه مقدورا،فالندامه فى الإزاله و التحصيل لا يكون اصعب من كثير من الأخلاق النفسيه.و بعضهم يعدّ ما عدا التندم من شرائط التوبه،قال:«و أما الندم-أعنى تألم القلب على الذنب الذى هو روح التوبه-فغير مقدور،و هو التوبه حقيقه،و انما المقدور تحصيل أسبابه من العلم و الايمان و تحقيقهما فى قلبه»انتهى.و فيه مالا ـ يخفى بعلاوه ما سبق، قال الصادق-عليه السّلام-:«التوبه حبل اللّه و مدد عنايته،و لا بد للعبد من مداومه التوبه على كل حال،و كل فرقه من العباد لهم توبه،فتوبه الأنبياء من اضطراب السر و توبه الأولياء من تلوين الخطرات،

و توبه الاصفياء من التنفيس،و توبه الخاص من الاشتغال بغير اللّه،و توبه العالم من الذنوب،و لكل واحد منهم معرفه و علم فى أصول توبته و منتهى أمره،و ذلك يطول شرحه هنا.

و أما توبه العام،فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسره،و الاعتراف بجنايته دائما،و اعتقاد الندم على ما مضى،و الخوف على ما بقى من عمره، و لا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل،و يديم البكاء و الاسف على ما فاته من طاعه اللّه،و يحبس نفسه عن الشهوات،و يستغيث إلى اللّه-تعالى- ليحفظه على وفاء توبته و يعصمه عن العود إلى ما سلف،و يروض نفسه فى ميدان الجهاد و العباده،و يقضى عن الفوائت من الفرائض،و يرد المظالم، و يعتزل قرناء السوء،و يسهر ليله و يظمأ نهاره،و يتفكر دائما فى عاقبته، و يستعين باللّه سائلا منه الاستقامه فى سرائه و ضرائه،و يثبت عند المحن و البلاء كيلا يسقط عن درجه التوابين،فان فى ذلك طهاره من ذنوبه، و زياده فى عمله،و رفعه فى درجاته.قال اللّه-عز و جل-:

فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ

(۱)

» (۲).

تتمه (هل يشترط فى التوبه القدره على الذنب السابق؟)

التوبه انما تكون عن ذنب سبق مثله،(أما) (۳)ترك ذنب لم يسبق مثله حالا و العزم على تركه استقبالا لا يسمى توبه،بل يسمى تقوى،و يسمى

۱- ۱) العنكبوت،الآيه:۳.

۲- ۲) صححنا هذه الروايه على(مصباح الشريعه:الباب ۸۰).

۳- ۳) و فى النسخ(او)بدل(أما)،و الصحيح ما اثبتناه.

صاحبه متقيا لا تائبا،و لذا يصح القول بأن النبى-صلّى اللّه عليه و آله-كان متقيا عن الكفر،و لا يصح القول بأنه كان تائبا عنه،ثم المراد بالمثل السابق أعم من أن يكون مثلا-فى الصوره او المنزله،فالشيخ الهم الذى سبق منه الزنا و قطع الطريق،و لم يقدر الساعه على فعلهما،اذا أراد التوبه عنهما ينبغى أن يتوب عما يماثلهما منزله و درجه،كالقذف و السرقه و امثالهما،إذ لا معنى للتوبه عما يماثلهما صوره-اعنى نفس الزنا و قطع الطريق-مع عدم قدرته عليهما،و لو لم يكن التوبه عما يماثل الشىء فى المنزله و الدرجه توبه عن هذا الشىء،لزم أن يكون باب التوبه مسدودا بالنسبه إلى مثل الشيخ الهم و كل من صدر منه معصيه و الآن لا يقدر عليها،و هو باطل،لانفتاح باب التوبه الى الموت،و لما ذكر،قال بعض المشايخ فى حد التوبه:«إنها ترك اختيار ذنب سبق مثله منزله لا صوره،تعظيما للّه و حذرا من سخطه».فقوله:

«سبق مثله»احتراز عن ترك ذنب لم يسبق مثله،فانه لا يسمى توبه بل تقوى،و قوله:«منزله لا صوره»لادخال التوبه عما سبق و لا يقدر الآن على فعله،و على هذا فتوبه العنين عن النظر و اللمس و أمثال ذلك يكون توبه عن الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه،و الظاهر أن بناء ذلك على دلاله توبته عما يقدر عليه الآن،على أنه لو كان قادرا على الزنا لتركه أيضا، لاشعاره بأن توبته صدرت عن معرفه و يقين بضرر الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه،فلو كان قادرا عليه لتركه أيضا.

قال أبو حامد الغزالى:«إن قلت:هل تصح توبه العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه؟قلت:لا!لأن التوبه عباره عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله و ما لا يقدر على فعله،فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه»،ثم قال:«و لكنى أقول:لو طرأ عليه بعد العنه كشف

و معرفه تحقق به ضرر الزنا الذی قارفه،و ثار منه احتراق و تحسر و ندم، بحیث لو کانت شهوه الوقاع باقیه لکانت حرقه الندم تقمع تلک الشهوه و تغلبها،فانی أرجو أن یکون ذلک مکفرا لذنبه و مباحا عنه سیئته،إذ لا خلاف فی أنه لو تاب قبل طریان العنه و مات عقیب التوبه کان من التائبین و ان لم تطرأ علیه حاله تتهیج فیها الشهوه و تتیسر أسباب قضاء الشهوه،و لکنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده، فاذن لا یستحیل أن تبلغ قوه الندم فی حق العنین هذا المبلغ إلاـ أنه لاـ یعرفه من نفسه،فان کل من لا یشتهی شیئا یقدر نفسه قادرا علی ترکه بأدنی خوف، و اللّه مطلع علی ضمیره و علی مقدار ندمه،فعساه یقبله منه،بل الظاهر انه یقبله.و الحقیقه فی هذا کله ترجع إلی أن ظلمه المعصیه تنمحی عن القلب بشیئین:- أحدهما-حرقه الندم،و-الآخر-شده المجاهده بالترک فی المستقبل،و قد امتنعت المجاهده بزوال الشهوه،و لکن لیس محالا أن یقوی الندم بحیث یقوی علی محوها دون المجاهده،و لو لا هذا لقلنا:ان التوبه لا تقبل ما لم یعش التائب بعد التوبه مده یجاهد نفسه فی عین تلک الشهوه مرات کثیره،و ذلک مما یدل ظاهر الشرع علی اشتراطه».

فصل (وجوب التوبه)

التوبه عن الذنوب بأسرها واجبه،بالاجماع،و النقل،و العقل:

أما الإجماع-فلا ریب فی انعقاده.و أما النقل-فکقوله-تعالی-:

وَ تُوبُوا إِلَی اللّٰهِ جَمِیعاً أَیُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ

(۱)

.و قوله-تعالی-: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ

ص: ۵۴

۱- ۱) النور،الآیه:۳۱.

آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً عَسىٰ رَبُّکَمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکَمْ سَیِّئٰاتِکَمْ

(۱)

.

و معنی النصوح:الخالص للّه خالیا عن شوائب الأغراض،من مال أو جاه او خوف من سلطان أو عدم أسباب،و الامر للوجوب،فتکون التوبه واجبه بمقتضی الآیتین.

و أما العقل-فهو أن من علم معنی الوجوب و معنی التوبه فلا یشک فی ثبوته لها. (بیان ذلک):أن معنی الواجب و حقیقته هو ما یتوقف علیه الوصول إلی سعاده الابد و النجاه من هلاک السرمد،و لو لا تعلق السعاده و الشقاوه بفعل الشیء و ترکه لم یکن معنی لوجوبه،فالواجب ما هو وسیله و ذریعه إلی سعاده الأبد.و لا ریب فی أنه لا سعاده فی دار البقاء إلا فی لقاء اللّه و الانس به،فکل من کان محجوبا عن اللقاء و الوصال محروما عن مشاهده الجلال و الجمال،فهو شقی لا محاله،محترق بنار الفراق و نار جهنم،ثم لا مبعد عن لقاء اللّه إلا اتباع الشهوات النفسیه و الغضب و الانس بهذا العالم الفانی، و الاکباب علی حب ما لا بد من مفارقته قطعا،و یعبر عن ذلک بالذنوب.

و لا مقرب من لقاء اللّه الا قطع علاقه القلب من زخرف هذا العالم، و الإقبال بالکلیه علی اللّه،طلبا للانس به بدوام الذکر،و المحبه له بدوام الفکر فی عظمته و جلاله و جماله علی قدر طاقته،و لا ریب فی أن الانصراف عن طریق البعد الذی هو الشقاوه واجب للوصول إلی القرب الذی هو السعاده،و لا یتم ذلک إلا بالتوبه التی عباره عن العلم و الندم و العزم، و لا یتم الواجب الا به،فهو واجب،فالتوبه واجبه قطعا.

۱- ۱) التحریم،الآیه:۸.

تذنیب (تحقیق فی وجوب التوبه)

کیف لا- تکون التوبه عن المعاصی واجبه،مع أن العلم بضروره المعاصی و کونها مهلکه من اجزاء الایمان و وجوب الایمان و مما لا ریب فیه،و العالم بهذا العلم إذا لم یعمل به فکما لا یعلمه أو ینکره فلا یکون له هذا الجزء من الایمان،لان کل علم یراد لیکون باعثا علی العمل،فلا یقع التفصی عن عهدته ما لم یصیر باعثا،فالعلم بضرر الذنوب إنما أرید لیکون باعثا علی ترکها،فمن لم یترکها فهو فاقد لهذا الجزء من الایمان،و هو المراد بقول النبی -صلّی اللّه علیه و آله-:«لا- یزنی الزانی حین یزنی و هو مؤمن»،و ما أراد به نفی الایمان باللّه و وحدانیته و صفاته و کتبه و رسله،فان ذلک لا ینافی الزنا و المعاصی،و إنما أراد به نفی الایمان باللّه لکون الزنا مبعدا عن اللّه و موجبا لسخطه،و لیس الایمان بابا واحدا،بل هو-کما ورد-نیف و سبعون بابا،أعلاها الشهادتان و ادناها اماطه الأذی عن الطریق،و مثاله قول القائل:لیس الإنسان موجودا واحدا،بل هو نیف و سبعون موجودا، أعلاها الروح و القلب و ادناها اماطه الاذی عن البشره،بأن یکون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار نقی البشره عن الخبث،حتی یتمیز عن البهائم المرسله المتلوثه بارواثها،المستکرهه الصور بطول مخالبها و اظفارها، فالایمان کالانسان،و فقد الشهادتین کفقد الروح الذی یوجب البطلان بالکلیه،و الذی لیس له إلا شهاده التوحید و الرساله و یترک سائر اجزائه من الاعمال،فهو کانسان مقطوع الأطراف مقفوء العینین،فاقد لجمیع اعضائه الظاهره و الباطنه، إلا أصل الروح.و کما أن من هذا حاله قریب من الموت و مزایله الروح الضعیفه المنفرده التی تخلفت عنها الأعضاء التی تمدها و تقویها،فکذلک من

لیس له إلا أصل الایمان و هو مقصر فی الأعمال،قریب من أن تنقلع شجره ایمانه إذا صدمتها الریاح العاصفه المحرکه للایمان فی مقدمه قدوم ملک الموت و وروده، فکل ایمان لم یثبت فی النفس أصله و لم تنتشر فی الأعمال فروعه، لم یثبت علی عواصف الأهوال عند ظهور ناصیه ملک الموت و خیف علیه سوء الخاتمه،فالمحجوب عن الایمان الذی هو شعب و فروع سیحجب فی الخاتمه عن الایمان الذی هو أصل،کما أن الشخص الفاقد لجمیع الأطراف التی هی فروع لیساق إلی الموت المعدم للروح التی هی أصل،فلا بقاء للاصل دون الفرع،و لا وجود للفرع دون الأصل،و لا فرق بین الأصل و الفرع إلا فی شیء واحد،و هو أن وجود الفرع و بقاءه جمیعا یستدعی وجود الأصل،و أما وجود الأصل فلا یستدعی وجود الفرع،و لکن بقاءه یستدعی وجود الفرع،فبقاء الأصل بالفرع و وجود الفرع بالأصل،فمساواه العاصی و المطیع فی اسم المؤمن کمساواه شجره القرع و شجره الصنوبر فی اسم الشجره،و إنما یظهر الفرق إذا عصفت الریاح القویه،فعند ذلک تنقطع أصول شجره القرع و تتناثر أوراقها،و تبقی شجره الصنوبر ثابته علی أصلها و فرعها. و مثل العاصی الذی لا یخاف الخلود فی النار لأجل معصیته اتکالا علی ایمانه بالتوحید و الرساله،کمثل الصحیح الذی یأکل الأغذیه المضره و السمومات و لا یخاف الموت اتکالا علی صحته،فکما یؤدی صحه هذا الصحیح بتناوله السمومات و الأغذیه إلی المرض و المرض إلی الموت،فکذلک تؤدی ذنوب العاصی إلی سوء الخاتمه و سوء الخاتمه إلی الخلود فی النار،فالمعاصی للایمان کالسمومات و المأکولات المضره للابدان،فکما أن مضره السمومات لا تزال تجتمع فی الباطن حتی تغیر مزاج الاخلاط و هو لا یشعر بها إلی أن یفسد المزاج فیمرض دفعه ثم یموت دفعه،فکذلک آثار المعاصی لا تزال

تراکم فی النفس حتی یفسد مزاجها فیسلب عنها أصل الایمان،فالخائف من الموت فی هذه النشأه القصیره إذا وجب علیه ترک السموم و ما یضره من المأکولات،فالخائف من هلاک الابد أولی بأن یجب علیه ترک الذنوب، و من تناول السم و ندم إذا وجب علیه أن یتقیأ و یرجع عن تناوله باخراجه عن المعده،فمتناول سموم الایمان و هی الذنوب أولی بأن یجب علیه الرجوع عنها بالتدارک الممکن ما دام مهله التدارک.

فالبدار البدار معاشر اخوانی إلی التوبه!قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح ایمانکم عملا لا ینفع بعده الاحتماء،و یخرج الأمر فیه عن أیدی اطباء القلوب،فلا ینفع حینئذ وعظ الواعظین و نصح الناصحین،و تحق علیکم کلمه العذاب،و تدخلون تحت عموم قوله-تعالی-:

وَ جَعَلْنا مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَیْناهُمْ فَهُمْ لا یُبْصِرُونَ

(۱)

.و قوله تعالی: خَتَمَ اللّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ وَ عَلی سَمْعِهِمْ وَ عَلی أَبْصارِهِمْ غِشاوَهٌ (۲)و غیر ذلک من الآیات.

ثم مقتضی الأدله المذکوره:کون التوبه واجبه علی الفور،فیجب علی کل مسلم أن یتوب عن ذنوبه فورا،و لا یجوز له التأخیر.قال لقمان لابنه:

«یا بنی!لا تؤخر التوبه،فان الموت یأتی بغته».و من ترک المبادره إلی التوبه بالتسویف کان بین خطرین عظیمین:-أحدهما-أن تتراکم الظلمه علی قلبه من المعاصی حتی یصیر دینا و طبعا فلا یقبل المحو.-و الثانی-أن یعاجله

۱- ۱) یس،الآیه:۹.

۲- ۲) البقره،الآیه:۷.

المرض أو الموت فلا يجد مهله للاشتغال بالمحو.و لذلك ورد:أن أكثر صياح أهل النار من التسويف،فما هلك من هلك إلا بالتسويف.

فصل (عموم وجوب التوبه)

وجوب التوبه يعم الأشخاص و الأحوال،فلا ينبغى أن ينفك عنه احد فى حاله،قال اللّه-تعالى-:

وَ تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً

(۱)

و هو يعم الكل فى الكل.و مما يدل على وجوبها على الكل:أن كل فرد من أفراد الناس إذا بلغ سن التمييز و التكليف قام القتال و النزاع فى مملكه بدنه،بين الشهوات جنود الشياطين،و بين العقول احزاب الملائكه،إذ لا تكمل غريزه العقل فى أحد إلا بعد كمال غريزه الشهوه و الغضب و سائر الصفات المذمومه،و إذا قام القتال بينهما لا بد بحكم العقل و الشرع أن يغلب جنود اللّه على جنود الشيطان،بقمعها بكسر الشهوات،و رد النفس على سبيل القهر و الغلبه على الصفات المحموده و العبادات،و لا معنى لوجوب التوبه الا هذا. و مما يدل على وجوبها على الدوام و فى كل حال هو أن كل عبد لا يخلو عن معصيه بجوارحه،فان خلا فى بعض الأحوال عن معصيه الجوارح فلا يخلو عن رذائل النفس و الهم بالذنوب بالقلب،فان خلا عن ذلك أيضا فلا يخلو عن وسوسه الشيطان بايراد الخواطر المتفرقه المذهله عن ذكر اللّه،فان خلا عنه فلا يخلو عن غفله و قصور فى العلم باللّه و بصفاته و آثاره،و كل ذلك نقص يجب الرجوع عنه و هو معنى التوبه.

۱- ۱) النور،الآيه:۳۱.

و لعدم خلو أحد من الخلق من نوع هذا النقص و أصله فی حاله،و ان تفاوتوا فی المقادیر،یلزم وجوب التوبه علی کل عبد فی کل حاله،و لو خلا عن التوبه عن جمیع الذنوب فی لحظه و اختطفه الموت،لزم خروج روحه بلا توبه،لعدم انفکاکه قبل موته و لو بلحظه عن فرد من المعاصی المذکوره، فالتوبه واجبه علی کل عبد سالک فی کل نفس من أنفاسه،قال بعض العرفاء (۱):«لو لم یبک العاقل فیما بقی من عمره إلا علی فوت ما مضی من عمره فی غیر طاعه اللّه،لکان حقیقا أن یخزیه (۲)ذلک إلی الممات،فکیف من یستقبل ما بقی من عمره بمثل ما مضی من جهله».و من عرف قدر العمر و فائدته،و ما یکتسب به من سعاده الأبد،یعلم أن ما یضیع منه فی المعصیه و غیر التوبه أی حسره و ندامه یترتب علیه،فان العاقل إذا ملک جوهره نفیسه،فان ضاعت منه بغیر فائده بکی علیها لا محاله،و إن ضاعت منه و صار ضیاعها سبب هلاکه کان بکاؤه منه أشد، و کل نفس من العمر جوهره نفیسه لا عوض لها،لا یصالها العبد إلی سعاده الأبد و انقاذها إیاه من شقاوه السرمد،و أی جوهر أنفس من هذا،فمن ضیعها فی الغفله خسر خسرانا مبینا،و من صرفها فی معصیه فقد هلک هلاکا أبدیا.و قد قیل:إن للّه-تعالی-إلی عبده سرین یسرهما إلیه علی سبیل الإلهام.-أحدهما-اذا خرج من بطن أمه یقول له:عبدی!قد أخرجتک إلی الدنیا طاهرا لطیفا، و استودعتک عمرک و ائتمنتک علیه،فانظر کیف تحفظ الأمانه،و انظر کیف تلقانی.-و الثانی-عند خروج روحه یقول:عبدی!ما ذا صنعت فی امانتی عندک،هل حفظتها حتی تلقانی علی العهد فالقاک علی الوفاء؟او اضعتها

ص:۶۰

۱- ۱) هو أبو سلیمان الدرانی فیما نقل عنه فی احیاء العلوم:۴-۱۰.

۲- ۲) فی نسخ جامع السعادات(یجزیه).

فألقاك بالمطالبه و العقاب؟.و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ

(۱)

.و بقوله-تعالى-:

وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَمانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ

(۲)

.

و قد روی:أن ملک الموت إذا ظهر للعبد عند موته أعلمه أنه قد بقی من عمرک ساعه لا تستأخر عنها طرفه عین،فیبدو للعبد من الحزن و الحره و الأسف ما لو کانت له الدنیا بحذافیرها لاعطاها بدل أن یضم إلى تلک الساعه ساعه أخرى لیتدارک فیها تفریطه،و لا یجد إلیها سبیلا، و قد روی-أیضا-:

أنه إذا کشف الغطاء للعبد قال لملک الموت:أخرنی یوما اعتذر فیه إلى ربی و أتوب،و أتزود صالحا لنفسی،فیقول:فنیت الأیام فلا یوم،فیقول:

أخرنی ساعه،فیقول:فنیت الساعات فلا ساعه،فیغلق علیه باب التوبه، فیغرغر بروحه،و تتردد انفاسه فی شراسیفه،و یتجرع غصه الیأس عن التدارک،و حسره الندامه على تضییع العمر،فیضطرب أصل ایمانه فی صدمات تلک الأهوال،فإذا زهقت نفسه،فان سبقت له من اللّه الحسنى خرجت روحه على التوحید،و ذلک حسن الخاتمه،و إن سبق له القضاء بالشقوه -و العیاذ باللّه-خرجت روحه على الشک و الاضطراب،و ذلک سوء الخاتمه.

تذنیب

التوبه عن بعض المعاصی المذکوره-أعنی المحرمات و ترک الواجبات- واجب بفتوى الشرع،بمعنى أن التارک لهذه التوبه و المرتکب لهذه المعاصی یکون معذبا بالنار،و هذا الوجوب یشترک فیه کافه الخلق،و تکلیف الجمیع به لا یوجب فسادا فی النظام الکلی.و أما التوبه عن بعض آخر منها،کالخواطر

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۰.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه ۸.المعارج،الآیه:۳۲.

و الهمم الطاريه على القلب و القصور عن معرفه كنه جلال اللّه و عظمته و أمثال ذلك،فليس واجبا بهذا المعنى،لمنافاته انتظام العالم.إذ لو كلف الخلق كلهم أن يتقوا اللّه حق تقاته،لتركوا المعائش و رفضوا الدنيا بالكليه،و ذلك يؤدى إلى بطلان التقوى رأسا،لأنه إن فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى.فالتوبه عن كل ما هو المرجوح ليست واجبه بهذا الاعتبار،بل هى واجبه بمعنى آخر،و هو ما لا بد منه للوصول به إلى غايه القرب إلى اللّه، و إلى المقام المحمود و الدرجات العاليه،فمن رضى باصل النجاه و قنع به لم تكن هذه التوبه واجبه عليه،و من طلب الوصول إلى ما ذكر وجبت عليه هذه التوبه وجوبا شرطيا،بمعنى توقف مطلوبه عليه،كما جرت عليه طوائف الأنبياء و الأولياء و أكابر العرفاء و العلماء،و لأجله رفضوا لذات الدنيا بالكليه.و على هذا فما ورد من استغفار الأنبياء و الأوصياء و توبتهم إنما هو من ترك دوام الذكر و غفلتهم عن مقام الشهود و الاستغراق لأجل اشتغالهم بالمباحات،لا عن ذنوب كذنوبنا،لتعاليهم و تقدسهم عن ذلك.قال الصادق -عليه السّلام-:«إن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-كان يتوب إلى اللّه و يستغفره فى كل يوم و ليله مائه مره من غير ذنب،ان اللّه-تعالى-يخص أولياءه بالمصائب،و ليأجرهم عليها من غير ذنب كذنوبنا،فان ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره و منزلته عند اللّه».و بمضمونه أخبار أخر.

فصل (لا بد من العمل بعد التوبه)

لا يكفى فى تدارك الشهوات و التوبه عن الذنوب مجرد تركها فى المستقبل، بل لا بد من محو آثارها التى انطبعت فى جوهر النفس بنور الطاعات،إذ كل شهوه و معصيه صدرت من الإنسان ارتفعت منها ظلمه إلى قلبه،كما ترتفع من

نفس الإنسان ظلمه إلی وجه المرآه الصقیله،فان تراکمت ظلمه الشهوات و المعاصی صارت رینا،کما یصیر بخار النفس فی وجه المرآه عند تراکمه خبثا،کما قال-تعالی-:

کَلاّ بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ

(۱)

فإذا تراکم الرین صار طبعا،فیطبع علی قلبه،کما أن الخبث فی وجه المرآه إذا تراکم و طال زمانه غاص فی جرم الحدید و افسده،و صار بحیث لا یقبل التصقیل بعده،فالتائب من الذنوب لا بد له من محو تلک الآثار التی انطبعت منها فی نفسه،و لا یکفی مجرد ترکها فی المستقبل،کما لا یکفی فی تصقیل المرآه و ظهور الصور فیها قطع الانفاس و البخارات المسوّده لوجهها فی المستقبل،ما لم یشتغل بمحو ما انطبع فیها من الآثار،و کما ترتفع إلی النفس ظلمه من المعاصی و الشهوات فتظلمها،فکذلک یرتفع نور من الطاعات و ترک الشهوات فینورها،و لهذا النور تنمحی ظلمه المعاصی و الشهوات،و إلیه الإشاره بقوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«اتبع السیئه الحسنه تمحها».فاذن لا یستغنی العبد فی حال من أحواله من محو آثار السیئات عن قلبه بمباشره حسنات تضاد آثارها آثار تلک السیئات،بمعنی أن تکون الحسنه التی ترتکب لمحو السیئه مناسبه لتلک السیئه،لقوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«اتق اللّه حیث کنت»:و لأن المرض یعالج بضده،فکل ظلمه ارتفعت إلی القلب، فلا یمحوها إلا نور یرتفع إلیه من حسنه تضادها،إذ الضد إنما یرتفع بالضد،فیکفر سماع الملاهی بسماع القرآن و بحضور مجالس الذکر، و یکفر القعود فی المسجد جنبا بالعباده فیه،و یکفر مس المصحف محدثا باکرامه و تقبیله و کثره قراءته،و یکفر شرب الخمر بالتصدق لکل شراب

۱- ۱) المطففین،الآیه:۱۴.

حلال هو أحب إليه...إلی غیر ذلک.و لیس ذلک-أی ایقاع المناسبه-شرطا فی المحو،فقد روی:«أن رجلا قال لرسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:إنی عالجت امرأه فاصبت منها کل شیء إلا المسیس،فاقض علیّ بحکم اللّه، فقال:أما صلیت معنا؟ قال:بلی!فقال:إن الحسنات یذهبن السیئات».

و ینبغی أن تکون التوبه عن قرب عهد بالخطیئه،بأن یتندم علیها و یمحو آثارها قبل أن یتراکم الرین علی القلب فلا یقبل المحو،قال اللّه-تعالی-:

إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَی اللّهِ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَهٍ ثُمَّ یَتُوبُونَ مِنْ قَرِیبٍ

(۱)

.أی عن قرب عهد بعمل السوء.و قال: وَ لَیْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ حَتّی إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ .(۲)

قال الصادق-علیه السّلام-:«ذلک إذا عاین امر الآخره».و قد ورد مثله عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-أیضا.

فصل (فضیله التوبه)

اعلم أن التوبه أول مقامات الدین،و رأس مال السالکین،و مفتاح استقامه السائلین،و مطلع التقرب إلی رب العالمین،و مدحها عظیم، و فضلها جسیم،قال اللّه-تعالی-:

ص: ۶۴

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۶.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۷.

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

(۱)

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«التائب حبيب اللّه،و التائب من الذنب كمن لا ذنب له». و قال الباقر-عليه السّلام-:«إن اللّه-تعالى- أشد فرحا بتوبه عبده من رجل أضل راحلته و زاده فى ليله ظلماء فوجدها، فاللّه أشد فرحا بتوبه عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها».و قال -عليه السّلام-:«التائب من الذنب كمن لا ذنب له،و المقيم على الذنب و هو مستغفر منه كالمستهزئ».و قال الصادق-عليه السّلام-:«إن اللّه يحب من عباده المفتن التواب»:يعنى كثير الذنب كثير التوبه.و قال-عليه السّلام-:

«اذا تاب العبد توبه نصوحا،أحبه اللّه فستر عليه»فقلت:و كيف يستر عليه؟ قال:«ينسى ملكيه ما كانا يكتبان عليه،و يوحى إلى جوارحه و إلى بقاع الأرض أن اكتمى عليه ذنوبه،فيلقى اللّه-عز و جل-حين يلقاه و ليس شىء يشهد عليه بشىء من الذنوب». و قال الصادق-عليه السّلام-:«إن اللّه -عز و جل-أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصله منها جميع أهل السماوات و الأرض لنجوا بها:قوله-عز و جل-:

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ... الى آخره (۲)،و قوله:

اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا -الى قوله- وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۳).

ص: ۶۵

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۲۲.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۲۲.

۳- ۳) المؤمن،الآيه:۷-۹.

و قوله: وَ الَّذِينَ لاٰ يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلٰهاً آخَرَ وَ لاٰ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لاٰ يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثٰاماً، يُضٰاعَفْ لَهُ الْعَذٰابُ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهٰاناً، إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ -الى قوله- وَ كٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً (١).

و قال أبو الحسن-عليهما السّلام-:«أحب العباد إلى اللّه المنيبون التوابون».

فصل (قبول التوبه)

التوبه المستجمعه لشرائطها مقبوله بالاجماع،و يدل عليه قوله-تعالى-:

هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبٰادِهِ

(٢)

.و قوله -تعالى-: غٰافِرِ الذَّنْبِ وَ قٰابِلِ التَّوْبِ (٣).و قوله -تعالى-: وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً (۴).

و قول النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن اللّه-تعالى-يبسط يده بالتوبه لمسىء الليل إلى النهار و لمسىء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»،و بسط اليد كنايه عن طلب التوبه،و طالب التوبه يقبله البته.

١- ١) الفرقان،الآيه:۶٨-٧٠.

٢- ٢) الشورى،الآيه:٢۵.

٣- ٣) المؤمن،الآيه:٣.

۴- ۴) اللنساء،الآيه:١٠٩.

و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن الحسنات يذهبن السيئات،كما يذهب الماء الوسخ».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم،لتاب اللّه عليكم».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن العبد ليذنب الذنب فيدخل فى الجنه».قبل:كيف يا رسول اللّه؟!قال:«يكون نصب عينيه تائبا منه فارّا حتى يدخل الجنه».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:

«كفاره الذنب الندامه».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«من تاب قبل موته بسنه قبل اللّه توبته.ثم قال:إن السنه لكثير،من تاب قبل موته بشهر قبل اللّه توبته.ثم قال:إن الشهر لكثير،من تاب قبل موته بجمعه قبل اللّه توبته.ثم قال:إن الجمعه لكثير،من تاب قبل موته بيوم قبل اللّه توبته.

ثم قال:إن يوما لكثير،من تاب قبل أن يعاين ملك الموت قبل اللّه توبته» و قال الباقر-عليه السّلام-لمحمد بن مسلم:«ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفوره له،فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبه و المغفره،أما و اللّه إنها ليست إلا لأهل الايمان».فقال له:فان عاد بعد التوبه و الاستغفار من الذنوب، و عاد فى التوبه؟قال:«يا محمد بن مسلم!أ ترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثم لا يقبل اللّه توبته؟»،قال:فانه فعل ذلك مرارا، يذنب ثم يتوب و يستغفر،فقال:«كلما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبه عاد اللّه عليه بالمغفره،و إن اللّه غفور رحيم يقبل التوبه و يعفو عن السيئات،فإياك أن تقنط المؤمن من رحمه اللّه».و قوله-عليه السّلام-:«اذا بلغت النفس هذه-و أ هوى بيده إلى حلقه-لم تكن المعالم توبه،و كانت للجاهل توبه».

و قوله-عليه السّلام-:«إن آدم-صلّى اللّه عليه-قال:يا رب!سلطت على الشيطان،و أجريته منى مجرى الدم،فاجعل لى شيئا،فقال:يا آدم!جعلت لك:إن من همّ من ذريتك بسيئه لم تكتب عليه،فان عملها كتبت عليه سيئه

و من هم منهم بحسنه،فان لم يعملها كتبت له حسنه،فان هو عملها كتبت له عشرا،قال:يا رب!زدنی،قال:جعلت لک:إن من عمل منهم سيئه ثم استغفر غفرت له،قال:يا رب!زدنی،قال:جعلت لهم التوبه،و بسطت لهم التوبه حتی تبلغ النفس هذه،قال:يا رب!حسبی»و قول الصادق-عليه السّلام-:«إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله اللّه به الجنه»،قيل:يدخله اللّه بالذنب الجنه؟قال:«نعم!إنه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه، فيرحمه اللّه فيدخله الجنه».و قوله-عليه السّلام-:«العبد المؤمن إذا ذنب ذنبا أجله اللّه سبع ساعات،فان استغفر اللّه لم يكتب عليه شیء،و إن مضت الساعات و لم يستغفر كتبت عليه سيئه،و ان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنه حتی يستغفر ربه فيغفر له،و إن الكافر لينسی من ساعته».و قوله-عليه السّلام-:

«ما من مؤمن يقارف فی يومه و ليلته أربعين كبيره فيقول و هو نادم:استغفر اللّه الذی لا إله إلا هو الحی القيوم بديع السماوات و الأرض ذا الجلال و الإكرام و أسأله أن يصلی علی محمد و آل محمد و ان يتوب علی،إلا غفرها اللّه له،و لا خير فيمن يقارف فی يومه أكثر من أربعين كبيره» (۱).

و روی:«أن اللّه-تعالی-لما لعن ابليس سأله النظره،فانظره إلی يوم القيامه،فقال:و عزتک لاخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال اللّه-تعالی:بعزتی لا حجبت عنه التوبه ما دام فيه الروح». و ورد فی الإسرائيليات:«أن شابا عبد اللّه عشرين سنه،ثم عصاه عشرين سنه،ثم نظر فی المرآه،فرأی الشيب فی لحيته،فساءه ذلک،فقال:إلهی اطعتک عشرين

۱- ۱) صححنا الأحاديث الوارده فی هذا الباب علی أصول الكافی:باب الاعتراف بالذنوب،و باب من يهم بالحسنه أو السيئه،و باب التوبه،و باب الاستغفار من الذنوب،و باب فيما أعطی اللّه-عز و جل-آدم وقت التوبه.

سنه ثم عصيتك عشرين سنه،فان رجعت إليك أ تقبلنى؟فسمع قائلا يقول:

أجبتنا فاجبناك،فتركتنا فتركناك،و عصيتنا فامهلناك،فان رجعت إلينا قبلناك».و الاخبار و الآثار فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى،و فى بعض الأخبار المتقدمه دلاله عليه أيضا.

ثم الناظر بنور البصيره لا يحتاج فى هذا المعنى إلى بيان،إذ يعلم أن التوبه توجب سلامه القلب،و كل قلب سليم مقبول عند اللّه و متنعم فى الآخره فى جوار اللّه،و يعلم ان القلب خلق فى الأصل سليما صافيا،إذ كل مولود يولد على الفطره،و إنما مرض و اسود بامراض الذنوب و ظلماتها،و دواء التوبه يزيل هذه الأمراض،و نور الحسنات يمحو هذه الظلمات،و لا طاقه لظلام المعاصى مع نور الحسنات،كما لا طاقه لظلام الليل مع نور النهار،و لكدوره الوسخ مع بياض الصابون و الماء الحار،نعم إذا تراكمت الذنوب بحيث صار رينا و طبعا،و افسدت القلب بحيث لا يقبل الصفاء و النورانيه بعد ذلك،فمثل هذا القلب لا تفيده التوبه،بمعنى انه لا يرجع و لا يتوب،و إن قال باللسان تبت،إذ اوساخ الذنوب غاصت فى تجاويفه و تراكمت فيه بحيث لا يقبل التطهير،و لو بولغ فيه أدى إلى انخراق القلب و هلاكه،لصيروره الاوساخ جزءا من جوهره،كما أن الثوب الذى غاص الوسخ فى تجاويفه و خلله و تراكم فيه،لو بولغ فى تطهيره بالماء و الصابون أدى ذلك إلى انخراقه.و هذا حال أكثر الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن اللّه فانهم لا يرجعون و لا يتوبون،لصيروره ذمائم الأخلاق و رذائلها ملكات راسخه فى نفوسهم و غاصت اوساخها فى تجاويف قلوبهم،بحيث لا يتنبهون و لا يتيقظون حتى يقصدوا التوبه،و لو قصدوها فانما هو بمجرد اللسان،و القلب غافل خال عن الايمان،بل تتعذر عليه التوبه لبطلان حقيقتها.

ص :۶۹

فصل (طريق التوبه عن المعاصی)

اعلم أن ما عنه التوبه هی الذنوب التی علمت تفاصیلها فی هذا الکتاب، و هی-کما ذکرناها-لا تخلو عن الصفات و الافعال الشیطانیه المتعلقه بالوهم، و الصفات و الافعال السبعیه المتعلقه بالقوه السبعیه،و الصفات و الافعال البهیمیه المتعلقه بالقوه البهیمیه.و من حیث تعلق التوبه بها و کیفیه الخروج عنها ینقسم إلی اقسام ثلاثه:

أحدها-ترک الطاعات الواجبه:من الصلاه،و الصوم،و الزکاه،و الخمس و الکفاره و غیرها.و طریق التوبه عنها:أن یجتهد فی قضائها بقدر الإمکان.

و ثانیها-المحرمات التی بین العبد و بین اللّه،اعنی المنهیات التی هی حقوق اللّه:کشرب الخمر،و ضرب المزامیر،و الکذب،و الزنا بغیر ذات بعل.و طریق التوبه عنها:أن یندم علیها،و یوطن قلبه علی ترک العود إلی مثلها أبدا.

و ثالثها:الذنوب التی بینه و بین العباد،و هی المعبر عنها بحقوق الناس، و الأمر فیها أصعب و أشکل،و هی إما فی المال،أو فی النفس،أو فی العرض، أو فی الحرمه،أو فی الدین:

فما کان فی(المال):یجب علیه أن یرده إلی صاحبه إن أمکنه،فان عجز عن ذلک لعدم أو فقر،وجب أن یستحل منه،و إن لم یحله أو عجز عن الایصال لغیبه الرجل غیبه منقطعه او موته و عدم بقاء وارث له، فلیتصدق عنه إن أمکنه.و الا فعلیه بالتضرع و الابتهال إلی اللّه أن یرضیه عنه یوم القیامه،و علیه بتکثیر حسناته و تکثیر الاستغفار له،لیکون یوم القیامه عوضا عن حقه،اذ کل من له حق علی غیره لا بد أن یأخذ یوم القیامه

ص:٧٠

عوضا عن حقه،اما بعض طاعاته أو بتحمل هذا الغير بعض سيئاته.

و ما كان فى(النفس):فان كانت جنايه جرت عليه خطأ وجب أن يعطى الـديه،و ان كان عمـدا وجب عليه أن يمكن المجنى عليه أو أوليـاءه مع هلاـكه من القصـاص حتى يقتص منه،أو يجعل فى حل،و ان عجز عن ذلک فعليه بكثره اعتاق الرقاب،لأن ذلک نوع احياء و ايجاد لا يقـدر الإنسان على أكثر منه،فيقابل به الاعـدام و الأمانه،و عليه الرجوع أيضا إلى اللّه بالتضـرع و الابتهال أن يرضيه عنه يوم القيامه.

و ما كان فى(العرض):بأن شتمه،أو قذفه،أو بهته،أو اغتابه،فحقه أن يكذب نفسه عند من قال ذلک لديه،و يستحل من صاحبه مع الإمكان، إن لم يخف تهديـده و زياده غيظه و هيجان فتنته من إظهاره،فان خاف ذلک، فليكثر الاسـتغفار له،و يبتهل إلى اللّه أن يرضيه عنه يوم القيامه.

و ما كان فى(الحرمه):بأن خان مسـلما فى أهله و ولده أو نحوهما، فلا وجه للاسـتحلال،إذ إظهار ذلک يورث الغيظ و الفتنه،لأن من له شـوب الرجوليه لاـ يمكن أن يحـل من خـان فى حرمته و وطأ زوجته،كيف و لو أحله و رضـى بـذلک كـان فيه عرق من الـدياثه،فاللازم لمثله أن يكثر التضـرع و الابتهال إلى اللّه المتعال،و يواظب على الطاعات و الخيرات الكثيره لمن خانه فى مقابله خيانته،و إن كان حيا فليفرحه بالإحسان و الانعام و بذل الأموال،و يكرمه بالخدمه و قضاء الحوائج،و يسعى فى مهماته و اغراضه، و يتلطف به،و يظهر من حبه و الشـفقه عليه ما يسـتميل به قلبه،فإذا طاب قلبه بكثره تودده و تلطفه،فربما سـمحت نفسه فى القيامه بالاحلاـل،فـان أبى أن يكون انعـامه و تلطفه من جمله حسـناته التى يمكن أن يجبر بها فى القيامه خيانته،فان كل ظلم و إيـذاء و حق من حقوق العباد إذا لم يحل صاحبه يوم

القيامه يقتص من الظالم فی یوم القیامه بالحکم العدل القهری بأخذ العوض، سواء رضی الظالم أم لا،و سواء امتنع صاحب الحق عن القبول و الابراء أم لا- کما أنه یحکم فی الدنیا علی من اتلف مال غیره باعطاء المثل،و یقهر علی ذلک،و یحکم علی هذا الغیر بقبوله،و یجبر علیه إن امتنع عن الابراء و عن القبول،فکذلک یحکم أحکم الحاکمین و أعدل العادلین فی محکمه القیامه، فیقتص من کل ظالم موذ بأخذ حسناته و وضعها فی موازین أرباب المظالم، فان لم تف بها حسناته،حمل من سیئات أرباب المظالم،فیهلک المسکین بسیئات غیره. و بذلک یعلم:انه لا خلاص لأحد فی القیامه إلا برجحان میزان الحسنات علی میزان السیئات،و مع الرجحان-و لو بقدر مثقال-تحصل النجاه،فیجب علی کل معتقد بیوم الحساب أن یسعی فی تکثیر الحسنات و تقلیل السیئات،حتی لا- ترجح سیئاته یوم القیامه علی حسناته و لو بمثقال فیکون من الهالکین،و علی کل حال لا یغفل عن التضرع و الابتهال فی اللیل و النهار إلی اللّه-سبحانه-،لعله بعمیم لطفه لا یفضحه یوم تبلی السرائر،و یرضی خصمه بخفی ألطافه.

و ما کان فی(الدین):بأن نسب مسلما إلی الکفر او الضلاله أو البدعه.فلیکذب نفسه بین یدی من قال ذلک عنده،و یستحل من صاحبه مع الإمکان،و بدونه فلیستغفر له و یکثر الابتهال إلی اللّه لیرضیه عنه یوم القیامه.

و مجمل ما یلزم فی التوبه عن حقوق الناس:ارضاء الخصوم مع الإمکان،و بدونه التصدق و تکثیر الحسنات و الاستغفار،و الرجوع إلی اللّه بالتضرع و الابتهال،و لیرضیهم عنه یوم القیامه،و یکون ذلک بمشیه اللّه،فلعله إذا علم الصدق من قلب عبده،و وجد ذله و انکساره،ترحم علیه

و أرضى خصماءه من خزانه فضله،فلا ينبغى لأحد أن ييأس من روح اللّه.

فصل (تكفير الصغائر و معنى الكبائر)

اعلم ان صاحب الشرع قسم الذنوب إلى كبيره و صغيره،و حكم بأن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر،و أن الصلوات الخمس لا تكفر الكبائر و تكفر الصغائر،قال اللّه-تعالى-:

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ

(۱)

و قال: اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ (۲).

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الصلوات الخمس و الجمعه تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر»و اجتناب الكبيره انما يكفر الصغيره اذا اجتنبها مع القدره و الاراده،كمن يتمكن من امرأه و من مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع و يقتصر على نظر و لمس،فان مجاهدته نفسه فى الكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدامه على النظر فى الظلامه، فهذا معنى تكفيره،فان كان امتناعه لعجز او خوف او نحو ذلك،فلا يصلح للتكفير،فكذلك من لا يشتهى الخمر بطبعه و لو أبيح له لما شربه.فاجتنابه لا يكفر عن الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملاهى و الأوتار و مثله.

ثم الكبيره من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص فى اللغه و لا فى الشرع و العرف،لأن الكبير و الصغير من المصافات،و ما من ذنب إلا

۱- ۱) النساء،الآيه:۳۰.

۲- ۲) النجم،الآيه:۳۲.

و هو كبير بالإضافه إلى ما دونه،و صغير بالإضافه إلى ما فوقه.و قد اختلف العلماء فى تعيين الكبائر اختلافا لا يكاد يرجى زواله،و اختلفت الروايات فيها أيضا.

و الأظهر بالنظر إلى الروايات و إلى الجميع بينها كون الكبيره عباره عما توعد بالنار على فعله او ما ورد فى نص الكتاب النهى عنه،و يعنى بوصفه بالكبيره:ان العقوبه بالنار عظيمه،او ان تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه.و يمكن ان يقال:ان الشرع لم يعينها،و أبهمها ليكون العباد على و جل منها،فيجتنبون جميع الذنوب،كما أبهم ليله القدر ليعظم جد الناس فى طلبها،و واظبوا فى ليال متعده على العبادات،و كما أبهم الاسم الأعظم ليواظبوا على جميع أسماء اللّه. و الحاصل:أن كل ما لا يتعلق به حكم الدنيا جاز أن يتطرق إليه الإبهام،و الكبيره على الخصوص لا حكم لها فى الدنيا من حيث انها كبيره،فان موجبات الحدود معلومه بأساميها،و انما حكم الكبيره ان اجتنابها يكفر الصغائر و ان الصلوات الخمس لا تكفرها،و هذا أمر يتعلق بالآخره،و الإبهام أليق به،حتى يكون الناس على و جل و حذر،فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس و اجتناب الكبائر.

فصل (الصغائر قد تكون كبائر)

اعلم أن الصغيره قد تكبر بأسباب:

أحدها-الإصرار و المواظبه،و لذلك قال الصادق-عليه السّلام-:

«لا صغيره مع الإصرار،و لا كبيره مع الاستغفار».و السر فيه:أن الصغيره لقله تأثيرها لا تؤثر فى القلب باظلامه مره او مرتين،و لكن إذا تكررت و تراكمت آثارها الضعيفه صارت قويه و أثرت على التدريج فى

القلب،و ذلك كما أن قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه، و ذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعه لم يؤثر،و لـذلك قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«خير الأعمال أدومها،و إن قل».و إذا كان النافع هو الطاعه الدائمه و إن قلت،فكذلك الضار هو السيئه الدائمه و إن قلت.ثم معرفه الإصرار موكول إلى العرف،قال الباقر-ع-في قوله-تعالى-:

وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلىٰ مٰا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ

(۱)

:

«الإصرار:أن يذنب الذنب،فلا يستغفر و لا يحدث نفسه بتوبه، فذلك الإصرار».

و ثانيها-استصغار الذنب،فان العبد كلما استعظمه من نفسه صغر عند اللّه،و كلما استصغره كبر عند اللّه،لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه و كراهته له،و ذلك النفور يمنع من شده تأثره به،و استصغاره يصدر عن الألف به،و ذلك يوجب شده الأثر فى القلب،و القلب هو المطلوب تنويره بالطاعات و المحذور تسويده بالسيئات،و لذلك لا يؤاخذ بما يجرى عليه فى الغفله،لعدم تأثره به.و لذلك ورد فى الخبر:«أن المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه،و المنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فاطاره». و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«اتقوا المحقرات من الذنوب،فانها لا تغفر»،قيل:و ما المحقرات؟قال:الرجل يذنب الذنب،فيقول طوبى لى لو لم يكن غير ذلك».و روى:«انه-صلّى اللّه عليه و آله-نزل بارض قرعاء،فقال لأصحابه:ائتونا بالحطب،فقالوا:

يا رسول اللّه!نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب،قال:فليأت كل انسان بما قدر عليه.فجاؤا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض،فقال-صلّى اللّه

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۳۵.

علیه و آله-:هکذا تجتمع الذنوب،إیاک و المحقرات من الذنوب فان لکل شیء طالبا،ألا و إن طالبها یکتب ما قدموا و آثارهم و کل شیء أحصیناه فی امام مبین». و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام-:«لا تصغر ما ینفع یوم القیامه،و لا تصغر ما یضر یوم القیامه،فکونوا فیما أخبرکم اللّه کمن عاین». و قال الباقر-علیه السّلام-:«اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالبا،یقول أحدکم:أذنب و استغفر اللّه.إن اللّه-تعالی-یقول:

وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ

(۱)

.و قال-عز و جل-: إِنَّهٰا إِنْ تَکُ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَخْرَهٍ أَوْ فِی السَّمٰاوٰاتِ أَوْ فِی الْأَرْضِ یَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ (۲).

و قال الصادق-علیه السّلام-:«إن اللّه یحب العبد أن یطلب إلیه فی الجرم العظیم،و یبغض العبد أن یستخف بالجرم الیسیر». و قال الکاظم -علیه السّلام-:«لا تستکثروا کثیر الخیر و لا تستقلوا قلیل الذنوب، فان قلیل الذنوب یجتمع حتی یکون کثیرا،و خافوا اللّه فی السر حتی تعطوا من أنفسکم النصف» (۳).و السر فی عظم الذنب فی قلب المؤمن:کونه عالما بجلال اللّه و کبریائه،فإذا نظر إلی عظم من عصی به رأی الصغیر کبیرا، و قد أوحی اللّه إلی بعض أنبیائه:«لا تنظر إلی قله الهدیه و انظر إلی عظم مهدیها،و لا تنظر إلی صغر الخطیئه و انظر إلی کبریاء من واجهته بها».

۱- ۱) یس،الآیه:۱۲.

۲- ۲) لقمان،الآیه:۱۶.

۳- ۳) صححنا الأحادیث کلها علی أصول الکافی(باب التوبه،و باب تفسیر الذنوب).

و لـذلک قال بعض الصـحابه للتابعین:«إنکم تعملون اعمالا هی أدق فی أعینکم من الشـعر،و کنا نعـدها علی عهد رسول اللّه من الموبقات»،إذ کانت معرفه الصحابه بجلال اللّه أتم،فکانت الصغائر عنهم بالإضافه إلی جلال اللّه کبائر.

و ثالثهـا-أن یـأتی بالصـغائر و لاـ یبـالی بفعلها،اغترارا بستر اللّه علیه، و حلمه عنه،و إمهاله إیاه،و لا یعلم أنه انما یمهل مقتا لیزداد بالامهـال اثما، فتزهق أنفسـهم و هم کافرون،فمن ظن آن تمکنه من المعاصـی عنایه من اللّه به،فهو جاهل بمکامن الغرور،و آمن من مکر اللّه الذی لا یأمن منه إلا الکافرون.

و رابعها-السرور بالصـغیره و اعتداد التمکن من ذلک نعمه،و الغفله عن کونها نقمه و سبب الشقاوه،فکلما غلبت حلاوه الصغیره عند العبد کبرت و عظم أثرها فی تسوید قلبه،فمن مزق عرض مسـلم و فضـحه و خجله،أو غبنه فی ماله فی المعامله،ثم فرح به،و یقول:أما رأیتنی کیف مزقت عرضه؟ و کیف فضحته؟و کیف روجت علیه الزیف؟کانت معصیته أشد مما إذا لم یفرح بذلک و تأسف علیه،إذ الذنوب مهلکات،و إذا ابتلی بها العبد فینبغی أن یتأسف من حیث إن العدو-اعنی الشیطان-ظفر به و غلب علیه، لا أن یفرح بغلبه العدو علیه،فالمریض الذی یفرح بانکسار انائه الذی فیه واؤه لتخلصه من ألم شربه،لا یرجی شفاؤه.

و خامسها-أن یذنب و یظهر ذنبه بان یذکره بعد اتیانه،أو یأتی به فی مشهد غیره،فان ذلک خیانه منه علی اللّه الذی اسدله علیه،و تحریک الرغبه و الشر فیمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله،فهما خیانتان انضمتا إلی خیانته فتغلظت به،فان انضاف إلی ذلک الترغیب للغیر فیه و الحمل علیه و تهیئه الأسباب له صارت خیانته رابعه،و تفاحش الأمر.و هذا لان من

صفات اللّه انه يظهر الجميل و يستر القبيح و لا يهتك الستر،فلإظهار كفر ان لهذه النعمه،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«المستتر بالحسنه تعدل سبعين حسنه،و المذيع بالسيئه مخذول،و المستتر بها مغفور له». و قال الصادق-عليه السّلام-:«من جاءنا يلتمس الفقه و القرآن و تفسيره فدعوه و من جاءنا يبدى عوره قد سترها اللّه فنحوه».

و سادسها-ان يكون الآتى بالصغيره عالما يقتدى به الناس،فإذا فعله بحضره الناس او بحيث اطلعوا عليه،كبر ذنبه،و ذلك كلبه الذهب و الابريسم،و أخذه مال الشبهه،و إطلاقه اللسان فى اعراض الناس،و نحو ذلك.فهذه ذنوب يقتدى العالم فيها و يتبع عليها،فيموت و يبقى شره مستطيرا فى العالم،فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه،و فى الخبر:«من سن سنه سيئه فعليه و زرها و وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شىء»قال اللّه-تعالى- وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ (1)و الآثار:ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل.فعلى العالم وظيفتان:

-أحدهما-ترك الذنب،و الأخرى-اخفاؤه،و كما تتضاعف اوزار العالم على السيئات إذا اتبع فيها،فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا اتبع.

فصل (شروط كمال التوبه)

يشترط فى تمام التوبه و كمالها بعد تدارك كل معصيه بما مر:من طول الندم،و قضاء العبادات،و الخروج عن مظالم العباد،و طول البكاء و الحزن و الحسره،و اسكاب الدموع،و تقليل الأكل،و ارتياض النفس،ليذوب

١- ١) يس،الآيه:١٢.

عن بدنه كل لحم نبت من الأغذيه المحرمه و المشتبهه،قال أمير المؤمنين(ع) لمن قال بحضرته:استغفر اللّه:«ثكلتك أمك!أ تدرى ما الاستغفار؟ان الاستغفار درجه العليين،و هو اسم واقع على سته معان: اولها:الندم على ما مضى، و الثانى:العزم على ترك العود عليه ابدا، و الثالث:ان تؤدى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى اللّه امس ليس عليك تبعه، و الرابع:ان تعمد الى كل فريضه عليك ضيعتها تؤدى حقها، و الخامس:ان تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم و ينشأ منهما لحم جديد، و السادس:ان تذيق الجسم الم الطاعه كما أذقته حلاوه المعصيه فعند ذلك تقول:استغفر اللّه».

فصل (هل يصح التبعيض فى التوبه)

اعلم ان التوبه عن بعض الذنوب دون بعض ممكن و يصح،بشرط الا تكون الذنوب التى يتوب عنها مخالفه بالنوع للذنوب التى لا يتوب عنها،كأن يتوب عن الكبائر دون الصغائر،او عن القتل و الظلم و مظالم العباد دون بعض حقوق اللّه،أو عن شرب الخمر دون الزنا او بالعكس،او عن شرب الخمر دون أكل أموال الناس بالباطل خيانه و تلبيسا او غصبا او قهرا،او عن بعض الصغائر دون بعض الكبائر.كالذى يتوب عن الغيبه مع اصراره على شرب الخمر،و الدليل على إمكان ذلك و صحته:ان العبد إذا علم ان الكبائر أعظم اثما عند اللّه و اجلب لسخط اللّه و مقته و الصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها،فلا يبعد ان يتوب عن الأعظم دون الأصغر،و كذا اذا تصور ان بعض الكبائر أشد و اغلظ عند اللّه من بعض،فلا يبعد ان يتوب عن الأغلظ دون الأخف،و قد تكون ضراوه أحد بنوع معصيه

شدیده،فلا یقدر علی الصبر عنها،و تکون ضراوته بنوع آخر منها أقل، فیمکنه الترک بسهوله،فیتوب عنه دون الأول،و ان کان الأول اغلظ و أشد اثما،کالذی شهوته بالخمر أشد من شهوته بالغیبه.فیترک الغیبه و یتوب عنها دون الخمر،فالتوبه عن بعض المعاصی دون بعض مع اختلافهما نوعا بأی نحو کان ممکن و صحیح،و معها یندفع عنه اثم ما تاب عنه،و یکتب علیه اثم ما لم یتب عنه،بل ربما کان أکثر ما وقع من التوبه من هذا القبیل،إذ کثر التائبون فی الاعصار الخالیه و القرون الماضیه،و لم یکن أحد منهم معصوما، فیکون کل منهم جازما بأنه یصدر عنه معصیه البته.و یدل علی الصحه قوله -علیه السّلام-:«التائب من الذنب کمن لا ذنب له»حیث لم یقل:التائب من الذنوب. نعم التوبه عن بعض الذنوب دون بعض مع تماثلهما غیر صحیح و غیر معقول،لاستوائهما فی حق الشهوه و حق التعرض لسخط اللّه،فلا معنی للتوبه عن أخذ الخبز الحرام،أو عن أخذ الدرهم الحرام دون الدینار الحرام أو عن ترک صلاه الظهر دون العصر،إذ لو کان ذلک صحیحا لصح أن یتوب عن أخذ هذا الخبز دون ذلک الخبز،او عن أخذ هذا الدرهم دون ذلک الدرهم...و هکذا.و الحاصل:ان التوبه عن بعض الذنوب دون بعض مع تفاوتهما فی العقاب و اقتضاء الشهوه صحیح،و مع تماثلهما فیهما غیر معقول.

و من العلماء من قال:إن التوبه عن البعض دون البعض لا تصح مطلقا، و استدل علی ذلک بأن التوبه عباره عن الندم،و إنما یندم علی السرقه-مثلا- لکونها معصیه لا لکونها سرقه،و لا یعقل أن یندم علیها دون الزنا ان کان توجعه لأجل المعصیه،اذ العله شامله لهما،لان من یتوجع علی قتل ولده بالسیف یتوجع علی قتله بالسکین،لان التوجع هو بفوات المحبوب،سواء کان بالسیف او بالسکین،و کذلک توجع التائب انما هو لفوات المحبوب

بالمعصیه،سواء عصی بالسرقه أو بالزنا،و جوابه قد ظهر مما ذکرناه.

فصل (أقسام التائبین)

التائبون بین من سکت نفسه عن الشروع إلی الذنوب فلا یحوم حومها،و بین من بقی فی نفسه الشروع إلیها و الرغبه فیها و هو یجاهدها و یمنعها:

و الأول بیّن من سکون النزوع و بطلانه فیه لأجل قوه الیقین و صدق المجاهده، و من سکونه و انقطاعه بفتور فی نفس الشهوه فقط!و الأول من الأول أفضل من الثانی،و الثانی منه أدون من الثانی،و الوجه ظاهر.و أیضا التائبون بین من نسی الذنب من دون اشتغال بالتفکر فیه،و بین من جعله نصب عینیه و لا یزال یتفکر فیه و یحترق ندما علیه.و لا ریب فی أنّ التذکر و الاحتراق بالنظر إلی المبتدی و من یخاف علیه العود أفضل،لأنه یصده عنه،و النسیان بالنظر إلی المنتهی السالک و الواصل إلی مرتبه الحب و الانس الواثق من نفسه انه لا یعود أفضل،لأنه شغل مانع عن سلوک الطریق،و حاجب من الحضور بلا فائده.و لا ینافیه بکاء الأنبیاء و تناجیهم من الذنوب،لانهم قد ینزلون فی أقوالهم و أفعالهم إلی الدرجات الائقه بالامه،فانهم بعثوا لارشادهم،فعلیهم التلبس بما ینتفع الأمه بمشاهدته،و إن کان نازلا عن ذروه مقامهم.و لذا قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«أما إنی لا أنی، و لکن انسی لأشرع» (1).و لا تعجب من هذا،فان الأمم فی کنف شفقه الأنبیاء کالصبیان فی کنف شفقه الآباء،و کالمواشی فی کنف الرعاه،و الاب إذا أراد أن یستنطق ولده الصغیر ینزل إلی درجه نطق الصبی،و الراعی

1- 1) الحدیث نبوی مروی فی احیاء العلوم:4-38.

لشاه أو طائر يصوت به رغاء أو صفيرا شبيها بالبهيمه و الطائر،تلطفا فی تعليمه.

فصل (مراتب التوبه)

اعلم أن التائب إما يتوب عن المعاصی کلها و يستقيم علی التوبه إلی آخر عمره،فيتدارک ما فرط،و لا يعود إلی ذنوبه،و لا يصدر عنه معصيه إلا الزلات التی لا يخلو عنها غير المعصومين،و هذه التوبه هی التوبه النصوح، و النفس التی صاحبها هی النفس المطمئنه التی ترجع إلی ربها راضيه مرضيه، أو يتوب عن کبائر المعاصی و الفواحش و يستقيم علی أمهات الطاعات،إلا أنه ليس ينفک عن ذنوب تصدر عنه فی مجاری أحواله غفله و سهوه و هفوه، لا عن محض العمد و تجريد القصد،و إذا أقدم علی ذنب لام نفسه و ندم و تأسف و جدد عزمه علی ألا يعود إلی مثله،و يتشمر للاحتراز عن أسبابه التی تؤدی إليه،و النفس التی هذه مرتبتها هی النفس اللوامه التی خيرها يغلب علی شرها،و لها حسن الوعد من اللّه-تعالی-بقوله:

اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَهِ

(۱)

.

و إلی مثلها الإشاره بقوله-صلّی اللّه عليه و آله-:«خيارکم کل مفتن تواب».و فی خبر آخر:«المؤمن کالسنبله،يفیء احيانا و يميل احيانا».

و فی خبر آخر:«لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينه بعد الفينه» (۲):أی

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۲.

۲- ۲) صححنا النبويات الثلاث علی احياء العلوم:۴-۳۹.

الحين بعد الحين.و كل ذلك شاهد صدق على ان هذا القدر من الذنوب لا ينقض التوبه و لا يلحق صاحبه بدرجه المصرين،و من يؤيس مثل هذا عن النجاه و وصوله إلى درجه التائبين فهو ناقص،و مثله مثل الطبيب الذى يؤيس الصحيح من دوام الصحه بما يتناوله من الفواكه مره أو مرتين،و مثل الفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجه الفقهاء بفتوره عن التكرار فى أوقات نادره.و لا ريب فى نقصانه،فالعالم حق العالم هو الذى لا يؤيس الخلق من درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات و مقارفه السيئات المختطفات،إذ أمثال الفترات و ما يصدر عن السهو و الغفلات لا يفسد النفس و لا يبطلها بحيث لا يقبل الإصلاح، أو يتوب و يستمر على الاستقامه مده ثم تغلبه الشهوه فى بعض الذنوب،فيقدم عليه عمدا و قصدا،لعجزه عن قهر الشهوه و قمعها،إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات،و تارك لأكثر الذنوب مع القدره و الشهوه،و إنما قهره بعض الشهوات بحيث يغفل عند هيجانها و يرتكب مقتضاها من دون مجاهده و ندامه،و عند قضاء هذه الشهوه و الفراغ عنها يتندم،و يقول سأتوب عنها،لكنه يسول نفسه و يسوف توبته يوما بعد يوم،و النفس التى هذه درجتها هى التى تسمى النفس المسوله المسئول صاحبها،و إليها الإشاره بقوله-تعالى-:

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً

(۱)

.

فنجاتها من حيث مواظبته على الطاعات و كراهته لما يتعاطاه مرجو، فعسى اللّه أن يتوب عليها،و لكن يخاف عليها من حيث تسويفها و تأخيرها،

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۰۳.

فربما اختطفها الموت قبل التوبه،و يقع أمرها فى المشيئه،فيدخل فى زمره السعداء،أو يسلك فى سلك الأشقياء، أو يتوب و يجرى مده على الاستقامه، ثم يعود إلى الذنوب عمدا و قصدا،من غير أن يحدث نفسه بالتوبه،و من غير أن يتأسف و يتندم،بل ينهمك انهماك الغافل فى الذنوب و اتباع الشهوات و هذا معدود من المصرين،و نفسه محسوبه من النفوس الاماره بالسوء الفراره من الخير،و مثله إن مات على التوحيد و ختم له بالحسنى و غلبت طاعاته على سيئاته كان من أهل الجنه،و إن ختم له بالسوء كان من أهل النار، و إن مات على التوحيد و لكن ترجحت سيئاته على حسناته فأمره إلى اللّه،و لعله يعذب فى النار مده بقدر زياده سيئاته على حسناته،ثم يخلص منها بعميم لطفه.

فصل (عدم الثقه بالاستقامه لا يمنع من التوبه)

اعلم أن من تاب و لا يثق من نفسه الاستقامه على التوبه فلا ينبغى أن يمنعه ذلك عن التوبه،علما منه أنه لا فائده فيه.فان ذلك من غرور الشيطان، و من أين له هذا العلم،فلعله يموت تائبا قبل أن يعود إلى الذنب.

و أما الخوف من العود،فليتدار كه بتجريد القصد و صدق العزم،فان و فى به فقد نال مطلبه،و إلا فقد غفرت ذنوبه السابقه كلها و تخلص منها، و ليس عليه إلا هذا الذنب الذى أحدثه الآن.و هذا من الفوائد العظيمه و الأرباح الجسيمه،فلا يمنعك خوف العود من التوبه،فانك من التوبه أبدا بين إحدى الحسنيين:-إحداهما-العظمى:و هى غفران الذنوب السابقه و عدم العود إلى ذنبه فى الاستقبال.-و ثانيهما-و هى الصغرى:غفران الذنوب الماضيه،و إن لم يمنع العود إلى الذنب فى المستقبل.ثم إذا عاد إلى

الذنب ينبغی أن يتوب عنه دفعه،و يتبعه بحسنه لتمحوها،فيكون ممن خلط عملا صالحا و آخر سيئا. و الحسنات المكفره للذنوب إما متعلقه بالقلب:

و هی الندم،و التضرع إلی اللّه،و التذلل له،و اضمار الخير للمسلمين،و العزم علی الطاعات،أو باللسان:و هی الاعتراف بالظلم و الاساءه،و كثره الاستغفار،أو بالجوارح:و هی أنواع الطاعات و الصدقات.و ينبغی ملاحظه المناسبه بين السيئه التی صدرت عنه و الحسنه التی يتبعها لتمحوها. و فی الخبر:

ان الذنب إذا اتبع بثمانيه اعمال كان العفو عنه مرجوا:أربعه من اعمال القلوب،و هی:التوبه أو العزم علی التوبه،و حب الإقلاع عن الذنب،و تخوف العقاب عليه،و رجاء المغفره،و أربعه من اعمال الجوارح و هی:أن تصلی عقب الذنب ركعتين،ثم تستغفر اللّه-تعالی-بعدهما سبعين مره و تقول سبحان اللّه العظيم و بحمده مائه مره،ثم تتصدق بصدقه، ثم تصوم يوما.و فی بعض الأخبار:تسبغ الوضوء و تدخل المسجد و تصلی ركعتين،و فی بعضها:تصلی أربع ركعات. و لا تظنن أن الاستغفار باللسان بدون حل عقده الإصرار لا فائده فيه أصلا،بل هو توبه الكذابين،لما ورد من:أن المستغفر من الذنب و هو مصر عليه كالمستهزئ بآيات اللّه، لأن الاستغفار الذی هو توبه الكذابين و لا فائده فيه أصلا هو الاستغفار بمجرد اللسان و بحكم العاده و علی سبيل الغفله،أی ما يكون مجرد حركه اللسان من دون مدخليه للقلب،كما إذا سمع شيئا مخوفا،فيقول علی الغفله.

استغفر اللّه،أو نعوذ باللّه،من غير شركه للقلب فيه و تأثره منه، و أما إذا انضاف إليه تضرع القلب و ابتهاله فی سؤال المغفره عن صدق إراده و خلوص رغبه و ميل قلبی إلی انقلاعه عن هذا الذنب فهی حسنه فی نفسها،و ان علم أن نفسه الاماره ستعود إلی هذا الذنب فتصلح هذه الحسنه لأن يدفع بها السيئه،

فالاستغفار بالقلب و ان خلا عن حل عقده الإصرار لا يخلو عن الفائده، و ليس وجوده كعدمه.و قد عرف أرباب القلوب بنور البصيره معرفه قطعيه يقينيه لا يعتريها ريب و شبهه صدق قوله-تعالى-:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ

(۱)

.

و لذا جزموا و قطعوا بأنه لا تخلو ذره من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيره تطرح فى الميزان عن أثر،و لو كانت كل شعيره خاليه عن اثر لكان لا يرجح الميزان باجتماع الشعيرات،فميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى أن يثقل فتسل كفه السيئات،فإياك و ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها،و تستحقر ذرات المعاصى فلا تتقيها،كالمرأه الخرفاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لا تقدر فى كل ساعه الا على خيط واحد،و أى غنى يحصل منه،و ما وقع ذلك فى الثياب،و لا تدرى أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا،و ان اجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذره ذره،و ربما ترتب على عمل قليل ثواب جزيل،فلا ينبغى تحقير شىء من الطاعات. قال الصادق -عليه السّلام-:«إن اللّه-تعالى-خبا ثلاثا فى ثلاث:رضاه فى طاعته، فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه.و غضبه فى معاصيه،فلا تحقروا شيئا فلعل غضبه فيه.و خبأ ولايته فى عباده،فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولى اللّه».فإذا الاستغفار بالقلب حسنه لا يضيع أصلا،بل ربما قيل:

الاستغفار بمجرد اللسان أيضا حسنه،إذ حركه اللسان بها غفله خير من السكوت عنه،فيظهر فضله بالنظر إلى السكوت عنه،و إن كان نقصا بالإضافه

۱- ۱) الزلزله،الآيه:۷-۸.

إلى عمل القلب،فینبغی ألا تترک حرکه اللسان بالاستغفار،و یجتهد فی اضافه حرکه القلب إلیها،و یتضرع إلی اللّه أن یشرک القلب مع اللسان فی اعتیاد الخیر.

فصل (علاج الإصرار علی الذنوب)

اعلم أن الطریق إلی تحصیل التوبه،و العلاج لحل عقده الإصرار علی الذنوب:أن یتذکر ما ورد فی فصلها-کما مر-و یتذکر قبح الذنوب و شده العقوبه علیها،و ما ورد فی الکتاب و السنه من ذم المذنبین و العاصین،و یتأمل فی حکایات الأنبیاء و أکابر العباد،و ما جری علیهم من المصائب الدنیویه، بسبب ترکهم الأولی و ارتکابهم بعض صغائر المعاصی،و أن یعلم أن کل ما یصیب العبد فی الدنیا من العقوبه و المصائب فهو بسبب معصیته-کما دل علیه الأخبار الکثیره-و یتذکر ما ورد من العقوبات علی آحاد الذنوب:کالخمر، و الزنا،و السرقه،و القتل،و الکبر،و الحسد،و الکذب،و الغیبه،و أخذ المال الحرام...و غیر ذلک من آحاد المعاصی مما لا یمکن حصره،ثم یتذکر ضعف نفسه و عجزها عن احتمال عذاب الآخره و عقوبه الدنیا،و یتذکر خساسه الدنیا و شرف الآخره،و قرب الموت و لذه المناجاه مع ترک الذنوب، و لا یغتر بعدم الأخذ الحالی،إذ لعله کان من الإملاء و الاستدراج. فمن تأمل فی جمیع ذلک و علم ذلک علی سبیل التحقیق انبعثت نفسه للتوبه،إذ لو لم ینزعج إلی التوبه بعد ذلک،فهو إما معتوه احمق أو غیر معتقد بالمعاد، و ینبغی أن یجتهد فی قلع أسباب الإصرار من قلبه!اعنی الغرور،و حب الدنیا،و حب الجاه،و طول الأمل...و غیر ذلک.

فصل (الإنابه)

اشاره

اعلم أن الإنابه هو الرجوع عن كل شیء مما سوی اللّه،و الإقبال علی اللّه-تعالی-بالسر و القول و الفعل،حتی یکون دائما فی فکره و ذکره و طاعته،فهو غایه درجات التوبه و أقصی مراتبها،اذ التوبه هو الرجوع عن الذنب إلی اللّه.و الإنابه هو الرجوع عن المباحات أیضا إلیه-سبحانه-،فهو من المقامات العالیه و المنازل السامیه.قال اللّه-سبحانه-:

وَ أَنِیبُوا إِلیٰ رَبِّکُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ

(۱)

.و قال -سبحانه-: وَ مٰا یَتَذَکَّرُ إِلاّٰ مَنْ یُنِیبُ (۲).و قال:

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ غَیْرَ بَعِیدٍ، هٰذٰا مٰا تُوعَدُونَ لِکُلِّ أَوّٰابٍ حَفِیظٍ، مَنْ خَشِیَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَیْبِ وَ جٰاءَ بِقَلْبٍ مُنِیبٍ، اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ ذٰلِکَ یَوْمُ الْخُلُودِ، لَهُمْ مٰا یَشٰاؤُنَ فِیهٰا وَ لَدَیْنٰا مَزِیدٌ

(۳)

.

و انابه العبد تتم بثلاثه أمور:

الأول-أن یتوجه إلیه بشراشر باطنه حتی یستغرق قلبه فی فکره.

الثانی-ألا یکون خالیا عن ذکره و ذکر نعمه و مواهبه و ذکر أهل حبه و تقربه.

الثالث-أن یواظب علی طاعاته و عباداته مع خلوص النیه.

۱- ۱) الزمر،الآیه:۵۴.

۲- ۲) المؤمن،الآیه:۱۳.

۳- ۳) ق،الآیه:۳۱-۳۵.

المحاسبه و المراقبه

اشاره

[تذنيب]-اعلم أن المحاسبه و المراقبه قريبه من التوبه فى ضديتهما من وجه الإصرار على الذنوب.و مثلها فى كونهما من ثمرات الخوف و الحب و تعلقهما بقوتى الشهوه و الغضب و كونهما من فضائلها،فنحن نشير هنا إلى ما يتعلق بهما من بيان حقيقتهما و فضيلتهما و الأعمال التى يتوقف تماميتها عليهما فى فصول.

فصل (المعنى الظاهر للمحاسبه و المراقبه)

[المحاسبه]:أن يعين فى كل يوم و ليله وقتا يحاسب فيه نفسه بموازنه طاعاته و معاصيه،ليعاتب نفسه،و يقهرها لو وجدها فى هذا اليوم و الليله مقصره فى طاعه واجبه،أو مرتكبه لمعصيه،و يشكر اللّه -سبحانه-لو أتت بجميع الواجبات و لم يصدر منها معصيه،و يزيد الشكر لو صدر منها شىء من الخيرات و الطاعات المندوبه.

[و المراقبه]:أن يلاحظ ظاهره و باطنه دائما،حتى لا يقدم على شىء من المعاصى،و لا يترك شيئا من الواجبات ليتوجه عليه اللوم و الندامه وقت المحاسبه.هذا هو المعنى الظاهر للمحاسبه و المراقبه، و يأتى اعتبار أمور و اعمال أخر فيه عرفا.

فصل (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)

اعلم ان الكتاب و السنه و إجماع الأمه داله على ثبوت المحاسبه يوم القيامه،و حصول التدقيق و المناقشه فى الحساب،و المطالبه بمثاقيل

ص :٨٩

الذر من الأعمال و الخطرات و اللحظات،قال اللّه-سبحانه-:

وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَهِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ

(۱)

.و قال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۲).و قال: وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَهً وَ لا كَبِيرَهً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (۳).

و قال: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ (۴).و قال: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً (۵).و قال: ثُمَّ تُوَفّى

ص: ۹۰

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۴۷.

۲- ۲) المجادله،الآيه:۶.

۳- ۳) الكهف،الآيه:۵۰.

۴- ۴) الزلزال،الآيه:۶-۸.

۵- ۵) آل عمران،الآيه:۳۰.

كُلَّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ

(۱)

.و قال:

فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«ما منكم من أحد الا و يسأله رب العالمين،ليس بينه و بينه حجاب و لا ترجمان».و ورد بطرق متعدده:

ان كل أحد فى يوم القيامه لا يرفع قدما عن قدم حتى يسأل عن عمره فيما أفناه،و عن جسده فيما أبلاه،و عن ماله من اين اكتسبه و فيا أنفقه.

و الآيات و الأخبار الوارده فى محاسبه الأعمال و السؤال عن القليل و الكثير و النقير و القطمير أكثر من أن تحصى،و بإزائها اخبار داله على الأمر بالمحاسبه و المراقبه فى الدنيا،و الترغيب عليها،و على كونها سببا للنجاه و الخلاص عن حساب الاخره،و خطره و مناقشته.فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب،و طالبها فى الأنفاس و الحركات،و حاسبها فى الخطرات و اللحظات،و وزن بميزان الشرع أعماله و أقواله:خفّ فى القيامه حسابه و حضر عند السؤال جوابه،و حسن منقلبه و مآبه.و من لم يحاسب نفسه:

دامت حسراته،و طالت فى عرصات القيامه و قفاته،و قادته إلى الخزى سيئاته،قال اللّه-سبحانه-:

وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

(۳)

.

و المراد بهذا النظر:المحاسبه على الأعمال.و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا،و زنوها قبل أن توزنوا».

و قال الصادق(ع):«إذا أراد أحدكم الاّ يسأل ربه شيئا إلا أعطاه فلييأس

١- ١) البقره،الآيه:٢٨١،آل عمران،الآيه:١۶١.

٢- ٢) الحجر،الآيه:٩٢.

٣- ٣) الحشر،الآيه:١٨.

من الناس کلهم،و لا یکون له رجاء إلا من عند اللّه-تعالی-،فإذا علم اللّه -تعالی-ذلک من قلبه لم یسأله شیئا إلا أعطاه،فحاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا علیها،فان للقیامه خمسین موقفا،کل موقف مقام ألف سنه.

ثم تلا:

فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ

(۱)

.

و تفریع المحاسبه علی الأمر بالیأس عن الناس و الرجاء من اللّه،یدل علی أن الإنسان إنما یرجو الناس من دون اللّه فی عامه أمره و هو غافل عن ذلک،و أنّ عامه المحاسبات إنما ترجع إلی ذلک،و ذکر الوقوف فی مواقف یوم القیامه علی الأمر بمحاسبه النفس یدل علی أن الوقفات هناک إنما تکون للمحاسبات،فمن حاسب نفسه فی الدنیا یوما فیوما لم یحتج إلی تلک الوقفات فی ذلک الیوم،و قال(ع):«لو لم یکن للحساب مهول إلا حیاء العرض علی اللّه-تعالی-،و فضیحه هتک الستر علی المخفیات،لحقّ للمرء الا یهبط من رءوس الجبال،و لا یأوی إلی عمران،و لا یأکل،و لا یشرب،و لا ینام،إلاّ عن اضطرار متصل بالتلف،و مثل ذلک یفعل من یری القیامه بأهوالها و شدائدها قائمه فی کل نفس،و یعاین بالقلب الوقوف بین یدی الجبار،حینئذ یأخذ نفسه بالمحاسبه،کانه إلی عرصاتها مدعو و فی غمراتها مسئول،قال اللّه-تعالی-:

وَ إِنْ کٰانَ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَیْنٰا بِهٰا وَ کَفیٰ بِنٰا حٰاسِبِینَ

(۲)

. (۳).

و قال الکاظم-علیه السّلام-:«لیس منا من لم یحاسب نفسه فی کل

۱- ۱) المعارج،الآیه:۴.

۲- ۲) الأنبیاء،الآیه:۴۷.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی مصباح الشریعه:باب ۸۵،ص ۱۸۶.

يوم،فان عمل حسنه استزاد اللّه-تعالى-،و ان عمل سيئه استغفر اللّه منها و تاب إليه».و فى بعض الأخبار:ينبغى ان يكون للعاقل أربع ساعات:ساعه يحاسب فيها نفسه...

فصل (مقامات مرابطه العقل للنفس)

اعلم ان العقل بمنزله تاجر فى طريق الآخره،و رأس ماله العمر،و قد استعان فى تجارته هذه بالنفس،فهى بمنزله شريكه او غلامه الذى يتجر فى ماله،و ربح هذه التجاره تحصيل الأخلاق الفاضله و الأعمال الصالحه الموصله إلى نعيم الأبد و سعاده السرمد.و خسرانها المعاصى و السيئات المؤديه الى العذاب المقيم فى دركات الجحيم، أو نقول:رأس مال العبد فى دينه الفرائض،و ربحه النوافل و الفضائل،و خسرانه المعاصى،و موسم هذه التجاره مده العمر،و كما ان التاجر يشارط شريكه أولا،و يراقبه ثانيا، و يحاسبه ثالثا،و إن قصر فى التجاره-بالخيانه و الخسران و تضييع رأس المال-يعاتبه و يعاقبه و يأخذ منه الغرامه،كذلك العقل يحتاج فى مشاركه النفس إلى ان يرتكب هذه الأعمال،و مجموع هذه الأعمال يسمى ب(المحاسبه و المراقبه)تسميه الكل باسم بعض أجزائه،و قد يسمى(مرابطه)أيضا.

فأول الأعمال فى المرابطه(المشارطه):

و هى أن يشارط النفس و يأخذ منها العهد و الميثاق فى كل يوم و ليله مره ألا يرتكب المعاصى،و لا يصدر منها شىء يوجب سخط اللّه.و لا يقصر فى شىء من الطاعات الواجبه،و لا يترك ما تيسر له من الخيرات و النوافل.و الأولى أن يكون ذلك بعد الفراغ عن فريضه الصبح و تعقيباتها،فيخاطب النفس و يقول لها:يا نفس!مالى بضاعه سوى.العمر،و مهما فنى فنى رأس المال.و وقع اليأس عن التجاره

و طلب الربح،و هذا اليوم الجديد،و قد أمهلنى اللّه فيه بعظيم لطفه،و لو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا لأعمل صالحا،فاحسبى أنك توفيت ثم رددت،فإياك أن تضيعى هذا اليوم،فان كل نفس من أنفاس العمر جوهره نفيسه لا عوض لها،يمكن أن يشترى بها كنزا من الكنوز لا يتناهى نعيمها أبد الآباد. و يتذكر ما ورد فى بعض الأخبار:من أن كل عبد خلقت له بإزاء كل يوم و ليله من عمره أربع و عشرون خزانه مصفوفه فإذا مات تفتح له هذه الخزائن،و يشاهد كل واحد منها و يدخلها،فإذا فتحت له خزانه خلقت بإزاء الساعه التى أطاع اللّه فيها،يراها مملوه نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعه،فيناله من الفرح و الاستبشار بمشاهده تلك الأنوار التى هى وسائل عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار،و إذا فتحت له خزانه خلقت بإزاء الساعه التى عصى اللّه فيها،يراها سوداء مظلمه يفوح نتنها و يتغشى ظلامها،فيناله من الهول و الفزع ما لو قسم على أهل الجنه لينغص عليهم نعيمها،فإذا فتحت له خزانه بإزاء الساعه التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشىء من مباحات الدنيا، لم يشاهد فيها ما يسره و لا ما يسوؤه،و هكذا يعرض عليه بعدد ساعات عمره الخزائن،و عند ذلك يتحسر العبد على اهماله و تقصيره،و يناله من الغبن ما لا يمكن وصفه،و بعد هذا التذكر يخاطب نفسه و يقول:اجتهدى اليوم فى أن تعميرى خزائنك،و لا تدعيها فارغه عن كنوزك التى هى أسباب ملكك و لا تركنى إلى الكسل و البطاله فيفوتك من درجات العليين ما يدركه غيرك فتدركك الحسره و الغبن يوم القيامه إن دخلت الجنه،إذ ألم الغبن و الحسره و انحطاط الدرجه مع وجود ما فوقها من الدرجات الغير المتناهيه التى نال اليها أبناء نوعك مما لا يطاق، ثم يستأنف لها وصيه فى اعضائه السبعه:

ص :۹۴

أعنى العين،و الأذن،و اللسان،و الفرج،و البطن،و اليد،و الرجل، و يسلمها إليها،لأنها رعايا خادمه لها فى التجاره،و لا يتم اعمال هذه التجاره إلا بها،فيوصيها بحفظ هذه الأعضاء عن المعاصى التى تصدر عنها،و باعمال كل منها فيما خلق لأجله،ثم يوصيها بالاشتغال بوظائف الطاعات التى تتكرر عليه فى اليوم و الليله،بالنوافل و الخيرات التى تقدر عليها،و هذه شروط يفتقر إليها كل يوم،لكن إذا اعتادت النفس بتكرر المشارطه و المراقبه بالعمل بها و الوفاء بحقها استغنى عن المشارطه فيها،و إن اعتادت بالعمل فى بعضها لم تكن حاجه إلى المشارطه فيه،و بقيت الحاجه إليها فى الباقى، و كل من يشتغل بشىء من اعمال الدنيا:من ولايه،أو تجاره،أو تدريس أو أمثال ذلك:لا يخلو كل يوم منه من مهم جديد،و واقعه حادثه لها حكم جديد،و للّه فيها حق،فعليه أن يجدد الاشتراط على نفسه بالاستقامه عليها و الانقياد للحق فى مجاريها،و ينبغى ان يوصيها بالتدبر فى عاقبه كل امر يرتكبه فى هذا اليوم و الليله.و هذه الوصيه عمده الوصايا و رأسها، و قد روى:«أن رجلا أتى النبى-صلّى اللّه عليه و آله-و قال:يا رسول اللّه اوصنى،فقال له:فهل أنت مستوص إن أنا اوصيتك؟-حتى قال له ذلك ثلاثا،و فى كلها يقول الرجل:نعم يا رسول اللّه!-فقال له رسول اللّه(ص):

إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته،فان يك راشدا فامضه،و إن يك غيا فانته» و يظهر من هذا الخبر:أن التأمل فى عاقبه كل امر أعظم ما يحصل به النجاه فينبغى ان يؤكد العهد و الميثاق فى ذلك على النفس و يحذرها عن الإهمال، و يعظها كما يوعظ العبد للتمرد الآبق،فان النفس بالطبع متمرده عن الطاعات،مستعصيه عن العبوديه،و لكن الوعظ و التأديب يؤثر فيها، (و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)فهذا و ما يجرى مجراه هو المشارطه،

و هو اول مقامات المرابطه.

و ثانيها(المراقبه):

و هو ان يراقب نفسه عند الخوض فى الاعمال، فيلاحظها بالعين الكالئه،فانها إن تركت طغت و فسدت،ثم يراقب اللّه فى كل حركه و سكون،بأن يعلم ان اللّه-تعالى-مطلع على الضمائر،عالم بالسرائر،رقيب على اعمال العباد،قائم على كل نفس بما كسبت،و ان سر القلب فى حقه مكشوف،كما ان ظاهر البشره للخلق مكشوف،بل أشد من ذلک،قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً

(۱)

و قال: أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَرىٰ؟ (۲).

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الإحسان ان تعبد اللّه كأنك تراه،فان لم تكن تراه فانه يراک». و فى الحديث القدسى:«إنما يسكن جنات عدن،الذين إذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبونى،و الذين افحنت أصلابهم من خشيتى،و عزتى و جلالى!إنى لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع و العطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب».

و حكى:«ان زليخا لما خلت بيوسف،فقامت و غطت وجه صنمها،فقال يوسف.مالک؟أ تستحيين من مراقبه جماد و لا استحيى من مراقبه الملک الجبار؟!». و هذه المعرفه-اعنى معرفه اطلاع اللّه على العباد و أعمالهم و سرائرهم و كونه رقيبا عليهم-اذا صارت يقينا-اى خلت عن الشک-ثم استولت على القلب سخرت القلب و قهرته على مراعاه جانب الرقيب و صرفت الهمه إليه،و الموقنون بهذه المعرفه مراقبتهم على درجتين: -إحداهما-

ص:۹۶

۱- ۱) النساء،الآيه:۱.

۲- ۲) العلق،الآيه:۱۴.

مراقبه المقربين،و هی مراقبه التعظيم و الاجلال،و هی أن يصير القلب مستغرقا بملاحظه الجلال،،و منكسرا تحت الهيبه،فلا يبقی فيه متسع للالتفات إلی الغير،و هذا هو الذی صار همه هما واحدا، و كفاه اللّه سائر الهموم،-و اخراهما-مراقبه الورعين من أصحاب اليمين،و هم قوم غلب عليهم يقين اطلاع اللّه علی ظهورهم و بواطنهم، و لكن لا تدهشهم ملاحظه الجلال و الجمال،بل بقيت قلوبهم علی حد الاعتدال متسعه للالتفات إلی الأحوال و الاعمال و المراقبه فيها،و غلب عليهم الحياء من اللّه،فلا يقدمون و لا يجمحون إلا بعد التثبت و يمتنعون عن كل ما يفتضحون به فی القيامه،فانهم يرون اللّه مطلعا عليهم،فلا يحتاجون إلی انتظار القيامه.ثم ينبغی للعبد ألا يغفل عن مراقبه نفسه و التضييق عليها فی لحظه من حركاتها و سكناتها و خطراتها و أفعالها.

و حالاته لا تخلو عن ثلاثه:لأنه إما أن تكون فی طاعه،أو معصيه، أو مباح.فمراقبته فی الطاعه،بالقربه،و الإخلاص،و الحضور،و الاكمال، و حراستها عن الآفات،و مراعاه الأدب. و مراقبته فی المعصيه:بالتوبه، و الندم،و الإقلاع،و الحياء،و الاشتغال بالتكفير. و مراقبته فی المباح:

بمراعاه الادب،بأن يأكل بعد التسميه،و غسل اليدين،و سائر الآداب المقرره فی الشرع للأكل،و يقعد مستقبل القبله،و ينام بعد الوضوء علی اليد اليمنی مستقبل القبله،و بالصبر عند ابتلائه بليه و مصيبه،و بالشكر عند كل نعمه،و يتذكر شهود المنعم و حضوره،و يكف النفس عن الغضب و سوء الخلق عند حدوث أمر تميل النفس عنده إلی الغضب و التضجر و التكلم بما لا يحسن من الأقوال،فان لكل واحد من أفعاله و أقواله حدودا لا بد من مراعاتها بدوام المراقبه،و من يتعد حدود اللّه فقد ظلم نفسه،و ينبغی ألا

يخلو عند اشتغاله بالمباحات عن عمل هو الأفضل،كالذكر و الفكر و تخليص النيه،فان الطعام الذى يتناوله من عجائب صنع اللّه،فلو تفكر فيه و تدبر فى فوائده و حكمه و ما فيه من غرائب قدره اللّه لكان ذلك أفضل من كثير من اعمال الجوارح،و الناس عند الأكل على أقسام: (قسم)ينظرون فيه بعين التبصر و الاعتبار،فينظرون فى عجائب صنعته و كيفيه ارتباط قوام الحيوانات به،و كيفيه تقدير اللّه لأسبابها و خلق الشهوه الباعثه عليها و خلق الآلات المسخره للشهوه و أمثال ذلك،و هؤلاء هم أولو الألباب. (و قسم) ينظرون فيه بعين المقت و الكراهه،و يلاحظون وجه الاضطرار إليها، و يتمنون الاستغناء عنه،و عدم كونهم مقهورين مسخرين بشهوته،و هؤلاءهم الزهاد. (و قسم)يرون فيه خالته،و يشاهدون فى الصنع الصانع،و يترقون منه إلى صفات الخالق،من حيث إن كل معلول اثر من العله،و رشحه من رشحات ذاته و صفاته،فمشاهدته تذكر العله،بل التأمل يرشدك إلى أن دلاله كل ذره ترى من ذرات العالم على ربك و خالقك و ايجابها لحضوره عندك و ظهوره لديك و توجهه إليك و قربه منك أشد و أقوى من دلاله مشاهدتك بدن زيد و صورته و حركاته و سكناته على وجوده و حضوره عندك،و سر ذلك ظاهر واضح.و هؤلاء المشاهدون الصانع فى كل مصنوع و الخالق فى كل مخلوق،هم العرفاء المحبون،اذ المحب إذا رأى صنعه حبيبه و تصنيفه و آثاره و ما ينتسب إليه اشتغل قلبه بالمحبوب،و كل ما يتردد العبد فيه و ينظر اليه من الموجودات هو صنع اللّه-تعالى-،فله فى النظر منها إلى الصانع مجال إن فتحت له أبواب الملكوت. (و قسم)ينظرون فيه بعين الحرص و الشهوه، و ليس نظرهم إلى الطعام الا من حيث يوافق شهوتهم و تلتذ به ذائقتهم، و لذلك يذمونه لو لم يوافق هواهم،و هؤلاء أكثر أهل الدنيا.

ص :٩٨

و ثالثها-أی ثالث مقامات المرابطه و اعمالها-هو(المحاسبه)

بعد العمل،فان العبد کما یختار وقتا فی أول کل یوم لیشارط فیه النفس علی سبیل التوصیه بالحق،ینبغی له أن یختار وقتا فی آخر کل یوم لیطالب النفس فیه بما أوصی به،و یحاسبها علی جمیع حرکاتها و سکناتها،کما یفعل التجار فی آخر کل سنه مع الشرکاء.و هذا أمر لازم علی کل سالک لطریق الآخره معتقد للحساب فی یوم القیامه.و قد ورد فی الأخبار:أن العاقل ینبغی أن یکون له اربع ساعات:ساعه یناجی فیها ربه،و ساعه یحاسب فیها نفسه و ساعه یتفکر فی صنع اللّه،و ساعه یخلو فیها للمطعم و المشرب.و لذلک کان الصدر الأول من الخائفین و من تقدّمنا من سلفنا الصالحین فی غایه السعی و الاهتمام فی محاسبه النفس،بحیث کانت عندهم من الطاعات الواجبه، و کانوا أشد محاسبه لنفوسهم من سلطان غاشم،و من شریک شحیح، و یعتقدون أن العبد لا یکون من أهل التقوی و الورع حتی یحاسب نفسه أتم من محاسبه شریکه،و أن من لا یحاسب نفسه إما معتوه أحمق أو لا یعتقد بحساب یوم القیامه،إذ العاقل المعتقد به مع اهواله و شدائده و ما یوجبه من الخجله و الحیاء و الافتضاح،إذا علم ان محاسبه النفس فی الدنیا تسقطه او توجب خفته،کیف یجوز له ان یترکها؟ ثم کیفیه المحاسبه بعد العمل:ان یطالب نفسه أولا بالفرائض التی هی بمنزله راس ماله،فان ادتها علی وجهها شکر اللّه علیه و رغبها فی مثلها،و ان فوتتها من أصلها طالبها بالقضاء،و إن ادتها ناقصه کلفها بالجبران بالنوافل، و ان ارتکب معصیه اشتغل بعتابها و تعذیبها و معاقبتها،و استوفی منها ما یتدارک به ما فرط،کما یصنع التاجر بشریکه.و کما انه یفتش فی حساب الدنیا عن الحبه و القیراط و النقیر و القطمیر،فیحفظ مداخل الزیاده و النقصان

حتى لا ـ يغبن فى شىء منها،كـذلك ينبغى ان يفتش من افعال النفس و يضيق عليها،و ليتق غائلتها و حيلتها،فانها خداعه مكاره ملبسه.فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره،و ليتكفل بنفسه من الحساب قبل ان يتولاه غيره فى صعيد القيامه،ثم بتصحيح الجواب عن جميع افعاله و أحواله:من نظره،و قيامه،و قعوده،و نومه،و اكله، و شربه،حتى عن سكوته لم سكت،و عن سكوته لم سكن،و عن خواطره، و افكاره،و صفاته النفسيه،و اخلاقه القلبيه،فان خرجت عن عهده الجواب عن الجميع،بحيث ادت الحق فى الجميع،و لم يترك شيئا مما يجب عليها و لم ترتكب شيئا من المعاصى:حصل لها الفراغ من حساب هذا اليوم،و لم يكن شيئا باقيا عليها،و ان ادت الحق فى البعض دون البعض،كان قدر ما ادت الحق فيه محسوبا لها،و يبقى غيره باقيا عليها فيثبته عليها،و ليكتب على صحيفه قلبه كما يكتب الباقى على شريكه على قلبه و على جريدته.ثم النفس غريم يمكن ان تستوفى منها الديون،أما بعضها فبالغرامه و الضمان، و بعضها برد عينه،و بعضها بالعقوبه لها على ذلك،و لا يمكن شىء من ذلك الا بعد تحقق الحساب و تمييز الباقى من الحق الواجب عليه،فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبه و الاستيفاء.

و رابعها–و هو آخر مقامات المرابطه–(معاتبه النفس)

اشاره

و معاقبتها على تقصيرها،و المجاهده بتكليفها الطاعات الشاقه،و الزامها الرياضات الشديده،فانه إذا حاسب نفسه،فوجدها خائنه فى الأعمال،مرتكبه للمعاصى،مقصره فى حقوق اللّه،متوانيه بحكم الكسل و البطاله فى شىء من الفضائل،فلا ينبغى ان يهملها،اذ لو اهملها سهل عليه مقارفه المعاصى، و انس بها بحيث عسر بعد ذلك فطامها عنها. فينبغى للعاقل ان يعاتبها أولا

و یقول:اف لک یا نفس!اهلکتینی و عن قریب تعذبین فی النار مع الشیاطین و الاشرار،فیا أیتها النفس الأماره الخبیثه!اما تستحیین و عن عیبک لا تنتهین؟!فما أعظم جهلک و حماقتک!اما تعرفین ان بین یدیک الجنه و النار و أنت صائره إلی أحداهما عن قریب؟فما لک تضحکین و تفرحین و باللهو و العصیان تشتغلین؟اما علمت ان الموت یأتی بغته من غیر اخبار،و هو أقرب إلیک عن کل قریب؟فما لک لا تستعدین له؟اما تخافین من جبار السماوات و الأرض،و لا تستحیین منه؟تعصین بحضرته و أنت عالمه بأنه مطلع علیک؟!ویحک یا نفس!جرأتک علی معصیه اللّه ان کانت لاعتقادک انه لا یراک فما أعظم کفرک،و ان کانت مع علمک باطلاعه علیک فما أشد و قاحتک و أقل حیاؤک،و ما اعجب نفاقک،و کثره دعاویک الباطله!فانک تدعین الایمان بلسانک،و أثر النفاق ظاهر علیک!فتنبهی عن رقدتک و خذی حذرک!لو ان یهودیا أخبرک فی الذ أطعمتک بأنه یضرک لصبرت و ترکتیه!و لو أخبرک طفل بعقرب فی ثوبک نزعتیه!فقول اللّه و قول أنبیائه المؤیدین بالمعجزات و قول الأولیاء و الحکماء و العلماء أقل تأثیرا عندک من قول یهودی أو طفل؟!...فلا یزال یکرر علیها أمثال هذه المواعظ و التوبیخات و المعاتبات،ثم یعاقبها و یلزمها ما یشق علیها من وظائف العبادات و التصدق بما یحبه،جبرا لما فات منها و تدارکا لما فرط فیها،فإذا أکل لقمه مشتبهه ینبغی ان یعاقب البطن بالجوع،و إذا نظر إلی غیر محرم یعاقب العین بمنع النظر،و إذا اغتاب مسلما یعاقب اللسان بالصمت و الذکر مده کثیره، و کذلک یعاقب کل عضو من اعضائه إذا صدرت منه معصیه بمنعه من شهواته، و إذا استخف بصلاه الزم نفسه بصلاه کثیره بشرائطها و آدابها.و إذا استهان بفقیر أعطاه صفو ماله،و هکذا الحال فی سائر المعاصی و التقصیرات.

ص:۱۰۱

و طریق العلاج فی إلزام النفس-بعد تقصیرها فی العمل علی هذه العقوبات و ربطها علی تلک الطاعات الشاقه و الریاضات-أمران:

الأول-تذکر ما ورد فی الأخبار من فضیله ریاضه النفس و مخالفتها.

و الاجتهاد فی الطاعه و العباده و وظائف الخیرات، قال الصادق(ع):«طوبی لعبد جاهد فی اللّه نفسه و هواه!و من هزم جند هواه ظفر برضاء اللّه،و من جاوز عقله نفسه الاماره بالسوء بالجهد و الاستکانه و الخضوع علی بساط خدمه اللّه-تعالی-فقد فاز فوزا عظیما،و لا حجاب أظلم و أوحش بین العبد و بین اللّه-تعالی-من النفس و الهوی،و لیس لقتلهما و قطعهما سلاح و آله مثل الافتقار إلی اللّه،و الخشوع،و الجوع و الظماء بالنهار،و السهر باللیل،فان مات صاحبه مات شهیدا،و إن عاش و استقام اداه عاقبته الی الرضوان الأکبر،قال اللّه-عز و جل-:

وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ

(۱)

.

و إذا رأیت مجتهدا ابلغ منک فی الاجتهاد فوبخ نفسک و لمها و عیرها، تحثیثا علی الازدیاد علیه،و اجعل لها زماما من الأمر،و عنانا من النهی، و سقها کالرابض للفاره الذی لا یذهب علیه خطوه من خطواته إلا و قد صح اولها و آخرها،و کان رسول اللّه(ص)یصلی حتی تورمت قدماه،و یقول:

(أ فلا أکون عبدا شکورا)،أراد أن یعتبر به أمته. فلا تغفلوا عن الاجتهاد و التعبد و الریاضه بحال.ألا و إنک لو وجدت حلاوه عباده اللّه،و رأیت برکاتها،و استضأت بنورها،لم تصبر عنها ساعه واحده و لو قطعت اربا

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۶۹.

اربا،فما أعرض عنها من اعرض إلا بحرمان فوائد السلف من العصمه و التوفيق» (۱).قيل لربیع بن خثیم:مالک لا تنام باللیل؟قال:

«لأنی أخاف البیات».و الأخبار الوارده فی فضل السعی و الاجتهاد و مخالفه النفس و الهوی أکثر من أن تحصی.

الثانی-مصاحبه أهل السعی،و الاجتهاد فی العباده،و مجالسه المجاهدین المرتاضین الذین لا ینفکون ساعه من مشاق الطاعات و العبادات و إلزام نفوسهم علی ضروب النکال و العقوبات،فملاحظه أحوالهم و مشاهده أعمالهم أقوی باعث للاقتداء بآثارهم و افعالهم،حتی قال بعضهم:«إذا اعترتنی فتره فی العبادات،نظرت إلی بعض العبّاد و اجتهاده فی العباده فکنت بعد ذلک اعمل أسبوعا».إلا أن ذلک غیر مرجو فی أمثال زماننا،إذ لم یبق فی عباد اللّه من یجتهد فی العباده اجتهاد الأولین،و لیس فینا من تقرب عبادته عباده أدنی رجل من سلفنا الصالحین.فینبغی أن یعدل عن المشاهده إلی سماع أحوالهم،و مطالعه حکایاتهم و اخبارهم،و من لاحظ حکایاتهم و سمع أحوالهم و اطلع علی کیفیه اجتهادهم فی طاعه اللّه،یعلم أنهم عباد اللّه و احباؤه و انهم ملوک الجنه. قال بعض أصحاب أمیر المؤمنین-علیه الصلاه و السّلام-:

«صلینا خلفه الفجر،فلما سلم انتقل إلی یمینه و علیه کآبه،فمکث حتی طلعت الشمس،ثم قلب یده و قال:و اللّه لقد رأیت أصحاب محمد(ص)و ما أری الیوم شیئا شبههم،و کانوا یصبحون شعثا غبرا صفرا،فقد باتوا للّه سجدا و قیاما.یتلون کتاب اللّه-عز و جل-،و یراوحون بین أقدامهم و جباههم،و کانوا إذا ذکروا اللّه مادوا کما یمید الشجر فی یوم الریح،و هملت أعینهم حتی تبل ثیابهم،و کأن القوم باتوا غافلین» أو کان أویس القرنی یقول

۱- ۱) الحدیث بطوله مروی عن(مصباح الشریعه):باب ۸۱ ص ۱۸۴، مع اختلاف یسیر هنا،فصححناه علیه کما کان هناک.

فی بعض اللیالی:«هذه لیله الرکوع»فیحیی اللیل کله فی رکعه،و یقول فی بعضها:«هذه لیله السجود»فیحیی اللیل کله فی سجده.و قال ربیع بن خثیم:

«أتیت اویسا فوجدته جالسا قد صلی الفجر،فجلست موضعا،و قلت:

لا أشغله عن التسبیح.فمکث مکانه حتی صلی الظهر و لم یقم حتی صلی العصر، ثم جلس موضعه حتی صلی المغرب،ثم ثبت حتی صلی العشاء،ثم ثبت مکانه حتی صلی الصبح،ثم جلس فغلبته عیناه،فقال:اللهم إنی أعوذ بک من عین نوامه و بطن لا تشبع». و روی:«أن رجلا من العباد کلم امرأه و وضع یده علی فخذها.ثم ندم فوضع یده فی النار حتی نشت (۱)عقوبه لها.

و بعضهم نظر إلی امرأه فجعل علی نفسه ألا یشرب الماء البارد طول حیاته، فکان یشرب الماء الحار لینغص علی نفسه العیش.و مر بعضهم بغرفه فقال:

متی بنیت هذه الغرفه؟ثم أقبل علی نفسه و قال:تسألین عما لا یعنیک؟! لا عاقبنک بصوم سنه،فصامها».و روی:«أن ابا طلحه الأنصاری شغل قلبه فی الصلاه طین فی الحائطه،فتصدق بالحائطه جبرا لما فاته من الحضور فی الصلاه».و کان بعضهم اعتلت إحدی قدمیه فیصلی علی قدم واحده حتی یصلی الصبح بوضوء العشاء.و کان بعضهم یقول:«ما أخاف من الموت إلا من حیث یحول بینی و بین صلاه اللیل».و حکی رجل:«أنه نزل بعض أهل اللّه عندنا بالمحصب (۲)و کان له أهل و بنات،و فی کل لیل یقوم و یصلی إلی السحر،فإذا کان السحر ینادی بأعلی صوته:ایها الرکب المعرسون! (۳)أکل هذا اللیل تنامون فکیف ترحلون؟فیسمع صوته کل من کان بالمحصب،

۱- ۱) النشیش:صوت غلیان الماء.

۲- ۲) المحصب-بالمهملتین و ضم المیم و تشدید الصاد-:موضع بمکه علی طریق منی،و یسمی(بطحاء).

۳- ۳) التعریس:نزول المسافر آخر اللیل للنوم و الاستراحه،من قولهم:عرس القوم.

فیتواثبون بین باک و داع،و قارئ و متوضئ،و إذا طلع الفجر نادی بأعلی صوته:عند الصباح یحمد القوم السری»،و هکذا کان عمل عمال اللّه،و سلوک سالکی طریق الآخره،و حکایاتهم غیر محصوره خارجه عن الإحصاء، اشرنا إلی انموذج منها لیعلم الطالبون کیفیه سیره الرجال فی مرابطه النفس و مراقبتها،و یعلمون أن عباد اللّه لیسوا امثالنا،بل هم قوم آخرون.قال بعض الحکماء:«إن للّه عبادا انعم علیهم فعرفوه،و شرح صدورهم فأطاعوه و توکلوا علیه فسلموا الخلق و الأمر إلیه،فصارت قلوبهم معادن لصفاء الیقین، و بیوتا للحکمه،و توابیت للعظمه،و خزائن للقدره،فهم بین الخلائق مقبلون و مدبرون،و قلوبهم تجول فی الملکوت،و تلوز (۱)بحجب العیوب،ثم ترجع و معها طوائف من لطائف الفوائد ما لا یمکن لواصف أن یصفها، فهم فی باطن أمورهم کالدیباج حسنا،و فی الظاهر منادیل مبذولون لمن أرادهم تواضعا،و طریقهم لا یبلغ إلیها بالتکلیف،و إنما هو فضل اللّه یؤتیه من یشاء». فعلیک یا حبیبی بمطالعه أحوالهم و حکایاتهم،لینبعث نشاطک و تزید رغبتک،و إیاک أن تنظر إلی أهل عصرک،و لعمری!اقل فی أمثال زماننا من یذکرک اللّه رؤیته،و یعینک فی طریق الدین صحبته،فان تطع أکثر من فی بلدک و عصرک یضلوک عن سبیل اللّه.

و منها:

اشاره

الغفله

و هی فتور النفس عن الالتفات و التوجه إلی ما فیه غرضها و مطلبها، إما عاجلا أو آجلا و ضدها:النیه،و ترادفها:الاراده و القصد،و هی

ص:۱۰۵

۱- ۱) فی القاموس:اللوز-بالزای-:الملاذ و الملجأ.

انبعاث النفس و میلها و توجهها إلی ما فیه غرضها و مطلبها حالا او مآلا.

و الموافق لغرض النفس إن کان خیرا لها و سعاده فی الدنیا او الدین،فالغفله عنه و عدم انبعاث النفس إلی تحصیله رذیله،و النقصان و النیه له و القصد إلیه فضیله و کمال،و إن کان شرا و شقاوه،فالغفله عنه و کف النفس منه فضیله و النیه له و إرادته رذیله.ثم باعث النفس علی النیه او الغفله و الکف،إن کان من القوه الشهویه کانت النیه او الغفله متعلقه بها فضیله او رذیله،و إن کان من قوه الغضب کانت النیه او الغفله متعلقه بهذه القوه کذلک.فالنیه و العزم علی التزویج متعلقه بالقوه الشهویه،و علی دفع کافر یؤذی المسلمین متعلقه بقوه الغضب،و النیه فی العبادات مع انضمام التقرب إلیها تسمی اخلاصا،ثم المتبادر من الموافق المغرض و المطلوب لما کان ما هو کذلک عند العقلاء و أرباب البصیره،فیکون المراد منه ما هو مرغوب و مطلوب فی نفس الأمر و ما تحصیله خیر و سعاده،و بهذا الاعتبار تکون الغفله باطلاقها مذمومه و النیه ممدوحه،فلو ذمت الغفله باطلاقها و مدحت النیه کذلک،کان بهذا الاعتبار.و الآیات و الأخبار الوارده فی ذم الغفله خارجه بهذا الاعتبار کما وصف اللّه الغافلین و قال:

إِنْ هُمْ إِلاّٰ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۱)

.و قال:

أُولٰئِکَ هُمُ الْغٰافِلُونَ

(۲)

.

[تنبیه]:الغفله بالمعنی المذکور أعم من ان یکون فتور النفس و خمودها عن الانبعاث إلی ما یراه موافقا للغرض مع الجهل بالموافق و الملائم، او مع العلم به و مع النسیان عنه،او مع التذکر له،و ربما خص فی عرف

ص: ۱۰۶

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۴۴.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۷۸.

أهل النظر بصوره الذهول و عدم التذكر.ثم الكساله و البطاله قريب من الغفله بالمعنى العام،و ربما فرق بينهما ببعض الاعتبارات.

تتميم (الغفله موجبه للحرمان)

الغفله و الكساله عما ينبغى تحصيله من أمور الدنيا و الدين توجب الحرمان عن سعاده الدارين،و تؤدى إلى شقاوه النشأتين،إذ الإهمال فى رعايه أمر المعيشه و مصالحها يؤدى إلى هلاكه الشخص و انقطاع النوع، و الغفله عن اكتساب المعارف و الأخلاق الفاضله و عن أداء الفرائض و النوافل تنجر إلى إبطال غايه الايجاد-اعنى بلوغ كل شخص إلى كماله المستعد له- و هو مع كونه صريح المضاده و المنازعه لخالق العباد يوجب الهلاكه و الشقاوه أبد الآباد.

وصل ضد الغفله النيه-

تأثير النيه على الاعمال-النيه روح الاعمال و الجزاء بحسبها-عباده الاحرار و الاجراء و العبيد-نيه المؤمن من العمل-النيه غير اختياريه-الطريق فى تخليص النيه.

قد عرفت أن ضد الغفله النيه،و هى انبعاث النفس و توجهها إلى ما يراه موافقا لغرضها،و قد عرفت أيضا ان النيه و الاراده و القصد عبارات متوارده على معنى واحد،و هى واسطه بين العلم و العمل،إذ ما لم يعلم أمر لم يقصد، و ما لم يقصد لم يفعل،فالعلم مقدم على النيه و شرطها،و العمل ثمرتها و فرعها، إذ كل فعل و عمل يصدر عن فاعل مختار فانه لا يتم إلا بعلم و شوق و إراده

و قدره،إذ كل انسان خلق بحيث يوافقه بعض الأمور و يلائم غرضه، و يخالفه بعض الأمور،فاحتاج إلى جلب الموافق و دفع المخالف المنافى،و هو موقوف على ادراك الملائم النافع،و المنافى الضار،إذ ما لم يعرف الشىء لم يعقل طلبه أو الهرب عنه،و هو العلم،و على الميل و الرغبه و الشهوه الباعثه عليه،و هو الشوق،إذ من أدرك الغذاء أو النار لا يكفيه ذلك للتناول و الهرب،ما لم يكن شوق إلى التناول و الهرب،و على القصد و الشروع و التوجه إليه،و هو النيه،إذ كم مشاهد للطعام راغب فيه شائق إليه لا يريده لكونه مؤذيا او حراما او لعذر آخر،و على القدره المحركه للأعضاء إليه -أى إلى جلب الملائم أو دفع المضار-و بها يتم الفعل،فهى الجزء الأخير للعله التامه التى بها يتم فعل الفاعل المختار،فالأعضاء لا تتحرك إلى جانب الفعل و لا توجده إلا بالقدره،و القدره تنتظر النيه،و النيه تنتظر الداعيه الباعثه-اعنى الشوق-،و الشوق ينتظر العلم أو الظن بكون ما يفعل موافقا له،فان كان الشوق صادرا عن القوه البهيميه،بأن يكون الفعل مما تقتضيه هذه القوه،كأكل،و شرب،و جماع،و كسب مال،و أمثال ذلك من الالتذاذات الشهويه،كانت النيه و القصد أيضا متعلقه بهذه القوه معدوده من فضائلها او رذائلها،و إن كان مما تقتضيه القوه السبعيه:من دفع موذ،أو طلب الاستعلاء،أو تفوق،و أمثال ذلك،كانت النيه أيضا متعلقه بهذه القوه معدوده من فضائلهما أو رذائلهما،و قد ظهر بما ذكر:أن المحرك الأول هو الغرض المطلوب-أعنى المقصود المنوى بعد تعلق العلم به-و هو الباعث الأول،و ينبعث منه الشوق و هو الباعث الثانى،و يتولد منه القصد و النيه و هو الباعث الثالث المحرك للقدره الباعث لانتهاضها على تحريك الأعضاء إلى جانب العمل.

ص :١٠٨

فصل (تأثير النيه على الأعمال)

العمـل غرضه البـاعث،أى بـاعثه الأول،إما واحـد:كالقيام للاكرام، أو للهرب من السبع المتهجم عليه،أو متعـدد مع استقلال كل واحـد بالبـاعثيه متساويا او متفاوتا:كالتصـدق للفقر و القرابه بالنظر إلى من ينتهض فيه كل واحـد بانفراده سببا للاعطاء،او بـدون استقلال واحد لو انفرد،بل المستقل المجموع،كالمثال المذكور بالنظر إلى من يعطى ماله قريبه الفقير و يمتنع عند الانفراد،أى لا يعطيه قريبه الغنى،و لا ـ الأـجنبى الفقير،أو مع استقلال بعض دون بعض،بـأن يكون للثانى تأثير بالاعانه و التسـهيل دون البعث و التحصيل،ثم يتعدد الجزاء بتعدد البواعث،إن خيرا فخير:

كالـدخول فى المسـجد لزيـاره اللّه،و لانتظار الصـلاه،و الاعتكاف و الانزواء و التجرد للـذكر،و ترك الـذنوب،و ملاقاه الاتقياء و اخوانه المؤمنين،و استماع المواعظ و احكام الـدين،و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر،و ان شـرا فشـر:كالقعود فيه للتحدث بالباطل،و ملاحظه النساء،و المناظره للمباهاه و المرآه،و ربما كان بعض البواعث خيرا و بعضـها شـرا:كالتصدق للثواب و الرياء،و دخـول المسـجد لبعض البـواعث الأـول،و بعض البـواعث الثـانيه، و العمـل الـذى بـاعثه من هـذا القسم قـد ظهر حكمه فى بـاب الإخلاـص.ثم بـاعث العمـل المباح ان كان خيرا بجعله عباده،كالتطيب يوم الجمعه لاقامه السـنه، و تعظيم المسـجد و اليوم،و دفع الاذى بالنتن،و الأكل لقوه العبادات، و الجماع للولـد و تطييب خاطر الزوجه،و الترفه بنومه او دعابه مباحه لرد نشاط الصـلاه،و ان كان شرا بجعله معصيه،كالتطيب للتفاخر بإظهار الثروه و التزين للزنا،و لا يؤثر فى الحرام،فلا يباح شرب الخمر لموافقه الاقران

و الاـخوان،فالمعاصی لاـ تتغیر موضوعاتها بـالنیه،بخلاـف الطاعـات و المباحـات،فانهـا بالنیه الصـحیحه تصـیر أقرب القربات،و بالفاسده تصیر أعظم المهلکات،فما أعظم خسران من یغفل عن النیه،و یتعاطی الاعمال تعاطی البهائم المهمله علی قصد حظوظ النفس او علی السـهو و الغفله،و قد کانت غایه سعی السلف ان یکون لهم فی کل شیء نیه صحیحه،حتی فی أکلهم و شربهم و نومهم و دخولهم الخلاء.

و لاـ ریب فی إمکـان تصـحیح النیه فی کـل مباح،بحیث یـترتب علیه الثـواب،بـل یمکن تصـحیح النیه فی کـل نقصـان مـالی و عرضـی،فـان من تلف له مـال،فـان قـال:هو فی سبیل اللّه،کان له أجر،و ان سـرقه أحـد او غصـبه یمکن أن ینوی کونه من ذخائر الآخره،و إذا بلغه اغتیاب غیره له فیمکن ان یطیب خاطره بأنه سـیحمل علیه سـیئاته و ینقل إلی دیوانه حسـناته،فإیاک أن تستحقر شیئا من نیاتـک و خطرات قلبـک،و لاـ تقـدم علی عمـل الا بنیه صـحیحه،فان لم تحضـرک النیه توقف،اذ النیه لا تـدخل تحت الاختیار،و قـد قیل:«ان من دعا اخاه إلی طعام بدون رغبه باطنه فی اجابته،فان اجابه فعلیه وزران:النفاق،و تعریضه اخاه لما یکرهه لو علمه،و ان لم یجبه و لم یأکـل فعلیه وزر واحـد هو النفاق!».فلا بـد للعبـد من خالص النیه فی کل حرکه و سـکون،لانه إذا لم یکن کذلک کان غافلا،و الغافلون قد وصفهم اللّه-تعالی-فقال:

إِنْ هُمْ إِلاّ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۱)

.

و صاحب خالص النیه صاحب القلب السلیم،قال الصادق(ع):

«صاحب النیه الصادقه صاحب القلب السلیم،لانه سلامه القلب من هواجس

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۴۴.

المحذورات بتخليص النيه للّه فی الأمور کلها،قال اللّه-عز و جل-:

یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ، إِلاّٰ مَنْ أَتَی اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ

(۱)

.

ثم النیه تبدو من القلب علی قدر صفاء المعرفه و تختلف علی حسب اختلاف الأوقات فی معنی قوته و ضعفه،و صاحب النیه الخالصه نفسه و هواه مقهورتان تحت سلطان تعظیم اللّه-تعالی-و الحیاء منه،و هو من طبعه و شهوته و منیته نفسه،فی تعب،و الناس منه فی راحه» (۲).

فصل (النیه روح الاعمال،و الجزاء بحسبها)

النیه روح الاعمال و حقیقتها،و الجزاء یکون حقیقه علیها،فان کانت خالصه لوجه اللّه-تعالی-کانت ممدوحه،و کان جزاؤها خیرا و ثوابا،و ان کانت مشوبه بالاغراض الدنیویه کانت مذمومه،و کان جزاؤها شرا و عقابا، قال اللّه-سبحانه-:

وَ لاٰ تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ

(۳)

.

۱- ۱) الشعراء،الآیه:۸۸-۸۹.

۲- ۲) هذا بعض الحدیث المذکور فی مصباح الشریعه-الباب الرابع ص ۱۳۵-و فی البحار-الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر،باب النیه و شرائطها و مراتبها،ص ۷۷.ط امین الضرب-.لکن المذکور فی البحار فیه اختلاف یسیر عما فی المصباح،فصححناه علی البحار،لکون المذکور فی البحار اصح مما فی المصباح.

۳- ۳) الانعام،الآیه:۵۲.

و المراد بالاراده:النيه،لترادفهما-كما تقدم-.و أوحى اللّه إلى داود:

«يا داود:لا تطاول على المريدين،و لو علم أهل محبتى منزله المريدين عندى لكانوا لهم ارضا يمشون عليها،يا داود!لئن تخرج مريدا من كربه هو فيها تستعده، كتبتك عندى حميدا،و من كتبته حميدا لا يكون عليه وحشه و لا فاقه إلى المخلوقين».و قال رسول اللّه(ص):«انما الاعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى،فمن كانت هجرته إلى اللّه و رسوله فهجرته إلى اللّه و رسوله،و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها او امرأه يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»،و انما قال ذلك حين قيل له:ان بعض المهاجرين إلى الجهاد ليست نيته من تلك الهجره الا أخذ الغنائم من الأموال و السبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء، فبين(ص):أن كل أحد ينال فى عمله ما يبغيه،و يصل إلى ما ينويه،كائنا ما كان.دنيويا كان أو أخرويا.و هذا الخبر مما يعده المحدثون من المتواترات و هو اول ما يعلمونه أولادهم،و كانوا يقولون:انه نصف العلم.و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«ان اللّه لا ينظر إلى صوركم و اموالكم،و انما ينظر الى قلوبكم و أعمالكم،و انما ينظر إلى القلوب لأنها مظنه النيه».و قال(ص):

«ان العبد ليعمل اعمالا حسنه فتصعد بها الملائكه فى صحف مختتمه،فتلقى بين يدى اللّه-تعالى-،فيقول:القوا هذه الصحيفه،فانه لم يرد بما فيها وجهى،ثم ينادى الملائكه:اكتبوا له كذا و كذا،فيقولون:يا ربنا!انه لم يعمل شيئا من ذلك،فيقول اللّه-تعالى-انه نواه». و قال(ص):

«الناس أربعه:رجل آتاه اللّه-عز و جل-علما و مالا فهو يعمل بعلمه فى ماله،فيقول رجل:لو آتانى اللّه-تعالى-مثل ما آتاه لعملت كما يعمل،فهما فى الأجر سواء،و رجل آتاه اللّه مالا و لم يؤته علما،فهو يتخبط بجهله فى ماله،فيقول رجل:لو آتانى اللّه مثل ما آتاه لعملت كما يعمل،فهما فى الوزر

سواء،ألا ترى کیف شارکه بالنیه فی محاسن عمله و مساویه؟!».و لما خرج (ص)الی غزوه تبوک،قال:«ان بالمدینه اقواما،ما قطعنا وادیا،و لا وطأنا موطئا یغیظ الکفار،و لا انفقنا نفقه،و لا أصابتنا مخمصه،إلا شارکونا فی ذلک و هم فی المدینه»،قالوا:و کیف ذلک یا رسول اللّه،و لیسوا معنا؟! فقال:«حسبهم العذر،فشارکونا بحسن النیه». و فی الخبر:ان رجلا من المسلمین قتل فی سبیل اللّه بأیدی بعض الکفار،و کان یدعی بین المسلمین قتیل الحمار،لأنه قاتل رجلا من الکافرین نیه أن یأخذ حماره و سلبه،فقتل علی ذلک فاضیف إلی نیته. و هاجر رجل إلی الجهاد مع أصحاب النبی (ص)،کانت نیته من المهاجره ان یأخذ امرأه کانت فی عساکر الکفار و یتزوجها-و تسمی أم قیس-فاشتهر هذا الرجل عند أصحاب النبی بمهاجر أم قیس».و فی اخبار کثیره:«من هم بحسنه و لم یعملها کتبت له حسنه» کما تقدم،و قد ورد:أنه إذا التقی المسلمان بسیفهما.فالقاتل فی النار،و کذا المقتول،لأنه أراد قتل صاحبه.و قال(ص):«اذا التقی الصفان نزلت الملائکه تکتب الخلق علی مراتبهم:فلان یقاتل للدنیا،فلان یقاتل حمیه،فلان یقاتل عصبیه،ألا فلا تقولوا قتل فلان فی سبیل اللّه إلا لمن قاتل لتکون کلمه اللّه هی العلیا».و قال(ص):«من تزوج امرأه علی صداق هو لا ینوی أداءه فهو زان،و من استدان دنیا و هو لا ینوی قضاءه فهو سارق،و من تطیب للّه -تعالی-جاء یوم القیامه و ریحه أطیب من المسک،و من تطیب لغیر اللّه جاء یوم القیامه و ریحه انتن من الجیفه» (۱)،و کل ذلک مجازاه علی حسب النیه.

و قال الصادق(ع):«ان العبد المؤمن الفقیر لیقول:یا رب!ارزقنی حتی

۱- ۱) صححنا النبویات کلها علی احیاء العلوم:۴-۳۱۷،۳۱۱،۳۱۰،باب فضیله النیه.

أفعل كذا و كذا من البر و وجوه الخير،فإذا علم اللّه-عز و جل-ذلك منه بصدق النيه كتب له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله،إن اللّه واسع كريم».

و سئل(ع)عن حد العباده التی إذا فعلها فاعلها کان مؤدیا،فقال:«حسن النیه بالطاعه».و قال(ع):«و إنما خلد أهل النار فی النار لأن نیاتهم کانت فی الدنیا أن لو خلدوا فیها أن یعصوا اللّه-تعالی-ابدا،و إنما خلد أهل الجنه فی الجنه لأن نیاتهم کانت فی الدنیا أن لو بقوا فیها أن یطیعوا اللّه أبدا، فبالنیات خلد هؤلاء و هؤلاء،ثم تلا قوله-تعالی-.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِهِ

(۱)

قال:علی نیته» (۲).و أمثال هذه الأخبار أکثر من أن تحصی.و أی شبهه فی أن عماد الأعمال النیات،و العمل مفتقر إلی النیه لیصیر خیرا، و النیه فی نفسها خیر و ان تعذر العمل،و عون اللّه-تعالی-للعبد علی قدر النیه،فمن تمت نیته تم عون اللّه له،و إن نقصت نقص بقدره،فرب عمل صغیر تعظمه النیه،و رب عمل کبیر تصغره النیه،و لذلک کان السلف یتعلمون النیه للعمل کما یتعلمون العمل،و نقل:«ان بعض المریدین کان یطوف علی العلماء و یقول.من یدلنی علی عمل لا ازال فیه عاملا للّه-تعالی-،فانی لا أحب أن تأتی علی ساعه من لیل او نهار الا و أنا عامل من عمال اللّه-تعالی-.

فقال له بعض العلماء:أنت قد وجدت حاجتک،فاعمل الخیر ما استطعت، فإذا فترت أو ترکته فهم بعمله،اذ من هم بعمل الخیر کمن یعمل به». ثم السر فی مجازاه الأعمال علی حسب النیه،و کون النیه حقیقه العمل و عمادا و روحا له:ان العمل من حیث هو عمل لا فائده فیه،و انما فائدته للأثر الذی

۱- ۱) الاسراء،الآیه:۸۴.

۲- ۲) صححنا الاخبار کلها علی أصول الکافی-الجزء الثانی،باب النیه.

يصل منه إلى النفس من النورانيه و الصفاء،و لا يزال يتكرر وصول هذا الأثر من الاعمال إليها حتى تحصل لها غايه الضياء و الصفاء،فيحصل لها التجرد التام و ينخرط فى سلك الملائكه،و لا ريب فى أن وصول هذا الأثر من الاعمال انما هو مع صحه النيه و خلوصها،و كونها للّه-سبحانه-من دون شوب الأغراض،بل التأمل يعطى ان هذا الأثر انما هو حقيقه من محض النيه،و ان كانت حادثه لأجل العمل.

فصل (عباده الاحرار و الاجراء و العبيد)

قد ظهر مما ذكر:أنه لا يحسب من عباده اللّه و لا يعد من طاعه اللّه بحيث يترتب عليه الأجر فى الآخره إلا ما يراد التقرب إلى اللّه و الدار الآخره، أي يراد به وجه اللّه من حيث هو،من دون غرض آخر من الأغراض الدنيويه،أو يراد به التوصل إلى ثوابه،أو الخلاص من عقابه،فمن أراد بعبادته محض وجه اللّه،و اخلصها له لكونه أهلا للعباده،و لمحبته له لما عرفه بجلاله و جماله و عظمته و لطف فعاله،فاحبه و اشتاق إليه،و لا يريد سواه، و لا يبتهج بغير حبه و انسه و الاستغراق فى لجه شهوده،فيفرح بعبادته و توجيه قلبه إليه بطاعته.فجزاؤه أن يحبه اللّه و يجتبيه،و يقربه إلى نفسه و بدنه قربا معنويا و دنوا روحانيا،كما قال فى حق بعض من هذا صفته:

وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ

(۱)

و إلى هذه المرتبه أشار أمير المؤمنين(ع)بقوله:«إلهى ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا فى جنتك،و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك».

ص: ۱۱۵

۱- ۱) ص،الآيه:۴۰،۲۵.

و أما من غرضه نيل الثواب و الخلاص من العقاب،نظرا إلى انه لم يعرف من اللّه سوى كونه إلها صانعا للعالم قادرا قاهرا عالما،و ان له جنه ينعم بها المطيعين،و نارا يعذب بها العاصين،فعبده ليفوز بجنته أو يتخلص من ناره:فجزاؤه بمقتضى نيته ان يدخله جنته،و ينجيه من ناره،لأن جزاء الأعمال على حسب النيات،كما أخبر اللّه-تعالى-عنه فى غير موضع من كتابه،فان لكل امرئ ما نوى،و لا تصغ إلى قول من ذهب إلى بطلان العباده إذا قصد بفعلها الثواب أو الخلاص من العقاب زعما منه أن هذا القصد مناف للاخلاص الذى هو إراده وجه اللّه وحده،و ان من قصد ذلك إنما قصد جلب النفع إلى نفسه،و دفع الضرر عنها،لا وجه اللّه-سبحانه-، فان هذا قول من لا معرفه له بحقائق التكاليف و مراتب الناس فيها،بل و لا معرفه له بمعنى النيه و حقيقتها،فان حقيقه النيه عباره عن انبعاث النفس و ميلها و توجهها إلى ما فيه غرضها و مطلبها،إما عاجلا او آجلا،لا مجرد قول الناوى عند العباده:افعل كذا قربه إلى اللّه،و مجرد تصور هذا القول بخاطره و ملاحظته بقلبه و إن لم يكن لنفسه انبعاث إلى التقرب،هيهات هيهات!إنما هذا تحريك لسان و حديث نفس،و ما ذلك الا كقول الشبعان:

اشتهى هذا الطعام،قاصدا حصول الاشتهاء،و هذا الانبعاث إذا لم يكن حاصلا للنفس لا يمكنها اختراعه و اكتسابه بمجرد القول و التصور، و أكثر الناس تتعذر منهم العباده ابتغاء لوجه اللّه و تقربا إليه،لانهم لا يعرفون من اللّه-تعالى-الا المرجو و المخوف،فغايه مرتبتهم ان يتذكروا النار و يحذروا أنفسهم عقابها،و يتذكروا الجنه و يرغبوا أنفسهم ثوابها،و خصوصا من كان ملتفتا إلى الدنيا،فانه قلما تنبعث له داعيه إلى فعل الخيرات لينال بها ثواب الآخره،فضلا عن عبادته على نيه إجلال اللّه-تعالى-لاستحقاقه

الطاعه و العبوديه،فانه قل من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها،فلو كلف بها لكان تكليفا بما لا يطاق،و ليس معنى الإخلاص فى العباده الا عدم كونها مشوبه بشوائب الدنيا و الحظوظ العاجله للنفس،كمدح الناس،و نيل المال، و الخلاص من النفقه لعتق العبد و نحو ذلك،و ظاهر انه لا تنافيه إراده الجنه و الخلاص من النار بما وعد فى الآخره،و ان كان من جنس المألوف فى الدنيا،و لو كان مثل هذه النيات مفسده للعبادات لكان الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد عبثا،اذ كل ما وعد به الجنه و اوعد عليه النار مما رغب و وعد به و رهب و اوعد عليه،و ما ورد فى الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد من الآيات و الاخبار أكثر من ان يحصى،قال اللّه-سبحانه-:

وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

ثم كيف يمكن للعبد الضعيف الذليل المهين الذى لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياتا و لا شيئا مما ينفعه و يؤذيه،أن يستغنى عن جلب النفع لنفسه أو دفع الضرر عنها من مولاه.و من تأمل يجد أن القائل ببطلان العباده بإحدى النيتين ترجع نيته الصحيحه فى عبادته إلى أحداهما و هو لا يشعر به.

و مما يدل صريحا على ما ذكرناه قول الصادق-عليه السّلام-:«العباد ثلاثه:قوم عبدوا اللّه-عز و جل-خوفا،فتلك عباده العبيد.و قوم عبدوا اللّه-تبارك و تعالى-طلب الثواب،فتلك عباده الاجراء،و قوم عبدوا اللّه-عز و جل-حبا له،فتلك عباده الاحرار،و هى أفضل العباده» (۲).و هذا يدل على ان العباده على الوجهين الأولين لا تخلو من فضل أيضا،فضلا عن أن تكون صحيحه.نعم،لا ريب فى أن العباده على

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۹۰.

۲- ۲) صححنا الروايه على أصول الكافى:الجزء الثانى،باب العباده.

الوجه الأخير لا نسبه لمنزلتها و درجتها إلى درجه العباده على الوجهين الأولين،فان من تنعم بلقاء اللّه و النظر إلى وجهه الكريم،يسخر ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى وجه الحور العين بالملتفت الى الصور المصنوعه من الطين،و كما يسخر المتنعم بالنظر إلى وجوه النساء الجميله بالخنفساء التى تعرض عن النظر إلى وجوههن و تلتفت إلى صاحبتها و تألف بها،بل هذه أمثله أوردناها من باب الاضطرار،إذ التفاوت بين جمال الحضره الربوبيه و جمال الحور العين او النسوان الجميله أعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين و الصور المصنوعه من الطين و بين جمال النسوان الجميله و الخنفساء،كيف و التفاوت فى الثانى متناه و فى الأول غير متناه،و أى نسبه للمتناهى إلى غير المتناهى؟

فصل (نيه المؤمن خير من العمل)

لما عرفت ان النيه روح العمل و حقيقته،و توقف نفع العمل عليها دون العكس،و كون الغرض الأصلى من العمل تأثير القلب بالميل إلى اللّه -تعالى-و توقفه على النيه،فهى خير من العمل،بمعنى أن العمل إذا حلل الى جزئيه يكون جزؤه القلبى-اعنى النيه-خيرا من جزئه الجسمانى- اعنى ما يصدر من الجوارح-،و الثواب المترتب عليه أكثر من الثواب المترتب عليه،و لذا قال اللّه-سبحانه-:

لَنْ يَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ

(۱)

.

۱- ۱) الحج،الآيه:۳۷.

فان المقصود من اراقه دم القربان ميل القلب عن حب الدنيا،و بذلها ايثارا لوجه اللّه،دون مجرد الدم و اللحم،و ميل القلب انما يحصل عند جزم النيه و الهم،و ان عاق عن العمل عائق،(فلن ينال اللّه لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم)،و التقوى صفه القلب،و لذا ترى ان المجامع امرأته على قصد انها غيرها اثم،بخلاف المجامع غيرها على أنها امرأته،و لذا ورد:أن من هم بحسنه و لم يعملها كتبت له حسنه،لان هم القلب هو ميله إلى الخير و انصرافه عن الهوى،و هو غايه الاعمال الحسنه، و انما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا.و بما ذكر ظهر معنى الحديث المشهور:

«نيه المؤمن خير من عمله،و نيه الكافر شر من عمله».و كل عامل يعمل على نيته.

و حاصله:أن كل طاعه تتضمن نيه و عملا،و كل منهما من جمله الخيرات،و له أثر فى المقصود،و تكون النيه خيرا من العمل و أثرها أكثر من اثره.و الغرض:أن للمؤمن اختيارا فى النيه و فى العمل، فهما عملان،و النيه من الجمله خيرهما،اى النيه التى هى جزء من طاعته خير من عمله الذى هو جزؤها الآخر.

فان قيل:ما ذكرت لا يفيد أزيد من ان العمل إذا كان مع النيه يكون كل من العمل و النيه خيرا و ذا ثواب.و إذا كان بدونها لا يكون خيرا و لا يكون له ثواب،و المقصود كون النيه خيرا من العمل فى الصوره الأولى و كون ثوابها أعظم،و لم يظهر وجه الخيريه مما ذكرت.

قلت:ذلك و ان ظهر إجمالا،الا انه لا بد لتوضيحه لتظهر جليه الحال،فنقول:

الوجه فى كون النيه خيرا من العمل و راجحه عليه فى الثواب:انه لا ريب فى ان المقصود من الطاعات شفاء النفس و سعادتها فى الآخره و تنعمها

بلقاء اللّه-سبحانه-،و الوصول إلى اللقاء موقوف على معرفه اللّه و حبه و انسه،و هى موقوفه على دوام الفكر و الذكر الموجبين لانقطاع النفس من شهوات الدنيا و توجهها إلى اللّه-سبحانه-،فإذا حصل بمجرد المعرفه الحاصله من الفكر ميل و توجه إلى اللّه-تعالى-كان ضعيفا غير راسخ، و انما يترسخ و يتأكد بالمواظبه على اعمال الطاعات و ترك المعاصى بالجوارح، لأن بين النفس و بين الجوارح علاقه يتأثر لأجلها كل واحد منها عن الآخر، فيرى أن العضو إذا أصابته جراحه تتألم بها النفس،و أن النفس إذا تألمت بعلمها بموت عزيز أو بهجوم أمر مخوف تأثرت الأعضاء و ارتعدت الفرائض، فالطاعات التى هى فعل الجوارح إنما شرعت للتوصل بها إلى صفه النفس-اعنى التوجه و الميل إلى اللّه-سبحانه-،فالنفس هو الأصل و المتبوع و الأمير، و الجوارح كالخدم و الأتباع،و صفات القلب هى المقصوده لذاتها،و افعال الجوارح هى المطلوبه بالعرض،لكونها مؤكده و موجبه لرسوخ النفس -اعنى الميل و النيه و التوجه-و لا ريب فى أن ما هو المقصود بالذات خير مما هو مقصود بالعرض،و ثوابه أعظم من ثوابه.

و من المعانى الصحيحه للحديث:أن المؤمن بمقتضى ايمانه ينوى خيرات كثيره لا يوفق لعملها،إما لعدم تمكنه من الوصول إلى أسبابها،أو لعدم مساعده الوقت على عملها،أو لممانعه رذيله نفسانيه عنها بعد الوصول إلى أسبابها،كالذى ينوى إن آتاه اللّه ما لا ينفقه فى سبيله،ثم لما آتاه يمنعه البخل عن الإنفاق،فهذا نيته خير من عمله،و أيضا المؤمن ينوى دائما أن تقع عباداته على أحسن الوجوه،لأن ايمانه يقتضى ذلك.ثم إذا اشتغل بها لا يتيسر له ذلك.و لا يأتى بها كما يريد،فما ينويه دائما خير مما يعمل به فى كل عباده.و إلى هذا أشار الباقر(ع)حيث قال:«نيه المؤمن خير من عمله،

و ذلك لأنه ينوى الخير ما لا يدركه،و نيه الكافر شرّ من عمله،و ذلك لأن الكافر ينوى الشر و يأمل من الشر ما لا يدركه». و قيل للصادق(ع):

سمعتك تقول:نيه المؤمن خير من عمله،فكيف تكون النيه خيرا من العمل؟ قال(ع):«لأن العمل إنما كان رياء للمخلوقين،و النيه خالصه لرب العالمين، فيعطى-عز و جل-على النيه ما لا يعطى على العمل»ثم قال:«إن العبد لينوى من نهاره أن يصلى بالليل فتغلبه عينه فينام،فيثبت اللّه له صلاته و يكتب نفسه تسبيحا و يجعل نومه صدقه».و بعض الأخبار المتقدمه يعضد ذلك و يؤكده أيضا. و قيل:معنى الحديث:«إن النيه بمجردها خير من العمل بمجرده بلا نيه».و فيه:أن العمل بدون النيه لا يتصف بالخيريه أصلا.

فلا معنى للترجيح فى الخيريه،و قيل:سبب الترجيح:«إن النيه سر لا يطلع عليه إلا اللّه،و العمل ظاهر،و فعل السر أفضل».و هذا و إن كان فى نفسه صحيحا،إلا أنه ليس مرادا من الحديث،لأنه لو نوى أحد أن يذكر اللّه -تعالى-بقلبه أو يتفكر فى مصالح المؤمنين،كانت نيته بمقتضى عموم الحديث خيرا من العمل الذى هو الذكر و التفكر،مع اشتراك النيه و العمل فى السريه،و بداهه كون الذكر و التفكر خيرا من نيتهما.

فصل (النيه غير اختياريه)

النيه غير داخله تحت الاختيار،و ذلك لما عرفت من أنها انبعاث النفس و توجهها و ميلها إلى ملائم ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا أو آجلا و هذا الميل إذا لم يكن حاصلا للنفس لم يكن اختراعه و اكتسابه بمجرد الاخطار بالبال و الاجراء على اللسان،بل ذلك كقول الشبعان:نويت أن اشتهى الطعام و أميل إليه،أو قول الفارغ:نويت أن أعشق فلانا و أحبه،

فلا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء و ميله إليه و توجهه نحوه،إلا باكتساب أسبابه،و ذلك مما قد يقدر عليه و قد لا يقدر عليه،و إنما قد تنبعث النفس إلى الفعل إجابه للغرض الباعث،الموافق المنفس الملائم لها،و ما لم يعتقد الإنسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا- يتوجه قصده نحوه، و ذلك مما لا يقدر على اعتقاد.دائما،و إذا اعتقد فانما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه،و ذلك لا- يمكن فى كل وقت،و الدواعى و الصوارف لها أسباب كثيره بها،تجتمع و تختلف ذلك بالاشخاص و الأحوال و الاعمال،فإذا غلبت شهوه النكاح و لم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد لم يمكنه أن يتزوج على نيه الولد،بل لا- يمكن إلا على نيه قضاء الشهوه،إذ النيه إجابه الباعث،و لا باعث إلا الشهوه،فكيف ينوى الولد،و لذا كان أهل السلوك من السلف كثيرا ما يمتنعون عن جمله من الطاعات إذا لم تحضرهم النيه،و كانوا يقولون:ليس تحضرنى نيه،و ذلك لعلمهم بأن النيه روح الاعمال و قوامها،و أن العمل بغير نيه صادقه رياء و تكلف و سبب مقت لا سبب قرب. و روى:«أنه أتى الصادق(ع)مولى له،فسلم عليه و جلس،فلما انصرف(ع)انصرف معه الرجل،فلما انتهى إلى باب داره دخل و ترك الرجل،فقال له ابنه إسماعيل:يا أبه!ألا- كنت عرضت عليه الدخول؟فقال:لم يكن من شأنى ادخاله،قال:فهو لم يكن يدخل، قال:يا بنى!إنى اكره أن يكتبنى اللّه عراضا».

تتميم (الطريق فى تخليص النيه)

اشاره

الطريق فى تخليص النيه فى الطاعات تقويه ايمانه بالشرع،و تقويه ايمانه يعظم ثواب الطاعات مع خلوص النيه،و إذا قوى ايمانه فربما انبعث من نفسه

ص:١٢٢

رغبه إلى فعل الطاعه مع خلوص النيه،مثلا من لم تكن له نيه الولـد فى النكاح بل كانت نيته فيه مجرد قضاء الشـهوه،فينبغى له أن يقوى ايمـانه بعظم ثواب من سـعى فى تكثير أمه محمـد(ص)،و يـدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولـد،كثقـل المئونه و طول المتعب و غيره،و إذا فعل ذلك انبعثت من نفسه رغبه إلى تحصيل الولد للثواب.

و منها:

اشاره

الكراهه

و هى نفره الطبع عمـا لاـ يخلو عن ايلاـم و إتعاب،فإذا قويت سـميت مقتا،و ضـدها الحب،و هو ميل الطبع إلى الشـىء الملـذ،فان تأكد ذلك الميل و قوى سمى عشقا.

اعلم أن عدم الرغبه و الغفله و الكراهه و البعد أمور متناسبه مترتبه بعضها على بعض،و كذا اضدادها-اعنى الشوق و النيه و الحب و الانس- أمور متناسبه يترتب بعضها على بعض،فنحن هنا نشير إجمالا إلى معانيها و الفرق بينها،ثم نذكرها مفصله على الترتيب.

فنقول:قـد عرفت ان الغفله و النيه ضـدان،و هما عبارتان عن عدم انبعاث النفس و انبعاثها إلى ما فيه غرضـها الملائم اما عاجلا أو آجلا،و اما عدم الرغبه و الشوق فهما ضدان و مبدآن للغفله و النيه.

بيان ذلك:ان معنى عدم الرغبه ظاهر،و الشوق عباره عن الرغبه إلى الشىء الذى لم يصل إليه و كان مفقودا عنه بوجه،فالشوق لا يخلو عن ألم المفـارقه،و لو زالت المفـارقه و حصـل الوصـال انتفى الشوق.ثم فرق الشوق عن النيه ظاهر،فان الشوق مجرد الرغبه إلى الشىء من دون اعتبار انبعاث النفس إلى طلبه فى مفهومه،و النيه هى الانبعاث المذكور،فالشوق مبدأ

النيه،و النيه مترتبه عليه،و بذلك يظهر الفرق بين ضديهما أيضا-أعنى عدم الرغبه و الغفله.

و اما(الكراهه و الحب):فقد عرفت أنهما عبارتان عن نفره الطبع عن المؤلم،و عن ميله إلى الملذ،سواء انبعثت النفس عن طلبه أم لا،و بهذا يفترق الحب عن النيه،فان النيه هى انبعاث النفس،و هو مغاير لمجرد الميل، بل الميل منشأ للانبعاث،و سواء حصل الوصول إلى الملذ أم لا،و بهذا يفترق عن الشوق،فان الشوق يعتبر فى مفهومه عدم الوصول،فالشوق و النيه و الاراده لا ينفكان عن الحب،و الحب يكون مقارنا لهما البته،فإذا حصل الوصول إلى المطلوب زال الشوق و الاراده و بقى الحب بدونهما.و بما ذكر يظهر الفرق بين الكراهه و بين عدم الرغبه و الغفله.

و أما(الانس):فهو عباره عن استبشار النفس بما يلاحظه من المطلوب المحبوب بعد الوصول و استحكامه و رسوخه،و البعد عباره عن عدم الوصول إلى المحبوب او الوصول إلى ما لا يستبشر و لا يبتهج بملاحظته، لعدم الرغبه إليه او للتنفر عنه،فالحب منشأ الانس،و الانس يترتب عليه، و هو غايه المحبه،فلا يخلو انس عن المحبه،و المحبه قد تكون بدونه، ثم المطلوب المحبوب قد يكون مطلوبا للقوه العاقله،كالعلم بحقائق الأشياء،و قد يكون مطلوبا للقوه الغضبيه،كالاستيلاء و الغلبه،و قد يكون مطلوبا للقوه الشهويه،كالمال و الازواج،و على كل تقدير تكون الأمور المذكوره-اعنى عدم الرغبه و الغفله و الكراهه و البعد-و اضدادها-اعنى الشوق و الاراده و الحب و الانس-متعلقه بتلك القوه،معدوده من رذائلها او فضائلها.ثم المحبوب ان كان يستحسن حبه و طلبه شرعا و عقلا،كان ما يتعلق به من الشوق و الاراده و الحب و الانس من الفضائل و اضدادها من الرذائل،و ان

كان مما يذم حبه و طلبه شرعا و عقلا كان بالعكس.

الشوق-أفضل مراتب الشوق الشوق إلى اللّه-تعلق الحب بجميع القوى- أقسام الحب بحسب مباديه-لا محبوب حقيقه الا اللّه-الشهود التام هو نهايه درجات العشق-سريان الحب فى الموجودات-رد المنكرين لحب اللّه -معرفه اللّه أقوى سائر اللذات-تحقيق رؤيه اللّه فى الآخره و لذه لقائه -الطريق إلى الرؤيه و اللقاء-تفاوت المؤمنين فى محبه اللّه-الواجب اظهر الموجودات-علائم محبه اللّه-معنى حب اللّه لعبده-الحب فى اللّه و البغض فى اللّه-الوفاء فى الحب-الانس-الانس قد يثمر الإدلال.

قد تقدم تفصيل الكلام فى النيه و الغفله.

و اما الشوق

،فنقول فى بيانه:قد عرفت أن الشوق عباره عن الميل و الرغبه إلى الشىء عند غيبته،فان الحاصل الحاضر لا يشتاق إليه،اذ الشوق طلب يسوق إلى نيل امر،و الموجود لا يطلب،فالشوق لا يتصور الا إلى شىء أدرك من وجه و لم يدرك من وجه،فما لا يدرك أصلا لا يشتاق إليه، اذ لا يتصور ان يشتاق أحد إلى شخص لم يره و لم يسمع و صفه،و ما أدرك بكماله لا يشتاق إليه أيضا،اذ المداوم لمشاهده المحبوب و الوصل إليه من جميع الوجوه لا يتصور أن يكون له شوق،فالشوق يختص تعلقه بما أدرك من وجه دون وجه،و هذا انما يكون باحد وجهين:

(أحدهما)ان يتضح الشىء اتضاحا ما،و لم يستكمل الوضوح،فاحتاج الى استكماله.فيكون الشوق إلى ما بقى من المطلوب مما لم يحصل.مثال ذلك:

ان من غاب عنه معشوقه،و بقى فى قلبه خياله،يشتاق إلى استكمال خياله بالرؤيه،

ص: ۱۲۵

و من رأى معشوقه فى ظلمه،بحيث لا ـ تنكشف له حقيقه صورته،يشتاق الى استكمال رؤيته باشراق الضوء عليه،فلو رآه بتمام الرؤيه انتفى الشوق، كما انه لو انمحى عن قلبه ذكره و خياله و معرفته حتى نسيه لم يعقل وجوده.

(ثانيهما)أن يدرك بعض كمالات المحبوب،و وصل إليه،و علم إجمالا ان له كمالات اخر،و لم يدركها و لم يصل إليها،فيكون له شوق إلى ادراك تلك الكمالات.مثال ذلك:ان يرى وجه محبوبه،و لا يرى شعره و لا سائر اعضائه،فيشتاق إلى رؤيه ذلك.

فصل (أفضل مراتب الشوق الشوق إلى اللّه)

أفضل مراتب الشوق هو الشوق إلى اللّه-سبحانه-و إلى لقائه،و هى المظنه إلى الوصول إليه،و إلى حبه و انسه و التقرب لديه،و هو رأس مال السالكين،و مفتاح ابواب السعاده للطالبين،و الوجهان الموجبان للشوق متصوران فى حق اللّه،بل هما ثابتان و ملازمان لجميع العارفين،فلا يخلو عارف من الشوق إلى اللّه:

أما الوجه الأول،فلأن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهيه و إن بلغ غايه الوضوح،فكأنه من وراء ستر رقيق،فلا يكون متضحا غايه الاتضاح،بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات المكدره للمعلومات و المانعه عن ظهورها اليقينى،(لا)سيما إذا انضاف إليها شواغل الدنيا،فكمال الوضوح فى الأمور الإلهيه إنما هو بالمشاهده و اشراق التجلى،و لا ـ يكون ذلك فى هذا العالم،بل يكون فى الآخره،فهذا أحد الموجبين لشوق العارفين إلى اللّه -سبحانه-.و هو الشوق إلى استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما.

و أما الثانى،فلأن الأمور الإلهيه لا نهايه لها،و إنما ينكشف لكل

عارف بعضها،و تبقى أمور غير متناهيه خفيه عنه،و العارف إجمالا وجودها، و كونها معلومه للّه-تعالى-،و يعلم أن ما غاب من علمه من المعلومات أكثر مما حضر،فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له من المعلومات المتعلقه بعظمه اللّه و جلاله و صفاته و أفعاله بما لا يعرفها أصلا،لا مع الوضوح و لا مع الإبهام و الاجمال، و الشوق الأول ربما انتهى فى الاخره إذا حصل الشهود و اللقاء المعنوى لأجل استخلاص النفس من موانع الطبيعه و قشوراتها و حصول التجرد التام لها،و أما الشوق الثانى فلا يمكن أن ينتهى فى الدنيا و لا فى الآخره،إذ نهايه ذلك أن ينكشف للعبد فى الآخره من عظمه اللّه و كبريائه و جلاله و صفاته و احكامه و افعاله ما هو معلوم للّه-تعالى-و هو محال،إذ معلومات اللّه المتعلقه بذاته و صفاته و افعاله غير متناهيه قوه و شده و عده، فتمتنع إحاطه الإنسان بها،فلا يزال العبد عالما بأنه قد بقى من جلال اللّه و عظمته و من صفته و فعله ما لم يتضح له،فلا يسكن قط شوقه،و ما من عبد إلا و يرى فوق درجته درجات كثيره لا نهايه لها،فيشتاق إليها البته، و إذا كان أصل الوصال و اللذه حاصلا،فربما كان الشوق إلى المراتب التى فوق مرتبتها شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم،و ربما كانت لطائف الكشف و البهجه و درجاتهما متواليه إلى غير النهايه،و تحصل للعبد هذه الدرجات فى الآخره على التدريج،فلا يزال العبد يتصاعد و يترقى إليها،و لا يزال النعيم و اللذه تتزايد له أبد الآباد من غير انقطاع له،و تكون لذه ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا له عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل له المه،فان امكن فى الآخره حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف فى الدنيا،لكان حصول المعارف و الابتهاجات و الأنوار و تجددها فى الآخره ممكنا،و إن لم يكتسب اصلها فى الدنيا فيتجدد و يتوارد على العبد فى الآخره على الدوام و الاستمرار

من دون أن ينتهى إلى حد.و ربما كان قوله-تعالى-:

نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا

(١)

:

إشاره إلى هذا المعنى، و يكون المراد به إتمام النور فى عين ما استنار فى الآخره استناره محتاجه إلى الظهور،ثم إلى زياده الاستكمال و الإشراق،و إن اختص حصول نعم الآخره و أنوارها و ابتهاجاتها على النعم التى تزود من أصلها و لم يحصل للعبد ما لم يكتسب فى الدنيا أصله من الأنوار و الابتهاجات فيكون ترقى العبد فى الآخره فى ازدياد الابتهاج و الإشراق فيما حصل له اصله،و على هذا،فربما انتهى إلى حد و وقف هناك و لا يتضاعف،و قوله -تعالى-:« نُورُهُمْ يَسْعىٰ ...الى آخر الآيه»يحتمل لهذا المعنى أيضا،بأن يكون المراد طلب إتمام نور تزود من الدنيا أصله.(قيل):و قوله تعالى:

اُنْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً

(٢)

:

يدل على أن الأنوار لا بد من أن يتزود أصلها فى الدنيا،ثم يزداد فى الآخره اشراقا،فاما أن يتجدد نور لم يكتسب أصله فى الدنيا فلا.

ثم لا يخفى أن تعيين الأصل و الفرع للانوار و الابتهاجات و مراتب الآخره عندنا مشكل،و ليس لنا طريق إلى القطع بأن أى شىء أصل لاى نور و بهجه،و ربما كان المظنون عندنا:أن أصل كل نور و سعاده و بهجه هو اليقين القطعى الاجمالى بان الواجب-سبحانه-فى غايه العظمه و الجلال

ص :١٢٨

١- ١) التحريم،الآيه:٨.

٢- ٢) الحديد،الآيه:١٣.

و القـدره و الكمال،و أنه تام فوق التمام،و كل ما سواه من المهيات الموجوده صادره عنه على أشـرف أنحاء الصـدور و أقواها و أدلها على العظمه،و أنه لا موجود و لا شـىء إلا الواجب و صـفاته و أفعاله،و أن ذاته الاقـدس ذات لا يمكن أن يكون لذهن من الاذهان العاليه،و لا لمدرك من المدارك المتعاليه عقلا كان أو نفسا أو غيرهما،لو أمكن أن يكون مدركا،أن يدرك فى لحاظ التعقل ذاتا يمكن أن تكون فوقه أو مثله،بل كلما تصور إجمالا فهو فوقه،و كذا صـفاته الكماليه و افعاله،و أن صفاته الكماليه:من عظمتـه، و جلالـه،و قـدرته،و جمـاله،و علمه،و حكمته،و غير ذلـك غير متنـاهيه،و ليس لهـا حـدّ و غـايه،و مـا تعلق به علمه من مخلوقاته لا نهايه له كثره و قوه و كمالا،و أن له من المراتب الغير المتناهيه من العظمه و الجلال ما لا يطيق أشرف الموجودات و اقواها لادراك أولها،فمن عرف ذلـك و تيقن به، و علم ان هـذا العالم و ما فيه لا نسبه له إلى عالم الآخره و ما فيه،و أن الطافه و مزايـاه إلى عبـاده الـذين عرفوا نسبتهم إليه،و تيقنوا بـأن لاشـرافه و لاـ كمـال للنفوس و العقول فوق معرفه ربهم و التقرب إليه و الوصول إلى حبه و انسه، فقـد وصـل إلى أصـل كـل سـعاده و نور و بهجه،لاـ سـيما إذا دفع عن نفسه ذمـائم الأخلاق و اتصـف بفضائلهـا. و قـد ظهر مما ذكر:أنه لا ريب فى ثبوت الشوق للعباد إلى اللّه-سبحانه-.و العجب ممن أنكر حقيقه الشوق إلى اللّه - سبحانه-لانكاره المحبه له-كما يأتى-،إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب،و قـد عرفت ثبوته من حيث النظر و الاعتبار.و لا ريب فى ثبوته -أيضا-من الآيات و الاخبار:قال اللّه-سبحانه-:

فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ... الى آخر آيه (١)

ص: ١٢٩

١- ١) الكهف،الآيه:١١١.

فان الرجاء لا ينفک عن الشوق.و قال رسول اللّه(ص)فی دعائه:

«اللهم إنی أسألک الرضاء بعد القضاء،و برد العیش بعد الموت،و لذه النظر الی وجهک الکریم،و شوقا إلی لقائک».و فی بعض الکتب السماویه:

«طال شوق الأبرار إلی لقائی.و أنا إلی لقائهم لأشد شوقا». و فی أخبار داود(ع):«إنی خلقت قلوب المشتاقین من نوری،و نعمتها بجلالی».

و فیها أیضا:«أنه تعالی أوحی إلی داود:یا داود!إلی کم تذکر الجنه و لا تسألنی الشوق إلی؟قال:یا رب!من المشتاقون إلیک؟قال:إن المشتاقین إلی الذین صفیتهم من کل کدر،و نبهتهم بالحذر،و خرقت من قلوبهم إلی خرقا ینظرون إلی،و إنی لأحمل قلوبهم بیدی فأضعها علی سمائی،ثم ادعو بملائکتی،فإذا اجتمعوا سجدونی،فأقول:انی لم اجمعکم لتسجدونی، و لکن دعوتکم لا عرض علیکم قلوب المشتاقین إلی،و أباهی بهم إیاکم،فان قلوبهم لتضیء فی سمائی لملائکتی کما تضیء الشمس لاهل الأرض،یا داود! انی خلقت قلوب المشتاقین من رضوانی،و نعمتها بنور وجهی،فاتخذتهم لنفسی محدثین،و جعلت أبدانهم موضع نظری إلی الأرض،و قطعت من قلوبهم طریقا ینظرون به إلی،یزدادون فی کل یوم شوقا».و أوحی اللّه الیه أیضا:«یا داود!لو یعلم المدبرون عنی کیف انتظاری لهم و رفقی بهم و شوقی إلی ترک معاصیهم،لماتوا شوقا إلی،و تقطعت اوصالهم عن محبتی».

و فی بعض الاخبار القدسیه:«ان لی عبادا یحبوننی و احبهم،و یشتاقون إلی و اشتاق إلیهم،و یذکروننی و أذکرهم،و اول ما اعطیتهم ان اقذف من نوری فی قلوبهم،فیخبرون عنی کما أخبر عنهم،و لو کانت السماوات و الأرض و ما فیهما فی موازینهم لاستعد بها لهم،و أقبل بوجهی علیهم،لا یعلم أحد ما أرید أن أعطیه». و قال الصادق(ع):«المشتاق لا یشتهی طعاما،و لا یلتذ

شرابا،و لا يستطيب رقادا،و لا يأنس حميما،و لا يأوى دارا،و لا يسكن عمرانا،و لا يلبس ثيابا،و لا يقر قرارا،و يعبد اللّه ليلا و نهارا،و راجيا بأن يصل إلى ما يشتاق إليه،و يناجيه بلسان الشوق معبرا عما فى سريرته، كما أخبر اللّه-تعالى-عن موسى بن عمران فى ميعاد ربه بقوله:(و عجلت اليك رب لترضى)،و فسر النبى(ص)عن حاله:(أنه ما أكل و لا شرب و لا نام،و لا اشتهى شيئا من ذلك فى ذهابه و مجيئه أربعين يوما شوقا إلى ربه)،فإذا دخلت ميدان الشوق،فكبر على نفسك و مرادك من الدنيا، و ودع جميع المألوفات،و اصرفه عن سوى مشوقك،و لب بين حياتك و موتك:لبيك اللهم لبيك!أعظم اللّه أجرك،و مثل المشتاق مثل الغريق، ليس له همه إلا خلاصه،و قد نسى كل شىء دونه» (۱)،و ما ورد فى الأدعيه المعصوميه من طلب الشوق أكثر من أن يحصى،و الظواهر الآتيه المثبته للمحبه و الانس تثبت الشوق أيضا.

و أما(الكراهه و البغض و ضدهما-اعنى الحب-)فنقول:قد عرفت أن الكراهه و البغض عباره عن نفره الطبع عن المؤلم المتعب،و الحب الذى هو ضدهما عباره عن ميل الطبع إلى الملائم الملذ.

و توضيح ذلك:أنه لا يتصور حب إلا بعد معرفه و ادراك،و كذلك لا يتصف بالحب جماد و لا يحب الإنسان ما لا يعرفه و لم يدركه،فالحب من خاصيه الحى الدراك،بعد حصول الإدراك بالفعل.

ثم لما كانت المدركات منقسمه إلى ما يوافق طبع المدارك و يلذّه،و إلى ما يخالفه و يؤلمه،و إلى ما لا يؤثر فيه بالذاذ و ايلام،فالقسم الأول يكون مرغوبا عند المدرك،و يسمى رغبه،و ميله إليه حبا،و القسم الثانى يكون

۱- ۱) صححنا الحديث على مصباح الشريعه:باب ۹۹،ص ۱۹۳-۱۹۴.

منفورا عنده،و تسمی نفرته عنه کراهه و بغضا،و الثالث لا یوصف بمیل و کراهه،فلا یوصف بکونه محبوبا،و لا مکروها.ثم اللذه لما کانت عباره عن ادراک الملائم اللذ و نیله،فالحب الذی هو المیل و الرغبه إلیه لا یخلو عن لذه محققه أو خیالیه،و علی هذا فیمکن أن تعرف المحبه بأنها ابتهاج النفس بادراک الملائم و نیله،هذا فإنک قد عرفت أن المدارک إن کان مما یستحسن حبه شرعا و عقلا،کان کراهته و بغضه من الرذائل و حبه من الفضائل، و إن کان مما یذم حبه،کان بالعکس من ذلک.

فصل (تعلق الحب بجمیع القوی)

الحب و الکراهه لما کانا تابعین للادراک،فینقسمان بحسب انقسام القوه المدرکه،التی هی الحواس الظاهره،و الحواس الباطنه،و القوه العاقله.

فمن الحب ما یتعلق بالحواس الظاهره،بمعنی أن المحبوب مما هو مدرک و ملذ عندها،کالصور الجمیله المرئیه،و النغمات الموزونه،و الروائح الطیبه، و المطاعم النفیسه،و الملبوسات اللینه بالنظر إلی الخمس الظاهره.و منه ما یتعلق بالحواس الباطنه،بمعنی أن المحبوب مما هو مدرک و ملذ عندها، کالصور الملائمه الخیالیه،و المعانی الجزئیه الملائمه بالنسبه إلی المتخیله و الواهمه.و منه ما یتعلق بالعاقله،بمعنی أن المحبوب مما هو مدرک و ملذ عندها،کالمعانی الکلیه،و الذوات المجرده.و لا ریب فی أن العقلی من الحب و اللذات أقوی اللذات و أبلغها،إذا البصیره الباطنه أقوی من البصیره الظاهره و العقل أقوی إدراکا و أشد غوصا و نفوذا فی حقائق الأشیاء و بواطنها من الحس،و جمال المعانی المدرکه بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهره الحسنه،فتکون لذه العقل و حبه بما یدرکه من الأمور الشریفه الإلهیه التی

جلت عن ادراک الحواس أتم و ابلغ،و لذا جعل رسول اللّه(ص)الصلاه أبلغ المحبوبات عنده فی الدنیا،حیث قال:«حبب إلیّ من دنیاکم ثلاث:

الطیب،و النساء،و جعلت قره عینی فی الصلاه»،فان الالتذاذ بالصلاه لذه عقلیه،کما أن الالتذاذ بالطیب لذه شمیه،و بالنساء نظریه و لمسیه.

فان قیل:حقیقه الإنسان نفسه الناطقه،و لها ثلاث قوی،و هی:

العاقله،و الشهویه،و الغضبیه،و قوی أخری هی:الحواس الظاهره و الحواس الباطنه،و شأن العاقله-کما ذکرت-ادراک المعانی الکلیه،و الحقائق المجرده،و شأن الحواس الظاهره ادراک المبصرات و المسموعات و المشمومات و المذوقات و الملموسات،و شأن الحواس الباطنه ادراک المعانی الجزئیه، و الصور المدرکه بالحواس الظاهره و ضبطها،و من جمله ما یدرک بالحواس ما یتعلق بقوتی الغضب و الشهوه،من الغلبه و الاستیلاء و الوصول إلی المناکح و المطاعم و ضدهما،فالمحب لهذه المدرکات و الملتذ بها ما ذا من النفس و قواها المذکوره،و هل المحب و الملتذ هو المدرک بعینه أو غیره؟ قلنا:المحب و الملتذ أولا فی کل من هذه المدرکات هو المدرک،و ثانیا و بالواسطه هو النفس،إذ کل ادراک یتعلق بإحدی القوی لیصل بالآخره الی النفس،فیحدث فیها ما یقتضیه من اللذه و الألم،إلا أن ما یدرک بالحواس مما یتعلق بقوتی الشهوه و الغضب لا بد أن یصل إلیهما أیضا،فیحصل لهما اللذه أو الألم،و بواسطتهما یصل إلی النفس،فالمدرک أولا للغلبه أو العجز هو الوهم،فیلتذ أو یتألم،ثم یصل منه أثر الإدراک و الالتذاذ و الألم إلی القوه الغضبیه،و یصل منها الأثر إلی النفس فیلتذ أو یتألم،و المدرک للطعم و الریح و اللین و النعومه هی الذائقه و الشامه و اللامسه،فالالتذاذ و التألم لها أولا و بواسطتها للقوه الشهویه،و هذا إن کانت الشهویه قوه علی حده سوی

الذائقه و الشامه و اللامسه و سائر الحواس الظاهره،و إن كانت معنى جنسيا شاملا لجميعها فالامر ظاهر.و بما ذكر ظهر وجه تعلق الحب بجميع القوى.

فصل (اقسام الحب بحسب مباديه)

اعلم ان أسباب الحب و مباديها لما كانت متعدده مختلفه فينقسم الحب لاجلها على أقسام:

الأول-حب الإنسان وجود نفسه و بقاءه و كماله،

و هو أشد اقسام الحب و اقواها،لان المحبه إنما تكون بقدر الملاءمه و المعرفه،و لا شيء أشد ملاءمه لاحد من نفسه،و لا هو بشيء أقوى معرفه منه بنفسه،و لهذا جعلت معرفه نفسه مفتاحا لمعرفه ربه (۱).و كيف لا يكون حب الشيء لذاته أقوى المراتب،مع أن الحب كلما صار أشد جعل الاتحاد بين المحب و المحبوب أوكد و أبلغ؟و أى اتحاد أشد من الوحده و رفع الاثنينيه بالمره،كما بين الشيء و نفسه،فالمحب و المحبوب واحد،و سبب الحب غريزه فى الطباع بحكم سنه اللّه:

وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّهِ تَبْدِيلاً

(۲)

.

و معنى حبه لنفسه كونه محبا لدوام وجوده،و مكرها لعدمه و هلاكه، فالبقاء و دوام الوجود محبوب،و العدم ممقوت،و لذا يبغض كل أحد الموت، لا بمجرد ما يخافه بعده،أو لمجرد ما يلزمه من سكراته،بل لظنه أنه يوجب انعدام كله أو بعضه،و لذا لو اختطف من غير الم و تعب،و اميت من غير ثواب و عقاب،كان كارها لذلك،و كما ان دوام الوجود محبوب فكذلك كمال

۱- ۱) كما قال أمير المؤمنين عليه الصلاه و السّلام:«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

۲- ۲) الأحزاب،الآيه:۶۲.الفتح،الآيه:۲۳.

الوجود محبوب،لأن فاقد الكمال ناقص،و النقص عدم بالإضافه إلى القدر المفقود،فالوجود محبوب فی أصل الذات و بقائه و فی صفات کماله،و العدم ممقوت فیها جمیعا.

و التحقیق:أن المحبوب لیس إلا الوجود،و المبغوض لیس إلا العدم، و جمیع الصفات الکمالیه راجعه إلى الوجود،و جمیع النقائص راجعه إلى العدم،إلا أن کل فرد من الموجود لما کان له نحو خاص من الوجود،و کانت تمامیه نحو وجوده بوجود بعض الصفات الکمالیه التی هی من مراتب الموجودات،فکان وجوده مرکب من وجودات متعدده،فإذا فقد بعضها فکأنه فاقد لبعض اجزاء وجوده،و بذلک یظهر:أن الموجود کلما کان أقوى و کان نحو وجوده أتم،کان اجمع لمراتب الوجودات فی القوه و الشده و العده، و کانت صفاته الکمالیه أقوى و أکثر،لکونها من مراتب الوجودات، فالوجود الواجبی الذی هو التام فوق التمام و القائم بنفسه المقوم لغیره ینطوی فیه جمیع الوجودات،و یکون محیطا بالکل،ثم محبه الأولاد من التحقیق یرجع إلى هذا القسم،لان الرجل إنما یحب ولده و یتحمل المشاق لاجله، و ان لم یصل منه إلیه نفع و حظ،لعلمه بانه خلیفته فی الوجود بعد عدمه، فکأن بقاءه نوع بقاء له،فلفرط حبه لبقاء نفسه یحب بقاء من هو قائم مقامه و بمنزله جزء منه،لما عجز من الطمع فی بقاء نفسه،و لعدم کون بقائه هو بقاؤه بعینه یکون بقاء نفسه أحب إلیه من بقاء ولده لو کان طبعه باقیا على اعتداله،و کذلک حبه لاقاربه و عشیرته یرجع إلى حبه لکمال نفسه،فانه یرى نفسه کبیرا قویا لاجلهم،متجملا بسببهم،إذ العشیره کالجناح المکمل للانسان (1).

1- 1) کما قال أمیر المؤمنین-علیه الصلاه و السّلام-فی جمله ما أوصى به ولده الامام المجتبى-علیهما الصلاه و السّلام-:«و أکرم عشیرتک، فانهم جناحک الذی به تطیر،و اصلک الذی إلیه تصیر،و یدک التی بها تصول»نهج البلاغه:3-63،مطبعه الاستقامه،القاهره.

الثانی-حبه لغیره لأجل انه یلتذ منه لذه حیوانیه.

کحب کل من الرجل و المرأه للآخر لأجل الجماع،و حب الإنسان المأکولات و الملبوسات، و السبب الجامع فی هذا القسم هو اللذه،و هو سریع الحصول و سریع الزوال و اضعف المراتب،لخساسه سببه و سرعه زواله.

الثالث-حبه للغیر لأجل نفعه و إحسانه،

فان الإنسان عبد الإحسان، و قد جبلت النفوس علی حب من أحسن إلیها و بغض من أساء إلیها،و لذا قال رسول اللّه(ص):«اللهم لا تجعل لفاجر علیّ یدا فیحبه قلبی».

فالسبب الجامع فی هذا القسم هو النفع و الإحسان،و هذان القسمان عند التحقیق یرجعان إلی القسم الأول،لان المحسن من أمد بالمال و المعونه و سائر الأسباب الموصوله إلی دوام الوجود و کمال الوجود،و سبب اللذه باعث لحصول الحظوظ التی بها یتهیأ الوجود.

و الفرق أن الأعضاء،و الصحه،و العلم،و الطعام،و الشراب،و الجماع محبوبه لان بها کمال وجوده و هی عین الکمال،و أما الطبیب الذی هو سبب الصحه،و العالم الذی هو سبب العلم،و معطی الطعام و الشراب، و المرأه التی هی آله الوقاع:محبوبه لا لذواتها،بل من حیث انها وسائل إلی ما هو محبوب لذاته،فاذن یرجع الفرق إلی تفاوت الرتبه،و الکل یرجع إلی محبه الإنسان نفسه،فمن أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقیقا،بل أحب إحسانه،و لو زال إحسانه زال حبه مع بقاء ذاته،و لو نقص نقص الحب،و لو زاد زاد.و بالجمله:یتطرق إلی حبه الزیاده و النقصان بحسب زیاده الإحسان و نقصانه.

الرابع-أن یحب الشیء لذاته،

لا لحظ یناله منه وراء ذاته،بل تکون ذاته عین حظه،و هذا هو الحب الحقیقی البالغ الذی یوثق به،و ذلک

كحب الجمال و الحسن،فان كل جمال محبوب عند مدركه،و ذلك لعين الجمال، لأن ادراك الجمال عن اللذه،و اللذه محبوبه لذاتها لا لغيرها.و لا تظنن أن حب الصوره الجميله لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوه،فان قضاء الشهوه لذه حيوانيه قد يحب الإنسان الصور الجميله لأجلها،و أدراک نفس الجمال لذه أخرى روحانيه يكون محبوبا لذاتها.و لا ريب فى أن حب الصور الجميله بالجهه الأولى مذموم،و بالجهه الثانيه ممدوح،و العشق الذى يقع لبعض الناس من استحسان الصور الجميله يكون مذموما إن كان سببه اللذه الشهويه الحيوانيه،و يكون ممدوحا إن كان سببه الابتهاج بمجرد ادراک الجمال،و لأجل التباس السبب فى هذا العشق اختلف العقلاء فى مدحه و ذمه،و كيف ينكر حب الصور الجميله لنفس جمالها من دون قصد حظ آخر،مع أن الخضره و الماء الجارى محبوبان لا لتؤكل الخضره و يشرب الماء،أو ينال منهما حظ سوى نفس الرؤيه،و قد كان رسول اللّه(ص)تعجبه الخضره و الماء الجارى.و الطباع الصافيه السليمه قاضيه باستلذاذ النظر إلى الأنوار و الازهار و الأطيار المليحه الألوان الحسنه النفس المناسبه الشكل،حتى الإنسان لتنفرج عنه الغموم بمجرد النظر إليها من دون قصد حظ آخر منها.و بما ذكرناه ظهر ضعف ظن بعض ضعفاء العقول، حيث زعموا أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته،ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراک ذاته،و لم يعلموا أن الحسن و الجمال ليس مقصورا على مدركات البصر،و لا على تناسب الخلقه،إذ يقال:هذا صوت حسن،و هذا طعم حسن،و هذا ريح طيب،و ليس شىء من هذه الصفات مدركه بالبصر، و كذا ليس الحسن و الجمال مقصورا على مدركات الحواس،لوجودهما فى غيرها،فان أكثر خصال الخير يدرک بالعقل بنور البصيره الباطنه،إذ يقال:

هذا خلق حسن،و هذا علم حسن،و هذه سيره حسنه،و لا يدرک شىء من هذه

الصفات بالحواس،بل يدرك بالبصيره الباطنه،و كل هذه الخصال المدركه حسنها بالعقل محبوبه بالطبع،و الموصوف بها أيضا محبوب عند من عرف صفاته.

و مما يدل على تحقق الجمال المدرك بالعقل و كونه محبوبا:أن الطباع السليمه مجبوله على حب الأنبياء و الأئمه-عليهم السّلام-مع أنهم لم يشاهدوهم،حتى أن الرجل قد تجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق،فيحمله ذلك على أن ينفق جميع امواله فى نصره مذهبه و الذب عنه،و يخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى إمامه أو متبوعه،مع أنه لم يشاهد قط صورته و لم يسمع كلامه،فما حمله على الحب هو استحسانه بصفاته الباطنه:من الورع، و التقوى،و التوكل،و الرضا،و غزاره العلم،و الإحاطه لمدارك الدين، و انتهاضه لافاضه علم الشرع،و نشره هذه الخيرات فى العالم،و جملتها ترجع الى العلم و القدره،اذ جميع الفضائل لا تخرج عن معرفه حقائق الأمور و القدره على حمل نفسه عليها بقهر الشهوات،و هما-اعنى العلم و القدره- غير مدركين بالحواس،مع أنهما محبوبان بالطبع.و من الشواهد على المطلوب:

أن الناس لما و صفوا(حاتما)بالسخاء و(انو شيروان)بالعداله،أحبهما القلوب حبا ضروريا،من دون نظرهم إلى صورهما المحسوسه،و من غير حظ ينالونه منهما،بل كل من حكى عنه بعض خصال الخير و صفات الكمال غلب على القلوب حبه،مع عدم مشاهدته و يأس المحبين من انتشار خيره و إحسانه إليهم،و من كانت بصيرته الباطنه أقوى من حواسه الظاهره، و نور العقل اغلب عليه من آثار الحواس الحيوانيه،كان حبه للمعانى الباطنه أكثر من حبه للمعانى الظاهره،فشتان بين من يحب نقشا على الحائط لجمال صورته الظاهره،و بين من يحب سيد الرسل(ص)لجمال صورته الباطنه.

الخامس-محبته لمن بينه و بينه مناسبه خفيه،أو مجانسه معنويه،

فرب شخصين تتأكد المحبه بينهما عن غير ملاحظه جمال،و لا طمع فى جاه و مال،بل بمجرد تناسب الأرواح،كما قال النبى(ص):«الأرواح جنود مجنده،فما تعارف منها ائتلف،و ما تناكر منها اختلف».

السادس-محبته لمن حصل بينه و بينه الألف و الاجتماع فى بعض المواضع،

لا سيما إذا كان من المواضع الغريبه،كالسفن و الاسفار البعيده.

و السبب فيه:كون افراد الإنسان مجبوله على المؤانسه مع التلاقى و الاجتماع، و لكون المؤانسه مركوزه فى طبيعه الإنسان سمى إنسانا،فهو مشتق من الانس دون النسيان-كما ظن-،و المؤانسه لا تنفك عن المحبه،و ربما كان حصول المؤانسه و الحب بين أهل البلد،أو بينهم و بين أهل القرى،أو بين أهل البلاد المتباعده و المواضع المختلفه،من جمله أسرار الأمر بالجمعه و الجماعه و صلاه العيدين،و الحج الباعث لاجتماع عموم الخلائق فى موقف واحد.

السابع-محبته لمن يشاركه فى وصف ظاهر،

كميل الصبى إلى الصبى لصباه،و الشيخ إلى الشيخ لشيخوخته،و التاجر إلى التاجر لتجارته، و هكذا...فان كل شخص مائل إلى من يشاركه فى وصفه و صنعته و شغله و حرفته،و السبب الجامع فيه هو الاشتراك فى الوصف و الصنعه.

الثامن-حب كل سبب و عله لمسببه و معلوله و بالعكس،

فان المعلول لما كان مثالا من العله،و مترشحا عنها و منبجسا منها،و مناسبا لها لكونه من سنخها،فالعله تحبه لأنه فرعها و بمنزله بعض اجزائها التى كانت منطويه فيها،و المعلول يحبها لأنها أصله و بمنزله كله الذى كان محتويا عليه، فكان كلا منهما فى حبه للآخر يحب نفسه.

ثم السبب ان كان عله حقيقيه موجده،تكون سببيه أقوى فى حصول المحبه و الاتحاد مما إذا كان عله معده.فأقوى اقسام المحبه ما يكون للواجب

-سبحانه-بالنسبه إلى عباده،و بعد ذلك لا محبه أقوى من محبه العباد العارفين بالنسبه إليه-سبحانه-،فان محبتهم له من حيث كونه موجدا مخرجا لهم من العدم الصرف إلى الوجود،و معطيا لهم ما احتاجوا إليه فى النشأتين، و من حيث إنه-تعالى-تام فوق التمام فى الذات و الصفات الكماليه،و النفس بذاتها مشتاقه إلى الكمال المطلق،و هذا المحبه فرع المحبه و لا تحصل بدونها، و لذا قال سيد الرسل(ص):«ما اتخذ اللّه وليا جاهلا قط».و حب الأب لابنه و بالعكس نسبه هذا القسم،من حيث إن الأب سبب ظاهر لوجود الابن،و إن لم يكن سببا حقيقيا،بل عله معده له،فيحبه لأنه يراه بمنزله نفسه، و يظنه مثالا من ذاته،و نسخه نقلتها الطبيعه من صورته،و يعد وجوده بمنزله البقاء الثانى لنفسه،فيظنه أنه جزؤه و فى الخلق و الخلق مثله،و كذا كل ما يريد لنفسه من الكمالات يريد أفضله له،و يفرح بترجيحه عليه،و تفضيله عليه عنده بمثابه أن يقال:انه فى الآن أفضل من السابق،و مما يؤكد محبته له:أنه يرجو منه انجاح مقاصده و مطالبه فى حياته و مماته،و ليست محبه الابن للأب كمحبه الأب للابن،بل هو أضعف،لفقد بعض الأسباب الباعثه له،و لذا أمر الاولاد فى الشريعه بحب الآباء دون العكس،و كذا المحبه التى بين المعلم و المتعلم من هذا القسم،لأن المعلم كالسبب القريب للحياه الروحانى للمتعلم و إفاضه الصوره الإنسانيه عليه،كما أن الأب كالسبب لحياته الجسمانيه و رتبته الصوريه،فهو والد روحانى له،و بقدر شرافه الروح على الجسم يكون المعلم أشرف من الأب،و على هذا ينبغى أن تكون محبه المعلم أدون من محبه الموجود الحقيقى و أكثر من محبه الأب،و قد ورد فى الحديث:«ان آباءك ثلاثه:

من ولدك،و من علمك،و من زوجك،و خير الاباء من علمك». و سئل من ذى القرنين:أن أباك أحب إليك أم معلمك؟قال:«معلمى أحب الى،لأنه

سبب لحياتی الباقيه،و أبی سبب لحياتی الفانيه».و قال أمير المؤمنين(ع):

«من علمنی حرفا فقد صيرنی عبدا».و علی هذا ينبغی ان يكون حب النبی (ص)و اوصيائه الراشدين-عليهم السّلام-اوكد من جميع اقسام الحب بعد محبه اللّه-سبحانه-،لأنه المعلم الحقيقی و المكمل الأول،و لذا قال(ص):

«لا يؤمن أحدكم حتی أكون أحب إليه من نفسه و أهله و ولده».

التاسع-محبه المتشاركين فی سبب واحد بعضهم لبعض،

كمحبه الاخوان و الأقارب.و كلما كان السبب أقرب كانت المحبه اوكد،و لذا تكون محبه الاخوين أشد من محبه أبناء الاعمام مثلا،و من عرف اللّه و انتساب الكل إليه،و بلغ مقام التوحيد،و عرف النسبه و الربط الخاص الذی بين اللّه و بين مخلوقاته،يحب جميع الموجودات من حيث اشتراكه معها فی الموجد الحقيقی. ثم قد يجتمع بعض أسباب المحبه أكثرها فی شخص واحد، فيتضاعف الحب،كما لو كان لرجل ولد جميل الصوره،حسن الخلق،كامل العلم،حسن التدبير،محسن إلی والده و إلی الخلق،كان حب والده له فی غايه الشده،لاجتماع أكثر أسباب الحب فيه،و ربما أحب شخصا آخر لوجود بعض أسباب الحب فيه من دون عكس،لعدم تحقق سبب من أسباب الحب فيه،و قد تختلف فيهما أسباب الحب،فيحب كل منهما الآخر من جهه،و تكون قوه الحب بقدر قوه السبب،فكلما كان السبب أكثر و أقوی كان الحب أشد و اوكد.

فصل (لا محبوب حقيقه الا اللّه)

اعلم انه لا مستحق للحب غير اللّه-سبحانه-،و لا محبوب بالحقيقه عند ذوی البصائر الا هو،و لو كان غيره-تعالی-قابلا للحب و موضعا له فانما هو

من حیث نسبته إلیه-تعالی-،فمن أحب غیره-تعالی-لا من حیث نسبته الیه،فذلک لجهله و قصوره فی معرفه اللّه،و کیف یکون غیره-سبحانه- من حیث هو،لا من جهه انتسابه إلیه،مستحقا للحب،و هو فی نفسه مع قطع النظر عنه-تعالی-و عن انتسابه إلیه لیس الا العدم،و العدم کیف یصلح للحب،فینبغی ان یکون حبه لعموم الخلق بعموم النسبه،ای من حیث أنها منه-تعالی-،و آثاره،و معلولاته،و اضوائه و اظلاله،و لخصوص بعض الخواص الذین لهم خصوصیه نسبه إلیه-تعالی-،کالحب،و الانس، و المعرفه،و الاطاعه لخصوص النسبه أیضا.

و مما یوضح المطلوب:ان جمیع أسباب الحب مجتمعه فی حق اللّه-تعالی-، و لا توجد فی غیره حقیقه،و وجودها فی حق غیره و هم و تخیل و مجاز محض لا حقیقه له.

اما السبب الأول-اعنی محبه النفس:فمعلوم ان وجود کل أحد فرع لوجود ربه و ظل له،و لا وجود له من ذاته،بل هو من حیث ذاته لیس محض و عدم صرف،فوجوده و دوام وجوده و کمال وجوده من اللّه و باللّه و إلی اللّه،فهو الموجد المخترع له،و هو المبقی له،و هو المکمل لوجوده بایجاد صفات الکمال فیه،فهو صرف العدم لولا فضل اللّه علیه بالایجاد، و هالک بعد وجوده لو لا فضله علیه بالابقاء،و ناقص بعد بقائه لولا فضله علیه بالتکمیل،فلیس فی الوجود شیء له قوام بنفسه الا القیوم المطلق الذی هو قائم بذاته و مقوم لغیره.و حینئذ،فمحبه کل شیء لنفسه ترجع إلی محبه ربه،و ان لم یشعر المحب به،و کیف یتصور ان یحب الإنسان نفسه و لا یحب ربه الذی به قوام نفسه؟مع ان من أحب الظل أحب بالضروره الأشجار التی بها قوام الظل،و من أحب النور أحب لا محاله

الشمس التى بها قوام النور،و كل ما فى الوجود بالإضافه إلى قدره اللّه-تعالى- كالظل بالإضافه إلى الشجر و النور بالإضافه إلى الشمس،اذ الكل من آثار قدرته،و وجوده تابع لوجوده،كما ان وجود الظل تابع لوجود الشخص، و وجود النور تابع لوجود الشمس،بل هذا المثال انما هو للتفهم،و بالإضافه إلى اوهام العوام،حيث يتوهمون ان الظل و النور تابعان للشخص و الشمس و فايضان عنهما،و عند التحقيق ليس الظل و النور أثرين للشخص و الشمس و موجودين بهما،بل هما فايضان من اللّه-تعالى-،موجودان به بعد حصول الشرائط، كما ان أصل الشخص و الشمس و شكلهما و صورتهما و سائر صفاتهما منه-تعالى- و اما السبب الثانى،و الثالث-اعنى الالتذاذ و الإحسان،سواء كان متعديا إلى المحب أم لا:فمعلوم انه لا لذه و لا إحسان الا من اللّه-تعالى-، و لا محسن سوى اللّه،فانه خالق الإحسان و ذويه،و فاعل أسبابه و دواعيه، و كل محسن فهو حسنه من حسنات قدرته و حسن فعاله،و قدره من بحار كماله و أفضاله.

و اما الرابع-اعنى الحسن و الجمال و الكمال:فلا ريب فى انه-تعالى- هو الجميل بذاته و الكامل بذاته،و هو الجمال الخالص،و الكمال المطلق، و حقيقتهما منحصره به-تعالى-،و ما يوجد فى غيره-تعالى-من الجمال و الكمال لا يخلو عن شوائب الخلل و النقصان،اذ النقص شامل لجميع الممكنات و انما تتفاوت فى درجات النقص.و قد عرفت ان الجمال المعنوى أقوى من الجمال الصورى،و من كان من أهل البصيره و الكمال يكون حبه للجمال الباطن المعنوى أكثر و أقوى من حبه للجمال الصورى،و حقيقه الجمال المعنوى الذى هو وجوب الوجود،و كمال العلم و القدره،و الاستيلاء على الكل،و استناد الجميع إليه،منحصر باللّه-تعالى-،فإذا كان الجمال

المشوب بالنقص محبوبا،فكيف لا يكون الجمال الخالص البحت الذى لا يتصور جمال فوقه محبوبا،بل المحبوب حقيقه ليس الا هو.

بادهٔ خاك آلودتان مجنون كند

صاف اگر باشد ندانم چون كند (۱)

على ان كل جميل بالجمال الظاهر الصورى،او بالجمال الباطن المعنوى، رشحه من رشحات جماله،و كل كامل فكماله فرع كماله،فكل من أحب جميلا ـ أحب خالقه و ما أحب أحدا غير اللّه-تعالى-،لكنه احتجب عنه تحت وجوه الاحباب و استار الأسباب،هذا مع ان عمده جمال المخلوقين انما هو علمهم باللّه و بصفاته و افعاله،و قدرتهم على الصلاح نفوسهم بازاله الرذائل و الخبائث الشهويه المانعه عن التقرب إلى اللّه-تعالى-،و باتصافهم بمعالى الصفات و شرائفها المقربه إلى اللّه،و على إصلاح عباد اللّه بالارشاد و السياسه،و معلوم ان هذه الأمور اضافات إلى اللّه-سبحانه-،فحبها يرجع إلى حبه-تعالى-.

و اما الخامس-اعنى المناسبه الخفيه و المجانسه المعنويه:فلا ريب فى ان للنفس الناطقه الإنسانيه مناسبه مجهوله خفيه مع باريها و موجدها،اذ هى شعله من شعلات جلاله،و بارقه من بوارق جماله،و لذا قال اللّه-سبحانه-:

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى

(۲)

.و قال: إِنِّى جٰاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً (۳).

اذ لم يستحق آدم خلافه اللّه لا بتلك المناسبه،و بهذه المناسبه ينقطع العبد إلى ربه،و يعرفه عند ابتلائه بمصيبه و بليه،و هذه المناسبه لا تظهر

ص:۱۴۴

۱- ۱) ان خمركم الملوث بالغبار يجننى!! فلست ادرى ما هو مفعوله ان كان صافيا؟!!

۲- ۲) بنى أسرائيل،الآيه:۸۵.

۳- ۳) البقره:الآيه:۳۰.

ظهورا تاما إلا بالمواظبه على النوافل بعد احكام الفرائض،كما قال اللّه -تعالى-:«لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه،فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به،و بصره الذى يبصر به،و لسانه الذى ينطق به».و هذا موضع تزل فيه الاقدام،حتى وقع قوم فى التشبيه الظاهر،و آخرون فى الحلول و الاتحاد،و أهل الحق الذين انكشفت لهم استحاله التشبيه و الاتحاد، و فساد طرفى التفريط و الإفراط،و اتضحت لهم حقيقه السر،و عرفوا تلك المناسبه و استقاموا عليها:هم الاقلون.ثم من المناسبه الظاهره التى بين العبد و بين ربه هو قرب العبد من اللّه فى الصفات الربوبيه و الأخلاق الإلهيه:

كالعلم،و البر،و الإحسان،و اللطف،و إفاضه الخير و الحرمه على الخلق، و إرشادهم إلى الحق...الى غير ذلك من الصفات الإلهيه،و لذا قيل:

تخلقوا باخلاق اللّه.و لا ريب فى ان ذلك يقرب العبد إلى اللّه،و يصيره مناسبا له.و اما العليه و المعلوليه فالامر فيه ظاهر،و باقى الأسباب أسباب ضعيفه نادره،اعتبارها فى حق اللّه نقص.

و قد ظهر مما ذكر:أن أسباب الحب بجملتها متظاهره فى حق اللّه-تعالى- تحقيقا لا مجازا،و فى أعلى الدرجات لا ادناها.ثم كل من يحب أحدا من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته إياه فى السبب.

و الشركه نقصان فى الحب،لا يتصف أحد بوصف محبوب إلا و يوجد شريك له فيه،و اللّه-سبحانه-هو الذى لا يشاركه غيره فى اوصاف الكمال و الجمال،لا وجودا و لا امكانا،فلا جرم لا يكون فى حبه شركه،فلا يتطرق إليه نقصان،كما لا تتطرق الشركه و النقصان إلى اوصاف كماله،فهو المستحق لاصل المحبه و كمالها،و لا متعلق للمحبه إلا هو،إلا انه لا يعرف ذلك إلا العارفون من أوليائه و احبائه،كما قال سيد الشهداء(عليه السّلام)

فی دعاء عرفه بقوله:«و أنت الذی ازلت الاغیار عن قلوب احبائک،حتی لم یحبوا سواک،و لم یلجأوا إلی غیرک».

تکمیل (الشهود التام هو نهایه درجات العشق)

قد صرح اساطین الحکمه:«ان الأشیاء المختلفه لا یمکن ان یحصل بینها تشاکل و تآلف تام حتی یحصل بینها الاتحاد و المحبه،و اما الأشیاء المتماثله المتشاکله فیشتاق بعضها إلی بعض و یسر بعضها ببعض،و یحصل بینها التآلف و الحب و الوحده و الاتحاد».

و التوضیح:ان الجواهر البسیطه لتشاکلها و تماثلها یحن بعضها إلی بعض فیحصل بینها التآلف التام،و التوحد الحقیقی فی الذوات و الحقائق،بحیث یرتفع عنها التغایر و الاختلاف،إذ التغایر من لوازم المادیه.و اما المادیات فلا یمکن ان یحصل بینها هذا التآلف و التوحد،و لو حصل بینهما تآلف و شوق،فانما هو بتلاقی السطوح و النهایات دون الحقائق و الذوات،و لیس یمکن ان یبلغ مثل هذه الملاقاه إلی درجه الاتحاد و الاتصال فیحصل بینها الانفصال.فالجوهر البسیط المودع فی الإنسان-اعنی النفس الناطقه-اذا صفی عن الکدورات الطبیعیه،و تطهر عن الاخباث الجسمانیه،و تخلی عن حب الشهوات و العلائق الدنیویه،انجذب بحکم المناسبه إلی عالم القدس، و حدث فیه شوق تام إلی اشباهه من الجواهر المجرده،و یرتفع منها إلی ما هو فوق الکل و منبع جمیع الخیرات،فیستغرق فی مشاهده الجمال الحقیقی، و مطالعه جمال الخیر المحض،و ینمحی فی أَنوار تجلیاته القاهره،و یصل إلی مقام التوحید الذی هو نهایه المقامات،فیفیض علیه من أَنواره ما لا عین رأت،و لا إذن سمعت،و لا خطر علی خاطر،فیحصل له من البهجه و اللذه

ما یضمحل عنده کل بهجه و لذه،و النفس التی بلغت هذا المقام لا یتفاوت حالها کثیرا فی حالتی التعلیق بالبدن و التجرد عنه،إذ استعمال القوی البدنیه لا یصدها عن ملاحظه الجمال المطلق،و ما یحصل لغیرها من السعاده فی الآخره یحصل لها فی هذه النشأه:

امروز در آن کوش که بینا باشی

حیران جمال آن دلارا باشی

شرمت بادا چو کودکان در شب عید

تا چند در انتظار فردا باشی؟

[۱] نعم،الشهود التام،و الابتهاج الصافی عن الشوب،یتوقف علی تجردها الکلی عن البدن،فانها و إن لا حظت بنور البصیره فی هذه النشأه جمال الوحده الصرفه،إلا أن ملاحظتها لا تخلو عن شوائب الکدره الناشیه من الطبیعه، فالصفاء التام یتوقف علی التجرد الکلی،و لذا تشتاق أبدا إلی رفع هذا الحجاب،و یقول:

حجاب چهرهٔ جان میشود غبار تنم

خوشا دمی که از این چهره پرده بر فکنم

چنین قفس نه سرای چو من خوش الحانی است

روم بروضهٔ رضوان که مرغ آن چمنم

[۲]

و هـذه المحبه نهـايه درجات العشق،و غايه الكمال المتصوره لنوع الإنسان،و ذروه مقامات الواصـلين،و غايه مراتب الكاملين،فما بعـدها مقام إلا و هو ثمره من ثمراتها،كالانس و الرضا و التوحيـد،و لا قبلها مقام إلا و هو مقدمه من مقدماتها،كالصبر و الزهد و سائر المقامات،و هذا العشق هو الذى افرط العرفاء و أرباب الذوق فى مدحه،و بالغوا فى الثناء عليه نثرا و نظما.

و صرحوا بأنه غايه الاتحاد و الكمال المطلق،و لا كمال إلا هو،و لا سعاده الا به،كما قيل:

عشق است هر چه هست بگفتيم و گفته اند

عشقت بوصل دوست رساند بضرب دست

[۱] و قيل:

جز محبت هر چه بردم سود در محشر نداشت

دين و دانش عرض كردم كس بچيزى بر نداشت[۲]

فصل (سريان الحب فى الموجودات)

أكثر اقسـام المحبـه فطريـه طـبيعيه،كمحبه المتنـاسبين و المتجانسـين،و العله و المعلـول،و محبه الجمـال و غير ذلـك،و الاـرادى الكسبى منهـا قليـل،كمحبه المتعلم للمعلم،و ربمـا أمكن ارجـاعه أيضـا إلى الطبيعى.و إذا كـان الحب طبيعيـا فالاتحاد الـذى من مقتضياته يكون أيضا طبيعيا،فيكون لذلك أفضل من

ص: ۱۴۸

العداله التی تقتضی الاتحاد الصناعی.ثم مع وجود المحبه لا حاجه إلی العداله إذ هی فرع الکثره المحوجه إلی الاتحاد القشری،فمع وجود الاتحاد الطبیعی لا یقع الاحتیاج إلیه،و قد صرح قدماء الحکمه بأن قوام الموجودات و انتظامها بالمحبه،و المحبه الفطریه ثابته بینها،و لیس شیء من الموجودات خالیا عنها کما أنه لیس شیء منها خالیا عن الوجود و الوحده،و قد صرّحوا بأنه کل الوحده،فهو سار فی جمیع الکائنات:من الأفلاک و العناصر و المرکبات،إذ الحب و الشوق إلی التشبه بالفاعل رقص الأفلاک و ادار رحاها، (بسم اللّه مجراها و مرساها) و الحب هو سبب میل العناصر إلی اجسادها الطبیعیه، و میل المرکبات بعضها إلی بعض:

سرّ حب ازلی بر همه اشیا ساریست

ورنه بر گل نزدی بلبل بیدل فریاد

[۱] ثم لما کانت المحبه التی هی ظل الوحده مقتضیه للبقاء و الکمال،و ضدها موجبا للفساد و الاختلال،و لکل منهما مراتب و درجات،فتختلف الموجودات بحسبها فی درجات الکمال و النقصان.و المتأخرون خصصوا الحب بذوی العقول،فلا یطلقون اسم الحب علی میل العناصر إلی مراکزها و میل المرکبات بعضها إلی بعض،کمیل الحدید إلی المغناطیس،و لا اسم الکراهه و البغض علی المنافره التی بینها،کمنافره الحجر الباغض الحل من الحل،بل یسمونها بالمیل و الهرب،و کذا الموافقه و المعاداه اللتین بین العجم من الحیوانات،لا یطلقون علیها اسم الحب و البغض،بل یسمونها بالألف و النفره.

فصل (رد المنكرين لحب اللّه)

قد ظهر مما ذكر:ثبوت حقيقه المحبه و لوازمها من الشوق و الانس للّه -تعالى-،و أنه المستحق للحب دون غيره،و بذلك ظهر فساد زعم من أنكر إمكان حصول محبه العبد اللّه-تعالى-و قال:«لا معنى لها إلا المواظبه على طاعه اللّه،و اما حقيقه المحبه فمحال الا مع الجنس و المثل».

و لما أنكروا المحبه،أنكروا الأنس و الشوق و لذه المناجاه و سائر لوازم الحب و توابعه،و يدل على فساد هذا القول-مضافا إلى ما ذكر-إجماع الأمه على كون الحب للّه و لرسوله فرضا،و ما ورد فى الآيات و الأخبار و الآثار من الأمر به و المدح عليه،و اتصاف الأنبياء و الأولياء به،و حكايات المحبين،و قد بلغت من الكثره و الصراحه حدا لا يقبل الكذب و التأويل، فمن شواهد القرآن قوله-تعالى-:

يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ

(۱)

.و قوله: وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (۲).و قوله-تعالى-: قُلْ إِنْ كٰانَ آبٰاؤُكُمْ وَ أَبْنٰاؤُكُمْ وَ إِخْوٰانُكُمْ وَ أَزْوٰاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ...

-الى قوله-: أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ... الى آخر الآيه (۳).

و أما الاخبار الوارده و الآثار،فقد قال رسول اللّه(ص):«لا يؤمن

۱- ۱) المائده،الآيه:۵۷.

۲- ۲) البقره،الآيه:۱۶۵.

۳- ۳) التوبه،الآيه:۲۵.

أحدكم حتى يكون اللّه و رسوله أحب إليه مما سواهما».و قال(ص):«الحب من شروط الايمان».و قال(ص):«احبوا اللّه لما يغدوكم به من نعمه، و احبونى لحب اللّه».و قد نظر(ص)الى بعض أصحابه مقبلا و عليه اهاب كبش،فقال(ص):«انظروا إلى هذا الرجل الذى قد نور اللّه قلبه،لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام و الشراب،فدعاه حب اللّه و حب رسوله إلى ما ترون». و قال(ص)فى دعائه:«اللهم ارزقنى حبك و حب من يحبك و حب من يقربنى إلى حبك،و اجعل حبك أحب الى من الماء البارد». و فى الخبر المشهور:«ان إبراهيم(ع)قال لملك الموت،اذ جاءه لقبض روحه:هل رأيت خليلا يميت خليله؟فأوحى اللّه-تعالى-اليه:

هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه؟فقال:يا ملك الموت:الآن فاقبض».

و أوحى اللّه إلى موسى(ع):«يا ابن عمران!كذب من زعم انه يحبنى فإذا جنه الليل نام عنى،اليس كل محب يحب خلوه حبيبه،ها انا ذا يا ابن عمران مطلع على احبائى،اذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلى من قلوبهم،و مثلت عقوبتى بين أعينهم،يخاطبونى عن المشاهده،و يكلمونى عن الحضور،يا ابن عمران!هب لى من قلبك الخشوع،و من بدنك الخضوع،و من عينك الدموع فى ظلم الليل،فانك تجدنى قريبا». و روى:«ان عيسى(ع)مرّ بثلاثه نفر قد نحلت أبدانهم و تغيرت الوانهم،فقال لهم:ما الذى بلغ بكم ما أرى؟فقالوا:الخوف من النار،فقال:حق على اللّه ان يؤمن الخائف.

ثم جاوزهم إلى ثلاثه أخرى،فإذا هم أشدّ نحولا و تغيرا،فقال لهم:ما الذى بلغ بكم ما أرى؟فقالوا:الشوق إلى الجنه،فقال:حق على اللّه ان يعطيكم ما ترجون.ثم جاوزهم إلى ثلاثه أخرى،فإذا هم أشد نحولا و تغيرا،كأن على وجوههم المرايا من النور،فقال:ما الذى بلغ بكم ما أرى؟قالوا:حب

اللّه-عز و جل-،فقال:انتم المقربون».و فى بعض الروايات:«انه(ع) قال للطائفتين الأولیین:مخلوقا خفتم،و مخلوقا رجوتم.و قال للطائفه الثالثه:

انتم أولياء اللّه حقا،معكم أمرت ان أقيم». و قال رسول اللّه(ص):«ان شعيبا(ع)بكى من حب اللّه-عز و جل-حتى عمن،فرد اللّه عليه بصره،ثم بكى حتى عمى،فرد اللّه عليه بصره،فلما كانت الرابعه أوحى اللّه إليه:يا شعيب! الى متى يكون هذا ابدا منك،ان يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتک،و ان يكن شوقا إلى الجنه فقد أبحتک.فقال:إلهى و سيدى!أنت تعلم انى ما بكيت خوفا من نارک،و لا شوقا إلى جنتک،و لكن عقد حبک على قلبى، فلست اصبر او اراک.فاوحى اللّه:اما إذا كان هذا هكذا سأخدمک كليمى موسى بن عمران».و روى:«انه جاء اعرابى إلى النبى(ص)فقال:

يا رسول اللّه!متى الساعه؟فقال(ص):ما اعددت لها؟قال:ما اعددت لها كثير صلاه و لا صيام،إلا انى أحب اللّه و رسوله،فقال له النبى:المرء مع من أحب». و فى اخبار داود:«قل لعبادى المتوجهين إلى محبتى:ما ضركم إذا احتجبتم عن خلقى إذ رفعت الحجاب فيما بينى و بينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم،و ما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذ بسطت دينى لكم، و ما ضركم مسخطه الخلق إذ التمستم رضاى».و فيها أيضا:«يا داود!انک تزعم انک تحبنى،فان كنت تحبنى فاخرج حب الدنيا عن قلبک،فان حبى و حبها لا يجتمعان فى قلب».و قال أمير المؤمنين(ع)فى دعاء كميل:«فهبنى يا الهى و سيدى و مولاى و ربى صبرت على عذابک،فكيف اصبر على فراقک؟». و قال -عليه السّلام-:«ان للّه-تعالى-شرابا لأوليائه،اذا شربوا سكروا،و إذا سكروا طربوا،و إذا طربوا طابوا،و إذا طابوا ذابوا،و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا،و إذا طلبوا وجدوا،و إذا وجدوا و صلوا،و إذا وصلوا

اتصلوا،و إذا اتصلوا لا ـ فرق بينهم و بين حبيبهم» (۱). و قال سيد الشهداء فی دعاء عرفه:«أنت الذی أزلت الأغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك و لم يلجأوا إلى غيرك».و قال(ع):«يا من أذاق احباءه حلاوه المؤانسه فقاموا بين يديه متملقين».و فی المناجاه الانجيليه المنسوبه إلى سيد الساجدين(ع):«و عزتك!لقد أحببتك محبه استقرت فی قلبی حلاوتها، و انست نفسی ببشارتها،و محال فی عدل أقضيتك أن تسد أسباب رحمتك عن معتقدی محبتك».و فی مناجاته الأخرى:«إلهی فاجعلنا من الذين توشحت اشجار الشوق إليك فی حدائق صدورهم،و أخذت لوعه محبتك بمجامع قلوبهم»...ثم قال:«و الحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، و بابك على الدوام يطرقون،و إياك فی الليل و النهار يعبدون،و هم من هيبتك مشفقون،الذين صفيت لهم المشارب،و بلغتهم الرغائب،و انجحت لهم المطالب،و قضيت لهم من وصلك المآرب،و ملأت لهم ضمائرهم من حبك، و رويتهم صافی شرابك،فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا،و منك على أقصى مقاصدهم حصلوا»...ثم قال:«فقد انقطعت إليك همتی،و انصرفت نحوك رغبتی،فأنت لا غيرك مرادی،و لك لا سواك سهری و سهادی.

و لقاؤك قره عينی،و وصلك منى نفسی،و إليك شوقی،و فی محبتك و لهی، و إلى هواك صبابتی،و رضاك بغيتی،و رؤيتك حاجتی،و جوارك طلبی، و قربك غايه مسألتی،و فی مناجاتك روحی و راحتی،و عندك دواء علتی، و شفاء غلتی،و برد لوعتی،و كشف كربتی»...ثم قال:«و لا تقطعنی عنك،و لا تباعدنی منك،يا نعيمی و جنتی!و يا دنيای و آخرتی!».

و قال(ع)أيضا:«إلهی!من ذا الذی ذاق حلاوه محبتك فرام منك بدلا،

ص: ۱۵۳

۱- ۱) لم نعثر على مصدر لهذه الروايه فی كتب أصحابنا الإماميه-رضوان اللّه عليهم-.

و من ذا الـذی أنس بقربـک فابتغی عنک حولا،إلهی!فاجعلنی ممن اصـطفیته لقربک و ولایتک،و أخلصـته لودک و محبتک،و شوقته إلی لقائک،و رضیته بقضائک،و منحته بالنظر إلی وجهک،و حبوته برضاک،و أعذته من هجرک»...ثم قال:«و هیمت قلبه لارادتک،و اجتبیته لمشاهـدتک، و اخلیت وجهه لک،و فرغت فؤاده لحبک»...ثم قال:«اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتیاح إلیک و الحنین،و دهرهم الزفره و الأنین،و جباهم ساجده لعظمتک،و عیونهم ساهره فی خدمتک،و دموعهم سائله من خشیتک و قلوبهم معلقه محبتک،و افئدتهم منخلعه من مهابتک.یا من أَنوار قدسه لأبصار محبیه رائقه،و سبحات نور وجهه لقلوب عارفیه شائقه!یا منی قلوب المشتاقین،و غایه آمال المحبین!أسألک حبک و حب من یحبک و حب کل عمل یوصل إلی قربک،و أن تجعلک أحب إلی ممن سواک». و قال(ع) أیضا:«إلهی!ما ألذ خواطر الإلهام بذکرک علی القلوب،و ما أحلی المسیر الیک فی مسالک الغیوب،و ما أطیب طعم حبک،و ما أعذب شرب قربک».

و قال(ع)أیضا:«و غلتی لا یبردها إلا وصلک،و لوعتی لا یطفیها إلا لقاؤک و شوقی إلیک لا یبله إلا النظر إلی وجهک،و قراری لا یقر دون دنوی منک، و لهفتی لا یردها إلا روحک،و سقمی لا یشفیه الا طبک،و غمی لا یزیله لا قربک،و جرحی لا یبرؤه إلا صفحک،و رین قلبی لا یجلوه إلا عفوک، و وسواس صدری لا یزیحه إلا أمرک» (۱). و قال الصادق(ع):«حب اللّه إذا أضاء علی سر عبد أخلاه عن کل شاغل و کل ذکر سوی اللّه،و المحب أخلص الناس سرا للّه،و أصدقهم قولا،و أوفاهم عهدا،و أزکاهم عملا،

۱- ۱) صححنا فقرات المناجاه الانجیلیه و المناجاه الأخری علی(البحار) باب أدعیه المناجاه:مج ۱۹-۱۰۷-۱۱۴،ط امین الضرب.

و أصفاهم ذكرا،و اعبدهم نفسا،تتباهى الملائكه عند مناجاته،و تفتخر برؤيته،و به يعمر اللّه بلاده،و بكرامته يكرم اللّه عباده،و يعطيهم اذا سألوه بحقه،و يدفع عنهم البلايا برحمته،و لو علم الخلق ما محله عند اللّه و منزلته لديه ما تقربوا إلى اللّه إلا بتراب قدميه». و قال امير المؤمنين(ع):«حب اللّه نار لا يمر على شيء إلا احترق،و نور اللّه لا يطلع على شيء الا اضاء،و سماء اللّه ما ظهر من تحته شيء إلا غطاه، و ريح اللّه ما تهب فى شيء الا حركته،و ماء اللّه يحيى به كل شيء،و ارض اللّه ينبت منها كل شيء،فمن أحب اللّه أعطاه كل شيء من الملك و الملك».

و قال النبى(ص):«إذا أحب اللّه عبدا من أمتى قذف فى قلوب اصفيائه و ارواح ملائكته و سكان عرشه محبته ليحبوه،فذلك المحب حقا،طوبى له ثم طوبى له!و له عند اللّه شفاعه يوم القيامه» (۱).الى هنا كلام الصادق -عليه السّلام-.و ما ورد فى الحب من الاخبار و الأدعيه المعصوميه أكثر من أن يحصى،و حكايات العشاق و المحبين لم تبلغ من الكثره و التواتر حدا يمكن إنكاره، و قد روى:«أن داود-عليه السّلام-سأل ربه أن يريه بعض أهل محبته،فقال له:أنت جبل لبنان،فان فيه أربعه عشر نفسا،فيهم شبان و كهول و مشايخ،و إذا أتيتهم فاقرأهم منى السّلام،و قل لهم:يقول ربكم:ألا تسألونى حاجه،فانكم احبائى و اصفيائى و أوليائى،افرح لفرحكم و اسارع إلى محبتكم.فاتاهم داوود،فوجدهم عند عين من العيون، يتفكرون فى عظمه اللّه و ملكوته،فلما نظروا إلى داود،نهضوا ليتفرقوا عنه، فقال لهم داود:انا رسول اللّه إليكم،جئتكم لا بلغكم رساله ربكم.فاقبلوا

۱- ۱) صححنا الأحاديث الثلاثه على(مصباح الشريعه)-الباب السابع و التسعون،ص ۱۹۳.

نحوه،و القوا اسماعهم نحو قوله،و القوا أبصارهم إلى الأرض،فقال داوود:ربكم يقرؤكم السّلام،و يقول لكم:ألا تسألونى حاجه،ألاّ تنادونى فاسمع صوتكم و كلامكم؟فانكم احبائى و اصفيائى و أوليائى،افرح لفرحكم و اسارع إلى محبتكم،و انظر إليكم فى كل ساعه نظر الوالده الشفيقه الرفيقه.و لما قال داود ذلك جرت الدموع على خدودهم،و سبح اللّه كل واحد منهم و مجده،و ناجاه بكلمات تدل على احتراق قلوبهم من الحب و الشوق».

فصل (معرفه اللّه أقوى سائر اللذات)

قد عرفت ان الحب هو الميل إلى الشىء الملذ الملائم للمدرك و الابتهاج بادراك الملائم و نيله،و اللذه هى نفس ادراك الملائم الملذ و نيله،و هذا الإدراك إن كان متعلقا بالقوه العاقله-اى ان كان المدرك هو القوه العاقله- عبر عنه بالعلم و المعرفه،و قد عرفت انه أقوى و أشد و أشرف من الادراكات الحسيه،التى هى الابصار و الاستماع و الذوق و الشم و اللمس.

ثم هذا الإدراك-اعنى العلم و المعرفه-يختلف أيضا فى الشرافه و الكمال بحسب شرافه المدرك،أى المعلوم.فكلما كان المدرك اجل و أشرف كان الإدراك-اى المعرفه به-اجل و أعلى.و لا ريب فى ان الواجب -سبحانه-أشرف الموجودات و اجلها.فالمعرفه به أعلى المعارف و اشرفها.

و يثبت من ذلك:ان اجل اللذات و اعلاها هو معرفه اللّه-تعالى-و النظر الى وجهه الكريم،و لا يتصور ان يؤثر عليها لذه أخرى الا من حرم هذه اللذه. و بيان ذلك بوجه أوضح:ان اللذات تابعه للادراكات،و الإنسان جامع لجمله من القوى و الغرائز،و لكل قوه و غريزه لذه،و لذتها عباره عن نيلها مقتضى طبعها الذى خلقت له،فغريزه الغضب لما خلقت

للتشفى و الانتقام،فلا جرم لذتها فى الغلبه و الانتقام،و غريزه الشهوه لما خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام،فلا جرم لذتها فى نيل الغذاء، و كذلك لذه السمع و البصر و الشم فى الاستماع و الابصار و الاستشمام، و غريزه العقل المسماه بالبصيره الباطنيه خلقت لتعلم بها حقائق الأشياء كلها،فلذتها فى العلم و المعرفه،و العلم لكونه منتهى الكمال و أخص صفات الربوبيه،يكون أقوى اللذات و الابتهاجات،و لذلك يرتاح الطبع إذا أثنى عليه بالذكاء و غزاره العلم،لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته و جمال علمه،فيعجب بنفسه،و يلتذ به.

و التحقيق:ان الإدراك و النيل الذى هو الكمال ليس إلا العلم،و سائر الادراكات-اعنى نيل الغلبه و الغذاء و الاسماع و الابصار و الاستشمام-لا تعد كمالات.ثم ليست لذه كل حلو واحده،فان لذه العلم بالحراثه و الخياطه و الحياكه ليست كلذه العلم بسياسه الملك و تدبير أمور الخلق،و لا لذه العلم بالنحو و الشعر و التواريخ كلذه العلم باللّه و بصفاته و ملائكته و ملكوت السماوات و الأرض،بل لذه العلم بقدر شرف العلم،و شرف العلم بقدر شرف المعلوم،فان كان فى المعلومات ما هو الأشرف و الأجل و الأعظم و الأكمل، فالعلم به ألذ العلوم و اشرفها و اكملها و اطيبها،و ليت شعرى هل فى الوجود شىء أعلى و أجمل و أشرف و اكمل من خالق الأشياء كلها و قيومها،و مكملها و مربيها،و مبدئها و معيدها،و مدبرها و مرتبها؟!و هل يتصور أن يكون أحد فى الملك و الكمال و العظمه و الجلال و القدره و الجمال و الكبرياء و البهاء أعظم ممن ذاته فى صفات الكمال و نعوت الجلال فوق التمام،و قدرته و عظمته و ملكه و علمه غير متناهيه؟فان كنت لا تشك فى ذلك،فينبغى الا تشك فى أن لذه المعرفه به أقوى من سائر اللذات لمن له البصيره الباطنه و غريزه

المعرفه،فان اللذات مختلفه بالنوع أولا،كمخالفه لذه الوقاع و لذه السماع، و لذه المعرفه و لذه الرئاسه،و كل نوع مختلف بالضعف و القوه،كمخالفه لذه الشبق المغتلم (۱)من الجماع،و لذه الفاتر الشهوه منه،و كمخالفه لذه النظر إلى الوجه الجميل و لذه النظر إلى الوجه الاجمل،و مخالفه لذه العلم باللغات و لذه العلم بالسماويات،و إنما يعرف أقوى اللذتين من اضعفهما بأن يؤثر عليه،فان المخير بين النظر إلى صوره جميله و بين استنشاق روايح طيبه، اذا اختار الأول كان عنده الذهن الثانى،و المخير بين الأكل و اللعب بالشطرنج،اذا اختار الثانى كانت لذه الغلبه فى الشطرنج أقوى عنده من لذه الأكل،و هذا معيار فى الكشف عن ترجيح اللذات.

و حينئذ نقول:لا ريب فى ان المعانى و اللذات الباطنه اغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهره،فلو خير الرجل بين لذه أكل المطاعم الطيبه و لذه الرئاسه و الاستيلاء،فان كان عالى الهمه كامل العقل،اختار الرئاسه و ترک الأكل،و صبر على الجوع أياما كثيره فضلا عن مده قليله.نعم،ان كان خسيس الهمه ميت القلب،ناقص العقل و البصيره،كالصبى و المعتوه، ربما اختار لذه الأكل،و فعل مثله ليس حجه.ثم كما ان لذه الرئاسه و الكرامه اغلب و أرجح من اللذات الحسيه عند من جاوز نقصان الصبى و السفاهه،فكذلک لذه المعرفه باللّه و مطالعه جمال الحضره الربوبيه الذعنده من لذه الرئاسه،بشرط أن يكون ممن ذاق اللذتين و ادركهما،فلو كان ممن لم يذق لذه المعرفه باللّه لم يكن أهلا للترجيح و محلا للكلام،لاختصاص لذه المعرفه بمن نال رتبتها و ذاقها،و لا يمكن إثبات ذلک عند من ليس له

۱- ۱) الغلمه-وزان غرفه-:شده الشهوه.و غلم غلما:من باب تعب، اذا اشتد شبقه.المغتلم:المنقاد للشهوه.

قلب،کما لا تثبت لذه الابصار عند الأعمی،و لذه الاستماع عند الأصم، و لذه الوقاع عند العنین،و لذه الرئاسه عند الصبی و المعتوه،و لیت شعری من لا یفهم إلا حب المحسوسات کیف یؤمر بلذه النظر إلی وجه اللّه-تعالی- و لیس له شبه و شکل و صوره؟فحقیقه الحال کما قیل:«من ذاق عرف»، فمن ذاق اللذتین یترک لذه الرئاسه قطعا،و یستحقر أهلها لکونها مشوبه بالکدورات و مقطوعه بالموت،و یختار لذه المعرفه باللّه،و مطالعه صفاته و افعاله،و نظام مملکته من أعلی علیین إلی اسفل السافلین،فانها خالیه عن الانقطاع و المکدرات،متسعه للمتواردین علیها،لا تضیق بکثرتهم دائما، و عرضها من حیث التفهیم و التمثیل أعظم من السماوات و الأرض،و من حیث الواقع و نفس الامر فلا نهایه لعرضها،فلا یزال العارف بمطالعتها و مشاهدتها فی جنه غیر متناهیه الأطراف و الاقطار،یرتع فی ریاضها، و یکرع (۱)فی حیاضها،و یقطع من اثمارها،و هو آمن من انقطاعها،إذ ثمارها غیر مقطوعه و لا ممنوعه،بل هی أبدیه سرمدیه لا یقطعها الموت،إذ الموت لا یهدم النفس الناطقه التی هی محل المعرفه،و إنما یقطع شواغلها و عوائقها و یخلیها من جنسها،فاذن جمیع أقطار ملکوت السماوات و الأرض،بل أقطار عالم الربوبیه التی هی غیر متناهیه،میدان للعارفین، یتبوءون منها حیث یشاؤن،من غیر حاجه إلی حرکه اجسامهم،و من غیر ان یضیق بعضهم علی بعض أصلا،إلا انهم یتفاوتون فی سعه میادینهم بحسب تفاوتهم فی اتساع الأنظار و سعه المعارف:

وَ لِکُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا

(۲)

.

۱- ۱) کرع-من باب نفع-:هو الشرب بفیه من موضعه.

۲- ۲) الانعام،الآیه:۱۳۲،الاحقاف،الآیه:۱۹.

و لا یدخل فی الحصر تفاوت درجاتهم،و من عرف هذه اللذه انمحت همومه و شهواته،و صار قلبه مستغرقا بنعیمها،و لا یشغله عن اللّه خوف النار و لا رجاء الجنه،فکیف تشغله عنه لذات الدنیا و علائقها،و کان فی الدنیا و الآخره مشغولا بربه،فلو القی فی النار لم یحسّ به لاستغراقه،و لو عرض علیه نعیم الجنه لم یلتفت إلیه لکمال نعیمه و بلوغه الغایه التی لیس فوقها غایه،و لعل سید الرسل(ص)عبر عن هذه اللذه-ای لذه مطالعه جمال الربوبیه-حیث قال حاکیا عن اللّه-سبحانه-:«أعددت لعبادی الصالحین مالا عین رأت،و لا إذن سمعت،و لا خطر علی قلب بشر».و هذه اللذه هی المراده من قوله-تعالی-:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ (۱).

و ربما تعجل بعض هذه اللذات لمن انتهی صفاء قلبه إلی الغایه،و مع ذلک لا یخلو عن توسط بعض الحجب المانعه عن الوصول إلی کنهها،ما لم یحصل التجرد الکلی و خلع البدن العنصری،و لذلک قال بعضهم:إنی أقول:«یا رب یا اللّه!فاجد ذلک اثقل علی قلبی من الجبال،لأن النداء یکون من وراء حجاب،و هل رأیت جلیسا ینادی جلیسه؟!».ثم من عرف اللّه و عرف حقیقه هذه اللذه،عرف أن اللذات المقرونه بالشهوات المختلفه منطویه تحت هذه اللذه،کما قیل:

کانت لقلبی أهواء مفرقه

فاستجمعت مذ رأتک العین اهوائی

فصار یحسدنی من کنت أحسده

و صرت مولی الوری مذ صرت مولائی

ترکت للناس دنیاهم و دینهم

شغلا بذکرک یا دینی و دنیائی

ص:۱۶۰

۱- ۱) السجده،الآیه:۱۷.

فصل (تحقق رؤيه اللّه فى الآخره و لذه لقائه)

اعلم ان معرفه اللّه إذا حصلت فى الدنيا لم تكن خاليه عن كدره ما-كما أشير إليه-،إلا أنه إذا اكتسب أصلها فى الدنيا فيزيدها فى الآخره انكشافا و جلاء بقدر صفاء القلوب و زكائها و تجردها عن العلائق الدنيويه،الى أن يصير اجلى و اظهر من المشاهده بمراتب،فالاختلاف بين ما يحصل فى الدنيا من المعرفه و ما يحصل فى الآخره من المشاهده و اللقاء إنما هو بزياده الانكشاف و الجلاء.

مثال ذلك:ان من رأى إنسانا،ثم غض بصره،وجد صورته حاضره فى خياله كأنه ينظر إليها،و لكن إذا فتح العين و أبصر،أدرك تفرقه بين حالتى غض العين و فتحها،و لا ترجع التفرقه إلى اختلاف بين بين الصورتين لاتحادهما،بل الافتراق انما هو بمزيد الكشف و الوضوح،فالصوره المتخيله صارت بالرؤيه أتم انكشافا،فإذا الخيال اول الإدراك،و الرؤيه استكمال لادراك الخيال،و هى غايه الكشف،لا لأنها فى العين،بل لو خلق اللّه هذا الإدراك الكامل المتجلى فى الصدر او الجبهه او اى عضو فرض استحق ان يسمى رؤيه. و إذا فهمت هذا فى المتخيلات-أى المدركات التى تدخل فى الخيال من الصور و الاجسام-فقس عليه الحال فى المعلومات -اى ما يدرك بالعقل-،و لا يدخل فى الخيال كذات البارى،و كل ما ليس بجسم،كالعلم و القدره و الاراده و غيرها،فان لمعرفتها و ادراكها أيضا درجتين:إحداهما:اولى،و الثانيه:استكمال لها،و بينهما من التفاوت فى مزيد الكشف و الايضاح ما بين المتخيل و المرئى،فتسمى الثانيه بالإضافه الى الأولى لقاء و مشاهده و رؤيه،و هذه التسميه حق،لان الرؤيه سميت

رؤیه لأنها غایه الکشف،و کما ان سنه اللّه جاریه بأن تطبق الاجفان یمنع من تمام الکشف الذی هو الرؤیه فی المتخیلات،فکذلک سنته ان النفس ما دامت محجوبه بالبدن و عوارضه و شهواته،لم یحصل لها تمام الکشف الذی هی المشاهده و اللقاء فی المعلومات الخارجیه عن الخیال،فإذا ارتفع بالموت حجاب البدن،و خلصت النفس،لم یکن بعد فی غایه التنزه عن کدورات الدنیا،بل کانت ملوثه بها،الا ان النفوس مختلفه فی ذلک:فمنها:ما تراکم علیه الخبث و الصدی،فصار کالمرآه التی فسد بطول تراکم الخبث جوهرها، فلا تقبل الإصلاح و التصقیل.و هؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد.

نعوذ باللّه من ذلک، و منها:ما لم ینته إلی حد الرین و الطبع،و لم یخرج عن قبول التزکیه و التصقیل،و هذه النفوس غیر متناهیه الدرجات و المراتب.

اذ المتلوث بالکدورات عرض عریض فی(الواقع)بین الرین و الطبع، و بین التزکیه التامه و التجرد الکلی الذی لم یکن فیه شوب من الکدورات.

و هذه النفوس المتلوثه علی اختلاف درجاتها و مراتبها تحتاج إلی التطهیر لتستعد للمشاهده و اللقاء بتجلی الحق فیها،و تطهیرها انما هو بنوع عقوبه من العقوبات الأخرویه.و هی کمراتب التلوث غیر متناهیه الدرجات اولها سکره الموت،و آخرها الدخول فی النار،و ما بینهما عقوبات البرزخ و أهوال القیامه بانواعها،فکل نفس لا بد لها من عقوبه من هذه العقوبات لتتطهر من کدورتها:فمنها:ما یتطهر بمجرد سکره الموت و شده النزع، و منها:ما یتطهر بها،و ینقص عقوبات البرزخ،و منها:ما لا یتطهر إلا بأن یذوق بعض عقوبات الآخره،و منها ما لا یحصل تطهیره إلا بالعرض علی النار عرضا یقمع منها الخبث الذی تدنست به.فربما کان ذلک لحظه حقیقه، و ربما کان سبعه آلاف سنه-کما وردت به الأخبار-و ربما کان أقل

أو أكثر،و لا يعلم تفصيل ذلك الا اللّه-سبحانه-،و المحجوبون الذين بلغوا حد الرين و الطبع يكونون مخلدين فى النار.

ثم النفوس القابله للتطهير إذا اكمل اللّه تطهيرها و تزكيتها،و بلغ الكتاب أجله،استعدت حينئذ لصفائها و نقائها عن الكدورات لأن تتجلى فيها جليه الحق،فتتجلى فيها تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافه إلى ما علمته و عرفته كانكشاف تجلى المرئيات بالإضافه إلى المتخيلات،و هذه المشاهده و التجلى تسمى رؤيه،لأنه فى الظهور و الجلاء و الوضوح و الانكشاف كالرؤيه بالبصر،بل هو فوقه بمراتب شتى،اذ الرائى فى الأول العقل، و فى الثانى البصر،و شتان ما بينهما،فان الاختلاف فى مراتب الإدراك و الرؤيه بحسب اختلاف نوريه المدرك،و أى نسبه لنوريه البصر إلى نوريه العقل و اشراقه،و ما للعقل من النفوذ فى حقائق الأشياء و بواطنها أنى يكون للبصر.

و قد ظهر مما ذكر:أنه لا يفوز بدرجه الرؤيه و المشاهده الا العارفون فى الدنيا،لان المعرفه هى البذر الذى ينقلب فى الآخره مشاهده،كما تنقلب النواه شجره و البذر زرعا،و من لا نواه له كيف يحصل له النخل،و من لم يلق البذر كيف يحصد الزرع،فمن لم يعرف اللّه فى الدنيا فكيف يراه فى الآخره،و من لم يجد لذه المعرفه فى الدنيا فلا يجد لذه النظر فى العقبى،اذ لا يستأنف لاحد فى الآخره ما لم يصحبه فى الدنيا،فلا يحصد المرء الا ما زرع،و لا يحشر الا على ما مات عليه،و لا يموت الا على ما عاش عليه.

و لما كانت المعرفه على درجات متفاوته،يكون التجلى أيضا على درجات متفاوته،فاختلاف التجلى بالإضافه إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافه إلى اختلاف البذور،اذ يختلف لا محاله،بكثرتها،و قلتها،

و جودتها،و رداءتها،و ضعفها.ثم کلما کان التجلی و المشاهده أقوی، کان ما یترتب علیه من حب اللّه و الانس به أشد و أقوی،و کلما کان الحب و الانس أزید،کان ما یترتب علیه من البهجه و اللذه أعلی و أقوی،و تبلغ هذه اللذه مرتبه لا تؤثر علیها لذه أخری من نعیم الجنه،بل ربما بلغت حدا تتأذی من کل نعیم سوی لقاء اللّه و مشاهدته،فالنعمه و البهجه فی الجنه بقدر حب اللّه،و حب اللّه بقدر معرفته،فاصل السعادات هی المعرفه التی عبر الشرع عنه ب(الایمان).

فان قیل:اللقاء و المشاهده ان کانت زیاده کشف للمعرفه حتی تتحقق بین لذه الرؤیه و لذه المعرفه نسبه،لکانت لذه اللقاء و الرؤیه قلیله،و ان کانت اضعاف لذه المعرفه،اذ هی فی الدنیا ضعیفه.فتضاعفها إلی أی حد فرض لا ینتهی فی القوه،الا ان یستحقر فی جنبها سائر لذات الجنه و نعیمها قلنا:هذا الاستحقار و التقلیل للذه المعرفه باعثه عدم المعرفه أو ضعفها،فان من خلا عن المعرفه،أو کانت له معرفه ضعیفه و قلبه مشحون بعلائق الدنیا لا یدرک لذتها،فمن کملت معرفته و صفت عن علائق الدنیا سریرته،قویت بهجته و اشتدت لذته بحیث لا توازنها لذه،فان للعارفین فی معرفتهم و فکرتهم و مناجاتهم للّه-عز و جل-ابتهاجات و لذات لو عرضت علیهم الجنه و نعیمها فی الدنیا بدلا عنها لم یستبدلوها بها.ثم هذه اللذه مع کمالها لا نسبه لها أصلا إلی لذه اللقاء و المشاهده،کما لا نسبه للذه خیال المعشوق إلی رؤیته،و لا للذه استنشاق روائح الأطعمه الطیبه إلی ذوقها و اکلها،و لا للذه اللمس بالید إلی لذه الوقاع.

و مما یوضح ذلک،ان لذه النظر إلی وجه المعشوق تتفاوت بامور:

أحدها-کمال جمال المعشوق و نقصانه.

و ثانيها-كمال قوه الحب و الشهوه و ضعفه.

و ثالثها-كمال الإدراک و ضعفه،فان الالتذاذ برؤيه المعشوق فى ظلمه،أو من بعد،أو من وراء ستر رقيق،ليس كالالتذاذ برؤيته على قرب من غير ستر عند كمال الضوء.

و رابعها-عدم الآلام الشاغله و العوائق المشوشه و وجودها،فان التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق ليس كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم،او المشغول قلبه بهم من المهمات،فلو كان العاشق ضعيف الحب،ناظرا إلى معشوقه على بعد و من وراء ستر رقيق، مشغول القلب بمهمات،مجتمعه عليه حيات و عقارب تؤذيه و تلذعه،لم يكن خاليا عن لذه ما فى هذه الحاله من مشاهده معشوقه،إلا أنه إذا فرض ارتفاع الستر و اشراق الضوء،و اندفاع الحيات و العقارب المؤذيه،و فراغ قلبه من المهمات،و حدوث عشق مفرط،و شهوه قويه،بحيث بلغت أقصى الغايات،تضاعفت لذته،بحيث لم تكن للذته الأولى نسبه إليها بحجه.

فكذلک الحال فى نسبه لذه المعرفه فى الدنيا مع حجاب البدن و الاشتغال بمهماته،و مع تسلط حيات الشهوات و عقاربها:من الجوع،و العطش، و الشبق،و الغضب،و الحزن،و الهم،و مع ضعف النفس و قصورها و نقصانها فى الدنيا عن التشوق إلى الملأ الأعلى لالتفاتها إلى اسفل السافلين إلى لذه اللقاء و المشاهده التى يندفع فيها جميع ذلک عن النفس،فالعارف لعدم خلوه فى الدنيا عن هذه العوائق و المشوشات و ان قويت معرفته لا يمكن ان تكمل لذته و تصفو بهجته،و ان ضعفت عوائقه و مشوشاته فى بعض الأحوال و بقى سالما،لاح له من جمال المعرفه ما تعظم لذته و بهجته و يدهش عقله، بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته،الا ان ذلک كالبرق الخاطف،و لا يمكن

ان یـدوم،اذ الخلو عن العوائق و المشوشات لیس یمکن ان یدوم،بل هو آنی،و یعرض بعد الآن من الشواغل و الافکار و الخواطر ما یشوشه و ینقصه،و هـذه ضـروره قائمه فی هـذه الحیاه الفانیه.فلا تزال هـذه اللذه منقصه إلی الموت.و انما الحیاه الطیبه بعده،و انمـا العیش عیش الآخره، فان الـدار الآخره لهی الحیوان لو کانوا یعلمون.و لـذا کل عارف کملت معرفته فی الـدنیا و أحب لقاء اللّه یحب الموت و لا یکرهه،الا من حیث إرادته زیاده استکمال فی المعرفه،فان المعرفه-کما عرفت-بمنزله البذر.و کلما کثرت المعرفه بـاللّه و بصـفاته و بأفعـاله و بأسـرار مملکته قویت المشاهـده و اشـتدت،و کثر النعیم فی الآـخره و عظم،کما انه کلما کثر البـذر و حسن کثر الزرع و حسن،و لاـ ریب فی ان المعرفه لاـ تنتهی إلی مرتبه لا تکون فوقها مرتبه،اذ بحر المعرفه لا ساحل له.و الإحاطه بکنه جلال اللّه محال.فالعارف و ان قویت معرفته،ربما أحب طول العمر و کره الموت لتزداد معرفته.

ثم أهـل السـنه قـالوا:«ان الرؤیه فی الآـخره مع تنزهها عن التخیـل و التصـور و التقـدیر بالشـکل و الصوره و التحدیـد بـالجهه و المکـان:تکون بـالعین دون القلب»:(و هو عنـدنا باطـل):اذ الرؤیه بـالعین محال فی حق اللّه -تعالی-،سواء کانت فی الـدنیا او فی الآـخره،فکمـا لا تجوز رؤیه اللّه -سبحانه-فی الـدنیا بالعین و البصـر،فکـذلک لا تجوز فی الآخره،و کما تجوز رؤیته فی الآخره بالعقـل و البصیره لاهل البصائر-اعنی غایه الانکشاف و الوضوح بحیث تتأدی إلی المشاهـده و اللقاء-فکـذلک تجوز رؤیته فی الـدنیا بهـذا المعنی،و الحجاب بینه و بین خلقه لیس إلا الجهل و قله المعرفه دون الجسـد،فان العارفین و أولیاء اللّه یشاهدونه فی الدنیا فی جمیع أحوالهم

و منصرفاتهم،و إن كان الحاصل فی الآخره أزید انکشافا و أشد انجلاء بحسب زیاده صفاء النفوس و زکائها و مجردها عن العلائق الدنیویه-کما تقدم مفصلا-،و قد ثبت ذلک من أئمتنا الراشدین العارفین بأسرار النبوه، روی شیخنا الأقدم(محمد بن یعقوب الکلینی)و شیخنا الصدوق(محمد بن علی بن بابویه)-رحمهما اللّه-باسنادهما الصحیح عن الصادق(ع):«أنه سئل عما یروون من الرؤیه،فقال:الشمس جزء من سبعین جزء من نور الکرسی، و الکرسی جزء من سبعین جزء من نور العرش.و العرش جزء من سبعین جزء من نور الحجاب،و الحجاب جزء من سبعین جزء من نور الستر،فان کانوا صادقین فلیملأوا أعینهم من نور الشمس لیس دونها سحاب» .و باسنادهما عن أحمد بن إسحاق قال:«کتبت إلی أبی الحسن الثالث(ع)أسأله عن الرؤیه و ما اختلف فیه الناس،فکتب:لا تجوز الرؤیه ما لم یکن بین الرائی و المرئی هواه ینفذه البصر،فإذا انقطع الهواء عن الرائی و المرئی لم تصح الرؤیه و کان فی ذلک الاشتباه،لأن الرائی متی ساوی المرئی فی السبب الموجب بینهما فی الرؤیه وجب الاشتباه،و کان ذلک التشبیه،لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات».

و عن أبی بصیر عن الصادق(ع)قال:«قلت له:أخبرنی عن اللّه-عز و جل- هل یراه المؤمنون یوم القیامه؟قال:نعم!و قد رأوه قبل یوم القیامه.فقلت:

متی؟قال:حین قال لهم:ألست بربکم،قالوا:بلی...ثم سکت ساعه، ثم قال:و إن المؤمنین لیرونه فی الدنیا قبل یوم القیامه،ألست تراه فی وقتک هذا؟!قال أبو بصیر:فقلت له:جعلت فداک!فاحدث بهذا عنک؟ فقال:لا!فانک إذا حدثت به فانکره منکر جاهل بمعنی ما تقوله،ثم قدر أن ذلک تشبیه کفر،و لیست الرؤیه بالقلب کالرؤیه بالعین،تعالی اللّه عما یصفه المشبهون و الملحدون». و سئل أمیر المؤمنین(ع):«هل رأیت ربک حین

عبدته؟فقال:ویلک!ما کنت أعبد ربا لم أره.قیل:و کیف رأیته؟ قال:ویلک!لا تدرکه العیون فی مشاهده الأبصار،و لکن رأته القلوب بحقائق الایمان» (۱). و قال سید الشهداء(ع).«کیف یستدل علیک بما هو فی وجوده مفتقر إلیک،أ یکون لغیرک من الظهور ما لیس لک،حتی یکون هو المظهر لک،متی غبت حتی تحتاج إلی دلیل یدل علیک،و متی بعدت حتی تکون الآثار هی التی توصل إلیک؟عمیت عین لا تراک علیها رقیبا،و خسرت صفقه عبد لم تجعل من حبک نصیبا!»،و قال(ع)أیضا:«تعرفت لکل شیء فما جهلک شیء»،و قال:«و أنت الذی تعرفت إلی فی کل شیء، فرأیتک ظاهرا فی کل شیء،و أنت الظاهر لکل شیء» (۲).و أمال ذلک مما ورد عنهم-علیهم السّلام-أکثر من أن تحصی.

فصل (الطریق إلی الرؤیه و اللقاء)

الطریق إلی تحصیل محبه اللّه و تقویتها ثم استعداد الرؤیه و اللقاء أمران:

أحدهما-تطهیر القلب من شواغل الدنیا و علائقها،و التبتل إلی اللّه بالذکر و الفکر،ثم إخراج حب غیر اللّه من القلب،إذ القلب مثل الإناء الذی لا یسع الماء-مثلا-ما لم یخرج منه الخل.و ما جعل اللّه لرجل من قلبین فی جوفه،و کمال الحب فی أن یحب اللّه بکل قلبه،و ما دام یلتفت إلی غیره،فزاویه من قلبه مشغوله بغیره،و بقدر ما یشتغل بغیر اللّه ینقص منه حب اللّه،إلا أن یکون التفاته إلی الغیر من حیث إنه صنع اللّه-تعالی-و فعله،و مظهر

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):الجزء الأول،باب إبطال الرؤیه.و علی(الوافی):۱-۶۹،باب إبطال الرؤیه.

۲- ۲) صححنا فقرات دعاء عرفه علی(مفاتیح الجنان):ص ۲۷۲-۲۷۴، طبعه الکراوری.

من مظاهر أسماء اللّه-تعالی-،و إلی هذا التجرید و التفرید الإشاره بقوله-تعالی-:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

(۱)

و ثانیهما-تحصیل معرفه اللّه و تقویتها و توسیعها و تسلیطها علی القلب، و الأول،اعنی قطع العلائق،بمنزله تنقیه الأرض من الحشائش،و الثانی، أی المعرفه،بمنزله البذر فیها،لیتولد منه شجر المحبه.

ثم لتحصیل المعرفه طریقان:

أحدهما-الأعلی،و هو الاستدلال بالحق علی الخلق،و ذلک بأن یعرف اللّه باللّه،و به یعرف غیره،أی افعاله و آثاره،و إلی هذا أشیر فی الکتاب الإلهی بقوله:

أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ

(۲)

.

و هذا الطریق غامض،و فهمه صعب علی الأکثرین.و قد اشرنا إلی کیفیته فی بعض کتبنا الالهیات.

و ثانیهما-و هو الادنی،الاستدلال بالخلق علی الحق-سبحانه-، و هذا الطریق فی غایه الوضوح،و أکثر الافهام یتمکن من سلوکه،و هو متسع الأطراف،و متکثر الشعوب و الاکناف،إذ ما من ذره من أعلی السماوات إلی تخوم الأرضین إلا و فیها عجائب آیات و غرائب بینات، تدل علی وجود الواجب و کمال قدرته و غایه حکمته و نهایه جلاله و عظمته، و ذلک مما لا یتناهی.

قُلْ لَوْ کٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ

ص :۱۶۹

۱- ۱) الانعام،الآیه:۹۱.

۲- ۲) فصلت،الآیه:۵۳.

اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّی

(۱)

.

و عدم وصول بعض الافهام من هذا الطریق إلی معرفه اللّه مع وضوحه، انما هو للاعراض عن التفکر و التدبر و الاشتغال بشهوات الدنیا و حظوظ النفس.ثم سلوک هذا الطریق،أی الاستدلال علی اللّه-تعالی-و علی کمال قدرته و عظمته،بالتفکیر فی الآیات الآفاقیه و الأنفسیه،خوض فی بحار لا ساحل لها،إن عجائب ملکوت السماوات و الأرض مما لا یمکن أن تحیط به الأفهام،فان القدر الذی تبلغه افهامنا القاصره من عجائب حکمته الباهره تنقضی الاعمار دون إیضاحه،و لا نسبه لما أحاط به علمنا إلی ما أحاط به علم العلماء،و لا نسبه له إلی ما أحاط به علم الأنبیاء،و لا نسبه له إلی ما أحاط به الخلائق کلهم،و لا نسبه له إلی ما استأثر اللّه بعلمه،بل کلما عرفه الخلائق جمیعا لا یستحق أن یسمی علما فی جنب علم اللّه،و نحن قد اشرنا إلی لمعه یسیره من عجائب حکمته المودعه فی بعض مخلوقاته فی مبحث التفکر.

فصل (تفاوت المؤمنین فی محبه اللّه)

اعلم ان المؤمنین جمیعا مشترکون فی أصل محبه اللّه لاشتراکهم فی أصل الایمان،و لکنهم متفاوتون فی قدرها،و سبب تفاوتهم أمران:

أحدهما-اختلافهم فی المعرفه و حب الدنیا،فان أکثر الناس لیس لهم من معرفه اللّه إلا ما قرع اسماعهم من کونه متصفا بصفات کذا و کذا،من دون وصول إلی حقیقه معناها،و إلی اعتقادهم بأن الموجودات المشاهده

۱- ۱) الکهف،الآیه:۱۱۰.

صادره عنه،من غير تـدبر فى عجائب القـدره و غرائب الحكمه المودعه فيها و اما العارفون،فلهم الخوض فى بحر التفكر و التـدبر فى أنواع المخلوقات.

و استخراج ما فيها من الحكم الخفيه،و المصالح العجيبه،التى كل واحد منها كمشعله فى إزاله ظلمه الجهل،و الهدايه إلى كمال عظمه اللّه،و نهـايه جلالـه و كبريـائه،فمثل الأكثرين كمثل عامى أحب عالما بمجرد استماعه انه حسن التصنيف،من دون علم و درايه بمـا فى تصـانيفه،فتكون له معرفه مجمله، و يكون له بحسنه ميـل مجمـل،و مثـل العارفين كمثل عالم فتش عن تصانيفه، و اطلع على ما فيها من دقائق المعانى و بلاغه العبارات،و لا ريب فى أن العالم بجملته صنع اللّه و تصـنيفه،فمن عرف ذلك مجملا تكون له بحسبه محبه مجمله، و من وقف على مـا فيه من عجـائب القـدره و دقائق الحكمه تكون له غايه الحب، و كلما ازدادت معرفته بوجوه الحكم و المصالـح المودعه فى كل مخلوق ازداد حبه، فمن اعتقـد أن ما تبنيه النحل من البيوت المسـدسه إنما هو بالهام اللّه-تعالى- اياها،من غير استعداد لفهم الحكمه فى اختيار الشكل المسدس على سائر الأشكال،لا يكون فى معرفه اللّه و ادراك عظمته و حكمته كمن يفهم ذلـك و يتيقنه.ثم كمـا أن دقـائق الحكم و عجائب القـدره غير متناهيه،و لا يمكن لاحـد ان يحيط بها،و إنما ينتهى كل إلى ما يستعد له،فينبغى أن تكون مراتب الحب أيضا غير متناهيه،و كل عبد ينتهى إلى مرتبه تقتضيها معرفته.

و ثانيهما-اختلافهم فى الأسباب المـذكوره للحب،فان من يحب اللّه لكونه منعما عليه و محسنا إليه،ضعفت محبته لتغيرها بتغير الانعام و الإحسان و لا يكون حبه فى حاله البلاء كحبه فى حاله الرجاء و النعماء.و أما من يحبه لـذاته،أو بسبب كماله و جماله و مجده و عظمته،فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه.

ص :١٧١

فصل (الواجب اظهر الموجودات)

عجبا لاقوام عميت قلوبهم عن معرفه اللّه-سبحانه-،مع أن اللّه -تعالى-أظهر الموجودات و أجلاها،لان البديهه العقليه قاضيه بأنه يجب أن يكون فى الوجود موجود قائم بذاته،أى ما هو صرف الوجود،و لولاه لم يتحقق موجود أصلا،فتحقق صرف الوجود القائم بذاته المقوم لغيره أظهر و أجلى من تحقق كل موجود بغيره عند البصيره الصافيه،قال اللّه-سبحانه-:

اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

(۱)

.

و النور هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره،و مبدأ الإدراك من المدرك إنما هو الوجود،فكلما ادركته إنما تدرك أولا وجوده،و إن لم تشعر بذلك.و لا ريب فى أن الظاهر لنفسه أظهر من الظاهر بغيره،و أيضا كل موجود سوى اللّه-سبحانه-يعلم وجوده بقليل من الآثار،فان وجود الحياه لزيد-مثلا-لا يدل عليه إلا حركته و تكلمه و بعض أخر من اعراض نفسه،و لا يدل عليه شىء آخر من سائر الموجودات،و كذا وجود السماء-مثلا-لا يدل عليه سوى وجود ظهور جسمها و حركتها، و لا يدل عليه شىء آخر من الموجودات التى تحتها و فوقها.

و أما وجود الواجب-تعالى-فيدل عليه كل شىء،إذ ليس فى الوجود مدرك محسوس او معقول،و حاضر او غائب،إلا و هو شاهد و معرف لوجوده،فالسبب فى خفائه مع كونه أجلى و أظهر من كل شىء غايه وضوحه

ص: ۱۷۲

۱- ۱) النور،الآيه:۳۵.

و ظهوره،فان شده ظهور الشیء قد یکون سببا لخفائه،لانه یکل المدارک و یحسرها،فشده ظهوره-سبحانه-بلغت حدا بهرت العقول و ادهشتها، فضعفت عن ادراکه.و هذا کما ان الخفاش یبصر باللیل و لا یبصر بالنهار، لا لخفاء النهار و استتاره،بل لشده ظهوره و ضعف بصر الخفاش،فان بصره ضعیف یبهره نور الشمس إذا اشرق،فتکون قوه ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره،فلا یری شیئا إلا إذا امتزج بالضوء الظلام و ضعف ظهوره،فکذلک عقولنا ضعیفه،و جمال الحضره الإلهیه فی نهایه الإشراق و الاستناره،و فی غایه الاستغراق و الشمول،حتی لم تشذ عن ظهوره ذره من ملکوت السماوات و الأرض،فصار ظهوره سبب خفائه،فسبحان من احتجب باشراق نوره،و اختفی عن العقول و البصائر بشده ظهوره!و لا تتعجب من اختفاء شیء بسبب شده ظهوره،فان الأشیاء إنما تستبان باضدادها،و ما عم وجوده حتی لا ضد له عسر ادراکه.فلو اختلفت الأشیاء،فدل بعضها علی اللّه-تعالی-دون بعض،ادرکت التفرقه علی قرب،و لما اشترکت فی الدلاله علی نسق واحد،اشکل الأمران،و مثاله نور الشمس المشرق علی الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض یحدث فی الأرض،و یزول عند غیبه الشمس،فلو کانت الشمس دائمه الإشراق لا غروب لها،لکنا نظن أن لا هیئه فی الأجسام إلا ألوانها،و هی السواد و البیاض و غیرهما،و أما الضوء فلا تدرکه وحده،لکن لما غابت الشمس و اظلمت المواضع أدرکنا تفرقه بین الحالتین،فعلمنا أن الاجسام قد استضاءت بضوء فارقها عند الغروب،فعرفنا وجود النور بعدمه.و ما کنا نطلع علیه لولا عدمه إلا بعسر شدید،و ذلک لمشاهدتنا الأجسام متشابهه غیر مختلفه فی النور و الظلام هذا مع أن النور أظهر المحسوسات،إذ به تدرک سائر المحسوسات،فما هو

ظاهر فی نفسه مظهر لغیره انظر کیف استبهم امره بسبب ظهوره لو لا طریان ضده، فاذن واجب الوجود لذاته هو اظهر الأشیاء،و به ظهرت الأشیاء کلها، و لو کان له عدم أو غیبه أو تغیر،لانهدت السماوات و الأرض،و بطل الملک و الملکوت،و ادرکت التفرقه بین الحالتین،و لو کان بعض الأشیاء موجودا به،و بعضها موجودا بغیره،لادرکت التفرقه بین الشیئین فی الدلاله،و لکن دلالته عامه فی الأشیاء علی نسق واحد،و وجوده دائم فی الأحوال یستحیل خلافه،فلا جرم أورثت شده ظهوره خفاء کما قیل:

خفیّ لافراط الظهور تعرضت

لادراکه أبصار قوم أخافش

و حظ عیون الزرق من نور وجهه

لشدته حظ العیون العوامش

قال أمیر المؤمنین(ع):«لم تحط به الاوهام،بل تجلی لها بها،و بها امتنع منها».و قال(ع):«ظاهر فی غیب،و غائب فی ظهور».و قال(ع):

«لا تجنه البطون عن الظهور،و لا تقطعه الظهور عن البطون،قرب فنأی، و علا فدنا،و ظهر فبطن،و بطن فعلن،و دان و لم یدن»:أی ظهر و غلب و لم یغلب.و من هناک قیل:«عرفت اللّه بجمعه بین الأضداد».

فصل (علائم محبه اللّه)

محبه العبد للّه-سبحانه-له علامات:

الأولی-أن یحب لقاءه بطریق المشاهده و العیان فی دار السّلام،و لتوقفه علی الموت یحب الموت و یتمنیه،إذ کل من یحب شیئا یحب لقاءه و وصله، و إذا علم أنه یمتنع الوصول إلیه إلا بالارتحال من الدنیا بالموت لاحب الموت لا محاله،و کیف یثقل علی المحب أن یسافر من وطنه إلی مستقر محبوبه لیتنعم بمشاهدته،و لذا قال(حذیفه)عند موته:«حبیب جاء علی فاقه،لا أفلح

اليوم من ندم».قال بعض الأكابر:«لا يكره الموت إلا مريب،لان الحبيب لا يكره لقاء الحبيب على كل حال».

ثم من يكره الموت،فان كانت كراهته له لحب الدنيا و التأسف على فراق الأهل و الاولاد و الأموال،و كان حبه للدنيا و تأسفه على مفارقتها فى غايه الكمال،بحيث لم يحب الموت و لم يسر قلبه أصلا بما يترتب عليه من لقاء اللّه -تعالى-،و لم يجد فى قلبه شوقا إليه مطلقا،فلا ريب فى كون مثل هذه الكراهه منافيا لاصل الحب،و لو لم يكن حبه للدنيا فى غايه الكمال،بحيث لم يجد فى قلبه ميلا- إلى ما يترتب على الموت من لقاء اللّه،بل كان محبا للدنيا إلا أنه كان له شوق إلى لقاء اللّه-تعالى-أيضا،او كان لذلك كراهته للموت ضعيفه،فمثل هذا الحب للدنيا ينافى كمال حب اللّه،لان الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب،و لا يبعد أن تكون معه شائبه ضعيفه من حب اللّه، فان الناس متفاوتون فى حب اللّه،فمنهم من يحبه بكل قلبه،و منهم من لا يحبه بكل قلبه،بل يحب معه غيره أيضا من الأهل و الولد و المال،فلا جرم يكون فرحه بلقاء اللّه عند القدوم عليه على قدر حبه و كراهته لفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها،و إن كانت كراهته للموت لأجل إرادته الاستعداد و التهيؤ للقاء اللّه،و مشاهدته بتحصيل زياده العلم و العمل،لا لحب الأهل و المال، و لا للتأسف على فراق الدنيا،فهو لا يدل ضعف الحب و لا ينافى أصله،و هو كالمحب الذى وصل إليه خبر قدوم حبيبه،فأحب أن يتأخر قدومه ساعه ليعمر داره و يفرشها و يهىء أسبابها،ليلقاه فارغ القلب عن الشواغل،و علامه ذلك:الجد فى العمل،و استغراق الهم فى تحصيل المعرفه،و الاستعداد للآخره الثانيه-أن يؤثر مراد اللّه-سبحانه-على مراده،إذ المحب لا يخالف هوى محبوبه لهوى نفسه،كما قيل:

أريد وصاله و يريد هجری

فاترک ما أريد لما يريد

فمن كان محبا للّه،يمتثل أوامره و يجتنب نواهيه،و يحترز عن اتباع الشهوات،و يدع الكساله و البطاله،و لا يزال مواظبا على طاعته و انقياده، و يكون مبتهجا متنعما بالطاعه و لا يشغلها،و يسقط عنه تعبها،و قد روى:

«أن زليخا لما آمنت،و تزوج بها يوسف(ع)،انفردت عنه،و تخلت للعباده،و انقطعت إلى اللّه-تعالى-،و كان يوسف يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل،و إذا دعاها ليلا سوفت إلى النهار،فعاتبها فى ذلک، فقالت:يا رسول اللّه!إنما كنت أحبک قبل أن أعرف ربک،فاما إذ عرفته فلا أؤثر على محبته محبه من سواه،و ما أريد به بدلا».ثم الحق أن العصيان يضاد كمال المحبه لا أصلها،و لذا قد يأكل الرجل المريض ما يضره و يزيد فى مرضه مع أنه يحب نفسه،و يحب صحته،و السبب ضعف المعرفه،و غلبه الشهوه،فيعجز عن القيام بحق المحبه.

الثالثه-ألا يغفل عن ذكر اللّه-سبحانه-،بل يكون دائما مستهترا بذكره،إذ من أحب شيئا أكثر ضروره ذكره و ذكر ما يتعلق به،فمحب اللّه لا يخلو عن ذكر اللّه و ذكر رسوله و ذكر القرآن و تلاوته،لانه كلامه، و يكون محبا للخلوه ليتفرد بذكره و بمناجاته،و يكون له كمال الانس و الالتذاذ بمناجاته،و فى اخبار داود:«كذب من ادعى محبتى و إذا جنه الليل نام عنى،أ ليس كل محب يحب لقاء حبيبه؟فها أنا ذا موجود لمن طلبنى».

الرابعه-ألا يحزن و لا يتألم عن فقد شیء،و لا يفرح بوجود شیء، سوى ما يقرّبه إلى اللّه او يبعده عنه:فلا ينبغى ان يحزن و يجزع فى المصائب و لا يسر بنيل المقاصد الدنيويه،و لا يتأسف على ما يفوته إلا على ما فات منه من طاعه مقربه إلى محبوبه،او على صدور معصيه مبعده،او على ساعه

خلت عن ذكر اللّه و الانس به.

الخامسه-أن يكون مشفقا رءوفا على عباد اللّه،رحيما على أوليائه، و شديدا على اعداء اللّه،كارها لمن يخالفه و يعصيه،إذ مقتضى الحب الشفقه و المحبه لأحباء المحبوب و المنسوبين إليه،و البغض لأعدائه و مخالفيه.

السادسه-أن يكون فى حبه خائفا متذللا تحت سلطان العظمه و الجلال، و ليس الخوف مضادا للحب،كما ظن،إذ ادراك العظمه يوجب الهيبه، و ادراك الجمال يوجب الحب،و لخصوص المحبين خوف الاعراض،و خوف الحجاب،و خوف الابعاد،و خوف الوقوف،و سلب المزيد.و قال بعض العرفاء:«من عبد اللّه بمحض المحبه من غير خوف هلك بالبسط و الإدلال، و من عبده من طريق الخوف من غير محبه انقطع عنه بالبعد و الاستيحاش، و من عبده من طريقهما أحبه اللّه،فقربه و مكنه و علمه».

السابعه-كتمان الحب و الشوق من إظهاره و من إظهار الوجد و اجتناب الدعوى،تعظيما للمحبوب و اجلالا له،و هيبه منه و غيره على سره،فان الحب سر من أسرار المحبوب،فلا ينبغى افشاؤه،و لأنه ربما يدخل فى الدعوى ما يجاوز حد الواقع،فيكون من الافتراء،و تعظم به العقوبه فى العقبى و البليه فى الدنيا.نعم،ربما غشيته سكره فى حبه،حتى يدهش فيها،و تضطرب أحواله،فيظهر عليه حبه من دون اختيار و تمحل.فمثله معذور،لأنه تحت سلطان المحبه مقهور،و من عرف أن حصول حقيقه المعرفه و المحبه التى تنبغى أن تكون فى حق اللّه يستحيل أن يحصل لأحد، و أن يطلع على ما اعترف عظماء الإنسان-أعنى الأنبياء و الأولياء-من العجز و القصور،و ان صنفا واحدا من الأصناف الغير المتناهيه من ملائكته ملائكه بعدد جميع ما خلق اللّه من شىء،هم أهل المحبه للّه،ما خطر على

قلوبهم مذ خلقهم اللّه-و هو ثلاث مائه ألف سنه قبل خلق العالم-سوى اللّه -سبحانه-،و ما ذكروا غيره،لاستحيى منه حق الحياء أن يعدّ ما عليه من المعرفه و المحبه معرفه و محبه،و خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى. و روى فى بعض الأخبار:«ان بعض أهل اللّه سأل بعض الصديقين أن يسأل اللّه -تعالى-أن يعطيه ذره من معرفته،ففعل ذلک،فحار عقله،و ذهل لبه، و وله قلبه،و هام فى الجبال،و بقى شاخصا سبعه ايام،لا ينتفع بشىء و لا ينتفع به شىء،فسأل له الصديق ربه أن ينقص بعض الذره من المعرفه التى أعطاه،فأوحى اللّه-تعالى-اليه:(إنا اعطيناه جزءا من مائه ألف جزء من ذره من المعرفه،و ذلک ان مائه ألف عبد سألونى شيئا من المحبه فى الوقت الذى سألنى هذا،فأخرت اجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتک فيما سألت أعطيتهم كما اعطيته،فقسمت ذره من المعرفه بين مائه ألف عبد،فهذا ما أصابه من ذلک).فقال:سبحانک سبحانک! أقتصه مما أعطيته،فأذهب اللّه عنه جمله ما أعطاه،و أبقى فيه عشر معشاره و هو جزء من عشره آلاف جزء من مائه ألف جزء من ذره،فاعتدل خوفه و حبه و رجاؤه،و سكن،و صار كسائر الكمل من العارفين» (1).

و الحق ان حقائق الصفات الإلهيه أجل و أعظم من ادراک العقول البشريه،و لا تطيق أحد من الكمل أن يتحمل لفهم جزء من الأجزاء الغير المتناهيه منها،فالوصول إلى ما عليه الحضره الربوبيه من العظمه و الجلال و سائر صفات الكمال فى حين المحال،(و ما قيل أو يقال فيه)و هم أو خيال، فاين يحصل لأحد ما يليق به من المعرفه و المخبه؟فلو امكن ان تدخل أمثال هذه العوالم المخلوقه من السماوات و الأرضين و ما فوقهما و اضعافهما بقدر

1- 1) صححنا الروايه على(احياء العلوم):4-288.

غير متناه فى جوف خردله،لامكن أن تدخل فى أعظم العقول ذره من عظمته و جلاله،و غايه المعرفه ان يعرف عظمته و قدرته و جلاله و عزته و سائر اوصافه الكماليه بأمثال هذه العنوانات و التمثيلات،و هى أيضا لو ضوعفت إلى غير النهايه فى ازمنه غير متناهيه،لكانت بيانات قاصره،بل و هميه خياليه،فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته! و من علامات المحبه الانس و الرضا-كما يأتى-.و قد جمع بعض العارفين علامات المحب فى أبيات،فقال:

لا تخدعن فللمحب دلائل

و لديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه

و سروره فى كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطيه مقبوله

و الفقر إكرام و بر عاجل

و من الدلائل ان ترى من عزمه

طوع الحبيب و ان ألح العاذل

و من الدلائل ان يرى متبسما

و القلب فيه من الحبيب بلابل

و من الدلائل ان يرى متفهما

لكلام من يحظى لديه سائل

و من الدلائل ان يرى متقشفا

متحفظا عن كل ما هو قائل

و من الدلائل ان تراه مشمرا

فى خرقتين على شطوط الساحل

و من الدلائل حزنه و نحيبه

خوف الظلام فما له من عاذل

و من الدلائل ان تراه باكيا

ان قد رآه على قبيح فاعل

و من الدلائل أن تراه راضيا

بمليكه فی كل حكم نازل

و من الدلائل زهده فيما ترى

من دار ذل و النعيم الزائل

و من الدلائل ان تراه مسلما

كل الأمور إلى المليک العادل

و من الدلائل ضحکه بين الورى

و القلب محزون كقلب الثاكل

و من الدلائل أن تراه مسافرا

نحو الجهاد و كل فعل فاضل

ص :۱۷۹

فصل (معنی حب اللّه لعبده)

اعلم ان شواهد الکتاب و السنه ناطقه بأن اللّه-سبحانه-یحب العبد، کقوله-تعالی-:

یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ

(۱)

.و قوله-تعالی-: إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ (۲).و قوله-تعالی-:

إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ التَّوّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ

(۳)

.

و قوله-تعالی-: قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللّهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ (۴).

و قال رسول اللّه(ص):«ان اللّه یعطی الدنیا من یحب و من لا یحب، و لا یعطی الایمان الا من یحب».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا لم یضره ذنب».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا ابتلاه،فان صبر اجتباه،و ان رضی اصطفاه».و قال(ص):«من أکثر ذکر اللّه أحبه اللّه».و قال(ص) حاکیا عن اللّه:«لا یزال العبد یتقرب إلیّ بالنوافل حتی أحبه،فإذا احببته کنت سمعه الذی یسمع به،و بصره الذی یبصر به،و لسانه الذی ینطق به».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا،جعل له واعظا من نفسه، و زاجرا من قلبه،یأمره و ینهاه»...و أمثال ذلک أکثر من أن تحصی.

ثم حقیقه الحب-و هو المیل إلی موافق ملائم-غیر متصور فی حق اللّه

۱- ۱) المائده،الآیه:۵۷.

۲- ۲) الصف،الآیه:۴.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۲۲.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۳۱.

-تعالى-،بل هذا انما يتصور فى حق نفوس ناقصه،و اللّه-سبحانه- صاحب كل جمال و كمال و بهاء و جلال،و كل ذلك حاضر له بالفعل أزلا و ابدا،اذ لا يتصور تجدده و زواله،فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غير،بل ابتهاجه بذاته و صفاته و افعاله.و ليس فى الوجود إلا ذاته و صفاته و افعاله،و لذلك قال بعض العرفاء-لما قرئ قوله-تعالى-: يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ -:«نحن نحبهم،فانه ليس يحب إلا نفسه»،على معنى انه الكل و انه فى الوجود ليس غيره.فمن لا يحب إلا ذاته،و صفات ذاته،و افعال ذاته و تصانيف ذاته،فلا يجاوز حبه و ذاته و تواضع ذاته من حيث هى متعلقه بذاته، فهو إذا لا يحب إلا ذاته.و ليس المراد من محبه اللّه لعبده هو الابتهاج العام الذى له-تعالى-بافعاله له،إذ المستفاد من الآيات و الاخبار:أن له-تعالى- خصوصيه محبه لبعض عباده ليست لسائر العباد و المخلوقات،فمعنى هذه المحبه يرجع إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه،و إلى تمكينه إياه من القرب إليه،و إلى إرادته ذلك به فى الازل،و إلى تطهير باطنه عن حلول الغير به،و تخليته عن عوائق تحول بينه و بين مولاه،حتى لا يسمع إلا بالحق و من الحق،و لا يبصر إلا به،و لا ينطق إلا به-كما فى الحديث القدسى- فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه،و ارتفاع الحجاب عن قلبه،و حصوله فى درجه القرب من ربه،و كل ذلك من فضل اللّه-تعالى-و لطفه به.

ثم قرب العبد من اللّه لا يوجب تغيرا و تجددا فى صفات اللّه-تعالى-، اذ التغير عليه-سبحانه-محال،لانه لا يزال فى نعوت الكمال و الجلال و الجمال على ما كان عليه فى ازل الآزال،بل يوجب مجرد تغير العبد بترقيه فى مدارج الكمال،و التخلق بمكارم الأخلاق التى هى الأخلاق الإلهيه، فكلما صار اكمل صفه و أتم علما و إحاطه بحقائق الأمور،و اثبت قوه فى

قهر الشياطين و قمع الشهوات،و أظهر نزاهه عن الرذائل،و أقوى تصرفا فى ملكوت الأشياء،صار أقرب إلى اللّه.و درجات القرب غير متناهيه، لعدم تناهى درجات الكمال،فمثل تقرب العبد إلى اللّه ليس كتقرب أحد المتقاربين إلى الآخر إذا تحركا معا،بل كتقرب أحدهما مع تحركه إلى الآخر الذى كان ساكنا،او كتقرب التلميذ فى درجات الكمال إلى أستاذه،فان التلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى بقاع العلم،و يطلب القرب من أستاذه فى درجات العلم و الكمال،و الأستاذ ثابت واقف،و ان كان التلميذ يمكن ان يصل إلى مرتبه المساواه الأستاذه لتناهى كمالاته،و أما العبد، كائنا من كان،لا يمكن أن يصل إلى كمال يمكن أن يكون له نسبه إلى كمالاته -سبحانه-،لعدم تناهى كمالاته شده و قوه و عده،و علامه كون العبد محبوبا عند اللّه.أن يكون هو محبا له-تعالى-،مؤثرا إياه على غيره من المحاب،و ان يرى من بواطن أموره و ظواهره انه-تعالى-يهيء له أسباب السعاده فيها،و يرشده إلى ما فيه خيره،و يصده عن المعاصى باسباب يعلم حصولها منه-سبحانه-،انه-تعالى-يتولى امره،ظاهره و باطنه،و سره و جهره،فيكون هو المشير عليه،و المدبر لأمره،و المزين لأخلاقه،و المستعمل لجوارحه،و المسدد لظاهره و باطنه،و الجاعل لهمومه هما واحدا،و المبغض للدنيا فى قلبه،و الموحش له من غيره،و المونس له بلذه المناجاه فى خلواته و المكاشف له عن الحجب بينه و بين معرفته.

تذنيب (الحب فى اللّه و البغض فى اللّه)

اعلم ان الاخبار متظاهره فى مدح الحب فى اللّه و البغض فى اللّه و عظم فضيلته و ثوابه،و معناه لا يخلو عن إبهام،فلا بد أن نشير إلى بعض هذه

الاخبار،ثم نبين حقيقته و نكشف عن معناه.

أما الاخبار:كقول النبى(ص):«ودّ المؤمن للمؤمن فى اللّه أعظم شعب الايمان،الا و من أحب فى اللّه.و أبغض فى اللّه.و أعطى فى اللّه.و منع فى اللّه فهو من اصفياء اللّه».و قال(ص)لاصحابه:«أى عرى الايمان اوثق؟» فقالوا:اللّه و رسوله اعلم-فقال بعضهم:الصلاه،و قال بعضهم،الزكاه، و قال بعضهم:الصيام،و قال بعضهم:الحج و العمره،و قال بعضهم:الجهاد- فقال رسول اللّه(ص):«لكل ما قلتم فضل و ليس به،و لكن اوثق عرى الايمان الحب فى اللّه و البغض فى اللّه،و توالى أولياء اللّه و التبرى من اعداء اللّه».

و قال(ص):«المتحابون فى اللّه يوم القيامه على ارض زبرجده خضراء فى ظل عرشه عن يمينه-و كلنا يديه يمين-وجوههم أشد بياضا و أضوأ من الشمس الطالعه،يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب و كل نبى مرسل،يقول الناس:من هؤلاء؟فيقال:هؤلاء المتحابون فى اللّه». و قال سيد الساجدين -عليه السّلام-:«اذا جمع اللّه-عز و جل-الأولين و الآخرين،قام مناد فنادى ليسمع الناس،فيقول:اين المتحابون فى اللّه؟قال:فيقوم عنق من الناس،فيقال لهم:اذهبوا إلى الجنه بغير حساب.قال:فتلقاهم الملائكه، فيقولون:الى اين؟فيقولون:الى الجنه بغير حساب،فيقولون:أى حزب انتم من الناس:فيقولون:نحن المتحابون فى اللّه.قال:فيقولون:و اى شىء كانت أعمالكم؟قالوا:كنا نحب فى اللّه و نبغض فى اللّه.قال:فيقولون:نعم اجر العاملين» .و قال الباقر(ع):«اذا ردت ان تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك،فان كان يحب أهل طاعه اللّه و ببغض أهل معصيته ففيك خير و اللّه يحبك،و إذا كان يبغض أهل طاعه اللّه و يحب أهل معصيته فليس فيك خير و اللّه يبغضك.و المرء مع من أحبه».و قال(ع):«لو ان رجلا أحب رجلا

للّه،لأثابه اللّه على حبه إياه،و ان كان المحبوب فى علم اللّه من أهل النار، و لو ان رجلا ابغض رجلا للّه،لاثابه اللّه على بغضه إياه،و ان كان المبغض فى علم اللّه من أهل الجنه». و قال الصادق(ع):«من أحب للّه،و ابغض للّه، و أعطى للّه،فهو ممن كمل ايمانه».و قال(ع):«ان المتحابين فى اللّه يوم القيامه على منابر من نور،قد اضاء نور وجوههم و نور اجسادهم و نور منابرهم كل شىء،حتى يعرفوا به،فيقال:هؤلاء المتحابون فى اللّه».و قال (ع):«و هل الايمان الا الحب فى اللّه و البغض فى اللّه؟ثم تلا هذه الآيه:

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ

(۱)

.

و قال(ع):«ما التقى المؤمنان قط إلا كان افضلهما أشدهما حبا لأخيه».و قال(ع):«من لم يحب على الدين و لم يبغض على الدين فلا دين له».و الاخبار بهذه المضامين كثيره (۲).

و إذا عرفت ذلك،فلنشر إلى معنى الحب فى اللّه و البغض فى اللّه فنقول:

الحب الذى بين انسانين،اما يحصل بمجرد الصحبه الاتفاقيه،كالصحبه بحسب الجوار،او بحسب الاجتماع فى سوق،او مدرسه،او سفر،او باب سلطان،او أمثال ذلك،و معلوم ان مثل هذا الحب ليس من الحب فى اللّه بل هو الحب بحسب الاتفاق،أو لا يحصل بمجرد ذلك،بل له سبب و باعث آخر،و هذا على أربعه اقسام:

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۷.

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):ج ۲،باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.و على(الوافى):۳-۳۴۴،باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.

الأول-أن يحب انسان إنسانا لـذاته،لا ليتوصل به إلى محبوب و مقصود وراءه،بأن يكون هو فى ذاته محبوبا عنـده،بمعنى انه يلتذ برؤيته و معصـيته و مشاهده اخلاقه،لاستحسانه له،فان كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله،و كل لذيذ محبوب،و اللذه تتبع الاستحسان،و الاستحسان يتبع المناسبه و الموافقه و الملائمه بين الطباع.ثم ذلك المستحسن،اما أن يكون جمال الصوره،و كمال العقل،و غزاره العلم،و حسن الأخلاق و الافعال،و كل ذلك يستحسن عند الطباع السليمه،و كل مستحسن مستلذ به و محبوب،و من هـذا القسم أن يحبه لأجل مناسـبه خفيه معنويه بينهما،فانه قد تسـتحكم الموده بين شخصـين من غير حسن فى خلق و خلق،و من دون ملاحه فى صوره،و لا غيرها من الأعضاء،بل المناسبه باطنه توجب الألفه و الموافقه و المحبه،فان شبه الشىء ينجذب إليه بالطبع،و الأشياء الباطنه خفيه،و لها أسباب دقيقه ليس فى قوه البشر أن يطلع عليها،و إلى هـذا القسم من الحب و الموافقه أشار رسول اللّه(ص)بقوله:«الأرواح جنود مجنـده،فما تعارف منها ائتلف،و ما تناكر منها اختلف».فالحب نتيجه التناسب الـذى هو التعارف،و البغض نتيجه التناكر.و معلوم ان هـذا القسم من الحب لا يـدخل فى الحب للّه،بل هو حب بالطبع و شهوه النفس، لذا يتصور ممن لا يؤمن باللّه،إلا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما،و إلا فهو مباح لا يوصف بمدح و ذم.

الثانى-أن يحبه لا لـذاته،بل لينال منه محبوبا وراء ذاته،و كانت لهـذا المحبوب فائده دنيويه.و لا ريب فى أن كلما هو وسيله إلى المحبوب محبوب، و عدم كون هذا الحب من جمله الحب فى اللّه ظاهر.

الثالث-أن يحبه لا لذاته،بل لغيره،و ذلك الغير راجع إلى

حظوظه فی الآخره دون الدنیا،و ذلک کحب التلمیذ للاستاذ،لأن یتوسل به إلی تحصیل العلم و تحسین العمل،و مقصوده من العلم و العمل سعاده الآخره.

و هذا الحب من جمله الحب فی اللّه،و صاحبه من محبی اللّه،و کذلک حب الأستاذ للتلمیذ،لأنه یتلقف منه العلم،و ینال بواسطته مرتبه التعلیم، و یترقی به إلی درجه التعظیم فی ملکوت السماء.قال عیسی(ع):«من علم و عمل و علم،فذلک یدعی عظیما فی ملکوت السماء».و لا یتم التعلیم إلا بمتعلم،فهو إذن آله فی تحصیل هذا الکمال،فان أحبه لأنه آله إذ جعل صدره مزرعه لحرثه،فهو محب للّه.

بل التحقیق:أن کل من یحب أحدا لصنعته،أو فعله الذی یوجب تقربه إلی اللّه،فهو من جمله المحبین فی اللّه،کحب من یتولی له إیصال الصدقه الی المستحقین،و حب طباخ یحسن صنعته فی الطبخ لأجل طبخه لمن یضیفه تقربا إلی اللّه،و حب من ینفق علیه و یواسیه بکسوته و طعامه و مسکنه و جمیع مقاصده التی یقصده فی الدنیا،و مقصوده من ذلک الفراغ لتحصیل العلم و العباده،و حب من یخدمه بنفسه من غسل ثیابه و کنس بیته و طبخ طعامه و أمثال ذلک من حیث إنه یفرغه لتحصیل العلم و العمل...و قس علی ما ذکر أمثاله،و المعیار أن کل من أحب غیره من حیث توسله لأجله الی فائده أخرویه فهو محب اللّه و فی اللّه.

الرابع-أن یحبه للّه و فی اللّه،لا لینال منه علما أو عملا،أو یتوسل به إلی امر وراء ذاته،و ذلک بأن یحبه من حیث إنه متعلق باللّه و منسوب الیه،إما بالنسبه العامه التی ینتسب بها کل مخلوق إلی اللّه،أو لأجل خصوصیه النسبه أیضا،من تقربه إلی اللّه،و شده حبه و خدمته له-تعالی-.

و لا ریب فی أن من آثار غلبه الحب أن یتعدی من المحبوب إلی کل من یتعلق

به و يناسبه،و لو من بعد،فمن أحب إنسانا حبا شديدا،أحب محب ذلک الإنسان و أحب محبوبه و من يخدمه و من يمدحه و يثنى عليه أو يثنى محبوبه، و أحب أن يتسارع إلى رضاء محبوبه،كما قيل:

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حب الديار شغفن قلبى

و لكن حب من سكن الديارا

و اما البغض فى اللّه،فهو ان يبغض انسان إنسانا لأجل عصيانه للّه و مخالفته له-تعالى-،فان من يحب فى اللّه لا بد ان يبغض فى اللّه،فانک إن أحببت إنسانا لأنه مطيع للّه و محبوب عنده،فان عصاه لا بد ان تبغضه، لأنه عاص فيه و ممقوت عند اللّه،قال عيسى(ع):«تحببوا إلى اللّه ببغض أهل المعاصى،و تقربوا إلى اللّه بالتباعد عنهم،و التمسوا رضاء اللّه بسخطهم».

و روى:«انه-تعالى-اوحى إلى بعض أنبيائه،اما زهدک فى الدنيا فقد تعجلت الراحه،و اما انقطاعک إلى فقد تعززت بى،و لكن هل عاديت فى عدوا،او واليت وليا؟».

ثم للمعصيه درجات مختلفه،فانها قد تكون بالاعتقاد،كالكفر و الشرک و البدعه،و قد تكون بالقول و الفعل،و هذا إما ان يكون مما يتأذى به غيره،كالقتل و الغصب و الضرب و شهاده الزور و سائر أنواع الظلم،او لا يكون مما يتأذى به غيره،و هذا إما يوجب فساد الغير،كالجمع بين الرجال و النساء،و تهيئه أسباب الشر و الفساد على ما هو دأب صاحب الماخور،أو لا يوجب فساد الغير،كالزنا و شرب الخمر،و هذا أيضا إما كبيره أو صغيره. و إظهار البغض أيضا له درجات مختلفه،كالتباعد و الهجران،و قطع اللسان عن المكالمه و المحادثه،و التغليظ فى القول، و الاستخفاف و الاهانه،و عدم السعى فى إطاعته،و السعى فى اساءته

و افساد مآربه،و بعض هذا أشد من بعض،کما أن درجات الفسق و المعصیه أیضا کذلک،فینبغی أن یکون الأشد من درجات البغض بإزاء الأشد من درجات المعصیه و الفسق،و الوسط بإزاء الوسط،و الأضعف بإزاء الأضعف، و ینبغی ألا یترک أولا النصیحه،و الأمر بالمعروف،و النهی عن المنکر، و تغلیظ القول فی الوعظ و الإرشاد،لا سیما إذا کان العاصی ممن بینه و بینه صحبه متأکده.ثم العاصی إن کان ممن له صفات محموده،کالایمان و العلم و السخاء و العباده و الطاعه أو أمثال ذلک،ینبغی أن یکون مبغوضا لأجل معصیته و محبوبا لأجل صفته المحموده،و هذا کما أن من وافقک فی غرض و خالفک فی آخر تکون معه علی حاله متوسطه بین التردد إلیه و التوحش عنه،فلا تبالغ فی إکرامه مبالغتک فی إکرام من یوافقک فی جمیع اغراضک، و لا تبالغ فی اهانته مبالغتک فی إهانه من خالفک فی جمیع اغراضک.

تتمیم (الوفاء فی الحب)

اعلم ان من تمام الحب للاخوان فی اللّه(الوفاء)،و هو الثبات علی الحب و لوازمه و ادامته إلی الموت و بعده مع أولاده و اصدقائه،و ضده(الجفاء)، و هو قطع الحب أو بعض لوازمه فی أیام الحیاه او بعد الموت بالنسبه إلی أولاده و أحبته،و لو لا الوفاء فی الحب لما کانت فیه فائده،اذ الحب إنما یراد للآخره،فان انقطع قبل الموت لضاع السعی و حبط العمل،و لذلک قال رسول اللّه فی السبعه الذین یظلمهم اللّه یوم القیامه:«و اخوان تحابا فی اللّه اجتمعا علی ذلک و تفرقا علیه». و روی:«أنه(ص)کان یکرم بعض العجائز کلما دخلت علیه،فقیل له فی ذلک،فقال:إنها کانت تأتینا أیام خدیجه،و ان کرم العهد من الدین».فمن الوفاء مراعاه جمیع الاصدقاء

و الأقارب و المتعلقين،و مراعاتهم اوقع فى القلب من مراعاه الأخ المحبوب فى نفسه،فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر من فرحه بتفقد نفسه،اذ لا تعرف قوه المحبه و الشفقه الا بتعديها من المحبوب إلى كل من يتعلق به، حتى ان من قوى حبه لأخيه تميز فى قلبه كلبه الذى على باب داره من سائر الكلاب.و لا ريب فى ان المحبه التى تنقطع-و لو بعد الممات-لا تكون محبه فى اللّه،اذ المحبه فى اللّه دائمه لا انقطاع لها.فما قيل من ان(قليل الوفاء بعد الوفاه خير من كثيره حال الحياه)انما هو لدلالته على كون الحب فى اللّه.

و بالجمله:الوفاء بالمحبه تمامها.و من آثار الوفاء ان يكون شديد الجزع من مفارقته،و الا يسمع بلاغات الناس عليه،و ان يحب صديقه و يبغض عدوه، و ليس من الوفاء موافقه الأخ فيما يخالف الحق فى امر يتعلق بالدين،بل من الوفاء المخالفه له و إرشاده إلى الحق.

هذا و اما البعد و الانس،فقد عرفت ان الانس عباره عن استبشار القلب بما يلاحظه من المحبوب بعد الوصول،و البعد خلافه،و الأنس و الخوف و الشوق كلها من آثار المحبه،و كل واحد منها يرد على المحب بحسب نظره،و مما يغلب عليه فى وقته،فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال، و استشعر قصوره من الاطلاع على كنه الجلال،انبعثت النفس و انزعجت له و هاجت إليه،فسميت هذه الحاله فى الانزعاج(شوقا)،و هو بالإضافه إلى امر غايب،و إذا غلب عليه الفرح بالقرب و مشاهده الحضور بما هو حاصل من الكشف،و كان نظره مقصورا على مطالعه الجمال الحاضر المكشوف، غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد،استبشر القلب بما يلاحظه فيه.فيسمى استبشاره (انسا)،و ان كان نظره إلى صفات العز و الجلال و الاستغناء و عدم المبالاه،و استشعر إمكان الزوال و البعد،تألم قلبه بهذا الاستشعار،فيسمى

تألمه(خوفا)،و هذه الأحوال تابعه لهذه الملاحظات،فان غلب الأنس و تجرد عن ملاحظه ما غاب عنه و ما يتطرق إليه من خطر الزوال،عظم نعيمه و لذته،و غلب عليه الأنس باللّه،و لم تكن شهوته الا فى الانفراد و الخلوه،و ذلك لان الانس باللّه يلازمه التوحش من غير اللّه،بل كلما يعوق من الخلوه يكون اثقل الأشياء على القلب،كما روى:«ان موسى (ع)لما كلمه ربه،مكث دهرا لا يسمع كلامه أحد من الخلق الا أخذه الغشيان»،و لان الحب يوجب عذوبه كلام المحبوب و عذوبه ذكره،فيخرج عن القلب عذوبه ما سواه،فان خالط الناس كان كمنفرد فى جماعه،و مجتمع فى خلوه،و غريب فى حضر،و حاضر فى سفر،و شاهد فى غيبه،و غائب فى حضور،و مخالط بالبدن،متفرد بالقلب المستغرق فى عذوبه الذكر، قال أمير المؤمنين(ع)فى وصفهم:«هم قوم هجم بهم العلم على حقيقه الامر، فباشروا روح اليقين،و استلانوا ما استوعره المترفون،و انسوا بما استوحش منه الجاهلون،صحبوا الدنيا بابدان ارواحها متعلقه بالمحل الأعلى،أولئك خلفاء اللّه فى ارضه،و الدعاه إلى دينه».

فصل (الانس باللّه)

من أنكر وجود الحب و الشوق أنكر وجود الانس أيضا،ظنا انه يدل على التشبيه،و هو ناش عن الجهل بالابتهاجات العقليه و اللذات الحقيقيه، و عن القصور فى طريق المعرفه،و الجمود على احكام الحس،و الغفله عن عالم العقل و البصيره،و قد ظهر ثبوت الانس من بعض الاخبار السابقه، و يدل عليه ما ورد فى اخبار داود:«ان اللّه-عز و جل-اوحى إليه:

يا داود!ابلغ أهل ارضى:انى حبيب لمن احبنى،و جليس لمن جالسنى،

و مؤنس لمن أنس بذكرى،و صاحب لمن صاحبنى،و مختار لمن اختارنى،و مطيع لمن اطاعنى،ما أحبنى عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى،و احببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقى،من طلبنى بالحق وجدنى،و من طلب غيرى لم يجدنى،فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها،و هلموا إلى كرامتى و مصاحبتى و مجالستى،و آنسوا بى اؤانسكم،و اسارع إلى محبتكم».

فصل (الأنس قد يثمر الإدلال)

قال أبو حامد الغزالى:«الأنس إذا دام و غلب و استحكم،و لم يشوشه قلق الشوق،و لم ينغصه خوف البعد و الحجاب،فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الأقوال و الافعال و المناجاه مع اللّه-سبحانه-،و قد يكون منكرا بحسب الصوره،لما فيه من الجراه و قله الهيبه،و لكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الأنس،و من لم يقم فى ذلك المقام و تشبه بهم فى الفعل و الكلام،هلك و أشرف على الكفر.و مثاله مناجاه(برخ الأسود)الذى أمر اللّه-تعالى- كليمه موسى(ع)أن يسأله ليستسقى لبنى أسرائيل،بعد أن قحطوا سبع سنين،و خرج موسى فى سبعين الفا،فاوحى اللّه-عز و جل-اليه:كيف استجيب لهم و قد اظلت عليهم ذنوبهم؟سرائرهم خبيثه،يدعوننى على غير يقين،و يأمنون مكرى،ارجع إلى عبد من عبادى يقال له(برخ)،فقل له:يخرج حتى استجيب له.فسأل عنه موسى،فلم يعرف،فبينا موسى ذات يوم يمشى فى طريق،اذا بعبد اسود قد استقبله،بين عينيه تراب من اثر السجود،فى شمله قد عقدها على عنقه،فعرفه موسى بنور اللّه-عز و جل-، فسلم عليه و قال له:ما اسمك؟فقال:اسمى برخ،قال:فأنت طلبتنا منذ حين، اخرج فاستسق لنا،فخرج،فقال فى كلامه:ما هذا من فعالك،

و لا هذا من حلمك،و ما الذی بدا لک؟أ تعصت علیک غیومک؟ أم عاندت الریاح عن طاعتک؟أم نفد ما عندک؟أم اشتد غضبک علی المذنبین؟ألست کنت غفارا قبل خلق الخاطئین؟خلقت الرحمه و أمرت بالعفو،أم ترینا انک ممتنع؟أم تخشی الفوت فتعجل بالعقوبه؟!...قال:

فما برح حتی اخضل بنو أسرائیل بالمطر،و أنبت اللّه-عز و جل-العشب فی نصف یوم حتی بلغ الرکب،ثم رجع(برخ)،فاستقبله موسی،فقال:

کیف رأیت حین خاصمت ربی،کیف انصفنی؟!فهمّ به موسی،فاوحی اللّه الیه:إن برخا یضحکنی کل یوم ثلاث مرات»!! (۱).و لا ریب فی ان أمثال هذه الکلمات الصادره عن الانبساط و الإدلال یحتمل من بعض العباد دون البعض،فمن انبساط الانس قول موسی:

إِنْ هِیَ إِلاّٰ فِتْنَتُکَ

(۲)

و قوله فی التعلل و الاعتذار،لما قیل له.

اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ

(۳)

: وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ یَقْتُلُونِ (۴).و قوله: وَ یَضِیقُ صَدْرِی (۵).و قوله: إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ یَفْرُطَ عَلَیْنٰا أَوْ أَنْ یَطْغیٰ (۶).

ص:۱۹۲

۱- ۱) هذا من عجائب المنقولات الخرافیه،و الغریب من(ابی حامد الغزالی) این یرکن إلی مثله،و قد أشار المصنف-قدس سره-الی بطلان ما نقله بقوله: (و لا ریب).

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۵۴.

۳- ۳) طه،الآیه:۲۴.النازعات،الآیه:۱۷.

۴- ۴) الشعراء،الآیه:۱۴.

۵- ۵) الشعراء،الآیه:۱۳.

۶- ۶) طه،الآیه:۴۵.

و هـذا من غير موسـى سوء الادب،لان الـذى أقيم مقام الأنس يلاطف و يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره.كيف و لم يحتمل من يونس النبى(ع) مـا دون هـذا الحال،اقيم مقام القبض و الهيبه،فعوقب بالسـجن فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث،فنودى عليه إلى يوم الحشر،لو لا ان تداركته نعمه من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم.و نهى نبينا ان يقتدى به،فقيل له:

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لاٰ تَكُنْ كَصٰاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نٰادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ

(۱)

.

و هـذه الاختلافـات بعضـها لاختلاـف المقامـات و الأحوال،و بعضـها لما سـبق فى الازل من التفاضل و التفاوت فى القسـمه بين العباد.قال اللّه-سبحانه-:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ

(۲)

.

فالانبيـاء و الأولياء مختلفون فى الصـفات و الأحوال،ألا ترى ان عيسـى بن مريم(ع)كان فى مقام الانبساط و الإدلال.و لا دلاله له سلم على نفسه،فقال:

وَ السَّلاٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا

(۳)

.

و هذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الانس.و اما يحيى(ع)

۱- ۱) القلم.الآيه:۴۸.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۵۳.

۳- ۳) مريم،الآيه:۳۳.

فانه أقيم مقام الهيبه و الحياء،فلم ينطق حتى سلم عليه خالقه،فقال:

وَ سَلاٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا

(۱)

.

و انظر كيف احتمل لاخوه يوسف ما فعلوا به،و قد قال بعض العلماء:

«قد عددت من أول قوله-تعالى-:

إِذْ قٰالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلىٰ أَبِينٰا مِنّٰا

(۲)

إلى رأس العشرين آيه من اخباره-تعالى-عنهم،فوجدت به نيفا و أربعين خطيئه،بعضها أكبر من بعض،و قد يجتمع فى الكلمه الواحده الثلاث و الأربع،فغفر لهم و عفى عنهم،و لم يحتمل لعزير فى مسأله واحده سأل عنها فى القدر،حتى قيل:لئن عاد محى اسمه عن ديوان النبوه».و من فوائد هذه القصص فى القرآن:ان تعرف بها سنه اللّه فى عباده الذين خلوا من قبل،فما فى القرآن شىء إلا و فيه أسرار و أَنوار يعرفها الراسخون فى العلم.

تذنيب (العزله)

اشاره

اعلم ان من بلغ مقام الانس،غلب على قلبه حب الخلوه و العزله عن الناس.لان المخالطه مع الناس تشغل القلب عن التوجه التام إلى اللّه.فلا بد لنا من بيان ان الأفضل من العزله و المخالطه ايهما.فان العلماء فى ذلك مختلفون.و الاخبار أيضا فى ذلك مختلفه.و لكل واحد منها أيضا فوائد و مفاسد.فنقول:الظاهر من جماعه:تفضيل العزله على المخالطه مطلقا.

۱- ۱) مريم.الآيه:۱۴.

۲- ۲) يوسف.الآيه:۸.

و الظاهر من الأخرى:عكس ذلک.

نظر الأولین إلی إطلاق ما ورد فی مدح العزله،و إلی فوائدها و ما ورد فی مدحها،کقول النبی(ص):«ان اللّه یحب العبد التقی الخفی»، و قوله(ص):«أفضل الناس مؤمن یجاهد بنفسه و ماله فی سبیل اللّه،ثم رجل معتزل فی شعب من الشعاب»،و قوله(ص)لمن سأله عن طریق النجاه:

«لیسعک بیتک،و أمسک علیک دینک،و ابک علی خطیئتک»، و قول الصادق(ع):«فسد الزمان،و تغیر الاخوان،و صار الانفراد اسکن للفؤاد»،و قوله(ع):«اقلل معارفک،و أنکر من تعرف منهم»،و قوله -علیه السّلام-:«صاحب العزله متحصن بحصن اللّه- تعالی-،و متحرس بحراسته،فیا طوبی لمن تفرد به سرا و علانیه!و هو یحتاج إلی عشر خصال:

علم الحق و الباطل،و تحبب الفقر،و اختیار الشده،و الزهد،و اغتنام الخلوه، و النظر فی العواقب،و رؤیه التقصیر فی العباده مع بذل المجهود،و ترک العجب، و کثره الذکر بلا غفله،فان الغفله مصطاد الشیطان و رأس کل بلیه و سبب کل حجاب،و خلوه البیت عما لا یحتاج إلیه فی الوقت.قال عیسی بن مریم علیهما السّلام:(اخزن لسانک لعماره قلبک،و لیسعک بینک،و احذر من الریاء و فضول معاشک،و استح من ربک،و ابک علی خطیئتک،و فرّ من الناس فرارک من الأسد و الافعی،فانهم کانوا دواء فصاروا الیوم داء،ثم الق اللّه متی شئت)».قال ربیع بن خثیم:«إن استطعت أن تکون الیوم فی موضع لا تعرف و لا تعرف فافعل،ففی العزله صیانه الجوارح،و فراغ القلب، و سلامه العیش،و کسر سلاح الشیطان،و المجانبه من کل سوء،و راحه القلب،و ما من نبی و لا وصی إلا و اختار العزله فی زمانه،إما فی ابتدائه،

و إما فى انتهائه» (۱).

و أما فوائد العزله،فكالفراغ للعباده،و الذكر،و الفكر، و الاستيناس بمناجاه اللّه،و الاشتغال باستكشاف أسرار اللّه فى ملكوت السماوات و الأرض،و التخلص عن المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطه:كالغيبه،و الرياء،و سائر آفات اللسان،و مسارقه الطبع الأعمال الخفيه و الأخلاق الرديه من الناس،و المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،و الاستخلاص من الفتن و الخصومات و اخطارها،أو من شر الناس و ايذائهم قولا و فعلا،و قطع طمعه عن الناس،و قطع طمعهم عنه،و الخلاص من مشاهده الظلمه،و الفسقه،و الجهال،و الثقلاء، و الحمقى،و مقاساه أخلاقهم.

و نظر الآخرين-اعنى القائلين بتفضيل المخالطه على العزله-الى إطلاق الظواهر الوارده فى مدح المخالطه و المؤالفه و المؤانسه و إلى فوائدها،أما ما ورد فى مدحها،كقول النبى(ص):«المؤمن إلف مألوف،و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف»،و قوله(ص):«من فارق الجماعه مات ميته الجاهليه» و كالاخبار الوارده فى ذم الهجره عن الاخوان،و قوله(ص):«إياكم و الشعاب،و عليكم بالعامه و الجماعه و المساجد».

و أما فوائد المخالطه:كالتعليم،و التعلم،و كسب الأخلاق الفاضله من مجالسه المتصفين بها،و استماع المواعظ و النصائح،و نيل الثواب بحضور الجمعه و الجماعه و الجنازه،و عياده المرضى،و زياره الاخوان،و قضاء حوائج المحتاجين،و رفع الظلم عن المظلومين،و إدخال السرور على المؤمنين،

۱- ۱) صححنا هذا القول،و كذا الحديث السابق،على(مصباح الشريعه): باب ۲۴،و على(البحار):-باب العزله عن شرار الخلق-مج ۲:۱۵-۵۱ ط أمين الضرب.

و الاستيناس بالاخوان،و بأهل الورع و العباده و التقوى،و هو يروح القلب،و يهيج داعيه النشاط فى العباده،و إيصال النفع إلى المسلمين بالمال و الجاه و اللسان،و استفاده مزيد الأجر و الثواب بتحصيل المعاش و الكد على العيال،و ارتياض النفس بمقاساه الناس فى تحمل أذاهم،و كسر النفس و شهواتها،و ادراك صفه التواضع لتوقفه على معاشره الناس و مخالطتهم و عدم حصوله فى الوحده،و استفاده التجارب و الكياسه فى مصالح الدنيا و الدين،فانها لا تحصل إلا من مخالطه الخلق و مشاهده مجارى أحوالهم.

هذه هى فوائد كل من العزله و المخالطه،و فوائد كل منهما مفاسد و غوائل للآخر،و أنت-بعد ما عرفت فوائد كل منهما و غوائله-تعلم أن الحكم بترجيح أحدهما على الآخر على الإطلاق خطأ،كيف يجوز أن يقال:ان العزله أفضل لشخص جاهل لم يتعلم شيئا من اصوله و فروعه،و لم يقرع سمعه علم الأخلاق،و لم يميز بين فضائل الصفات و رذائلها،فضلا عن أن تحصل له التخليه و التحليه،و مع ذلك يمكن أن يحصل ذلك بالمخالطه مع العلماء و أولى الأخلاق الفاضله؟و كيف يجوز أن يقال:إن المخالطه أفضل لمن حصل ما فى و سعه و قدرته من العلم و العمل،و وصل إلى مرتبه الابتهاج و الالتذاذ بالطاعات و المناجاه،و لم يترتب على مخالطته مع الناس شيء من الفوائد الدينيه و الدنيويه،بل تترتب عليه المفاسد الكثيره؟ فالصحيح أن يقال:إن الأفضليه فيهما تختلف بالنظر إلى الأشخاص و الأحوال و الأزمان و الأمكنه.فينبغى أن ينظر إلى كل شخص و حاله، و إلى خليطه،و إلى باعث مخالطته،و إلى ما يحصل بمخالطته من فوائد المخالطه،و ما يفوت لاجلها من فوائد العزله.و يوازن بين ذلك،حتى يظهر الأفضل و الارجح،و لاختلاف ذلك فى حق الأشخاص،

بملاحظه الأحوال و الفوائد و الآفات.و ربما يظهر-بعد التأمل-أن الأفضل لبعض الخلق العزله التامه،و لبعضهم المخالطه،و لبعضهم الاعتدال فى العزله و المخالطه.و بما ذكر يظهر أن الأفضل لمن بلغ مقام الانس و الاستغراق:

الخلوه و العزله،إذ لا ريب فى أن المخالطه توجب السقوط عن مرتبه الشهود و الانس،و لا يتصور من فوائدها شيء يقاوم ذلك.و لذلك كان المحبون المستأنسون باللّه يعتزلون عن الخلق و يؤثرون الخلوه. قال أويس القرنى:

«ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره»،و قال بعضهم:«إذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهيه لقاء الناس».و قال بعضهم:«سرور المؤمن و لذته فى الخلوه بمناجاه ربه». و قال بعض الصالحين:«رأيت فى بعض البلاد عابدا خرج من بعض قلل الجبال،فلما رآنى تنحى عنى و تستر بشجره.فقلت له:سبحان اللّه!أ تبخل على بالنظر إليك؟فقال:يا هذا! انى قمت فى هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا و أهلها، فطال فى ذلك تعبى و فنى فيه عمرى،فسألت اللّه-تعالى-أن يعطينى ذلك.فسكن قلبى عن الاضطراب،و ألف الوحده و الانفراد.فلما نظرت اليك خفت ان اوقع فى الأول.فانى أعوذ من شرك برب العالمين و حبيب القانتين.ثم صاح و قال:واغماه من طول المكث فى الدنيا!ثم حول وجهه عنى و قال:سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذه الخلود و حلاوه الانقطاع إليه!ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان و عن الحور الحسان». و قال بعض الأكابر:«إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيله.فبملاقاه الناس و مخالطتهم يفرح و يطرد الوحشه من نفسه.

فإذا كانت ذاته فاضله طلب الوحده ليستعين بها على الفكره و يستخرج العلم و الحكمه».و من هنا قيل:«الاستيناس بالناس من علامات الا فلاس».

فمن تیسر له منزله بدوام الذکر و الانس باللّه و بدوام الفکر و التحقیق فی معرفه اللّه،فالتجرد و الخلوه أفضل له من کل ما یتعلق بالمخالطه.فان غایه العبادات و ثمره المجاهدات أن یموت الإنسان محبا للّه عارفا باللّه،و لا محبه إلا بالأنس الحاصل بدوام الذکر،و لا معرفه إلا بدوام الفکر.و فراغ القلب شرط لکل منهما،و لا فراغ مع المخالطه.

فان قلت:لا منافاه بین المخالطه مع الناس و الانس باللّه،و لذا کان الأنبیاء مخالطین للناس مع غایه استغراقهم فی الشهود و الانس.

قلنا:لا یتسع للجمع بین مخالطه الخلق ظاهرا و الإقبال التام علی اللّه سرا إلا قوه النبوه.فلا ینبغی أن یغتر کل ضعیف بنفسه فیطمع فی ذلک. ثم بما ذکرناه یظهر وجه الجمع بین الاخبار الوارده من الطرفین.

فان ما ورد فی فضیله العزله إنما هو بالنظر إلی بعض الناس،و ما ورد فی فضیله المخالطه انما هو بالنظر إلی بعض آخر.

و منها:

اشاره

السخط

السخط فیما یخالف هواه من الواردات الإلهیه و التقدیرات الربانیه.

و یرادفه الإنکار و الاعتراض،و هو من شعب الکراهه لافعال اللّه.و هو ینافی الایمان و التوحید.و ما للعبد العاجز الذلیل المهین الجاهل بمواقع القضاء و القدر،و الغافل عن موارد الحکم و المصالح،الاعتراض و الإنکار.

و السخط لافعال الخالق الحکیم العلیم الخبیر.و انی للعبد ألا یرضی بما یرضی به ربه.و لعمری!أن من یعترض علی فعل اللّه فهو أشد الجهلاء،و من لم یرض بالقضاء فلیس لحمقه دواء.و قد ورد فی الخبر القدسی:«خلقت الخیر و الشر.فطوبی لمن خلقته للخیر و أجریت الخیر علی یدیه،و ویل

لمن خلقته للشر و أجريت الشر على يديه،و ويل ثم ويل لمن قال لم و كيف!». و فى خبر قدسى آخر:«أنا اللّه لا إله إلا انا،من لم يصبر على بلائى،و لم يشكر على نعمائى،و لم يرض بقضائى،فليتخذ ربا سواى» و فى مناجاه موسى:«أى رب!أىّ خلقك أحب إليك؟قال:من إذا أخذت منه المحبوب سالمنى.قال:فأى خلقك أنت عليه ساخط؟قال:من يستخيرنى فى الأمر،فإذا قضيت له سخط قضائى».و فى الخبر القدسى:«قدرت المقادير،و دبرت التدبير،و احكمت الصنع،فمن رضى فله الرضا منى حين يلقانى،و من سخط فله السخط منى حين يلقانى».و قال الباقر(ع):

«و من سخط القضاء مضى عليه القضاء،و احبط اللّه أجره».و قال الصادق(ع):

«كيف يكون المؤمن مؤمنا،و هو يسخط قسمته،و يحقر منزلته،و الحاكم عليه اللّه،و أنا الضامن لمن لم يهجس فى قلبه الا الرضا ان يدعو اللّه فيستجاب له».و فى بعض الاخبار:«أن نبيا من الأنبياء شكى إلى اللّه-عز و جل- الجوع و الفقر و العرى عشر سنين،فما أجيب إليه،ثم أوحى اللّه-تعالى- اليه:كم تشكو؟و هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل ان اخلق السماوات و الأرض،و هكذا سبق لك منى،و هكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا،أ فتريد أن اعيد خلق الدنيا من اجلك؟ام تريد ان أبدل ما قدرته عليك،فيكون ما تحب فوق ما أحب،و يكون ما تريد فوق ما أريد؟ و عزتى و جلالى!لئن تلجلج هذا فى صدرك مره أخرى،لأ محونك من ديوان النبوه» (1). و روى انه:«اوحى اللّه-تعالى-الى داود(ع):تريد و أريد و انما يكون ما أريد،فان اسلمت لما أريد كفيتك ما تريد،و ان لم تسلم

١- ١) صححنا هذا الحديث،و كذا الاخبار القدسيه السابقه،على (احياء العلوم):٤-٢٩٥-٢٩٦.

لما أريد أتعبتك فيما تريد،ثم لا يكون إلا ما أريد» (۱).

و بالجمله:من عرف أن العالم بجميع اجزائه،من الجواهر و الاعراض، صادره عنه على وجه الحكمه و الخيريه،و انها النظام الاصلح الذى لا يتصور فوقه نظام،و لو تغير جزء منه على ما هو اختلت الاصلحيه و الخيريه،و عرف اللّه بالربوبيه،و عرف نفسه بالعبوديه،يعلم ان السخط و الاعراض و عدم الرضا بشىء مما يرد،و يكون غايه الجهل و الخطر،و لذلك لم يكن أحد من الأنبياء ان يقول قط فى أمر:ليست كان كذا،حتى قال بعض أصحاب النبى (ص):«خدمت رسول اللّه(ص)عشر سنين،فما قال لى لشىء فعلته:لم فعلت،و لا لشىء لم افعله:لم لم تفعله،و لا قال فى شىء كان:ليته لم يكن، و لا فى شىء لم يكن:ليته كان،و كان إذا خاصمنى مخاصم من أهله،يقول:

دعوه،لو قضى شىء لكان». و روى:«ان آدم(ع)كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه و ينزلون،و يجعل أحدهم رجليه على اضلاعه كهيئه الدرج فيصعد إلى رأسه،ثم ينزل على اضلاعه كذلك،و هو مطرق إلى الأرض لا ينطق،و لا يرفع رأسه،فقال له بعض ولده:يا أبت!أما ترى ما يصنع هذا بك؟لو نهيته عن هذا،فقال:يا بنى!انى رأيت ما لم تروا، و علمت ما لم تعلموا،انى تحركت حركه واحده فأهبطت من دار الكرامه إلى دار الهوان،و من دار النعيم إلى دار الشقاء،فاخاف ان أتحرك حركه أخرى فيصيبنى ما لا اعلم» (۲).

۱- ۱) صححنا هذا الحديث،و كذا ما روى قبله عن أهل البيت-عليهم السّلام- على(أصول الكافى):ج ۲-باب الرضا بالقضاء.و على(سفينه البحار):۱-۲۲۴.

۲- ۲) صححنا الحديث على(احياء العلوم):۴-۲۹۵.

الرضا-فضيله الرضا-رضا اللّه-رد إنكار تحقيق الرضا- هل يناقض الدعاء و نحوه الرضا؟-طريق تحصيل الرضا-التسليم.

ضد السخط(الرضا)

،و هو ترک الاعتراض و السخط باطنا و ظاهرا، قولا و فعلا،و هو من ثمرات المحبه و لوازمها،اذ المحب يستحسن کلما يصدر عن محبوبه،و صاحب الرضا يستوی عنده الفقر و الغنی،و الراحه و العناء، و البقاء و الفناء،و العز و الذل،و الصحه و المرض،و الموت و الحياه،و لا يرجح بعضها علی بعض،و لا يثقل شیء منها علی طبعه،اذ يری صدور الکل من اللّه-سبحانه-،و قد رسخ حبه فی قلبه،بحيث يحب افعاله، و يرجح علی مراده مراده-تعالی-،فيرضی لکل ما يکون و يرد. و روی:

«ان واحدا من أرباب الرضا عمر سبعين سنه،و لم يقل فی هذه المده لشیء کان:ليته لم يکن،و لا لشیء لم يکن:ليته کان».و قيل لبعضهم:

«ما وجدت من آثار الرضا فی نفسک؟فقال:ما فی رائحه من الرضا، و مع ذلک لو جعلنی اللّه جسرا علی جهنم،و عبر عليه الأولون و الآخرون من الخلائق و دخلوا الجنه،ثم يلقونی فی النار،و ملأ بی جهنم،لاحببت ذلک من حکمه،و رضيت به من قسمه،و لم يختلج ببالی أنه لم کان کذا،و ليت لم يکن کذا،و لم هذا حظی و ذاک حظهم».و صاحب الرضا ابدا فی روح و راحه،و سرور و بهجه،لأنه يشاهد کل شیء بعين الرضا،و ينظر فی کل شیء إلی نور الرحمه الإلهيه،و سر الحکمه الأزليه،فکأن کل شیء حصل علی وفق مراده و هواه.و فائده الرضا،عاجلا،فراغ القلب للعباده و الراحه من الهموم،و آجلا،رضوان اللّه و النجاه من غضبه-تعالی-.

ص:٢٠٢

فصل (فضيله الرضا)

الرضا بالقضاء أفضل مقامات الدين،و أشرف منازل المقربين،و هو باب اللّه الأعظم،و من دخله دخل الجنه.قال اللّه-سبحانه-:

رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ

(۱)

.

و عن النبی(ص):«أنه سأل طائفه من أصحابه:ما أنتم؟فقالوا:

مؤمنون،فقال:ما علامه ايمانكم؟فقالوا:نصبر على البلاء،و نشكر عند الرخاء،و نرضى بمواقع القضاء،فقال:مؤمنون و رب الكعبه!»،و فی خبر آخر،قال:«حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء».و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«اذا أحب اللّه عبدا ابتلاه،فان صبر اجتباه،فان رضى اصطفاه».و قال(ص):«أعطوا اللّه الرضا من قلوبكم،تظفروا بثواب فقركم.و قال(ص):«إذا كان يوم القيامه،أنبت اللّه-تعالى- لطائفه من أمتی اجنحه،فيطيرون من قبورهم إلى الجنان،يسرحون فيها، و يتنعمون فيها كيف شاءوا،فتقول لهم الملائكه:هل رأيتم الحساب؟ فيقولون:ما رأينا حسابا،فتقول لهم:هل جزتم الصراط؟فيقولون:

ما رأينا صراطا،فتقول لهم:هل رأيتم جهنم؟فيقولون:ما رأينا شيئا، فتقول الملائكه:من أمه من أنتم؟فيقولون:من أمه محمد(ص)،فتقول:

ناشدناكم اللّه!حدثونا ما كانت أعمالكم فی الدنيا؟فيقولون:خصلتان كانتا فينا،فبلغنا اللّه هذه المنزله بفضل رحمته،فيقولون:و ما هما؟فيقولون:

كنا إذا خلونا نستحيی ان نعصيه،و نرضى باليسير مما قسم لنا،فتقول

۱- ۱) المائده،الآيه:۱۲۲.التوبه،الآيه:۱۰۱.المجادله،الآيه:۲۲. البينه،الآيه:۸.

الملائكه:یحق لکم هذا». و قال الصادق(ع).«ان اللّه بعدله و حکمته و علمه،جعل الروح و الفرح فی الیقین و الرضا عن اللّه-تعالی-،و جعل الهم و الحزن فی الشک و السخط».و روی:«أن موسی(ع)قال:یا رب!دلنی علی امر فیه رضاک.فقال-تعالی-:إن رضای فی رضاک بقضائی».و روی:

«ان بنی أسرائیل قالوا له(ع):سل لنا ربک أمرا إذا نحن فعلناه یرضی عنا،فقال موسی(ع):إلهی!قد سمعت ما قالوا،فقال:یا موسی!قل لهم یرضون عنی حتی ارضی عنهم» (۱). و قال سید الساجدین(ع):

«الصبر و الرضا رأس طاعه اللّه،و من صبر و رضی عن اللّه فیما قضی علیه فیما أحب او کره،لم یقض اللّه-عز و جل-له فیما أحب او کره إلا ما هو خیر له».و قال-صلوات اللّه علیه-:«الزهد عشره اجزاء،أعلی درجه الزهدادنی درجه الورع،و أعلی درجه الورع أدنی درجه الیقین،و أعلی درجه الیقین أدنی درجه الرضا».و قال الباقر(ع):«أحق خلق اللّه أن یسلم لما قضی اللّه-عز و جل-.من عرف اللّه-عز و جل-و من رضی بالقضاء،اتی علیه القضاء و عظم اللّه أجره». و قال الصادق(ع):«اعلم الناس باللّه أرضاهم بقضاء اللّه».و قال(ع):«قال اللّه-عز و جل-:عبدی المؤمن،لا أصرفه فی شیء الا جعلته خیرا له،فلیرض بقضائی،و لیصبر علی بلائی،و لیشکر نعمائی، اکتبه یا محمد من الصدیقین عندی».و قال(ع):«عجبت للمرء المسلم لا یقضی اللّه-عز و جل-له قضاء الا کان خیرا له،إن قرض بالمقاریض کان خیرا له،و إن ملک مشارق الأرض و مغاربها کان خیرا له».و قال(ع):

«ان فیما أوحی اللّه-عز و جل-الی موسی بن عمران-علیه السّلام-:

یا موسی بن عمران!ما خلقت خلقا أحب إلی من عبدی المؤمن،و إنی انما ابتلیته لما هو خیر له،و اعافیه لما هو خیر له،و ازوی عنه لما هو خیر له،

۱- ۱) صححنا الأحادیث علی(احیاء العلوم):۴-۲۹۵-۲۹۶.

و أنا اعلم بما يصلح عليه عبدى،فليصبر على بلائى،و ليشكر نعمائى،و ليرض بقضائى،اكتبه فى الصديقين عندى،إذا عمل برضاى و أطاع امرى».

و قيل له(ع):بأى شىء يعلم المؤمن أنه مؤمن؟قال:«بالتسليم للّه، و الرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط».و قال الكاظم-عليه السّلام-:

«ينبغى لمن غفل عن اللّه،ألا يستبطئه فى رزقه،و لا يتهمه فى قضائه» (۱).

وصل (رضا اللّه)

قد ظهر من بعض الأخبار المذكوره:أن رضا اللّه-سبحانه-من العبد يتوقف على رضا العبد عنه-تعالى-،فمن فوائد رضا العبد بقضاء اللّه و ثمراته رضا اللّه-سبحانه-عنه،و هو أعظم السعادات فى الدارين،و ليس فى الجنه نعيم فوقه،كما قال-سبحانه-:

وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ

(۲)

.

و فى الحديث:«إن اللّه يتجلى للمؤمنين فى الجنه،فيقول لهم:سلونى، فيقولون:رضاك يا ربنا!»،فسؤالهم الرضا بعد التجلى،يدل على أنه أفضل كل شىء،و ورد فى تفسير قوله-تعالى-:«و لدينا مزيد»:أنه يؤتى لأهل الجنه فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين ليس فى الجنان مثلها:

احداها:هديه اللّه،ليس عندهم فى الجنان مثلها،و ذلك قوله-تعالى-:

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافى)ج ۲-باب الرضا بالقضاء. و على(سفينه البحار)۱-۵۲۴.

۲- ۲) التوبه،الآيه:۷۳.

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ

(۱)

.

و الثانیه:السّلام علیهم من ربهم،فتزید ذلک علی الهدیه،و هو قوله -تعالی-:

سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ

(۲)

.

و الثالثه:یقول اللّه-تعالی-:«إنی عنکم راض»،و هو أفضل من الهدیه و التسلیم،و ذلک قوله -تعالی-:

وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَکْبَرُ

(۳)

:أی من النعیم الذی هم فیه.

و معنی رضا اللّه عن العبد قریب من معنی حبه له،إلا أنه فی الآخره سبب لدوام النظر و التجلی فی غایه ما یتصور من اللقاء و المشاهده.و لهذا لیست رتبه فی الجنه فوقه.و یروه أهل الجنه اقصی الأمانی،و غایه الغایات.

فصل (رد إنکار تحقق الرضا)

من الناس من أنکر إمکان تحقیق الرضا فی أنواع البلاء و فیما یخالف الهوی،و قال المتمکن فیهما:هو الصبر دون الرضا،و هو انما أتی من ناحیه إنکار المحبه،إذ بعد ثبوت إمکان الحب للّه و استغراق الهم به لا یخفی ایجابه للرضا بافعال المحبوب.و ذلک یکون من وجهین:

أحدهما-ان یوجب الاستغراق فی الحب إبطال الإحساس بالالم،حتی یجری علیه المؤلم و لا یحس به،و تصیبه جراحه و لا یدرک المها.و لا تستعبدن ذلک،فان المحارب عند خوضه فی الحرب،و عند شده غضبه أو

۱- ۱) السجده،الآیه:۱۷.

۲- ۲) يس،الآيه:۵۸.

۳- ۳) التوبه،الآيه:۷۳.

خوفه،قد تصيبه جراحه و هو لا يحس بها،فإذا رأى الدم استدل به على الجراحه،بل الذى يعدو فى شغل مهم قد تصيبه شوكه فى قدمه،و لا يحس بألمها لشغل قلبه.و السر:أن القلب إذا صار مستغرقا بامر من الأمور،لم يدرك ما عداه،فالعاشق المستغرق الهم بمشاهده المعشوق أو بحبه،قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم،لولا عشقه،و لا يدرك المه و غمه لاستيلاء الحب على قلبه،و هذا إذا أصابه من غير حبيبه،فكيف إذا أصابه من حبيبه.و لا ريب فى ان حب اللّه-تعالى-أشد من كل حب،و شغل القلب به أعظم الشواغل،إذ جمال الحضره الربوبيه و جلالها لا يقاس به جمال،فمن يتكشف له شىء منها،فقد يبهره بحيث يدهش و يغشى عليه،و لا يحس بما يجرى عليه.

و ثانيهما-الا يبلغ الاستغراق فى أحب بحيث لا يحس بالالم و لا يدركه و لكن يكون راضيا به،بل راغبا فيه،مريدا له بعقله،و ان كان كارها له بطبعه،كالذى يلتمس من الفصاد الفصد و الحجامه،فانه يدرك المه،الا انه راض به و راغب فيه،فالمحب الخالص للّه،اذا اصابته بليه من اللّه، و كان على يقين بأن ثوابها الذى ادخر له فوق ما فاته،رضى بها و رغب فيها و أحبها و شكر اللّه عليها.هذا إن كان نظره إلى الثواب و الاجر الذى يجازى به على ابتلائه بالمصائب و البلايا،و ربما غلب الحب بحيث يكون حظ المحب و لذته و ابتهاجه فى مراد حبيبه و رضاه لا لمعنى آخر،فيكون مراد حبيبه و رضاه محبوبا عنده و مطلوبا،و كل ذلك مشاهد محسوس فى حب الخلق،فضلا عن حب الخالق و الجمال الازلى الابدى الذى لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيره التى لا يعتريها الغلط و الخطأ،فان القلوب إذا وقفت بين جماله و جلاله،فإذا لا حظوا جلاله هابوا،و إذا لا حظوا جماله تاهوا:

و يشهد بذلک حکایات المحبین،علی ما هو فی الکتب مسطور،و فی الالسنه و الافواه مذکور.فان للحب عجائب،من لم یذق طعمها لا یعرفها.

و قد روینا:ان أهل مصر مکثوا أربعه أشهر لم یکن لهم غذاء إلا النظر إلی وجه یوسف الصدیق(ع)،کانوا إذا جاعوا نظروا إلی وجهه،فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع.بل فی القرآن ما هو أبلغ من ذلک،و هو قطع النسوه ایدیهنّ لاشتهارهن بملاحظه جماله،حتی ما احسسن بذلک.

و روی:«أن عیسی(ع)مر برجل أعمی و أبرص،مقعد مفلوج،و قد تناثر لحمه من الجذام،و هو یقول:الحمد للّه الذی عافانی مما ابتلی به کثیرا من الناس!فقال عیسی:یا هذا!أی شیء من البلاء تراه مصروفا عنک؟فقال:

یا روح الله!انا خیر ممن لم یجعل اللّه فی قلبه ما جعل فی قلبی من معرفته، فقال:صدقت!هات یدک،فناوله یده،فإذا هو أحسن الناس وجها، و افضلهم هیئه،قد اذهب اللّه عنه ما کان به،و صحب عیسی و تعبد به».

فصل (هل یناقض الدعاء و نحوه الرضا)

اعلم ان الدعاء غیر مناقض للرضا،و کذلک کراهیه المعاصی،و مقت أهلها،و حسم أسبابها،و السعی فی ازالتها بالامر بالمعروف و النهی عن البطاله و الغرور:أن جمیع ذلک یخالف الرضا،إذ کل ما یقصد رده بالدعاء و أنواع المعاصی و الفجور و الکفر من قضاء اللّه و قدره،فیجب للمؤمن أن یرضی به.و قد رأوا السکوت علی المنکرات مقاما من مقامات الرضا،و سموه حسن الخلق،و هذا جهل بالتأویل،و غفله من أسرار الشریعه و دقائقها.

أما الدعاء،فلا ریب فی أنا قد تعبدنا به،و قد کثرت أدعیه الأنبیاء

و الأئمه،و كانوا على أعلى مقامات الرضا،و تظاهرت الآيات و تواترت الأخبار فى الأمر بالدعاء و فوائده و عظم مدحه،و اثنى اللّه-سبحانه-على عباده الداعين،حيث قال:

وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

.و قال: اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَكُمْ (۲).و قال: أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ (۳).

و هو يوجب صفاء الباطن،و خشوع القلب،و رقه النظر،و تنور النفس و تجليها.و قد جعله اللّه-تعالى-مفتاحا للكشف،و سببا لتواتر مزايا اللطف و الإحسان.و هو أقوى الأسباب لافاضه الخيرات و البركات من المبادى العاليه.

فان قيل:ما يرد على العبد من المكاره و البلايا يكون بقضاء اللّه و قدره،و الآيات و الأخبار ناطقه بالرضا بقضاء اللّه مطلقا،فالتشمر لرده بالدعاء يناقض الرضا.

قلنا:إن اللّه-سبحانه-بعظيم حكمته،أوجد ال.شياء على التسبيب و الترتيب بينهما،فربط المسببات بالأسباب،و رتب بعضها على بعض، و جعل بعضها سببا و واسطه لبعض آخر،و هو مسبب الأسباب.و القدر عباره عن حصول الموجودات فى الخارج من أسبابها المعينه بحسب اوقاتها، مطابقه لما فى القضاء،و القضاء عباره عن ثبوت صور جميع الأشياء فى العالم العقلى على الوجه الكلى.مطابقه لما فى العنايه الإلهيه المسماه بالعنايه الأولى،

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۹۰.

۲- ۲) المؤمن،الآيه:۶۰.

۳- ۳) البقره،الآيه:۱۸۶.

و العنایه عباره عن إحاطه علم اللّه-تعالی-بالکل علی ما هو علیه إحاطه تامه، فنسبه القضاء إلی العنایه کنسبه القدر إلی القضاء. ثم،من جمله الأسباب لبعض الأمور الدعاء و التصدق و امثالهما،فکما أن شرب الماء سبب رتبه مسبب الأسباب لإزاله العطش،و لو لم یشربه لکان عطشه باقیا إلی أن یؤدی إلی هلاکه،و شرب المسهل سبب لدفع الاخلاط الردیه،و لو لم یشربه لبقیت علی حالها،و هکذا فی سائر الأسباب،و کذلک الدعاء سبب رتبه اللّه-تعالی- لدفع البلایا و رفعها،و لو لم یدع لنزل البلاء و لم یندفع.

فلو قیل:لو کان فی علم اللّه-تعالی-و فی قضائه السابق،أن زیدا -مثلا-یدعو اللّه،أو یتصدق،عند ابتلائه ببلیه کذا،و تندفع به بلیته لدعاء أو تصدق،و دفع بلیته،و لو کان فیهما أنه لا یدعو اللّه و لا یتصدق و یبتلی بتلک البلیه،و لم یدع اللّه،و لم یتصدق،لم تندفع عنه البلیه،و الحاصل:

ان کل ما تعلقت به العنایه الکلیه و القضاء الازلی یحصل مقتضاه فی الخارج و عالم التقدیر،إن خیرا فخیر،و إن شرا فشر،فأی فائده فی سعی العبد و اجتهاده؟ قلنا:هذه من جمله شبهات الجبریه علی کون العبد مجبورا فی فعله و نفی الاختیار عنه،و لا مدخلیه لها بکون الدعاء غیر مناقض للرضا،و کونه من جمله الأسباب المرتبه منه-تعالی-لحصول مسبباتها.کالتزویج لتحصیل الولد،و الأکل و الشرب لدفع الجوع و العطش،و لبس الثیاب لدفع الحر و البرد،و غیر ذلک.ثم الجواب من الشبهه المذکوره و أمثالها مذکور فی موضعها.

و أما إنکار المعاصی و کراهتها،و الفرار من أهلها و من البلد الذی شاعت فیه،فقد تعبد اللّه به عباده و ذمهم علی الرضا بها،فقال:

وَ رَضُوا بِالْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ اطْمَأَنُّوا بِهٰا

(۱)

.و قال:

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ وَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ

(۲)

.

و فى بعض الاخبار:«من شهد منكرا و رضى به فكأنه قد فعله».

و فى آخر:«لو أن عبدا قتل بالمشرق و رضى بقتله آخر بالمغرب،كان شريكا فى قتله».و فى آخر:«إن العب ليغيب عن المنكر و يكون عليه مثل وزر صاحبه»،قيل و كيف ذلك؟قال:«فيبلغه فيرضى به».

و أما بعض الكفار و الفجار و الفساق،و مقتهم و الإنكار عليهم،فما ورد فيه من شواهد الكتاب و السنه أكثر من أن يحصى.قال اللّه-سبحانه-:

لاٰ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰاءَ

(۳)

.و قال:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصٰارىٰ أَوْلِيٰاءَ

(۴)

.

و فى الخبر:«إن اللّه أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق».

و قال(ص):«أوثق عرى الايمان الحب فى اللّه و البغض فى اللّه».و قد تقدمت جمله من شواهد هذا فى باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.

فان قيل:المعاصى ان لم تكن بقضاء اللّه و قدره فهو محال و قادح فى التوحيد،و إن كانت بقضاء اللّه مطلقا فكراهتها و مقتها

کراهه لقضاء اللّه، و الآیات و الاخبار مصرحه بوجوب الرضا بقضاء اللّه مطلقا،و ذلک تناقض،

۱- ۱) یونس،الآیه:۷.

۲- ۲) التوبه،الآیه۹۴،۸۸۶.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۲۸.

۴- ۴) المائده،الآیه:۵۴.

فکیف السبیل إلی الجمع؟و أنی یتأتی الجمع بین الرضا و الکراهه فی شیء واحد؟ قلنا:المقرر عند بعض الحکماء:أن الشرور الواقعه فی العالم،من المعاصی و غیرها،راجعه إلی الاعدام دون الموجودات،فلا تکون مراده له -تعالی-،و لا داخله فی قضائه،و عند بعضهم أنها داخله فی قضائه بالعرض لا بالذات،و لا ضیر فی کراهه ما لیس فی قضاء اللّه-تعالی-بالذات.و عند بعضهم:أنها شرور قلیله باعثه لخیرات کثیره.و علی هذا،فینبغی أن تکون مکروهه من حیث ذاتها،و بهذه الحیثیه لا تکون من قضاء اللّه و الرضا به، و فرضه من حیث کونها باعثه لخیرات کثیره. و التحقیق:أن الاوصاف الثلاثه ثابته المشرور الواقعه فی العالم،اعنی انها راجعه إلی الاعدام و داخله فی قضائه-تعالی-بالعرض،و شرور قلیله باعثه لخیرات کثیره.و علی هذا فوجه الجمع أظهر.ثم،لابی حامد الغزالی هنا وجه جمع آخر، لا یروی الغلیل و لا یشفی العلیل.

فان قیل:بغض أهل المعاصی و مقتهم موقوف علی ثبوت الاختیار لهم و تمکنهم من ترکهم،و إثبات ذلک مشکل.

قلنا:لا اشکال فیه،إذ البدیهه قاضیه بثبوت نوع اختیار للعباد فی افعالهم،و لا سیما فیما یتعلق به التکلیف.و الخوض فی هذه المسأله مما لا ینبغی فالأولی فیها السکوت،و التأدب بآداب الشرع،و الرجوع إلی ما ورد من العتره الطاهره.و ما یمکن أن یقال فیها قد ذکرناه فی کتابنا المسمی ب(جامع الافکار).

فصل (طریق تحصیل الرضا)

الطریق إلی تحصیل الرضا،أن یعلم أن ما قضی اللّه-سبحانه-له هو الاصلح

ص:۲۱۲

بحاله،و إن لم يبلغ فهمه إلى سيره فيه.مع ان السخط و الكراهه لا يفيد شيئا و لا يتبدل به القضاء.فان ما قدر يكون،و ما لم يقدر لم يكن،و حسره الماضى و تدبير الآتى يذهبان بتركه الوقت بلا فائده،و تبقى تبعه السخط عليه.

فينبغى أن يدهشه الحب لخالقه عن الإحساس بالالم،كما للعاشق،و ان ان يهون عليه العلم بعظم الثواب التعب و العناء-كما للمريض و التاجر المتحملين شده الحجامه و السفر-فيفوض امره إلى اللّه،ان اللّه بصير بالعباد.

تتميم (التسليم)

اشاره

اعلم ان التسليم،و يسمى تفويضا أيضا،قريب من الرضا،بل هو فوق الرضا،لانه عباره عن ترك الاعراض فى الأمور الوارده عليه،و حوالتها باسرها إلى اللّه،مع قطع تعلقه عليها بالكليه،بمعنى ألا يكون طبعه متعلقا بشىء منها.فهو فوق الرضا،إذ فى مرتبه الرضا كلما يفعل اللّه به يوافق طبعه،فالطبع ملحوظ و منظور له،و فى مرتبه التسليم يجعل الطبع و موافقته و مخالفته كلها موكوله إلى اللّه-سبحانه-و فوق مرتبه التوكل أيضا،إذ التوكل-كما يأتى-عباره عن الاعتماد فى أموره على اللّه،فهو بمنزله توكيل اللّه فى أموره،و كأنه يجعل اللّه-تعالى-بمثابه وكيله،فيكون تعلقه بامورہ باقيا،و فى مرتبه التسليم يقطع العلاقه من الأمور المتعلقه به بالكليه.

و منها:

اشاره

الحزن

و هو التحسر و التألم،لفقد محبوب،او فوت مطلوب.و هو أيضا كالاعتراض و الإنكار،مترتب على الكراهه للمقدرات الإلهيه.

ص:٢١٣

و الفرق:ان الکراهه فی الاعتراض أشد من الکراهه فی الحزن،کما ان ضد الکراهه-اعنی الحب فی ضدهما-بعکس ذلک،ای ظهوره فی السرور الذی ضد الحزن أشد من ظهوره فی الرضا الذی هو ضد الاعتراض.

فان الرضا هو منع النفس فی الواردات من الجزع مع عدم کراهه و فرح، و السرور هو منعها فیها عن الجزع مع الابتهاج و الانبساط.فالسرور فوق الرضا فی الشرافه،کما أن الحزن تحت الاعتراض فی الخسه و الرذاله،و سبب الحزن و شده الرغبه فی المشتهیات الطبیعیه،و المیل إلی مقتضیات قوتی الغضب و الشهوه،و توقع البقاء للأمور الجسمانیه. و علاجه:ان یعلم ان ما فی عالم الکون و الفساد من:الحیوان،و النبات،و الجماد،و العروض، و الأموال،فی معرض الفناء و الزوال،و لیس فیها ما یقبل البقاء،و ما یبقی و یدوم هو الأمور العقلیه،و الکمالات النفسیه المتعالیه عن حیطه الزمان و حوزه المکان و تصرف الاضداد و تطرق الفساد،و إذا تیقن بذلک زالت عن نفسه الخیالات الفاسده،و الامانی الباطله.فلا یتعلق قلبه بالأسباب الدنیویه،و یتوجه بشراشره إلی تحصیل الکمالات العقلیه،و السعادات الحقیقیه الموجبه للاتصال بالجواهر النوریه الباقیه،و المجاوره للانوار القادسه الثابته،فیصل إلی مقام البهجه و السرور،و لا تلحقه احزان عالم الزور،کما أشیر إلیه فی الکتاب الإلهی بقوله:

أَلاٰ إِنَّ أَوْلِیٰاءَ اللّٰهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ

(۱)

.

و فی اخبار داود(ع):«یا داود!ما لاولیائی و الهمّ بالدنیا؟ان الهم یذهب حلاوه مناجاتی من قلوبهم،ان محبی من اولیائی ان یکونوا روحانیین لا یغتمون».و الحاصل:ان حب الفانیات و التعلق بما من شأنه

۱- ۱) یونس،الآیه:۶۲.

الفوات خلاف مقتضى العقل،و حرام على العاقل أن يفرح بوجود الأمور الفانيه،أو يحزن بزوالها.و لقد قال سيد الأوصياء-عليه آلاف التحيه و الثناء-:«ما لعلى و زينه الدنيا،و كيف افرح بلذه تفنى،و نعيم لا يبقى؟!» بل ينبغى أن يرضى نفسه بالموجود،و لا يغتم بالمفقود،و يكون راضيا بما يرد عليه من خير و شر.و قد ورد فى الآثار:«ان اللّه-تعالى-بحكمته و جلاله،جعل الروح و الفرح فى الرضا و اليقين»،و من رضى بالموجود و لا يحزن بالمفقود،فقد فاز بأمن بلا فزع،و سرور بلا جزع،و فرح بلا حسره،و يقين بلا حيره،و ما لطالب السعاده أن يكون أدون حالا من سائر طبقات الناس،فان كل حزب بما لديهم فرحون،كالتاجر بالتجاره، و الزارع بالزراعه،بل الشاطر بالشطاره،و القواد بالقياده،مع أن ما هو السبب و الموجب المفرّح فى الواقع و نفس الامر ليس إلا لأهل السعاده و الكمال،و ما لغيرهم محض التوهم و مجرد الخيال.فينبغى لطالب السعاده أن يكون فرحانا بما عنده من الكمالات الحقيقيه،و السعادات الأبديه، و لا يحزن على فقد الزخارف الدنيويه،و الحطام الطبيعيه،و يتذكر ما خاطب اللّه به نبيه(ص):

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(1)

.

و من تصفح فرق الناس،يجد أن كل فرقه منهم فرحهم بشىء من الأشياء،و به اهتزازهم و قوامهم و نظام امرهم.فالصبيان فرحهم باللعب

1- 1) طه،الآيه:131.

و تهیئه أسبابه،و هو فی غایه القبح و الرکاکه عند من جاوز مرتبتهم.

و البالغون حد الرجولیه،بعضهم فرحان بالدرهم و الدینار،و بعضهم بالضیاع و العقار،و آخر بالاتباع و الأنصار،و فرقه بالنسوان و الأولاد،و طائفه بالحرف و الصنایع،و بعضهم بالحسب و النسب،و الآخر بالجاه و المنصب، و بعضهم بالقوه الجسمانیه،و آخر بالجمال الصوری،و طائفه بالکمالات الدنیویه:کالخط،و الشعر،و حسن الصوت،و الطب،و العلوم الغریبه، و غیر ذلک،حتی ینتهی إلی من لا یفرح إلا بالکمالات النفسیه و الریاسات المعنویه،و هم أیضا مختلفون،فبعضهم غایه فرحه بالعباده و المناجاه،و آخر بمعرفه حقائق الأشیاء،حتی یصل إلی من لیس فرحه إلا بالأنس بحضره الربوبیه،و الاستغراق فی لجه أنواره،و سائر المراتب عنده فیء زائل و خیال باطل.و لا ریب فی أن العاقل یعلم أن ما ینبغی أن یفرح و یبتهج به حصول هذه المرتبه،و سائر الأمور کسراب بقیعه یحسبه الظمآن ماء.فلا ینبغی للعاقل أن یحزن بفقدها و یفرح بوجودها. ثم،من تأمل،یجد أن الحزن لیس أمرا وجودیا لازما،بل هو أمر اختیاری یحدثه الشخص فی نفسه بسوء اختیاره.إذ کلما یفقد من شخص و یحزن لأجله لیس موجودا لکثیر من الناس،بل ربما لم یملکوه فی مده عمرهم أصلا،و مع ذلک لا تجدهم محزونین علی عدمه،بل فرحون راضون،و لو کان الحزن لازما لفقد هذا الامر لکان کل من فقده محزونا،و لیس کذلک.و أیضا کل حزن یعرض لأجل مصیبته یزول بعد زمان و یتبدل بالسرور،و لو کان الحزن لاجلها أمرا ضروریا لازما لما زال أصلا.

ثم العجب من العاقل أن یحزن من فقد الأمور الدنیویه،مع أنه یعلم ان الدنیا دار الفناء،و زخارفها متنقله بین الناس،و لا یمکن بقاؤها

لأحد،و جميع الأسباب الدنيويه ودائع اللّه ينتقل إلى الناس على سبيل التبادل و التناوب.و مثلها مثل شمامه تدار فى مجلس بين أهله على التناوب، يتمتع بها فى كل لحظه واحد منهم،ثم يعطيها غيره.فطامع البقاء للحطام الدنيويه كمن طمع فى ملكيه الشمامه و اختصاصها به،إذا وصلت إليه نوبه الاستمتاع،و إذا استردت منه عرض له الحزن و الخجله.و ما المال و الأهلون الا ودائع،و لا بد يوما أن ترد الودائع.فلا ينبغى للعاقل أن يغتم و يحزن لأجل رد الوديعه،كيف و الحزن بردها كفران للنعمه؟اذ أقل مراتب الشكر ان ترد الوديعه إلى صاحبها على طيب النفس،لا سيما اذا استرد الاخس-اعنى الخبائث الدنيويه-،و بقى الأشرف-اعنى النفس و كمالاتها العلميه و العمليه-،فينبغى لكل عاقل الا يعلق قلبه بالأمور الفانيه،حتى لا يحزن بفقدها.قال سقراط:«إنى لم أحزن قط،إذ ما أحببت قط شيئا حتى أحزن بفوته،و من سره الا يرى ما يسوؤه،فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا».

و منها:

اشاره

عدم الاعتماد

أو ضعفه فى أموره على اللّه،و الوثوق بالوسائط،و النظر إليها فيها.

و سببه:اما ضعف اليقين،أو ضعف القلب،أو كلاهما.فهو من رذائل قوتى العاقله و الغضب.و لا ريب فى أنه من المهلكات العظيمه و ينافى الايمان،بل هو من شعب الشرك.و لذا ورد فى ذمه من الآيات و الأخبار ما ورد،قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ عِبٰادٌ أَمْثٰالُكُمْ

(۱)

.

و قال: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ (۲).و قال: وَ لِلّهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَفْقَهُونَ (۳).

و فى اخبار داود(ع):«ما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقى عرفت ذلك من نيته،إلا قطعت أسباب السماوات من يديه،و اسخطت الأرض من تحته،و لم أبال بأى واد هلك».قال رسول اللّه(ص):

«من اغتر بالعبيد أذله اللّه».و قيل:«مكتوب فى التوراه:ملعون من ثقته بانسان مثله».فينبغى للمؤمن ان يتخلى عنه باكتساب ضده،أعنى التوكل،كما يأتى.

وصل

اشاره

التوكل-فضيله التوكل-درجات التوكل-السعى لا ينافى التوكل-الأسباب التى لا ينافى السعى إليها التوكل-اعقل و توكل-درجات الناس فى التوكل-تفنيد زعم-طريق تحصيل التوكل.

التوكل اعتماد القلب فى جميع الأمور على اللّه.و بعباره أخرى:حواله العبد جميع أموره على اللّه،و بعباره أخرى:هو التبرى من كل حول و قوه،

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۹۳.

۲- ۲) العنكبوت،الآيه:۱۷.

۳- ۳) المنافقون،الآيه:۷.

و الاعتماد على حول اللّه و قوته.و هو موقوف على أن يعتقد اعتقادا جازما بأنه لا فاعل الا اللّه،و انه لا حول و لا قوه الا باللّه،و ان له تمام العلم و القدره على كفايه العباد،ثم تمام العطف و العنايه و الرحمه بجمله العباد و الآحاد،و أنه ليس وراء منتهى قدرته قدره،و لا وراء منتهى علمه علم، و لا وراء منتهى عنايته عنايه.فمن اعتقد ذلك اتكل قلبه لا محاله على اللّه وحده،و لم يلتفت إلى غيره،و لا إلى نفسه أصلا.و من لم يجد ذلك من نفسه فسببه،إما ضعف اليقين،أو ضعف القلب،و مرضه باستيلاء الجبن عليه و انزعاجه بسبب الأوهام الغالبه عليه.فان القلب الضعيف ينزعج تبعا للوهم،و طاعه له من غير نقصان فى اليقين،كانزعاجه أن يبيت مع ميت فى قبر أو فراش،مع يقينه بأنه جماد فى الحال لا يتصور منه إضرار،فلا ينبغى أن يخاف منه و يفرّ عنه،كما لا يفر من سائر الجمادات.و كذا من كان ضعيف القلب و تناول العسل-مثلا-، فشبه العسل بين يديه بالعذره،فربما نفر طبعه لضعف قلبه،و تعذر عليه ان يتناوله،مع يقينه بأنه عسل و لا مدخليه للعذره فيه.

فالتوكل لا يتم الا بقوه اليقين و قوه القلب جميعا،إذ بهما يحصل سكون القلب و طمأنينته،فالسكون فى القلب شيء آخر،و اليقين شيء آخر.فكم من يقين لا طمأنينه معه،كما قال-تعالى-:

أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ؟قٰالَ:بَلىٰ!وَ لٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى

(1)

.

فالتمس أن يشاهد إحياء الميت بعينه ليثبت اليقين فى خياله،فان النفس تتبع الخيال و تطمئن به،و لا تطمئن باليقين فى ابتداء امره إلى ان تبلغ

١- ١) البقره،الآيه:٢۶٠.

درجه النفس المطمئنه،و ذلک لا یکون فی البدایه.و کم من مطمئن لا یقین له،کأرباب الملل و المذاهب الباطله.فان الیهودی مطمئن القلب إلی تهوده، و کذا النصرانی،و لا یقین لهما أصلا،و إنما یتبعون الظن و ما تهوی الأنفس.و إذا توقف التوکل علی الیقین و قوه القلب،و ارتفع بضعف أحدهما،یظهر أن التوکل من الفضائل المتعلقه بقوتی العاقله و الغضبیه معا،و ضده-اعنی عدم التوکل-من رذائل أحدهما أو کلیهما.ثم،إنک قد عرفت فی باب التوحید،أن عماد التوکل و ما یبتنی علیه،هو المرتبه الثالثه من التوحید،و هی أن تنکشف للعبد باشراق نور الحق بأنه لا فاعل إلا هو،و أن ما عداه من الأسباب و الوسائط مسخرات مقهورات تحت قدرته الازلیه.فطالب التوکل یلزم علیه أن یحصل هذه المرتبه من التوحید لیحصل له التوکل.و قد عرفت-أیضا-أن المرتبه الثانیه منه-أعنی التوحید الاعتقادی-إذا قویت ربما اورثت حال التوکل،الا ان التوکل کما ینبغی موقوف علی المرتبه الثالثه منه.

فصل (فضیله التوکل)

التوکل منزل من منازل السالکین و مقام من مقامات الموحدین،بل هو أفضل درجات الموقنین.و لذا ورد فی مدحه و فضله و فی الترغیب فیه ما ورد من الکتاب و السنه،قال اللّه-تعالی-:

وَ عَلَی اللّهِ فَتَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ

(۱)

.و قال:

۱- ۱) المائده،الآیه:۲۶.

وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(۱)

.و قال: إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (۲).و قال: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (۳).و قال: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۴).

أى عزيز لا يذلّ من استجار به،فلا يضع من لاذ بجنابه،و حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.و قال رسول اللّه(ص):«من انقطع إلى اللّه،كفاه اللّه كل مؤنه،و رزقه من حيث لا يحتسب.و من انقطع إلى الدنيا،و كله اللّه إليها».و قال(ص):«من سره ان يكون اغنى الناس،فليكن بما عند اللّه اوثق منه بما فى يده».و قال(ص):«لو انكم تتوكلون على اللّه حق توكله،لرزقتم كما ترزق الطيور،تغدو خماصا و تروح بطانا». و عن على بن الحسين-عليهما السلام-قال:«خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط،فاتكأت عليه،فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر فى تجاه وجهى،ثم قال:يا على بن الحسين!مالى أراك كئيبا حزينا؟أعلى الدنيا؟ فرزق اللّه حاضر للبر و الفاجر.قلت:ما على هذا أحزن،و إنه لكما تقول.

قال:فعلى الآخره؟فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر قادر.قلت:ما على هذا احزن،و إنه لكما تقول.فقال:مم حزنك؟قلت:مما نتخوف من فتنه ابن الزبير و ما فيه للناس.قال:فضحك،ثم قال:يا على بن الحسين!

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۶۰،۱۲۲.المائده،الآيه:۱۲.التوبه، الآيه:۵۲.إبراهيم،الآيه:۱۱.المجادله،الآيه:۱۰.التغابن،الآيه:۱۳.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۵۹.

۳- ۳) الطلاق،الآيه:۳.

۴- ۴) الانفال،الآيه ۵۰.

هـل رأيت أحـدا دعا اللّه فلم يجبه؟قلت:لا!قال:فهل رأيت أحـدا توكل على اللّه فلم يكفه؟قلت:لا!قال:فهل رأيت أحـدا سأل اللّه فلم يعطه؟قلت:لا_!...ثم غـاب عنى»،و لعـل الرجـل كان هو الخضـر-على نبينا و عليه السـلام-. و قال الصادق(ع):«أوحى اللّه إلى داوود:مـا اعتصم بى عبـد من عبـادى دون أحـد من خلقى،عرفت ذلـك من نيته،ثم تكيـده السـماوات و الأـرض و من فيهن،إلا جعلت له المخرج من بينهن».

و قال(ع):«إن الغنى و العز يجولان،فإذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا».

و قـال(ع):«من أعطى ثلاثـا لا يمنع ثلاثا:من أعطى الـدعاء أعطى الإجابه، و من أعطى الشـكر أعطى الزياده،و من أعطى التوكل أعطى الكفايه.ثم قال:أ تلوت كتاب اللّه-عز و جل-(و من يتوكل على اللّه فهو حسـبه)، و قال:(و لئن شـكرتم لازيـدنكم)،و قال:(ادعونى استجب لكم)؟».

و قال(ع):«أيما عبـد أقبل قبل ما يحب اللّه-تعالى-أقبل اللّه قبل ما يحب و من اعتصم باللّه عصـمه اللّه،و من أقبل على اللّه قبله و عصـمه،لم يبال لو سـقطت السـماء على الأرض،أو كانت نازله نزلت على أهل الأرض فتشـملهم بليه، كان فى حزب اللّه بالتقوى من كـل بليه،أ ليس اللّه-تعالى-يقول:(إن المتقين فى مقام امين)؟».و قال(ع):«ان اللّه-تعالى-يقول:و عزتى و جلالى و مجـدى و ارتفاعى على عرشـى!لأقطعن امل كل مؤمل من الناس فى غيرى باليأس،و لأكسونه ثوب المـذله عند الناس،و لا نحينه من قربى، و لأبعدنه من وصـلى،أ يؤمل غيرى فى الشدائد و الشدائد بيدى و يرجو غيرى؟و يقرع بالفكر باب غيرى،و بيدى مفاتيح الابواب و هى مغلقه؟ و بـابى مفتوح لمن دعـانى،فمن ذا الـذى املنى لنوائبه فقطعته دونهـا،و من ذا الـذى رجـانى لعظيمه فقطعت رجـاءه منى؟جعلت آمال عبادى محفوظه،

فلم يرضوا بحفظى،و ملأت سماواتى ممن لا يمل من تسبيحى،و أمرتهم الا يغلقوا الأبواب بينى و بين عبادى،فلم يثقوا بقولى،ألم يعلم من طرقته نـائبه من نوائبى أنه لاـ يملـك كشـفها أحـد غيرى إلاـ من بعـد إذنى؟فما لى اراه لاهيا عنى؟اعطيته بجودى ما لم يسألنى،ثم انتزعته عنه فلم يسألنى رده،و سأل غيرى،أ فترانى ابـدأ بالعطـاء قبـل المسأله؟ثم اسأل فلاـ أجيب سائلى؟أ بخيل أنا فيبخلنى عبـدى؟او ليس الجـود و الكرم لى؟أو ليس العفـو و الرحمـه بيـدى؟أو لست أنـا محـل الآمـال؟فمن يقطعهـا دونى؟أ فلا يخشـى المؤملون أن يؤملوا غيرى؟فلو أن أهـل سـماواتى و أهـل ارضـى أملوا جميعـا،ثم أعطيت كـل واحـد منهم مثـل مـا امل الجميع،مـا انتقص من ملكى مثـل عضو ذره،و كيف ينقص ملـك انا قيمه؟فيا بؤسا للقانطين من رحمتى!و يا بؤسا لمن عصانى و لم يراقبنى!» (۱).

فصل (درجات التوكل)

للتوكل فى الضعف و القوه ثلاث درجات:

الأولى-أن يكون حاله فى حق اللّه و الثقه بعنايته و كفالته كحاله بالثقه بالوكيل،و هذه اضعف الدرجات،و يكثر وقوعها و يدوم مده مديده،و لا ينافى أصل التدبير و الاختيار،بل ربما زاول كثيرا من التدبيرات بسعيه

ص: ۲۲۳

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافى):ج ۲،باب التفويض إلى اللّه و التوكل عليه.و على(البحار):باب التوكل و التفويض و الرضا:مـج ۱۵ ۲-۱۵۳،ط(امين الضـرب).و للعلامه(المجلسـى)-قدس سره-فى الموضع المذكور،فى الحديث الخامس،تحقيق دقيق و بيان لطيف،لا يسع المقام ذكره هنا،فمن أراد الوقوف عليه فعليه بمراجعه الموضع المذكور.

و اختیاره.نعم ینافی بعض التـدبیرات،کالتوکل علی وکیله فی الخصومه، فانه یترک تـدبیره من غیر جهه الوکیل،و لکن لا یترک الذی أشار إلیه وکیله،و لا التدبیر الذی عرفه من عادته و سنته دون تصریح اشارته.

الثـانیه-أن تکون حاله مع اللّه کحال الطفل مع أمه،فانه لا یعرف غیرها،و لا یفزع إلا إلیها،و لا یعتمـد إلا علیها.فان رآها تعلق فی کـل حـال بـذیلها،و ان ورد علیه امر فی غیبتها کان اول سابق لسانه یا اماه!.و الفرق بین هـذا و سابقه،ان هـذا متوکل قـد فنی فی موکله عن توکله،أی لیس یلتفت قلبه إلی التوکـل،بـل التفـاته إنمـا هو إلی المتوکـل علیه فقـط،فلاـ مجـال فی قلبه لغیر المتوکل علیه.و أمـا الأـول فتوکـل بالکسب و التکلف، و لیس فانیا عن توکله،ای له التفات إلی توکله،و ذلک شـغل صارف عن ملاحظه المتوکـل علیه وحـده.و هـذا أقـل وقوعـا و دوامـا من الأول،إذ حصوله إنما هو للخواص،و غایه دوامه أن یـدوم یوما أو یومین،و ینافی التدبیرات،إلا تدبیر الفزع إلی اللّه بالدعاء و الانتهال،کتدبیر الطفل فی التعلق بامه فقط.

الثـالثه-و هی أعلی الـدرجات،أن یکون بین یـدی اللّه فی حرکـاته و سـکناته مثـل المیت بین یـدی الغاسل،بأن یری نفسه میتا،و تحرکه القـدره الأـزلیه کمـا یحرک الغاسـل المیت.و هو الـذی قویت نفسه،و نـال الـدرجه الثالثه من التوحیـد.و الفرق بینه و بین الثانی،أن الثانی لا یترک الدعاء و التضـرع کما ان الصبی یفزع إلی أمه،و یصـیح و یتعلق بذیلها،و یعدو خلفها،و هذا ربما یترک الـدعاء و السؤال ثقه بکرمه و عنایته،فهـذا مثال صبی علم أنه إن لم یرص بامه فالأم تطلبه،و إن لم یتعلق بذیلها فهی تحمله،و إن لم یسأل اللبن فهی تسقیه.و من هذا القسم توکل إبراهیم الخلیل-علیه السلام-

ص :۲۲۴

لما وضع فى المنجنيق ليرمى به إلى النار،و أشار إليه روح الأمين بسؤال النجاه و الاستخلاص من اللّه-سبحانه-فقال:«حسبى من سؤالى علمه بحالى».و هذا نادر الوقوع،عزيز الوجود،فهو مرتبه الصديقين،و إذا وجد فدوامه لا يزيد على صفره الوجل،أو حمره الخجل،و هو ينافى التدبيرات ما دام باقيا،إذ يكون صاحبه كالمبهوت.ثم،توكل العبد على اللّه قد يكون فى جميع أموره،و قد يكون فى بعضها.و تختلف درجات ذلك بحسب كثره الأمور المتوكل فيها و قلتها.و قال الكاظم(ع)فى قوله-عز و جل-:

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

(۱)

.

«التوكل على اللّه درجات،منها أن تتوكل على اللّه فى أمورك كلها،فما فعل بك كنت عنه راضيا،تعلم انه لا يألوك خيرا و فضلا،و تعلم ان الحكم فى ذلك له،فتوكل على اللّه بتفويض ذلك إليه،وثق به فيها و فى غيرها».

و لعل سائر درجات التوكل أن يتوكل على اللّه فى بعض أموره دون بعض، و تعدد الدرجات حينئذ بحسب كثره الأمور المتوكل فيها و قلتها.

فصل (السعى لا ينافى التوكل)

اعلم أن الأمور الوارده على العباد طما أن تكون خارجه عن قدره العباد و وسعهم،بمعنى أنه لا تكون لها أسباب ظاهره قطعيه أو ظنيه لجلبها أو دفعها،أو تكون لها أسباب جالبه لها أو دافعه إياها،إلا أن العبد لا يتمكن منها.

فمقتضى التوكل فيها ترك السعى بالتمحلات و التدبيرات الخفيه، و حوالتها على رب الأرباب،و لو دبر فى تغييرها بالتمحلات و التكلفات،

۱- ۱) الطلاق،الآيه:۳.

لکـان خارجـا عن التوکـل رأسا، او لا تکون خارجه عن قـدرتهم،بمعنی أن لها أسـبابا قطعیه أو ظنیه یمکن للعبـد أن یحصـلها و یتوصـل بها إلی جلبها أو دفعها.فالسـعی فی مثلها لا ینافی التوکل،بعـد أن یکون وثوقه و اعتماده باللّه دون الأسـباب.فمن ظن ان معنی التوکل ترک الکسب بالبـدن،و ترک التـدبیر بالعقل رأسا،و السـقوط علی الأرض کالخرقه الملقاه،فقد أبعد عن الحق،لان ذلـک محرم فی الشرع الاقـدس.فان الشـارع کلف الإنسـان بطلب الرزق بالأسـباب الـتی هـداه اللّه إلیهـا،من زراعه،او تجـاره،او صناعه،او غیر ذلک مما أحله اللّه،و بابقاء النسل بالتزویج،و کلفه بأن یدفع عن نفسه الأشیاء المؤذیه بالتوسل إلی الأسباب المعینه لـدفعها.و کمـا ان العبـادات أمـور امر اللّـه-تعـالی-عبـاده بالسـعی فیهـا،لیحصـل لهـم بهـا التقرب إلیـه و السـعادات فی دار الآخره،فکذلک طلب الحلال و دفع الضـرر و الالم عن النفس و الأهل و العیال أمور امرهم اللّه-تعالی-،لیحصل لهم بها التوسـل إلی العبادات و ما یؤدی إلی التقرب و السعاده.و لکنه -سبحانه-کلفهم أیضا بألا یثقوا إلا به،و لا یعتمدوا علی الأسباب.

کمـا انه-سـبحانه-کلفهم بألا یتکلوا علی أعمالهم الحسـنه،بل علی فضـله و رحمته. فمعنی التوکل المأمور به فی الشـریعه:اعتماد القلب علی اللّه فی الأـمور کلهـا،و انقطـاعه عمـا سواه.و لاـ ینافیه تحصـیل الأسـباب إذا لم یسـکن الیها،و کان سـکونه إلی اللّه-سبحـانه-دونهـا مجوزا فی نفسه أن یؤتیه اللّه مطلوبه من حیث لاـ یحتسب،دون هـذه الأسـباب التی حصـلها،و أن یقطع اللّه هـذه الأسباب عن مسبباتها.

ص :۲۲۶

فصل (الأسباب التى لا ينافى السعى إليها التوكل)

الأسباب التى لا ينافى تحصيلها و مزاولتها للتوكل،هى الأسباب القطعيه او الظنيه،و هى التى يقطع او يظن بارتباط المسببات بها بتقدير اللّه و مشيته ارتباطا مطردا لا يتخلف عنها،سواء كانت لجلب نفع او لدفع ضر منتظر او لإزاله آفه واقعه،و ذلک كمد اليد إلى الطعام للوصول إلى فيه،و حمل الزاد للسفر،و اتخاذ البضاعه للتجاره،و الوقاع لحصول الاولاد،و أخذ السلاح للعدو،و الادخار لتجدد الاضطرار،و التداوى لإزاله المرض، و التحرز عن النوم فى ممر السيل و مسكن السباع و تحت الحائط المائل،و غلق الباب،و عقل البعير،و ترک الطريق الذى يقطع او يظن وجود السارقين او السباع الضاره فيه...و قس عليها غيرها.

و اما الأسباب الموهومه،كالرقيه،و الطيره،و الاستقصاء فى دقائق التدبير،و إبداء التمحلات لأجل التبديل و التغيير،فيبطل بها التوكل، لان أمثال ذلک ليست باسباب عند العقلاء،و ليست مما امر اللّه-تعالى- بها،بل ورد النهى عنها،على ان المأمور به الاجمال فى الطلب و عدم الاستقصاء.

قال رسول اللّه(ص):«ألا إن الروح الأمين نفث فى روعى:انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها،فاتقوا اللّه-تعالى-،و اجملوا فى الطلب».و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«ما أجمل فى الطلب من ركب البحر». و قال الصادق(ع):

«ليكن طلب المعيشه فوق كسب المضيع،و دون طلب الحريص،الراضى بدنياه،المطمئن إليها،و لكن أنزل نفسک من ذلک بمنزله المنصف المتعفف، ترفع نفسک عن منزله الواهن الضعيف،و تكتسب ما لا بد منه،إن الذين

أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم».و قال(ع):«اذا فتحت بابك، و بسطت بساطك،فقد قضيت ما عليك».

فصل (اعقل و توكل)

اعلم ان التوكل لا يبطل بالأسباب المقطوعه و المظنونه،مع ان اللّه قادر على إعطاء المطلوب بدون ذلك،لان اللّه-سبحانه-ربط المسببات بالأسباب،و ابى ان يجرى الأشياء إلا بالأسباب.و لذا لما أهمل الأعرابى بعيره،و قال:توكلت على اللّه،قال له النبى(ص):«اعقلها و توكل».

و قال الصادق(ع):«أوجب اللّه لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التى سببها لذلك و امرهم بذلك».و قال اللّه-تعالى-:

خُذُوا حِذْرَكُمْ

(۱)

.و قال فى كيفيه صلاه الخوف:

وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ

(۲)

.و قال: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبٰاطِ الْخَيْلِ (۳).

و قال لموسى: «فَأَسْرِ بِعِبٰادِي لَيْلاً (۴)»،و التحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر.

و فى الإسرائيليات:«ان موسى بن عمران(ع)اعتل بعله،فدخل عليه بنو أسرائيل،فعرفوا علته،فقالوا له:لو تداويت بكذا لبرئت،فقال:

لا أتداوى حتى يعافينى اللّه من غير دواء.فطالت علته،فاوحى اللّه إليه:

۱- ۱) النساء،الآيه:۷۰.

۲- ۲) النساء،الآيه:۱۰۱.

۳- ۳) الانفال،الآيه:۶۱.

۴- ۴) الدخان،الآيه:۲۳.

و عزتی و جلالی!لا- أبرؤک حتی تتداوی بما ذکروه لک.فقال لهم:داوونی بما ذکرتم.فداووه،فبریء.فاوجس فی نفسه من ذلک،فاوحی اللّه -تعالی-الیه:أردت أن تبطل حکمتی بتوکلک علی،فمن أودع العقاقیر منافع الأشیاء غیری؟». و روی:«أن زاهدا من الزهاد،فارق الامصار و أقام فی سفح جبل،فقال:لا اسأل أحدا شیئا حتی یأتینی ربی برزقی، فقعد سبعا،فکاد یموت،و لم یأته رزق،فقال:یا رب!إن احییتنی فأتنی برزقی الذی قسمت لی،و إلا فاقبضنی إلیک.فاوحی اللّه-تعالی-الیه:

و عزتی و جلالی!لا أرزقک حتی تدخل الامصار،و تقعد بین الناس.

فدخل المصر فأقام،فجاء هذا بطعام،و هذا بشراب،فاکل و شرب.

فاوجس فی نفسه ذلک،فاوحی اللّه إلیه:أردت أن تذهب حکمتی بزهدک فی الدنیا،أما علمت انی ارزق عبدی بایدی عبادی أحب الی من أن ارزقه بید قدرتی؟».

فصل (درجات الناس فی التوکل)

اعلم أن درجات الناس-کما عرفت-فی التوکل مختلفه،بحسب تفاوت مراتبهم فی قوه الیقین و ضعفه،و فی قوه التوحید و ضعفه:

فمنهم:من کمل ایمانه و یقینه،بحیث سقط وثوقه عن الأسباب بالکلیه، و توجه بشراشره إلی الواحد الحق،و لا یری مؤثرا إلا هو،و لیس نظره الی غیره أصلا،و قلبه مطمئن ساکن بعنایته،بحیث لا یختلج بباله احتمال أن یکله ربه إلی غیره،و لا یعتری نفسه اضطراب أصلا،فلا بأس لمثله أن یعرض عن الأسباب المقطوعه أو المظنونه بالکلیه،لان اللّه سبحانه یحفظه و یحرسه و یصلح أموره،و یرزقه من حیث لا یحتسب،سواء

حسب الأسباب أم لا،و سواء كسب أم لم يكتسب،إلا أنه ربما لم يترك السبب و الكسب و يتبع امر اللّه فيه،إلا أنه ليس وثوقه إلا باللّه دون السبب و الكسب.و ما ورد من حكايات بعض الكمل من الأولياء،من انهم يسافرون فى البوادى التى لا يطرقها الناس بغير زاد ثقه باللّه،و يصل اليهم الرزق،أو لا يتحرزون من السباع الضاره،أو يغلظون القول بالنسبه الى أهل الاقتدار من الملوك و السلاطين من دون خوف و مبالاه،اعتمادا على اللّه،و اللّه-سبحانه-ينجيهم منهم،كانوا منهم:أى من الكاملين فى التوكل. قال الصادق(ع):«أبى اللّه-عز و جل-أن يجعل أرزاق المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون».و إنما خصه بالمؤمنين،لان كمال الايمان يقتضى ألا يثق صاحبه بالأسباب و أن يتوكل على اللّه-عز و جل- وحده.و كمال الايمان إنما يكون لصاحب العلم المكنون من الأنبياء و الأولياء،و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

و منهم:من لم يبلغ قوه ايمانه و يقينه حدا تغيب عن نظره الأسباب و الوسائط،و يكون مقصور الالتفات إلى جناب الحق.فهذا هو الذى لا ينبغى له أن يعرض عن الأسباب و يتركها،لان مثله ليس له المظنه التى توصله إلى المقصد بدون الوسائط:اعنى قوه التوكل على اللّه و اليقين به سبحانه.

فصل (تفنيد زعم)

بعض الناس زعم:أن حق التوكل أن يكتفى بالأسباب الخفيه عن الأسباب الجليه،كأن يسافر فى البوادى التى لا يطرقها الناس بغير زاد، بعد أن راض نفسه على جوع الأسبوع و ما يقاربه،بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب،و اضطراب نفس،و تشويش خاطر،و فتور فى ذكر اللّه،

و بعد أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش و ما يتفق له،و أن يوطن نفسه على أنه إن مات جوعا كان خيرا له فى الآخره.

و كأن يجلس فى مسجد أو بيته و يترك الكسب،و يتفرغ للعباده، و الفكر و الذكر،و استغرق وقته بها،بحيث لا يستشرف نفسه إلى الناس فى انتظاره و من يدخل فيحمل إليه شيئا،بل يكون قوى القلب فى الصبر و الاتكال على اللّه.و هذا محض الخطأ،إذ من جاهد نفسه و راضها بحيث يصبر على جوع الأسبوع،و يمكنه التقوت بالحشيش،صارت الأسباب له جليه.فان عدم الحاجه أحد الغنائين.ثم إن كان اعتماده-حينئذ-على صبره و تمكنه من التقوت بالحشيش،فاين التوكل؟و إن كان وثوقه باللّه وحده، فليقم فى بلده مع الأسباب،كما أمر اللّه به فى الشرع.و أما توطين نفسه باختياره على الموت فممنوع عقلا،و محرم شرعا،قال اللّه-سبحانه-:

وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى اَلتَّهْلُكَهِ

(۱)

.

و اما الجالس فى بيته،التارك لكسبه،يعبد اللّه من دون طلب، فهو أيضا قد ترك متابعه امر اللّه.قال الصادق-عليه السلام-:«إن من يقوته أشد عباده منه».و ربما يكون مثله كلا على الناس،فان حاله ينادى بالبؤس و اليأس،بل هو ضرب على تواطن الناس و تعرض للذل.و بالجمله لا مدخل لخفاء الأسباب و جلائها فى التوكل،بعد ما تقرر ان معناه الثقه باللّه وحده،لا بالأسباب،فسواء وجود الأسباب و فقدها و جلاؤها و خفاؤها.

فصل (طريق تحصيل التوكل)

اشاره

الطريق إلى تحصيل التوكل-بعد تقويه التوحيد و الاعتماد بأن

۱- ۱) البقره،الآيه:۱۹۵.

الأمور باسرها مستنده إليه سبحانه،و ليس لغيره مدخليه فيها-أن يتذكر الآيات و الاخبار المذكوره الداله على فضيلته و مدحه،و كونه باعث النجاه و الكفايه،ثم يتذكر أن اللّه-سبحانه-خلقه بعد أن لم يكن موجودا، و اوجده من كتم العدم،و هيأ له ما يحتاج إليه،و هو أرأف بعباده من الوالده بولدها،و قد ضمن بكفاله من توكل عليه،فيستحيل أن يضيعه بعد ذلك و لا يكفيه مؤنته،و لا يوصل إليه ما يحتاج إليه،و لا يدفع عنه ما يؤذيه، لتقدسه من العجز و النقص و الخلف و السهو.و ينبغى أن يتذكر الحكايات التى فيها عجائب صنع اللّه فى وصول الأرزاق إلى صاحبها،و فى دفع البلايا و الاسواء عن بعض عبيده،و الحكايات التى فيها عجائب قهر اللّه فى إهلاك أموال الأغنياء و إذلال الاقوياء،و كم من عبد ليس له مال و بضاعه و يرزقه اللّه بسهوله،و كم من ذى مال و ثروه هلكت بضاعته او سرقت و صار محتاجا،و كم من قوى صاحب كثره و عده و سطوه صار عاجزا ذليلا بلا سبب ظاهر،و كم من ذليل عاجز صار قويا و استولى على الكل.و من تأمل فى ذلك يعلم أن الأمور بيد اللّه،فيلزم الاعتماد عليه و الثقه به.و المناط أن يعلم أن الأمور لو كانت بقدره اللّه-سبحانه-من غير مدخليه للاسباب و الوسائط فيها،فعدم التوكل عليه-سبحانه-و الثقه بغير غايه الجهل،و إن كانت لغيره-سبحانه-من الوسائط و الأسباب مدخليه، فالتوكل من جمله أسباب الكفايه و انجاح الأمور،إذ السمع و التجربه شاهدان بأن من توكل على اللّه و انقطع إليه كفاه اللّه كل مؤنه.فكما ان شرب الماء سبب لإزاله العطش،و أكل الطعام سبب لدفع الجوع،فكذا التوكل سبب رتبه مسبب الأسباب لانجاح المقاصد و كفايه الأمور. و علامه حصول التوكل،ألا يضطرب قلبه،و لا يبطل سكونه بفقد أسباب نفسه

و حدوث أسباب ضره.فلو سرقت بضاعته،أو خسرت تجارته،أو تعوق أمر من أموره،كان راضيا به،و لم تبطل طمأنينته،و لم تضطرب نفسه، بل كان حال قلبه فى السكون قبله و بعده واحدا.فان من لم يسكن إلى شىء لم يضطرب بفقده،و من اضطرب لفقد شىء فقد سكن إليه و اطمأن به.

و منها.

اشاره

الكفران (و ضده الشكر)

الشكر-فضيله الشكر-الشكر نعمه يجب شكرها-المدارك لتميز محاب اللّه عن مكارهه-اقسام النعم و اللذات-الأكل-لا فائده فى الغذاء ما لم يكن بشهوه و ميل-عجائب المأكولات-حاجه تحضير الطعام إلى آلاف الأسباب-تسخير اللّه التجار لجلب الطعام-نعم اللّه فى خلق الملائكه للانسان -الأسباب الصارفه للشكر-طريق تحصيل الشكر-الصحه خير من السقم.

و بعد ما تعرف حقيقه الشكر،و كونه متعلقا بأى القوى،تعرف بالمقايسه حقيقه الكفران و كونه من رذائل القوى.

فنقول:الشكر هو عرفان النعمه من المنعم،و الفرح به،و العمل بموجب الفرح باضمار الخير،و التحميد للمنعم،و استعمال النعمه فى طاعته.

أما المعرفه،فبأن تعرف أن النعم كلها من اللّه،و أنه هو المنعم،و الوسائط مسخرات من جهته.و لو انعم عليك أحد،فهو الذى سخره لك،و القى فى قلبه من الاعتقادات و الارادات ما صار به مضطرا إلى الايصال إليك، فمن عرف ذلك،حصل أحد اركان الشكر للّه،و ربما كان مجرد ذلك

شکرا،و هو الشکر بالقلب.کما روی:«أن موسی قال فی مناجاته:إلهی! خلقت آدم بیدک،و اسکنته جنتک،و زوجته حواء أمتک،فکیف شکرک؟ فقال:علم ان ذلک منی فکانت معرفته شکرا».

ثم هذه المعرفه فوق التقدیس و فوق بعض مراتب التوحید،و هما داخلان فیها.إذ التقدیس تنزیهه-سبحانه-عن صفات النقص،و التوحید قصر المقدس علیه،و الاعتراف بعدم مقدس سواه،و هذه المعرفه هی الیقین بأن کل ما فی العالم موجود منه،و الکل نعمه منه،فینطوی فیها مع التقدیس و التوحید کمال القدره و الانفراد بالفعل،و لذلک قال رسول اللّه (ص):«من قال:سبحان اللّه،فله عشر حسنات،و من قال:لا إله إلا اللّه،فله عشرون حسنه،و من قال:الحمد للّه،فله ثلاثون حسنه».

فسبحان اللّه:کلمه تدل علی التقدیس،و لا إله إلا اللّه:کلمه تدل علی التوحید،و الحمد للّه:کلمه تدل علی معرفه النعم من الواحد الحق.و لا تظنن ان هذه الحسنات بإزاء تحریک اللسان بهذه الکلمات من غیر عقد القلب بمعانیها،بل هی بإزاء الاعتقاد بمعانیها التی هی المعارف المعدوده من ابواب الایمان و الیقین. و اما الفرح بالمنعم،مع هیئه الخضوع و التواضع،فهو أیضا من ارکان الشکر.بل کما ان المعرفه شکر قلبی برأسه،فهو أیضا فی نفسه شکر بالقلب،و انما یکون شکرا إذا کان فرحه بالمنعم او بالنعمه لا من حیث إنه نعمه و مال ینتفع به و یلتذ منه فی الدنیا،بل من حیث إنه یقدر بها علی التوصل إلی القرب من المنعم،و النزول فی جواره،و النظر إلی وجهه علی الدوام،و امارته الا یفرح من الدنیا إلا بما هو مزرعه الآخره و معینه علیها، و یحزن بکل نعمه تلهیه عن ذکر اللّه و تصده عن سبیله،لأنه لیس یرید النعمه لذاتها،بل من حیث انها توصله إلی مجاوره المنعم و قربه و لقائه. و اما

العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفه المنعم،فهو القيام بما هو مقصود المنعم و محبوبه،و هو يتعلق بالقلب و اللسان و الجوارح.اما المتعلق بالقلب فقصده الخير و اضماره لكافه الخلق.و اما المتعلق باللسان فاظهار الشكر للّه بالتحميدات الداله عليه.و اما المتعلق بالجوارح،فاستعمال نعم اللّه فى طاعته و التوقى من الاستعانه بها على معصيته،حتى ان من جمله شكر العينين أن يستر كل عيب يراه من مسلم،و من جمله شكر الاذنين أن يستر كل عيب يسمعه من مسلم،فيدخل هذا و أمثاله فى جمله شكر نعمه هذه الأعضاء.

بل قيل:من كفر نعمه العين و لم يستعملها فيما خلقت لأجله كفر نعمه الشمس أيضا،إذ الابصار انما يتم بها،و انما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه فى دينه و دنياه،و يقى بهما ما يضره فيهما.بل المراد من خلق السماء و الأرض و خلق الدنيا و أسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى اللّه،و لا وصول اليه إلا بمحبته و الانس به فى الدنيا،و التجافى عن الدنيا و غرورها و لذاتها و علائقها،و لا انس الا بدوام الذكر و لا محبه إلا بالمعرفه الحاصله بدوام الفكر،و لا يمكن الذكر و الفكر إلا ببقاء البدن،و لا يبقى البدن إلا بالارض و الماء و الهواء و النار،و لا يتم ذلك إلا بخلق الأرض و السماء و خلق سائر الأشياء،و كل ذلك لأجل البدن.و البدن مطيه النفس.و النفس الراجعه إلى اللّه هى المطمئنه بطول العباده و المعرفه.فكل من استعمل شيئا فى غير طاعه اللّه فقد كفر نعمه اللّه فى جميع الأسباب التى لا بد منها لاقدامه على تلك المعصيه. و إذا عرفت حقيقه الشكر،تعرف بالمقايسه حقيقه الكفران،فانه عباره عن الجهل بكون النعم من اللّه،أو عدم الفرح بالمنعم و النعمه من حيث ايصالها إلى القرب منه،أو ترك استعمال النعمه فيما يحبه المنعم،او استعمالها فيما يكرهه.

ثم،بما ذكرناه،و إن ظهر أن حقيقه الشكر ملتئمه من الأمور الثلاثه، إلا أنه قد يطلق الشكر على كل واحد أيضا،كما قال الصادق(ع):«شكر كل نعمه،و إن عظمت،أن تحمد اللّه»،و قال(ع):«شكر النعم اجتناب المحارم،و تمام الشكر قول الرجل:الحمد للّه رب العالمين».و سئل عنه(ع):

«هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكرا؟قال:نعم!قيل:ما هو؟قال:

يحمد اللّه على كل نعمه عليه فى أهل و مال،و إن كان فيما انعم عليه فى ماله حق أداه.و منه قوله-جل و عز-:

سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هٰذا وَ ما کُنّا لَهُ مُقْرِنِینَ

(۱)

.و منه قوله-تعالی-: رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبارَکاً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ (۲).و قوله: رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی.مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً (۳).

و قال(ع):«كان رسول اللّه(ص)إذا ورد عليه أمر يسره،قال:

الحمد للّه على هذه النعمه.و إذا ورد عليه أمر يغتم به،قال:الحمد للّه على كل حال».و قال(ع):«اذا أصبحت و أمسيت،فقل عشر مرات:اللهم ما أصبحت بى من نعمه أو عافيه فى دين او دنيا،فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد و لك الشكر بها على يا رب.حتى ترضى و بعد الرضا.فانك إذا قلت ذلك،كنت قد أديت شكر ما أنعم اللّه به عليك فى ذلك اليوم و فى

۱- ۱) الزخرف،الآيه:۱۳.

۲- ۲) المؤمنون،الآيه:۲۹.

۳- ۳) الاسراء،الآيه:۸۰.

تلک الليله».و فى روايه:«کان نوح(ع)يقول ذلک إذا أصبح،فسمى بذلک عبدا شکورا».و قال(ع):«اذا ذکر أحدکم نعمه اللّه،فليضع خده على التراب شکرا للّه،فان کان راکبا فلينزل و ليضع خده على التراب، و ان لم يکن يقدر على النزول للشهره فليضع خده على قربوسه (۱)،و ان لم يقدر فليضع خده على کفه،ثم ليحمد اللّه على ما انعم عليه». و روى:«أن الصادق(ع)قد ضاعت دابته،فقال:لئن ردها اللّه على لا شکرن اللّه حق شکره».قال الراوى:فما لبث أن أوتى بها،فقال:«الحمد للّه».فقال قائل له:جعلت فداک!أ ليس قلت لا شکرن اللّه حق شکره؟فقال أبو عبد اللّه (ع):«ألم تسمعنى قلت:الحمد للّه؟» (۲).ثم الشکر باللسان لإظهار الرضا من اللّه،و لذا امر به.و قد کان السلف يتساءلون بينهم،و نيتهم استخراج الشکر للّه،ليوجر کل واحد من الشاکر و السائل.و قد روى:«أن رسول اللّه(ص)قال لرجل:کيف أصبحت؟فقال:بخير.فأعاد عليه السؤال، فأعاد عليه الجواب،فأعاد السؤال ثالثه،فقال:بخير،أحمد اللّه و اشکره.

فقال(ص):هذا الذى أردت منک».

«تنبيه»لا ريب فى ان الجزء الأول من الشکر-اعنى معرفه النعم من اللّه-من متعلقات العاقله و فضائلها.و الثانى-اعنى الفرح للنفس-ان کان من النعم العقليه الروحانيه،يکون متعلقا بالعاقله أيضا،و ان کان لأجل وصول نعمه الغلبه و الاستيلاء-مثلا-على عدو ظالم،يکون متعلقا بالقوه الغضبيه،و ان کان من نعمه المال و الاولاد،يکون متعلقا بالقوه الشهويه.

۱- ۱) القربوس-بفتحتين-:حنو السرج،اى قسمه المقوس المرتفع من قدام المقعد و من مؤخره.

۲ - ۲) هذه الروايه مذکوره فى(أصول الکافى):ج ۲-باب الشکر.و فى (الوافى):۳-۳۲۴-باب الشکر.الا ان المنقول فى نسخ(جامع السعادات) فيه اختلاف کثير عما فى الموضعين،فصححناها عليهما.

و الجزء الثالث-اعنی العمل بمقتضی الفرح الحاصل من معرفه المنعم-فهو من ثمرات الحب للمنعم و الخوف من زوال نعمته.و بهذا یظهر:أن الشکر و الکفران من متعلقات القوی الثلاث،و الأول من فضائلها إذا امتزجت و تسالمت،و الثانی.من رذائلها.

فصل (فضیله الشکر)

الشکر أفضل منازل الأبرار،و عمده زاد المسافرین إلی عالم الأنوار، و هو موجب لدفع البلاء و ازدیاد النعماء،و قد ورد به الترغیب الشدید، و جعله اللّه سببا للمزید.قال اللّه-سبحانه-:

مٰا یَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذٰابِکُمْ إِنْ شَکَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ

(۱)

.و قال: لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ (۲).

و قال: فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لاٰ تَکْفُرُونِ (۳).و قال: وَ سَنَجْزِی الشّٰاکِرِینَ (۴).

و لکونه غایه الفضائل و المقامات،لیس لکل سالک أن یصل إلیه، بل لیس الوصول إلیه الا لأوحدی من کمل السالکین.و لذا قال اللّه رب العالمین:

وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبٰادِیَ الشَّکُورُ

(۵)

.و کفی به شرفا

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۴۶.

۲- ۲) إبراهیم،الآیه:۷.

۳- ۳) البقره،الآیه:۱۵۲.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۴۵.

۵- ۵) سبأ،الآیه:۱۳.

و فضلا،أنه خلق من أخلاق الربوبيه،كما قال اللّه-سبحانه-:

وَ اللّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ

(۱)

.و هو فاتحه كلام أهل الجنه و خاتمته،كما قال اللّه-تعالى-: وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى صَدَقَنا وَعْدَهُ (۲).و قال: وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۳).

و قال رسول اللّه(ص).«الطاعم الشاكر،له من الاجر كأجر الصائم المحتسب.و المعافى الشاكر،له من الاجر كأجر المبتلى الصابر.و المعطى الشاكر،له من الاجر كأجر المحروم القانع».و قال(ص):«ان للنعم أو ابد كأوابد الوحش،فقيدوها بالشكر».و قال(ص):«ينادى مناد يوم القيامه:ليقوم الحامدون!فيقوم زمره.فينصب لهم لواء فيدخلون الجنه».فقيل:من الحمادون؟فقال:«الذين يشكرون اللّه على كل حال».

و قال السجاد(ع):«إن اللّه-سبحانه-يحب كل عبد حزين،و يحب كل عبد شكور». و قال الباقر(ع):«كان رسول اللّه(ص)عند عائشه ليلتها، فقالت:يا رسول اللّه!لم تتعب نفسك و قد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟فقال:يا عائشه!ألا أكون عبدا شكورا؟...قال:و كان يقوم على أطراف اصابع رجليه،فأنزل اللّه-تعالى-:طه!ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى». و قال الصادق(ع):«ما انعم اللّه على عبد من نعمه فعرفها بقلبه و حمد اللّه ظاهرا بلسانه،فتم كلامه،حتى يؤمر له بالمزيد».و قال

۱- ۱) التغابن،الآيه:۱۷.

۲- ۲) الزمر،الآيه:۷۴.

۳- ۳) يونس،الآيه:۱۰.

(ع):«ثلاث لا يضر معهن شیء:الدعاء عند الكرب،و الاستغفار عند الذنب،و الشكر عند النعمه» (۱).و قال(ع):«فی كل نفس من انفاسک شكر لازم لک،بل الف أو أكثر،و أدنى الشكر رؤيه النعمه من اللّه -تعالى-من غير عله يتعلق القلب بها دون اللّه-عز و جل-،أو الرضا بما أعطى،و الا تعصيه بنعمته و تخالفه بشیء من امره و نهيه بسبب نعمته.

فكن للّه عبدا شاكرا على كل حال،تجد اللّه ربا كريما على كل حال،و لو كان عند اللّه-تعالى-عباده تعبد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل حال،لا طلق لفظه منهم عن جميع الخلق بها،فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات،و خص اربابها،فقال:(و قليل من عبادی الشكور).و تمام الشكر الاعتراف بلسان السر،خاضعا لله بالعجز عن بلوغ ادنى شكره،لان التوفيق للشكر نعمه حادثه يجب الشكر عليها،و هی أعظم قدرا و أعز وجودا من النعمه التی من اجلها وفقت له،فيلزمک على كل شكر شكر أعظم منه،الى ما لا نهايه له،مستغرقا فی نعمه،قاصرا عاجزا عن درک غايه شكره،و انى يلحق العبد شكر نعمه الله،و متى يلحق صنيعه بصنيعه،و العبد ضعيف لا قوه له ابدا الا بالله-عز و جل-،و الله غنی عن طاعه العبد قوی على مزيد النعم على الابد،فكن لله عبدا شاكرا على هذا الأصل،ترى العجب» (۲).ثم كما ان الشكر من المنجيات الموصله إلى سعاده الابد و زياده النعمه فی الدنيا،فضده-اعنی الكفران-من المهلكات المؤديه إلى شقاوه السرمد و عقوبه الدنيا و سلب النعم.قال الله-سبحانه-:

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافی):ج ۲،باب الشكر.و على (البحار)مج ۱۵:۲-۱۳۲-۱۳۵،باب الشكر.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب السادس.و على (سفينه البحار)۱-۷۱۰.

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ

(۱)

.و قال-تعالى-: «إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ (۲).

و قال الصادق(ع):«اشكر من أنعم عليك،و انعم على من شكرك، فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت و لا بقاء لها إذا كفرت.الشكر زياده فى النعم،و امان من الغير»أى من التغيير.

فصل (الشكر نعمه يجب شكرها)

لما كانت حقيقه الشكر عباره عن عرفان كل النعم من اللّه مع صرفها فى جهه محبه اللّه،فالشكر على كل نعمه أن تعرف كونها من اللّه و تصرفها فى جهه محبته.و لا ريب فى أن هذه المعرفه و الصرف أيضا نعمه من اللّه، إذ جميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمه من اللّه،لان جوارحنا،و قدرتنا، و إرادتنا،و دواعينا،و إفاضه المعارف علينا،و سائر الأمور التى هى أسباب حركاتنا،بل نفس حركاتنا،من اللّه.و على هذا فالشكر على كل نعمه نعمه أخرى من اللّه يحتاج إلى شكر آخر.و هو ان يعرف ان هذا الشكر أيضا نعمه من اللّه-سبحانه-.فيفرح به و يعمل بمقتضى فرحه.

و هذه المعرفه و الفرح تحتاج إلى شكر آخر،و هكذا.فلا بد من الشكر فى كل حال.و ليس يمكن ان تنتهى سلسله الشكر إلى ما لا يحتاج إلى شكر.

فغايه شكر العبد ان يعرف عجزه عن أداء حق شكره-تعالى-.اذ عرفان

۱- ۱) النحل،الآيه:۱۱۱.

۲- ۲) الرعد،الآيه:۱۲.

عجزه مسبب عن عرفان جميع النعم،حتی شکره من اللّه،و هذا غایه ما یمکن للعبد.و یشهد بذلک ما روی:«أن اللّه-عز و جل-اوحی إلی موسی(ع):

یا موسی!اشکرنی حق شکری.فقال:یا رب!کیف اشکرک حق شکرک و لیس من شکر أشکرک به الا ـ و أنت أنعمت به علی؟قال:یا موسی!الآن شکرتنی،حیث علمت ان ذلک منی».و کذلک أوحی ذلک إلی داود،فقال:

«یا رب!کیف اشکرک و انا لا استطیع ان اشکرک الا بنعمه ثانیه من نعمک».و فی لفظ آخر:«و شکری لک نعمه أخری منک،و یوجب علی الشکر لک،فقال:اذا عرفت هذا فقد شکرتنی».و فی خبر آخر:«اذا عرفت ان النعم منی،رضیت عنک بذلک شکرا». و روی:«أن السجاد -علیه السلام-کان إذا قرأ هذه الآیه(و إن تعدوا نعمه اللّه لا تحصوها) یقول:سبحان من لم یجعل فی أحد من معرفه نعمه الا ـ المعرفه بالتقصیر عن معرفتها!کما لم یجعل فی أحد من معرفه ادراکه أکثر من العلم بانه لا یدرکه»،فشکره-تعالی-معرفه العارفین بالتقصیر عن معرفه شکره،فجعل معرفتهم بالتقصیر شکرا،کما علم العارفین بأنهم لا یدرکونه،فجعله ایمانا،علما منه أنه فقد وسع العباد فلا یتجاوز ذلک،فان شیئا من خلقه لا یبلغ مدی عبادته،فکیف یبلغ مدی عبادته من لا مدی له و لا کیف؟ تعالی اللّه عن ذلک علوا کبیرا.و قال أبو الحسن(ع):«من حمد اللّه علی النعمه فقد شکره،و کان الحمد للّه أفضل من تلک النعمه» (۱)،یعنی أنه نعمه فوق تلک النعمه،یستدعی شکرا آخر.

۱- ۱) صححنا الروایات الثلاث علی(أصول الکافی)ج ۲،باب الشکر، و علی(الوافی):۳-۳۲۴ باب الشکر.

فصل (المدارک لتمییز محاب اللّه عن مکارهه)

لما عرفت أن الشکر عباره عن استعمال نعم اللّه فیما یحبه،و الکفران عباره عن نقیض ذلک-اعنی ترک استعمالها فیه أو استعمالها فیما یکرهه- فلا بد من معرفه ما یحبه و ما یکرهه،و تمییز محابه عن مکارهه،حتی یتمکن من أداء الشکر و ترک الکفران،لتوقفهما علی معرفتهما و تمییزهما.و هذا التمییز و التعریف له مدرکان:

أحدهما-الشرع،فانه کشف عن جمیع ما یحبه و ما یکرهه،و عبر عن الأول بالواجبات و المندوبات،و عن الثانی بالمحرمات و المکروهات.

فمعرفه ذلک موقوفه علی معرفه جمیع احکام الشرع فی افعال العباد،فمن لم یطلع علی حکم فی جمیع افعاله،لم یمکنه القیام بحق الشکر.

و ثانیهما-العقل و النظر بعین الاعتبار،فان العقل متمکن-فی الجمله- من أن یدرک بعض وجوه الحکم فی بعض الموجودات.فان اللّه-سبحانه- ما خلق شیئا فی العالم إلا و فیه حکم کثیره،و تحت کل حکمه مقصود و مصلحه،و هذا المقصود و المصلحه هو محبوب اللّه-تعالی-.فمن استعمل کل شیء علی النحو الذی یؤدی إلی المقاصد المطلوبه و علی الجهه التی خلق لها فقد شکر نعم اللّه-تعالی-،و إن استعمل شیئا علی النحو الذی لم یؤد الی المقصوده منه أو فی جهه غیر الجهه التی خلق لها،فقد کفر نعمه اللّه.

ثم العقل لا یتمکن من معرفه کل حکمه مطلوبه من کل شیء،إذ الحکم المقصوده من الأشیاء،طما جلیه او خفیه.أما الجلیه:کحکمه حصول اللیل و النهار فی وجود الشمس،و حکمه انتشار الناس و سکونهم فی وجود اللیل و النهار،و حکمه انشقاق الأرض بانواع النبات فی وجود الغیم و نزول

الأمطار،و حكمه الابصار فى العين،و البطش فى اليد،و المشى فى الرجل، و حصول الأولاد و بقاء النسل فى آلات التناسل و خلق الشهوه،و حكمه المضغ و الطحن فى خلق الأسنان و أمثال ذلك.و أما الحكم الخفيه:كالحكم التى فى خلق الكواكب السياره و الثابته،و اختصاص كل منها بقدر معين و موضع خاص،و الحكم التى فى بعض الأعضاء الباطنيه للحيوان،من الامعاء و المراره و الكليه و آحاد العروق و الاعصاب و العضلات،و ما فيها من التجاويف و الالتفاف و الاشتباك و الانحراف و الدقه و الغلظه و غير ذلك.

فهذه الحكم و أمثالها لا يعرفها كل أحد،و من يعرف منها شيئا فلا يعرف إلا قدرا يسيرا.فان جميع اجزاء العالم،سماءه و كواكبه،و ما فيها من الاوضاع و الحركه و الاختصاصات،و عناصره من كثره النار و الهواء و الماء و الأرض،و ما فيها من البحار و الجبال و الرياح،و المعادن و النبات و الحيوان،لا تخلو ذره من ذراته من حكم كثيره من عشره إلى الف او أكثر،و قليل منها جليه،و أكثرها دقيقه خفيه،و بعضها متوسط فى الجلاء و الخفاء،يعرفها المتفكرون فى خلق السماوات و الأرض،و أكثر الحكم الدقيقه مما لا يعرفها غير خالقها و موجدها.ثم ما عدا الإنسان من الأشياء المجرده و الماديه،و الروحانيه و الجسمانيه،جاريه على وفق الحكمه، و مستعمله ذواتها و اجزاؤها و ما يتعلق بها على الوجه الذى هو مقتضى المصلحه المقصوده منها.و أما الإنسان،فلكونه محل الاختيار و مجراه،فقد يجرى و يستعمل الأشياء التى يتمكن من استعمالها على خلاف ذلك،فيكون كافرا بنعمه اللّه-سبحانه-.فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمه اللّه فى اليد، اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يؤذيه،و يأخذ ما ينفعه،لا ليهلك به غيره،و من نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمه العين،لانها خلقت

ليبصر بها ما ينفعه فى دينه و دنياه،و يتقى بها ما يضره فيهما،و من ادخر الدراهم و الدنانير و حبسهما فقد كفر نعمه اللّه فيهما،لانهما حجران لا منفعه و لا عوض فى اعيانهما،و انما خلقهما اللّه-تعالى-ليكونا حاكمين يحصل بهما التعديل و المساواه و التقدير بين سائر الأموال من الأعيان المتنافره المتباعده، فهما عزيزان فى أنفسهما.و لا غرض فى اعينهما.و نسبتهما إلى سائر الأموال نسبه واحده.فمن ملكهما فكأنه ملك كل شىء،لا كمن ملك ثوبا،فانه لا يملك الا الثوب.فان احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام فى الثوب،اذ لا غرض له فى ذاته،بخلاف النقدين،فانهما من حيث الصوره كأنهما ليسا بشىء،و من حيث المعنى كأنهما كل شىء.و الأشياء انما تستوى نسبتها إلى المختلفات-اذا لم يكن لها صوره خاصه تقيدها بخصوصها-كالمرآه لا لون لها و تحكى كل لون،و كالحرف لا معنى لها فى نفسها،بل تظهر لها المعانى فى غيرها،و كذلك النقدان،لا غرض فيهما مع كونهما وسيله إلى كل غرض.فالحكمه فى خلقهما أن يحكما بين الأموال بالعدل،و تعرف بهما المقادير المختلفه،و تقوم بهما الأشياء المتباينه،و يحصل التوسل بهما إلى سائر الأموال.فيلزم اطلاقهما لتداولهما الايدى،و تحصل بهما التسويه فى تبادل الأعيان و المنافع المتخالفه،فمن ادخرهما و حبسهما فقد ظلمهما،و أبطل الحكمه فيهما،و كفر نعمه اللّه فيهما،و كان كمن حبس حاكم المسلمين فى سجن،و من لم يدخرهما و لم يتصرف أزيد مما يحصل به التوصل إلى ما يحتاج و انفق الزائد فى سبيل اللّه،فهو الذى استعملهما على وفق الحكمه و شكر نعمه اللّه فيهما.و لما عجز أكثر الناس عن قراءه الاسطر الإلهيه المكتوبه على صفحاتهما فى فائدتهما و حكمتهما بخط إلهى لا حرف فيه و لا صوت، أخبرهم اللّه عن ذلك بقوله:

وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ يُنْفِقُونَهٰا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ

(۱)

.

و بما ذکرنا من وجه الحکمه فیهما،یظهر أن من اتخذ الأوانی منهما فقد کفر نعمه اللّه فیهما أیضا،و کذا من عامل معامله الربا فیهما فقد کفر النعمه و ظلم،لأنهما طنما خلقا لغیرهما لا لأنفسهما،إذ لا غرض فی عینهما،فإذا اتجر فی عینهما فقد اتخذهما مقصودا لأنفسهما علی خلاف وضع الحکمه، و کذلک الحکمه فی خلق الأطعمه أن یغتذی بها،فلا ینبغی أن تصرف عن جهتها و تقید فی الایدی،بل اللازم أن تخرج عن یدی المستغنی عنها الی المحتاج.و لذا ورد فی الشرع حرمه الاحتکار و المنع عن معامله الربا فی الأطعمه،لان ذلک یوجب صرفها عن الحکمه المقصوده منها. و إذا عرفت ذلک،فقس علیه جمیع افعالک و اعمالک و حرکاتک و سکناتک،فان کل فعل یصدر منک إما شکر أو کفران لا یتصور أن ینفک عنهما،مثلا لو استنجیت بالیمین،فقد کفرت نعمه الیدین،اذ خلق اللّه الیدین و جعل أحداهما أقوی و استحق الاقوی لرجحانه التفضیل،و تفضیل الناقص علیه عدول عن العدل،و هذا التفضیل انما یتصور بأن تصرف الاقوی فی الافعال الشریفه،کأخذ المصحف و أکل الطعام،و تصرف الاضعف فی الاعمال الخسیسه،کازاله النجاسه،فمن خالف ذلک فقد عدل عن العدل و أبطل الحکمه و کفر النعمه.و کذلک إذا لبست خفک فابتدأت بالیسری فقد ظلمت لان الخف وقایه للرجل،فللرجل فیه حظ،و البداء فی الحظوظ ینبغی أن تکون بالاشرف،و هو العدل و العمل علی وفق الحکمه،فخلافه ظلم و کفران.

۱- ۱) التوبه،الآیه:۳۵.

و كذلك ان استقبلت القبله عند قضاء الحاجه،فقد كفرت نعمه اللّه فى خلق الجهات و خلق سعه العالم،لانه خلق الجهات متعدده متسعه،و شرف بعضها بأن وضع فيه بيته،فينبغى استقباله بالأفعال الشريفه،كالصلاه و الجلوس للذكر و الاغتسال و الوضوء،دون الافعال الخسيسه،كقضاء الحاجه و رمى البزاق،فمن قضى حاجته أو رمى بزاقه إلى جهه القبله فقد ظلمها و كفر نعمه اللّه، و كذلك من كسر غصنا من شجره من غير حاجه مهمه،و من غير غرض صحيح،فقد كفر نعمه اللّه فى خلق الأشجار و فى خلق اليد.أما اليد فلأنها لم تخلق للعبث،بل للطاعه المعينه عليها.و أما الشجر، فلان اللّه-تعالى-خلقه،و خلق له العروق و ساق إليه الماء،و خلق فيه قوه الاغتذاء و النماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده،فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفه لمقصود الحكمه و عدول عن العداله.

نعم ان كان له غرض صحيح فى كسره فله ذلك.اذ الشجر و الحيوان جعلا فداءين لأغراض الإنسان،فانهما جميعا فانيان هالكان،فافناء الأخس فى بقاء الأشرف مده ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا.و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ جَمِيعاً

(۱)

.

ثم هذه الافعال المتصفه بالكفران،بعضها يوجب نقصان القرب و انحطاط المنزله،و بعضها يخرج بالكليه عن حدود القرب إلى عالم البعد الذى هو أفق الشياطين.و لذلك يوصف بعضها-فى لسان الفقه- بالكراهه و بعضها بالحظر.و قد سومح فى الفقه حيث جعل فيه بعض هذه المكاره مكروهه غير محظوره،مع ان جميعها عدول عن العدل،و كفران

۱- ۱) الجاثيه،الآيه:۱۲.

للنعمه،و نقصان عن الدرجه المبلغه إلى القرب،لأن الخطاب به انما هو الى العوام الذين تقرب درجتهم من درجه الأنعام،و قد انغمسوا فى ظلمات أعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافه إليها.فان المعاصى كلها ظلمات،الا أن بعضها فوق بعض،فيتمحق بعضها فى جنب البعض. و لذا ترى أن السيد يعاتب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه،و لكن لو قتل بهذا السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم و نكايه فى نفسه.و لذا جميع هذه المكاره موصوفه عند أرباب القلوب بالحظر،و لا يتسامحون فى شىء مما راعاه الأنبياء و الأولياء من الآداب.حتى نقل:«ان بعضهم جمع اكرارا من الحنطه ليتصدق بها،فسئل عن سببه فقال:لبست المداس مره فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا،فأريد ان أكفره بالصدقه».

فصل (اقسام النعم و اللذات)

اشاره

اعلم ان النعمه عباره عن كل خير و لذه و سعاده،بل كل مطلوب و مؤثر. و هى تنقسم إلى مؤثر لذاته لا لغيره،اى تكون غايه مطلوبه لذاتها ليس فوقها غايه أخرى،و هى مخصوصه بسعاده الآخره التى لا انقضاء لها، اعنى لذه النظر إلى وجه اللّه،و سعاده لقائه،و سائر لذات الجنه،من البقاء الذى لا فناء له،و السرور الذى لا غم فيه،و العلم الذى لا جهل معه، و الغنى الذى لا فقر بعده،و غير ذلك.فانها لا تطلب ليتوصل بها إلى غايه أخرى مقصوده وراءها،بل تطلب لذاتها،و هذه هى النعمه الحقيقيه و اللذه الواقعيه،و لذلك قال رسول اللّه(ص):«لا عيش الا عيش الآخره»، و غالب هذه النعمه و السعاده و اقواها و اشرفها هى اللذه و البهجه المرضيه العقليه دون الجسمانيه-كما لا يخفى-،فيختص بادراكها العقل،

ص: ۲۴۸

و لا ـ حظ للسمع و البصر و الشم و البطن و الفرج فيها. و إلى ما يقصد لغيره، أى تكون مطلوبه لأجل الغايه المطلوبه لذاتها و وسيله إليها،سواء أ كانت مقصوده لذاتها أيضا أم لا.و هى تنقسم إلى أربعه اقسام:

القسم الأول-و هو الأقرب الأخص:الفضائل النفسيه

المذكوره فى هذا الكتاب،و يجمعها العلم و العفه و الشجاعه و العداله،و هذه مع كونها لذيذه فى نفسها،تكون وسيله إلى النعمه التى هى غايه الغايات بلا توسط وسيله أخرى.و لذلک قلنا:هى أقرب الوسائل و اخصها.و اشرفها العلم،و أشرف افراد العلم:العلم باللّه و صفاته و ملائكته و رسله،و أحوال النشأه الآخره،و سائر افعاله،و علم المعامله الراجع إلى علم الأخلاق، إذ هو الذى يؤدى إلى السعاده الحقيقيه بلا توسط شىء آخر،و سائر العلوم إنما هى مقصوده من حيث كونها وسائل إلى هذا العلم،و هذه الفضائل لذيذه فى الدنيا و الآخره نافعه فيهما،اى تؤدى إلى الراحه فيهما،و جميله على الإطلاق،اى تستحسن فى جميع الأحوال.و ضدها-اعنى الجهل و الأخلاق السيئه-ضاره مؤلمه فى الدارين،قبيحه على الإطلاق.و سائر الصفات ليست جامعه لهذه الاوصاف.فان أكل لذائذ الأطعمه و طيباتها يوجب اللذه و النفع،أى حصول الراحه فى الحال،و لكنه ضار فى المآل، و ترک الشهوات بعكس ذلک.

ثم لذه المعرفه و فضائل الأخلاق دائمه لازمه لا تزول ابدا،لا فى الدنيا و لا فى الآخره،و عقليه يختص بادراكها العقل دون سائر الحواس.

و اما غيرها من اللذات،فبعضها مما يشترک فيه الإنسان و بعض الحيوانات، كلذه الرئاسه و الغلبه و الاستيلاء،و هذه اللذه موجوده فى الأسد و النمر و بعض اخر من الحيوانات.و بعضها مما يشترک فيه الإنسان و سائر

الحيوانـات،كلـذه البطن و الفرج،و هى اخس اللـذات،و لـذلك اشترك فيها كل ما دب و درج،حتى الديـدان و الحشـرات.فمن جـاوز هـذه اللـذه، تشـبثت بـه لـذه الغلبه و الاستيلاء،فـان جاوزهـا أيضـا ارتقى إلى اللـذه العقليه فصـار أقرب اللـذات عليه لـذه المعرفه،لاـ سيما لـذه معرفه اللّه و معرفه صـفاته و افعـاله.و هـذه مرتبه الصـديقين،و لاـ ينـال تمامهـا إلا بخروج حب الرئاسه من القلب،و آخر مـا يخرج من رءوس الصـديقين حب الرئاسه و الجاه، و لـذلك قمعها بالكليه،بحيث لا يقع بها الإحساس قط،يشبه ان يكون خارجا عن مقدره البشر. نعم ربما غلبت لذه المعرفه فى أحوال،بحيث لا يقع معها الإحساس بلذه الجاه و الرئاسه،إلا أن ذلك لا يـدوم،بل تعتريه الفترات،فتعود إلى الحاله البشـريه.و على هـذا،تنقسم القلوب إلى أربعه أقسام:قلب:لا يحب إلا اللّه،و لا يستريـح إلا إليه،و ليس فرحه إلا بزياده المعرفه و الفكر فيه،و لا يسـكن إلا بحبه و أنسه،و قلب:أغلب أحواله الأنس باللّه و التلذذ بمعرفته و الفكر فيه،و لكن فى بعض الأوقات و الأحوال يعتريه الرجوع إلى أوصاف البشـريه.و قلب:أغلب أحواله التلذذ بالجاه و الرئاسه و المال و سائر الشـهوات البدنيه،و فى بعض الأوقات يتلذذ بالعلم و المعرفه و حب اللّه و الانس به.و قلب:لا يدرى ما لذه المعرفه و مـا معنى الأـنس بـاللّه،و انمـا لـذته بالرئاسـات و الشـهوات. و الأـول-إن كان ممكنا فى الوجود فهو فى غايه النـدور.و الثانى-أيضا نادر.و السر فى نـدور هـذين القسـمين:ان من انحصـرت لـذاته بمعرفه اللّه و حبه و انسه،أو غلب عليه ذلك،فهو من ملوك الآخره،و الملوك هم الأقلون و لا يكثرون.

فكمـا لاـ يكون الفـائق فى الملـك و الاستيلاء فى الـدنيا الاـ نـادرا،و أكثر النـاس دونهم،فكـذا فى ملك الآخره فان الـدنيا مرآه الآخره.إذ الدنيا عالم

الشهاده و فی الآخره عالم الغیب،و عالم الشهاده تابع لعالم الغیب،کما أن الصوره فی المرآه تابعه لصوره الناظر فی المرآه،و هی و إن کانت الثانیه فی رتبه الوجود،إلا انها فی أمر الرؤیه أولی،لأنک تری صورتک فی المرآه أولا،ثم تری نفسک،فتعرف بالصوره القائمه بالمرآه صورتک التی هی قائمه بک ثانیا علی سبیل المحاکاه،فانقلب التابع فی الوجود متبوعا فی حق الرؤیه و المعرفه،و انقلب المتأخر متقدما.و هذا النوع من الانعکاس و الانتکاس ضروره هذا العالم.و کذا عالم الملک و الشهاده یحاکی عالم الغیب و الملکوت،فمن الناس من لا ینظر فی مرآه عالم الشهاده إلا بنظر الاعتبار، فلا ینظر فی شیء من عالم الملک إلا و یعبر به إلی عالم الملکوت،فیسمی عبوره عبره،و قد امر الخلق به،فقیل:

فَاعْتَبِرُوا یا أُولِی الْأَبْصارِ

(۱)

و منهم من عمیت بصیرته،فلم یعتبر،فاحتبس فی عالم الملک و الشهاده، و ستفتح إلی حبسه له أبواب جهنم.و أما الثالث-فاکثر وجودا منه.

و أما الرابع-فدار الدنیا طافحه به،لقصور أکثر الناس عن ادراک لذه العلم،إما لعدم الذوق،إذ من لم یذق لم یعرف و لم یشتق،إذ الشوق فرع الذوق،و ذلک إما لقصور فطرتهم و عدم اتصافهم بعد بالصفه التی بها یستلذ العلم،کالطفل الرضیع الذی لا یدرک لذه العسل،و لا یستلذ إلا باللبن،فهؤلاء ممن یحیی باطنهم بعد کالطفل.و إما لمرض قلوبهم او موتها بسبب اتباع الشهوات،کالمریض الذی لا یدرک لذه الشکر،أو المیت الذی سقط عنه الإدراک،و هؤلاء کالمرضی او الأموات بسبب اتباع الشهوات.

القسم الثانی-الفضائل البدنیه:

و هی أربعه:الصحه،و القوه، و طول العمر،و الجمال.

۱- ۱) الحشر،الآیه:۲.

الثالث-النعم الخارجه المضيفه بالبدن:

و هی:المال،و الجاه، و الأهل،و کرم العشیره.

الرابع-الأسباب التی تناسب من وجه الفضائل النفسیه،و یعبر عنها بالنعم التوفیقیه:

اشاره

و هی:هدایه اللّه،و رشده،و تسدیده،و تأییده.و هذه الجمله مما یتوقف بعضها علی بعض،الی ان ینتهی إلی السعاده التی هی مطلوبه لذاتها.و التوقف إما علی سبیل اللزوم و الضروره،کتوقف سعاده الآخره علی الفضائل النفسیه و البدنیه،و توقف الفضائل النفسیه علی صحه البدن،او علی سبیل النفع و الإعانه،کتوقف الفضائل النفسیه و البدنیه علی النعم الخارجه.

و وجه کونها معینه نافعه فی تحصیل العلم و تهذیب الأخلاق و صحه البدن ظاهر.و اعانه الجمال فی کسب الفضائل النفسیه و البدنیه مبنی علی أن القبیح مذموم،و الطباع عنه نافره،فحاجات الجمیل إلی الإجابه أقرب،و جاهه فی الصدور أوسع.و أیضا الغالب دلاله الجمال علی فضیله النفس،لان نور النفس إذا تم اشراقه تأدی إلی البدن.و لذلک عول أصحاب الفراسه فی معرفه مکارم النفس علی هیئات البدن.ثم انا لا نعنی بالجمال ما یحرک الشهوه،فان ذلک انوثه،بل نعنی به البراءه عن العیوب و النقص و الزیاده،و ارتفاع القامه علی الاستقامه،مع الاعتدال فی اللحم،و تناسب الأعضاء،و تناسب خلقه الوجه،بحیث لا تنبو الطباع عن النظر إلیه.و اما احتیاج الفضائل الخلقیه و الجسمیه الخارجیه إلی النعم التوفیقیه،فلأن المراد بالتوفیقیه هو التآلف بین إراده العبد و بین قضاء اللّه و قدره،بشرط کون المراد و المقضی سعاده.و بعباره أخری:هو توجیه الأسباب نحو المطلوب.

و أما الهدایه،فلها مراتب: اولاها:الهدایه العامه،و هی إراده طریق الخیر و تعریفه. و ثانیتها:الخاصه،و هی الافاضات المتتالیه الوارده من

اللّه على بعض عبيده،نظرا إلى مجاهدتهم. و ثالثتها:الهدايه المطلقه،و هى النور الذى يشرق فى عالم النبوه و الولايه،فيهتدى بهما إلى ما لا يهتدى إليه بالعقل.و توقف تحصيل كل خير و فضيله،كائنا ما كان،على مساعده القضاء و القدر،و على العلم بطريق الخير،ظاهر.

و اما الرشد،فالمراد به العنايه الآلهيه،التى تعين الإنسان عند توجهه الى مقاصده،فيقويه على ما فيه صلاحه،و يفتره عما فيه فساده،و يكون ذلك من الباطن.و بعباره أخرى:هو هدايه باعثه إلى وجهه السعاده محركه اليها.و قد ظهر احتياج تحصيل الخير و السعاده إليه من مفهومه.

و اما التسديد،فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب و تيسرها عليه، ليصل إليه فى أسرع وقت.فالهدايه محض التعريف،و الرشد هو تنبيه الداعيه لتستيقظ و تتحرك،و التسديد اعانه و نصره بتحريك الأعضاء إلى صوب الصواب و السداد.و قد ظهر وجه كون التسديد معينا فى طلب الخير أيضا من حاق معناه.

و اما التأييد،فانه جامع للكل،اذ هو عباره عن تقويه امره بالبصيره،فكأنه من داخل،و بقوه البطش و مساعده الأسباب من خارج.

و تقرب منه العصمه،و هى عباره عن وجود الهى يسنح فى الباطن،يقوى به الإنسان على تحرى الخير و تجنب الشر،حتى يصير كمانع باطنى غير محسوس يمنع عن الشر،و هو المراد من برهان الرب فى قوله-تعالى-:

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأىٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ

(۱)

.

۱- ۱) يوسف،الآيه:۲۴.

تنبیه

اشاره

اعلم ان النعم الأخرویه،التی هی الغایات المطلوبه لذواتها،و تفصیلها و أسبابها و ما یتوقف وجودها علیه،الی ان ینتهی إلی مسبب الأسباب، مما لا یمکن درکها،و العقول البشریه قاصره عن درک قلیلها فضلا عن کثیرها.

و اما الوسائل الأربعه من النعم التی انقسم کل منها أیضا إلی أربعه اقسام،و صار مجموعها سته عشر قسما،فیستدعی کل قسم من السته عشر اسبابا،و تلک الأسباب اسبابا،حتی تنتهی بالآخره إلی مسبب الأسباب و موجد الکل.و المتفکر یعلم،ان کلا منها یتوقف علی نعم و أسباب أخری متسلسله خارجه عن حد الإحصاء.فان نعمه الصحه التی من النعم الواقعه فی المرتبه المتأخره تتوقف علی أسباب و نعم من جملتها نعمه الأکل،فان احصاءها و ان لم یکن ممکنا،الا انا نشیر إلی بعضها علی سبیل التلویح دون الاستقصاء، لتقاس علیها البواقی.فنقول:

نعمه الأکل تتوقف علی ادراک الغذاء و أسبابه،و علی شهوه الطعام و میله و إرادته و أسبابه،و علی القدره إلی تحصیله و أسبابه،و علی وجود أصل الغذاء المأکول و تکونه،و علی إصلاحه بعد وجوده و تکونه،و علی الأسباب الموصله له إلی کل انسان لو کان بعیدا عنه،و علی أسباب الطحن و الجذب و الهضم و الدفع و سائر الافعال الباطنه إلی ان یصیر جزء للبدن، و علی الملائکه الموکلین علی فعل من الافعال المذکوره.فها هی نذکرها إجمالا و تلویحا فی فصول:

فصل (الأكل)

الأكل يتوقف أولا على ادراك الغذاء المأكول رؤيه و لمسا و استشماما و ذوقا،اذ ما لم يبصره لم يمكنه تمييزه و طلبه،و ما لم يلامسه لم يتمكن من دركك بعض اوصافه اللازمه فى الأكل،و ما لم يشمه لم يتشخص ما يكره رائحته عما تطيب رائحته،و ربما توقف تحصيله على استشمام رائحته من بعد، لا سيما لبعض الحيوانات،و ما لم يذقه لم يدرك انه موافق او مخالف له، و بذلك ظهر توقفه على خلق الحواس المدركه الظاهره،فخلقها اللّه-سبحانه-.

ثم،الأسباب التى يتوقف عليها خلق هذه الحواس مما لا تتناهى،فلا نتعرض لبيانها.و بعد ادراك الغذاء-على ما ذكر-لا بد له من قوه أخرى يعرف بها كون الغذاء الذى ذاقه سابقا و رآه مره أخرى موافقا او مخالفا، و هذه القوه هى الحس المشترك الذى يتأدى إليه جميع المحسوسات و يجتمع فيه،فانك إذا اكلت شيئا اصفر-مثلا-فوجدته مرا مخالفا لك فتركته، فإذا رأيته مره أخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه،لو لا الحس المشترك.

اذ العين تبصر الصفره و لا تدرك المراره،و الذوق يدرك المراره و لا يدرك الصفره،فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفره و المراره جميعا،حتى إذا أدرك الصفره حكم بأنه مر،فيمتنع عن تناوله ثانيا.و هذه القوه-اعنى الحس المشترك-يتوقف خلقه على أسباب و نعم لا يمكن احصاؤها،فلتذرها على سنابلها.

ثم الإدراك بالحواس الظاهره و الحس المشترك،مما تشترك فيه سائر الحيوانات،و لو انحصر ادراك الإنسان أيضا به لكان ناقصا.اذ البهيمه

ص: ۲۵۵

تأكل ما تستلذ به فى الحال و يضرها فى ثانى الحال،فتمرض و تموت،اذ ليس لها الا الإحساس بالحاضر،و اما ادراك العواقب فليس لها إليه سبيل.

فيتوقف تمييز صلاح العواقب و فسادها على قوه أخرى.فخلق اللّه للانسان العقل،به يدرك مضره الأطعمه و منفعتها فى المآل،و به يدرك كيفيه طبخ الأطعمه و تركيبها و اعداد أسبابها،فينتفع بعقله فى الأكل الذى هو سبب صحته،و هو اخس فوائد العقل و أقل الحكم فيه،اذ الحكم و الفوائد المترتبه عليه أكثر من ان تحصى،و أعظم الحكم فيه معرفه اللّه و معرفه صفاته و افعاله.و العقل بمنزله السلطان فى مملكه البدن،و الحواس الخمس كالجواسيس و أصحاب الاخبار و الموكلين بنواحى المملكه،و قد وكل كل واحد منها بامر خاص.فواحده بأخبار الالوان،و أخرى بأخبار الأصوات،و أخرى بأخبار الروائح،و أخرى بأخبار الطعوم،و أخرى بأخبار الحر و البرد و الخشونه و الملاسه و اللين و الصلابه.فهذه الجواسيس يقتنصون الاخبار من أقطار المملكه،و يسلمونها إلى الحس المشترك،و هو قاعد فى مقدمه الدماغ، مثل صاحب الكتب و القصص على باب الملك،يجمع القصص و الكتب الوارده من نواحى العالم،و يأخذها و يسلمها إلى العقل الذى هو السلطان مختومه،اذ ليس له الا أخذها و حفظها،و اما معرفه حقائق ما فيها فليس اليه.و لكن إذا صادف القلب العاقل الذى هو الأمير و الملك،سلم،لانها آتيه إليه مختومه،فيفتشها الملك و يطلع على أسرار المملكه،و يحكم فيها بأحكام عجيبه لا يمكن استقصاؤها.و بحسب ما يلوح له من الاحكام و المصالح يحول الجنود-اعنى الأعضاء-فى الطلب او الهرب او إتمام التدبيرات التى تعن له.ثم عجائب حكم العقل و الأسباب التى يتوقف خلقه عليها ليس دركها فى مقدره البشر،و هذه ما يتوقف عليه الأكل من الادراكات و أسبابها.

فصل (لا فائده فی الغذاء ما لم یکن بشهوه و میل)

اذا أدرک الغذاء،لم یفد فائده ما لم تکن شهوه له و میل و شوق إلیه.اذ لو لا-المیل إلیه لکان ادراکه بأی حس و قوه فرضا معطلا.ألا-تری أن المریض یری الطعام و یدرک انه انفع الأشیاء له،و قد سقطت شهوته،فلا یتناوله،فیبقی البصر و الإدراک معطلا فی حقه؟فیتوقف الأکل علی میل الی الموافق،و یسمی شهوه،و نفره عن المخالف،و یسمی کراهه.فخلق اللّه شهوه الطعام و سلطها علی الإنسان کالمتقاضی الذی یضطره إلی التناول، و هذه الشهوه لو لم تسکن بعد أخذ قدر الحاجه لأسرفت و أهلکت نفسه، فخلق اللّه الکراهه عند الشبع لترک الأکل بها،و لم یجعلها کالزرع الذی لا یزال یجتذب الماء إذا انصب فی اسفله حتی یفسد،و لذلک یحتاج إلی آدمی یقدّر غذاءه بقدر الحاجه،فیسقیه مره و یقطع عنه الماء أخری، ثم مجرد المیل و الشهوه لا یکفی،ما لم تنبعث الداعیه إلی تناول الغذاء.فخلق اللّه-تعالی-له الاراده-أعنی انبعاث النفس إلی تناوله.و ربما حصل الاحتیاج إلی قوه الغضب-أیضا-لیدفع عن نفسه المؤذی و ما یضاده و یخالفه،و من أراد ان یأخذ منه ما حصله من الغذاء.ثم لکل واحد من الشهوه،و الکراهه،و الاراده،و الغضب،أسباب لا یمکن احصاؤها، ثم بعد ادراک الغذاء و میله و شهوته و إرادته،لا یفید شیئا من ذلک ما لم یتحقق الطلب و الأخذ بالفعل بآلاتهما.فکم من زمن شائق إلی شیء بعید منه مدرک له مائل إلیه مرید له،لا یمکنه أن یمشی إلیه لفقد رجله،او لا یمکنه أن یتناوله لفقد یده او لفلج أو عذر فیهما.فلا بد من آلات للحرکه،و قدره فی تلک الآلات علی الحرکه،لتکون حرکتها بمقتضی الشهوه طلبا.فلذلک

خلق اللّه-تعالی-لک الأعضاء التی تنظر إلی ظاهرها و لا تعرف أسرارها.

فمنها ما هو آله للطلب،کالرجل للانسان،و الجناح للطیر،و القوائم للدواب.و منها ما هو آله لدفع المؤذی و المانع من طلب الغذاء،کالقرن لبعض الحیوانات،و الانیاب لبعض أخر منها،و المخلب لبعض آخر منها، و الاسلحه للانسان القائمه مقام هذه الآله.و منها ما هو آله للأخذ و التناول کالیدین للانسان.ثم لهذه الأعضاء أسباب و حکم خارجه عن الحد و الحصر و قد تقدم قلیل من حکمها و عجائبها فی باب التفکر.

فصل (عجائب المأکولات)

عمده ما یتوقف علیه الأکل و أصله و مناطه،هی الاغذیه و الأطعمه المأکوله،و للّه-تعالی-فی خلقها عجائب کثیره لا تحصی،و أسباب متوالیه لا تتناهی.و الاغذیه و الادویه من الأطعمه لم یبلغ عددها من الکثره حدا یمکن احصاؤها و حصرها،فضلا عن بیان عجائبها و أسبابها،فنحن نترک الجمیع،و تأخذ من جملتها حبه من الحنطه،و نبین بعض أسبابها و حکمها و عجائبها.فنقول:

قد خلق اللّه فی حبه الحنطه من القوی ما یغتذی به کما خلق فیک.فان النبات انما یفارقک فی الحس و الحرکه دون الاغتذاء،لانه یغتذی بالماء.

و لا نتعرض لذکر آلات النبات فی اجتذاب الغذاء إلی نفسه،بل نشیر إلی لمعه من کیفیه اغتذاء الحبه.فنقول:

ان الحبه لا تغتذی بکل شیء،بل یتوقف اغتذاؤها علی ارض فیها ماء.

و لا بد ان تکون ارضها رخوه متخلخله یتغلغل الهواء إلیها،فلو ترکتها فی ارض ندیه صلبه متراکمه لم تنبت لفقد الهواء.ثم الهواء لا یتسرب إلیها

بنفسه،فلا بد من حصول أسباب الريح حتی تحرک الهواء و تضربه و ینفذ فیها بقهر و عنف،و إلیه الإشاره بقوله-تعالی-:

وَ أَرْسَلْنَا الرِّیَاحَ لَوَاقِحَ

(۱)

.

و القاحها انما هو ایقاعها الازدواج بین الهواء و الماء و الأرض.ثم لا یکفی ذلک فی انباته فی برد مفرط،فیحتاج إلی حراره الصیف و الربیع.

فهذه أربعه أسباب،فان الماء لا بد ان ینساق إلی ارض الزراعه من البحار و الشطوط و الانهار و العیون و السواقی،فانظر کیف خلق اللّه جمیع ذلک.

ثم الأرض ربما تکون مرتفعه لا ترتفع إلیها میاه العیون و القنوات،فخلق اللّه الغیوم،و هی سحب ثقال حاملات للماء،و سلط علیها الریاح لتسوقها باذنه إلی أقطار العالم من المرتفعات و المنخفضات،و ترسلها مدرارا علی الاراضی فی وقت الربیع و الخریف علی حسب الحاجه،ثم خلق الجبال حافظه للمیاه تنفجر منها العیون تدریجا علی قدر الحاجه،و لو خرجت دفعه لغرقت البلاد،و هلک الزرع و المواشی.و نعم اللّه-تعالی-و عجائب صنعه و حکمته فی السحاب و البحار و الجبال و الامطار لا یمکن احصاؤها و اما الحراره،فانها لا یمکن أن تحصل فی الماء و الأرض،لکونهما باردین.

فخلق اللّه الشمس،و سخرها،و جعلها-مع بعدها عن الأرض- مسخنه لها فی وقت دون وقت،لیحصل الحر عند الحاجه إلیه،و البرد عند الافتقار إلیه،و هذه اخس حکم الشمس،و الحکم فیها أکثر من ان تحصی. ثم النبات ان ارتفع علی الأرض کان فی الفواکه انعقاد و صلابه، فتفتقر إلی رطوبه تنضجها،فخلق اللّه القمر،و جعل من خاصیته الترطیب، کما یظهر لک ذلک إذا کشفت رأسک له فی اللیل،فانه تغلب علی رأسک

۱- ۱) الحجر،الآیه:۲۲.

الرطوبه المعبر عنها:(الزكام)،فهو بترطيه ينضج الفواكه و يرطبها، و يصبغها بتقدير الخالق الحكيم،و هذا أيضا أخس فوائد القمر و حكمه، و ما فيه من الحكم و الفوائد لا مطمع فى استقصائه،بل كل كوكب فى السماء فقد سخر لفوائد كثيره لا تفى القوى الشريه باحصائها.و كما أنه ليس فى اعضاء البدن عضو لا فائده فيه،فكذلك ليس عضو من اعضاء بدن العالم لا تكون فيه فائده أو فوائد كثيره.و العالم كله كشخص واحد،و آحاد أجسامه كالأعضاء له،و هى متفاوته تفاوت اعضاء البدن،و شرح ذلك ليس فى مقدره البشر،و كلها مسخرات للّه-سبحانه-،و آثار من قدرته الكامله، و رشحات من أبحر عظمته الباهره،و ليست فى انفسها إلا اعدام صرفه.

فأرباب القلوب العارفون باللّه المحبون له،إذا نظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض،و الآفاق و الأنفس،و الحيوانات و النباتات،لا ينظرون إليها إلا من حيث إنها آثار قدره ربهم،و رشحات صفاته،و يكون تفكرهم و سعيهم فى العثور على عجائبها و حكمها،و ابتهاجهم و شغفهم لأجل ذلك.كما أن من أحب عالما لم يزل مشغوفا بطلب تصانيفه،فيزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له.فكذلك الامر فى عجائب صنع اللّه،فان العالم كله من تصنيفه-تعالى-،بل جميع المصنفين أيضا من تصنيفه الذى صنفه بواسطه قلوب عباده،فان تعجبت من تصنيف،فلا تتعجب من المصنف، بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما انعم عليه من هدايته و تسديده و تعريفه.

كما إذا رأيت لعب المشعوذ (1)يترقص و يتحرك حركات موزونه متناسبه، فلا تتعجب من اللعب،فانها خرق محركه لا متحركه،و لكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقه عن الابصار.و قد ظهر أن غذاء النبات

١- ١) المشعوذ:الرجل الحيال،الذى يصنع الشعبذه.

لا ـ يتم الا ـ بالماء و الهواء و الشمس و القمر و الكواكب،و لا يتم ذلك إلا بالافلاک التى هى مركوزه فيها،و لا تتم الأفلاک إلا بحركاتها،و لا تتم حركاتها إلا بملائكه سماويه يحركونها،و كذلک تتسلسل الأسباب إلى أن تنتهى إلى مسبب الأسباب و غايه الكل،و ليس لنا سبيل إلى ادراک تفاصيلها و استنباط عجائب حكمها و دقائق مصالحها.

فصل (حاجه تحضير الطعام إلى آلاف الأسباب)

ثم ما ينبت من الأرض من النبات،و ما يحصل من الحيوانات،لا يمكن أن تقضم و تؤكل كذلک،بل لا بد فى كل واحد من إصلاح و طبخ و تركيب و تنظيف،بإلقاء البعض و إبقاء البعض،إلى غير ذلک من الأعمال التى لا تحصى،و كل من الأطعمه يتوقف إصلاحها على أمور خاصه كثيره، و استقصاء ذلک فى كل طعام طويل.فلنأخذ رغيفا واحدا،و ننظر إلى بعض ما يحتاج إليه حتى يستدير و يصلح للأكل،اذ بيان جميع ما يحتاج إليه حتى يستدير الرغيف الواحد ليس ممكنا،فنقول:

أول ما يتوقف عليه هذا الرغيف الأرض،ثم إلقاء البذر فيها،ثم الثور الذى يثير الأرض مع آلاته،كالفدان و غير ذلک،ثم تنقيه الأرض من الحشائش،و التعهد بسقى الماء إلى أن يعقد الحب و يبدو صلاحه،ثم الحصاد،ثم الفرک،ثم التنقيه و التصفيه،ثم الطحن،ثم العجن،ثم الخبز.

فتأمل عدد هذه الافعال،و استحضر سائر الافعال التى لم نذكرها،ثم تذكر عدد الأشخاص القائمين بها،و عدد الآلات التى يحتاج إليها من الحديد و الخشب و الحجر و غيرها.و انظر إلى اعمال الصناع فى إصلاح آلات الحراثه و التصفيه و الطحن و الخبز من نجاره و حداده و غيرهما،و احتياج

کل منها إلی آلات کثیره.ثم انظر کیف ألف اللّه-سبحانه-بین قلوب هؤلاء الصناع المصلحین،و سلط علیهم الانس و المحبه،حتی ائتلفوا و اجتمعوا و بنوا المدن و البلاد،و رتبوا المساکن و الدور متجاوره متقاربه،و بنوا الأسواق و الخانات و سائر أصناف البقاع،و لو تفرقت آراؤهم،و تنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش،لتبددوا و تباعدوا،و لم ینتفع بعضهم ببعض، ثم لما کان فی جبله الإنسان الغیظ و العداوه،و الحسد و المنافسه، و الانحراف عن الحق،و ربما زالت المحبه بین البعض لاعراض،فیزدحمون علیها،و یتنافسون فیها،و ربما أدی إلی التنافر و التقابل.فبعث اللّه الأنبیاء بالشرائع و القوانین لیرجعوا إلیها عند التنازع،فیرتفع نزاعهم.

ثم بعث العلماء الذین هم ورثه الأنبیاء لحفظ هذه الشرائع و العلم بها.و بعث اللّه السلاطین حتی یقیموا الناس قهرا علیها لو أرادوا التخلف عنها،فسلط اللّه السلاطین أولی القوه و العده علی الناس،و ألقی رعبهم فی قلوبهم، و الهمهم إصلاح العباد،بأن رتبوا الرؤساء و القضاه و الحکام و السجن و الأسواق،و اضطروا الخلق إلی قانون الشرع و العدل،و ألزموهم التآلف و التعاون،و منعوهم عن التفرق و التباغض.فاصلاح الرعایا و الصناع بالسلاطین،و إصلاح السلاطین بالعلماء،و إصلاح العلماء بالانبیاء، و إصلاح الأنبیاء بالملائکه،و إصلاح الملائکه بعضهم ببعض،الی ان ینتهی إلی حضره الربوبیه،التی هی ینبوع کل نظام،و مطلع کل حسن و جمال،و منشأ کل ترتیب و تألیف.و قد ظهر مما ذکر:أن من فتش یعلم:ان رغیفا واحدا لا یستدیر بحیث یصلح للاکل ما لم یعمل علیه آلاف الوف من الملائکه و صناع الانس.

فصل (تسخير اللّه التجار لجلب الطعام)

ثم جميع الأطعمه لما لم يمكن أن يوجد فى كل مكان و بلد،إذ لكل واحد شروط مخصوصه لأجلها،لا يمكن إلا أن يوجد فى بعض الأماكن دون بعض،و الناس منتشرون على وجه الأرض،و قد يبعد عنهم بعض ما يحتاجون إليه من الأطعمه،بحيث تحول بينهم و بينها البرارى و البحار، فسخر اللّه-تعالى-التجار،و سلط عليهم حرص المال و شره الربح،حتى يقاسوا الشدائد،و يركبوا الأخطار فى قطع المفاوز و ركوب البحار، فيحملون الأطعمه و أنواع الحوائج من الشرق إلى الغرب،و من الغرب إلى الشرق.فانظر كيف علمهم اللّه صناعه السفن و كيفيه الركوب فيها،و كيف خلق الحيوانات و سخرها للحمل و الركوب فى البوادى و الجبال،من الجمال و كيفيه قطعها البرارى و المراحل تحت الأعباء الثقيله و صبرها على الجوع و العطش،و من الخيل و كيفيه سرعه سيرها و حركاتها،و من الحمار و صبره على التعب،و انظر كيف خلق اللّه ما يحتاج إليه السفن و هذه الحيوانات من الأسباب و الغذاء،و ينتهى إلى حد لا يمكن تحديده.

فصل (نعم اللّه فى خلق الملائكه للانسان)

ثم مجرد وجود الغذاء و حضوره و إصلاحه لا يفيد فائده ما لم يؤكل و يصير جزء للبدن.و هذا موقوف على اعمال كثيره،محتاجه إلى أسباب كثيره،من الطحن،و الجذب،و الهضم المعدى و الكبدى،و غير ذلك من الأفعال التى يحتاج كل منها إلى أسباب كثيره.و قد أشرنا إلى لمعه من

ص :۲۶۳

کیفیه ذلک فی باب التفکر،فارجع إلیه.و هنا نشیر إلی أنموذج من نعمه اللّه فی خلق الملائکه.فنقول:

إن کثره الملائکه لم تبلغ حدا یمکن تصوره تفصیلا أو إجمالا،و لهم طبقات و أصناف:منها:طبقات الملائکه الأرضیه.و منها:الملائکه السماویه.و منها:حمله العرش العظیم.و منها:المسلسلون.و منها:

المهیمنون...و غیر ذلک مما لم نسمع اسمهم و رسمهم،و لا یحیط بهم إلا اللّه -سبحانه-.فکل صنع من صنائع اللّه فی الأرض و السماء لا یخلو عن ملک أو ملائکه موکلین به.فانظر کیف و کلهم اللّه بک فیما یرجع إلی الأکل و الاغتذاء الذی کلامنا فیه،دون ما یجاوز،و ذلک من صنائع اللّه و افعاله، و من الوحی إلی الأنبیاء و الهدایه و الإرشاد و غیرها،فان استقصاء ذلک لیس من مقدورات البشر.فنقول:إن کل جزء من اجزاء بدنک،بل من اجزاء النبات،لا یغتذی إلا بأن یوکل به سبعه من الملائکه،هم أقل الأعداد،الی عشره إلی مائه،الی أکثر من ذلک بمراتب.

بیان ذلک:ان معنی الاغتذاء:أن یقوم جزء من الغذاء مقام جزء تلف من بدنک.و هذا موقوف علی حرکات و تغیرات و استحالات للغذاء، حتی یصیر جزء للبدن،کالجذب و الهضم و صیرورته لحما و عظما.و معلوم أن الغذاء و الدم و اللحم اجسام لیست لها قدره و معرفه و اختیار حتی تتحرک و تتغیر بانفسها.و مجرد الطبع لا یکفی فی ترددها فی اطوارها،کما أن البر بنفسه لا یصیر طحینا و عجینا و خبزا مطبوخا إلا بصناع،و الصناع فی الباطن هم الملائکه،کما أن الصناع فی الظاهر هم أهل البلد.فالغذاء،بعد وضعه فی الفم إلی أن یصیر دما،لا بد له من صناع من الملائکه،و لا نتعرض لهم و لبیان عددهم، و نقول:بعد صیرورته دما إلی أن یصیر جزء للبدن،یتوقف علی سبعه من

الملائکه،إذ لا بد من ملک یجذب الدم إلی جوار اللحم و العظم،إذ الدم لا یتحرک بنفسه،و لا بد من ملک آخر یمسک الغذاء فی جواره،و لا بد من ثالث یخلع عنه صوره الدم،و من رابع یکسوه صوره اللحم و العظم و العرق،و من خامس یدفع الفضل الزائد من الحاجه،و من سادس یلصق ما اکتسب صفه اللحم باللحم،و ما اکتسب صفه العظم بالعظم،و ما اکتسب صفه العرق بالعرق حتی لا یکون منفصلا،و لا بد من سابع یراعی المقادیر فی الالصاق،فیلحق بالمستدیر علی ما لا یبطل استدراته، و بالعریض علی ما لا یبطل عرضه،و بالمجوف علی ما لا یبطل تجویفه، و هکذا...و یراعی فی الالصاق لکل عضو ما یلیق به و یحتاج إلیه.فلو جمع لانف الصبی-ملا-من الغذاء ما یجمع علی فخذه،لکبر أنفه،و بطل تجویفه،و تشوهت صورته،بل ینبغی أن یسوق إلی الاجفان مع رقتها و إلی الافخاذ مع غلظهتا،و إلی الحدقه مع صفائها،و إلی العظم مع صلابته، ما یلیق بکل واحد منها من حیث القدر و الشکل،و یراعی العدل فی القسمه و التقسیط،و إلا بطلت الصوره،و تشوهت الخلقه،و رق بعض المواضع و ضعف البعض.فمراعاه هذه الهندسه مفوضه إلی ملک من الملائکه.و إیاک و أن تظن ان الدم بطبعه یهندس شکل نفسه،فان من احال هذه الأمور الی الطبع جاهل و لا یدری ما یقول،فان أراد من الطبع قوه عدیمه الشعور، و یقول:ان کل فعل من هذه الافعال موکول إلی قوه لا شعور لها،فنقول:

ذلک أدل علی عظمه اللّه و حکمته و قدرته،اذ لا ریب فی ان ما لا شعور له لیس فی نفسه أن یفعل فعلا ما،فضلا عن ان یفعل أفعالا متقنه محکمه، مشتمله علی الحکم الدقیقه و المصالح الجلیه و الخفیه.فتکون هذه شروطا ناقصه لایجاد اللّه-سبحانه-هذه الأفعال بلا واسطه،أو بواسطه عدد هذه

القوی من الملائکه.و علی أی تقدیر،لا بد من سبعه اشخاص من مخلوق اللّه-سبحانه-مسخرین فی باطنک،موکلین بهذه الافعال،قد شغلوا بک، و أنت فی النوم تستریح،و فی الغفله تتردد،و هم یصلحون الغذاء فی باطنک و لا خبر لک منهم،و کذلک فی کل جزء من اجزائک التی لا تتجزأ،حتی یفتقر بعض الأجزاء-کالعین و القلب-الی أکثر من مائه ملک.ثم الملائکه الأرضیه مددهم من الملائکه السماویه علی ترتیب معلوم،لا یحیط بکنهه الا اللّه،و مدد الملائکه السماویه من حمله العرش،و المنعم علی جمیعهم بالتأیید و التسدید و الهدایه المهیمن القدوس،المتفرد بالملک و الملکوت و العز و الجبروت.و من أراد ان یعلم-إجمالا-کثره الملائکه الموکلین بالسماوات و الأرضین،و أجزاء النبات و الحیوانات،و السحب و الهواء و البحار و الجبال و الامطار و غیر ذلک،فلیرجع فی ذلک إلی الاخبار الوارده من الحجج-علیهم السلام-. ثم لا بد أن یفوض کل فعل من الافعال السبعه المذکوره إلی ملک من الملائکه،و یکون الموکل به ملکا واحدا علی حده،و لا یمکن أن یفوض جمیعها إلی ملک واحد،کما لا یمکن أن یتولی انسان واحد سبعه أعمال فی الحنطه،کالطحن و تمییز النخاله،و دفع الفضله عنه،و صب الماء علیه،و العجن،و قطعها کسرات مدوره،و ترقیقها رغفانا عریضه،و الصاقها بالتنور.اذ الملک وحدانی الصفه،لیس فیه خلط و ترکیب من المتضادات.فلا یکون لکل واحد منهم الا فعل واحد،کما أشیر إلیه بقوله-تعالی-:

وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ

(۱)

.

ص:۲۶۶

۱- ۱) الصافات،الآیه:۱۶۴.

و لـذلک،لیس بینهم تحاسـد و تنافس.و مثالهم فی تعیین مرتبه کل واحـد منهم و عدم مزاحمه الآخر له مثال الحواس الخمس،و لیس کالانسان الذی یتولی بنفسه أمورا مختلفه،و سبب ذلک اختلاف صـفاته و دواعیه،فانه لما لم یکن وحدانی الصفه لم یکن وحـدانی الفعل،و لـذلک تری أنه یطیع اللّه تاره و یعصیه أخری.و ذلک غیر موجود فی الملائکه،فانهم مجبولون علی الطاعه لم تتصور فی حقهم معصیه،و لکل منهم طاعه خاصه معینه.

فالراکع منهم راکع أبـدا،و الساجـد منهم ساجـد دائما،و القائم منهم قائم أبدا،لا اختلاف فی افعالهم و لا فتور،و لکل واحد منهم مقام معلوم.

و إذ قـد ظهر لک عدد ما یحتاج إلیه بعض افعال مجرد الاغتذاء من الملائکه الارضـیه المسـتمدین من الملائکه السـماویه،فقس علیه سائر افعال الاغتذاء، و سائر افعالک الباطنه و الظاهره،فان بیان ذلک لیس ممکنا.ثم قس علی ذلک إجمالا جمله صـنائع اللّه و افعـاله الـواقعه فی عـالمی الجبروت و الملکوت،و عـالم الملـک و الشـهاده،فسـماواته و ارضه و مـا بینهمـا و مـا تحتهمـا و ما فوقهما،فان اعداد الملائکه و الموکلین بها غیر متناهیه،کیف و مجامع طبقات الملائکه و انواعهم خارجه عن الإحصاء،فضـلا عن الآحاد الداخله تحت الطبقات؟ و قد ظهر مما عرفت من توقف کل نعمه علی نعم کثیره متسلسـله،الی أن ینتهی إلی اللّه،و اتصال البعض بـالبعض و وقوع الارتبـاط و الترتب بینهمـا:أن من کفر نعمه اللّه فقـد کفر کل نعمه فی الوجود،فمن نظر إلی غیر محرم-مثلا-فقـد کفر،ففتح العین نعمه اللّه فی الأجفان،و لا تقوم الأجفان الا بالعین،و لا العین الا بالرأس،و لا الرأس إلا بجمیع البدن،و لا البدن الا بالغذاء،و لا غذاء الا بالماء و الأرض و الهواء و المطر و الغیم و الشـمس و القمر و سائر الکواکب،و لا یقوم شیء من ذلک الا

بالسماوات و لا السماوات إلا بالملائكه.فان الكل كالشيء الواحد،يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض.فاذن قد كفر كل نعمه فى الوجود،من ابتداء الثرى إلى منتهى الثريا.و حينئذ لا يبقى جماد و لا نبات و لا حيوان،و لا ماء و لا هواء،و لا كوكب و لا فلك و لا ملك،إلا يلعنه.

و لذلك ورد فى الأخبار:«ان البقعه التى يجتمع فيها الناس،إما تلعنهم إذا تفرقوا،أو تستغفر لهم».و كذلك ورد:«أن الملائكه يلعنون العصاه».

و ورد:«ان العالم يستغفر له كل شيء،حتى الحوت فى البحر».و أمثال هذه الأخبار الداله على ما يفيد المراد خارجه بطرفه عن الإحصاء،و كل ذلك إشاره إلى أن العاصى بتطريفه واحده يجنى على جميع الملك و الملكوت.

ثم جميع ما ذكرناه إنما يتعلق بجزء من المطعم،فاعتبر ما سواه.ثم تأمل هل يمكن أن يخرج أحد عن عهده الشكر؟كيف و للّه فى كل طرفه على كل عبد من عبيده نعم كثيره خارجه عن الإحصاء؟فان فى كل نفس ينبسط و ينقبض نعمتين،إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب،و لو لم يخرج لهلك،و بانقباضه يجتمع روح الهواء إلى القلب،و لو لم يدخل نسيم الهواء فيه لانقطع قلبه و هلك.و لما كان اليوم و الليله أربعا و عشرين ساعه،و فى كل ساعه يوجد الف نفس تخمينا،و إذا اعتبرت ذلك و قست عليه سائر النعم،يكون عليك فى كل يوم و ليله آلاف الوف نعمه فى كل جزء من اجزاء بدنك،بل فى كل جزء من اجزاء العالم،و كيف يمكن احصاء ذلك، و لذلك قال اللّه-تعالى-:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا

(۱)

و ورد:«ان من لم يعرف نعمه اللّه إلا فى مطعمه و مشربه،فقد قل

۱- ۱) إبراهيم،الآيه:۳۴.النحل،الآيه:۱۸.

علمه و حضر عذابه».فالبصير لا تقع عينه فى العالم على شىء،و لا يلم خاطره بموجود،إلا و يتحقق أن للّه فيه نعمه عليه.و لذلك قال موسى بن عمران:

«إلهى!كيف أشكرك و لك على فى كل شعره من جسدى نعمتان:أن لينت اصلها،و ان طمست رأسها».

فصل (الأسباب الصارفه للشكر)

اعلم أن السبب الصارف لأكثر الخلق عن الشكر،إما قصور معرفتهم بأن النعم كلها من اللّه-سبحانه-،أو قصور معرفتهم و أحاطتهم بصنوف النعم و آحادها،او جهلهم بحقيقه الشكر و كونه استعمال النعمه فى إتمام الحكمه التى أريدت بها و ظنهم ان حقيقه الشكر مجرد ان يقولوا بلسانهم:الحمد للّه،أو الشكر للّه،أو الغفله الناشئه عن غلبه الشهوه و استيلاء الشيطان، بحيث لا يتنبهون للقيام بالشكر،كما فى سائر الفضائل و الطاعات،او عدم احتسابهم للجهل ما يعم الخلق و يشملهم فى جميع الأحوال من النعم نعمه.

و لذلك لا يشكرون على جمله من النعم،لكونها عامه للخلق،مبذوله لهم فى جميع الحالات.فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا بها،فلا يعدها نعمه.و تأكد ذلك بألفهم و اعتيادهم بها،فلا يتصورون خلاف ذلك، و يظنون ان كل انسان يلزم ان يكون على هذه الأحوال.فلذلك تراهم لا يشكرون اللّه على روح الهواء،و وفور الماء،و صحه البصر و السمع، و أمثال ذلك.و لو أخذ يمحقهم،حتى انقطع عنهم الهواء،و حبسوا فى بيت حمام فيه هواء حار،او بئر فيها هواء تقبل رطوبه الماء،ماتوا.فان ابتلى واحد بشىء من ذلك،ثم نجى منه،ربما قدر ذلك نعمه و شكر اللّه

علیه.و کذا البصیر،اذا عمیت عینه،ثم اعید علیه بصره،عده نعمه و شکره،و لو لم یبتل بالعمی و کان بصیرا دائما کان غافلا عن الشکر.و هذا غایه الجهل،إذ شکرهم صار موقوفا علی ان تسلب منهم النعمه ثم ترد علیهم فی بعض الأحوال،مع ان النعمه فی جمیع الأحوال أولی بالشکر.فلما کانت رحمه اللّه واسعه قد عمت الخلق فی جمیع أحوالهم لم یعدها الجاهلون نعمه.و مثلهم کمثل العبد السوء الذی لو لم یضرب بطرو ترک الشکر،و إذا ضرب فی غالب الأحوال ترک ساعه شکر المولی علی ذلک. و من تأمل یعلم ان نعمه اللّه علیه فی شربه ماء عند عطشه أعظم من ملک الأرض کلها.کما نقل:«أن بعض العلماء دخل علی بعض الخلفاء،و فی یده کوز ماء یشربه، فقال له:عظنی.فقال:لو لم تعط هذه الشربه إلا ببذل أموالک و ملکک کله،و لو لم تعطه بقیت عطشانا،فهل تعطیه؟قال:نعم!قال:فکیف تفرح بملک لا یساوی شربه ماء؟!». هذا مع أن کل عبد لو أمعن النظر فی حاله،لرأی من اللّه نعمه أو نعما کثیره تخصه لا یشارکه فیها أحد،أو یشارکه یسیر من الناس،إما فی العقل،أو فی الخلق،أو فی الورع و التقوی، أو فی الدین،أو فی صورته و شخصه،أو أهله و ولده،أو مسکنه و بلده، أو رفقائه و أقاربه،أو عزه و جاهه،أو طول عمره و صحه جسمه،أو غیر ذلک من محابه.بل نقول:لو کان أحد لا یکون مخصوصا بشیء من ذلک، فلا ریب فی أنه یعتقد فی نفسه اختصاصه و مزیته فی بعض هذه علی سائر الخلق.فان أکثر الناس یعتقدون کونهم اعقل الناس،أو أحسن أخلاقا منهم،مع أن الامر لیس کذلک.و لذلک لا یشکون من نقصان العقل کما یشکون من قله المال،و لا یسألون اللّه أن یعطیهم العقل کما یسألون منه زیاده المال،و یری من غیره عیوبا یکرهها و اخلاقا یذمها،و لا یری ذلک من نفسه.

و بالجمله:کل أحد یقدر فی نفسه من المحاب و صفه الکمال ما لا یراه فی غیره،و إن لم یکن مطابقا للواقع.و لذلک لو خیر بأن یسلب منه ماله و یعطی ما خصص به غیره،لکان لا یرضی به.بل التأمل یعطی:أن کل واحد من أکثر الناس لا یرضی أن یکون فی جمیع الصفات و الافعال و الدین و الدنیا مثل شخص آخر من الناس کائنا من کان،بل لو و کل إلیه الاختیار،و قیل له:أنت مخیر فی صیرورتک مثل من شئت و أردت من أفراد الناس،لم یخیر إلا نفسه.و إلی هذا أشار اللّه-سبحانه-بقوله:

کُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ

(۱)

و إذا کان الأمر هکذا،فانی له لا یشکر اللّه علی ذلک مع قطع النظر عن النعم العامه؟و لو لم یکن لشخص من نعم اللّه إلا الأمن و الصحه و القوه، لعظمت النعمه فی حقه و لم یخرج عن عهده الشکر.قال رسول اللّه (ص):«من أصبح آمنا فی سربه،معافی فی بدنه،و عنده قوت یومه، فکأنما خیرت له الدنیا بحذافیرها». و مهما فتشت الناس،لوجدتهم یشکون عن أمور وراء هذه الثلاث،مع أنها و بال علیهم.بل لو لم تکن للانسان نعمه سوی الایمان الذی به وصوله إلی النعیم المقیم و الملک العظیم، لکان جدیرا به أن یستعظم النعمه و یصرف فی الشکر عمره.بل ینبغی للعاقل ألا یفرح إلا بالمعرفه و الیقین و الایمان.و نحن نعلم من العلماء من لو سلم إلیه جمیع ما دخل تحت ملوک الأرض من الشرق إلی الغرب،من أموال و اتباع،و أنصار و بلدان و ممالک،بدلا عن عشر عشیر من علمه لم یأخذه، لرجائه أن نعمه العلم تفضی به إلی قرب اللّه-تعالی-فی الآخره.بل لو سلم الیه جمیع ذلک عوضا عن لذه العلم فی الدنیا،مع نیله فی الآخره إلی ما یرجوه،

۱- ۱) المؤمنین،الآیه:۵۴.الروم،الآیه:۳۲.

لم یأخذه و لم یرض به،لعلمه بأن لذه العلم دائمه لا تنقطع،و ثابته لا تسرق و لا تغصب،و صافیه لا کدوره فیها،بخلاف لذات الدنیا.

فصل (طریق تحصیل الشکر)

الطریق إلی تحصیل الشکر أمور:

الأول-المعرفه و التفکر فی صنائعه-تعالی-،و ضروب نعمه الظاهره و الباطنه و العامه و الخاصه.

الثانی-النظر إلی الادنی فی الدنیا و إلی الأعلی فی الدین.

الثالث-أن یحضر المقابر،و یتذکر أن أحب الأشیاء إلی الموتی و أهم سؤالهم و دعواهم من اللّه أن یردوا إلی الدنیا،و یتحملوا ضروب الریاضات و مشاق العبادات فی الدنیا،لیتخلصوا فی الآخره من العذاب، أو یزید ثوابهم و ترتفع درجاتهم.فلیقدر نفسه منهم مع إجابه دعوته و رده الی الدنیا،فلیصرف بقیه عمره فیما یشتهی أهل القبور العود لأجله.

الرابع-أن یتذکر بعض ما ورد علیه فی بعض أیام عمره من المصائب العظیمه و الأمراض الصعبه التی ظن هلاک نفسه بها،فلیتصور أنه هلک بها،و یغتنم الآن حیاته و ماله من النعم،فلیشکر اللّه علی ذلک،و لا یتألم و لا یحزن من بعض ما یرد علیه مما ینافی طبعه.

الخامس-أن یشکر فی کل مصیبه و بلیه من مصائب الدنیا من حیث إنه لم تصبه مصیبه أکبر منها،و إنه لم تصبه مصیبه فی الدین.و لذلک قال عیسی(ع)فی دعائه:«اللهم لا تجعل مصیبتی فی دینی!».و قال رجل لبعض العرفاء:«دخل اللص فی بیتی و أخذ متاعی»فقال له:«اشکر اللّه لو

کان الشیطان یدخل بدله فی قلبک و یفسد توحیدک،ما ذا کنت تصنع؟».

و من حیث إن کل مصیبه إنما هی عقوبه لذنب صدر منه،فإذا حلت به هذه العقوبه حصلت له النجاه من عقوبه الآخره،کما قال رسول اللّه(ص):

«إن العبد إذا أذنب ذنبا فاصابته شده أو بلاء فی الدنیا.فاللّه أکرم من ان یعذبه ثانیا».و قد ورد هذا المعنی بطرق متعدده من أئمتنا-علیهم السلام-أیضا، فلیشکر اللّه علی تعجیل عقوبته و عدم تأخیرها إلی الآخره.و من حیث إن هذه المصیبه کانت مکتوبه آتیه إلیه البته،فقد أتیت و فرغ منها. و من حیث إن ثوابها أکثر منها و خیر له،لما یأتی فی باب الصبر من عظم مثوبات الابتلاء بالمصائب فی الدنیا.و من حیث انها تنقص فی القلب حب الدنیا و الرکون إلیها،و تشوق إلی الآخره و إلی لقاء اللّه سبحانه.اذ لا ریب فی أن من أتاه النعم فی الدنیا علی وفق المراد،من غیر امتزاج ببلاء و مصیبه،یورث طمأنینه للقلب إلی الدنیا و أنسابها،حتی تصیر کالجنه فی حقه،فیعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته،و إذا کثرت علیه المصائب انزعج قلبه عن الدنیا و لم یأنس بها،و صارت الدنیا سجنا علیه،و کانت نجاته منها کالخلاص من السجن.

و لذلک قال رسول اللّه(ص):«الدنیا سجن المؤمن و جنه الکافر».فمحن الدنیا و مصائبها و ریاضاتها توجب انزعاج النفس عنها،و التفاتها إلی عالمها الأصلی، و تشوقها إلی الخروج عنها إلیه و رغبتها إلی لقاء اللّه و ما أعد فی الدار الآخره لأهلها.

فان قلت:غایه ما یتصور فی البلاء أن یصبر علیه،و أما الشکر علیه فغیر متصور،إذ الشکر إنما یستدعی نعمه و فرحا،و البلاء مصیبه و ألم، فکیف یشکر علیه؟و علی هذا ینبغی ألا یجتمع الصبر و الشکر علی شیء واحد، إذ الصبر یستدعی بلاء و ألما،و الشکر یستدعی نعمه و فرحا،فهما متضادان غیر مجتمعین،فکیف حکمتم باجتماعهما فی المصائب و البلایا الدنیویه؟

قلنا:کل واحد من النعمه و البلاء ینقسم إلی مطلق و مقید.فالنعمه المطلقه کسعاده الآخره و العلم و الایمان و الأخلاق الحسنه فی الدنیا،و النعمه المقیده فی الدنیا-ای ما هو نعمه و صلاح من وجه و بلاء و فساد من وجه- کالمال الذی یصلح الدین من وجه و یفسده من وجه.و البلاء المطلق، کشقاوه الآخره و الکفر و الجهل و الأخلاق السیئه و المعاصی فی الدنیا، و البلاء المقید،کمصائب الدنیا،من الفقر و الخوف و المرض و سائر اقسام المحن و المصائب،فانها و إن کانت بلاء فی الدنیا،و لکنها نعم فی الآخره.

و عند التحقیق لا تخلو عن تکفیر الخطیئه،او ریاضه النفس،او زیاده التجرد،او رفع الدرجه. فالنعمه المطلقه بإزائها الشکر المطلق،و لا معنی لاجتماع الصبر معه،و الصبر الذی یجتمع معه لا ینافیه،کما یأتی.و البلاء المطلق لم یؤمر بالصبر علیه،إذ لا معنی للصبر علی الکفر و المعصیه،بل یجب عدم الصبر علیه و السعی فی ترکه.و اما البلاء المقید،فهو الذی یجتمع فیه الصبر و الشکر،و لیس اجتماعهما من جهه واحده حتی یلزم اجتماع الضدین،بل الصبر من حیث ایجابه الاغتمام و الألم فی الدنیا،و الشکر من حیث ادائه إلی سعاده الآخره و غیرها مما ذکر.

ثم لو لم یصبر علی جهه شریفه،و لم یشکر علی جهه خیریته،صار بلاء مطلقا لزم ترکه بالرجوع إلی الصبر و الشکر.و اما النعمه المقیده،کالمال و الثروه،فان ادت إلی إصلاح الدین کانت نعمه مطلقه یجب علیها الشکر و لم یکن محلا للصبر،و إن ادت إلی فساده کانت بلاء مطلقا واجب الترک،و ان ادت الی بلاء الدنیا،کأن یصیر ماله سببا لهلاک أولاده و فساد مزاجه،و یصیر فوته باعثا لابتلائه ببعض المصائب الدنیویه،کان حکمه حکم البلاء المقید.ثم یأتی فی باب الصبر:ان الصبر قد یکون علی الطاعه و علی المعصیه،و فیهما

يتحقق الشكر و الصبر،إذ الشكر-كما عرفت-هو عرفان النعمه من اللّه و الفرح به،و صرف النعمه إلى ما هو المقصود منها بالحكمه،و الصبر-كما يأتى- هو ثبات باعث الدين،اعنى العقل النظرى،فى مقابله باعث الهوى،أعنى القوه الشهويه.و لا ريب فى انه فى أداء الطاعه و ترك المعصيه يتحقق الثبات المذكور،إذ هو صرف النعمه إلى ما هو المقصود،اذ باعث الدين انما خلق لحكمه دفع باعث الهوى،و قد صرفه إلى مقصود الحكمه.و أنت خبير بأنه و ان تحقق الشكر و الصبر فى هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه،الا ـ ان ما تصبر عليه هو هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه،اذ الصبر انما هو عليهما،و اما الشكر فعلى باعث الدين،اعنى العقل الباعث لهذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، فالمشكور عليه هو باعث الدين دون نفس الطاعه و ترك هذه المعصيه،فاختلف فيهما الصبر و الشكر فى المتعلق،اى ما يصبر عليه و ما يشكر عليه،و اتحدا فى فعل الصبر و الشكر،اذ فعل الصبر هو الثبات و المقاومه،و هو عين الطاعه و ترك المعصيه،و فعل الشكر هو صرف النعمه فى مقصود الحكمه،و هو أيضا عين الطاعه و ترك المعصيه.و يمكن ان يقال:ان من فعل هذه الطاعه،و ترك هذه المعصيه،عرف كونهما من اللّه و فرح به،و يعمل طاء أخرى شكرا له.

و على هذا فيتحد متعلقا الشكر و الصبر فى هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، اعنى المشكور عليه و ما يصبر عليه،اذ هما نفس هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه بعينها،و يختلف فعلاهما.اذ فعل الصبر هو هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، و فعل الشكر تحميد او طاعه أخرى.

فصل (الصحه خير من السقم)

اشاره

لا تظنن مما قرع سمعك من فضيله البلاء و ادائه إلى سعاده الأبد انه خير من العافيه فى الدنيا،بل مع ذلك كله العافيه فى الدنيا خير من البلاء و المصيبه

فیها،فإیاک ان تسأل من اللّه البلایا و المصائب فی الدنیا،فان رسول اللّه(ص) کان یستعیذ فی دعائه من بلاء الدنیا و بلاء الاخره،و کان یقول هو و الأنبیاء و الأوصیاء-علیهم السلام-:«ربنا آتنا فی الدنیا حسنه،و فی الآخره حسنه»،و کانوا یستعیذون من شماته الأعداء و سوء القضاء.و قال(ص).

«سلوا اللّه العافیه،فما أعطی عبد أفضل من العافیه الا الیقین»،و أشار بالیقین الی عافیه القلب من الجهل و الشک،و هو أعلی و أشرف من عافیه البدن.و قال (ص)فی دعائه:«و العافیه أحب الی».

و بالجمله:هذا اظهر من ان یحتاج إلی الاستشهاد.اذ البلاء انما یصیر نعمه بالإضافه إلی ما هو أکثر منه فی الدنیا و الآخره،و بالإضافه إلی ما یرجی من الثواب فی الآخره،و من حیث یوجب تجرد النفس و انقطاعها من الدنیا و میلها إلی الآخره.فینبغی ان یسأل تمام النعمه فی الدنیا،و الثواب فی الآخره علی شکر المنعم،و التجافی عن دار الغرور،و الإنابه إلی دار الخلود، فانه قادر علی إعطاء الکل، و ما نقل عن بعض العارفین،من سؤالهم المصائب و البلاء،کما قال بعضهم:«اود ان أکون جسرا علی النار یعبر علی الخلق کلهم فینجون،و أکون انا فی النار»،و قال سمنون المحب:«و لیس لی فی سواک حب،فکیفما شئت فاختبرنی»،فمبناه علی غلبه الحب،بحیث یظن المحب بنفسه انه یحب البلاء.و مثل ذلک حاله تعتریه،و لیس لها حقیقه.فان من شرب کأس المحبه سکر،و من سکر توسع فی الکلام،و لما زال سکره علم ان ما غلب علیه کانت حاله لا حقیقه. فما تسمعه من هذا القبیل فهو کلام العشاق الذین افرط حبهم،و کلام العشاق یستلذ سماعه و لا یعول علیه.و قد روی:

«ان فاخته کان یراودها زوجها فتمنعه،فقال:ما الذی یمنعک عنی،و لو اردت ان اقلب لک ملک سلیمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلک؟فسمع ذلک

سلیمان(ع)،فطلبه و عاتبه فی ذلک،فقال.یا نبی اللّه کلام العشاق لا یحکی».

و نقل:«ان سمنون المحب بعد ما قال البیت المذکور،ابتلی بمرض الحصر، فکان یصیح و یجزع،و یسأل اللّه العافیه،و یظهر الندامه مما قال،و یدور علی ابواب المکاتب،و یقول للصبیان:ادعوا لعمکم الکذاب».و الحاصل:ان صیروره البلاء أحب عند بعض المحبین من العافیه،لاستشعارهم رضا المحبوب لأجله،و کون رضاه عندهم أحب و الذ من العافیه انما یکون فی غلیان الحب، فلا یثبت و لا یدوم.و مع ذلک کله،فاعلم ان الظاهر من بعض الاخبار الآتیه فی باب الصبر:ان فی الجنان درجات عالیه لا یبلغها أحد الا بالمصائب الدنیویه و الصبر و الشکر علیها،و یؤیده ابتلاء أکابر النوع،من الأنبیاء و الأولیاء، بالمصائب العظیمه فی الدنیا،و ما ورد من ان أعظم البلاء موکل بالانبیاء ثم بالأولیاء،ثم بالأمثل فالامثل فی درجات العلاء و الولاء.و علی هذا،فالظاهر اختلاف اصلحیه کل من البلاء و العافیه باختلاف مراتب الناس.فمن کان قوی النفس صابرا شاکرا فی البلاء،و لم یصده عن الذکر و الفکر و الحضور و الانس و الطاعات و الإقبال علیها،و لم یصر باعثا لنقصان الحب للّه،فالبلاء فی حقه أفضل فی بعض الأوقات،اذ بإزائه فی الآخره من عوالی الدرجات ما لا یبلغ بدونه،و من کان له ضعف نفس یوجب ابتلاءه بالمصائب جزعا أو کفرانا،او منعه عن شیء مما ذکر،فالعافیه اصلح فی حقه،و ربما کان البلاء مما منعه من الوصول إلی المراتب العظیمه،فلا ریب فی ان العافیه و عدم هذا البلاء أفضل و أعلی منه.فان البصیر الذی توسل بعینیه إلی النظر إلی عجائب صنع اللّه،و توصل به إلی معرفه اللّه،و تمکن لأجل العینین إلی مطالعه العلوم و تصنیف الکتب الکثیره من أنواع العلوم،و تبقی آثاره العلمیه علی مر الدهور،و ینتفع من علومه الناس ابدا،و ربما بلغ لأجل العینین إلی غایه

درجات المعرفه و القرب و الحب و الانس و الاستغراق،و لو لا وجود العينين له لم يبلغ إلى شىء من ذلک،فلا ريب فى أن وجود البصر لمثله أفضل و اصلح من عدمه،و لو لا ذلک لكانت رتبه شعيب مثلا-و قد كان ضريرا من بين الأنبياء-فوق رتبه موسى و إبراهيم و غيرهما-عليهم السلام-لأنه صبر على فقد البصر،و موسى لم يصبر عليه،و لكان الكمال فى ان يسلب الإنسان الأطراف كلها و يترک كلحم على و ضم.و هذا باطل،فان كل واحد من الأعضاء آله فى الدين،فيفوت بفواتها ركن من الدين.و يدل على ذلک ما ورد فى عده من الاخبار:«أن كل ما يرد على المؤمن من بلاء أو عافيه أو نعمه أو بليه،فهو خير له و اصلح فى حقه»،و ما ورد فى بعض الأحاديث القدسيه:«إن بعض عبادى لا يصلحه إلا الفقر و المرض،فاعطيته ذلک، و بعضهم لا يصلحه إلا الغنى و الصحه،فاعطيته ذلک».و بذلک يجمع بين اخبار العافيه و اخبار البلاء.

و منها:

اشاره

الجزع

و هو إطلاق دواعى الهوى،من الاسترسال فى رفع الصوت،و ضرب الخدود،و شق الجيوب،او ضيق الصدر و التبرم و التضجر.و هو و ان كان من نتائج ضعف النفس و صغرها الذى من رذائل القوه الغضبيه فقط،الا انه لما كان ضده الصبر،و له اقسام بعضها من متعلقات القوه الشهويه-كما يأتى- فلذلک لم نذكره فى متعلقات قوه الغضب فقط،بل ذكرناه هنا. ثم الجزع فى المصائب من المهلكات،لأنه فى الحقيقه إنكار لقضاء اللّه،و اكراه لحكمه، و سخط على فعله.و لذا قال رسول اللّه(ص):«الجزع عند البلاء تمام المحنه».

و قال(ص):«ان عظم الجزاء مع عظم البلاء،و ان اللّه إذا أحب قوما ابتلاهم،فمن رضى فله الرضا،و من سخط فله السخط».و فى الخبر القدسى:

«من لم يرض بقضائى،و لم يشكر على نعمائى،و لم يصبر على بلائى،فليطلب ربا سواى».و روى:«ان زكريا لما هرب من الكفار،و اختفى فى الشجره، و عرفوا ذلك،جاءوا بالمنشار فنشرت الشجره حتى بلغ المنشار رأس زكريا، فان أنه،فأوحى اللّه إليه:يا زكريا!لئن صعدت منك أنه ثانيه لأمحونك من ديوان النبوه!فعض زكريا(ع)على اصبعه حتى قطع شطرين» .و بالجمله:

العاقل يعلم ان الجزع فى المصائب لا فائده فيه،اذ ما قدر يكون،و الجزع لا يرده.و لا ريب فى أنه يترك الجزع بعد مضى مده،فليتركه أولا حتى لا يضيع أجره.و قد نقل:«انه مات ابن لبعض الأكابر،فعزاه مجوسى، و قال له:ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسه ايام.فقال:

اكتبوه عنه». و قال الصادق(ع):«الصبر يظهر ما فى بواطن العباد من النور و الصفاء،و الجزع يظهر ما فى بواطنهم من الظلمه و الوحشه.و الصبر يدعيه كل أحد و ما يثبت عنده الا المخبتون،و الجزع ينكره كل أحد و هو أبين على المنافقين،لأن نزول المحنه و المصيبه يخبر عن الصادق و الكاذب.

و تفسير الصبر ما يستمر مذاقه،و ما كان عن اضطراب لا يسمى صبرا.

و تفسير الجزع اضطراب القلب و تحزن الشخص،و تغير اللون و الحال.و كل نازله خلت اوائلها من الاخبات و الإنابه و التضرع إلى اللّه فصاحبها جزوع غير صابر.و الصبر ما أوله مر و آخره حلو،من دخله من أواخره فقد دخل،و من دخله من اوائله فقد خرج.و من عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر،قال اللّه-تعالى-فى قصه موسى و الخضر-عليهما السلام-:

فكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا،فمن صبر كرها،و لم يشك إلى الخلق،

و لم يجزع بهتك ستره،فهو من العام،و نصيبه ما قال اللّه-عز و جل-:

وَ بَشِّرِ الصّٰابِرِينَ :ای بالجنه و المغفره.و من استقبل البلاء بالرحب،و صبر على سكينه و وقار،فهو من الخاص،و نصيبه ما قال اللّه-عز و جل-:

إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰابِرِينَ»

(۱)

.

الصبر-مراتب الصبر-اقسام الصبر-فضيله الصبر-الصبر على السراء-اختلاف مراتب الصبر فى الثواب-طريق تحصيل الصبر-التلازم بين الصبر و الشكر-القانون الكلى فى معرفه الفضائل-تفضيل الصبر على الشكر.

ضد الجزع(الصبر)،

و هو ثبات النفس و عدم اضطرابها فى الشدائد و المصائب،بأن تقاوم معها،بحيث لا تخرجها عن سعه الصدر و ما كانت عليه قبل ذلك من السرور و الطمأنينه،فيحبس لسانه عن الشكوى،و اعضاءه عن الحركات الغير المتعارفه.و هذا هو الصبر على المكروه،و ضده الجزع.

و له اقسام اخر لها أسماء خاصه تعد فضائل اخر:كالصبر فى الحرب، و هو من أنواع الشجاعه،و ضده الجبن.و الصبر فى كظم الغيظ،و هو الحلم،و ضده الغضب.و الصبر على المشاق،كالعباده،و ضده الفسق، أى الخروج عن العبادات الشرعيه.و الصبر على شهوه البطن و الفرج من قبائح اللذات،و هى العفه،و إليه أشير فى قوله-سبحانه-:

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):باب ۹۲.و على(البحار): باب الصبر و اليسر بعد العسر،مج ۲:۱۵-۱۴۳.

وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوىٰ

(۱)

.

و ضـده الشـره.و الصبر عن فضول العيش،و هو الزهد،و ضده الحرص.و الصبر فى كتمان السـر،و ضده الاذاعه،و الأولان،كالصبر على المكروه من فضائل قوه الغضب.و الرابع،من نتائج المحبه و الخشيه.

و البواقى،من فضائل قوه الشهوه-كما يأتى-.و بذلك يظهر:أن من عد الصبر مطلقا من فضائل القوه الشهويه أو القوه الغضبيه إنما أراد به بعض أقسامه.

و يظهر من ذلك:أن أكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر.و لذلك لما سئل رسول اللّه(ص)عن الايمان،قال:«هو الصبر،لأنه أكثر أعماله و أشرفها»،كما قال:«الحج عزم».و قد عرّف مطلق الصبر بأنه مقاومه النفس مع الهوى،و بعباره أخرى:أنه ثبات باعث الدين فى مقـابله بـاعث الهـوى.و المراد بـباعث الـدين هـو العقـل النظرى الهـادى إلى طريـق الخير و الصـلاح،و العقـل العملى المنفذ لأحكـامه المؤديه إلى الفوز و الفلاـح.و المراد بباعث الهوى هو قوه الشـهوه الخارجه عن إطاعه العقل.و القتال دائما بين الباعثين قائم،و الحرب بينهما أبدا سـجال (۲)،و قلب العبـد معركته، و مـدد بـاعث الـدين من الملائكه الناظرين لحزب اللّه،و مـدد باعث الهـوى مـن الشـياطين الناصـرين لأعـداء اللّـه،فـان ثبـت بـاعث الـدين بامـداد الملائكه حـتى قهر بـاعث الهـوى و اسـتمر على مخالفته،غلب حزب اللّه و التحق بالصابرين، و إن تحاول و ضعف حتى غلب باعث الهوى بامداد الشياطين و لم يصبر على

۱- ۱) النازعات،الآيه:۴۰-۴۱.

۲- ۲) «الحرب بينهم سجال»:مثل مشهور،أى تاره لهم و تاره عليهم.

دفعه،التحق باتباع الشياطين.و عمده ما يثبت به باعث الدين هى قوه المعرفه،أى اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الوصول إلى اللّه مضادا لأسباب السعادات فى الدنيا و الاخره.ثم باعث الدين اما يقهر داعى الهوى بالكليه،بحيث لا تبقى له قوه المنازعه،فيدوم الصبر،و تستقر النفس فى مقام الاطمئنان،و تنادى من وراء سرادقات الجمال بخطاب:

«يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ! ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَهً مَرْضِيَّهً» ،فتدخل فى زمره الصديقين السابقين،و تنسلك فى سلك عباده الصالحين.أو يغلب داعى الهوى و ينقهر باعث الدين،بحيث لا تبقى له قوه المنازعه،و ييأس عن المجاهده و المقاومه،فتسلم نفسه الشريفه الملكوتيه التى هى سر اللّه و وديعته إلى حزب الشيطان.و مثله مثل من أخذ أعز أولاده المتصف بجميع الكمالات،و يسلمه إلى الكفار من اعدائه،فيقتلونه لديه، و يحرقونه بين يديه،بل هو أسوا حالا منه بمراتب-كما لا يخفى-.إذ لا يكون لأحدهما الغلبه التامه،بل يكون بينهما تنازع و تجاذب،فتاره يغلب هذا،و تاره يغلب ذاك،فتكون النفس فى مقام المجاهده إلى أن يغلب أحد الباعثين،فتدخل فى حزب اللّه أو حزب الشيطان.ثم غلبه أحد الباعثين على الآخر إما أن تكون فى جميع مقتضياته أو بعضها،و تخرج من القسمين ثلاثه أحوال:

الأولى-أن يغلب باعث الدين على جميع الشهوات فى جميع الأوقات.

الثانيه-أن يغلب عليه الجميع فى الجميع.

الثالثه-أن يغلب على بعض دون بعض فى الجميع،أو يغلب عليها كلا أو بعضا دون بعض.

و قد أشير إلى أهل الحاله الأولى فى الكتاب الإلهى بقوله-تعالى-:

یٰا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ... الی آخر الآیه (۱).

و إلی الثانیه بقوله: وَ لٰکِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّی لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِینَ (۲).و إلی الثالثه بقوله: خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً عَسَی اللّٰهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ (۳).

فصل (مراتب الصبر)

اشاره

الصبر علی المکروه و مشاق العبادات و عن ترک الشهوات إن کان بیسر و سهوله فهو الصبر حقیقه،و إن کان بتکلف و تعب فهو التصبر مجازا.و إذا أدام التقوی و قوی التصدیق بما فی العاقبه من الحسنی،تیسر الصبر و لم یکن له تعب و مشقه،کما قال اللّٰه-سبحانه-:

فَأَمّٰا مَنْ أَعْطیٰ وَ اتَّقیٰ، وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنیٰ، فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْریٰ

(۴)

.

و متی تیسر الصبر و صار ملکه راسخه أورث مقام الرضا،و إذا أدام مقام الرضا أورث مقام المحبه.و کما ان مقام المحبه أعلی من مقام الرضا، فکذلک مقام الرضا أعلی من مقام الصبر.و لذلک قال رسول اللّٰه(ص):

«اعبد اللّٰه علی الرضا،فان لم تستطع ففی الصبر علی ما تکره خیر کثیر».

۱- ۱) الفجر،الآیه:۲۷-۲۸.

۲- ۲) السجده،الآیه:۱۳.

۳- ۳) التوبه،الآیه:۱۰۳.

۴- ۴) اللیل،الآیه:۵-۷.

قال بعض العارفين:«أهل الصبر على ثلاث مقامات:الأول:ترک الشکوی،و هذه درجه التائبین.الثانی:الرضا بالمقدر،و هذه درجه الزاهدین.الثالث:المحبه لما یصنع به مولاه،و هذه درجه الصدیقین».

و کأن هذا الانقسام مخصوص بالصبر علی المکروه من المصائب و المحن.ثم باعث الصبر إما إظهار الثبات و طمأنینه القلب عند الناس،لیکون عندهم مرضیا،کما نقل عن معاویه:أنه أظهر البشاشه،و ترک الشکوی فی مرض موته،و قال:

و تجلدی للشامتین أریهم

انی لریب الدهر لا أ تزعزع

و هذا صبر العوام،و هم الذین یعملون ظاهرا من الحیاه الدنیا و هم عن الآخره هم غافلون. أو توقع الثواب و نیل الدرجات الرفیعه فی دار الآخره،و هذا صبر الزهاد و المتقین،و إلیه الإشاره بقوله-تعالی-:

إِنَّمٰا یُوَفَّی الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ

(۱)

.

أو الالتذاذ و الابتهاج بورود المکروه من اللّه-سبحانه-.اذ کل ما یرد من المحبوب محبوب،و المحب یشتاق إلی التفات محبوبه و یرتاح به،و ان کان ما یؤذیه ابتلاء و امتحانا له،و هذا صبر العارفین،و إلیه الإشاره بقوله-تعالی-:

وَ بَشِّرِ الصّٰابِرِینَ، اَلَّذِینَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قٰالُوا إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَیْهِ رٰاجِعُونَ، أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ

(۲)

.

ص :۲۸۴

۱- ۱) الزمر،الآیه:۱۰.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۵۵-۱۵۷.

و قد ورد:ان الامام محمد بن على الباقر-عليهما السلام-قال لجابر ابن عبد اللّه الأنصارى-و قد اكتنفته علل و اسقام،و غلبه ضعف الهرم-:

«كيف تجد حالك؟»قال:أنا فى حال الفقر أحب إلىّ من الغنى،و المرض أحب الىّ من الصحه،و الموت أحب إلى من الحياه.فقال الامام(ع):

«أما نحن أهل البيت،فما يرد علينا من اللّه من الفقر و الغنى و المرض و الصحه و الموت و الحياه،فهو أحب إلينا».فقام جابر،و قبل بين عينيه،و قال:

صدق رسول اللّه(ص)حيث قال لى:«يا جابر!ستدرك واحدا من أولادى اسمه اسمى،يبقر العلوم بقرا».

تذنيب (أقسام الصبر)

الصبر باعتبار حكمه ينقسم إلى الاقسام الخمسه،فالصبر عن الشهوات المحرمه و على مشاق العبادات الواجبه فرض،و على بعض المكاره و أداء المندوبات نفل،و على الأذيه التى يحرم تحملها حرام،كالصبر على قطع يده،أو يد ولده،أو قصد حريمه بشهوه محظوره،و على أذى تناله بجهه مكروهه فى الشرع.و بذلك يظهر ان كل صبر ليس محمودا،بل بعض أنواعه ممدوح و بعض انواعه مذموم،و الشرع محكم،فما حسنه حسن، و ما قبحه قبيح.

فصل (فضيله الصبر)

الصبر منزل من منازل السالكين،و مقام من مقامات الموحدين.

و به ينسلك العبد فى سلك المقربين،و يصل إلى جوار رب العالمين.و قد أضاف اللّه أكثر الدرجات و الخيرات إليه،و ذكره فى نيف و سبعين موضعا

من القرآن و وصف اللّه الصابرين بأوصاف،فقال-عز من قائل-:

وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا

(۱)

.

و قال: وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا (۲).و قال: وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۳).و قال: أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا (۴).فما من فصيله إلا و أجرها بتقدير و حساب إلا الصبر،و لذا قال: إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ (۵).و وعد الصابرين بأنه معهم،فقال: وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ (۶).

و علق النصره على الصبر،فقال: بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (۷).و جمع للصابرين الصلوات و الرحمه و الهدى.فقال: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (۸).

۱- ۱) السجده،الآيه:۲۴.

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۳۷.

۳- ۳) النحل،الآيه:۹۶.

۴- ۴) القصص،الآيه:۵۴.

۵- ۵) الزمر،الآيه:۱۰.

۶- ۶) الانفال،الآيه:۴۶.

۷- ۷) آل عمران،الآيه:۱۲۵.

۸- ۸) البقره،الآيه:۱۵۷.

و الآيات الوارده فى مقام الصبر خارجه عن حد الاستقصاء،و الاخبار المادحه له أكثر من أن تحصى.قال رسول اللّه(ص):«الصبر نصف الايمان». و قال(ص):«من أقل ما أوتيتم اليقين و عزيمته الصبر،و من أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل و صيام النهار،و لئن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب الى من ان يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم،و لكنى أخاف أن يفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا، و ينكركم أهل السماء عند ذلك،فمن صبر و احتسب ظفر بكمال ثوابه»...

ثم قرأ قوله-تعالى-:

مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ

(١)

.

و قال(ص):«الصبر كنز من كنوز الجنه».و قال(ص):«أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس».و لا ريب فى ان الصبر مما تكرهه النفوس، و لذا قيل:«الصبر صبر».و قال(ص):«فى الصبر على تكرّه خير كثير».

و قال(ص):«الصبر من الايمان بمنزله الرأس من الجسد،و لا جسد لمن لا رأس له،و لا ايمان لمن لا صبر له».و سئل(ص)عن الايمان،فقال:

«الصبر و السماحه».و قال(ص):«ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى اللّه من جرعه غيظ ردها بحلم و جرعه مصيبه يصبر الرجل لها،و لا قطرت بقطره أحب إلى اللّه-تعالى-من قطره دم اهريقت فى سبيل اللّه و قطره دمع فى سواد الليل و هو ساجد و لا يراه إلا اللّه،و ما خطا عبد خطوتين احب إلى اللّه-تعالى-من خطوه إلى الصلاه الفريضه و خطوه إلى صله الرحم».و روى:«أنه-تعالى-أوحى إلى داود(ع):يا داود!تخلق باخلاقى،و إن من اخلاقى انى انا الصبور». و روى:«أن المسيح قال

١- ١) النحل،الآيه:٩۶.

للحواريين:إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون» (۱).

و قال(ص):«ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبه فقال-كما امره اللّه-:إنا للّه و انا إليه راجعون،اللهم أجرنى فى مصيبتى و اعقبنى خيرا منها،إلا و فعل اللّه ذلك».و قال(ص):«قال اللّه-عز و جل-:اذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبه فى بدنه أو ماله أو ولده،ثم استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه ان انصب له ميزانا و انشر له ديوانا» (۲). و قال(ص):

«الصبر ثلاثه:صبر عند المصيبه،و صبر على الطاعه،و صبر عن المعصيه.

فمن صبر على المصيبه حتى يردها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاثمائه درجه، ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين السماء إلى الأرض،و من صبر على الطاعه كتب اللّه له ستمائه درجه،ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى العرش،و من صبر على المعصيه كتب اللّه له تسعمائه درجه،ما بين الدرجه الى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش».و قال(ص):«سيأتى على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل و التجبر،و لا الغنى إلا بالغصب و البخل،و لا المحبه إلا باستخراج الدين و اتباع الهوى،فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى،و صبر على البغضه و هو يقدر على المحبه،و صبر على الذل و هو يقدر على العز،آتاه اللّه ثواب خمسين صديقا ممن صدق بى» (۳).و قال(ص):«ان اللّه-تعالى-قال لجبرئيل:ما جزاء من سلبت كريمته؟فقال:سبحانك!لا علم لنا الا ما علمتنا.قال:جزاؤه

۱- ۱) صححنا النبويات على(احياء العلوم):۴-۵۳،كتاب الصبر،

۲- ۲) صححنا الروايه على(البحار):مج ۲:۱۵-۱۴۸،باب الصبر و اليسر بعد العسر.

۳- ۳) صححنا الروايه،و كذا ما قبلها،على(أصول الكافى):ج ۲، باب الصبر.و على(الوافى):۳-۳۲۱-۳۲۳،باب الصبر.

الخلود فی داری،و النظر إلی وجهی».و قال(ص)لرجل قال له:ذهب مالی و سقم جسمی:«لا خیر فی عبد لا یذهب ماله و لا یسقم جسمه،ان اللّه إذا أحب عبدا ابتلاه،و إذا ابتلاه صبره».و قال(ص).«إن الرجل لیکون له الدرجه عند اللّه-تعالی-لا یبلغها بعمل حتی یبتلی ببلاء فی جسمه فیبلغها بذلک». و قال(ص):«اذا أراد اللّه بعبد خیرا،و أراد ان یصافیه،صب علیه البلاء صبا و ثجه علیه ثجا،فإذا دعاه،قالت الملائکه:

صوت معروف،و إذا دعاه ثانیا،فقال:یا رب!قال اللّه-تعالی-:

لبیک عبدی و سعدیک!الا تسألنی شیئا إلا اعطیتک،او رفعت لک ما هو خیر،و ادخرت لک عندی ما هو أفضل منه.فإذا کان یوم القیامه جیء بأهل الاعمال فوزنوا أعمالهم بالمیزان،أهل الصلاه و الصیام و الصدقه و الحج،ثم یؤتی باهل البلاء،فلا ینصب لهم میزان،و لا ینشر لهم دیوان، یصب علیهم الأجر صبا کما کان یصب علیهم البلاء صبا،فیود أهل العافیه فی الدنیا لو انهم کانت تقرض اجسادهم بالمقاریض لما یرون ما یذهب به أهل البلاء من الثواب،فذلک قوله-تعالی-:إنما یوفی الصابرون أجرهم بغیر حساب».و قال(ص):«إذا رأیتم الرجل یعطیه اللّه ما یحب،و هو مقیم علی معصیته،فاعلموا أن ذلک استدراج»...ثم قرأ قوله-تعالی-:

فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُکِّرُوا بِهِ فَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ أَبْوٰابَ کُلِّ شَیْءٍ

(۱)

.

یعنی:لما ترکوا ما أمروا به فتحنا علیهم أبواب الخیرات،حتی إذا فرحوا بما أوتوا-أی بما أعطوا من الخیر-اخذناهم بغته. و روی:

«أن نبیا من الأنبیاء شکی إلی ربه،فقال:یا رب،العبد المؤمن یعطیک

۱- ۱) الانعام،الآیه:۴۴.

و یجتنب معاصیک تزوی عنه الدنیا و تعرضه للبلاء،و یکون العبد الکافر لا یعطیک و یجتری علی معاصیک تزوی عنه البلاء و تبسط له الدنیا!فاوحی اللّه-تعالی-الیه:ان العباد الی و البلاء لی،و کل یسبح بحمدی.فیکون المؤمن علیه من الذنوب،فازوی عنه الدنیا و اعرض له البلاء،فیکون کفاره لذنوبه حتی یلقانی،فاجزیه بحسناته،و یکون الکافر له من الحسنات فابسط له فی الرزق و ازوی عنه البلاء،فأجزیه بحسناته فی الدنیا حتی یلقانی فأجزیه بسیئاته» (۱). و عن أبی عبد اللّه(ع)قال:«قال رسول اللّه(ص):قال اللّه-عز و جل-:انی جعلت الدنیا بین عبادی قرضا،فمن اقرضنی منها قرضا اعطیته بکل واحده منهن عشرا إلی سبعمائه ضعف و ما شئت من ذلک،و من لم یقرضنی منها قرضا فاخذت منه شیئا قسرا،اعطیته ثلاث خصال لو أعطیت واحده منهن ملائکتی لرضوا بها منی.قال:ثم تلا ابو عبد اللّه(ع)قوله-عز و جل-(الذین إذا أصابتهم مصیبه قالوا إنا للّه و إنا الیه راجعون،أولئک علیهم صلوات من ربهم)،فهذه واحده من ثلاث خصال،(و رحمه)اثنتان،(و أولئک هم المهتدون)ثلاث.ثم قال أبو عبد اللّه (ع):هذا لمن أخذ اللّه منه شیئا قسرا».و قال أمیر المؤمنین(ع):«بنی الایمان علی اربع دعائم:الیقین،و الصبر،و الجهاد،و العدل».و قال أمیر المؤمنین (ع)«الصبر صبران:صبر عند المصیبه حسن جمیل،و أحسن من ذلک الصبر عند ما حرم اللّه-عز و جل-علیک».و قال علی(ع):«الصبر و حسن الخلق و البر و الحلم من أخلاق الأنبیاء».و قال أمیر المؤمنین(ع):

«أیما رجل حبسه السلطان ظلما فمات،فهو شهید،و ان ضربه فمات،فهو

۱- ۱) صححنا الأحادیث الأربع علی(احیاء العلوم):۴-۱۱۴،باب الصبر.

شهید» (۱).و قال أمیر المؤمنین(ع):«من إجلال اللّه و معرفه حقه ألاـ تشکو وجعک ،و لاـ تذکر مصیبتک».و قال أمیر المؤمنین(ع):«ألا أخبرکم بأرجی آیه فی کتاب اللّه؟قالوا:بلی!فقرأ علیهم:

وَ مٰا أَصٰابَکُمْ مِنْ مُصِیبَهٍ فَبِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ

(۲)

.

فالمصائب فی الدنیا بکسب الأوزار،فإذا عافاه اللّه فی الدنیا فاللّه أکرم من ان یعذبه ثانیا،و ان عفی عنه فی الدنیا فاللّه أکرم من ان یعذبه یوم القیامه». و قال الباقر(ع):«الجنه محفوفه بالمکاره و الصبر،فمن صبر علی المکاره فی الدنیا دخل الجنه.و جهنم محفوفه باللذات و الشهوات، فمن أعطی نفسه لذتها و شهوتها دخل النار».و قال(ع):«مروه الصبر فی حال الفاقه و الحاجه و التعفف و الغنی أکثر من مروه الإعطاء» (۳).

و قال(ع):«لما حضرت أبی علی بن الحسین-علیهما السلام-الوفاه، ضمنی إلی صدره،ثم قال:یا بنی!أوصیک بما اوصانی به أبی حین حضرته الوفاه،و بما ذکر ان أباه أوصاه به،قال:یا بنی!اصبر علی الحق و ان کان مرا».و قال الصادق(ع):«اذا دخل المؤمن قبره،کانت الصلاه عن یمینه و الزکاه عن یساره،و البر مطل علیه،و یتنحی الصبر ناحیته.فإذا دخل علیه لملکان اللذان یلیان مساءلته،قال الصبر للصلاه و الزکاه و البر:

ص: ۲۹۱

۱- ۱) صححنا الروایات الثلاث علی(أصول الکافی):ج ۲،باب الصبر.و علی (الوافی):۳-۳۲۱-۳۲۳،باب الصبر.

۲- ۲) الشوری،الآیه:۳۰.

۳- ۳) قال العلامه(المجلسی)-قدس سره-فی(بحار الأنوار):مج ۱۵ ج ۲،فی باب الصبر علی المعصیه،فی ذیل هذا الخبر:«بیان المروه:هی الصفات التی بها تکمل انسانیه الإنسان».

دونکم صاحبکم،فان عجزتم عنه فانا دونه».و قال(ع):«إذا کان یوم القیامه، یقوم عنق من الناس،فیأتون باب الجنه،فیضربونه،فیقال لهم:من انتم؟فیقولون:نحن أهل الصبر،فیقال لهم:علی ما صبرتم؟فیقولون:کنا نصبر علی طاعه اللّه و نصبر عن معاصی اللّه،فیقول اللّه-تعالی-:صدقوا! ادخلوهم الجنه.و هو قول اللّه-تعالی-:إنما یوفی الصابرون أجرهم بغیر حساب».و قال(ع):«من ابتلی من المؤمنین ببلاء فصبر علیه،کان له مثل اجر الف شهید».و قال(ع):«إن اللّه-عز و جل-انعم علی قوم فلم یشکروا،فصارت علیهم و بالا،و ابتلی قوما بالمصائب فصبروا،فصارت علیهم نعمه».و قال(ع):«من لا یعد الصبر لنوائب الدهر یعجز».و قال(ع):

«إن من صبر صبر قلیلا،و إن من جزع جزع قلیلا...ثم قال:علیک بالصبر فی جمیع أمورک،فان اللّه-عز و جل-بعث محمدا(ص)فأمره بالصبر و الرفق،فقال:

وَ اصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلاً

(۱)

.

و قال أبو الحسن(ع)لبعض أصحابه:«ان تصبر تغتبط،و الا تصبر یقدر اللّه مقادیره،راضیا کنت أم کارها» (۲).و الاخبار فی فضیله الصبر علی البلاء و عظم ثوابه و أجره أکثر من ان تحصی.و لذلک کان الانقیاء و الأکابر محبین طالبین له،حتی نقل:«ان واحدا منهم دخل علی ابن مریض له،فقال:یا بنی!لئن تکن فی میزانی أحب إلی من ان أکون فی میزانک.

۱- ۱) المزمل،الآیه:۱۰.
۲- ۲) صححنا الأحادیث الوارده عن أهل البیت-علیهم السلام-فی باب الصبر،علی الجزء الثانی من(أصول الکافی)باب الصبر،و علی(الوافی): ۳-۳۲۱-۳۲۳،کتاب الصبر.

فقال:یا أبه!لئن یکن ما تحب أحب إلی من أن یکون ما أحب».و قال بعضهم:«ذهبت عینی منذ ثلاثین سنه،ما علم به أحد».

فصل (الصبر علی السراء)

اشاره

کل ما یلقی العبد فی الدنیا،و ما یوافق هواه،أو لا یوافقه،بل یکرهه،و هو فی کل منهما محتاج إلی الصبر.اذ ما یوافق هواه،کالصحه الجسمیه،و اتساع الأسباب الدنیویه،و نیل الجاه و المال،و کثره الأولاد و الاتباع،لو لم یصبر علیه،و لم یضبط نفسه عن الانهماک فیه و الاغترار به،أدرکه الطغیان و البطر.(فان الإنسان لیطغی ان رآه استغنی).و قال بعض الأکابر:«البلاء یصبر علیه المؤمن،و العوافی لا یصبر علیها الا الصدیق».و قال بعض العرفاء:«الصبر علی العافیه أشد من الصبر علی البلاء».و لذا لما توسعت الدنیا علی الصحابه و زال عنهم ضیق المعاش،قالوا:

«ابتلینا بفتنه الضراء فصبرنا،و ابتلینا بفتنه السراء فلا نقدر علی الصبر علیها».و من هنا قال اللّه-سبحانه-:

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِکُمْ أَمْوٰالُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ

(۱)

.و قال: إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِکُمْ وَ أَوْلاٰدِکُمْ عَدُوًّا لَکُمْ (۲).

و معنی الصبر علی متاع الدنیا:ألا یرکن إلیه،و یعلم أنه مستودع عنده،و عن قریب یسترجع عنه،فلا ینهمک فی التنعم و التلذذ،و لا یتفاخر

۱- ۱) المنافقون،الآیه:۹.

۲- ۲) التغابن،الآیه:۱۴.

به على فاقده من اخوانه المؤمنين،و يرعى حقوق اللّه فى ماله بالانفاق،و فى بدنه ببذل المعونه للخلق،و فى منصبه باعانه المظلومين،و كذلك فى سائر ما أنعم اللّه به عليه.

و السر فى كون الصبر عليها أشد من الصبر على البلاء:انه ليس مجبورا على ترك ملاذ الدنيا،بل له القدره و التمكن على التمتع بها،بخلاف البلاء، فانه مجبور عليه،و لا يقدر على دفعه،فالصبر عليه أسهل.و لذا ترى أن الجائع إذا لم يقدر على الطعام أقدر على الصبر منه إذا قدر عليه.

و أما ما لا يوافق هواه و طبعه،فله ثلاثه اقسام:

الأول-ما يكون مقدورا للعبد،كالطاعات و المعاصى.أما الطاعه، فالصبر عليها شديد،لأن النفس بطبعها تنفر عنها،و تشتهى التقهر و الربوبيه، كما يأتى وجهه.و مع ذلك يثقل عليها بعض العبادات باعتبار الكسل،و بعضها باعتبار البخل،و بعضها باعتبارهما،كالحج و الجهاد،فلا تخلو طاعه من اعتبار يشق على النفس ان تصبر عليه،و مع ذلك يحتاج المطيع فيها إلى الصبر فى حالات ثلاثه تتضاعف لأجلها الصعوبه،إذ يحتاج إليها قبل العمل فى تصحيح النيه و الإخلاص،و تطهيرها عن شوائب الرياء،و فى حاله العمل لئلا يغفل عن اللّه فى اثنائه،و لا يخل بشىء من وظائفه و آدابه،و يستمر على ذلك إلى الفراغ و بعد الفراغ عنه،لئلا يتطرق إليه العجب،و لا يظهر رياء و سمعه.

و النهى عن إبطال العمل و عن إبطال الصدقات بالمن و الاذى امر بهذا القسم من الصبر. و أما المعاصى،فلكون جميعها مما تشتهيها النفس،فصبرها عليها شديد،و على المألوفه المعتاده أشد،إذ العاده كالطبيعه الخامسه،و لذا ترى أن كل معصيه شاعت و تكررت ثقل استنكارها،فان الاستبعاد فى مثل لبس الحرير أكثر من الاستبعاد فى إطلاق اللسان طول النهار فى اعراض الناس،مع ان الغيبه أشد من الزنا،كما نطقت به الاخبار.فإذا انضافت

العاده إلى الشهوه،ظهر جندان من جنود الشيطان على جند اللّه،فيصعب تركها.

ثم المعصيه ان كانت مما يسهل فعلها،كان الصبر عنها أشد،كمعاصى اللسان من الغيبه و الكذب،و لو كانت مع ذلك مشتمله على تمام ما تقتضيه جبله النفس من الاستعلاء و الربوبيه،كالكلمات التى توجب نفى الغير و القدح فيه،و الثناء على ذاتها تصريحا أو تعريضا،كان الصبر عنها أشد.

اذ مثل ذلك-مع كونها مما تيسر فعله و صار مألوفا معتادا-انضافت إليه شهوتان للنفس فيه:إحداهما نفى الكمال من غيرها،و اخراهما اثباته لذاتها.

و ميل النفس إلى مثل تلك المعصيه فى غايه الكمال،إذ به يتم ما تقتضيه جبلتها من التوفق و العلو،فصبرها عنها فى غايه الصعوبه. و قد ظهر مما ذكر:أن أكثر ما شاع و ذاع من المعاصى انما يصدر من اللسان.فينبغى لكل أحد ان يجتهد فى حفظ لسانه بتقديم التروى على كلام يريد أن يتكلم به،فان لم يكن معصيه تكلم به،و إلا تركه،و لو لم يقدر على ذلك، و كان لسانه خارجا عن اطاعته فى المحاورات،وجبت عليه العزله و الانفراد و تركه التكلم مع الناس،حتى تحصل له ملكه الاقدار على حفظه،ثم صعوبه الصبر و سهولته لما كانت تختلف فى آحاد المعاصى باختلاف داعيه تلك المعاصى قوه و ضعفا،فينبغى لكل طالب السعاده أن يعلم ان داعيه نفسه الى أى معصيه أشد،فيكون سعيه فى تركها أكثر.ثم حركه الخواطر باختلاج الوساوس ايسر بكثير من حركه اللسان بقبائح الكلمات،فلا يمكن الصبر عنها أصلا،إلا بأن يغلب على القلب هم آخر فى الدين يستغرفه، كمن أصبح و همومه هم واحد.و أكثر جولان الخاطر إنما يكون فى فائت لا تدارك له،او فى مستقبل لا بد و ان يحصل منه ما هو مقدور.و كيف كان فهو تصور باطل،و تضييع وقت.إذ آله استكمال

ص :۲۹۵

العبد قلبه،فإذا غفل القلب فی لحظه من ذكر يستفيد به انسا باللّه،او فكر يستفيد به معرفه باللّه،و يستفيد بالمعرفه حب اللّه،فهو مغبون.

الثانی-ما ليس حصوله مقدورا للعبد،و لكنه يقدر علی دفعه بالتشفی،كما لو أوذی بفعل او قول،او جنی عليه فی نفسه او ماله،فان حصول الاذيه و الجنايه و ان لم يرتبط باختياره،إلا انه يقدر علی التشفی من المؤذی او الجانی بالانتقام منه،و الصبر علی ذلك بترك المكافاه.و هو قد يكون واجبا،و قد يكون فضيله،و هو أعلی مراتب الصبر.و لأجل ذلك خاطب اللّه نبيه(ص)بقوله:

فَاصْبِرْ كَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

(۱)

.

و بقوله: وَ اصْبِرْ عَلیٰ مٰا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (۲).و بقوله: وَ دَعْ أَذٰاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَی اللّٰهِ (۳).و قال: وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذیً كَثِيراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۴).و قال:

«وَ إِنْ عٰاقَبْتُمْ فَعٰاقِبُوا بِمِثْلِ مٰا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّٰابِرِينَ

(۵)

.

۱- ۱) الاحقاف،الآيه:۳۵.

۲- ۲) المزمل،الآيه:۱۰.

۳- ۳) الأحزاب،الآيه:۴۸.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:۱۸۶.

۵- ۵) النحل،الآيه:۱۲۶.

و قـال رسول اللّه(ص):«صـل من قطعـك،و اعـط من حرمـك،و اعف عمن ظلمـك».و روى:«أنه(ص)قسم مره مالاـفقال بعض الاـعراب من المسـلمين:هـذه قسـمه مـا أريـد بها وجه اللّه!فاخبر به رسول اللّه، فاحمرت وجنتاه،ثم قال:رحم اللّه أخى موسـى،قد أوذى باكثر من هذا فصبر».

الثالث-ما ليس مقدورا للعبد مطلقا،كالمصائب و النوائب.و الصبر عليه شديد فى غايه الصـعوبه،و لا ينال إلا ببضاعه الصديقين،و الوصول اليه يتوقف على اليقين التـام.و لـذا قـال النبى(ص):«أسألـك من اليقين مـا يهون على مصائب الـدنيا».و قـد تقـدم بعض الاخبار الوارده فى فضـيله هذا القسم من الصبر.و قال(ص):«قال اللّه:اذا ابتليت عبدى ببلائى فصبر،و لم يشـكنى إلى عواده،أبدلته لحمـا خيرا من لحمه،و دمـا خيرا من دمه،فـان أبرأته أبرأته و لاـ ذنب له،و ان توفيته فإلى رحمتى».و قال (ص):«من إجلال اللّه و معرفه حقه:ألا تشـكو وجعك ،و لا تذكر مصيبتك».و قال(ص):«من ابتلى فصبر،و أعطى فشكر،و ظلم فغفر، أولئك لهم الأمن و هم مهتدون».و قال(ص):«إن اللّه-تعالى-قال لجبرئيل:ما جزاء من سلبت كريمته؟فقال:سبحانك!لا علم لنا إلا ما علمتنا.قال:جزاؤه الخلود فى دارى،و النظر إلى وجهى».و قال داود(ع):«يا رب!ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك؟ قال:جزاؤه أن ألبسه لباس الأمان،لا انزعه عنه ابدا».و قال لابنه سـليمان-عليهما السـلام-:«يستدل على تقوى المؤمن بثلاث:حسن التوكل فيما لم ينل،و حسن الرضا فيما قد نال،و حسن الصبر فى ما قد فات».

و روى:«أن من ابتلى بموت ثلاثه أولاد،لم يرد على النار أصلا».

تذنیب (اختلاف مراتب الصبر فی الثواب)

لما کان الصبر علی العافیه بمعنی ترک الشهوات المحرمه و عدم الانهماک فیها، فهو راجع إلی الصبر عن المعصیه.و علی هذا،فاقسام الصبر ثلاثه:الصبر علی المصائب و النوائب،و الصبر علی الطاعه،و الصبر عن المعصیه.ثم ما تقدم من الخبر النبوی صریح فی کون الأول أقل ثوابا،و الآخر أکثر ثوابا،و الوسط وسطا بینهما.و ربما ظهر من بعض الاخبار:کون الأول أکثر ثوابا.و أبو حامد الغزالی رجح الأول أولا،و به صرح بعض المتأخرین من أصحابنا للخبر النبوی،ثم رجح الثانی ثانیا محتجا بما روی عن ابن عباس أنه قال:«الصبر فی القرآن علی ثلاثه اوجه،صبر علی أداء فرائض اللّه-تعالی-فله ثلاثمائه درجه،و صبر عن محارم اللّه-تعالی- و له ستمائه درجه،و صبر علی المصیبه عند الصدمه الأولی،فله تسعمائه درجه».و بأن کل مؤمن یقدر علی الصبر عن المحارم،و أما الصبر علی بلاء اللّه فلا یقدر علیه الا ببضاعه الصدیقین،لکونه شدیدا علی النفس.

و عندی:ان القول بکون أحدهما أکثر ثوابا علی الإطلاق غیر صحیح،إذ القول بأن الصبر عن کلمه کذب او لبس ثوب من الحریر لحظه أکثر ثوابا من الصبر علی موت کثیر من أعز الاولاد بعید،و کذا القول بأن الصبر علی فقد درهم أکثر ثوابا من کف النفس عن کبائر المعاصی و فطامها عن ألذ اللذات و الشهوات مع القدره علیها أبعد،فالصواب:

التفصیل بأن کل صبر من أی قسم کان من الثلاثه إذا کان علی النفس أشد و اشق فثوابه أکثر مما کان اسهل و أیسر،کائنا ما کان،لما ثبت و تقرّر أن أفضل الاعمال احمزها،و به یحصل الجمع و التلاؤم بین الأخبار.

فصل (طريق تحصيل الصبر)

اشاره

الطريق إلى تحصيل الصبر:تقويه باعث الدين،و تضعيف باعث الهوى.

و الأول:انما يكون بأمور:

الأول-أن يكثر فكرته فيما ورد من فضل الصبر و حسن عواقبه فى الدنيا و الآخره،و أن ثواب الصبر على المصيبه أكثر مما فات، و انه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبه،إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مده الحياه فى الدنيا،و حصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر،فيجازى على المده القصيره الفانيه بالمده الطويله الخالده،و على الغايه القريبه الزائله بالغايه المديده الباقيه.

و من أسلم خسيسا فى نفيس،فلا ينبغى أن يحزن بفوات الخسيس فى الحال.

الثانى-أن يتذكر قله قدر الشده الدنيويه و وقتها،و استخلاصه عنها عن قريب،مع بقاء الاجر على الصبر عليها.

الثالث-أن يعلم أن الجزع قبيح مضر بالدين و الدنيا،و لا يفيد ثمره إلا حبط الثواب و جلب العقاب،كما قال أمير المؤمنين(ع):«ان صبرت جرت عليك المقادير و أنت مأجور،و ان جزعت جرت عليك المقادير و أنت ما زور».

الرابع-أن يعوّد مصارعه هذا الباعث باعث الهوى تدريجا،حتى يدرك لذه الظفر بها،فيتجرى عليها،و يقوى متنه فى مصارعتها.فان الاعتماد و الممارسه للاعمال الشاقه يؤكد القوى التى تصدر منها تلك الاعمال.و لذا تزيد قوه الممارسين للاعمال الشاقه-كالحمالين و الفلاحين-على قوه التاركين لها.فمن عود نفسه مخالفه الهوى غلبها مهما شاء و أراد.

و أما الثانى:اعنى تضعيف الهوى،انما يكون بالمجاهده و الرياضه،

من الصوم و الجوع و قطع الأسباب المهيجه للشهوه من النظر إلى مظانها و تخيلها،و بالتسليه بالمباح من الجنس الذى يشتهيه بشرط الا يخرج عن القدر المشروع.

تتميم

إن قيل:الصبر فى المصائب إن كان المراد به الا تكون فى نفسه كراهه المعصيه فذلك غير داخل تحت الاختيار،إذ الإنسان مضطر الى الكراهه،فبما ذا ينال درجه الصبر فى المصائب؟ قلت:من كان عارفا باللّه و بأسرار حكمته و قضائه و قدره،بأن يعلم يقينا بأن كل امر صدر من اللّه و ابتلى به عباده من ضيق أو سعه،و كل امر مرهوب أو مرغوب على وفق الحكمه و المصلحه بالذات،و ما عرض من ذلك مما يعد شرا فأمر عرضى لا يمكن نزع الخير المقصود منه،و ان ذلك إذا كان متيقنا له،استعدت نفسه للصبر و مقاومه الهوى فى الغم و الحزن،و طابت بقضائه و قدره،و توسع صدره بمواقع حكمه،و ايقن بأن قضاءه لم يجر إلا بالخيره.و قد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين(ع)بقوله:

«اطرح عنك و اردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين». و من بلغ بهذه الدرجه،يتلذذ بكل ما يرد عليه.و مثله يتمتع بثروه لا تنفد،و يتأيد بعز لا يفقد،فيسرح فى ملك الابد،و يعرج إلى قضاء السرمد.هذا مع ان العبد إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع،و شق الجيوب،و ضرب الخدود،و المبالغه فى الشكوى،و إظهار الكآبه،و تغيير العاده فى الملبس و المطعم و نحوها،و هذه الأمور داخله تحت اختياره،فينبغى ان يجتنب عنها،و يظهر الرضا بالقضاء،و يبقى مستمرا على عادته،و يعتقد ان ذلك

كان وديعه فاسترجعت،و لا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب و جريان الدمع،لان ذلك مقتضى البشريه.و لذلك لما مات إبراهيم ولد النبى(ص) فاضت عيناه بالدمع،فقيل له:اما نهيتنا عن هذا؟قال.«هذه رحمه، انما يرحم اللّه من عباده الرحماء».و قال أيضا(ص):«العين تدمع و القلب يحزن،و لا يقول ما يسخط الرب».بل ذلك لا يخرج عن مقام الرضا أيضا،فان المقدم على الفصد و الحجامه راض به،مع أنه متألم بسببه لا محاله.نعم،من كمال الصبر كتمان المصائب،لما ورد من أن كتمان المصائب و الاوجاع و الصدقه من كنوز البر.و قد ورد المدح فى كثير من الأخبار على عدم الشكايه من الامراض و المصائب. و قال الباقر(ع):

«الصبر الجميل،صبر ليس فيه شكوى إلى الناس».و فى بعض الأخبار:

«أن الشكايه أن تقول:ابتليت بما لم يبتل به أحد،و اصابنى ما لم يصب أحدا،و ليس الشكوى أن تقول:سهرت البارحه،و حميت اليوم،و نحو ذلك».و قال الصادق(ع):«من اشتكى ليله،فقبلها بقبولها،و أدى الى اللّه شكرها،كانت كعباده ستين سنه»،قيل له:ما قبولها؟قال:«يصبر عليها و لا يخبر بما كان فيها،فإذا أصبح حمد اللّه على ما كان».

تتميم (التلازم بين الصبر و الشكر)

اعلم انه اختلف فى أفضليه كل من الصبر و الشكر على الآخر،فرجح كلا منهما على الآخر طائفه.و الظاهر أنه لا ترجيح لأحدهما على الآخر، لأنهما متلازمان لا ينفكك أحدهما عن الآخر.اذ الصبر على الطاعه و على المعصيه هو عين الشكر،لكون أداء الطاعه و ترك المعصيه شكرا،كما مر فى باب الشكر.و الصبر على الشدائد و المصائب يستلزم الشكر،لما مر من

أن الشدائد و المصائب الدنيويه تتضمن نعما،فالصبر على هذه الشدائد يستلزم الشكر على تلك النعم،و لأن الصبر على المصائب هو حبس النفس عن الجزع تعظيما للّه-سبحانه-.و هذا هو الشكر بعينه،لانه تعظيم للّه يمنع عن العصيان،و الشاكر يمنع نفسه عن الكفران مع ميل النفس إليه،و هذا هو عين الصبر عن المعصيه.و أيضا،توفيق الصبر و العصمه من الجزع نعمه يشكر عليها الصابر،فكل صبر يستلزم الشكر،و بالعكس.

و بالجمله:لا ريب فى استلزام كل من الصبر و الشكر للاخر،فان اجتماعهما فى الطاعه و ترك المعصيه،بل اتحادهما فيهما،امر ظاهر،كما تقدم.

و فى البلاء المقيد الدنيوى،اذا حصل فيه الصبر،فلا ريب فى عدم انفكاكه عن تصور النعم اللازمه له،من الثواب الاخروى،و حصول الانزعاج عن الدنيا و الرغبه إلى الآخره،فيشكر على ذلك.فهو لا ينفك عن الشكر،لانه يعرف هذه النعم من اللّه،كما يعرف البلاء أيضا من اللّه،فيفرح بالنعم،و يعمل بمقتضى فرحه من التحميد و غيره.و فى النعمه المقيده، مثل المال،إذا توسل به إلى تحصيل الدين،فلا ريب فى أنه كما تحقق فيه الكر تحقق فيه الصبر أيضا.إذ فى إنفاق المال و بذله فى تحصيل الدين حبس النفس عما تحبه و تميل إليه،و ثبات باعث الدين فى مقابله باعث الهوى.و فى البلاء المطلق،كالكفر و الجهل،لا معنى لتحقق الشكر أو الصبر فيه، و فى النعمه المطلقه،كسعاده الآخره و العلم و حسن الأخلاق،كما يتحقق فيها الشكر يتحقق فيها الصبر أيضا.إذ تحصيل السعاده،و العلم،و الأخلاق الفاضله،و الابقاء عليها،لا ينفك عن مقاومته مع الهوى و منع النفس عما تميل إليه.مع ان الشكر عليهما يستلزم منع النفس عن الكفران،و هو الصبر على المعصيه.حتى أن شكر العينين بالنظر إلى عجائب صنع اللّه يستلزم

الصبر عن الغفله و النوم،و النظر إلى ما تميل إليه النفس من النظر إلى غير المحارم و أمثال ذلك.

فان قيل:استلزام كل من الصبر و الشكر للاخر مما لا ريب فيه،إلا أن الكلام فى أنه إذا لم يتحقق الاتحاد بينهما فى فعل،كما فى فعل الطاعه و ترك المعصيه لكونهما متحدين فيهما،بل تحقق الاستلزام الموجب لتحقق جهتين،فأى الجهتين أفضل؟مثل أن يبتلى أحد بمصيبه دنيويه،فصبر عليها،بمعنى أنه عرف أنها من اللّه و حبس نفسه عن الجزع و الاضطراب، و شكر عليها أيضا،بمعنى أنه عرف أن النعم اللازمه لها من الثواب الأخروى و غيرها من اللّه،و فرح بها،و عمل بمقتضى فرحه من التحميد أو طاعه أخرى،فهل الأفضل حينئذ جهه الصبر،أو جهه الشكر؟ قلنا:التأمل يعطى:أن كل صبر هو شكر بعينه،و بالعكس.فلا تتحقق بينهما جهتان مختلفتان حتى يتصور الترجيح بينهما.فان الصبر على البلاء إنما هو حبس النفس عن الجزع تعظيما للّه.و هذا هو الشكر،إذ كل طاعه للّه-سبحانه-شكر،و فى الشكر على النعم المطلقه منع النفس عن الكفران،و هو عين الصبر عن المعصيه.

فان قلت:فعلى هذا،يجتمع الصبر و الشكر فى محل واحد بجهه واحده،و قد تقدم انهما متضادان،اذ الصبر يستدعى ألما،و الشكر يستدعى فرحا،و قد ذكرت ان اجتماع الصبر و الشكر فى محل واحد انما يكون من جهتين متغايرتين لا من جهه واحده.

قلنا:امتناع الاتحاد فيهما انما هو فى الصبر و الشكر على ما هو كان نعمه و بلاء بعينه،فانه لا يمكن ان يكون الصبر على فوت ولد-اعنى حبس النفس عن الجزع-هو عين الشكر على النعمه،اذ موت الولد بعينه ليس

نعمه،بل هو مستلزم للنعمه.فالشكر على اللازم،و الصبر على الملزوم، فاختلفت جهتا الصبر و الشكر،فلا اتحاد.و ما ذكرناه من الاتحاد انما هو الشكر و الصبر على النعمه و ترك المعصيه،او على البلاء و الطاعه.و ندعى أن من وصلت إليه نعمه،فشكر عليها بعرفانها من اللّه،ففرح بها، و عمل بمقتضى الفرح،من التحميد او طاعه أخرى،كان هذا الشكر عين الصبر عن معصيه هى الكفران،او على الطاعه التى هى التحميد و غيره.

كذا من ابتلى ببليه،فصبر عليها بحبس نفسه عن الجزع،فهذا الصبر عين الشكر بأداء الطاعه التى هى تعظيم اللّه بكف النفس عن الجزع،أو عن المعصيه التى هى الجزع و الاضطراب.و هذا الاتحاد و العينيه يطرد فى كل صبر و شكر،و لا يتحقق شكر لا يكون عن الصبر من هذا الوجه،و بالعكس.

و ليس بينهما تضاد و تغاير أصلا،و الاستلزام و اختلاف الجهه انما هو فى الصبر على البلاء و الشكر على ما يستلزمه من النعم،و لا يمكن هنا اتحادهما لتضادهما.و فى هذه الصوره،يكون كل من الصبر و الشكر المتميزين عن الآخر باختلاف الجهه عين الآخر،من حيث ملاحظه الاعتبار السابق،فلا يمكن الترجيح فى هذه الصوره مع اختلاف الجهه أيضا.

فان قيل:عرفان النعم من اللّه داخل فى حقيقه الشكر،و ليس داخلا فى الصبر،فينبغى ان يكون الشكر لذلك أفضل من الصبر.

قلنا:فى الشق الأول من صوره العينيه و الاتحاد،يكون عرفان النعمه داخلا فى الصبر،و فى الشق الثانى منهما،و فى صوره الاستلزام، يدخل عرفان البلاء من اللّه فى الصبر.فكما ان الشاكر يرى نعمه العينين من اللّه،فكذا الصابر يرى العمى من اللّه،فهما فى المعرفه متساويان.ثم جميع ما ذكر فى الفرق بين الصبر و الشكر إنما إذا كانت حقيقه الصبر حبس النفس

عن الشکوی فی البلاء مع الکراهه و التألم (۱)،و علی هـذا یکون الرضا فوقه، لو قطع النظر عن کون الصبر شکرا أیضا،و یکون الشکر فوق الرضا، إذ الصبر مع التألم و الرضا یمکن بما لا ألم فیه و لا فرح،و الشکر لا یمکن إلا علی محبوب یفرح به،و لو لم یعتبر فی مفهوم الصبر الکراهه و التألم، لصار الرضا و الشکر فی بعض درجاته،إذ یمکن أن یصل حال العبد فی الحب مرتبه لا یتألم من البلاء أو یفرح به،لأنه یراه من محبوبه.

و حینئذ،فترک الشکوی فی البلاء مع الکراهه صبر،و بدونها رضا،و مع الفرح به شکر.

تنبیه (القانون الکلی فی معرفه الفضائل)

اعلم أن المعیار و القانون الکلی فی معرفه فضائل الاعمال و الأحوال و ترجیح بعضها علی بعض عند أرباب القلوب:أن العمل کلما کان أکثر تأثیرا فی إصلاح القلب و تصفیته و تطهیره عن شوائب الدنیا،و أشد اعدادا له لمعرفه اللّه و انکشاف جلاله فی ذاته و صفاته و افعاله،کان أفضل.

و علی هذا القانون،لو لا الاتحاد و العینیه و التلازم بینهما،لکان اللازم أن یوازن بین کل درجه درجه من درجات الصبر و الشکر و ترجیح أحدهما،إذ لکل منهما درجات مختلفه فی تنویر القلب و تصفیته،و سبب الاختلاف أسباب:

منها-الاختلاف بین أقسام النعم و اقسام البلاء.

و منها-اختلاف مراتب المعرفه و الفرح المأخوذین فی الشکر،

۱- ۱) قال أستاذ البشر المحقق(الطوسی)-قدس سره-فی تعریف الصبر: «الصبر.حبس النفس عن الجزع عند المکروه،و هو یمنع الباطن عن الاضطراب، و اللسان عن الشکایه،و الأعضاء عن الحرکات غیر المعتاده...».

و اختلاف الطاعه التی تفعل فی کل منهما صعوبه و سهوله.فربما کان بعض درجات الصبر أشد تنویرا و أکثر إصلاحا للقلب من بعض درجات الشکر، و ربما کان الأمر بعکس ذلک فی بعض آخر من درجاتهما.فان الأعمال و الأحوال المندرجه تحت کل منهما کثیره،و باختلافها-کثره و قله- تختلف درجاتهما.فمن الأمور و الأحوال التی تندرج تحت الشکر:حیاء العبد من تتابع نعم اللّه علیه،و معرفته بتقصیره عن الشکر،و اعتذاره من قله الشکر،و اعترافه بأن النعم ابتداء من اللّه-تعالی-من غیر استحقاقه لها،و علمه بأن الشکر أیضا نعمه من نعمه و مواهبه،و حسن تواضعه بالنعم، و التذلل.و قله اعتراضه،و حسن ادبه بین یدی المنعم،و تلقی النعم بحسن القبول، و استعظام صغیرها،و شکر الوسائط،لقوله(ص):«من لم یشکر الناس لم یشکر اللّه». و قال السجاد(ع):«اشکرکم للّه اشکر کم للناس».و قال(ع):

«یقول اللّه-تعالی-لعبد من عبیده یوم القیامه:اشکرت فلانا؟فیقول:بل شکرتک یا رب!فیقول:لم تشکرنی إذ لم تشکره». و قال الصادق(ع):

«اشکر من انعم علیک،و انعم علی من شکرک».و لا ریب فی أنه کلما ازدادت هذه الأحوال فی الشکر،و طال زمانه،ازداد فضله.و قد نقل:

«ان رجلا(کان)یهوی ابنه عم له،و هی أیضا تهواه،فاتفق مزاوجتهما، فقال الرجل لیله الزفاف لها:تعالی حتی نحیی هذه اللیله شکرا للّه علی ما جمعنا،فقالت:نعم!فصلیا تلک اللیله بأسرها،و لم یتفرغ أحدهما الی صاحبه.فلما کانت اللیله الثانیه،قالا مثل ذلک،فصلیا طول اللیل...

فهکذا یفعلان فی ثمانین سنه،و بقیا علی تلک الحاله فی ثمانین سنه فی کل لیله،من دون رجوع لأحدهما إلی الآخر،و من دون اتفاق مضاجعه بینهما،فضلا عن شیء آخر».و لا یخفی أن هذا الشکر أفضل بمراتب من

صبرهما على بلاء العزوبه،لو لم يحصل بينهما الجمع و الوصل.

تتميم (تفضيل الصبر على الشكر)

اشاره

اعلم أن الظاهر من بعض الاخبار:أن الصبر أفضل و أكثر ثوابا من الشكر.كما روى:«انه يؤتى يوم القيامه بأشكر أهل الأرض،فيجزيه اللّه جزاء الشاكرين.و يؤتى بأصبر أهل الأرض،فيقال له:أ ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟فيقول:نعم يا رب!فيقول اللّه-تعالى-:

كلا!أنعمت عليه فشكر و ابتليتك فصبرت،لا ضعفن عليك الأجر عليه!فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين».و كقوله(ع):«الطاعم الشاكر بمنزله الصائم الصابر».و هذا يدل على أفضليه الصبر من الشكر،لان المشبه به أعلى رتبه من المشبه.و كقول الباقر(ع):«مروه الصبر فى حال الحاجه و الفاقه و التعفف و الغنى،أكثر من مروه الإعطاء».و يؤيد ذلك قوله-تعالى-:

(إِنَّمٰا يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ) .و ينبغى أن يرتكب فى أمثال هذه الاخبار تقييدان:

أحدهما-التقييد ببعض المراتب،بأن يقول:المراد أن بعض مراتب الصبر أفضل من بعض مراتب الشكر.و هذا مما لا ريب فيه،فان من سلب أعز أولاده و ابتلى بالفقر و المرض،و مع ذلك صبر و لم يجزع،فهو أفضل البته ممن أعطى مالا كثيرا فقال:شكر اللّه،الحمد للّه،من دون إبداء عمل آخر من الطاعات.و ليس المراد أن كل ما يسمى صبرا أفضل من كل درجه من درجات الشكر.اذ البديهه حاكمه بأن الشكر على نعمه بالاشتغال بالطاعه و العبادات،و ترك المعاصى سنين كثيره متتاليه،من

دون فتور،أفضل و أعلى رتبه من منع النفس عن الجزع لأجل عشره دراهم سرقت منه.

و ثانيهما-التقييد بخروجها على ما هو الظاهر عند جمهور الناس من الانفكاك بين الصبر و الشكر.فان الجمهور لا يفهمون من حبس النفس عن الجزع عند الابتلاء ببليه إلا الصبر،و لا يلتفتون إلى ان هذا الحبس نوع عباده حصلت تعظيما للّه،و هو عين الشكر.و كذا لا يفهمون من إظهار التحميد و الاشتغال بالصلاه عند وصول نعمه إلا الشكر،و لا يلتفتون الى أن هذا العمل عين منع النفس عن الكفران،و هو الشكر بعينه.

و منها:

اشاره

اشاره

الفسق

و هو الخروج عن طاعه المبدأ الحقيقى و عبادته.و ضده الطاعه،و هى تمجيد المبدأ و التخضع له باداء ضروب العبادات المقرره فى الشريعه.و عمده العبادات الموظفه فى الشريعه هى:الطهاره،و الصلاه،و الذكر،و الدعاء، و تلاوه القرآن،و الصوم،و الحج،و زياره النبى-صلّى اللّه عليه و آله- و الأئمه-عليهم السلام-،و الجهاد فى سبيل اللّه،و أداء المعروف،الشامل للزكاه،و الخمس،و الصدقه المندوبه،و غيرها.و الأخير-اعنى أداء المعروف باقسامه-قد تقدم.و الجهاد فى هذا الزمان ساقط.فنشير إلى بعض الاسرار و الدقائق و الآداب الباطنه المتعلقه بالبواقى،فى مقاصد و خاتمه.و أما آدابها و احكامها و شرائطها الظاهره،فهى مذكوره فى الفقهيات.

ص:٣٠٨

اعلم ان الطهاره و النظافه أهم الأمور للعباد.إذ الطهاره الظاهره وسیله الی حصول الطهاره الباطنه،و ما لم تحصل الأولی لم تحصل الثانیه.و لذا ورد فی مدحها ما ورد،قال اللّه-سبحانه-:

فِیهِ رِجٰالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا وَ اللّٰهُ یُحِبُّ الْمُطَّهِّرِینَ

(۱)

.و قال: مٰا یُرِیدُ اللّٰهُ لِیَجْعَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰکِنْ یُرِیدُ لِیُطَهِّرَکُمْ (۲).

و قال رسول اللّه(ص):«بنی الدین علی النظافه».و قال(ص):

«الطهور نصف الایمان».و قال(ص):«مفتاح الصلاه الطهور».و قال(ص):

«بئس للعبد القاذوره».و قال(ص):«من اتخذ ثوبا فلینظفه». و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«النظیف من الثیاب یذهب الهم و الحزن، هو طهور للصلاه».

ثم للطهاره أربع مراتب:

الأولی-تطهیر الظاهر من الاحداث و الاخباث و الفضلات.

الثانیه-تطهیر الجوارح من الجرائم و الآثام و التبعات.

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۰۹.

۲- ۲) المائده،الآیه:۷.

الثالثه-تطهير القلب من مساوى الأخلاق و رذائلها.

الرابعه-تطهير السر عما سوى اللّه-تعالى-،و هى تطهير الأنبياء و الصديقين.و الطهاره فى كل مرتبه نصف العمل الذى فيها،إذ الغايه القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال اللّه و عظمته،و تحصل له المعرفه التامه،و الحب و الانس.و لا يمكن حصول ذلك ما لم يرتحل عنه ما سوى اللّه،و لذلك قال اللّه-تعالى-:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

(۱)

فان اللّه و غيره لا يجتمعان فى قلب واحد:وَ مٰا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (۲).

فتطهير السر عما سوى اللّه نصف عمله،و النصف الآخر شروق نور الحق فيه.و الغايه القصوى فى عمل القلب عمارته بالا خلاق المحموده، و العقائد الحقه المشروعه.و لا يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها،من الأخلاق المذمومه،و العقائد الفاسده.فتطهيرها عنها أحد الشطرين، و الشطر الآخر تحليته بالفضائل و العقائد الحقه.

و أما عمل الجوارح،فالمقصود منه عمارتها بالطاعات.و لا يمكن ذلك ما لم يطهر عن المعاصى و المناهى.فهذا التطهير نصف عملها،و نصفه الآخر عمارتها بالطاعات.و قس على ذلك الحال فى المرتبه الأولى.و إلى ذلك الإشاره بقول النبى(ص):«الطهور نصف الايمان».فان المراد:أن تطهير الظاهر،و الجوارح،و القلب،و السر،من النجاسات و المعاصى

ص:۳۱۰

۱- ۱) الانعام،الآيه:۹۱.

۲- ۲) الأحزاب،الآيه:۴.

و رذائل الأخلاق و ما سوى اللّه نصف الايمان،و نصفه الآخر عمارتها بالنظافه و الطاعات و معالى الأخلاق،و الاستغراق فى شهود جمال الحق و جلاله.و لا تظنن أن مراده(ص)أن مجرد تطهير الظاهر عن النجاسات بافاضه الماء نصف الايمان،مع تلوث الجوارح بأخباث المعاصى،و تنجس القلب باقذار مساوى الأخلاق،و تشوش السر و تكدره بما سوى اللّه.

فالمراد التطهير فى المراتب الأربع،التى هى من مقامات الدين،و هى مرتبه يتوقف بعضها على بعض،و لا يمكن أن ينال العبد ما هو الفوق،ما لم يتجاوز ما دونه،فلا يصل إلى طهاره السر مما سوى اللّه،و عمارته بمعرفه اللّه،و انكشاف جلاله و عظمته،ما لم يفرغ عن طهاره القلب عن الأخلاق المذمومه،و تحليته بالملكات المحموده.و لا يصل إلى ذلک ما لم يفرغ عن طهاره الجوارح من المعاصى و عمارتها بالطاعات.و لا يصل إلى ذلک ما لم يفرغ عن إزاله الخبث و الحدث عن الظاهر،و عمارته بالنظافه و النزاهه.

فصل (حقيقه الطهاره)

طهاره الظاهر،إما عن الخبث،أو عن الحدث،أو عن فضلات البدن،و ما يتعلق بها من الاحكام الظاهره الواجبه و المحرمه و المندوبه و المكروهه،مستقصاه فى كتب الفقه.

و أما الآداب الباطنه لطهاره الخبث و إزالته عند التخلى لقضاء الحاجه، أن يتذكر عنده نقصه و حاجته،و خبث باطنه،و خسه حاله،و ما يشتمل عليه من الاقذار،و كونه حامل النجاسات،و يتذكر باستراحه نفسه عند إخراجها،و سكون قلبه عن دنسها،و فراغه للعبادات و المناجاه،و ان

الأخلاق الـذميمه التى فى باطنها نجاسات باطنه،و اقذار كامنه،لتستريح نفسـها عند إخراجها،و يطمئن قلبه من إزاله دنسـها،و عند إخراجها يصلح للوقوف على بساط الخدمه،و يتأهل للقرب و الوصول إلى حريم العزه.فكما يسعى فى إخراج النجاسات الظاهره لاستراحه البـدن مـده قليلـه فى الـدنيا،فينبغى أن يجتهـد أيضـا فى إخراج الاقـذار البـاطنه،و النجاسـات الـداخله الغـائضه (۱)فى الأعمـاق،المفسـده على الإطلاق،لتستريـح الروح و البـدن فى الـدنيا و الآخره أبـد الآبـاد. قال الصادق(ع):«إنما سـمى المستراح مستراحـا لاستراحه النفس من اثقال النجاسات،و اسـتفراغ الاقـذار و الكسافات فيها.و المؤمن يعتبر عنـدها إن الخالص من حطام الـدنيا كـذلك تصير عـاقبته،فيستريـح بالعـدول عنهـا و تركهـا،و يفرغ نفسه و قلبه عن شـغلها،و يسـتنكف عن جمعها و أخـذها اسـتنكافه عـن النجـاسه و الغـائط و القـذر،و يتفكر فى نفسه المكرمه فى حـال كيـف تصير ذليله فى حـال، و يعلم أن التمسـك بالقنـاعه و التقـوى يـورث له راحه الـدارين.فان الراحه فى هـوان الـدنيا،و الفراغ من التمتع بهـا،و فى إزاله النجـاسه من الحرام و الشبهه.

فيغلق عن نفسه باب الكبر بعـد معرفته إياها،و يفر من الـذنوب،و يفتح باب التواضع و النـدم و الحياء،و يجتهد فى أداء أو امره و اجتناب نواهيه، طلبا لحسن المآب،و طيب الزلفى،و يسـجن نفسه فى سـجن الخوف و الصبر و الكف عن الشهوات،الى أن يتصل بأمان اللّه-تعالى-فى دار القرار، و يذوق طعم رضاه،فان المعول على ذلك،و ما عداه فلا شيء» (۲).

ص: ۳۱۲

۱- ۱) الغائضه:الغائره.غيض الدمع:حبسه و أخفاه.

۲- ۲) الحديث مذكور فى(مصباح الشريعه)،الباب التاسع.و فى(مستدرك الوسائل):۱-۳۷-۳۸،كتاب الطهاره.و فى الموضـعين اختلاف كثير عما ذكر هنا،فصححناه كما كان فى الموضعين.

و ينبغى أن يتأمل فى أن ما دفع عنه من الغائط و القذر هو ما كان يشتهيه، و يحترص فى طلبه من لذائذ الأطعمه،و كلما كانت ألذ عفونتها أشد، فما كانت عاقبته ذلك،فليحذر من أن يأخذه من غير حله،فيعذب أبد الآباد لأجله.

فصل (ما ينبغى للمؤمن فى الطهاره)

ينبغى لكل مؤمن أن يستحضر عند اشتغاله بالطهاره عن الحدث:

أن تكليفه بها للدخول فى العبادات و المناجاه مع خالق البريات إنما هو لكون اعضائه التى أمر بغسلها مباشره للأمور الدنيويه،منهمكه فى الكدورات الطبيعيه،فخرجت عن أهليه القيام بين يدى اللّه-سبحانه-،و الاشتغال بعبادته.فالأمر بغسلها،لتتطهر عن هذه الكدورات،فيتأهل للمناجاه.

و لا ريب فى ان مجرد غسلها لا يطهرها عن الادناس الدنيويه و الكدورات الجسمانيه،ما لم يطهر قلبه عن الأخلاق الذميمه،و العلائق الدنيويه، و ما لم يعزم على الرجوع إلى اللّه،و الانقطاع عن الدنيا و شهواتها.فينبغى أن يكون قلبه عند الطهاره مطهرا عن ذمائم الصفات و خبائث الشهوات، جازما على فطام الأعضاء التى هى اتباعه و خدامه عن شهوات الدنيا،لتسرى نوريته و طهارته إلى تلك الأعضاء،ثم أمر فى الوضوء أولا:بغسل الوجه، الذى هو مجمع أكثر الحواس الظاهره،التى هى أعظم الأسباب الباعثه على مطالب الدنيا،ليتوجه و يقبل بوجه القلب على اللّه،و هو خال من تلك الادناس،و ثانيا:بغسل اليدين،لمباشرتهما أكثر الأمور الدنيويه و المشتهيات الطبيعيه المانعه من الإقبال على الآخره،و ثالثا:بمسح الرجلين،للتوصل بهما إلى أكثر المطالب الدنيويه و المقاصد الطبيعيه.

ص:۳۱۳

فأمر بتطهير جميعها ليسوغ له الدخول بها فى العبادات و الإقبال عليها.و أمر فى الغسل بغسل جميع البشره،لأن أدنى حالات الإنسان و أشدها تعلقا بالملكات الشهويه حاله الوقاع،و لجميع بدنه مدخل فى تلك الحاله.و لهذا قال رسول اللّه(ص):«تحت كل شعره جنابه».فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبه العليه،منغمسا فى اللذات الدنيه،كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعيه،ليتأهل لمقابله الجهه الشريفه،و الدخول فى العباده المنيفه.و أمر فى التيمم بمسح الأعضاء بالتراب،عند تعذر غسلها بالماء، وضعا لتلك الأعضاء الرئيسه،و هضما لها بملاقاتها أثر التربه الخسيسه.

ثم لما كان القلب هو الرئيس الأعظم لهذه الجوارح و الأعضاء، و المستخدم لها فى تلك الأمور المبعده عن جنابه-تعالى-،و هو الموضع لنظر اللّه-سبحانه-،كما قال(ص):«إن اللّه لا ينظر إلى صوركم،و لكن ينظر إلى قلوبكم»،فله من ذلك الحظ الا وفر و النصيب الاكمل.فيكون الاشتغال بتطهيره من الرذائل و التوجهات المانعه من درك الفضائل أولى من تطهير الأعضاء الظاهره عند اللبيب العاقل.و إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيله،و تحليته بالاوصاف الجميله،لرسوخه على حب الدنيا الدنيه،فليقمه فى مقام الهضم و الازراء،و يسقه بسياط الذل و الاغضاء.

كما أنه عند تعذر غسل الأعضاء بالماء يهضمها و يذللها بالوضع على التراب، عسى أن يرحم ربه تواضعه و انكساره،فيهبه نفحه من نفحات نوره اللامع،فانه عند المنكسره قلوبهم،كما ورد فى الأثر،فترق من هذه الإشارات و نحوها إلى ما يوجب لك الإقبال،و يتدارک سالف الإهمال.

ثم ما ذكر من السر فى الطهاره،يمكن استنباطه-مع الزياده- من كلام مولانا الصادق(ع)فى(مصباح الشريعه)،حيث قال:«اذا أردت

الطهاره و الوضوء،فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمه اللّه،فان اللّه-تعالى- قد جعل الماء مفتاح قربته و مناجاته،و دليلا إلى بساط خدمته،و كما ان رحمه اللّه تطهر ذنوب العباد كذلك النجاسات الظاهره يطهرها الماء لا غيره،قال اللّه-تعالى-:

وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً

(۱)

.و قال اللّه -تعالی-: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ (۲).

فكما احيى به كل شيء من نعيم الدنيا،كذلك برحمته و فضله جعل حياه القلوب بالطاعات.و تفكر فى صفاء الماء و رقته،و طهره و بركته، و لطيف امتزاجه بكل شيء.و استعمله فى تطهير الأعضاء التى أمرك اللّه بتطهيرها،و تعبدك بآدابها فى فرائضه و سننه.فان تحت كل واحد منها فوائد كثيره،فإذا استعملتها بالحرمه انفجرت لك عيون فوائد عن قريب.

ثم عاشر خلق اللّه-تعالى-كامتزاج الماء بالاشياء،يؤدى كل شيء حقه، و لا يتغير عن معناه،معتبرا لقول الرسول(ص):(مثل المؤمن الخالص كمثل الماء).و لتكن صفوتك مع اللّه-تعالى-فى جميع طاعتك كصفوه الماء حين انزله من السماء و سماه طهورا،و طهر قلبك بالتقوى و اليقين عند طهاره جوارحك بالماء» (۳).

و من الاسرار الوارده فى الطهاره و تخصيص بعض الأعضاء بالتطهير

ص: ۳۱۵

۱- ۱) الفرقان،الآيه:۴۸.

۲- ۲) الأنبياء،الآيه:۳۰.

۳- ۳) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه)،الباب العاشر.و على (المستدرك):۱-۵۱-۵۲،كتاب الطهاره.

فی الوضوء،ما أشار إلیه مولانا الرضا(ع)بقوله:«إنما امر بالوضوء لیکون العبد طاهرا إذا قام بین یدی الجبار عند مناجاته إیاه،مطیعا له فیما امره،نقیا من الادناس و النجاسه،مع ما فیه من ذهاب الکسل،و طرد النعاس،و تزکیه الفؤاد للقیام بین یدی الجبار.و إنما وجب ذلک علی الوجه و الیدین و الرأس و الرجلین،لان العبد إذا قام بین یدی الجبار،فانما ینکشف من جوارحه و یظهر ما یجب فیه الوضوء،و ذلک انه بوجهه یسجد و یخضع،و بیده یسأل و یرغب و یرهب و یتبتل،و برأسه یستقبل فی رکوعه و سجوده.و برجلیه یقوم و یقعد.و امر بالغسل من الجنابه دون الخلاء، لان الجنابه من نفس الإنسان،و هو شیء یخرج من جمیع جسده،و الخلاء لیس هو من نفس الإنسان،إنما هو غذاء یدخل من باب و یخرج من باب» (۱).

فصل (إزاله الاوساخ)

اشاره

ینبغی لکل مؤمن ان یطهر بدنه من فضلاته و درنه و أوساخه،کشعر

ص :۳۱۶

۱- ۱) هذه الروایه نقلها العلامه(المجلسی)-قدس سره-فی(البحار): ۱۸-۵۶،باب علل الوضوء و ثوابه و عقاب ترکه،و عن(العیون و العلل) لشیخ المحدثین مولانا(الصدوق)-رضوان اللّه علیه-،و لم أعثر علیها الا فی الموضع المذکور من(بحار الأنوار). و لا یخفی أن ما نقله العلامه(المجلسی)-قدس اللّه روحه-فی الموضع المذکور فیه اختلاف کثیر عما ذکر فی نسخ(جامع السعادات)الخطیه،بحیث لا یمکن تصحیح الروایه الا بنقلها من(البحار)و ذکرها فی هامش الکتاب.و ذلک غیر ممکن،لضیق المقام،فلاجله ترکنا تصحیحها،لعل القاریء الکریم یقف علی مصدر آخر لها.فمن أراد الاطلاع علی الروایه،فعلیه بمراجعه(البحار) فی الموضع المذکور.

الرأس بالحلق،و شعر الانف و الشارب و ما طال من اللحيه بالقبض، و شعر الابط و العانه و سائر الأعضاء بالنوره،و كأظفار اليدين و الرجلين بالقلم،و ما يجتمع من الوسخ و القمل فى شعر الرأس و اللحيه بالغسل و التسريح بالمشط،و ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذنين بالمسح و مثله، و ما يجتمع منه على الاسنان و أطراف اللسان بالسواك و المضمضه،و ما يجتمع فى الانف من الرطوبات الملتصقه بالاستنشاق،و ما يجتمع من الوسخ تحت الاظفار بالقلم و الغسل،و ما يجتمع منه فى رءوس الانامل و فى معاطف ظهورها عقيب أكل الطعام بالغسل،و ما يجتمع من الدرن على جميع بدنه و ترشيح العرق و غبار الطريق بالدخول فى الحمام.

تنبيه (آداب الحمام)

ينبغى لمن يدخل الحمام،أن يتذكر بحرارته حر النار،و يقدر نفسه محبوسا فى البيت ساعه،و يقيسه إلى جهنم،و يستعيذ باللّه منها.

قال الصادق(ع):«اذا دخلت البيت الثالث،فقل:نعوذ باللّه من النار و نسأله الجنه.و ترددها إلى وقت خروجك من البيت الحار». و قال امير المؤمنين(ع):«نعم البيت الحمام،يذهب بالدرن،و تذكر فيه النار».

و فيه إشاره إلى انه ينبغى للعاقل ألا يغفل عن ذكر الآخره فى لحظه،فانها مقره و مستقره.فيكون له فى كل ما يراه،من ماء او نار او غيرهما،عبره و موعظه.فان المرأ ينظر فى كل شىء بحسب همته.فالبزاز إذا دخل دارا معموره مفروشه ينظر إلى الفرش و يتأمل فى قيمتها.و الحائك إذا دخلها ينظر الى الثياب و يتأمل فى كيفيه نسجها،و النجار إذا دخلها ينظر إلى أبوابها و شبابيكها و يتأمل فى كيفيه نجرها و تركيبها،و البناء إذا دخلها ينظر إلى

الحیطان و السقف و کیفیه بنائها و إحکامها و استقامتها.فکذلک سالک طریق الآخره،لا ینظر إلی شیء إلّا و تکون له موعظه و عبره من الآخره.فان نظر إلی ظلمه تذکر ظلمه اللحد،و ان نظر إلی نار تذکر نار جهنم،و إن نظر إلی حیه تذکر افاعی جهنم،و إن سمع صوتا هائلا تذکر نفخه الصور،و إن نظر إلی صوره قبیحه تذکر صوره النکیرین و الزبانیه،و إن رأی المحاسبه بین قوم تذکر محاسبه الآخره،و إن سمع کلمه رد او قبول تذکر ما ینکشف له فی آخر امره بعد الحساب من الردّ و القبول،و إن رأی شیئا حسنا تذکر نعیم الجنه...إلی غیر ذلک.

تتمیم (السر فی إزاله الاوساخ)

اشاره

السر فی إزاله الفضلات المذکوره عن البدن ظاهر،فانها توجب تنویر القلب،و انشراح الصدر،و طرد الشیطان.إذ هی کسافات مانعه عن النوریه و التجرد،فتشمئز منها الملائکه،و یرغب إلیها الشیاطین.و من تأمل فی الاحکام و الآداب التی جاء بها رسول اللّه(ص)و کانت له بصیره ناقده،یعلم ان شیئا منها لا یخلو عن حکمه،حتی ان ما صدر عنه فی الآداب و الحرکات و الافعال و الأقوال،من ترتیب خاص،او تخصیص بعدد معین،او ابتداء من موضع خاص او بواحد معین من الأشیاء المتماثله،یتضمن حکما او حکمه البته.مثال ذلک:انه(ص)کان یکتحل فی عینه الیمنی ثلاثا و فی عینه الیسری اثنین،و السر فی هذا الترتیب و هذا التخصیص:ان الیمنی أشرف العینین فبدأ بها،و تفاوته بین العینین لتکون الجمله و ترا،فان للوتر فضلا علی الزوج،لان اللّه و تر یحب الوتر،فلا ینبغی ان یخلو فعل العبد عن

مناسبه لوصف من اوصاف الرب،و انما لم يقتصر على الثلاث و هو وتر، لان اليسرى حينئذ لا تخصها الا واحده،و الغالب ان الواحده لا تستوعب أصول الاجفان بالكحل،و انما خصص اليمين بالزياده لان التفضيل لا بد منه للايثار،و اليمين أفضل،فهو بالزياده أحق،و انما اقتصر على الاثنين لليسرى مع كونه زوجا،إذ الزوجيه فى أحداهما لازمه ضروريه،اذ لو جعل لكل واحده وترا لكان المجموع زوجا،إذ الوتر مع الوتر زوج، و رعايه الإيثار فى مجموع الفعل و هو فى حكم الخصله الواحده أحب من رعايته فى الآحاد.مثال آخر:روى الجمهور فى تقليم الاظفار:«ان رسول اللّه(ص) كان يبدأ عند تقليم اظفاره الشريفه بمسبحه اليمين،و يختم بابهام اليمنى، بأن يبتدئ من مسبحتها إلى خنصرها،ثم يبتدئ من خنصر اليسرى إلى إبهام اليمنى».و فى طريقنا روايتان:إحداهما ان يبدا بخنصر اليمنى و يختم بخنصر اليسرى،و اخراهما بعكس ذلك،و هى أشهر.فالسر على روايه الجمهور- كما قيل-ان اليد اليمنى أشرف من اليسرى فيبتدئ بها،ثم على اليمنى خمسه اصابع و المسبحه اشرفها فيبتدا بها،ثم ينبغى ان يبتدئ بما على يمينها لكون اليمنى أشرف،و لذا استحب فى الشرع وضع الطهور و غيره على اليمنى.و لا ريب فى انه إذا وضعت الكف على الأرض فيمين مسبحه اليمنى هى الوسطى،و وضع ظهر اليد على الأرض و ان اقتضى كون الإبهام هو اليمين،الا ان الاعتبار الأول أولى،إذ اليد إذا تركت بطبعها كانت الكف مائله إلى جهه الأرض،لأن جهه حركه اليد اليمنى إلى جهه اليسار، و اليسرى إلى جهه اليمين،و استتمام حركه كل منهما فى جهه يجعل الكف على الأرض و ظهرها عاليا،و إذا كانت الكف مائله إلى جهه الأرض فاعتبار ما يقتضيه الطبع أولى،فتكون يمين المسبحه هى الوسطى.ثم إذا وضعت

الکف علی الکف،صارت الأصابع فی حکم حلقه دائره،فیقتضی ترتیب الدور الذهاب من یمین المسبحه إلی ان یعود إلی المسبحه،فتقع البداءه بخنصر الیسری و الختم بابهامها،و یبقی إبهام الیمنی،و انما قدرت الکف موضوعه علی الکف حتی تصیر الأصابع کأشخاص فی حلقه لیظهر ترتیبها،و تقدیر ذلک اولی من تقدیر وضع الکف علی ظهر الکف،فان ذلک لا یقتضیه الطبع.

هذا،و اما السر علی الروایه الأولی من طریقنا،فکأنه اعتبار الأصابع العشره فی حکم صف واحد ثابت علی الأرض،و الابتداء بالیمین، فاکتفی بما یری بالنظر الجلیل مع ترک الید بطبعها.و اما الروایه الثانیه، فلعل السر فیها تحصیل التیامن فی کل اصبع بعد الأولی مع الترتیب فیها، و وضع الیدین علی ما یقتضیه الطبع.هذا،و اما اصابع الرجل،فلم نعثر علی خبر یدل علی کیفیه الابتداء و الترتیب فیها.فینبغی اعتبار أحد الطریقین المرویین عندنا فیها،و لعل اعتبار الأولی لاظهریه سرها أولی،و ینبغی ان یکون تقلیم اظفارها بعد تقلیم اظفار الیدین ان وقعا فی وقت واحد،إذ الید أشرف من الرجل.و قس علی ما ذکر سائر ما ورد من الآداب و التخصیصات فانه لا یخلو شیء منها علی سر حکمی،و إن کانت عقولنا قاصره عن ادراک أکثرها.

المقصد الثانی الصلاه-

اشاره

حقیقه الصلاه-حضور القلب-دفع اشکال-شرائط الصلاه-طریق تحصیل المعانی الباطنه-اسرار الصلاه-الوقت-آداب الصلاه-آداب المصلی-الاستقبال-القیام-التکبیرات-النیه-تکبیره الإحرام-دعاء الاستفتاح-الاستعاذه-الرکوع-السجود-التشهد- التسلیم-إفاضه الأنوار علی المصلی علی قدر صفائه-ما ینبغی فی إمام الجماعه- ما ینبغی فی صلاه الجمعه و العیدین-ما ینبغی للمؤمن عند ظهور الآیات.

اعلم أن الصلاه معجون سماوی،و ترکیب إلهی،رکبت من اجزاء کثیره مختلفه،متفاوته فی الفضل و الاهتمام بها.فبعضها بمنزله الروح، و بعضها بمثابه الأعضاء الرئیسه،و بعضها بمنزله سائر الأعضاء.

و توضیح ذلک:ان الإنسان-مثلا-لما کان حقیقه مرکبه من اجزاء معینه،فهو لا یکون إنسانا موجودا کاملا إلا بمعنی باطن هو الروح، و اعضاء محسوسه بعضها فی جوفه و بعضها فی ظاهره.و هذه الأعضاء متفاوته المراتب،إذ بعضها مما ینعدم الإنسان بعدمه و تزول الحیاه بزواله، کالقلب و الدماغ و الکبد و المعده و أمثالها،و بعضها و ان لم ینعدم بعدمه اصل الحیاه،إلا أنه ترتفع به تمامیه الإنسان و یصیر ناقصا،کالید و الرجل و العین و أمثالها،و بعضها یفوت بفواته الحسن،کالحاجبین و اللحیه و الاهداب و أمثالها،و بعضها یفوت بفواته کمال الحسن لا أصله،کاستقواس الحاجبین،و تناسب الخلقه،و سواد شعر اللحیه،و امتزاج البیاض بالحمره،و أمثال ذلک.و کذلک الصلاه حقیقه مرکبه،و صوره صورها الشرع من أمور متفاوته،و تعبدنا باکتسابها.فروحها:النیه،و القربه، و حضور القلب،و الإخلاص.و اعمالها الارکانیه:من تکبیره الإحرام، و الرکوع،و السجود،و القیام،بمنزله الأعضاء الرئیسه،فتفوت بفواتها الصلاه علی الإطلاق،و لا یمکن تحققها و صحتها بدونها.و سائر الاعمال الواجبه:من الفاتحه،و السوره،و أذکار الرکوع،و السجدتین، و الطمأنینه فیهما،و فی رفع الرأس عنهما،و التشهد،و التسلیم،و غیر ذلک من الاعمال الواجبه التی تبطل الصلاه بترکها عمدا لا سهوا،بمنزله الیدین و الرجلین و آلات التناسل و غیر ذلک،مما قد تفوت الحیاه بزوالها و قد لا تفوت به،و الأعمال المسنونه،و الهیئات المندوبه،و الآداب

المستحبه:من القنوت،و دعاء الافتتاح،و غير تكبيره الإحرام من التكبيرات،و التعوذ،و الزائد عن قدر الواجب فى التشهد و التسليم من الاذكار،و غير ذلک مما لا تبطل الصلاه بترکها عمدا أو سهوا،و لكن تخرج بها عن الحسن و الكمال و زياده الأجر و الثواب،فهى بمنزله الحاجبين و استقواسهما و اللحيه و الأهداب و تناسب الخلقه،و غير ذلک مما يفوت بفوات بعضها الحسن و الجمال و بفوات بعض كمالها،و يصير الشخص بسببه مشوه الخلقه مذموما غير مرغوب فيه.

و إذا عرفت ذلک:فاعلم-يا حبيبى-أن صلاتک قربه و تحفه تتقرب بها إلى حضره ملک الملوک،کوصيفه يهديها طالب القرب و الجاه من السلاطين إليهم.و هذه التحفه تعرض على اللّه ثم ترد إليک فى يوم العرض الأكبر،فإليک الخيره فى تحسين صورتها أو تقبيحها،فمن أداها على النحو المأمور به،باعمالها الواجبه و المندوبه،و شرائطها الظاهره و الباطنه،مع الإخلاص و حضور القلب،كان كمن أهدى عبدا صحيحا سويا شابا جميلا عاقلا كاملا إلى ملک من الملوک.و من اقتصر على اعمالها الظاهره،و غفل من الحضور و التوجه و القربه و الإخلاص،كان كمن أهدى عبدا ميتا بلا روح إلى ملک من الملوک.و من ترک عمدا شيئا من واجباته،كان كمن أهدى عبدا مقتولا إليه.و من اقتصر على أقل ما يجزى كان كمن أهدى إليه عبد حى أعمى،أو أصم،او أبکم، أو مقطوع الأطراف،أو هرما،أو قبيح المنظر،او مجروح الأعضاء، أو أمثال ذلک. فتنبه أيها الغافل،و تأمل فى انک إذا اهديت تحفه إلى ملک من ملوک الدنيا،بل إلى من دونه بمراتب كثيره،من الأمراء و الحكام،کيف تجتهد و تسعى فى تجويدها و تحسينها ليقبلها،فما بالک أيها المغرور تغفل و تتساهل من تحسين هديتک و تحفتک إلى ملک الملوک الذى منه

بـدؤك و إليه عودك؟!و قـد ورد:ان كل صـلاه لا يتم الإنسان ركوعها و سـجودها فهى الخصم الأول على صاحبها يوم العرض الأكبر،و تقول:

«ضيعك اللّه كما ضيعتنى!».

فصل (حقيقه الصلاه)

لا بحث لنا عما يتعلق بظاهرها من الاجزاء و الشـرائط و الأحكام، إذ بيانها على عهده الفقه.فلنشـر إلى المعانى الباطنه التى بها تتم حياتها، و إلى الأسرار و الآداب الخفيه الباطنه المتعلقه باجزائها و شرائطها الظاهره، لتكون ملحوظه للعبد عند فعلها.

فنقول:المعانى الباطنه،التى هى روح الصلاه و حقيقتها،سبعه:

الأول-الإخلاص و القربه،و خلوها عن شوائب الرياء.و قد تقدم تفصيل القول فى ذلك.

الثـانى-حضور القلب:و هو ان يفرغ القلب عن غير مـا هو ملابـس له و متكلم به،حتى يكون العلم مقرونا بما يفعله و ما يقوله،من غير جريان الفكر فى غيرهما.فمهما انصـرف الفكر عن غير ما هو فيه، و كان فى قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفله عنه،فقد حصل حضور القلب.

ثـم حضـور القلـب قـد يعبر عنـه بالإقبـال على الصـلاه و التـوجه،و قـد يعـبر عنـه بـالخشوع بـالقلب،فـان الخشـوع فى الصـلاه خشوعان:خشوع بالقلب:

و هو ان يتفرغ لجمع الهمه لهـا،و الاـعراض عمـا سواهـا،بحيث لاـ يكون فى قلبه غير المعبود.و خشوع بـالجوارح،و هو أن يغض بصره،و لا يلتفت،و لا يعبث،و لا يتثاءب،و لا يتمطى،و لا يفرقع اصابعه،

ص :٣٢٣

و بالجمله:لا يتحرك لغير الصلاه،و لا يفعل شيئا من المكروهات،و ربما عبر ذلك بالخضوع.

الثالث-التفهم لمعنى الكلام:و هو امر وراء حضور القلب.

فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ،و لا يكون حاضرا مع معناه.فالمراد بالتفهم هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ.و هذا مقام يتفاوت فيه الناس،إذ ليس يشترك الناس فى تفهم معانى القرآن و التسبيحات،فكم من معان لطيفه يفهمها بعض المصلين فى اثناء الصلاه و لم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك و لا يفهمها غيره.و من هذا الوجه كانت الصلاه ناهيه عن الفحشاء و المنكر،فانها تفهم أمورا تمنع تلك الأمور عن الفحشاء و المنكر لا محاله.

الرابع-التعظيم:و هو أمر وراء حضور القلب و التفهم.إذ الرجل ربما يخاطب غيره،و هو حاضر القلب فيه،و متفهم لمعناه،و لا يكون معظما له.

الخامس-الهيبه:و هى زائده على التعظيم لأنها عباره عن خوف منشأه التعظيم،لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا،ثم كل خوف لا يسمى مهابه،بل الهيبه خوف مصدره الاجلال.

السادس-الرجاء:و لا ريب فى كونه زائدا عما ذكر.فكم من رجل يعظم ملكا من الملوك،و يهابه و يخاف سطوته،و لا يرجو بره و إحسانه.و العبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب اللّه،كما أنه خائف بتقصيره عقابه.

السابع-الحياء:و مستنده استشعار تقصير و توهم ذنب،و هو زائد على التعظيم و الخوف و الرجاء،لتصورها من غير حياء،حيث لا يكون توهم تقصير و ارتكاب ذنب.

فصل (حضور القلب)

اشاره

اعلم ان كون الأمور المذكوره روح الصلاه و حقيقتها،و المقصود الاصلى منها،امر ظاهر.إذ الغرض الأصلى من العبادات و الطاعات هى تصفيه النفس و تصقيلها،فكل عمل يكون أشد تأثيرا فيهما يكون أفضل.

و لا ريب فى ان المقتضى لصفاء النفس و تجردها و تصقيلها عن الكدورات من الصلاه ليس الا الأمور المذكوره،و ليس لنفس الحركات الظاهره كثير مدخليه فيها،و كيف لا يكون حضور القلب و الخشوع روح الصلاه و لا يتوقف كمال الصلاه عليه،مع ان المصلى فى صلاته و دعائه مناج ربه؟و لا شك أن الكلام مع الغفله ليس بمناجاه،و أيضا الكلام إعراب عما فى الضمير،و لا يتأتى الاعراب عما فى الضمير الا بحضور القلب،فاى سؤال فى قوله: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» اذا كان القلب غافلا؟و لا شك أيضا أن المقصود من القراءه و الاذكار الثناء و الحمد و التضرع و الدعاء، و المخاطب هو اللّه-تعالى-،فإذا كان قلب العبد محجوبا عنه بحجاب الغفله، و لا يراه و لا يشاهده،بل كان غافلا عن المخاطب،و يحرك لسانه بحكم العاده،فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاه التى شرعت لتصقيل القلب، و تجديد ذكر اللّه،و رسوخ عقد الايمان بها.هذا حكم القراءه و الذكر.

و اما الركوع و السجود،فالمقصود منهما التعظيم قطعا،و التعظيم كيف يجتمع مع الغفله،و إذا خرج عن كونه تعظيما،لم يبق الا مجرد حركه الظهر و الرأس،و ليس فيه من المشقه ما يقصد الامتحان به،كما فى افعال الحج،و إعطاء المال فى الزكاه،و امساك النفس عن الشهوات فى الصوم.

فكيف يجعل مجرد هذه الحركه مع خفتها و سهولتها عماد الدين،و الفاصل

بین الکفر و الإسلام،و تقدم علی سائر العبادات،و یجب القتل بسبب ترکها علی الخصوص؟و لکون الحضور و الخشوع و الخشیه عمده ما یقصد به من الصلاه،تظاهرت الآیات و الاخبار علی الترغیب علیها و فضیلتها و مدح أهلها،و علی ذم الغفله و التفکر فی أمور الدنیا و الوساوس الباطله عند الاشتغال بالصلاه،و قد تظاهرت الاخبار أیضا بأن الأنبیاء و الأوصیاء و أکابر الأولیاء کانوا عند اشتغالهم فی الصلاه فی غایه الإقبال و الخشوع و الخوف.قال اللّه-سبحانه-:

اَلَّذِینَ هُمْ فِی صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ

(۱)

.و قال: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِکْرِی (۲).و الغفله تضاد الذکر،فمن کان غافلا فی صلاته لا یکون مقیما للصلاه لذکره و قال: وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ (۳).و قال: فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ، اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ (۴)،ذمهم علی الغفله عنها مع کونهم مصلین،لا لأنهم سهوا عنها و ترکوها.و قال: لا تَقْرَبُوا الصَّلاهَ وَ أَنْتُمْ سُکاری.حَتّی تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ (۵).

قیل:المراد:سکاری من کثره الهم،و قیل:من حب الدنیا.و لو حمل علی ظاهره ففیه تنبیه علی سکر الدنیا،إذ بین فیه العله.و قال:حتی تعلموا ما تقولون.و کم من مصل لم یشرب الخمره و هو لا یعلم ما یقول فی

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۲.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۴.

۳- ۳) الأعراف،الآیه:۲۰۵.

۴- ۴) الماعون،الآیه:۴-۵.

۵- ۵) النساء،الآیه:۴۳.

صلاته.و قال رسول اللّه(ص):«من صلى ركعتين،لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا،غفر له ما تقدم من ذنبه».و قال(ص):«إذا صليت صلاه فريضه،فصل لوقتها صلاه مودع يخاف ألا يعود فيها».و قال (ص):«لا ينظر اللّه إلى صلاه لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه».و قال (ص):«انما فرضت الصلاه،و امر بالحج و الطواف،و اشعرت المناسك، لاقامه ذكر اللّه،فإذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود و المبتغى عظمه و لا هيبه،فما قيمه ذكرك؟!».

و عن أبى عبد اللّه(ع)قال:«قال اللّه-تبارك و تعالى-:انما أقبل الصلاه ممن تواضع لعظمتى،و يكف نفسه عن الشهوات من اجلى،و يقطع نهاره بذكرى،و لا يتعاظم على خلقى،و يطعم الجائع،و يكسو العارى، و يرحم المصاب،و يؤوى الغريب،فذلك يشرق نوره مثل الشمس، اجعل له فى الظلمات نورا،و فى الجهاله علما،أكلأه بعزتى،و استحفظه بملائكتى،يدعونى فألبيه،و يسألنى فأعطيه.فمثل ذلك عندى كمثل جنات الفردوس،لا تيبس ثمارها،و لا تتغير عن حالها» (۱).و فى اخبار موسى:«يا موسى،اذا ذكرتنى فاذكرنى و أنت تبغض اعضاءك.و كن عند ذكرى خاشعا مطمئنا.و إذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك.و إذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل،و ناجنى بقلب و جل،و لسان صادق».

و أوحى إليه(ع):«قل لعصاه أمتك:لا تذكرونى،فانى آليت على نفسى ان من ذكرنى ذكرته،و إذا ذكرونى ذكرتهم باللعنه». و فى بعض الأحاديث القدسيه:«ليس كل مصل أتقبل صلاته،انما أقبل صلاه من تواضع

۱- ۱) الحديث مروى فى(بحار الأنوار):۱۸-۱۹۶،باب آداب الصلاه عن(المحاسن)،و فيه اختلاف كثير عما ذكر فى نسخ(جامع السعادات)، فصححناه على الموضع المذكور من(بحار الأنوار).

لعظمتی،و لم یتکبر علی عبادی،و اطعم الفقیر الجائع لوجهی».و قال امیر المؤمنین(ع):«طوبی لمن أخلص للّه العباده و الدعاء،و لم یشتغل قلبه بما تراه عیناه،و لم ینس ذکر اللّه بما تسمع أذناه،و لم یحزن صدره بما أعطی غیره». و قال الصادق(ع):«لا تجتمع الرغبه و الرهبه فی قلب إلا وجبت له الجنه،فإذا صلیت،فاقبل بقلبک علی اللّه-عز و جل-فانه لیس من عبد مؤمن یقبل بقلبه علی اللّه-عز و جل-فی صلاته و دعائه، الا أقبل اللّه علیه بقلوب المؤمنین،و ایده مع مودتهم إیاه بالجنه». و قال الباقر(ع).«ان العبد لیرفع له من صلاته نصفها و ثلثها و ربعها و خمسها، فما یرفع له إلا ما أقبل علیه بقلبه،و انما أمروا بالنوافل لیتم لهم ما نقصوا من الفریضه». و روی:«أن إبراهیم الخلیل کان یسمع تأوهه علی حد میل،و کان یسمع له فی صلاته أزیز کأزیز المرجل (۱)».و کذلک کان یسمع من صدر سیدنا رسول اللّه(ص)مثل ذلک.و قال بعض أزواجه:

«کان النبی(ص)یحدثنا و نحدثه،فإذا حضرت الصلاه،فکأنه لم یعرفنا و لم نعرفه».و کان أمیر المؤمنین(ع)اذا أخذ فی الوضوء،یتغیر وجهه من خیفه اللّه.و کان(ع)اذا حضر وقت الصلاه یتزلزل و یتلون،فقیل له:

ما لک یا أمیر المؤمنین؟فیقول:«جاء وقت أمانه عرضها اللّه علی السماوات و الأرض و الجبال فأبین أن یحملنها و اشفقن منها،و حملها الإنسان».

و روی:«أنه وقع نصل فی رجله(ع)،فلم یمکن أحدا من إخراجه.

فقالت فاطمه-علیهما السلام-:اخرجوه فی حال صلاته،فانه لا یحس حینئذ بما یجری علیه.فاخرج و هو فی صلاته،فلم یحس به أصلا».و کانت

۱- ۱) الأزیز:صوت غلیان القدر.و المرجل-وزان منبر-:القدر من الحجاره.

الصدیقه فاطمه-علیها السلام-تنهج (۱)فی الصلاه من خیفه اللّه.و کان الحسن بن علی-علیهما السلام-اذا فرغ من وضوئه،تغیر لونه،فقیل له فی ذلک،فقال:«حق علی من أراد أن یدخل علی ذی العرش أن یتغیر لونه».و کان الامام علی بن الحسین-علیهما السلام-اذا توضأ اصفر لونه، فیقال له:ما هذا الذی یعتریک عند الوضوء؟فیقول:«إنی أرید الوقوف بین یدی ملک عظیم».و قال أبو حمزه الثمالی:«رأیته یصلی»فسقط رداؤه عن منکبه،فترکه حتی فرغ من صلاته،فسألته عن ذلک،فقال:

و یحک!أ تدری بین یدی من کنت؟شغلنی و اللّه ذلک عن هذا!أتعلم أنه لا یقبل من صلاه العبد الا ما أقبل علیه؟.فقلت له:یا بن رسول اللّه، هلکنا إذا.قال:کلا!ان اللّه یتم ذلک بالنوافل». و روی:«أنه(ع) اذا قام إلی الصلاه تغیر لونه،و إذا سجد لم یرفع رأسه حتی یرفض عرقا».

و روی:«أنه(ع)کان إذا قام إلی الصلاه کأنه ساق شجره،لا یتحرک منه إلا ما حرکت الریح منه».و سئل مولانا الصادق(ع)عن حاله لحقته فی الصلاه حتی خرّ مغشیا علیه،فقال:«ما زلت اکرر آیات القرآن،حتی بلغت إلی حال کأننی سمعتها مشافهه ممن أنزلها» (۲).قیل.و کان لسان الامام(ع)فی تلک الحال کشجره طور حین قالت:«انی أنا اللّه».و سئل بعض الأکابر عن صلاته،فقال:«اذا جاءت الصلاه،اسبغت الوضوء، و أتیت الموضع الذی أرید الصلاه فیه،فأقعد فیه حتی تجتمع جوارحی، ثم اقوم إلی الصلاه،فأجعل الکعبه بین حاجبی،و الصراط تحت قدمی، و الجنه عن یمینی،و النار عن شمالی،و ملک الموت ورائی،و أظنها آخر

۱- ۱) النهج-بالتحریک-:تتابع النفس و اللهاث.

۲- ۲) صححنا الأحادیث الوارده فی الصلاه علی(بحار الأنوار).۱۸-۱۶۹- ۲۰۲،باب آداب الصلاه.

صلاتی،ثم أقوم بین الرجاء و الخوف،و أکبر تکبیرا بتحنن،و أقرأ القرآن بترتیل،و ارکع رکوعا بتواضع،و اسجد سجودا بتخشع، و اقعد علی الورک الیسری،و أفرش ظهر قدمها،و انصب القدم الیمنی علی الإبهام و ابتعها الإخلاص،ثم لا أدری أقبلت منی أم لا!».

ثم،علی ما عرفت من کیفیه صلاه الأنبیاء و الأولیاء،مع مشاهده کیفیه صلاتک و صلاه الناس،تعلم:ان الناس ینقسمون فی صلاتهم: الی غافل یتم صلاته و لا یحضر قلبه فی لحظه، و إلی من یغفل فی بعض صلاته و یحضر قلبه فی بعض منها،و هذا تختلف حاله بحسب قله کل من الحضور و الغفله و کثرتهما،و زیاده أحدهما علی الآخر،فله مراتب غیر متناهیه.

و إلی من یتم صلاته و لا یغیب قلبه لحظه،بل یکون حاضر القلب فی جمیع صلاته،و ربما کان مستوعب الهم بها،بحیث لا یحس بما یجری بین یدیه، کما لم یحس مولانا أمیر المؤمنین(ع)باخراج النصل من رجله الشریفه.

و بعضهم حضر الجماعه مده،و لم یعرف قط من علی یمینه و یساره.و کان وجیب الخلیل یسمع علی میلین.و کان جماعه تصفر وجوههم و ترتعد فرائصهم عند الصلاه.و کل ذلک غیر مستبعد،فان اضعافه مشاهده فی همّ الدنیا و خوف ملوک الدنیا،مع ضعفهم و عجزهم،و خساسه الحظوظ الحاصله منهم.حتی یدخل الرجل علی ملک أو وزیر،و یحدثه بمهم و یخرج،و لو سئل عمن کان علی حوالیه،و عن ثوب الملک،لکان غیر قادر علی الاخبار عنه،لاشتغال همه به عن ثوبه و عن الحاضرین حوله:

وَ لِکُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا

(۱)

فحظ کل واحد من صلاته بقدر خوفه و خشوعه و تعظیمه.فان موضع

ص: ۳۳۰

۱- ۱) الأنعام،الآیه:۱۳۲.الأحقاف،الآیه:۱۹.

نظر اللّه القلوب،دون ظاهر الحركات.و لذا قال بعض الصحابه:

«يحشر الناس يوم القيامه على مثال هيئتهم فى الصلاه،من الطمأنينه و الهدوء، و من وجود النعم و اللذه و البهجه بها»،فالملحوظ حال القلب لا حال الشخص.

و لذا قيل:«من صفات القلوب تصاغ الصور فى دار الآخره،و لا ينجو:

إِلاّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

(۱)

.

تنبيه (دفع اشكال)

إن قيل:المستفاد من الظواهر المذكوره،أن صلاه الغافل ليست مقبوله إلا بقدر ما أقبل عليه منها،و الفقهاء لم يشترطوا إلا حضور القلب عند النيه و التكبير،فكيف التوفيق؟ قلنا:فرق بين القبول و الاجزاء،فان المقبول من العباده ما يقرب العبد إلى اللّه،و يترتب عليه الثواب فى الآخره،و المجزى منها ما يسقط التكليف عن العبد،و ان لم يترتب عليه ثواب و لم يقربه إلى اللّه.و الناس مختلفون فى تحمل التكليف،فان التكليف إنما هو بقدر الوسع و الطاقه، فلا يمكن أن يكلف الجميع باحضار القلب فى جميع الصلاه،إذ لا يقدر على ذلك إلا الأقلون.و إذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضروره،فلا مرد له إلا أن يشترط ما ينطلق عليه الاسم،و لو فى اللحظه الواحده،و أولى اللحظات به لحظه التكبير و التوجه،فاقتصر على التكليف بذلك.و نحن -مع ذلك-نرجوا ألا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكليه،فانه على الجمله أقدم على الفعل ظاهرا،و احضر القلب

۱- ۱) الشعراء،الآيه:۸۹.

لحظه،و کیف لا و الذی صلی مع الحدث ناسیا صلاته باطله عند اللّه،و لکن له أجر ما بحسب فعله و علی قدر قصوره و عذره؟و الحاصل:ان الإقبال و الحضور هو روح الصلاه،و ان أقل ما یبقی به الروح الحضور عند التکبیر،فالنقصان منه هلاک،و بقدر الزیاده علیه تنبسط الروح فی اجزاء الصلاه،و کم من حی لا حراک فیه قریب من المیت،فصلاه الغافل فی جمیعها،إلا عند التکبیر،حی لا حراک فیه.

فصل (شرائط الصلاه)

اعلم أن للمعانی الباطنه المذکوره اسبابا لا تتحقق بدونها.

أما حضور القلب:فسببه الاهتمام.

فان قلت:کل أحد تابع لهمه،فلا یحضر إلا فیما یهمه،و مهما أهمه أمر حضر فیه قلبه،شاء أو لم یشأ،فهو مجبول علیه مسخر فیه،و القلب اذا لم یحضر فی الصلاه لم یکن متعطلا،بل کان حاضرا فیما یهمه من أمور الدنیا.فلا حیله و لا علاج لاحضار القلب فی الصلاه إلا بصرف الهمه الیها،و الهمه لا تنصرف إلیها ما لم یتیقن أن الآخره خیر و أبقی،و ان الصلاه وسیله إلیها.و إذا أضیف إلی هذا العلم بحقاره الدنیا و مهانتها، حصل من مجموع ذلک حضور القلب فی الصلاه.و لکون الباعث و السبب لاحضار القلب فی أمر إنما هو الاهتمام و الاعتناء بشأنه،تری قلبک یحضر اذا حضرت بین یدی ملک من ملوک الدنیا،بل بین یدی بعض الأکابر ممن لا یقدر علی نفعک و ضرک.فإذا کان لا یحضر قلبک عند المناجاه مع ملک الملوک الذی بیده الملک و الملکوت و النفع و الضر،فلا تظنن أن له سببا سوی ضعف الایمان و الیقین.فینبغی حینئذ السعی فی تقویه الیقین و الایمان.

و أما التفهم:فسببه-بعد حضور القلب-ادمان الفكر،و صرف الذهن إلى ادراك المعنى.و علاجه ما هو علاج إحضار القلب،مع الإقبال على الفكر،و التشمر لرفع الخواطر الشاغله بقطع موادها،أعنى النزوع على الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها.و ما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر.فان من أحب شيئا أو بغض شيئا أو خاف من شىء،أكثر ذكره.فذكر المحبوب و المبغوض و المخوف يهجم على القلب بالضروره.

و لذا ترى أن من أحب غير اللّه أو كان قلبه مشغولا بعداوه أحد أو بالخوف عنه،لا تصفو له صلاه عن الخواطر.

و أما التعظيم:فهو حاله للقلب يتولد من معرفتين:إحداهما:

معرفه جلال اللّه و عظمته،فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه،و هذه المعرفه من أصول الايمان.الثانيه:معرفه حقاره النفس و خستها و ذلتها،و كونها عبدا مسخرا مربوبا لا يقدر شيئا من النفع و الضر.و تتولد من المعرفتين:الاستكانه و الانكسار و الخشوع للّه،فيعبر عنه بالتعظيم،و ما لم تمتزج معرفه حقاره النفس بمعرفه جلال الرب لا تنتظم حاله التعظيم و الخشوع،فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه، يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمه و الجلال،و نعوت القدره و الكمال، و لا يكون خاشعا معظما له،لأن معرفه حاجه النفس و حقارتها لم تقترن إليه.

و اما الهيبه و الخوف:فحاله للنفس تتولد من المعرفه بقدره اللّه -تعالى-و سطوته و نفوذ مشيته فيه،مع قله المبالاه به،و انه لو أهلك الأولين و الآخرين لم تنقص من ملكه ذره،مع تذكر ما جرى على الأنبياء و الأولياء من المصائب و أنواع البلاء مع القدره على الدفع.و كلما زاد العلم باللّه و بصفاته و أفعاله زادت الخشيه و الهيبه.

و اما الرجاء:فسببه معرفه لطف اللّه-تعالی-و کرمه و عمیم انعامه و لطائف صنعه،و معرفه صدقه فی وعده الجنه بالصلاه.فإذا حصل الیقین بوعده و المعرفه بلطفه،انبعث منها الرجاء.

و اما الحیاء:فسببه استشعار التقصیر فی العباده،و علمه بالعجز عن القیام بعظیم حق اللّه،و یقوی ذلک بمعرفه عیوب النفس و آفاتها و قله اخلاصها و خبث باطنها،و میلها إلی الحظ العاجل فی جمیع افعالها،مع العلم بجمیع ما یقتضیه جلال اللّه و عظمته،و العلم بأنه مطلع علی السرائر و خطرات القلب،و ان دقت و خفیت.و هذه المعارف إذا حصلت یقینا، انبعثت منها-بالضروره-حاله تسمی بالحیاء.

فصل (طریق تحصیل المعانی الباطنه)

اعلم ان العلاج فی تحصیل المعانی الباطنه المذکوره،اعنی الحضور و التفهم و التعظیم و الهیبه و الرجاء و الحیاء،هو تحصیل أسباب هذه المعانی، و قد عرفت أسبابها.و طرق العلاج فی تحصیل هذه الأسباب انما یتم بأمرین:

الأول-معرفه اللّه،و معرفه جلاله و عظمته و استناد الکل إلیه، و معرفه کونه عالما بذرات العالم و بسرائر العباد.و یلزم ان تکون هذه المعرفه یقینیه،لیترتب علیها الأثر.اذ ما لم یحصل الیقین بأمر،لا یحصل التشمر فی طلبه و الهرب عنه.و هذه المعرفه هی المعبر عنها بالایمان.

و لا ریب فی کونها موجبه لحصول المعانی المذکوره و أسبابها.اذ المؤمن یکون البته حاضر القلب مع ربه عند مناجاته،و متفهما لما یسأله عنه، معظما له،و خائفا منه،و مستحییا من تقصیره.

الثانی-فراغ القلب،و خلوه من مشاغل الدنیا.فان انفکاک

المؤمن العارف،المتيقن باللّه و بجلاله و عظمته،و باطلاعه عليه من المعانى المذكوره فى صلاته،لا سبب له إلا تفرق الفكر،و تقسم الخاطر، و غيبه القلب عن المناجاه،و الغفله عن الصلاه،و لا تلهى عن الصلاه إلا الخواطر الرديه الشاغله.فالدواء فى إحضار القلب هو دفع كل تلك الخواطر و لا يدفع الشىء إلا بدفع سببه.

و سبب توارد الخواطر،إما أن يكون أمرا خارجا،او أمرا فى ذاته باطنا.

و الأول:ما يظهر للبصر،او يقرع على السمع.فان ذلك قد يختطف الهمّ حتى يتبعه و يتصرف فيه،ثم ينجر منه الفكر إلى غيره، و يتسلسل فيكون الابصار او الاستماع سببا للافتكار،ثم يصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض.و من قويت رتبته و علت همته،لم يلهه ما يجرى على حواسه.و لكن الضعيف لا بد و ان يتفرق فيه فكره.فعلاجه:

قطع هذه الأسباب،بأن يغض بصره،او يصلى فى بيت مظلم،و لا يترك بين يديه ما يشغل حسه،و يقرب من حائط عند صلاته حتى لا ـ تتسع مسافه بصره،و يتحرز من الصلاه على الشوارع،و فى المواضع المنقوشه المصبوغه،و العمارات العاليه المرتفعه.و لذلك كان المتعبدون يصلون فى بيت مظلم صغير،سعته بقدر السجود،ليكون اجمع للهم.و الاقوياء كانوا يحضرون المساجد،و يغضون البصر،و لا يتجاوزونه موضع السجود،كما ورد الامر به،و يرون كمال الصلاه فى الا يعرفوا من على يمينهم و شمالهم.

و اما الثانى:اعنى الأسباب الباطنه،فهى أشد.فان من تفرقت همومه،و تشعبت خواطره فى أوديه الدنيا،لم ينحصر فكره فى فن

واحد،بل لا یزال یطیر من جانب إلی جانب.و غض البصر لا یغنیه،فان ما وقع فی القلب من قبل کاف للشغل.فهذا علاجه:ان یرد نفسه قهرا الی فهم ما یقرؤه،و یشغلها به عن غیره،و یعینه علی ذلک ان یستعد له قبل التحریم،بان یجدد علی نفسه ذکر الآخره،و خطر المقام بین یدی.اللّه -تعالی-،و هو المطلع،و یفرغ قلبه قبل التحریم بالصلاه عما یهمه من أمر الدنیا،فلا یترک لنفسه شغلا یلتفت إلیه خاطره،فهذا طریق تسکین الأفکار.فان لم تسکن افکاره بهذا الدواء المسکن،فلا ینجیه إلا المسهل الذی یقمع ماده الداء من اعمال العروق،و هو ان ینظر فی الأمور الشاغله الصارفه له عن إحضار القلب.و لا ریب فی انها تعود إلی مهماته،و هی إنما صارت مهمه لأجل شهواته،فلیعاقب نفسه بالنزوع عن تلک الشهوات و قطع تلک العلائق.فکل ما یشغله عن صلاته فهو ضد دینه و جند ابلیس عدوه،فامساکه اضر علیه من إخراجه،فیتخلص عنه باخراجه.

و هذا هو الدواء القامع لماده العله،و لا یغنی غیره.فان ما ذکر من التلطف بالتسکین و الرد إلی فهم الذکر،إنما ینفع فی الشهوات الضعیفه،و الهم الذی لا یشغل الا حواشی القلب.و اما الشهوه القویه المرهقه،فلا ینفع معها التسکین،بل لا تزال تجاذبها و تجاذبک ثم تغلبک،و تنقضی جمیع صلاتک فی شغل المجاذبه.و مثاله مثال رجل تحت شجره أراد ان یصفو له فکره،و کانت اصوات العصافیر تشوش علیه،فلم یزل یطیرها بخشبه هی فی یده و یعود إلی فکره،فتعود العصافیر،فیعود إلی السفیر بالخشبه، فقیل له:إن هذا سیر الوانی و لا یتقطع،فان أردت الخلاص فاقطع الشجره.فکذلک شجره الشهوه،إذا استعملت و تفرعت اغصانها، انجذبت إلیها الافکار انجذاب العصافیر إلی الأشجار،و انجذاب الذباب إلی

الاقـذار،و الشـغل يطول فى دفعها.فان الـذباب كلما ذب آب،و لاجله سـمى ذبابا،و كـذلك الخواطر.و هذه الشـهوات كثيره قلما يخلو العبـد منهـا، و يجمعهـا أصل واحـد،و هو حب الـدنيا،و ذلك رأس كل خطيئه، و أساس كل نقصان،و منبع كل فساد.و من انطوى بـاطنه على حب الـدنيا حتى مـال إلى شـىء منها لا يتزود منها و يسـتعين بها على الآخره،فلا يطمعن فى ان تصـفو له لـذه المناجاه فى الصـلاه.فان من فرح بالدنيا فلا يفرح باللّه و بمناجاته،و همه الرجل مع قره عينه،فان كانت قره عينه فى الدنيا انصرف همه لاـ محـاله إليهـا.و لكن-مع هـذا-لاـ ينبغى ان تترک المجاهـده، ورد القلب إلى الصـلاه،و تقليل الأسـباب الشاغله،فهـذا هو الـدواء،و لمرارته استبشـعته الطباع،و بقيت العله مزمنه،و صار الـداء عضالا.حتى ان الأكابر اجتهدوا ان يصـلوا ركعتين لا يحدثون أنفسـهم فيهما بأمور الـدنيا، فعجزوا عنه.فإذا لا مطمع فيه لامثالنا،و يا ليت سـلم لنا من الصـلاه ثلثها او ربعها من الوساوس،لنكون ممن خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا.

و على الجمله:فهمه الـدنيا و همه الآـخره فى القلب مثل الماء الـذى يصب فى قـدح فيه خل،فبقـدر ما يـدخل فيه الماء يخرج منه الخل لا محاله،و لا يجتمعان.ثم جميع ما ذكر إنما هو فى الخواطر المتعلقه بالأمور المهمه من الـدنيا،حتى إذا خرجت هذه الأمور من القلب،خرجت منه هـذه الخواطر أيضـا.و قـد تكون الخواطر من مجرد الوساوس الباطنه و الخيالات الفاسـده، من دون تعلقها بشغل و عمل دنيوى يكون لها،و من دون اختيار للعبد فى خطورها و عدم خطورها.و الامر فيها اصعب،و ان كان لقلع حب الدنيا و شـهواتها عن القلب مدخليه عظيمه فى زوالها أيضا،إذ ماده هذه الوساوس أيضا،إما حب المال و حب الجاه،او حب غيرهما من الأمور الشهويه الدنيويه.و قد تقدم

تفصیل القول فیها و فی طریق علاجها فی بحث الوساوس.

فصل (اسرار الصلاه)

فی تحصیل کل واحد من شروط الصلاه و افعالها و ارکانها أسرار و تنبیهات،فینبغی للمؤمن المرید للآخره الاّ یغفل عنها،فها هی نذکرها:

اما الاذان:فإذا سمعت نداء المؤذن،فأخطر فی قلبک هول النداء یوم القیامه،و تشمر بباطنک و ظاهرک للاجابه و المسارعه،فان المسارعین الی هذا النداء هم الذین ینادون باللطف یوم العرض الاکبر،فأعرض قلبک علی هذا النداء،فان وجدته مملوا بالفرح و الاستبشار،مشحونا بالرغبه إلی الابتدار،فاعلم انه یأتیک النداء بالبشری و الفوز یوم القضاء، و لذلک قال سید الأنبیاء:«ارحنا یا بلال!»،أی:ارحنا بها و بالنداء الیها،إذ کانت قره عینه فیها.و اعتبر بفصول الاذان و کلماته کیف افتتحت باللّه و اختتمت باللّه،و اعتبر بذلک ان اللّه جل جلاله هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن،و وطن قلبک بتعظیمه عند سماع التکبیر،و استحقر الدنیا و ما فیها لئلا تکون کاذبا فی تکبیرک،و انف عن خاطرک کل معبود سواه بسماع التهلیل.و احضر النبی(ص)،و تأدب بین یدیه،و اشهد له بالرساله مخلصا،و صل علیه و آله،و حرک نفسک،واسع بقلبک و قالبک عند الدعاء إلی الصلاه،و ما یوجب الفلاح،و ما هو خیر الاعمال و افضلها،و جدد عهدک بعد ذلک بتکبیر اللّه و تعظیمه،و اختمه بذلک کما افتتحت به.و اجعل مبدءک منه،و عودک إلیه،و قوامک به،و اعتمادک علی حوله و قوته.فانه لا حول و لا قوه الا باللّه العلی العظیم.

فصل (الوقت)

و إذا دخل الوقت،استحضر أنه ميقات جعله اللّه لک،لتقوم فيه بخدمته،و تتأمل للمثول فی حضرته،و الفوز بطاعته،و ليظهر على قلبک السرور،و على وجهک البهجه عند دخوله،لكونه سببا لقربک و وسيله الى فوزك.فاستعد له بالطهاره و النظافه،و لبس الثياب الصالحه للمناجاه كما تتأهب عند القدوم على ملک من ملوک الدنيا،و تلقاه بالسكينه و الوقار، و الخوف و الرجاء،و استحضر عظمه اللّه و جلاله،و عدم تناهی قدرته و كماله،و نقصان قدرک و مرتبتک،و عدم قابليتک للقيام بخدمته،و قصورک عن أداء وظائف طاعته.

فصل (آداب الصلاه)

اذا اتيت بالطهاره فی مكانک،و هو ظرفک الا بعد،ثم فی ثيابک، و هو غلافک الاقرب،ثم فی بشرتک،و هی قشرک الادنی،فلا تغفل عن لبک و ذاتک،و هو قلبک،فطهره بالتوبه و الندم على ما فرط،و تصميم العزم على الترک فی المستقبل،فطهر بها باطنک،فانه موضع نظر ربک.

ثم إذا سترت مقابح بدنک عن ابصار الخلق باللباس،فاخطر ببالک فضائح سرک التی لا يطلع عليها إلا ربک،و طالب نفسک بسترها،و تحقق أنه لا- يستر عن عين اللّه ساتر،و إنما يكفرها الخوف و الندم و الحياء،فتستفيد بإظهارها فی قلبک انبعاث جنود الخوف و الندم و الحياء من مكامنها،فتذل به نفسک،و يستكين تحت الخجله قلبک،و تقوم بين يدی اللّه-تعالی-

قیام العبد المجرم المسیء الآبق،الذی ندم فرجع إلی مولاه،ناکسا رأسه من الخوف و الحیاء.قال الصادق(ع):«أزین اللباس للمؤمن لباس التقوی،و انعمعه الایمان،قال اللّه-تعالی-:

وَ لِبٰاسُ التَّقْویٰ ذٰلِکَ خَیْرٌ

(۱)

و أما اللباس الظاهر،فنعمه من اللّه-تعالی-تستر بها عورات بنی آدم،و هی کرامه أکرم اللّه بها ذریه آدم ما لم یکرم بها غیرهم،و هی للمؤمنین آله لاداء ما افترض اللّه علیهم.و خیر لباسک ما لا یشغلک عن اللّه-عز و جل-،بل یقربک من ذکره و شکره و طاعته،و لا یحملک علی العجب و الریاء و التزین و التفاخر و الخیلاء،فانها من آفات الدین، و مورثه للقسوه فی القلب.فإذا لبست ثوبک،فاذکر ستر اللّه علیک ذنوبک برحمته،و البس باطنک بالصدق کما البست ظاهرک بثوبک،و لیکن باطنک من الصدق فی ستر الهیبه،و ظاهرک فی ستر الطاعه.و اعتبر بفضل اللّه-عز و جل-،حیث خلق أسباب اللباس لیستر بها العورات الظاهره،و فتح أبواب التوبه و الإنابه و الاغاثه لیستر بها عورات الباطن من الذنوب و أخلاق السوء.و لا تفضح أحدا حیث ستر اللّه علیک ما أعظم منه.و اشتغل بعیب نفسک و اصفح عما لا یعنیک حاله و امره.

و احذر أن یفنی عمرک بعمل غیرک،و یتجر برأس مالک غیرک،و تهلک نفسک،فان نسیان الذنوب من أعظم عقوبه اللّه فی العاجل،و اوفر أسباب العقوبه فی الآجل.و ما دام العبد مشتغلا بطاعه اللّه-تعالی-، و معرفه عیوب نفسه،و ترک ما یشین فی دین اللّه-عز و جل-،فهو بمعزل عن الآفات،خائض فی بحر رحمه اللّه-عز و جل-،یفوز بجواهر

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۲۵.

الفوائد من الحکمه و البیان.و ما دام ناسیا لذنوبه،جاهلا بعیوبه، راجعا إلی حوله و قوته،لا یفلح إذا أبدا» (۱).

فصل (آداب المصلی)

إذا أتیت مصلاک،فاستحضر فیه انک کأن بین یدی ملک الملوک، ترید مناجاته،و التضرع إلیه،و التماس رضاه،و نظره إلیک بعین الرحمه.

فاختر مکانا یصلح،کالمساجد الشریفه،و المشاهد المطهره،مع الإمکان، فانه-تعالی-جعل تلک المواضع محلا لاجابته،و موضع نزول فیوضاته و رحمته،علی مثال حضره الملوک،الذین یجعلونها وسیله لنیل المقاصد و المطالب.فادخلها بالسکینه و الوقار،و مراقبا للخضوع و الانکسار.

قال الصادق(ع):«إذا بلغت باب المسجد،فاعلم انک قد قصدت باب ملک عظیم،لا یطأ بساطه إلا المطهرون،و لا یؤذن لمجالسته إلا الصدیقون، فهب القدوم إلی بساط هیبه الملک،فانک علی خطر عظیم ان غفلت،فاعلم انه قادر علی ما یشاء من العدل و الفضل معک و بک.فان عطف علیک برحمته و فضله،قبل منک یسیر الطاعه،و أجزل لک علیها ثوابا کثیرا.

و إن طالبک باستحقاقه الصدق و الإخلاص عدلا بک،حجبک ورد طاعتک و ان کثرت.و هو فعال لما یرید.و اعترف بعجزک و تقصیرک و انکسارک و فقرک بین یدیه،فانک قد توجهت للعباده له،و المؤانسه به.و اعرض أسرارک علیه،و لتعلم أنه لا تخفی علیه أسرار الخلائق أجمعین و علانیتهم.

و کن کأفقر عباده بین یدیه.و اخل قلبک عن کل شاغل یحجبک عن ربک، فانه لا یقبل إلا الاطهر و الاخلص.و انظر من ای دیوان یخرج اسمک،

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۷-۱۳۷-۱۳۸.

فان ذقت حلاوه مناجاته و لذيذ مخاطباته،و شربت بكأس رحمته و كراماته من حسن إقباله عليك و اجابته،فقد صلحت لخدمته،فادخل فلك الاذن و الأمان،و إلا فقف وقوف من قد انقطع عنه الحيل،و قصر عنه الأمل،و قضى عليه الأجل.فان علم اللّه-عز و جل-من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفه و الرحمه و العطف،و وفقك لما تحب و ترضى،فانه كريم يحب الكرامه لعباده المضطرين إليه،المقيمين على بابه لطلب مرضاته.قال اللّه-تعالى-:

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ

(۱)

(۲)

.

فصل (الاستقبال)

و اما الاستقبال،فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهه بيت اللّه.و هذا إشاره إلى انه ينبغى ان يصرف وجه القلب عن سائر الأشياء الى اللّه،فان الاعمال الظاهره تحريكات للبواطن على ما يناسبها،فضبط الجوارح و تسكينها بالإثبات فى جهه واحده لأجل الا تبقى على القلب، لانها إذا توجهت إلى جهات متعدده يتبعها القلب فى التوجه إلى أشياء متعدده،فأمر اللّه بصرفها إلى شطر بيته،ليتذكر القلب صاحبه، و يتوجه إليه،و يثبت على ذلك كما تثبت الأعضاء على جهه واحده. قال رسول اللّه(ص):«إن اللّه-تعالى-مقبل على المصلى ما لم يلتفت»،و هذا

۱- ۱) النمل،الآيه:۶۲.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۲-۱۴۰-۱۴۱.

الالتفات يشمل التفات القلب أيضا،فكما يجب حراسه الرأس و العين عن الالتفات إلى الجهات،فكذلك يجب حراسه السر عن الالتفات إلى غير اللّه و غير الصلاه،فان التفت إلى غير اللّه و غير الصلاه،فذكره باطلاع اللّه عليه، و قبح غفله المناجى عمن يناجيه و عما يقول له حين المناجاه،لا سيما إذا كان من يناجيه ملك الملوك.و الزم قلبك الخشوع،فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا و باطنا ثمره الخشوع،و مهما خشع الباطن خشع الظاهر،و لذا قال رسول اللّه(ص)-و قد راى مصليا يعبث بلحيته-:«اما هذا،لو خشع قلبه لخشعت جوارحه،فان الرعيه بحكم الراعى».و فى الدعاء:«اللهم اصلح الراعى و الرعيه»،و هو القلب و الجوارح.

و بالجمله:ينبغى لكل مؤمن صرف وجهه إلى بيت اللّه للصلاه،أن يصرف وجه قلبه إلى صاحب البيت،و كما لا يتوجه الوجه إلى جهه البيت إلا بالصرف عن غيرها،فكذلك لا ينصرف وجه القلب إلى اللّه إلا بالتفرغ عما سوى اللّه،و قد قال رسول اللّه(ص):«إذا قام العبد إلى صلاته،و كان هواه و قلبه إلى اللّه،انصرف كيوم ولدته أمه».و قال(ص):

«أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاه أن يحول اللّه وجهه وجه حمار؟!» قيل:هذا نهى عن الالتفات عن اللّه،و ملاحظه عظمته فى حال الصلاه، فان الملتفت يمينا و شمالا غافل عن اللّه و عن مطالعه أنوار كبريائه،و من كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفله عليه،فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار فى قله عقله للأمور العلويه و عدم فهمه للمعارف. و قال الصادق(ع):«إذا استقبلت القبله،فآيس من الدنيا و ما فيها،و الخلق و ما هم فيه،و استفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن اللّه-تعالى-،و عاين بسرك عظمه اللّه -عز و جل-،و اذكر وقوفك بين يديه،قال اللّه-تعالى-:

هُنٰالِکَ تَبْلُوا کُلُّ نَفْسٍ مٰا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللّٰهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ

(۱)

.

وقف على قدم الخوف و الرجاء» (۲).

فصل (القیام)

و أما القیام،فهو مثول بالشخص و القلب بین یدی اللّه-سبحانه-.

فلیکن رأسک الذی هو أرفع اعضائک مطرقا مطأطأ متنکسا،تنبیها للقلب على لزوم التواضع و التذلل و الانکسار،و التبری عن التکبر و الترؤس.

و ینبغی أن تتذکر هاهنا خطر المقام بین یدی اللّه فی هول المطلع عند التعرض للسؤال،و تذکر فی الحال أنک قائم بین یدی اللّه و هو مطلع علیک،فلیکن قیامک بین یدیه على ما یلیق بعظمته و جلاله،و إن کنت تعجز عن معرفه کنه جلاله،فلا تجعل مالک الملک و الملکوت أنزل من بعض ملوک عصرک،فقم بین یدیه قیامک بین یدی ملک زمانک،بل قدر فی دوام قیامک فی صلاتک أنک ملحوظ بعین کالئه من رجل صالح من أهلک،أو ممن ترغب أن یعرفک بالصلاح،فانه تهد عند ذلک أطرافک،و تخشع جوارحک،و یسکن جمیع أجزائک،خیفه أن ینسبک ذلک العاجز المسکین إلى قله الخشوع.

و بالجمله:الخضوع و الخشوع و الاستحیاء و الانفعال،یقتضیها الطبع بین یدی من یعظم من أبناء الدنیا،فکیف لا یقتضیها بین یدی ملک الملوک عند من یعرفه؟فمن یکون بین یدی غیر اللّه خاشعا،و لا یکون بین یدی اللّه

۱- ۱) یونس،الآیه:۳۰.

۲- ۲) صححنا الحدیث على(مصباح الشریعه):الباب ۱۳-۱۴۱.

كذلك،فذلك لقصور معرفته عن جلال اللّه و عن اطلاعه على سره و ضميره، و عدم تدبره فى قوله-تعالى-:

اَلَّذِی یَرٰاکَ حِینَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّٰاجِدِینَ

(۱)

فتبا لمن یدعی معرفه اللّه و العلم بعظمته و جلاله و حبه و الخشیه منه، و مع ذلک یستحیی من أحد عبیده المساکین الذی لا یقدر على نفع و لا ضر، و لا یستحیی من اللّه،و یخشى الناس و لا یخشاه!

فصل (التکبیرات)

و أما التوجه بالتکبیرات،فینبغی أن تستحضر عندک عظمه اللّه و جلاله،و صغر نفسک و ذلتها فی جنب عظمته،و قصورک عن القیام بوظائف خدمته.و إذا قلت:(اللهم إنک أنت الملک الحق)،فتذکر عظیم ملکه،و عموم قدرته،و استیلاءه على جمیع العوالم،ثم ارجع على نفسک بالذل و الانکسار.و إذا قلت:(لبیک و سعدیک!و الخیر فی یدیک،و الشر لیس إلیک)،مثل نفسک بین یدیه،و تیقن أنه أقرب منک من نفسک،و یسمع نداءک،و یجیب دعاءک،و أن خیر الدنیا و الآخره بیده لا بید غیره،و أنه خیر محض منزه عن الشر.و إذا قلت:

(عبدک و ابن عبدیک،منک و بک و لک و إلیک)،فقد اعترفت له بالعبودیه،و بأنه ربک و خالقک و مالکک،و موجدک و مخترعک،و أنت اثره و فعله،و منه وجودک،و به قوامک،و له ملکک،و إلیه معادک، فأنت منه،فلا یترکک و یرحمک،فألق نفسک الضعیفه العاجزه بین

۱- ۱) الشعراء،الآیه:۲۱۸-۲۱۹.

يديه،و وكل أمورك فى الدنيا و الآخره إليه،و لا تعتمد فى مقاصدك إلا عليه،فاحضر فى ذهنك فى هذه الفقرات و غيرها من الكلمات التى ينطق بها لسانك أمثال هذه الحقائق،و ترق منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار و الدقائق،و احفظ نفسك عن الوقوع فى أوديه الوساوس و الهوى، فتلقى الفيض من العالم الأعلى.

فصل (النيه)

و أما النيه،فحقيقتها القصد إلى الفعل،امتثالا لأمر اللّه،و طلبا لتقربه،و رجاء لثوابه،و خوفا من عقابه.فينبغى أن تجتهد فى خلوصها ألا يشوبها غرض دنيوى فتفسد،و حقيقه الإخلاص و ما يتعلق بها قد تقدمت مفصله فى محلها.و ينبغى أن تتذكر هاهنا عظيم لطفه و منته عليك، حيث أذنك فى المناجاه مع سوء أدبك و كثره جناياتك،و عظم فى نفسك قدر مناجاته.و انظر من تناجى،و كيف تناجى،و بما ذا تناجى.و عند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجله،و ترتعد فرائصك من الهيبه،و يصفر وجهك من الخوف و الخشيه.

فصل (تكبيره الإحرام)

و إذا كبرت تكبيره الإحرام،تذكر ان معناها:انه-تعالى-أكبر من ان يوصف،او أكبر من كل شىء،أو أكبر من أن يدرك بالحواس، أو يقاس بالناس.فانتقل منه إلى غايه عظمته و جلاله،و استناد ما سواه اليه،بالايجاد و الاختراع و الاخراج من كتم العدم.و ينبغى ان تكون

على يقين بذلك،حتى لا يكذب لسانك قلبك،فان كان في قلبك شيء هو أكبر من اللّه-تعالى-عندك،فاللّه يشهد أنك كاذب،و ان كان الكلام صدقا،كما شهد على المنافقين في قولهم:إن النبي رسول اللّه.و إن كان هواك اغلب عليك من امر اللّه-تعالى-،و أنت اطوع له منك للّه و لأمره،فقد اتخذته إلهك و كبرته،فيوشك ان يكون قولك(اللّه أكبر) كلاما باللسان المجرد،و قد تخلف القلب عن مساعدته،و ما أعظم الخطر في ذلك،لو لا التوبه و الاستغفار و حسن الظن بكرمه-تعالى-و عفوه. قال الصادق(ع):«فإذا كبرت،فاستصغر ما بين السماوات العلى و الثرى دون كبريائه،فان اللّه-تعالى-اذا اطلع على قلب العبد و هو يكبر،و في قلبه عارض عن حقيقه تكبيره،قال:يا كذاب أ تخدعني؟!و عزتي و جلالي! لأحرمنك حلاوه ذكرى،و لأحجبنك عن قربي و المسره بمناجاتي!» (۱).

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك،فان كنت تجد حلاوتها و في نفسك سرورها و بهجتها،و قلبك مسرور بمناجاته،و ملتذ بمخاطباته،فاعلم انه -تعالى-قد صدقك في تكبيرك،و ان سلبت لذه المناجاه،و حرمت حلاوه العباده،فاعلم أنه تعالى كذبك في تكبيرك،و طردك عن بابه، و أبعدك عن جنابه،فابك على نفسك بكاء الثكلى،و بادر إلى العلاج قبل ان تدركك الحسره العظمى.

فصل (دعاء الاستفتاح)

و اما دعاء الاستفتاح،فأول كلماته:(وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض)،و معلوم أن المراد بالوجه هنا هو وجه القلب دون

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۳-۱۴۱.

الوجه الظاهر،لأن اللّه سبحانه منزه عن الامكنه و الجهات حتی توجه الیه الوجه الظاهر.فأنت تدعی فی هذا الکلام ان قلبک متوجه إلی فاطر السماوات و الأرض،فإیاک ان یکون اول مفاتحتک للمناجاه بالکذب و الاختلاق،إذ لو کان قلبک متوجها إلی امانیه،و همه فی البیت و السوق، او واقعا فی أودیه الوساوس،او کان غافلا،لم یکن مقبلا علی اللّه متوجها إلیه و کنت کاذبا فی اول مخاطبتک مع ربک.فاجتهد ان ینصرف قلبک عما سواه،و تقبل علیه فی هذا الوقت،و ان عجزت عنه علی الدوام، لئلا تکون کاذبا فی اول کلامک.و إذا قلت:(حنیفا مسلما)،فاخطر ببالک أن المسلم هو الذی سلم المسلمون من یده و لسانه،فان لم تکن موصوفا بهذا الوصف کنت کاذبا،فاجتهد ان تعزم علیه فی الاستقبال،و ان تندم علی ما سبق من الأحوال.و إذا قلت.(و ما انا من المشرکین)،فاخطر ببالک الشرک الخفی،و کونه داخلا فی الشرک،لاطلاق الشرک علی القلیل و الکثیر.فلو قصدت بجزء من عبادتک غیر اللّه،من مدح الناس و طلب المنزله فی قلوبهم،کنت مشرکا کاذبا فی هذا الکلام.فانف هذا الشرک عن نفسک،و استشعر الخجله فی قلبک،بأن وصفت نفسک بوصف لیست متصفه به فی الواقع.و إذا قلت:(محیای و مماتی للّه رب العالمین)، فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه،موجود لسیده،فان عن ذاته، باق بربه،بحیث لا یری لذاته من حیث هی قدره و قوه،بل یعلم حیاته و بقاءه من اللّه-تعالی-،و لا تکون حرکاته و سکناته الا للّه تعالی.

فالقائل بهذا الکلام،اذا رأی لنفسه من حیث هی قدره واثرا،او صدر عنه فعل:من الرضا،او الغضب،او القیام،او القعود،او الرغبه فی الحیاه،او الرهبه من الموت لأمور الدنیا،کان کاذبا.

فصل (الاستعاذه)

فإذا قلت:(اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم)،ينبغى ان تعلم ان الشيطان اعدى عدوك،مترصد لصرف قلبك عن اللّه،حسدا لک على مناجاتک مع اللّه و سجودک له،مع أنه لعن و طرد عن مقام القرب بترک السجده.و ينبغى ألا تكون استعاذتک باللّه منه بمجرد القول،لتكون مثل من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله،فقال:اعوذ منک بهذا الحصن الحصين،و هو ثابت على مكانه،فان ذلک لا يفيده و لا ينفعه ما لم يتحرک و يدخل الحصن.فكذلک مجرد الاستعاذه لا ينفعه ما لم يترک ما يحب الشيطان،و ما لم يأت بما يحبه اللّه.فمن اتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان و مكاره الرحمن،لا يغنيه مجرد القول،فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن اللّه عن شر الشيطان،و حصنه(لا إله إلا اللّه)، إذ قال:«لا إله إلا اللّه حصنى،و من دخل حصنى أمن من عذابى».

و الدخول فى حصن(لا إله إلا اللّه)ليس أيضا بمجرد التكلم به،بل الاذعان القلبى و اليقين القطعى بأن كل معبود سواء باطل،و كل شىء منه و له و به و إليه،و لا مؤثر فى الوجود إلا هو.فالمحصن بالتوحيد من لا معبود له سوى اللّه،و اما من اتخذ إله هواه،فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن اللّه.و من مكائد اللعين أن يشغلک فى الصلاه بفكر الآخره،و تدبير فعل الخيرات،لتمنع من الحضور و فهم ما تقرأ،فاعلم أن كل ما يشغلک عن الإقبال إلى اللّه و عن فهم معانى القرآن و الاذكار فهو وسواس،إذ حركه اللسان غير مقصوده،بل المقصود المعانى. و إذا قلت: (بسم اللّه الرحمن الرحيم) ،فانوبه التبرک لابتدائک بقراءه كلام اللّه،و المراد بالاسم هنا

المسمی،فمعناه:أن کل الأشیاء و الأمور بالله،فیترتب علیه انحصار (الحمد للّه)،إذ المراد بالحمد الشکر،و الشکر إنما یکون علی النعم،فإذا کانت النعم باسرها من اللّه فیکون منحصرا به،فمن یری نعمه من غیر اللّه، او یقصد غیره سبحانه بشکر لا من حیث إنه مسخر من اللّه،ففی تسمیته و تحمیده نقصان بقدر التفاته إلی غیر اللّه سبحانه.و إذا قلت:(الرحمن الرحیم)،فاحضر فی قلبک أنواع لطفه،و ضروب إحسانه،لتتضح لک رحمته،فینبعث بها رجاؤک.و إذا قلت:(مالک یوم الدین)فاستشعر من قلبک التعظیم و الخوف،أما العظمه فلأنه لا ملک إلا هو،و أما الخوف فلهول یوم الجزاء و الحساب الذی هو مالکه.ثم جدد الإخلاص بقولک:(إیاک نعبد).و جدد العجز و الافتقار و التبری من الحول و القوه بقولک:(و إیاک نستعین)،و تحقق أنه ما تیسرت طاعتک إلا باعانته، و ان له المنه،إذ وفقک لطاعته،و استخدمک لعبادته،و جعلک أهلا لمناجاته، و لو حرمک التوفیق لکنت من المطرودین مع الشیطان الرجیم،و استحضر ان الإعانه لا تکون إلا منه،و لا یقدر غیره أن یعین أحدا،فاخرج عن قلبک الوسائل و الأسباب إلا من حیث إنها مسخره منه تعالی.و إذا قلت:(اهدنا الصراط المستقیم)،فاعلم انه طلب لأهم حاجاتک،و هی الهدایه إلی النهج الحق الذی یسوقک إلی جوار اللّه،و یفضی بک إلی مرضاته، و یوصلک إلی مجاوره من انعم اللّه علیهم نعمه الهدایه من الأنبیاء و الصدیقین و الشهداء و الصالحین،دون الذین غضب اللّه علیهم من الکفار و الزائفین من الیهود و النصاری و الصابئین.و إذا تلوت(الفاتحه)کذلک،فیشبه ان تکون ممن قال اللّه فیهم بما أخبر عنه النبی(ص):«قسمت الصلاه بینی و بین عبدی نصفین،نصفها لی،و نصفها لعبدی.یقول العبد:الحمد للّه رب

العالمین،فیقول اللّه-عز و جل-:حمدنی عبدی و اثنی علی.و هو معنی قوله:

سمع اللّه لمن حمده...»الی آخر الحدیث.فان لم یکن لک من صلاتک حظ سوی التذاذک بذکر اللّه فی جلاله و عظمته،فناهیک به غنیمه،فکیف ما ترجوه من ثوابه و فضله.و کذلک ینبغی ان تفهم و تخرج الحقائق مما تقرأه من السوره،فلا تغفل عن أمره و نهیه،و وعده و وعیده،و مواعظه و اخبار أنبیائه،و ذکر منته و إحسانه،فلکل واحد حق:فحق الأمر و النهی العزم،و حق الوعد الرجاء،و حق الوعید الخوف،و حق الموعظه الاتعاظ و حق اخبار الأنبیاء الاعتبار،و حق ذکر المنه الشکر،و تکون هذه المعانی بحسب درجات الفهم،و یکون الفهم علی حسب العلم و صفاء القلب، و درجات ذلک لا تنحصر.و الصلاه مفتاح القلوب،فیها تنکشف أسرار الکلمات.فهذا حق القرائه،و هو أیضا حق الأذکار و التسبیحات.و اعلم ان الناس فی القراءه ثلاثه:بعضهم یتحرک لسانه و قلبه غافل.و بعضهم یتحرک لسانه و قلبه یتبع اللسان،فیسمع و یفهم منه کأنه یسمعه من غیره، و هو درجه أصحاب الیمین.و بعضهم یسبق قلبه إلی المعانی او لا،ثم یخدم اللسان قلبه فیترجمه،و فرق بین أن یکون اللسان ترجمان القلب أو یکون معلم القلب،و المقربون السنتهم ترجمان تتبع القلب.ثم ینبغی ان تراعی الهیئه فی القراءه،فترتل،و لا تسرد و لا تعجل،فان ذلک أیسر للتأمل، و تفرق بین نغماته فی آیه الرحمه و العذاب،و الوعد و الوعید،و التمجید و التعظیم،کان بعضهم إذا مر بمثل قوله:

مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مٰا کٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ

(۱)

.

یغض صوته،کالمستحیی عن ان یذکره بکل شیء.و روی:«انه

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۹۲.

یقال یوم القیامه لصاحب القرآن:اقرأ و ارق،فکلما قرأ آیه صعد درجه».

فصل (الرکوع)

و اما الرکوع،فینبغی ان تجدد عنده ذکر کبریاء اللّه،و ترفع بذلک معظما له منبها علی غایه عظمته و ارتفاعه،و کونه ارفع من ان تصل إلیه ایدی العقول و الاوهام،و مستجیرا بعفوه من عقابه،و تستأنف بهویک للرکوع ذلا و تواضعا،و تجتهد فی ترقیق قلبک و تجدید خشوعک، و تستشعر ذلک و عزه،و ضعفک و قوته،و عجزک و قدرته،و اتضاعک و علوه،و تستعین علی تقریر ذلک فی قلبک بلسانک،فتسبحه و تشهد له بالعظمه،و انه أعظم من کل عظیم،و تکرر ذلک علی قلبک لتترسخ فیه عظمته و جلاله،ثم ترفع عن رکوعک راجیا انه راحم ذلک،و تؤکد الرجاء فی نفسک بقولک:(سمع اللّه لمن حمده)أی:أجاب اللّه لمن شکره، و تتبع ذلک بالشکر المتقاضی للمزید،فتقول:(الحمد للّه رب العالمین)،ثم تزید فی التذلل و الخشوع و تعظیم ربک و اجلاله،فتقول:(أهل الکبریاء و العظمه و الجود و الجبروت)، روی(الصدوق)-رضوان اللّه علیه- عن أمیر المؤمنین(ع):«انه سئل عن معنی مد العنق فی الرکوع،فقال(ع):

تأویله:آمنت بک و لو ضربت عنقی».و قال الصادق(ع):«لا یرکع عبد للّه رکوعا علی الحقیقه،إلا زینه اللّه بنور بهائه،و اظله فی ظل کبریائه،و کساه کسوه اصفیائه.و الرکوع اول،و السجود ثان.فمن أتی بمعنی الأول صلح للثانی.و فی الرکوع أدب،و فی السجود قرب،و من لا یحسن الادب لا یصلح للقرب.فارکع رکوع خاشع للّه عز و جل بقلبه،متذلل و جل

تحت سلطانه،خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائده الراكعين» (۱).و حکی:«أن ربیع بن خثیم،کان یسهر باللیل إلی الفجر فی رکعه واحده،فإذا أصبح،تزفر و قال:آه!سبق المخلصون و قطع بنا».و استوف رکوعک باستواء ظهرک،و انحط عن همتک فی القیام بخدمته إلا بتأییده و عونه،و فر بقلبک من وساوس الشیطان و خدائعه و مکائده،فان الله یرفع عباده بقدر تواضعهم له،و یهدیهم إلی أصول التواضع و الخضوع و الخشوع بقدر اطلاع عظمته علی سرائرهم.

فصل (السجود)

و إذا هویت إلی السجود،جدد علی قلبک غایه الذل و العجز و الانکسار،إذ السجود أعلی درجات الاستکانه،فمکن أعز أعضائک، و هو الوجه،لأذل الأشیاء،و هو التراب،و لا تجعل بینهما حاجزا،بل اسجد علی الأرض،لأنه أجلب للخضوع،و أدل علی الذل.فإذا وضعت نفسک موضع الذل،و القیتها علی التراب،فاعلم أنک وضعتها موضعها، ورددت الفرع إلی أصله،فانک من التراب خلقت،و إلیه رددت.فعند هذا جدد علی قلبک عظمه اللّه،و قل:(سبحان ربی الأعلی و بحمده)، و اکده بالتکرار،إذ المره الواحده ضعیفه الآثار،فان رق قلبک، و طهر لبک،فلیصدق رجاؤک فی رحمه ربک،فان رحمته تتسارع إلی موضع الذل و الضعف،لا إلی محل التکبر و البطر.فارفع رأسک مکبرا

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی الباب ۱۵ من(مصباح الشریعه).و علی(بحار الأنوار):۱۸-۳۵۶،باب الرکوع و آدابه من کتاب الصلاه.و علی(المستدرک): ۱-۳۲۵،باب نوادر ما یتعلق بالرکوع من کتاب الصلاه أیضا.

و مستغفرا من ذنوبک،و سائلا حاجتک،ثم اکد التواضع بالتکرار، و عد إلی السجود ثانیا کذلک. و سئل مولانا أمیر المؤمنین(ع)عن معنی السجده الأولی،قال:«تأویلها:اللهم إنک منها خلقتنا»:یعنی من الأرض،و تأویل رفع رأسک:«و منها أخرجتنا»،و السجده الثانیه:

«و إلیها تعیدنا»،و رفع رأسک:«و منها تخرجنا تاره أخری». و قال مولانا الصادق(ع):«ما خسر و اللّه-تعالی-قط من أتی بحقیقه السجود و لو کان فی العمر مره واحده،و ما افلح من خلا بربه فی مثل ذلک الحال شبیها بمخادع نفسه،غافل لاه عما اعد اللّه تعالی للساجدین من انس العاجل و راحه الآجل،و لا بعد عن اللّه تعالی أبدا من أحسن تقربه فی السجود،و لا قرب إلیه ابدا من أساء ادبه و ضیع حرمته بتعلیق قلبه بسواه فی حال سجوده.فاسجد سجود متواضع للّه ذلیل،علم انه خلق من تراب یطأه الخلق،و انه ربک من نطفه یستقذرها کل أحد،و کون و لم یکن،و قد جعل اللّه معنی السجود سبب التقرب إلیه بالقلب و السر و الروح،فمن قرب منه بعد من غیره،الا تری فی الظاهر انه لا یستوی حال السجود الا بالتواری عن جمیع الأشیاء،و الاحتجاب عن کل ما تراه العیون؟کذلک أراد اللّه تعالی امر الباطن.فمن کان قلبه متعلقا فی صلاته بشیء دون اللّه تعالی،فهو قریب من ذلک الشیء،بعید عن حقیقه ما اراد اللّه منه فی صلاته.قال اللّه تعالی:«ما جعل اللّه لرجل من قلبین فی جوفه».و قال رسول اللّه(ص):«قال اللّه عز و جل:ما اطلع علی قلب عبد فاعلم فیه حب الإخلاص لطاعتی لوجهی و ابتغاء مرضاتی،إلا تولیت تقویمه و سیاسته،و من اشتغل فی صلاته بغیری فهو من المستهزئین بنفسه،

ص:۳۵۴

و اسمه مکتوب فی دیوان الخاسرین» (۱).

فصل (التشهد)

إذا جلست للتشهد-بعد هذه الافعال الدقیقه و الاسرار العمیقه،المشتمله علی الاخطار الجسمیه-فاستشعر الخوف التام و الرهبه و الوجل و الحیاء، ان یکون جمیع ما سلف منک غیر واقع علی وجهه،و لا محصلا بوظائفه و شرائطه و لا مکتوبا فی دیوان القبول.فاجعل یدک صفرا من فوائدها، و ارجع إلی مبدأ الامر،و أصل الدین،اعنی کلمه التوحید و حصن اللّه الذی من دخله کان آمنا،فاستمسک به ان لم تکن لک وسیله غیره،فاشهد لربک بالوحدانیه،و احضر رسوله الکریم و نبیه العظیم ببالک،و اشهد له بالعبودیه و الرساله،و صل علیه و علی آله،مجددا عهد اللّه باعاده کلمتی الشهاده،متعرضا بهما لتأسیس مراتب العباده،فانهما اول الوسائل و أساس الفواضل،و متوسلا إلی رسول اللّه بالصلاه علیه،مترقبا بذلک عشرا من صلاته(ص)علیک-کما ورد فی الخبر-،و لو وصل الیک منها واحده افلحت ابدا. قال الصادق(ع):«التشهد ثناء علی اللّه.

فکن عبدا له فی السر خاضعا له فی الفعل،کما انک عبد له فی القول و الدعوی.و صل صدق لسانک بصفاء صدق سرک،فانه خلقک عبدا، و أمرک ان تعبده بقلبک و لسانک و جوارحک،و أن تحقق عبودیتک له و ربوبیته لک،و تعلم ان نواصی الخلق بیده،فلیس لهم نفس و لا لحظه إلا بقدرته و مشیته،و هم عاجزون عن اتیان أقل شیء فی مملکته إلا باذنه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی:الباب ۱۶ من(مصباح الشریعه).و علی (بحار الأنوار):۱۸-۳۶۳،باب السجود و آدابه.

و إرادته.قال اللّه عز و جل:

وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ یَخْتارُ ما کانَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ سُبْحانَ اللّهِ وَ تَعالی عَمّا یُشْرِکُونَ

(۱)

.

فکن للّه عبدا شاکرا بالقول و الدعوی،و صل صدق لسانک بصفاء سرک،فانه خلقک فعز و جل أن تکون إراده و مشیه لأحد إلا بسابق إرادته و مشیته،فاستعمل العبودیه فی الرضا بحکمته،و بالعباده فی أداء أوامره،و قد أمرک بالصلاه علی حبیبه محمد(ص)،فاوصل صلاته بصلاته، و طاعته بطاعته،و شهادته بشهادته،و انظر ألا تفوتک برکات معرفه حرمته فتحرم عن فائده صلاته،و امره بالاستغفار لک،و الشفاعه فیک،إن اتیت بالواجب فی الأمر و النهی و السنن و الآداب،و تعلم جلیل مرتبته عند اللّه عز و جل» (۲).

فصل (التسلیم)

و إذا فرغت عن التشهد،فاحضر بحضره سید المرسلین،و الملائکه المقربین،و بقیه أنبیاء اللّه و أئمته-علیهم السلام-و الحفظه لک من الملائکه المحصین لأعمالک،و احضرهم جمیعا فی بالک.فسلم أولا علی نبیک الذی هو أفضل الکل،و واسطه هدایتک و ایمانک،بقولک:(السلام علیک أیها النبی و رحمه اللّه و برکاته).ثم توجه إلی الجمیع،و سلم علیهم بقولک:

۱- ۱) القصص،الآیه:۶۸.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۱۷.و علی(بحار الأنوار):۱۸-۴۰۳،باب التشهد و احکامه.

(السلام علیکم و رحمه اللّه و برکاته).و لا تطلق لسانک بصیغه الخطاب من غیر حضور المخاطب فی ذهنک،فتکون من العابثین و اللاعبین،و کیف تسمع الخطاب لمن لا یقصد،لو لا فضل اللّه فی اجترائه بذلک عن أصل الواجب،و ان کان بعیدا عن درجات القبول،منحطا عن اوج القرب و الوصول.و ان کنت إماما لقوم،فاقصدهم بالسلام من تقدم من المقصودین،و لیقصدوا هم الرد علیک أیضا،و إذا فعلتم ذلک فقد ادیتم وظیفه السلام،و استحققتم من اللّه مزید الإکرام. قال الصادق(ع):

«معنی التسلیم فی دبر کل صلاه:الأمان،ای من أتی امر اللّه و سنه نبیه (ص)خاضعا له خاشعا منه،فله الأمان من بلاء الدنیا،و البراءه من عذاب الآخره.و السلام اسم من أسماء اللّه تعالی اودعه خلقه،لیستعملوا معناه فی المعاملات و الامانات و الانصافات،و تصدیق مصاحبتهم فیما بینهم،و صحه معاشرتهم.فان أردت ان تضع السلام موضعه،و تؤدی معناه،فاتق اللّه تعالی لیسلم منک دینک و قلبک و عقلک،ألا تدنسها بظلمه المعاصی،و لتسلم منک حفظتک الا تبرمهم و تملهم و توحشهم منک بسوء معاملتک معهم،ثم مع صدیقک،ثم مع عدوک.فان من لم یسلم منه من هو الاقرب الیه فالابعد أولی،و من لا یضع السلام مواضعه هذه فلا سلام و لا اسلام و لا تسلیم،و کان کاذبا فی سلامه و ان افشاه فی الخلق» (۱).

فصل (إفاضه الأنوار علی المصلی علی قدر صفائه)

اعلم ان تخلیص الصلاه عن الآفات،و اخلاصها لوجه اللّه،و ادائها بالشروط الباطنه المذکوره،من الحضور،و الخشوع،و التعظیم،و الهیبه،

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۱۸-۱۴۴.

و الحیاء:سبب لحصول أَنوار فی القلب،تکون تلک الأنوار مفاتیح للعلوم الباطنه،و انما یفیض منها علی کل مصل علی قدر صفائه من کدورات الدنیا،و یختلف ذلک بالقله و الکثره،و القوه و الضعف،و الجلاء و الخفاء،و یختلف أیضا بما ینکشف من العلوم،فینکشف لبعضهم من صفات اللّه و جلاله،و لبعضهم من عجائب افعاله،و لبعضهم من دقائق علوم المعامله،و لبعضهم غیر ذلک،و أولی بالظهور و الافاضه لکل شخص ما یهمه و یکون فی طلبه.و إلی ما ذکرنا من ترتب الافاضه العلویه علی الصلاه الخالصه لوجه اللّه المؤداه بالشروط المذکوره،أشار النبی(ص)بقوله:

«ان العبد إذا قام فی الصلاه،رفع اللّه الحجاب بینه و بین عبده،و واجهه بوجهه،و قامت الملائکه من لدن منکبیه إلی الهواء،یصلون بصلاته،و یؤمنون علی دعائه،و ان المصلی لینشر علیه البر من أعنان السماء إلی مفرق رأسه، و ینادیه مناد:لو علم المصلی من یناجی ما التفت.و ان ابواب السماء تفتح للمصلین،و ان اللّه یباهی ملائکته بصدق المصلی».فان رفع الحجاب و فتح ابواب السماء کنایه عن إفاضه العلوم الباطنه علیه. و ورد فی التوراه:

«یا ابن آدم،لا تعجز أن تقوم بین یدی مصلیا باکیا،فأنا اللّه الذی اقتربت من قلبک،و بالغیب رأیت نوری».و ورد:«ان العبد إذا صلی رکعتین، عجبت منه عشره صفوف من الملائکه،کل صف منهم عشره آلاف، و باهی اللّه به مائه الف».و ذلک لان العبد جمع فی الصلاه بین القیام و القعود، و الرکوع و السجود،و الذکر باللسان،و غیر ذلک.و لیس لملک من الملائکه هذا القسم من العباده الجامعه بین الکل،بل هذه الأفعال موزعه علیهم، فبعضهم قائمون لا یرکعون إلی یوم القیامه،و بعضهم ساجدون لا یرفعون الی یوم القیامه،و هکذا الراکعون و القاعدون،فان ما أعطی الملائکه

من القرب و الرتبه لازم لهم،مستمر على حاله واحده،لا تزيد و لا تنقص، و ليس لهم مرتبه الترقى من درجه إلى أخرى،و باب المزيد مسدود عليهم، و لذلك قالوا:«و ما منا إلا له مقام معلوم»،بخلاف الإنسان،فان له الترقى فى الدرجات،و التقلب فى اطوار الكمالات،و مفتاح مزيد الدرجات هى الصلاه،قال اللّه سبحانه:«قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون»،فمدحهم بعد الايمان بصلاه مخصوصه،و هى المقرونه بالخشوع، ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلاه أيضا،فقال فى آخرها:

وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِهِمْ يُحٰافِظُونَ ،ثم قال فى ثمره تلك الصفات: أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ، اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (١).

فوصفهم بالفلاح أولا،و بوراثه الفردوس آخرا.فالمصلون هم ورثه الفردوس،و ورثه الفردوس هم المشاهدون لنور اللّه بقربه و دنوه بالقلب.

و كل عاقل يعلم ان مجرد حركه اللسان و الجوارح،مع غفله القلب،لا تنتهى درجته إلى هذا الحد.

فصل (ما ينبغى فى إمام الجماعه)

ينبغى لامام الجماعه:ان يختص من بين القوم بمزيد صفاء القلب، و إقباله إلى اللّه،و الخشوع و التعظيم،و غير ذلك من الشرائط الباطنه، لانه القدوه و الجاذب لنفوس الجماعه إلى اللّه،فما اقبح به ان يكون قلبه

١- ١) المؤمنون،الآيه:٩-١١.

غافلا عن اللّه،او واقعا فی أودیه الوساوس الباطله فی الصلاه،و یکون بعض من اقتدی به من القوم خاشعا حاضر القلب معظما للّه سبحانه،و ما اشنع به ان یکون التفات قلبه إلی من وراءه من الناس الذین لا یقدرون علی شیء من النفع و الضر أکثر من التفات قلبه إلی مالک الملک و الملکوت، أولا ـ یستحیی من علام الغیوب ان ینصب نفسه قدوه لأمه سید الرسل (ص)،و یحل محل رسول اللّه(ص)و اوصیائه الراشدین-علیهم السلام-، و ینوب عنهم،و یکون تغیر قلبه و تأثر نفسه عن ضعفاء العوام الذین اقتدوا به أشد من انفعاله و تأثره من عظمه اللّه و جلاله؟!أو لا یخجل عند اللّه من تفاوت حاله بکثره المأمومین و قلتهم؟فینبغی لکل امام قوم ان یمتحن نفسه،فان لم تکن له هذه الصفات الخبیثه،فلیؤم،و إلا ـ فلیترک و لا ـ یهلک نفسه،و یعرف ذلک بأن یکون فرحه بامامه نفسه کفرحه بامامه غیره من أمثاله و اقرانه،بل إن کان قصده و فرحه بمجرد اقامه السنه، و احیاء رسوم المله،فینبغی ان یکون فرحه بامامه غیره ممن هو مرضی، و الاهتمام به،أکثر من إمامه نفسه،لحصول المقصود مع السلامه عن الغوائل المحتمله،و ینبغی-أیضا-ألا یکون باعثه و محرکه إلی المسجد لامامه القوم إلا القربه و رجاء الثواب،فلو کان فی بعض زوایا قلبه باعث خفی من حب الشهره و المنزله فی القلوب،أو الوصول إلی ما ینتظم به معاشه،فله الویل و الثبور،و یکون ممن ضل و اضل و هلک و أهلک!

فصل (ما ینبغی فی صلاه الجمعه و العیدین)

ینبغی للحاضر إلی صلاه الجمعه و العیدین:ان یستحضر ان هذه الأیام

ص: ۳۶۰

أيام شريفه عظيمه،و اعياد مباركه كريمه،قد خص اللّه بها هذه الأمه، و جعلها اوقاتا شريفه لعباده،ليقربهم فيها من جواره،و يبعدهم من عذابه و ناره،و حثهم فيها على الإقبال بصالح الاعمال،و تلافى ما فرط منهم فى بقيه الأيام و الشهور من الإهمال.فلا جرم وجب الاهتمام بصلاتها زياده على سائر الصلوات،من التهيؤ و الاستعداد للقاء اللّه،و الوقوف بين يديه، و المثول فى حضرته،و الفوز بمخاطبته.فليجتهد بعد الإتيان بالوظائف الظاهره،من التنظيف،و التطييب،و التعمم،و حلق الرأس،و قص الشارب و الاظفار،و غير ذلك من السنن...فى تخليص النيه،و إحضار القلب،و اكثار الخشوع،و الابتهال إلى اللّه تعالى فى صلاته.و ينبغى أن يحضر قلبه فى العيدين من قسمه الجوائز،و تفرقه الرحمه،و إفاضه المواهب فيهما على من قبل صومه و قربانه و قام بوظائفهما،فليكبر فى صلاتهما و قبلها و بعدها فى قبول أعماله و العفو عن تقصيراته،و ليستشعر الخجله و الحياء من خسران الرد،و خذلان الطرد،فتخسر صفقته،و تظهر بعد ذلك حسرته،فيفوز الفائزون،و يسبق السابقون،و ينجو المخلصون،و هو يكون من الخائبين الخاسرين.

فصل (ما ينبغى للمؤمن عقد ظهور الآيات)

اشاره

إذا ظهرت الآيات،من الكسوف و الخسوف و الزلازل و غيرها، ينبغى لكل مؤمن ان يستحضر عندها أهوال الآخره و زلازلها،و تكور الشمس و القمر،و ظلمه القيامه،و وجل الخلائق،و خوفهم من الأخذ و النكال و العقوبه و الاستئصال،فيكثر فى صلاتها من الدعاء و الابتهال بمزيد الخضوع و الخشوع و الهيبه و الخوف،فى النجاه من تلك الشدائد ورد

النور بعد الظلمه و المسامحه على الهفوه،و ينبغى ان يكون منكسر النفس، مطرق الرأس،مستحييا من التقصير،مستشعرا بقلبه عظمه اللّه و جلاله.

و بالجمله:حصول الخوف و الخشيه،و المبادره إلى التضرع و الابتهال،و أداء الصلاه بالإقبال و الخشوع عند ظهور الآيات،من شعار أهل الايمان.قال سيد الساجدين(ع):«لا يفزع للآيتين و لا يرهب إلا من كان من شيعتنا،فان كان ذلك منهما،فافزعوا إلى اللّه و راجعوه».و قال الرضا (ع):«إنما جعلت للكسوف صلاه،لأنه من آيات اللّه تعالى،لا يدرى ألرحمه ظهرت أم لعذاب،فاحب النبى(ص)أن يفزع أمته إلى خالقه و راحمه عند ذلك،ليصرف عنهم شرها،و يقيهم مكروهها،كما صرف عن قوم يونس(ع)حين تضرعوا إلى اللّه تعالى».

المقصد الثالث الذكر-فضيله الاذكار-الدعاء

اشاره

اعلم انه ينبغى لكل مؤمن أن يكثر من الذكر و الدعاء،لا-سيما عقيب الصلاه المفروضه.و قد ورد فى فضائلهما من الآيات و الأخبار ما لا يمكن احصاؤه،و لاشتهارها لا حاجه إلى ذكرها هنا.

فصل (الذكر)

اشاره

أما الذكر،فالنافع منه هو الذكر على الدوام،أو فى أكثر الأوقات،مع حضور القلب،و فراغ البال،و التوجه الكلى إلى الخالق المتعال،حتى يتمكن المذكور فى القلب،و تتجلى عظمته الباهره عليه،

و ینشرح الصدر بشروق نوره علیه،و هو غایه ثمره العبادات.و للذکر أول و آخر،فاوله یوجب الانس و الحب،و آخره یوجبه الأنس و الحب.

و المطلوب منه ذلک الحب و الانس.فان العبد فی بداءه الأمر یکون متکلفا بصرف قلبه و لسانه عن الوسواس و الفضول إلی ذکر اللّه،فان وفق للمداومه أنس به و انغرس فی قلبه حب المذکور.و من أحب شیئا أکثر ذکره،و من أکثر ذکر شیء،و ان کان تکلفا،أحبه.و من هنا قال بعضهم:«کاءدت القرآن عشرین سنه،ثم تنعمت به عشرین سنه».و لا تصدر النعم إلا من الأنس و الحب،و لا یصدر الانس و الحب إلا من المداومه علی المکاءده و التکلف مده طویله،حتی یصیر التکلف طبعا.

و کیف یستبعد هذا و قد یتکلف الإنسان تناول طعام یستبشعه أولا،و یکائد اکله،و یواظب علیه،فیصیر موافقا للطبعه حتی لا یصبر عنه؟فالنفس تصیر معتاده متحمله لما تکلفت:«هی النفس ما عودتها تتعود».

ثم إذا حصل الانس بذکر اللّه انقطع عن غیر اللّه،و ما سوی اللّه یفارقه عند الموت،و لا یبقی إلا ذکر اللّه،فان کان قد انس به تمتع به و تلذذ بانقطاع العوائق الصارفه عنه،إذ ضرورات الحاجات فی الحیاه تصد عن ذکر اللّه،و لا یبقی بعد الموت عائق،فکأنه خلی بینه و بین محبوبه،فعظمت غبطته،و تخلص من السجن الذی کان ممنوعا فیه عما به انسه، و هذا الانس یتلذذ به العبد بعد موته إلی ان ینزل فی جوار الله،و یترقی من الذکر إلی اللقاء، قال الصادق(ع):«من کان ذاکرا للّه علی الحقیقه فهو مطیع،و من کان غافلا عنه فهو عاص،و الطاعه علامه الهدایه،و المعصیه علامه الضلاله،و اصلهما من الذکر و الغفله،فاجعل قلبک قبله للسانک، و لا تحرکه إلا باشاره القلب،و موافقه العقل،و رضا الایمان،فان اللّه

تعالی عالم بسرک و جهرک،و کن کالنازع روحه،او کالواقف فی العرض الاکبر،غیر شاغل نفسک عما عناک مما کلفک به ربک فی أمره و نهیه و وعده و وعیده،و لا تشغلها بدون ما کلفک به ربک،و اغسل قلبک بماء الحزن،و اجعل ذکر اللّه تعالی من اجل ذکره تعالی إیاک،فانه ذکرک و هو غنی عنک،فذکره لک اجل و اشهی و اثنی و أتم من ذکرک له و اسبق، و معرفتک بذکره لک تورثک الخشوع و الاستحیاء و الانکسار،و یتولد من ذلک رؤیه کرمه و فضله السابق،و تصغر عند ذلک طاعتک و إن کثرت فی جنب منته،و تخلص لوجهه،و رؤیتک ذکرک له،یورثک الریاء و العجب و السفه و الغلظه فی خلقه،و استکثار الطاعه و نسیان فضله و کرمه،و لا تزداد بذلک من اللّه تعالی إلا بعدا،و لا تستجلب به علی مضی الأیام إلا وحشه.و الذکر ذکران:ذکر خالص بموافقه القلب،و ذکر صارف لک ینفی ذکر غیره،کما قال رسول اللّه(ص):(انا لا أحصی ثناء علیک، انت کما أثنیت علی نفسک).فرسول اللّه(ص)لم یجعل لذکره اللّه عز و جل مقدارا عند علمه بحقیقه سابقه ذکر اللّه عز و جل من قبل ذکره،و من دونه أولی،فمن أراد ان یذکر اللّه تعالی،فلیعلم انه ما لم یذکر اللّه العبد بالتوفیق لذکره،لا یقدر العبد علی ذکره» (۱).

تتمیم (فضیله الاذکار)

الاذکار کثیره،کالتهلیل،و التسبیح،و التحمید،و التکبیر،

ص: ۳۶۴

---

۱ – ۱) الحدیث مذکور فی(مصباح الشریعه):الباب ۵-۱۳۶.و فی (المستدرک):۱-۴۰۱،کتاب الصلاه،ابواب الذکر.و فی الموضعین اختلاف یسیر،فصححناه علی(مصباح الشریعه)،الموضع المذکور.

و الحوقله،و التسبيحات الأربع،و أسماء اللّه الحسنى،و غير ذلك.و قد وردت فى فضيله كل منها أخبار كثيره،و المواظبه على كل منها توجب صفاء النفس و انشراح الصدر،و كلما كانت أدل على غايه العظمه و الجلال و العزه و الكمال،فهى أفضل.و لذا صرحوا بأن أفضل الاذكار التهليل،لدلالته على توحده فى الألوهيه،و استناد الكل إليه.و ربما كان بعض أسماء اللّه تعالى فى مرتبته أدل،و العارف السالك إلى اللّه يعلم:أنه قد ينبعث فى القلب من عظمه اللّه و جلاله و شده كبريائه و كماله ما لا يمكن التعبير عنه باسم.

فصل (الدعاء)

و أما الدعاء،فهو مخ العباده،و لذا ورد فى فضله ما ورد من الآيات و الأخبار،و لا حاجه إلى ذكرها لاشتهارها.و الأدعيه المأثوره كثيره مذكوره فى كتب الدعوات،و لا يتصور مطلب من مطالب الدنيا و الآخره إلا و قد وردت به أدعيه،فمن أراد شيئا منها فليأخذ من مواضعها.

و مما ينبغى لكل داع،أن يراعى شرائط و آدابا فى الدعاء،حتى يستجاب له، و يصل إلى فائدته،و تحصل لنفسه نورانيه،و هى أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفه،و الأحوال الشريفه،و الاماكن المتبركه المشرفه، و ان يدعو متطهرا، مستقبل القبله، رافعا يديه بحيث يرى باطن إبطيه، و ان يخفض صوته بين الجهر و الاخفات، و لا يتكلف السجع فى دعائه، و يكون فى غايه التضرع و الخشوع و الرهبه،و أن يجزم و يتيقن إجابه دعائه، و يصدق رجاءه فيه، و ان يلح فى الدعاء،و يكرره ثلاثا، و يفتح الدعاء بذكر اللّه و تمجيده،و لا يبتدئ بالسؤال، و أن يتوب،و يرد مظالم العباد، و يقبل على اللّه بكنه الهمه،و هو السبب القريب للاجابه، و ان

یکون مطعمه و ملبسه من الحلال،و هو أیضا من عمده الشرائط، و أن یسمی حاجته، و یعم فی الدعاء، و یبکی عنده،و هو أیضا سید الآداب، و ان یتقدم فی الدعاء قبل الحاجه إلیه، و ألا یعتمد فی حوائجه علی غیر اللّه تعالی،قال الصادق(ع):«احفظ أدب الدعاء،و انظر من تدعو،و کیف تدعو،و لما ذا تدعو،و حقق عظمه اللّه و کبریاءه،و عاین بقلبک علمه بما فی ضمیرک،و اطلاعه علی سرک و ما تکن فیه من الحق و الباطل،و اعرف طرق نجاتک و هلاکک،کیلا تدعو اللّه بشیء عسی فیه هلاکک و أنت تظن أن فیه نجاتک،قال اللّه تعالی:

وَ یَدْعُ الْإِنْسٰانُ بِالشَّرِّ دُعٰاءَهُ بِالْخَیْرِ وَ کٰانَ الْإِنْسٰانُ عَجُولاً

(۱)

.

و تفکر ما ذا تسأل،و لما ذا تسأل.و الدعاء استجابه الکل منک للحق، و تذویب المهجه فی مشاهده الرب،و ترک الاختیار جمیعا،و تسلیم الأمور کلها-ظاهرها و باطنها-الی اللّه تعالی،فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابه،فانه یعلم السر و أخفی،فلعلک تدعوه بشیء قد علم من سرک خلاف ذلک.و اعلم انه لو لم یکن اللّه أمرنا بالدعاء،لکنا إذا اخلصنا الدعاء تفضل علینا بالإجابه،فکیف و قد ضمن ذلک لمن أتی بشرائط الدعاء،و سئل رسول اللّه(ص)عن اسم اللّه الأعظم،فقال:(کل اسم من أسماء اللّه أعظم).ففرغ قلبک عن کل ما سواه،و ادعه بأی اسم شئت، فلیس فی الحقیقه للّه اسم دون،بل هو اللّه الواحد القهار.و قال النبی(ص):

(إن الله لا یستجیب دعاء من قلب لاه).فإذا اتیت بما ذکرت لک من

ص:۳۶۶

۱- ۱) الاسراء،الآیه:۱۱.

شرائط الدعاء،و اخصلت سرک لوجهه،فأبشر بإحدى ثلاث:إما ان یعجل لک بما سألت،و إما ان یدخر لک بما هو أفضل منه،و إما ان یصرف عنک من البلاء ما لو أرسله علیک لهلکت» (۱). و سئل من الصادق(ع):

ما لنا ندعوا و لا یستجیب لنا؟فقال:«لانکم تدعون من لا تعرفونه، و تسألون من لا تفهمونه،فالاضطرار عین الدین،و کثره الدعاء مع العمى عن اللّه من علامه الخذلان،لان من لم یعرف ذله نفسه و قلبه و سره تحت قدره اللّه،حکم على اللّه بالسؤال،و ظن ان سؤاله دعاء،و الحکم على اللّه من الجرأه على اللّه تعالى».

المقصد الرابع (تلاوه القرآن)

اعلم انه لاحد لثواب تلاوه القرآن،و الاخبار الوارده فی عظم اجره و وفور ثوابه لا تحصى کثره،و کیف لا یعظم أجره و هو کلام اللّه، حامله روح الأمین إلى سید المرسلین،فتأمل ان الکلام الصادر من اللّه بلا واسطه،إذا کان من حیث اللفظ معجزه لغایه فصاحته،و من حیث المعنى متضمنا لاصول حقائق المعارف و المواعظ و الاحکام،و مخبرا عن دقائق صنع اللّه،و عن مغیبات الأحوال و القصص الواقعه فی سوالف القرون و الاعوام،کیف یکون تأثیره للقلوب و تصفیته للنفوس؟.و بالجمله:العقل و النقل و التجربه شواهد متظاهره على عظم ثواب تلاوه القرآن،و الاخبار الوارده فیه مشهوره،فلا حاجه إلى ذکرها،فلنشر إلى بعض ما یتعلق بالتلاوه من الآداب الظاهره و الباطنه:

۱- ۱) الحدیث مذکور فی(مصباح الشریعه):الباب ۱۹-۱۴۵-۱۴۶. و فیه اختلاف کثیر عما هنا،فصححناه على(المصباح)،الموضع المذکور.

أما الآداب الظاهره،فالوضوء،و الوقوف على هيئه الادب، و الطمأنينه،إما قائما او جالسا،مستقبل القبله،مطرقا رأسه،غير متربع و لا متكئ،و الترتيل و البكاء،و الجهر المتوسط لو أمن من الرياء،و إلا فالسر أفضل،و تحسين القراءه و تنزيهها،و مراعاه حق الآيات،فإذا مر بآيه السجود سجد،و إذا مر بآيه العذاب استعاذ منه باللّه،و إذا مر بآيه الرحمه و نعيم الجنه سأل اللّه تعالى ان يرزقه،و إذا مر بآيه تسبيح او تكبير سبح و كبر،و إذا مر بآيه دعاء او استغفار دعا و استغفر،و افتتاح القراءه بقوله:(اعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم)،و أن يقول عند الفراغ من كل سوره:(صدق اللّه العلى العظيم و بلغ رسوله الكريم، اللهم انفعنا به و بارک لنا فيه،و الحمد للّه رب العالمين).

و اما الآداب و الأعمال الباطنه:

فمنها-فهم عظمه الكلام و علوه،و فضل اللّه تعالى و لطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجه افهام خلقه:فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفه قائمه بذاته إلى افهام خلقه،و كيف تجلت لهم تلك الصفه فى طى حروف و اصوات هى صفات البشر،إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات اللّه الا بوسيله صفات نفسه،و لو لا استتار كنه جمال كلامه بكسوه الحروف،لما ثبت سماعه عرش و لا ثرى،و لا شىء ما بينهما،من عظمه سلطانه و سبحات نوره،و لو لا تثبيت اللّه موسى (ع)لما اطاق سماع كلامه،كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا و لا يمكن تفهيم عظمه الكلام إلا بأمثله على حد فهم الخلق،و لهذا عبر عنه بعض العارفين،فقال:«إن كل حرف من كلام اللّه فى اللوح أعظم من جبل قاف،و ان الملائكه لو اجتمعت على الحرف الواحد ان ينقلوه ما اطاقوه،

حتى يأتى أسرافيل،و هو ملك اللوح،فيرفعه.فنقله باذن اللّه و رحمته، لا بقوته و طاقته».و إيصال معانى الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته،تشابه من درجه تصويت الإنسان البهائم و الطيور.فان الإنسان لما أراد تفهيم بعض الدواب و الطيور ما يريد من اقبالها و ادبارها و تقديمها و تأخيرها،و كان تمييزها قاصرا عن فهم كلامه الصادر عن عقله مع حسنه و ترتيبه و بديع نظمه،فينزل إلى درجه تمييز البهائم،و يوصل مقاصده إليها بأصوات لائقه بها،من النفير و الصغير و الأصوات القريبه من أصواتها،يطيقون حملها.و كذلك الناس،لما كانوا عاجزين عن حمل كلام اللّه بكنهه و كمال صفاته،فتنزل من عرش العظمه و الجلال إلى درجه أفهامهم،فتجلى فى مظاهر الأصوات و الحروف،و قد يشرف الصوت لأجل الحكمه المحبوه فيه.فكما ان بدن البشر يكرم و يعزز لمكان الروح،فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمه التى فيها.و الكلام عالى المنزله،رفيع الدرجه،قاهر السلطان،نافذ الحكم فى الحق و الباطل،و هو القاضى العادل،يأمر و ينهى،و لا طاقه للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمه كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس،و لا طاقه للناس أن ينفذوا غور الحكمه،كما لا طاقه لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس،و لكنهم ينالون منها ما تقدر به أبصارهم و يستدلون به على حوائجهم.فالكلام كالملك المحجوب،الغائب وجهه،المشاهد أمره، فهو مفتاح الخزائن النفيسه،و شراب الحياه الذى من شرب منه لم يمت، و دواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم.

و منها-تعظيم المتكلم:فينبغى للقارئ عند الابتداء بالتلاوه،أن يحضر فى قلبه عظمه المتكلم،و يعلم أنه ليس من كلام البشر،بل هو كلام

خالق الشمس و القمر،و فی تلاوه کلامه غایه الخطر،إذ کما لا ینبغی أن تمس جلده و ورقه و حروفه البشره المستقذره بخبث أو حدث،فکذلک لا ینبغی أن تقرأه الالسنه المستخبثه بقبائح الکلمات،و الا تحوم حول معناه القلوب المکدره برذائل الأخلاق و الصفات،فکما أنه لا یصلح لمس ظاهر خطه کل ید،بل هو محروس عن ظاهر بشره اللامس،إلا إذا کان متطهرا،فکذلک لا یصلح لتلاوه حروفه کل لسان،و لا لنیل معانیه کل قلب،بل باطن معناه لعلوه و جلاله محجوب عن باطن القلوب،إلا إذا کانت منقطعه عن کل رجس،مستنیره بنور التعظیم و التوقیر .و بالجمله:ینبغی ألا یترک عند التلاوه تعظیم المتکلم له،لیتحقق تعظیم الکلام أیضا،اذ تعظیم الکلام بتعظیم المتکلم،و لو لم تحضره عظمه المتکلم لغفله قلبه، فلیرجع إلی التفکر فی صفاته و افعاله،و یستحضر ان المتکلم هو الذی اوجد و اظهر بمجرد إرادته کل ما یشاهده و یسمعه،من العرش و الکرسی و السماوات و الأرضین،و ما فیها و ما تحتها و ما فوقها،و انه الخالق و الرازق للجمیع،و الکل فی قبضه قدرته مسخر أسیر،و مردد بین فضله و رحمته، و بین نقمته و سطوته،و جمیع ذلک لا نسبه له إلی عوالم المجردات.فالتفکر فی أمثال ذلک یوجب استشعار القلب لعظمه المتکلم و الکلام.و لمثل هذا التعظیم کان بعضهم إذا نشر المصحف للتلاوه غشی علیه،و یقول:(هو کلام ربی،هو کلام ربی!).

و منها-الخضوع و الرقه:قال الصادق(ع):«من قرأ القرآن،و لم یخضع و لم یرق قلبه،و لا ینشئ حزنا و وجلا فی سره،فقد استهان عظیم شأن اللّه تعالی،و خسر خسرانا مبینا.فقارئ القرآن محتاج إلی ثلاثه أشیاء:قلب خاشع،و بدن فارغ،و موضع خال.فإذا خشع للّه قلبه فر منه

الشيطان الرجيم،قال اللّه تعالى:

فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

(۱)

.

فإذا تفرغ نفسه من الأسباب،تجرد قلبه للقراءه،فلا يعرضه عارض فيحرمه بركه نور القرآن و فوائده.فإذا اتخذ مجلسا خاليا،و اعتزل عن الخلق بعد ان أتى بالخصلتين:خضوع القلب و فراغ البدن،استأنس روحه و سره باللّه عز و جل،و وجد حلاوه مخاطبات اللّه عز و جل عباده الصالحين،و علم لطفه بهم و مقام اختصاصه لهم،بفنون كراماته،و بدائع اشاراته،فان شرب كأسا من هذا المشرب حينئذ،لا يختار على ذلك الحال حالا،و لا على ذلك الوقت وقتا،بل يؤثره على كل طاعه و عباده،لان فيه المناجاه مع الرب بلا واسطه،فانظر كيف تقرأ كتاب ربك و منشور ولايتك،و كيف تجيب اوامره و نواهيه،و كيف تمتثل حدوده:

وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

(۲)

.

فرتله ترتيلا،وقف عند وعده و وعيده،و تفكر فى أمثاله و مواعظه، و احذر أن تقع من اقامتك حروفه فى اضاعه حدوده» (۳).

و منها-حضور القلب،و ترك حديث النفس:و هو يترتب على التعظيم،فان من يعظم شيئا،كلاما كان او غيره،يستبشر و يستأنس

۱- ۱) النحل،الآيه:۹۸.

۲- ۲) فصلت،الآيه:۴۱-۴۲.

۳- ۳) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۴-۱۴۲.

به،و لا یغفل عنه.و لا ریب فی ان القرآن یشتمل علی ما یستانس به القلب و تفرح به النفس،ان کان التالی أهلا له.

و منها-التدبر:و هو زائد علی حضور القلب،اذ التالی ربما لم یتفکر فی غیر القرآن،و لکنه اقتصر علی سماعه من نفسه،من دون تدبر فیه.و المقصود من تلاوه القرآن التدبر فیه فی الباطن،قال اللّه سبحانه:

أَ فَلاٰ یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلیٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا

(۱)

.

و قال أمیر المؤمنین(ع):«لا خیر فی عباده لا فقه فیها،و لا فی قراءه لا تدبر فیها».و إذا لم یتمکن من التدبر إلا بالتردید فلیردد.و لذلک کان الأکابر کثیرا ما یکررون بعض الآیات مرات کثیره للتدبر فیها،و ربما یقفون عند آیه مده مدیده،و قال بعضهم:«لی فی کل جمعه ختمه،و فی کل شهر ختمه،و فی کل سنه ختمه،ولی ختمه منذ ثلاثین ما فرغت منها بعد!»،و ذلک بحسب درجات تدبره و تفتیشه.

و منها-التفهم:و هو ان یستوضح من کل آیه ما یلیق بها.إذ القرآن یشتمل علی ذکر صفاته تعالی،و ذکر افعاله،و ذکر الجنه و النار،و أحوال النشأه الآخره،و ذکر أحوال أنبیائه،و أحوال المکذبین،و أنهم کیف اهلکوا،و ذکر احکامه و اوامره و نواهیه و غیر ذلک.فان مر بآیات صفاته تعالی،کقوله:

لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ

(۲)

.

۱- ۱) محمد-صلی اللّه علیه و آله-،الآیه:۲۴.

۲- ۲) الشوری،الآیه:۱۱.

و كقوله تعالى: اَلْمَلِكَ الْقُدُّوسُ السَّلاٰمُ... الى آخر الآیه (۱)،و غیر ذلک.

فلیتأمل فی معانی هذه الأسماء و الصفات،لتنکشف له أسرارها المکنونه تحتها،و لا تنکشف هذه الأسرار إلا للمؤیدین فی فهم کتاب اللّه.قال أمیر المؤمنین(ع):«ما أسر الی رسول اللّه(ص)شیئا کتمه عن الناس،إلا ان یؤتی اللّه عز و جل عبدا فهما فی کتابه». و إن مر بآیات الأفعال،ای الآیات الحاکیه عن خلقه السماوات و الأرض، و ما فیهما من الملائکه و الکواکب و الجبال و الحیوان و النبات،و ما بینهما من السحب و الغیوم و الریاح و الامطار و غیر ذلک،فلیفهم التالی منها عظمه اللّه و جلاله.إذ الفعل یدل علی الفاعل،فعظمته تدل علی عظمته.و ینبغی ان یشهد فی الفعل الفاعل دون الفعل،إذ من عرف الحق رآه فی کل شیء، إذ کل شیء منه و به و إلیه و له،فهو الکل فی وحده،و من لا یراه فی کل ما یراه فکأنه ما عرفه،و من عرفه عرف ان کل شیء ما خلا اللّه باطل،و ان کل شیء هالک إلا وجهه،و ان اعتبر من حیث هو،إذ مع قطع النظر عن الواجب و ایجاده،لا ذات و لا وجود،بل محض العدم و عدم المحض.فذات کل شیء و وجوده و ثباته و بقاؤه باللّه العلی العظیم.فإذا قرأ التالی آیه تدل علی شیء من عجائب صنعه و غرائب فعله،فلیتأمل فی تلک العجائب،ثم یترقی منها الی اعجب العجائب،و هی الصفه التی صدرت منها هذه الاعاجیب.و إذا سمع وصف الجنه و النار و سائر أحوال الآخره،فلیتذکر ان ما فی هذا العالم من النعم و النقم لا نسبه له إلی ما فی عالم الآخره،فلینتقل من ذلک

۱- ۱) الحشر،الآیه:۲۳.

إلی عظمه اللّه تعالی،و ینقطع إلیه باطنا،لیخلصه من عقوبات تلک النشأه، و یوصله إلی نعیمها و لذاتها.و إذا سمع أحوال الأنبیاء-علیهم السلام-،من تکذیبهم و ضربهم و قتلهم،فلیفهم منه صفه الاستغناء للّه تعالی من الرسل و المرسل الیهم،و انه لو أهلک جمیعهم لا یؤثر فی ملکه،و إذا سمع نصرتهم فی الامر،فلیفهم قدره اللّه و إرادته لنصره الحق،و اما أحوال المکذبین، و ما جری علیهم من العقوبات و ضروب النکال،فلیستشعر الخوف من سطوته و نقمته،و یعتبر فی نفسه،و یعلم انه غفل و اساء الادب،و اغتر بما امهل،فربما تدرکه النقمه.و کذلک إذا سمع الوعد و الوعید و الامر و التهدید.فلا یمکن استقصاء ما یفهم من القرآن،لانه لا نهایه له،إذ (لا رطب و لا یابس إلا فی کتاب مبین).

قُلْ لَوْ کٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِمٰاتُ رَبِّی

(۱)

.

و لکل عبد منه بقدر استعداده و مقدار فهمه و صفاء نفسه.

و منها-التخلی عن موانع الفهم:و هی التقلید و التعصب لمذهب، فان ذلک بمنزله حجاب لمرآه النفس یمنعها عن انعکاس غیر معتقدها فیها، و الجمود علی تفسیر ظاهر،ظانا ان غیره تفسیر بالرأی لا یجوز ارتکابه، و صرف الهمه و الفهم إلی تحقیق الحروف و ما یتعلق بها من الأمور المتداوله بین القراء،فان قصر التأمل علی ذلک مانع من انکشاف المعانی، و الإصرار علی الذنوب الظاهره و الباطنه،و متابعه الشهوات المظلمه للقلب الموجبه للحرمان عن انکشاف الاسرار و الحقائق فیه،و اشراق المعارف الحقه علیه.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«اذا عظمت

۱- ۱) الکهف،الآیه:۱۱۰.

أمتی الـدینار و الدرهم،تنزع منها هیبه الإسـلام،و إذا ترکوا الامر بالمعروف حرموا برکه الوحی».و قد شـرط اللّه تعالی الإنابه فی الفهم و التذکر، قال اللّه تعالی:

تَبْصِرَهً وَ ذِکْری لِکُلِّ عَبْدٍ مُنِیبٍ

(۱)

.و قال تعالی: وَ ما یَتَذَکَّرُ إِلاّ مَنْ یُنِیبُ (۲).و قال تعالی:

إِنَّما یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ

(۳)

.

و منهـا-التخصـیص:و هو ان یقـدر انه المقصود بکـل خطـاب فی القرآن،من الامـر و النهی و الوعـد و الوعیـد،حـتی انه لو سـمع قصص الأولین،یجزم بأن المقصود الاعتبار دون مجرد الحکایه و التشمر.فما من قصه فی القرآن إلا و سیاقها الفائده فی حق النبی و أمته،و لذلک قال سبحانه:

ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ

(۴)

فان القرآن جمیعه هدی و شـفاء و رحمه،و نور و موعظه و بصائر للعالمین.فکل أحد إذا قرأه ینبغی ان تکون قراءته کقراءه العبد کتـاب مولاـه الـذی کتـب إلیـه لیتأمله و یعمـل بمقتضاه.قـال بعض الأکـابر:«هــذا القرآن رسائـل أتتنـا مـن قبـل ربنـا عز و جل بعهوده،فتتدبرها فی الصلوات، و نقف علیها فی الخلوات،و ننفذها فی الطاعات بالسنن المتبعات».

و منهـا-التأثر:و هو ان یتـاثر قلبه بآثـار مختلفه بحسب اختلاـف الآیـات،فیکون له بحسب کـل فهم حـال:من الخوف،و الحزن،و الوجل،

۱- ۱) ق،الآیه:۸.

۲- ۲) المؤمن،الآیه:۱۳.

۳- ۳) الرعد،الآیه:۲۱.الزمر،الآیه:۹.

۴- ۴) هود،الآیه:۱۲۰.

و الوجد،و الفرح،و الارتياح،و الرجاء،و القبض،و الانبساط.فإذا سمع الوعيد،فليضطرب قلبه،و يتضاءل من الخوف كأنه يموت،و ان سمع و سعه الرحمه و وعد المغفره،فليفرح و يستبشر كأنه يطير من الابتهاج، و إذا سمع وصف الجنه،فلينبعث باطنه شوقا إليها،و إذا سمع وصف النار، فلترتعد فرائصه خوفا منها،و إذا سمع صفات اللّه و أسماءه و نعوت جلاله، فليتطأطأ خضوعا لجلاله و استشعارا لعظمته و كبريائه،و إذا سمع ذكر الكفار ما يستحل على اللّه من اتخاذ الولد و أمثاله،فليغض صوته و ينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم...و قس على ذلك غيره من الآيات المختلفه.

و مهمات تمت المعرفه،كانت الخشيه اغلب الأحوال على القلب،اذا التضيق غالب على آيات القرآن،إذ لا ترى ذكر المغفره و الرحمه إلا مقرونا بشروط يقصر الأكثرون عن نيلها،و لذلك كان فى الخائفين من يصير مغشيا عليه عند استماع آيات الوعيد،و منهم من مات بمجرد استماعها.و بالجمله:

المقصود الاصلى من القرآن،استجلاب هذه الأحوال إلى القلب و العمل به،و إلا فالمؤنه بتحريك اللسان بحروفه خفيفه.و حق تلاوه القرآن ان يشترك فيها اللسان و العقل و القلب.فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، و حظ العقل إدراك المعانى،و حظ القلب الاتعاظ و التأثر بالحالات المذكوره.فاللسان واعظ القلب،و العقل مترجم،و القلب متعظ.

و منها-الترقى:و هو ان يترقى إلى ان يسمع الكلام من اللّه تعالى،لا من نفسه.فدرجات القراءه ثلاث: الأولى:و هى ادناها،ان يقدر العبد أنه يقرؤه على اللّه تعالى واقفا بين يديه،و هو ناظر إليه و مستمع منه، فتكون حاله-على هذا التقدير-التملق و السؤال و التضرع و الابتهال.

الثانيه:ان يشهد بقلبه،كأن ربه يخاطبه بألطافه،و يناجيه بإحسانه

و إنعامه،فمقامه الهيبه و الحياء و التعظيم و الإصغاء. الثالثه:ان يرى فى الكلام المتكلم،و فى الكلمات الصفات،فلا ينظر إلى نفسه و إلى تلاوته، و لا ـ إلى تعلق الانعام به من حيث إنه منعم عليه،بل يكون مقصور الهم على التكلم،موقوف الفكر عليه،كأنه مستغرق بمشاهده المتكلم من غيره.

و هذه درجه المقربين و الصديقين و ما قبله من درجات أصحاب اليمين،و ما خرج عن ذلك فهو درجات الغافلين.و قد أخبر عن الدرجه العليا سيد الشهداء-ارواحنا فداه-حيث قال(ع):«الذى تجلى لعباده فى كتابه،بل فى كل شىء،و أراهم نفسه فى خطابه،بل فى كل نور».

و أشار إليها الامام أبو عبد اللّه الصادق(ع)حيث قال:«و اللّه لقد تجلى اللّه عز و جل لخلقه فى كلامه!و لكن لا يبصرون».و روى:«أنه لحقته حاله فى الصلاه حتى خر مغشيا عليه،فلما سرى عنه،قيل له فى ذلك، فقال(ع):ما زلت أردد الآيه على قلبى،حتى سمعتها من المتكلم بها،فلم يثبت جسمى لمعاينه قدرته»أو فى مثل هذه الدرجه تشتد البهجه،و تعظم الحلاوه و اللذه.و لذلك قال بعض الحكماء:«كنت اقرأ القرآن،فلا اجد له حلاوه،حتى تلوته كأنى أسمعه عن رسول اللّه(ص)يتلوه على أصحابه،ثم رفعت إلى مقام فوقه،فكنت اتلوه كأنى اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول اللّه(ص)،فعندها وجدت لذه و نعيما لا اصبر عنه».و قال حذيفه:«لو طهرت القلوب،لم تشبع من قراءه القرآن».و ذلك لأنها بالطهاره تترقى إلى مشاهده المتكلم فى الكلام،بل التوحيد الخالص للعبد ألا يرى فى كل شىء إلا اللّه،إذ لو رأى غيره و لا من حيث إنه منه و له و به و إليه،كان مشركا بالشرك الخفى.

و منها-التبرى:و هو ان يتبرى من حوله و قوته،و لا يلتفت

إلی نفسه بعین الرضا و التزکیه.فإذا قرأ آیات الوعد و مدح الأخیار، فلا یشهد نفسه و لا یدخلها فی زمرتهم،بل یشهد أهل الصدق و الیقین، و یتشوق إلی ان یلحقه اللّه بهم.و إذا قرأ آیات المقت و الوعید،و ذم العصاه و المقصرین،شهد نفسه هناک،و قدر انه المخاطب خوفا و اشفاقا و إلی هذا أشار مولانا أمیر المؤمنین(ع)،حیث قال فی صوف المتقین:

«و إذا مروا بآیه فیها تخویف،أصغوا إلیها مسامع قلوبهم،و ظنوا ان زفیر جهنم فی آذانهم». فإذا رأی القارئ نفسه بصوره التقصیر فی القراءه، کانت رؤیته سبب قربه.فان من شهد البعد فی القرب،لطف له بالخوف، حتی یسوقه إلی درجه أخری فی القرب وراءها،و من شهد القرب فی البعد،مکر به بالأمن الذی یفضیه إلی درجه أخری فی البعد اسفل مما هو فیه.و مهما کان مشاهدا نفسه بعین الرضا،صار محجوبا بنفسه.فإذا جاوز حد الالتفات إلی نفسه،و لم یشاهد الا اللّه تعالی فی قراءته،کشف له سر الملکوت بحسب أحواله،فحیث یتلو آیات الرحمه و الرجاء،یغلب علی حاله الاستبشار،و تنکشف له صوره الجنه،فیشاهدها کأنه یراها عیانا،و ان غلب علیه الخوف،کوشف بالنار،حتی یری أنواع عذابها، و ذلک لأن کلام اللّه عز و جل یشتمل علی السهل اللطیف،و الشدید العسوف،و المرجو و المخوف،و ذلک بحسب اوصافه،إذ منها الرحمه و اللطف.

و منها-القهر و البطش و الانتقام:فبحسب مشاهده الکلمات و الصفات ینقلب القلب فی اختلاف الحالات،و بحسب کل حاله منها یستعد للمکاشفه بأمر یناسب تلک الحاله،إذ یمتنع أن یکون حال المستمع واحدا و المسموع مختلفا،إذ فیه کلام راض،و کلام غضبان،و کلام منعم،

و كلام منتقم،و كلام جبار متكبر لا يبالى،و كلام منان متعطف لا يهمل.

المقصد الخامس (الصوم)

اشاره

اعلم ان الصوم أجره عظيم،و ثوابه جسيم،و ما يدل على فضله من الآيات و الاخبار أكثر من ان يحصى،و هى معروفه مشهوره،فلا حاجه الى ذكرها،فلنشر إلى ما يتعلق به من الأمور الباطنه:

فصل (ما ينبغى للصائم)

ينبغى للصائم ان يغض بصره عن كل ما يحرم النظر إليه،او يكره، أو يشغل القلب و يلهيه عن ذكر اللّه تعالى،و يحفظ اللسان عن جميع آفاته المتقدمه،و يكف السمع عن كل ما يحرم او يكره استماعه،و يكف بطنه عن الحرام و الشبهات،و يكف سائر جوارحه عن المكاره.و قد ورد فى اشتراط جميع ذلك فى الصوم فى ترتب كمال الثواب عليه اخبار كثيره.و ينبغى أيضا ألا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ،إذ ما من وعاء ابغض إلى اللّه عز و جل من بطن ملئ من حلال،كيف و السر فى شرع الصوم قهر عدو اللّه،و كسر الشهوه و الهوى،لتتقوى النفس على التقوى، و ترتقى من حضيض حظوظ النفس البهيميه إلى ذروه التشبيه بالملائكه الروحانيه،و كيف يحصل ذلك إذا تدارك الصائم عند الإفطار ما فاته ضحوه نهاره،لا سيما إذا زيد عليه فى ألوان الطعام،كما استمرت العادات فى هذه الأعصار،و ربما يؤكل من الأطعمه فى شهر رمضان ما لا يؤكل فى عده شهور.و لا ريب فى ان المعده إذا خليت من ضحوه النهار إلى العشاء،حتى

هـاجت شـهوتها و قويت رغبتهـا،ثم اطعمت من اللـذات،و أشـبعت من ألوان المطاعم،و جمع ما كان يأكل ضـحوه إلى ما يأكل ليلا،و أكل الجميع فى الليل مره او مرتين او أكثر،زادت لذتها،و تضاعفت قوتها،و انبعث من الشـهوات ما عساها كانت راكده لو تركت على عادتهـا،فلاـ يحصـل مـا هو المقصود من الصوم،اعنى تضـعيف القوى الشـهويه التى هى وسائل الشـيطان، فلا بـد من التقليـل،و هو ان يأكـل فى مجموع الليله أكلته التى كـان يأكلهـا كـل ليله لو لم يصم،من دون ضم مما يأكل فى النهار إليه،حتى ينتفع بصومه. و الحاصل:ان روح الصوم و سره،و الغرض الأصلى منه:

التخلق بخلق من أخلاق الله تعالى،اعنى الصـمديه،و الاقتداء بالملائكه فى الكلف عن الشـهوات بقدر الإمكان،و هذا إنما يحصل بتقليـل الأكـل عما يأكله فى غير وقت الصوم،فلا جـدوى لمجرد تأخير اكله و جمع أكلتين عنـد العشاء،ثم لو جعل سـر الصوم ما يظهر من بعض الظواهر،من ادراك الأغنياء ألم الجوع و الانتقال منه إلى شـده حال الفقراء،فيبعثهم ذلك على مواساتهم بالاموال و الاقوات،فهو أيضا لا يتم بدون التقليل فى الأكل.

فصل (ما ينبغى للصائم عند الإفطار)

ينبغى لكل صائم أن يكون قلبه بعد الإفطار مضـطربا،معلقا بين الخوف و الرجاء،إذ ليس يدرى أ يقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين،و ليكن الحال كذلك فى آخر كل عباده يفرغ منها.

روى:«أن الامـام ابـا محمـد الحسن المجتبى(ع)مر بقوم يوم العيـد و هم يضـحكون، فقـال(ع):إن اللّه تعـالى جعـل شـهر رمضـان مضمارا لخلقه،يستبقون فيه لطاعته،فسبق اقوام ففازوا،و تخلف أقوام فخابوا،فالعجب كل

العجب للضاحک اللاعب فی الیوم الذی فاز فیه المسارعون،و خاب فیه المبطلون،اما و اللّه لو کشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه،و المسیء عن اساءته!»،ای کان سرور المقبول یشغله عن اللعب،و حسره المردود تسد علیه باب الضحک.

فصل (درجات الصوم)

اشاره

للصوم ثلاث درجات:

الأولی-صوم العموم:و هو کف البطن و الفرج عن قضاء الشهوه، و هذا لا یفید أزید من سقوط القضاء و الاستخلاص من العذاب.

الثانیه-صوم الخصوص:و هو الکف المذکور،مع کف البصر و السمع و اللسان و الید و الرجل و سائر الجوارح عن المعاصی،و علی هذا الصوم تترتب المثوبات الموعوده من صاحب الشرع.

الثالثه-صوم خصوص الخصوص:و هو الکفان المذکوران، مع صوم القلب عن الهمم الدنیه،و الأخلاق الردیه،و الافکار الدنیویه، و کفه عما سواه بالکلیه،و یحصل افطر فی هذا الصوم بالفکر فی ما سوی اللّه و الیوم الآخر،و حاصل هذا الصوم إقبال بکنه الهمه علی اللّه، و انصراف عن غیر اللّه،و تلبس بمعنی قوله تعالی: قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ» ، و هذا درجه الأنبیاء و الصدیقین و المقربین،و یترتب علیه الوصول إلی المشاهده و اللقاء،و الفوز بما لا عین رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر علی قلب أحد.و إلی هذا الصوم أشار مولانا الصادق(ع)حیث قال:

«قال النبی(ص):الصوم جنه،أی ستر من آفات الدنیا و حجاب من

عذاب الآخره،فإذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات، و قطع الهمه عن خطرات الشياطين،و انزل نفسك منزله المرضى، و لا تشتهى طعاما و لا شرابا،و توقع فى كل لحظه شفاءك من مرض الذنوب، و طهر باطنك من كل كدر و غفله و ظلمه يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه اللّه.قال رسول اللّه(ص):قال اللّه تعالى:الصوم لى و انا اجزى به.

و الصوم يميت مراد النفس و شهوه الطبع،و فيه صفاء القلب،و طهاره الجوارح،و عماره الظاهر و الباطن،و الشكر على النعم و الإحسان إلى الفقراء،و زياده التضرع و الخشوع و البكاء،و حبل الالتجاء إلى اللّه، و سبب انكسار الهمه،و تخفيف الحساب،و تضعيف الحسنات،و فيه من الفوائد ما لا يحصى و لا يعد،و كفى بما ذكرنا لمن عقله و وفق لاستعماله» (۱).

تتميم

من صام شهر رمضان اخلاصا للّه و تقربا إليه،و طهر باطنه من ذمائم الأخلاق،و كف ظاهره عن المعاصى و الآثام،و اجتنب عن الحرام، و لم يأكل إلا الحلال،و لم يفرط فى الأكل،و واظب على جمله من النوافل و الأدعيه و سائر الآداب المسنونه فيه،استحق للمغفره و الخلاص عن عذاب الآخره،بمقتضى الاخبار المتواتره.ثم إن كان من العوام، حصل له من صفاء النفس ما يوجب استجابه دعوته،و ان كان من أهل المعرفه،فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه،فينكشف له شىء من الملكوت، لا سيما فى ليله القدر،إذ هى الليله التى تنكشف فيها الاسرار،و تفيض على

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۲۰.و على(المستدرك): ۱-۵۸۹-۵۹۰،كتاب الصوم.

القلوب الطاهره الأنوار،و المناط و العمده فى نيل ذلك تقليل الأكل بحيث يحس ألم الجوع،إذ من جعل بين قلبه و بين صدره مخلاه من الطعام فهو محجوب عن عوالم الأنوار،و يستحيل ان ينكشف له شيء من الاسرار.

المقصد السادس (الحج)

اشاره

اعلم ان الحج أعظم اركان الدين،و عمده ما يقرب العبد إلى رب العالمين،و هو أهم التكاليف الإلهيه و اثقلها،و اصعب العبادات البدنيه و افضلها،و أعظم بعباده ينعدم بفقدها الدين،و يساوى تاركها اليهود و النصارى فى الخسران المبين.و الاخبار التى وردت فى فضيلته و فى ذم تاركه كثيره مذكوره فى كتب الاخبار،و الاحكام و الشرائط الظاهره له على عهده الفقهاء،فلنشر إلى الاسرار الخفيه،و الاعمال الدقيقه، و الآداب الباطنه،التى يبحث عنها أرباب القلوب:

فصل (الغرض من ايجاد الإنسان)

اعلم ان الغرض الاصلى من ايجاد الإنسان معرفه اللّه و الوصول إلى حبه و الانس به،و الوصول إليه بالحب و الانس يتوقف على صفاء النفس و تجردها.فكلما صارت النفس أصفى و أشد تجردا،كان انسها و حبها باللّه أشد و أكثر.و صفاء النفس و تجردها موقوف على التنزه عن الشهوات،و الكف عن اللذات،و الانقطاع عن الحطام الدنيويه،و تحريك الجوارح و ايقاعها لاجله فى الاعمال الشاقه،و التجرد لذكره و توجيه القلب إليه.و لذلك شرعت العبادات المشتمله على هذه الأمور،اذ بعضها

إنفاق المال و بذله،الموجب للانقطاع عن الحطام الدنيه،كالزكاه و الخمس و الصدقات،و بعضها الكف عن الشهوات و اللذات،كالصوم،و بعضها التجرد لذكر اللّه و توجيه القلب إليه،و ارتكاب تحريك الأعضاء و تعبها، كالصلاه،و الحج من بينها مشتمل على جميع هذه الأمور مع الزياده،إذ فيه هجران اوطان،و إتعاب أبدان،و إنفاق أموال،و انقطاع آمال، و تحمل مشاق،و تجديد ميثاق،و حضور مشاعر،و شهود شعائر،و يتحقق فى أعماله التجرد لذكر اللّه،و الإقبال عليه بضروب الطاعات و العبادات،مع كون أعماله أمورا لا تأنس بها النفوس،و لا تهتدى إلى معانيها العقول،كرمى الجمار بالاحجار،و التردد بين الصفا و المروه على سبيل التكرار،اذ بمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق و العبوديه،فان سائر العبادات اعمال و افعال يظهر وجهها للعقل،فللنفس إليها ميل،و للطبع بها انس.

و أما بعض اعمال الحج،كرمى الجمار و ترددات السعى،فلا حظ للنفس و لا انس للطبع فيها،و لا اهتداء للعقل إلى معانيها،فلا يكون الاقدام عليها الا لمجرد الامر و قصد الامتثال له من حيث إنه امر واجب الاتباع،ففيها عزل العقل عن تصرفه،و صرف النفس و الطبع عن محل انسه،فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما،فيكون ذلك الميل معينا للامتثال،فلا يظهر به كمال الرق و الانقياد،و لذلك قال النبى (ص)فى الحج على الخصوص:«لبيك بحجه حقا و تعبدا ورقا!»،و لم يقل ذلك فى غيره من العبادات.فمثل هذه العباده-أى ما لم يهتد العقل الى معناه و وجهه-أبلغ أنواع العبادات فى تزكيه النفوس و صرفها عن مقتضى الطبع و البغى إلى الاسترقاق،فتعجب بعض الناس من هذه الافعال العجيبه مصدره الجهل باسرار التعبدات،و هذا هو السر فى وضع الحج،

مع دلاله كل عمل من أعماله على بعض أحوال الآخره،او فى بعض أسرار أخر-كما يأتى-ما فيه من اجتماع أهل العالم فى موضع تكرر فيه نزول الوحى،و هبوط جبرئيل و غيره من الملائكه المقربين على رسوله المكرم، و من قبله على خليله المعظم-عليهما أفضل الصلاه-،بل لا يزال مرجعا و منزلا لجميع الأنبياء،من آدم إلى خاتم،و مهبطا للوحى،و محلا لنزول طوائف الملائكه.و قد تولد فيه سيد الرسل(ص)و توطأت أكثر مواضعه قدمه الشريفه و أقدام سائر الأنبياء،و لذلك سمى ب(البيت العتيق)،و قد شرفه اللّه تعالى بالإضافه إلى نفسه،و نصبه مقصدا لعباده،و جعل ما حواليه حرما لبيته،و تفخيما لامره،و جعل عرفات كالميدان على فناء حرمه،و اكد حرمه الموضع بتحريم صيده و قطع شجره،و وضعه على مثال حضره الملوك،فقصده الزوار من كل فج عميق،و من كل أوب سحيق،شعثاء غبراء،متواضعين لرب البيت،و مستكنين له،خضوعا لجلاله،و استكانه لعزته و عظمته،مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحومه بيت او يكتنفه بلد.

و لا ريب فى ان الاجتماع فى مثل هذا الموضع،مع ما فيه من حصول المؤالفه و المصاحبه،و مجاوره الابدال و الاوتاد و الأخيار المجتمعين من أقطار البلاد،و تظاهر الهمم،و تعاون النفوس على التضرع و الابتهال و الدعاء الموجب لسرعه الإجابه،بذكر النبى(ص)و اجلاله،و نزول الوحى عليه،و غايه سعيه و اهتمامه فى اعلاء كلمه اللّه و نشر احكام دينه، فتحصل الرقه للقلب،و الصفاء للنفس.ثم لكون الحج أعظم التكليفات لهذه الأمه،جعل بمنزله الرهبانيه فى الملل السالفه،فان الأمم الماضيه إذا أرادوا العمل لا صعب التكليف و اشقها على النفس،انفردوا عن الخلق،

و انحازوا إلى قلل الجبال،و آثروا التوحش عن الخلق بطلب الانس باللّه، و التجرد له فى جميع الحركات و السكنات،فتركوا اللذات الحاضره،و ألزموا أنفسهم الرياضات الشاقه،طمعا فى الآخره،و قد اثنى اللّه عليهم فى كتابه،و قال:

ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْبٰاناً وَ أَنَّهُمْ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ

(۱)

و قال تعالى: وَ رَهْبٰانِيَّةً ابْتَدَعُوهٰا مٰا كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ اللّٰهِ (۲).

و لما اندرس ذلك،و أقبل الخلق على اتباع الشهوات،و هجروا التجرد لعباده اللّه تعالى،و فروا عنها،بعث اللّه تعالى من سره البطحاء محمدا(ص)، لاحياء طريق الآخره،و تجديد سنه المرسلين فى سلوكها،فسأله أهل الملل من الرهبانيه و السياحه فى دينه،فقال(ص):«أبدلنا بالرهبانيه الجهاد و التكبير على كل شرف-يعنى الحج-و أبدلنا بالسياحه الصوم».فانعم اللّه على هذه الأمه،بأن جعل الحج رهبانيه لهم،فهو بإزاء أعظم التكاليف و الطاعات فى الملل السابقه.

فصل (ما ينبغى فى الحاج)

ينبغى للحاج،عند توجهه إلى الحج،مراعات أمور:

الأول-أن يجرد نيته للّه،بحيث لا يشوبها شىء من الأغراض الدنيويه،و لا يكون باعثه على التوجه إلى الحج الا امتثال امر اللّه،و نيل

۱- ۱) المائده،الآيه:۸۵.

۲- ۲) الحديد،الآيه:۲۷.

ثوابه،و الاستخلاص من عذابه،فليحذر كل الحذر ان يكون له باعث آخر،مكنون فی بعض زوايا قلبه،كالرياء و الحذر عن ذم الناس و تفسيقهم لو لاـ يحج،او الخوف من الفقر و تلف امواله لو ترك الحج،لما اشتهر من ان(تارك الحج يبتلى بالفقر و الادبار)،او قصد التجاره او شغل آخر، فان كل ذلک يخرج العمل من الإخلاص،و يحجبه عن الفائده و ترتب الثواب الموعود،و ما اجهل من تحمل الاعمال الشاقه التی يمكن ان تحصل بها سعاده الابد،لأجل خيالات فاسده لا يترتب عليها سوی الخسران فائده، فيجتهد كل الجهد ان يجعل عزمه خالصا لوجه اللّه،بعيدا عن شوائب الرياء و السمعه،و يتيقن انه لا يقبل من قصده و عمله إلاـ الخالص،و ان من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملک و حرمه و المقصود غيره،فليصحح فی نفسه العزم،و تصحيحه باخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء و سمعه.

الثانی-ان يتوب إلی اللّه تعالی توبه خالصه،و يرد المظالم،و يقطع علاقه قلبه عن الالتفات إلی ما وراءه،ليكون متوجها إلی اللّه بوجه قلبه، و يقدر انه لا يعود،و ليكتب وصيته لاهله و أولاده،و يتهيأ لسفر الاخره، فان ذلک بين يديه علی قرب،و ما تقدمه من هذا السفر تهيئه لاسباب ذلک السفر،فهو المستقر و إليه المصير.فلا ينبغی ان يغفل عن ذلک عند الاستعداد لهذا،فليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخره.

الثالث-ان يعظم فی نفسه قدر البيت و قدر رب البيت،و يعلم انه ترک الأهل و الاوطان،و فارق الاحبه و البلدان،للعزم علی امر رفيع شأنه،خطير امره:اعنی زياره بيت اللّه الذی جعل مثابه للناس،فسفره هذا لا يضاهی اسفار الدنيا.فليحضر فی قلبه ما ذا يريد،و اين يتوجه،و زياره من

يقصد،و انه متوجه إلى زياره ملك الملوك فى زمره الزائرين إليه،الذين تودوا فأجابوا،و شوقوا فاشتاقوا،و دعوا فقطعوا العلائق،و فارقوا الخلائق و أقبلوا على بيت اللّه الرفيع قدره و العظيم شأنه،تسليا بلقاء البيت على لقاء صاحبه،الى ان يرزقوا منتهى مناهم،و يسعدوا بالنظر إلى مولاهم،فليحضر فى قلبه عظم السفر،و عظمه البيت،و جلاله رب البيت،و يخرج معظما لهما،ناويا ان لم يصل و ادركته المنيه فى الطريق لقى اللّه وافدا إليه بمقتضى وعده.

الرابع-ان يخلى نفسه عن كل ما يشغل القلب،و يفرق الهم فى الطريق،او المقصود،من معامله او مثلها،حتى يكون الهم مجردا للّه، و القلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر اللّه و تعظيم شعائره،متذكرا عند كل حركه و سكون أمرا أخرويا يناسبه.

الخامس-ان يكون زاده حلالا،و يوسع فيه و يطيبه،و لا يغتم ببذله و انفاقه،بل كان طيب النفس به،إذ إنفاق المال فى طريق الحج نفقه فى سبيل اللّه،و الدرهم منه بسبعمائه درهم،قال رسول اللّه(ص):«من شرف الرجل ان يطيب زاده إذا خرج فى سفر».و كان السجاد(ع)اذا سافر إلى الحج،يتزود من أطيب الزاد،من اللوز و السكر و السويق المحمض و المحلى.و قال الصادق(ع):«اذا سافرتم،فاتخذوا سفره و تنوقوا فيها».و فى روايه:«انه يكره ذلك فى زياره الحسين(ع)».نعم ينبغى ان يكون الإنفاق على الاقتصاد من دون تقتير و لا أسراف،و المراد بالاسراف التنعم بأطائب الأطعمه،و الترفه بصرف انواعها على ما هو عاده المترفين،و اما كثره البذل على المستحقين،فلا أسراف فيه،اذ لا خير فى السرف،و لا سرف فى الخير.و ينبغى-أيضا-ان يكون له طيب النفس فيما أصابه من خسران و مصيبه فى مال و بدن،لان ذلك من دلائل

قبول حجه،فان ذهاب المال فی طریق الحج یعد الدرهم منه سبعمائه فی سبیل اللّه،فالمصیبه فی طریق الحج بمثابه الشدائد فی طریق الجهاد، فله بکل أذی احتمله و خسران أصابه ثواب،فلا یضیع منه شیء عند اللّه.

السادس-أن یحسن خلقه،و یطیب کلامه،و یکثر تواضعه، و یجتنب سوء الخلق و الغلظه فی الکلام،و الرفث و الفسوق و الجدال، و الرفث اسم جامع لکل فحش و لغو و خنی،و الفسوق اسم جامع لکل خروج عن طاعه اللّه،و الجدال هو المبالغه فی الخصومه و المماراه بما یورث الضغائن و یفرق الهم و یناقض حسن الخلق.قال رسول اللّه (ص):«الحج المبرور لیس له جزاء الا الجنه»،فقیل:یا رسول اللّه،ما بر الحج؟قال:«طیب الکلام و إطعام الطعام»أ فلا ینبغی ان یکون کثیر الاعتراض علی رفیقه و جماله،و علی غیرهما من أصحابه،بل یلین جانبه، و یخفض جناحه للسائرین إلی بیت اللّه،و یلزم حسن الخلق،و لیس حسن الخلق مجرد کف الاذی،بل احتمال الاذی،و قیل:سمی السفر سفرا، لانه یسفر عن أخلاق الرجال.

السابع-ان یکون اشعث أغبر،غیر متزین و لا مائل إلی أسباب التفاخر و التکاثر،فیکتب فی المتکبرین و یخرج عن حزب الضعفاء و المساکین، و یمشی ان قدر،خصوصا بین المشاعر.و فی الخبر:«ما عبد اللّه بشیء أفضل من المشی».و ینبغی ألا یکون الباعث للمشی تقلیل النفقه،بل التعب و الریاضه فی سبیل اللّه،و لو کان القصد تقلیل النفقه مع الیسار فالرکوب أفضل.و کذا الرکوب أفضل لمن ضعف بالمشی،و ساء خلقه،و قصر فی العمل،ففی الخبر:«ترکبون أحب الی،فان ذلک أقوی علی الدعاء و العباده».

و کان الحسن بن علی-علیهما السلام-یمشی و تساق معه المحامل و الرحال.

و إذا حضرت الراحله ليركبها،فليشرك اللّه تعالى بقلبه على تسخيره له الدواب،لتتحمل عنه الاذى،و تخفف عنه المشقه.و ينبغى ان يرفق بها، فلا يحملها ما لا تطيق.

فصل (الميقات)

اذا خرج عن وطنه،و دخل إلى الباديه،متوجها إلى الميقات، و شاهد العقبات،فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامه،و ما بينهما من الأهوال و المطالبات،و ليتذكر من هول قطاع الطريق هول منكر و نكير،و من سباع البوادى و حياتها و عقاربها حيات القبر و افاعيها و عقاربها و ديدانها،و من افراده عن أهله و اقاربه وحشه القبر و وحدته و كربته،و ليكن فى هذه المخاوف فى أعماله و اقواله متزودا لمخاوف القبر.

فصل (ما ينبغى فى الميقات)

اذا دخل الميقات،و لبس ثوبى الإحرام،فليتذكر عند لبسهما لبس الكفن و لفه فيه،و انه سيلقى اللّه ملفوفا فى ثياب الكفن لا محاله،فكما لا يلقى بيت اللّه الا بهيئه وزى يخالف عادته،فكذلك لا يلقى اللّه بعد الموت الا فى زى يخالف زى الدنيا،و هذا الثوب قريب من ذلك الثوب.

اذ ليس مخيطا،كما ان الكفن أيضا ليس مخيطا،و إذا احرم و تلبى،فليعلم ان الإحرام و التلبيه إجابه نداء اللّه،فليرج ان يكون مقبولا،و ليخش ان يكون مردودا، فيقال:لا لبيك و لا سعديك!فليكن بين الخوف و الرجاء مترددا،و عن حوله و قوته متبرا،و على فضل اللّه و كرمه متكلا.فان وقت التلبيه هو

بدایه الامر،و هو محل الخطر. و قد روی:«ان علی بن الحسین-علیهما السلام-لما أحرم،و استوت به راحلته،اصفر لونه و انتفض،و وقعت علیه الرعده،و لم یستطع ان یلبی.فقیل له:لم لا تلبی؟فقال:اخشی ان یقول ربی:لا لبیک و لا سعدیک!فلما لبی غشی علیه و سقط من راحلته.

فلم یزل یعتریه ذلک حتی قضی حجه».فلیتذکر الملبی عند رفع الأصوات فی المیقات خائفا راجیا،انه إجابه لنداء اللّه تعالی،اذ قال تعالی:

وَ أَذِّنْ فِي اَلنّٰاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجٰالاً

(١)

.

و یتذکر من هذا النداء نداء الخلق بنفخ الصور،و حشرهم من القبور، و ازدحامهم فی عرصات القیامه لنداء اللّه،منقسمین إلی مقربین و مبعدین، و مقبولین و مردودین،و مرددین فی أول الامر بین الخوف و الرجاء،مثل تردد الحاج فی المیقات،حیث لا یدرون أ یتیسر لهم إتمام الحج و قبوله أم لا.

فصل (ما ینبغی عند دخول مکه)

ینبغی ان یتذکر عند دخول مکه:انه قد انتهی إلی حرم من دخله کان آمنا،و لیرج عنده ان یأمن بدخوله من عقاب اللّه،و لیضطرب قلبه من الا یکون أهلا للقرب و القبول،فیکون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت،و لیکن رجاؤه فی جمیع الأوقات غالبا،اذ شرف البیت عظیم، و رب البیت کریم،و الرحمه واسعه،و الفیوضات نازله،و حق الزائر منظور،و اللائذ المستجیر غیر مردود.و إذا وقع البصر علی البیت، فلیحضر فی قلبه عظمته،و یقدر کأنه مشاهد لرب البیت لشده تعظیمه،

١- ١) الحج،الآیه:٢٧.

و ليرج ان يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء بيته،و ليشكر اللّه على تبليغه إياه إلى بيته،و الحاقه إياه بزمره الوافدين إليه،و يتذكر عند ذلك ايصاب الخلائق الى جهه الجنه آملين لدخولها كافه،ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول و مصروفين عنها،انقسام الحاج إلى مقبولين و مردودين.

فصل (ما ينبغى عند الطواف)

و ينبغى عند الطواف ان يمتلئ قلبه من التعظيم و المحبه و الخوف و الرجاء،و يعلم انه فى الطواف متشبه بالملائكه المقربين الطائفين حول العرش،و ليعلم ان المقصود طواف قلبه بذكر رب البيت،دون مجرد طواف جسمه بالبيت،فليبتدئ الذكر به و يختم به،كما يبتدأ الطواف من البيت و يختم بالبيت،فروح الطواف و حقيقته هو طواف القلب بحضره الربوبيه و البيت مثال ظاهر فى عالم الشهاده لتلك الحضره التى لا تشاهد بالبصر،و هو عالم الغيب و عالم الملك و الشهاده،مدرجه إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح له الباب.و ما ورد من ان البيت المعمور فى السماوات بإزاء الكعبه،و ان طواف الملائكه بها كطواف الانس بهذا البيت،و ربما كان إشاره إلى ما ذكرناه من المماثله،و لما قصرت رتبه الأكثرين عن مثل ذلك الطواف، أمروا بالتشبه بهم بقدر الإمكان،و وعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم.

فصل (ما ينبغى عند استلام الحجر)

ينبغى أن يتذكر عند استلام الحجر الأسود،أنه بمنزله يمين اللّه فى أرضه،و فيه مواثيق العباد.قال رسول اللّه(ص):«استلموا الركن،فانه

يمين اللّه فى خلقه،يصافح بها خلقه مصافحه العبد او الدخيل،و يشهد لمن استلمه بالموافاه»،و مراده(ص)بالركن:الحجر الأسود،لأنه موضوع فيه،و إنما شبه باليمين،لأنه واسطه بين اللّه و بين عباده فى النيل و الوصول و التحبب و الرضا،كاليمين حين التصافح. و قال الصادق(ع):«إن اللّه تبارك و تعالى لما أخذ مواثيق العباد،أمر الحجر فالقمها،فلذلك يقال:امانتى اديتها، و ميثاقى عاهدته،لتشهد لى بالموافاه».و قال(ع):«الركن اليمانى باب من أبواب الجنه،لم يغلقه اللّه منذ فتحه».و قال(ع):«الركن اليمانى بابنا الذى يدخل منه الجنه،و فيه نهر من الجنه تلقى فيه اعمال العباد»،قيل:انما شبه بباب الجنه،لأن استلامه وسيله إلى وصولها،و بالنهر،لأنه تغسل به الذنوب.

ثم لتكن النيه فى الاستلام و الالتصاق بالمستجار،بل الممارسه لكل جزء من البيت،طلب القرب حبا و شوقا للبيت و لرب البيت،و تمسكا و تبركا بالممارسه،و رجاء للتحصن عن النار فى كل جزء لا فى البيت،و لتكن نيته فى التعلق بأستار البيت الالحاح فى طلب المغفره و سؤال الأمان،كالمقصر المتعلق بثياب من قصر فى حقه،المتضرع إليه فى عفوه عنه،المظهر له أنه لا ملجأ منه إلا إليه،و لا مفزع إلا عفوه و كرمه،و أنه لا يفارق ذيله حتى يعفو عنه،و يعطيه الأمان فى المستقبل.

فصل (السعى)

السعى بين الصفا و المروه فى فناء البيت،يضاهى تردد العبد بفتاء دار الملك،جائيا و ذاهبا مره بعد أخرى،إظهارا للخلوص فى الخدمه،و رجاء للملاحظه بعين الرحمه،كالذى دخل على الملك و خرج،و هو لا يدرى ما

الذی یقضی به الملک فی حقه من قبول أورد،فلا یزال یتردد علی فناء الدار مره بعد أخری،یرجوا أن یرحمه فی الثانیه إن لم یرحمه فی الأولی، و لیتذکر عند تردده التردد بین الکفتین،ناظرا إلی الرجحان و النقصان، مرددا بین العذاب و الغفران.

فصل (ما ینبغی عند الوقوف بعرفات)

و أما الوقوف بعرفات،فلیتذکر بما یری من ازدحام الخلق،و ارتفاع الأصوات،و اختلاف اللغات،و اتباع الفرق أئمتهم فی التردد علی المشاعر:

عرصات یوم القیامه و أ هوالها،و انتشار الخلائق فیها حیاری،و اجتماع الأمم مع الأنبیاء و الأئمه،و اقتفاء کل أمه نبیهم،و طمعهم فی شفاعته لهم، و تحیرهم فی ذلک الصعید الواحد بین الرد و القبول.و إذا تذکر ذلک،فلیتضرع الی اللّه تعالی و یبتهل إلیه،لیقبل حجه و یحشره فی زمره الفائزین المرحومین.

و ینبغی ان یحقق رجاءه،إذ الیوم شریف و الموقف عظیم،و النفوس من أقطار الأرض فیه مجتمعه،و القلوب إلی اللّه سبحانه منقطعه،و الهمم علی الدعاء و السؤال متظاهره،و بواطن العباد علی التضرع و الابتهال متعاونه، و أیدیهم إلی حضره الربوبیه مرتفعه،و أبصارهم إلی باب فیضه شاخصه، و أعناقهم إلی عظیم لطفه و بره ممتده،و لا یمکن ان یخلو الموقف عن الأخیار و الصالحین،و .رباب القلوب و المتقین،بل الظاهر حضور طبقات الابدال و أوتاد الأرض فیه،فلا تستبعدون ان تصل الرحمه من ذی الجلال بواسطه القلوب العزیزه و النفوس القادسه الشریفه إلی کافه الخلیقه،و لا تظنن انه یخیب آمال الجمیع،و یضیع سعیهم،و لا یرحم غربتهم و انقطاعهم

عن الأهل و الاوطان،فان بحر الرحمه أوسع من ان يضن به فى مثل هذه الحاله،و لذا ورد:أنه من أعظم الذنوب ان يحضر عرفات و يظن ان اللّه لم يغفر له.

فصل (المشعر)

و إذا فاض من عرفات و دخل المشعر،فليتذكر عند دخوله فيه:ان اللّه سبحانه قد أذن له فى دخول حرمه بعد ان كان خارجا عنه،إذ المشعر من جمله الحرم،و عرفات خارجه عنه،فليتفاءل من دخول الحرم،بعد خروجه عنه،بأن اللّه سبحانه قربه إليه و كساه خلع القبول،و أجاره و آمنه من العذاب و البعد،و جعله من أهل الجنه و القرب.

فصل (ما ينبغى عند الرمى و الذبح)

و إذا ورد منى،و توجه إلى رمى الجمار،فليقصد به الانقياد و الامتثال، إظهارا للرق و العبوديه،و تشبيها بالخليل الجليل(ع)،حيث عرض له ابليس اللعين فى هذا الموضع ليفسد حجه،فأمره اللّه تعالى ان يرميه بالحجاره طردا له و قطعا لأصله.و ينبغى ان يقصد انه يرمى الحصا إلى وجه الشيطان و يقصم به ظهره،و يرغم به أنفه،إذ امتثال امر اللّه تعالى تعظيما له يقصم ظهر اللعين و يرغم انفه.و إذا ذبح الهدى،فليستحضر ان الذبح إشاره الى انه بسبب الحج قد غلب على الشيطان و النفس الاماره و قتلهما،و بذلك استحق الرحمه و الغفران،و لذا ورد:انه يعتق بكل جزء من الهدى جزء منه النار.فليجتهد فى التوبه و الرجوع عما كان عليه قبل ذلك من الاعمال

ص: ۳۹۵

القبیحه،حتی یصیر حاله أحسن من سابقه،لیصدق علیه إذلاله الشیطان و النفس الاماره فی الجمله،و لا یکون فی عمله من الکاذبین.و لذلک ورد:

ان علامه قبول الحج:أن یصیر حاله بعد الحج أحسن مما کان علیه قبله.و فی الخبر:أن علامه قبول الحج ترک ما کان علیه من المعاصی،و أن یستبدل باخوانه البطالین اخوانا صالحین،و بمجالس اللهو و الغفله مجالس الذکر و الیقظه.

تتمیم (أسرار الحج)

قد ورد عن مولانا الصادق(ع)خبر یتضمن عمده أسرار الحج و دقائقه،فلنذکره تیمنا بکلماته الشریفه:

قال(ع):«اذا أردت الحج،فجرد قلبک للّه عز و جل،من قبل عزمک،من کل شغل شاغل و حجب کل حاجب،و فوض أمورک کلها إلی خالقک،و توکل علیه فی جمیع ما یظهر من حرکاتک و سکناتک،و سلم لقضائه و حکمه و قدره،و ودع الدنیا و الراحه و الخلق،و اخرج من حقوق یلزمک من جهه المخلوقین،و لا تعتمد علی زادک و راحلتک و اصحابک و قوتک و شبابک و مالک،مخافه ان یصیر ذلک عدوا و وبالا،فان من ادعی رضا اللّه،و اعتمد علی شیء ما سواه،صیره علیه عدوا و وبالا، لیعلم أنه لیس له قوه و لا حیله و لا لأحد الا بعصمه اللّه تعالی و توفیقه، و استعد استعداد من لا یرجو الرجوع،و أحسن الصحبه،و راع أوقات فرائض اللّه تعالی و سنن نبیه(ص)،و ما یجب علیک من الأدب، و الاحتمال،و الصبر،و الشکر،و الشفقه،و السخاوه،و إیثار الزاد

على دوام الأوقات،ثم اغسل بماء التوبه الخالصه ذنوبك،و البس كسوه الصدق و الصفاء و الخضوع و الخشوع،و احرم من كل شيء يمنعك عن ذكر اللّه عز و جل و يحجبك عن طاعته،و لب بمعنى إجابه صافيه خالصه زاكيه للّه عز و جل فى دعوتك له،متمسكا بالعروه الوثقى،و طف بقلبك مع الملائكه حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت.و هرول هروله فرا من هواك،و تبرأ من جميع حولك و قوتك،و اخرج من غفلتك و زلاتك بخروجك إلى منى،و لا تتضمن مالا يحل لك و لا تستحقه،و اعترف بالخطإ بالعرفات،و جدد عهدك عند اللّه تعالى بوحدانيته،و تقرب إليه، و اتقه بمزدلفه،و اصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل، و اذبح حنجره الهوى و الطمع عند الذبيحه،و ارم الشهوات و الخساسه و الدناءه و الافعال الذميمه عند رمى الجمرات،و أحلق العيوب الظاهره و الباطنه بحلق شعرك،و ادخل فى امان اللّه و كنفه و ستره و كلاءته من متابعه مرادك بدخول الحرم،و زر البيت متحققا لتعظيم صاحبه و معرفته و جلاله،و استلم الحجر رضى بقسمته و خضوعا لعظمته،و ودع ما سواه بطواف الوداع،و صف روحك و سرك للقاء اللّه تعالى يوم تلقاه بوقوفك على الصفا،و كن ذا مره من اللّه بفناء أوصافك عند المروه،و استقم على شروط حجتك،و وفاء عهدك الذى عاهدت ربك،و أوجبت له إلى يوم القيامه،و اعلم بان اللّه لم يفترض الحج،و لم يخصه من جميع الطاعات بالإضافه إلى نفسه بقوله تعالى:

وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً

(۱)

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۹۷.

و لا شرع نبيه(ص)سنه فى خلال المناسک على ترتيب ما شرعه، إلا للاستعداد و الإشاره إلى الموت و القبر و البعث و القيامه،و فضل بيان السبق من دخول الجنه أهلها و دخول النار أهلها،بمشاهده مناسک الحج من أولها إلى آخرها،لاولى الألباب و أولى النهى» (١).

خاتمه (زياره المشاهد)

اشاره

فى الإشاره إلى بعض الأمور الباطنه المتعلقه بزياره المشاهد.

اعلم ان النفوس القويه القدسيه،لا سيما نفوس الأنبياء و الأئمه(ع)، اذا نفضوا أبدانهم الشريفه،و تجردوا عنها،و صعدوا إلى عالم التجرد، و كانوا فى غايه الإحاطه و الاستيلاء على هذا العالم،فامور هذا العالم عندهم ظاهره منكشفه،و لهم القوه و التمكن على التأثير و التصرف فى موارد هذا العالم،فكل من يحضر مقابرهم لزيارتهم يطلعون عليه،لا سيما و مقابرهم مشاهد أرواحهم المقدسه العليه،و محال حضور أشباحهم البرزخيه النوريه، فانهم هناك يشهدون، بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (٢)و بما آتاهم اللّه من فضله فرحون،فلهم تمام العلم و الاطلاع بزائرى قبورهم،و حاضرى مراقدهم،و ما يصدر عنهم من السؤال و التوسل و الاستشفاع و التضرع،فتهب عليهم نسمات ألطافهم،و تفيض عليهم من رشحات أَنوارهم،و يشفعون إلى اللّه فى قضاء حوائجهم،و إنجاح

١- ١) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ٢١.

٢- ٢) آل عمران،الآيه:١۶٩.

مقاصدهم،و غفران ذنوبهم،و کشف کروبهم.فهذا هو السر فی تأکد استحباب زیاره النبی و الأئمه-علیهم السلام-،مع ما فیه من صلتهم و برهم و اجابتهم،و إدخال السرور علیهم،و تجدد عهد ولایتهم،و احیاء امرهم،و إعلاء کلمتهم،و تنکیت أعدائهم.و کل واحد من هذه الأمور مما لا یخفی عظیم أجره و جزیل ثوابه.و کیف لا تکون زیارتهم أقرب القربات،و أشرف الطاعات،مع ان زیاره المؤمن-من جهه کونه مؤمنا فحسب-عظیم الأجر جزیل الثواب،و قد ورد به الحث و التوکید و التغریب الشدید من الشریعه الطاهره،و لذلک کثر تردد الأحیاء إلی قبور أمواتهم للزیاره،و تعارف ذلک بینهم،حتی صارت لهم سنه طبیعیه، و أیضا قد ثبت و تقرر جلاله قدر المؤمن عند اللّه،و ثواب صلته و بره و إدخال السرور علیه.و إذا کان الحال فی المؤمن من حیث إنه مؤمن،فما ظنک بمن عصمه الله من الخطأ،و طهره من الرجس،و بعثه اللّه إلی الخلائق أجمعین،و جعله حجه علی العالمین،و ارتضاه إماما للمؤمنین،و قدوه للمسلمین،و لأجله خلق السماوات و الأرضین،و جعله صراطه و سبیله، و عینه و دلیله،و بابه الذی یؤتی منه،و نوره الذی یستضاء به،و أمینه علی بلاده،و حبله المتصل بینه و بین عباده،من رسل و أنبیاء و أئمه و أولیاء.

ثم،الأخبار الوارده فی فضیله زیاره النبی و الأئمه-علیهم السلام- مما لا تحصی کثره.قال رسول اللّه(ص):«من زار قبری بعد موتی کان کمن هاجو إلی فی حیاتی،فان لم تستطیعوا فابعثوا إلی بالسلام،فانه یبلغنی».

و قال(ص)لأمیر المؤمنین(ع):«یا أبا الحسن،إن اللّه تعالی جعل قبرک و قبر ولدک بقاعا من بقاع الجنه،و عرصه من عرصاتها،و إن اللّه جعل قلوب نجباء من خلقه،و صفوه من عباده،تحن إلیکم،و تحتمل المذله

و الـذى فيكم،فيعمرون قبـوركم،و يكـثرون زيارتهـا،تقربـا منهم إلى اللّه، و مـوده منهم لرسـوله،أولئـک يـا على المخصوصـون بشـفاعتى،و الواردون حوضـى،و هم زوارى و جيرانى غـدا فى الجنه.يا على،من عمر قبورهم و تعاهـدها فكأنما أعان سـليمان بن داود على بنـاء بيت المقـدس،و من زار قبـوركم عـدل ذلـک سـبعين حجه بعـد حجه الإسـلام،و خرج من ذنوبه حتى يرجع من زيـارتكم كيوم ولـدته أمه.فأبشر،و بشـر أوليـاءک و محبيک من النعيم و قره العين، بما لا عين رأت،و لا إذن سـمعت،و لا خطر على قلب بشـر،و لكن حثـاله من النـاس يعيرون زوار قبوركم،كمـا تعير الزانيه بزناهـا،أولئـک شـرار أمتى،لا تنالهم شـفاعتى،و لا يردون حوضـى» (۱). و قال الصادق (ع):«لو ان أحدكم حج دهره،ثم لم يزر الحسـين بن على-عليهما السـلام-، لكان تاركا حقا من حقوق رسول اللّه(ص)،لاـن حق الحسـين عليه السـلام فريضه من اللّه واجبه على كـل مسـلم». و قـال الرضا(ع):«ان لكل إمام عهـدا فى عنق أوليائه و شـيعته،و إن من تمام الوفاء بالعهـد و حسن الاداء زياره قبورهم،فمن زارهم رغبه فى زيارتهم،و تصـديقا بما رغبوا فيه، كان أئمته شـفعاءه يوم القيامه». و الاخبار فى فضل زياره النبى و الأئمه المعصومين،لا سـيما زياره سـيد الشـهداء و أبى الحسـن الرضـا-عليهـم أفضـل التحيه و الثنـاء-،و فضـل زيارتهمـا على الحـج و العمره و الجهـاد،أكـثر من ان تحصـى،و هى مذكوره فى كتب المزار لاصحابنا،فلا حاجه إلى إيرادها هنا.

۱- ۱) صححنا الحديث على(مستدرك الوسائل):۲-۱۹۵-۱۹۶،كتاب الحج،۱۰،ابواب المزار و ما يناسبه.

فصل (ما ينبغى للزائر عند دخول المدينه المنوره)

و إذا عرفت فضل زيارتهم و سرها،و عظم قدرهم و جلاله شأنهم، فينبغى أن تكثر التواضع و التخضع و الانكسار عند الدخول فى بلادهم، و مراقدهم المنوره،و مشاهدهم المكرمه،و تستحضر فى قلبك عظمتهم و جلالهم،و تعرف عظيم حقهم،و غايه جدهم و سعيهم فى إرشاد الناس و إعلاء كلمه اللّه.

فإذا قربت المدينه المنوره،و وقع بصرك على حيطانها،تذكر أنها البلده التى اختارها اللّه لنبيه(ص)،و جعل إليها هجرته،و انها البلده التى فيها شرع فرائض ربه و سننه،و جاهد عدوه،و اظهر بها دينه،و لم يزل قاطنا بها إلى ان توفاه اللّه،و جعل تربته فيها.

ثم مثل فى نفسك اقدام رسول اللّه(ص)عند ترddاتك فيها،و تذكر أنه ما من موضع قدم تطأه الا و هو موضع قدمه العزيز،فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينه و وجل،و كن متذكرا لمشيه و تخطيه فى سككها، و تصور سكينته و وقاره،و خشوعه و تواضعه لعظمه ربه،و ما استودع اللّه فى قلبه من عظيم معرفته و رفعه ذكره،حتى قرنه بذكر نفسه،و انزل عليه كلامه العزيز،و اهبط عليه روح الأمين و سائر ملائكته المقربين، و احبط عمل من هتك حرمته،و لو برفع صوته فوق صوته.ثم تذكر ما من اللّه به على الذين ادركوا صحبته،و سعدوا بمشاهدته و استماع كلامه،و أعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته،و تضرع إلى اللّه ألا تفوتك صحبته فى الآخره، و لتعظم رجاءك فى ذلك،بعد ان رزقك اللّه الايمان،و اشخصك من أرضك لأجل زيارته،محبه له،و تشوقا إليه.

ثم إذا دخلت مسجده،فتذكر أن أول موضع أقيمت فيه فرائض اللّه تلک العرصه،و انها تضمنت أفضل خلق اللّه حيا و ميتا،فارج اللّه غايه الرجاء أن يرحمک بدخولک إياه خاشعا معظما،و ما أجدر ذلک المکان بان يستدعی الخضوع من قلب کل مؤمن.

ثم إذا أتيته للزياره،فينبغی ان تقف بين يديه خاضعا خاشعا خائفا، و تزوره ميتا کما تزوره حيا،و لا تقرب من قبره الا کما تقرب من شخصه الکريم لو کان حيا،إذ لا فرق بين ميته و حيه،و لو وجدت التفرقه فی قلبک لما کنت مؤمنا،و لتعلم أنه عالم بحضورک و قيامک و زيارتک،و أنه يبلغه سلامک و صلواتک.فمثل صورته الکريمه فی خيالک،جالسا علی سرير العظمه بحذائک.و احضر عظيم رتبته فی قلبک،و قد ورد:أن اللّه تعالی و کل بقبره ملکا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته.و هذا فی حق من لم يحضر قبره،فکيف بمن فارق الأهل و الوطن،و قطع البوادی شوقا إلی لقائه،و اکتفی و قنع بمشاهده مشهده المنور،إذ فاتته مشاهده طلعته البهيه و غرته الکريمه.و قد قال(ص):«من صلی علیّ مره،صليت عليه عشرا».فهذا جزاؤه عليه فی الصلاه عليه بلسانه، فکيف بالحضور لزيارته ببدنه؟ و إذا فرغت من زيارته،فأت المنبر و امسحه بيدک،و خذ برمانيته، و امسح بهما وجهک و عينيک،و تضرع إلی اللّه،و ابتهل إليه،و اسأل حاجتک.و توهم صعود النبی(ص)المنبر،و مثل فی قلبک طلعته البهيه، قائما علی المنبر،و قد أحدق به المسلمون من المهاجرين و الأنصار،و هو يحمد اللّه بافصح الکلمات و اللغات و يحث الناس علی طاعه اللّه.و اسأل اللّه ألا يفرق فی القيامه بينه و بينک،و يجعلک فی جواره،و يعطيک منزلا فی قرب داره.

ص :۴۰۲

فصل (ما ینبغی للزائر عند دخول النجف و کربلاء)

و إذا دخلت ارض النجف لزیاره أمیر المؤمنین و سید الوصیین(ع)، تذکر انها وادی السلام،و مجمع أرواح المؤمنین،و قد شرفها اللّه و جعلها أشرف البقاع،و جنه المؤمنین،فما من مؤمن خالص إلا و بعد الموت یأتی روحه إلیها،و یتنعم فیها مع سائر المؤمنین،الی ان یدخلوا دار کرامته العظمی فی القیامه الکبری.و قد اکد شرافتها و عظم قدرها، بأن جعلها مدفن وصی رسوله،بعد ان کانت مدفن آدم أبی البشر،و نوح شیخ المرسلین-علیهما السلام-.فاسأل اللّه ان یأتی بروحک إلیها، و یدخلک فی زمره المؤمنین،و یجعلها محل دفنک،لتنال شفاعه مولاک (ع)،و لا یحشرک مع الکفار و العصاه فی وادی برهوت.

و إذا أتیت لزیارته،تذکر عظیم مرتبته عند اللّه و عند رسوله،و راع الآداب التی ذکرناها فی زیاره رسول اللّه(ص).

و إذا أردت أرض کربلاء،لزیاره سید الشهداء(ع)،فتذکر ان هذه الأرض هی التی قتل فیها سبط الرسول و أولاده و اقاربه و اجناده، و أسرت فیها أهالیه و أهل بیته،و فجدد الحزن علی قلبک،و ادخلها أشعث اغبر،منکسر الحال،محزون القلب،کئیبا حزینا باکیا،و احضر فی قلبک حرمه هذه الأرض و شرافتها،فانها الأرض التی فی تربتها الشفاء،و لا یرد فیها الدعاء،و قد یجعلها اللّه یوم القیامه ارفع بقاع الجنه،فتردد فیها علی سکینه و وجل.

ثم إذا دخلت الحائر اللزیاره،و وقع بصرک علی ضریحه المنور،ثم

على ضريح أصحابه المستشهدين معه،المجتمعين فى موضع واحد فى جواره، فمثل فى قلبك اشخاصهم،و تذكر وقائعهم و ما جرى عليهم من البلايا و المحن، و احضر فى نفسك ابا عبد اللّه الحسين(ع)واقفا فى عرصه كربلاء،و يأتى أصحابه واحدا واحدا يستأذن منه للجهاد،قائلا:السلام عليك يا ابا عبد اللّه!و هو يأذن له،و يلقى نفسه فى الميدان على الجم الغفير، فيقتل فى سبيله،و إذا أيس من حياته،ينادى بأعلى صوته:ادركنى يا ابا عبد اللّه!و هو(ع)يسرع إليه كالصقر المنقض،و يأخذ جثته من الميدان،و يلحقه بسائر اخوانه الشهداء.فمثل فى نفسك أمثال ذلك،و جدد عليهم الحزن و البكاء،و تمن كونك معهم فى تلك العرصه،و قل:يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما! ثم راع الآداب الباطنه لزيارته(ع)،و قس على ذلك زياره كل واحد من الأئمه-عليهم السلام-،فانه ينبغى لك ان تستحضر،عند حضورك كل واحد منهم،جلاله شأنه،و عظمه قدره،و عظيم حقه،و تتذكر ما يناسب حاله،و ما جرى عليه،ثم تستشعر فى قلبك ما يترتب عليه، من التعظيم،و الاجلال،و الخوف،و الحزن،و الفرح،و أمثال ذلك.

هذا آخر كتاب(جامع السعادات)و الحمد للّه على اتمامه،و اسأل اللّه ان يجعلنا من العاملين به،و ينفع به جميع عباده السالكين إليه.و قد وقع الفراغ من جمعه و تأليفه،فى سلخ شهر ذى القعده الحرام سنه ست و تسعين و مائه بعد الألف من الهجره النبويه،على مهاجرها الف الف سلام و تحيه.

هذا آخر ما كتبه المصنف(قدس سره)

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مرکز
القائمیة
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩